# Enjoying humanity with the legitimacy of petition of dead prophets and the devouts

**Prof. Ali migdady Alhatemy**

# إِتْحَافُ العَالَمِيْن

# بِمَشْرُوْعِيَّةِ التَّوَسُّل بِالأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِيْن

الأُسْتَاذُ الدُّكْتُوْر

عَلِي مِقْدَادِي الحَاتِمِي

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

قَالَ تَعَالى :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة : ٣٥]

وَقَالَ تَعَالى :

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾ [الإسراء : ٥٧]

## المُقَدِّمَةُ

إنَّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا ، من يَهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لَا إِلَهَ إِلَّا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله ، وصفيُّه وخليله ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء : ١] ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴾ [الأحزاب : ٧٠] .

أمَّا بعد : فمن المعلوم أنَّ مسألة التَّوسُّل إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين من المسائل التي درجت عليها الأمَّة قروناً طويلة حتَّى جاء ابن تيمية ومن بعده من المتمسلفة ، فمنعوها واعتبروها شركاً ، مع أنَّ ابتغاء الوسيلة وطلبها جاء في كتاب الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [المائدة:٣٥] ، وقال تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾ [الإسراء:٥٧] .

وجاء في القرآن الكريم الدَّعوة للمجيء إلى الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كي يستغفر لمن ظلم نفسه ، قال تعالى : ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴾ [النساء:٦٤] .

وجاء في قصَّة إخوة يوسف عليه السَّلام قوله تعالى : ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴾ [يوسف:٩٧] ، وكان جواب يعقوب عليه السَّلام : ﴿ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يوسف:٩٨] ، فقد استجاب لطلبهم ، ووعدهم بالاستغفار لهم ، ولم يُعنِّفهم على طلبهم الاستغفار لهم ...

وفي السُّنة المُطهَّرة وردت العديد من الأحاديث الدالَّة على جواز التَّوسُّل والاستغاثة بالأنبياء والصَّالحين ... وقد ذكرنا في كتابنا هذا جملة وافرة منها ...

والغريب في هذه المسألة : أنَّ من منعوا التَّوسُّل بالأنبياء والأولياء والصَّالحين ، لم يُمانعوا ويُعارضوا التَّوسُّل بالحيوانات والدَّواب ... فمن المعلوم أنَّ بعض السَّلف استحبَّ في صلاة الاستسقاء أن يذهب النَّاس

ومعهم الدَّواب على اختلاف أنواعها كي تكون وسيلة إلى الله تعالى ، ولسان الحال يقول : يا ربِّ إن لم نحضَر نحن برحمتك وغوثك فارحم هذه الدَّواب التي لا ذنب لها ولا حَوْل ولا طَوْل ... فهل يجوز التَّوسُّل إلى الله تعالى بالحمير ولا يجوز التَّوسُّل بالبشير النَّذير ؟!!!

قال الإمام أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل الرّوياني (٥٠٢هـ) : " ... قال : ولا آمر بإخراج البهائم ، وأراد لا يستحب ذلك ولا أكرهه ؛ لأنَّ بحضورها أثراً في الرَّحمة ، وروي أنَّ قوم يونس صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لَمَّا أظلَّهم العذاب وطلبوا يونس صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ليُسلموا هرب منهم فخرجوا إلى الصَّحراء وفرَّقوا بين النِّساء وأولادهنَّ وبين البهائم وأولادها ، فضجَّت الأمَّهات وضجَّ الأولاد وكثر الدُّعاء فرفع الله تعالى عنهم العذاب ... وإنَّما قلنا : لا يستحب ، لأنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لم يخرجها في الاستسقاء . وقال أبو إسحاق : يُستحب إخراج البهائم لعلَّ الله تعالى أن يرحمها ولا يؤاخذها بذنوب بني ءادم ، لأنَّها تستضرّ بالجدب أيضاً كبني ءادم ، ومن قال بهذا قال : تأويل ما قال في " الأم " ، " ولا أمر بإخراج البهائم كما أمر بإخراج الصِّبيان والشُّيوخ " فجعل حضورهم آكد وأفضل .

وحكى القفَّال عن الشَّافعي أنَّه قال : أحبُّ إخراج البهائم وإيقافها في جانب بين النَّاس للخبر الذي ذكرنا ، وهذا غريب .

وقال في " الحاوي " : قال ابن أبي هريرة : إخراج البهائم أولى من تركها . وقال سائر أصحابنا : إخراجها مكروه لما فيه من تعذيبها واشتغال النَّاس بأصواتها ، وأنَّها من غير أهل التَّكليف ، وهذا خلاف النَّص الذي ذكرنا ، وحكي أنَّ سليمان بن داود عليه الصَّلاة والسَّلام خرج يستسقي فرأى نملة قد استلقت على ظهرها تستسقي ، فقال : ارجعوا فقد سُقيتم بغيركم " (١) .

قال النَّبهاني في " شواهد الحق " : " والحاصل أنَّ مذهب أهل السُّنَّة والجماعة صحَّة التَّوسُّل وجوازه بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في حياته وبعد وفاته ، وكذا بغيره من الأنبياء والمرسلين والأولياء والصَّالحين ، كما دلَّت عليه الأحاديث السَّابقة ، لأنَّا معاشر أهل السُّنَّة لا نعتقد تأثيراً ولا خلقاً ، ولا إيجاداً ولا إعداماً ، ولا نفعاً ولا ضرّاً إلَّا لله وحده لا شريك له ، فلا نعتقد تأثيراً ولا نفعاً ولا ضرَّاً للنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم باعتبار الخلق والإيجاد والتَّأثير ولا لغيره من الأحياء والأموات ، فلا فرق في التَّوسُّل بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وغيره من

---

(١) انظر : بحر المذهب (في فروع المذهب الشافعي) (٢/ ٤٩٩) .

الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، وكذا بالأولياء والصَّالحين ، لا فرق بين كونهم أحياءً أو أمواتاً لأنَّهم لا يُخلقون شيئاً ، وليس لهم تأثيرٌ في شيء ، وإنَّما يتبرَّك بهم لكونهم أحباء الله تعالى ، والخلقُ والإيجاد والتَّأثير لله وحده لا شريك له . وأمَّا الذين يفرِّقون بين الأحياء والأموات ، فإنَّهم يعتقدون التَّأثير للأحياء دون الأموات ونحن نقول : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾ [الزمر : ٦٢ ] ، ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الصافات : ٩٦] ، فهؤلاء المجوِّزون التَّوسُّل بالأحياء دون الأموات هم الذين دخل الشِّرك في توحيدهم لكونهم اعتقدوا تأثير الأحياء دون الأموات ، فهمُ الذين اعتقدوا تأثير غير الله تعالى ، فكيف يدعون المحافظة على التَّوحيد وينسبون غيرهم إلى الإشراك ، سبحانك هذا بهتان عظيم . فالتَّوسُّل والتَّشفُّع والاستغاثة كلّها بمعنى واحد ، وليس لها في قلوب المؤمنين معنى إلَّا التَّبرُّك بذكر أحباء الله تعالى ، لما ثبت أنَّ الله يرحم العباد بسببهم سواء كانوا أحياء أو أمواتاً ، فالمؤثِّرُ والموجدُ حقيقة هو اللهُ تعالى ، وهؤلاء سببٌ عادي في ذلك لا تأثير لهم ، وذلك مثل السَّبب العادي ، فإنَّه لا تأثيرَ له .

وحياة الأنبياء في قبورهم ثابتة بأدلَّة كثيرة استدلَّ بها أهل السُّنَّة ، وكذا حياة الشُّهداء والأولياء ، وليس هذا محلّ بسط الكلام عليها . وشبهة هؤلاء المانعين للتَّوسل أنَّهم رأوا بعض العامَّة يتوسَّعون في الكلام ، ويأتون بألفاظ تُوهم أنَّهم يعتقدون التَّأثير لغير الله تعالى ، ويطلبون من الصَّالحين أحياء وأمواتاً أشياء جرت العادة بأنَّها لا تُطلب إلَّا من الله تعالى ، ويقولون للولي : افعل لي كذا وكذا ، وربَّما يعتقدون الولاية في أشخاص لم يتَّصفوا بها ، بل اتَّصفوا بالتَّخليط وعدم الاستقامة ، وينسبون لهم كرامات وخوارق عادات وأحوالاً ومقامات ليسوا بأهل لها ، ولم يوجد فيهم شيء منها ، فإنَّما أراد هؤلاء المانعون للتَّوسُّل أن يمنعوا العامَّة من تلك التَّوسُّعات دفعاً للإيهام وسداً للذَّريعة ، وإن كانوا يعلمون أنَّ العامَّة لا تعتقد تأثيراً ولا نفعاً ولا ضرّاً لغير الله تعالى ، ولا تقصد بالتَّوسُّل إلَّا التَّبرُّك ، ولو أسندوا للأولياء شيئاً لا يعتقدون فيهم تأثيراً . فنقول لهم : إذا كان الأمر كذلك وقصدتم سدَّ الذَّريعة ، فما الحامل لكم على تكفير الأمَّة عالمهم وجاهلهم خاصّهم وعامّهم ، وما الحامل لكم على منع التَّوسُّل مطلقاً ؟ بل كان ينبغي لكم أن تمنعوا العامَّة من الألفاظ الموهمة ، وتأمروهم سلوك الأدب في التَّوسُّل ، مع أنَّ تلك الألفاظ الموهمة يمكن حملها على الإسناد المجازي مجازاً عقليَّاً ، كما يحمل على ذلك قول القائل : هذا الطَّعام أشبعني ، وهذا الماء أرواني ، وهذا الدَّواء أو الطَّبيب نفعني ، فإنَّ ذلك كلّه عند أهل السُّنَّة محمول على المجاز العقلي ، فإنَّ الطَّعام لا يشبع ، والمشبع هو الله تعالى ، والطَّعام سبب عادي لا تأثير له ، وكذا

ما بعده . فالمسلم الموحِّد متى صدر منه إسناد الشَّيء لغير من هو له ، يجب حمله على المجاز العقلي ، وإسلامه وتوحيده قرينة على ذلك ، كما نصَّ على ذلك علماء المعاني في كتبهم وأجمعوا عليه .

وأمَّا منع التَّوسُّل مطلقاً ، فلا وجه له مع ثبوته في الأحاديث الصَّحيحة ، ومع صدوره من النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وأصحابه وسلف الأمَّة وخلفها ، فهؤلاء المنكرون التَّوسُّل المانعون منه : منهم من يجعله حراماً ، ومنهم من يجعله كفراً وإشراكاً ، وكلُّ ذلك باطل ، لأنَّه يؤدِّي إلى اجتماع معظم الأمَّة على الحرام والإشراك ، لأنَّ من تتبَّع كلام الصَّحابة والعلماء من السَّلف والخلف يجد التَّوسُّل صادراً منهم ، بل ومن كلِّ مؤمن في أوقات كثيرة ، واجتماع أكثرهم على الحرام أو الإشراك لا يجوز لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في الحديث الصَّحيح : " لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ " ، بل قال بعضهم أنَّه حديث متواتر ، وقال تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران : ١١٠] ، فكيف تجتمع كلّها أو أكثرها على ضلالة ، وهي خير أمَّة أخرجت للنَّاس ، فاللائق بهؤلاء المنكرين إذا أرادوا سدَّ الذَّريعة ومنع الألفاظ الموهمة كما زعموا أن يقولوا : ينبغي أن يكون التَّوسُّل بالأدب وبالألفاظ التي ليس فيها إيهام ، كأن يقول المتوسِّل : اللهمَّ إنِّي أسألك وأتوسَّل إليك بنبيِّك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وبالأنبياء قبله وبعبادك الصَّالحين أن تفعل بي كذا وكذا ، لا أنَّهم يمنعون التَّوسُّل مطلقاً ، ولا أن يتجاسروا على تكفير المسلمين الموحِّدين الذين لا يعتقدون التَّأثير إلَّا لله وحده لا شريك له " (١) .

ألا فليرعوي هؤلاء ... وليتوقَّفوا عن تكفير وتبديع وتجهيل أُمَّة سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وليعلوا أنَّهم هم المُبتدعة الذين جاءوا مُنكراً من القول وزوراً ...

فلأجل مناقشة مسألة التَّوسُّل من جميع جوانبها جاء هذا الكتاب الذي الذي اشتمل على مُقَدِّمَةُ ، وسبعة فصول ، هي :

مُقَدِّمَةُ : ...

الفَصْلُ الأَوَّلُ : تَعْرِيْفَاتٌ لَا بُدَّ مِنْهَا .

الفَصْلُ الثَّانِي : المَوْتُ لَيْسَ بِعَدَمٍ مَحْضٍ وَلَا فَنَاءٍ صِرْف .

الفَصْلُ الثَّالِثُ : أَنْوَاعُ التَّوَسُّل .

الفَصْلُ الرَّابعُ : أَدِلَّةُ التَّوَسُّلِ بالأنبياء والصَّالحين وآثارهم .

(١) انظر : شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم (١١٨-١١٩) .

**وَالحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِيْن**

# الفَصْلُ الأَوَّلُ

## تَعْرِيْفَاتٌ لَا بُدَّ مِنْهَا

قبل الشُّروع في الكلام عن التَّوسُّل ومتعلَّقاته لا بُدَّ من التَّعريج قليلاً على التَّعريف به ، وكذا ببعض المصطلحات المتعلِّقة به ، وأبدأ بالتَّعريف بالتَّوسُّل ، فأقول :

**أَوَّلاً : مَعْنَى التَّوسُّل لُغَةً وَاصْطِلَاحاً :**

التَّوسُّل مشتقٌّ من وسَل : الوَسِيلَةُ : المَنْزِلة عِنْدَ المَلِك . والوَسِيلة : الدَّرَجة . والوَسِيلة : القُرْبة . ووَسَّلَ فلانٌ إلى اللهِ وَسِيلَةً إِذا عَمِل عَمَلاً تقرَّب بِهِ إِليه . والوَاسِل : الرَّاغِبُ إلى اللهِ ؛ قَالَ لَبِيدٌ :

أَرى النَّاس لَا يَدْرونَ مَا قَدْرُ أَمرِهم ... بَلى كلُّ ذِي رَأْيٍ إِلى اللهِ وَاسِلُ

وتَوَسَّلَ إِليه بوَسِيلَةٍ إِذا تقرَّب إِليه بعَمَل . وتَوَسَّلَ إِليه بِكَذَا : تقرَّب إِليه بحُرْمَةِ آصِرةٍ تُعْطفه عَلَيْهِ . والوَسِيلَةُ : الوُصْلة والقُرْبى ، وَجَمْعُهَا الوَسَائِل ، قَالَ الله تَعَالَى : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ [الإسراء : ٥٧] . الوَسِيلَةُ مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلى الغَيْر ، وَالجَمْعُ الوُسُلُ والوَسَائِلُ . والتَّوْسِيلُ والتَّوسُّل وَاحِدٌ . وَفِي حَدِيثِ الأَذان : " اللهمَّ آتِ مُحَمَّداً الوَسِيلَة " (١) ؛ هِيَ فِي الأَصل مَا يُتَوَصَّل بِهِ إِلى الشَّيء ويُتَقَرَّب بِهِ ، وَالمُرَادُ بِهِ فِي الحَدِيثِ : القُرْبُ مِنَ اللهِ تَعالَى ، وَقِيلَ : هِيَ الشَّفاعة يَوْمَ الْقِيامَةِ ، وَقِيلَ : هِيَ مَنْزِلَةٌ مِنْ مَنازِل الجنَّة " (٢) .

و " الْوَسِيلَة : الْقرْبَة والمنزلة عِنْد الله عزَّ وَجلَّ ، وَيُقَال : هِيَ للنَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم الشَّفاعة الَّتِي خُصَّ بهَا ، وَالْمقَام الْمَحْمُود الَّذِي وُعده . وأصل الْوَسِيلَة : التَّوسُّل بِالدُّعَاءِ إِلى الله عزَّ وَجلَّ والتَّقرُّب إِلَيْهِ بالرَّغبة إِلَيْهِ تَعَالَى " (٣) .

" والوَسِيلة : الوُصْلةُ والقُرْبَى ، وجمعُها الوَسائل ، قَالَ الله : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ [الإسراء : ٥٧] ، وَيُقَال : توسَّل فلانٌ إلى فلَان بوَسيلة ، أَي : تَسَبَّبَ إِلَيْهِ بسَبَب ، وتقرَّبَ إِلَيْهِ بحُرمةِ آصِرةٍ تَعطِفه عَلَيْهِ " (١) .

---

(١) أخرجه البخاري في الصَّحيح (١/ ١٢٦ برقم ٦١٤) .

(٢) انظر : لسان العرب (١١/ ٧٢٤-٧٢٥) .

(٣) انظر : تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (ص٤٣٣) .

وقد ورد لفظُ الوسيلة مرَّتين في كتاب الله ، الأُولى : في قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة : ٣٥] . والمعنى : التمسوا ما يقرِّبكم منه تعالى بما يُحبُّ ويرضى ، لتحظوا بالقُرب منه ، ولتنالوا المنزلة والمكـــانة لديه سبحانه ...

والثَّانية : في قوله تعالى : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾ [الإسراء : ٥٧] .

والآية جاءت في معرض الرَّدِّ على اليهود والنَّصارى في تأليههم لعزير والمسيح أو على من عبدوا الملائكة ، وهم جميعاً لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم شيئاً ، وهم ممَّن يبتغون إلى الله تعالى الوسيلة ، يَرْجون رحمته ويخافون عذابه ...

ومعنى الوسيلة في هذه الآية لا يختلف عن معناها في الآية السَّابقة ، فهي سبيلٌ يُتوصَّلُ به إلى تحصيل المقصود ، والوسيلة لفظ عامٌّ شامل للتَّوسُّل بالذَّوات الفاضلة من الأنبياء والصَّالحين في الحياة وبعد الممات ، وكذا بالأعمال الصَّالحة . فالآية الكريمة تدعو المؤمنين للتَّقرُّب إلى الله تعالى الله بشتَّى أنواع القُربات ، متوسِّلين إلى الله تعالى بشتَّى أنواع الوسائل ، ومن ضمنها : التَّوسُّل بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وبغيره من الأنبياء والصَّالحين ...

ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة : ٣٥ ] ، قال الإمام محمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطَّبري (٣١٠هـ) : " والوسيلة : هي الفعيلة من قول القائل : توسَّلت إلى فلان بكذا ، بمعنى : تقرَّبت إليه ، ومنه قول عنترة :

إنَّ الرِّجَالَ لَهُمْ إِلَيك وسيلةٌ ... إِنْ يَأْخُذُوكِ تكَحَّلِي وتَخَضَّبي

يعني بـ الوسيلة ، القُرْبة ، ومنه قول الآخر :

إِذَا غَفَلَ الوَاشُونَ عُدْنَا لِوَصْلِنَا ... وَعَادَ التَّصَافِي بَيْنَنَا وَالوَسَائِلُ

---

(١) انظر : تهذيب اللغة (١٣/ ٤٨) ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٥/ ١٨٤١) ، معجم مقاييس اللغة (٦/ ١١٠) ، المحكم والمحيط الأعظم (٨/ ٦١٢) ، النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٨٥) .

ثمَّ روى بسنده عن أبي وائل ، والسدِّي ، وطلحة ، وقتادة ، ومجاهد ، والحسن ، عبد الله بن كثير : القُربة .
وروى عن ابن زيد في معنى الوسيلة ، قال : المحبّة ، تحبَّبوا إلى الله " (١) .

وقال الإمام أبو عبد الله الحاكم النَّيسابوري (٤٠٥هـ) : " حدَّثنا أَبُو عَبْدِ اللهَّ محمَّد بْنُ يَعْقُوبَ الشَّيْبَانِيُّ ، ثنا محمَّد بْنُ عَبْدِ الوهَّاب ، ثنا مُحَاضِرُ بْنُ الْمُوَرِّعِ ، ثنا الْأَعْمَشُ ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ ، عَنْ حُذَيْفَةَ ، أَنَّه سَمِعَ قَارِئاً يَقْرَأ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [المائدة : ٣٥ ] ، قَالَ : الْقُرْبَةَ ، ثمَّ قَالَ : لَقَدْ عَلِمَ الْمَحْفُوظُونَ مِنْ أَصْحَابِ محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَنَّ ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ مِنْ أَقْرَبِهِمْ إلى اللهَّ وَسِيلَةً " (٢) .

وقال الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرَّحمن بن محمَّد الفارسي الجرجاني (٤٧١هـ) : " الوسيلة : الخصلة التي يتقرَّب بها العبد إلى سيِّده تقرُّب موالاة ومحبَّة ومودَّة ، لا تقرُّب محاذاة أو أخوَّة " (٣) .

وقال الإمام أبو المظفَّر ، منصور بن محمَّد بن عبد الجبَّار ابن أحمد المروزي السَّمعاني التَّميمي الحنفي ثمَّ الشَّافعي (٤٨٩هـ) : " الْوَسِيلَة كلّ مَا يتوسَّل بِهِ إلى الله تَعَالَى ، أَي : يتَقرَّب " (٤) .

فمن خلال ما تقدَّم نعلَم أنَّ التَّوسُّل هو : سؤال العبد ربَّه تعالى بحقٍّ أو جاه نبيٍّ أو وليٍّ حيٍّ أو ميِّتٍ ، أو السُّؤال بعملٍ صالح أو دعاء نبيٍّ أو وليٍّ ، أو بأيِّ وسيلة محبوبة أو مرضيَّة عند الله تعالى لإجابة الدُّعاء ، وهو باب من أبواب التَّقرُّب إلى الله ، وليس من باب جعْل الوسائط بين العبد وربَّه – كما زعم بعض المتمسلفة – فالمتوسِّل بتوسُّله لا يدعو إلَّا الله وحده ، لأنَّه وحده سبحانه الْمُعطي والمانع ، والنَّافع والضَّار ، وهو بتوسُّله يتَّخذ الوسيلة المناسبة المحبوبة المرضيَّة عند الله تعالى للتَّوصُّل إلى المقصود ، وهي سبيل لنيل الحظوة والزُّلفى عند الله تعالى ، فالوسيلة لا تكون إلَّا بما يرضى ويُحبُّ الله تعالى ، طلباً لاستجابة الدُّعاء ونيل المطلوب . ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء : ٦٤] ، فهم بعد استغفارهم يتَّخذون من استغفار الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

(١) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (١٠/ ٢٩١) .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٧١ برقم ٣٢٧٦ ) .

(٣) انظر : دَرْجُ الدُّرر في تَفِسيرِ الآيِ والسُّوَر (٣/ ١١١١) .

(٤) انظر : تفسير القرآن ، أبو المظفر (٣/ ٢٥١) .

وَسَلَّم لهم وسيلة لنيل توبة الله عليهم ورحمته إيَّاهم . وهذا توسُّل بدعاء الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ودعاؤه واستغفاره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم للعصاة والمذنبين لا ينحصر في حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فقط ، بل هو عامٌّ شامل للحياة وكذا بعد انتقاله إلى الرَّفيق الأعلى ، لأنَّ الأنبياء أحياء في قبورهم يصلُّون ، وفي الفصل الخاصِّ بأدلَّة التَّوسُّل ، ذكرت العديد العديد من المعاني التي ذكرها علماء الأمَّة للوسيلة ...

إذا عرفت ذلك فاعلم أنَّ متمسلفة العصر ما فتئوا يكذبون على علماء الأمَّة لنُصرة باطلهم ومعتقدهم ، ومن ذلك في هذا الباب ما قاله محدِّثهم الألباني الذي كذب على الإمام ابن الأثير ، فقال : " قال ابن الأثير في " النِّهاية " : " الواسل : الرَّاغب ، والوسيلة : القُربة والواسطة ، وما يتوصَّل به إلى الشَّيء ويتقرَّب به ، وجمعها وسائل " (١) .

مع أنَّ ابن الأثير قال : " (وَسَلَ) فِي حَدِيثِ الْأَذَانِ : " اللهمَّ آتِ مُحَمَّداً الْوَسِيلَةَ " ، هِيَ فِي الأصْل : مَا يُتَوَصَّلُ بِهِ إلى الشَّيء ويُتَقَرَّبُ بِهِ ، وجَمْعُها : وَسَائِل . يُقال : وَسَلَ إِلَيْهِ وَسِيلَةً ، وتَوَسَّلَ . والمُراد بِهِ فِي الْحَدِيثِ القُرْبُ مِنَ اللهَّ تَعَالَى . وقِيل : هِيَ الشَّفاعة يومَ القِيامة . وقِيل : هِيَ مَنْزِلة مِنْ مَنازِل الجنَّة كَما جَاءَ فِي الْحَدِيثِ " (٢) .

فانظر أخي القارئ الكريم إلى النصَّين لترى الفارق الكبير بينهما ، ولتعلم يقيناً أنَّ من يدَّعون السَّلفيَّة ليسوا أُمناء فيما ينقلون عن أهل العلم ، وأنَّهم يكذبون ويتحرَّون الكذب لنصرة ما هم عليه من الباطل ، كما أنَّهم ليسوا أُمناء على كتب التُّراث ، لأنَّهم لا يتورَّعون عن التَّحريف والتَّزييف في كتب أهل العلم ، وبالتَّالي فإنَّني أحذِّر طلبة العلم من الرُّكون إلى الكتب التي طُبعت في مطابعهم أو تحت إشرافهم وتحقيقهم ، لأنَّنا ومن خلال الاستقراء والتَّتبُّع وجدنا من تحريفاتهم وعبثهم في كتب التُّراث ما يندى له الجبين ، وقد خصَّصت لذلك كتاباً مستقلاًّ بحمد الله تعالى سمَّيته : " كَشْفُ الخَفَاءِ عَنْ عَبَثِ الوَهَّابِيَّةِ بِكُتُبِ العُلَمَاءِ " ...

وعلى كلِّ حال فقد توسَّعت قليلاً في الحديث عن الوسيلة في الفصل الخاصِّ بأدلَّة التَّوسُّل ...

**ثَانِيَاً : مَعْنَى التَّبرُّك لُغَةً وَاصْطِلَاحَاً :**

---

(١) انظر : التَّوسُّل أنواعه وأحكامه ، الألباني (ص١١) .

(٢) انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٨٥) .

التَّبرُّك مصدر تبرَّك يتبرَّك تبرُّكاً ، وهو طلب البركة ، والتَّبرُّك مأخوذ من البركة ، ومادَّتها الزِّيادة والنَّماء ... قال ابن فـــارس : " قال الخليل : البركة من الزِّيادة والنَّماء ، والتَّبريك : أن تدعو بالبركة " (١) .

فالتَّبرُّك هو طلب الزِّيادة والنَّماء من المتبرَّك به ، تقول : تبرَّكت به ، أي : تيمَّنت به (٢) .

والتَّبرُّك جائز سواء كان المتبرَّك به حيَّاً أو ميتاً ، وقد يكـــون بَشَراً كنبيٍّ أو وليٍّ ، أو مكاناً أو غير ذلك ...

فقد تبرَّك الصَّحابة بجسد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وكذا بما مسَّته يدُه ، وقدمُه ، وأصابعُه ، وفمُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم . وبعد انتقاله إلى الرَّفيق الأعلى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم تبرَّكوا بآثاره من غير نكير ، فقد تبرَّكوا بالأماكن الفاضلة التي صَلَّى فيها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، كما تبرَّكوا بالموضع الذي لامسه فَمُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وبما انفصل من جسده ، وعن أعضائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم من شَعْرٍ ، ونحوه ...

كما تبرَّكوا بملابسه وأدواته ونَعْله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وكذا بقبره وبمنبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ... فكان إجماعاً .

فمن عظَّم نبيَّاً أو وليَّاً أو صالحاً ، وتبرَّك به أُثيب على تبرُّكه ذلك ، لأنَّ الدَّافع لتعظيمه لهؤلاء هو قُربُ منزلتهم من الله تعالى . ومن عظَّم الحجر الأسود بتقبيله ، واستلمه ، وتبرَّك به ، وكذا من عظَّم مقام إبراهيم عليه السَّلام وصلَّى فيه تبرُّكاً به كان مُثاباً على ذلك ، لأنَّ الدَّافع لذلك هو الاستجابة للأمر والاتِّباع .

فالتَّبرُّك " ليس هو إلَّا توسُّلاً إلى الله سبحانه وتعالى بذلك المتبرَّك به ، سواء أكان أثراً أو مكاناً أو شخصاً .

أمَّا الأعيان فلاعتقاد فضلها وقُربها من الله سبحانه وتعالى ، مع اعتقاد عجزها عن جلب خير أو دفع شرٍّ إلَّا بإذن الله .

وأمَّا الآثار ، فلأنَّها منسوبة إلى تلك الأعيان ، فهي مشرَّفة بشرفها ، ومكرَّمة ومعظَّمة ومحبوبة لأجلها .

وأمَّا الأمكنة ، فلا فضل لها لذاتها من حيث هي أمكنة ، وإنَّما لما يحلُّ فيها ويقع من خير وبركة ، كالصَّلاة ، والصِّيام ، وجميع أنواع العبادات ممَّا يقوم به عبادُ الله الصَّالحون ، إذ تتنزَّل فيها الرَّحمات ، وتحضرها الملائكة ، وتغشاها السَّكينـــة ، وهذه هي البركة التي تطلب من الله في الأماكن المقصودة لذلك .

---

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة (١/ ٢٣٠) .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (١٠/ ١٣١) ، لسان العرب (١/ ٢٠٠) ، مفردات القرآن (ص٤١) ، بصائر ذوي التمييز (٢/ ٢٠٩) .

وهذه البركة تطلب بالتَّعرُّض لها في أماكنها بالتَّوجُّه إلى الله تعالى ودعائه واستغفاره ، وتذكر ما وقع في تلك الأماكن من حوادث عظيمة ، ومناسبات كريمة ، تحرِّك النُّفوس ، وتبعثُ فيها الهمَّة والنَّشاط للتَّشبُّه بأهلها أهل الفلاح والصَّلاح (١) .

**ثَالِثَاً : مَعْنَى الاسْتِغَاثَة لُغَةً وَاصْطِلَاحَاً :**

" الاستغاثة : من الْغَوْث وَهُوَ النَّصْر والعون ، يُقَال : استغثته فأغاثني " (٢) .

والاسْتِغَاثَةُ : طَلَبُ الغَوْثِ ، وَهُوَ التَّخْلِيصُ من الشِّدَّةِ والنِّقْمَةِ ، والعَوْنُ على الفَكَاكِ من الشَّدائِدِ ، وَلم يَتَعَدَّ فِي القُرآنِ إِلَّا بِنَفْسِه ، كَقَوْلِـه تَعَالى : ﴿ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ﴾ [الأنفال : ٩] ، وَقد يَتَعَدَّى بالحَرْفِ ، كَقَـوْل الشَّاعِرِ :

حَتَّى اسْتَغَاثَ بماءٍ لَا رِشَاءَ لهُ   من الأَبَاطِحِ فِي حافَاتِه البُرَكُ (٣)

فالاستغاثة طلب الْغَوْث ، وعِنْد النُّحَاة : نِدَاء من يخلِّص من شدَّة أَو يُعين على دفع بليَّة . ويقرن الْمُستغاث بِهِ بلام مَفْتُوحَة ، والمستغاث لَهُ بلام مَكْسُورَة ، يُقَال : يَا لله للْمُسلمين ، وَقد يجر المستغاث من أَجله بِمن إِذا كَانَ مستنصراً عَلَيْهِ ، كَقَوْلِه :

يَا للرِّجَال ذَوي الْأَلْبَاب من نفرٍ   لَا يبرح السَّفه المردي لَهُم دينا

والْغَوْث : الْإِعَانَة والنُّصرة ، وَيُقَال فِي الشدَّة تنزل بِالْمَرْءِ فَيسْأَل العون على كشفها : واغوثاه " (٤) وجاء في قصَّة هاجر أُمّ إسماعيل قولها : " قد أسمَعْتَ إن كان عندك غواثٌ ، فإذا هي بالمَلَك عند موضع زمزم ، فبحث بعقبه ، أو قال بِجَنَاحِهِ ، حَتَّى ظَهَرَ المَاء (٥)

والغَوَاث مشتقٌّ من الغوث ، وَجَزَاء الشَّرْط مَحْذُوف تَقْدِيره : إِن كَانَ عنْدك غواث أغثني (٦) .

---

(١) انظر : مفاهيم يجب أن تصحح (ص٢١٩) ، التَّبرُّك بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وبآثاره في حياته وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى (ص١٠٤-١٠٥) .

(٢) انظر : الكليَّات معجم في المصطلحات والفروق اللغويَّة (ص١١٤) .

(٣) انظر : تاج العروس من جواهر القاموس (٥/ ٣١٤) .

(٤) انظر : المعجم الوسيط (٢/ ٦٦٥) .

(٥) أخرجه البخاري (٤/ ١٤٢ برقم ٣٣٦٤) ، البيهقي في السنن الكبرى (٥/ ١٦٠ برقم ٩٣٧٠) ، شعب الإيمان (٥/ ٤٩٣) ، دلائل النبوة (٢/ ٤٨) ، عبد الرزاق في المصنف (٥/ ١٠٥ برقم ٩١٠٧) .

(٦) انظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٥/ ٢٥٦) .

فبناء على ما سبق بيانه نقول : الإستغاثة هي طلب المُستغِيثِ من المُستغَاثِ به أن يدعو الله تعالى له لدفع مضرَّة أو جلب مصلحة ، ولا فرق بين أن يكون المُستغاثُ به نبيَّاً أو وليَّاً حيَّاً أو ميِّتاً ...

والاستغاثة لا تكون إلَّا في الشَّدائد وعند نزول المكروه الذي يتطلَّب تدخُّلاً يطلبه المستغيثُ من المُستغاثِ به ، بينما التَّوسُّل قد يكون في الشِّدَّة وقد يكون في الرَّخاء ، وفي هذا المقام يقول الإمام ابن تيمية : " وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ : إنَّ التَّوسُّل بِنَبِيٍّ ؛ هُوَ اسْتِغَاثَةٌ بِهِ بَلْ الْعَامَّةُ الَّذِينَ يَتَوَسَّلُونَ فِي أَدْعِيَتِهِمْ بِأُمُورِ ، كَقَوْلِ أَحَدِهِمْ : أَتَوَسَّلُ إلَيْك بِحَقِّ الشَّيخ فُلَانٍ أَوْ بِحُرْمَتِهِ أَوْ أَتَوَسَّلُ إلَيْك بِاللَّوْحِ وَالْقَلَمِ أَوْ بِالْكَعْبَةِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَقُولُونَهُ فِي أَدْعِيَتِهِمْ يَعْلَمُونَ أنَّهم لَا يَسْتَغِيثُونَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ ؛ فَإِنَّ الْمُسْتَغِيث بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم طَالِبٌ مِنْهُ وَسَائِلٌ لَهُ ، وَالْمُتَوَسِّلُ بِهِ لَا يُدْعَى وَلَا يُطْلَبُ مِنْهُ وَلَا يُسْأَلُ ، وإنَّما يُطْلَبُ بِهِ وَكُلُّ أَحَدٍ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَدْعُوِّ وَالْمَدْعُوِّ بِهِ .

وَالِاسْتِغَاثَةُ طَلَبُ الْغَوْثِ وَهُوَ إزَالَةُ الشِّدَّةِ كَالِاسْتِنْصَارِ طَلَبُ النَّصْرِ ، وَالِاسْتِعَانَةِ طَلَبُ الْعَوْنِ ،وَالْمَخْلُوقُ يُطْلَبُ مِنْهُ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْهَا ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ ﴾ [الأنفال : ٧٢] ، وَكَمَا قَالَ : ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص:١٥] ، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة : ٢] . وأمَّا مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إلَّا الله ؛ فَلَا يُطْلَبُ إلَّا مِنْ اللهَّ " . (١)

والاستغاثة جائزة سواء كانت بالحي أو بالميِّت...

ومثال جوازها بالحيِّ ، ما رواه البخاري وغيره بسندهم عن أنس ، أَنَّ رَجُلاً دَخَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ مِنْ بَابٍ كَانَ وِجَاهَ المِنْبَرِ ، وَرَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَائِمٌ يَخْطُبُ ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَائِماً ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهَّ : هَلَكَتِ المَوَاشِي ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ ، فَادْعُ اللهَّ يُغِيثُنَا ، قَالَ : فَرَفَعَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يَدَيْهِ ، فَقَالَ : " اللهمَّ اسْقِنَا ، اللهمَّ اسْقِنَا ، اللهمَّ اسْقِنَا " ، قَالَ أَنَسُ : وَلاَ وَاللهَّ مَا نَرَى فِي السَّماء مِنْ سَحَابٍ ، وَلاَ قَزَعَةً وَلاَ شَيْئاً وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ ، وَلاَ دَارٍ ، قَالَ : فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْس، فلمَّا تَوَسَّطَتِ السَّماء ، انْتَشَرَتْ ثمَّ أَمْطَرَتْ ، قَالَ : وَاللهِّ مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا، ثمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ البَابِ

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١/ ١٠٣) .

فِي الجُمُعَةِ المُقْبِلَةِ ، وَرَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَائِمٌ يَخْطُب ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِماً ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهَّ : هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ ، فَادْعُ اللهَّ يُمْسِكْهَا ، قَالَ : فَرَفَعَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يَدَيْهِ ، ثمَّ قَالَ : " اللهمَّ حَوَالَيْنَا ، وَلاَ عَلَيْنَا ، اللهمَّ عَلَى الآكَامِ وَالجِبَالِ وَالآجَامِ وَالظِّرَابِ وَالأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ " ، قَالَ : فَانْقَطَعَتْ ، وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ . قَالَ شَرِيكٌ : فَسَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ : أَهُوَ الرَّجُلُ الأَوَّل ؟ قَالَ : لاَ أَدْرِي " (١) .

وقال الإمام البيهقي : " وأخبرنا أبو بكر أحمد بن الحارث الفقيه الأصبهاني ، أنبأنا أبو محمَّد ابن حيَّان أبو الشَّيخ الأصبهاني ، حدَّثنا عبد الرَّحمن بن الحسن ، حدَّثنا أحمد ابن رشيد بن خثيم الهلالي ، حدَّثنا أبو معمر سعيد بن خثيم عمي ، عن مسلم الملائي ، عن أنس بن مالك ، قال : جاء أعرابي إلى النَّبي ، فقال : يا رسول الله ، لقد أتيناك ومالنا بعير يُيَطُّ ، ولا صبي يصيح ، وأنشده :

أَتَيْنَاكَ وَالْعَذْرَاءُ يَدْمَى لَبَانُهَـــا ... وَقَدْ شُغِلَتْ أُمُّ الصَّبِيِّ عَنِ الطِّفْـلِ
وَأَلْقَى بِكَفَّيْهِ الصَّبِيُّ اسْتِكَانَـــةً ... مِنَ الجُوعِ ضَعْفاً مَا يُمَرُّ وَلا يُخْلِـي
وَلا شَيْءَ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاس عِنْدَنَا ... سِوَى الحَنْظَلِ الْعَامِيِّ وَالْعِلْهِزِ الْفَسْلِ
وَلَيْسَ لَنَا إِلا إِلَيْكَ فِرَارُنَـــــا ... وَأَيْنَ فِرَارُ النَّاس إِلا إِلى الرُّسْـــــــل

فقام رسول الله يجرُّ رداءه حتى صعد المنبر ثمَّ رفع يديه إلى السَّماء ، فقال : اللهمَّ اسقنا غيثاً مُغيثاً مَريئاً مَريعاً غَدَقاً طَبَقاً عاجلاً غير رائثٍ نافعاً غير ضارٍّ ، تملأ به الضَّرع ، وتنبتُ به الزَّرع ، وتحيي به الأرض بعد موتها ، وكذلك تخرجون . فوالله ما ردَّ يديه إلى نحره حتى ألقت السَّماء بأبراقها ، وجاء أهل البطانة يعنجون : يا رسول الله !! الغرق الغرق فرفع يديه إلى السَّماء ثمَّ قال : " اللهمَّ حوالينا ولا علينا ، فانجاب السَّحاب عن المدينة حتى أحدق بها كالإكليل ، فضحك رسول الله حتى بدت نواجذه ثمَّ قال : " لله درُّ أبي طالب ، لو كان حيَّاً قرَّتا عيناه ، من ينشدنا قوله ؟!! فقام عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال : يا رسول الله كأنك أردت :

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ... ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٢٨ برقم ١٠١٣) ، مسلم (٢/ ٦١٢ برقم ٨٩٧) ، البزار في المسند (١٢/ ٣٢٥ برقم ٦١٨٨) ، النسائي في الكبرى (٢/ ٣٢٢ برقم ١٨٣٧) ، المجتبى من السنن (٣/ ١٦١ برقم ١٥١٨) ، ابن خزيمة في الصَّحيح (٣/ ١٤٤ برقم ١٧٨٨) ، الطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ٣٢١ برقم ١٨٩١) ، ابن حبَّان (٣/ ٢٧٢ برقم ٩٩٢) ، الطبراني في الدُّعاء (ص٢٩٧ برقم ٩٥٨) ، البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٤٩٤ برقم ٦٤٣٦) ، الدعوات الكبير (٢/ ١٧٥ برقم ٥٤٦) ، البغوي في شرح السُّنَّة (٤/ ٤١٢ برقم ١١٦٦) .

يَلُوذُ بِهِ الْهُلاكُ مِــــنْ آلِ هَاشِمٍ فَهُمْ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ وَفَوَاضِــلِ
كَذَبْتُمْ وَبَيْتُ اللَّـــهِ يُبْزَى مُحَمَّداً وَلَمَّا نُقَاتِلْ دُونَهُ وَنُنَاضِــــلِ
وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نُصَرَّعَ حَوْلَــــــهُ وَنَذْهَلُ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلائِــــــلِ

قال : وقام رجل من كنانة ، وقال :

لَكَ الْحَمْدُ وَالْحَمْدُ مِمَّـــنْ شَكَرْ سُهقِينَا بِوَجْهِ النَّبِي الْمَطَــــرْ
دَعَا اللهَّ خَالِقَهُ دَعْـــــوَةً إِلَيْهِ وَأَشْخَصَ مِنْهُ الْبَصَــرْ
فَلَمْ يَكُ إِلا كَإِلْقَــــــا الرِّدَاءِ أَوِ اسْرَعَ حَتَّى رَأَيْنَــا الدُّرَرْ
رِقَاقُ الْعَوَالِي جَمُّ الْبُعَـــاقِ أَغَاثَ بِهِ الله عَيْنَا مُضَــرْ
وَكَانَ كَمَا قَالَهُ عَمُّــــــــهُ أَبُو طَالِبٍ أَبْيَضٌ ذُو غُرَرْ
بِهِ الله يَسْقِي بِصَوْبِ الْغَمَــامِ وَهَذَا الْعَيَانُ لِذَاكَ الْخَبَــــرْ
وَمَنْ يَشْكُرِ اللهَّ يَلْقَــى الْمَزِيـــــدَ وَمَنْ يَكْفُرِ اللهَّ يَلْقَـــــــى الْغِيَرْ

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " إن يَكُ شاعرٌ يُحسنُ فقد أَحسنتَ " (١) .

قال الإمام أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني : " وَإِسْنَادُ حَدِيثِ أَنَسٍ وَإِنْ كَانَ فِيهِ ضَعْفٌ لَكِنَّهُ يَصْلُحُ لِلْمُتَابَعَةِ ، وَقَدْ ذَكَرَهُ بن هِشَامٍ فِي زَوَائِدِهِ فِي السِّيرَةِ تَعْلِيقاً عَمَّنْ يَثِقُ بِهِ " (٢) .

وروى البخاري وغيره بسندهم عن أنس ، أَنَّ رَجُلاً دَخَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ مِنْ بَابٍ كَانَ وِجَاهَ المِنْبَرِ ، وَرَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَائِمٌ يَخْطُبُ ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَائِماً ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهَّ : هَلَكَتِ المَوَاشِي ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ ، فَادْعُ اللهَّ يُغِيثُنَا ، قَالَ : فَرَفَعَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يَدَيْهِ ، فَقَالَ : " اللهمَّ اسْقِنَا ، اللهمَّ اسْقِنَا ، اللهمَّ اسْقِنَا " ، قَالَ أَنَسُ : وَلاَ وَاللهَّ مَا نَرَى فِي السَّماء مِنْ سَحَابٍ ، وَلاَ قَزَعَةً وَلاَ شَيْئاً وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ ، وَلاَ دَارٍ ، قَالَ : فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ ، فلمَّا تَوَسَّطَتِ السَّماء ، انْتَشَرَتْ ثمَّ أَمْطَرَتْ ، قَالَ : وَاللهِّ مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتّاً ، ثمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ البَابِ فِي الجُمُعَةِ المُقْبِلَةِ ،

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ١٢٢ برقم ٢٣٩١) ، الأصبهاني في كتاب دلائل النبوة (ص١٨٤ برقم ٢٣٨) ، وذكره الخركوشي في شرف المصطفى (٣/ ٥٢٢) ، ابن كثير في البداية والنهاية (٦/ ٩٨) ، المقريزي في إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع (٥/ ١٢٦) ، الصالحي في سُبل الهُدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد (٩/ ٤٤٠) .

(٢) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢/ ٤٩٥) .

وَرَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَائِمٌ يَخْطُب ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِماً ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهَّ : هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ ، فَادْعُ اللهَّ يُمْسِكْهَا ، قَالَ : فَرَفَعَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يَدَيْهِ ، ثمَّ قَالَ : " اللهمَّ حَوَالَيْنَا ، وَلاَ عَلَيْنَا ، اللهمَّ عَلَى الآكَامِ وَالجِبَالِ وَالآجَامِ وَالظِّرَابِ وَالأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ " ، قَالَ : فَانْقَطَعَتْ ، وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ . قَالَ شَرِيكٌ : فَسَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ : أَهُوَ الرَّجُلُ الأَوَّل ؟ قَالَ : لاَ أَدْرِي " (١) .

ومثال جوازها بالميِّت :

روى البخاري وغيره بسندهم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : قَالَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " إِنَّ الشَّمْسَ تَدْنُو ، حَتَّى يَبْلُغَ الْعَرَقُ نِصفَ الْأُذُنِ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ اسْتَغَاثُوا بِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلام ، فَيَقُولُ : لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ ، ثمَّ بِمُوسَى فَيَقُولُ كَذَلِكَ ، ثمَّ بمحمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَيَشْفَعُ لِيَقْضِيَ بَيْنَ الْخَلْقِ ، فَيَمْشِي حَتَّى يَأْخُذَ بِحَلْقَةِ الجنَّة ، فَيَوْمَئِذٍ يَبْعَثُهُ الله مَقَاماً مَحْمُوداً يَحْمَدُهُ أَهْلُ الْجَمْعِ كُلُّهُمْ " (٢) .

فالحديث نصٌّ واضحٌ صريحٌ في إثبات الاستغاثة بالأنبياء بعد الموت ، حيث يهرع الخلق إلى نبي الله آدم يطلبون الغوث منه ، ثمَّ يرشدهم إلى غيره من الأنبياء والرُّسل ، إلى أن يصل الأمر إلى أفضل الخلق سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فيقوم فَيَشْفَعُ لِيُقْضَى بَيْنَ الخَلْقِ ، فَيَوْمَئِذٍ يَبْعَثُهُ الله مَقَاماً مَحْمُوداً ، يَحْمَدُهُ أَهْلُ الجَمْعِ كُلُّهُمْ ... مع أنَّ من يدَّعون السَّلفيَّة أبوا إلَّا أن يشوِّشوا على هذا المقام الرَّفيع لسيِّد ولد آدم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حين زعم ابن تيمية أنَّ المقام المحمود إنَّما هو : إجلاس الله تعالى للرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إلى جواره على العرش ، والعياذ بالله تعالى ، قال الإمام ابن تيمية : " ... إِذَا تَبَيَّنَ هَذَا فَقَدْ حَدَّثَ الْعُلَمَاءُ الْمَرْضِيُّونَ وَأَوْلِيَاؤُهُ الْمَقْبُولُونَ : أَنَّ

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٢٨ برقم ١٠١٣) ، مسلم (٢/ ٦١٢ برقم ٨٩٧) ، البزار في المسند (١٢/ ٣٢٥ برقم ٦١٨٨) ، النسائي في الكبرى (٢/ ٣٢٢ برقم ١٨٣٧) ، المجتبى من السنن (٣/ ١٦١ برقم ١٥١٨) ، ابن خزيمة في الصَّحيح (٣/ ١٤٤ برقم ١٧٨٨) ، الطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ٣٢١ برقم ١٨٩١) ، ابن حبَّان (٣/ ٢٧٢ برقم ٩٩٢) ، الطبراني في الدُّعاء (ص٢٩٧ برقم ٩٥٨) ، البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٤٩٤ برقم ٦٤٣٦) ، الدعوات الكبير (٢/ ١٧٥ برقم ٥٤٦) ، البغوي في شرح السُّنَّة (٤/ ٤١٢ برقم ١١٦٦) .

(٢) خرجه البخاري (٢/ ١٢٣ برقم ١٤٧٥) ، ابن خزيمة (٢/ ٥٩٦) ، الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣/ ٥٢ برقم ١٠٢٢) ، الطبراني في المعجم الأوسط (٨/ ٣١٠ برقم ٨٧٢٥) ، ابن مندة في الإيمان (٢/ ٨٥٤ برقم ٨٨٤) ، البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ١٥٨ برقم ٣٢٣٣) ، البغوي في شرح السُّنَّة (٦/ ١١٩ برقم ١٦٢٢) .

مُحَمَّداً رَسُولَ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يُجْلِسُهُ رَبُّهُ عَلَى الْعَرْشِ مَعَهُ . رَوَى ذَلِكَ محمَّد بْنُ فَضِيلٍ عَنْ لَيْثٍ عَنْ مُجَاهِدٍ ؛ فِي تَفْسِيرِ : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء : ٧٩ ] (١) .

وأنا أقول للإمام ابن تيمية : لا ، لم يُحدِّث العلماءُ المرضيُّون ولا أولياؤه المقبولون بأنَّ محمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يُجلسه ربُّه على العرش معه ، بل استنكروه واستعظموه ، ورجَّحوا ما جاء في الصَّحيح من تفسير المقام المحمود بالشَّفاعة العظمى ، وهأنذا أسردُ عليك بعضاً من أقوالهم في استنكاره :

قال الإمام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمَّد بن عبد البر بن عاصم النّمري القرطبي (٤٦٣هـ) : " ... عَلَى هَذَا أَهْلُ الْعِلْمِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِ اللهِّ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء : ٧٩ ] ، أنَّه الشَّفاعة ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ (١٠٤هـ) : أَنَّ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ أَنْ يُقْعِدَهُ مَعَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى الْعَرْشِ ، وَهَذَا عِنْدَهُمْ مُنْكَرٌ !!! فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ ، وَالَّذِي عَلَيْهِ جَمَاعَةُ الْعُلَمَاءِ مِنَ الصَّحابة وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْخَالِفِينَ : أَنَّ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ هُوَ الْمَقَامُ الَّذِي يَشْفَعُ فِيهِ لِأُمَّتِهِ ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلُ مَا عَلَيْهِ الْجَمَاعَةُ مِنْ ذَلِكَ ، فَصَارَ إِجْمَاعاً فِي تَأْوِيلِ الْآيَةِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْكِتَابِ وَالسَّنَةِ . ذَكَرَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ شَبَابَةَ عَنْ وَرْقَاءُ عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ في قوله : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء : ٧٩] ، قَالَ : شَفَاعَةُ محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم " (٢) .

وعقيدة الإقعاد على العرش عقيدة باطلة ، قال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٧٤٨هـ) : " فأمَّا قضيَّة قعود نبيِّنا على العرش ، فلم يثبت في ذلك نصٌّ !!! بل في الباب حديث واه " (٣) .

ومجسِّمة الحنابلة هم من قالوا بعقيدة الإقعاد على العرش ، وهي عقيدة مزدكيَّة ، قال الإمام الكوثري (١٩٥٢م) : " ومن معتقد المزدقيَّة منهم – الثَّنويَّة – أنَّ المعبود قاعد على كرسيِّه في العالم الأعلى على هيئة قعود خسرو ( الملك ) في العالم الأسفل " (٤) .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٤/ ٣٧٤) .

(٢) انظر : التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٩/ ٦٤) .

(٣) انظر : مختصر العلو للعلي العظيم (ص١٨٣) .

(٤) انظر : مقدِّمات الإمام الكوثري (ص٣٨) .

ولأجل هذه العقيدة التَّجسيميَّة الخرقاء الجوفاء ... أراق مجسِّمةُ الحنابلةِ دماءَ الموحِّدين الرَّافضين لها ، والعياذ بالله تعالى ...

قال الإمام شهاب الدِّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرُّومي الحموي (٦٢٦هـ) في ترجمة الإمام الطَّبري (٣١٠هـ) : " ... وأمَّا حديث الجلوس على العرش فمحال ، ثمَّ أنشد :

سبحان من ليس له أنيس ولا له في عرشه جليس

فلمَّا سمع ذلك الحنابلة منه وأصحاب الحديث ، وثبوا ورموه بمحابرهم ... " (١) . فإلى الله تعالى المشتكى من قوم جعلوا مخالفة الأمَّة ديناً لهم وديدناً ...

وقال الإمام محمَّد بن موسى بن النُّعمان المراكشي (٦٨٣هـ) : " ولَّما كانت سنة ثلاث وخمسين وستمائة ، وقفت زيادة النِّيل بمصر في شهر مسرى (اسم قبطي لشهر من شهر السَّنة) عن عادته ، فضجَّ النَّاس بسبب ذلك ، مع ما هم فيه من الغلاء في السِّعر .

قال الفقيه المقرئ أبو العبَّاس أحمد بن علي بن الرِّفْعة الأنصاري : فبِتُّ ليلة الجمعة الرَّابع والعشرين من جمادى الآخرة الموافق لليلة السَّادسة من مسرى المتقدِّم ذكره مهموماً ، فصلَّيت ركعتين ؛ وقرأت في الأولى بفاتحة الكتاب ، وقوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ ﴾ [فصلت : ٥٣] إلى آخر السُّورة ، وفي الثَّانية بفاتحة الكتاب ، وقوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩] إلى آخر السّورة ، واستغثت بالنَّبي صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّم ، ونمتُ ، فرأيت هاتفاً هتف بي وهو يقول : أنَّه سمع استغاثتك ، وأنَّه يُفرجُ عن العالم بعد ثلاثة أيام في نيل مصر ، وكنتُ أُخبرتُ أنَّ علم هذه الرُّؤيا عند أبي المجد الإخميمي خطيب مصر ، فسألته عن هذه الرُّؤيا ، فأخبرني أنَّ الفقيه أبا العبَّاس أحمد بن الرِّفعة المذكور أخبره بالمنام صبيحة يوم الجمعة المقدِّم ذكره .

قال الشَّيخ أبو المجد المذكور : فبعد ثلاثة أيام ، زاد النِّيل في ذلك اليوم خمسة عشر إصبعاً ، ثمَّ استمر في الزِّيادة حتى بلغ تلك السُّنَّة أصبعاً واحداً من تسعة عشر ذراعاً ، وذلك ببركة الاستغاثة بالنَّبي صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّم " (٢) .

---

(١) انظر : معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) (٦/ ٢٤٥٠) .

(٢) انظر : مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام (ص٥٢-٥٣) .

وقال الإمام تقي الدِّين الحصني الشَّافعي : " ... والمراد أنَّ الاستغاثة بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، واللواذ بقبره مع الاستعانة به كثير على اختلاف الحاجات ، وقد عقد الأئمَّة لذلك باباً ، وقالوا : إنَّ استعانَة مَن لاذ بقبره وشكى إليه فقره وضرَّه تُوجب كشف ذلك الضرِّ بإذن الله تعالى . فمن ذلك : ما أخبر به يوسف بن علي ، قال : رَكِبتني دُيونٌ ، فقصدتُ الخروج من المدينة الشَّريفة ، ثمَّ جئت إلى قبر رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّم ، فاستغثت به في وفاء ديني ، فنمت فرأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فأشار عليَّ بالجلوس ، فاستيقظت ، فقيَّض الله لي مَنْ وَفَى دَيْني .

وقال بعضهم : بلغنا أنَّ أبا الليث يقرأ القرآن في المصحف ، من غير تعلُّم سبق منه للكتابة ، وكنت أُنكر ذلك ، قال : فدخلتُ مكَّة فوجدته يقرأ القرآن في المصحف قراءة محمودة ، فسألته عن سبب ذلك ؟ فقال : كنت في مدينة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَبيتُ في المسجد وأخلو به فتشفَّعت إلى الله – عزَّ وجلَّ – بالنَّبي صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّم أن يسهِّل عليَّ القرآن في المصحف . قال : وجلست فأخذتني سِنَةٌ ، فرأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وهو يقول : قد أجاب الله تعالى دعاءك ، فافتح المصحف واقرأ القرآن . قال : فلمَّا أصبح الصَّباح فتحتُ المصحف ، وشرعت أقرأ القرآن ، فكنت أقرأ في المصحف ، فربَّما تتصحَّف عليَّ الآية ، فأنام فأرى من يقول لي : الآية التي تصحَّفت عليك كذا وكذا .

وذكر ابن عساكر في تاريخه : أنَّ أبا القاسم ابن ثابت البغدادي ، رأى رجلاً بمدينة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، أَذَّن الصُّبح عند قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فقال فيه : الصَّلاة خير من النَّوم ، فجاءه خادمٌ من خدم المسجد فلطمه حين سمع ذلك منه ، فبكى واستغاث بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وقال: يا رسول في حضرتك يُفعل بي هذا الفعل . قال : فضربه الفالج في الحال ، وحُمل إلى داره ، فمكث ثلاثة أيَّام ، ثمَّ مات .

وقال أبو العبَّاس أحمد المقري الضَّرير التُّونسي : جُعت بالمدينة ثلاثة أيام ، فجئت إلى القبر ، وقلت : يا رسول الله جُعت . ثمَّ نمت ضعيفاً ، فلكزتني جارية برجلها ، فقمت إليها ، فقالت : اعزم ، فقمت معها إلى دارها فقدَّمت لي خبز برّ وتمراً وسمناً ، وقالت : كُلْ أبا العبَّاس ، فقد أَمرني بهذا جدِّي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم . قال أبو العبَّاس : فرجعت إلى بلادي ، فرأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بمصر بعد رجوعي ، فقال : أوحشتنا يا أبا العبَّاس قراءتك ، وكنت أكثر قراءة القرآن عند ضريحه . قال الباجي : كم قرأت من ختمة عند قبره ؟ قلت : ألف ختمة . وقال أبو العبَّاس أحمد اللواتي : كانت عندنا بمدينة فاس امرأة ، وكانت إذا أصابها أمرٌ أو شئٌ يفزعها ، جعلت يدها على عينيها ، واستغاثت بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فتُغاث ، فلمَّا توفِّيت قال لي قريبٌ لها :

رأيتها في النَّوم فقلت لها : يا عمَّة أرأيت الملكين الفتَّانين ؟ فقالت : نعم جاءآني ، فعندما رأيتهما جعلت يدي على عيني ، وقلت : يا محمَّد ، فلمَّا نزعت يدي عن وجهي فلم أرهما . وهذه القصَّة ذكرها بعض الأئمَّة وعزاها ، وقال : إنَّ الاستغاثة من بعيد به صَلَّى الله عليه سلَّم كالاستغاثة به عند قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم . وساق عن أبي إسحاق الحسين ، قال : كنت بين مدينة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم والشَّام ، فضلَّ لنا جَمَلٌ ، قال : وكان قد بلغني عن الشَّيخ أحمد الرِّفاعي أنَّه قال : من كانت له حاجة فليستقبل عبادان نحو قبري ، ويمشي سبع خطوات ويستغيث ، فإنَّ حاجته تُقضى . قال : فلمَّا استقبلت عبادان ، وقصدت الاستغاثة ، هتف بي هاتف : أمَّا تستحي من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وتستغيث بغيره . قال : فتحوَّلتُ نحو المدينة ، فقلت : يا سيِّدي يا رسول الله أنا مستغيثٌ بك . قال : فوالله ما استكملت ذلك إلَّا والجمَّالُ يقول لي : هذا الجملُ قد وجدناه .

وسافر بعض الفقراء لقصد زيارة قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فتَاهَ في الطَّريق ، فاستغاث بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فظهرت له قبَّة العبَّاس رضي الله عنه وبينه وبين الموضع المذكور يومان أو نحوهما. وقال أبو الحجاج يوسف بن علي – قدَّس الله روحه –: خرجت من مكَّة متوجِّهاً إلى المدينة على طريق المشاة ، فتُهتُ في الطَّريق ، فاستغثتُ بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فإذا بامرأة آتية من نحو المدينة ، وهي تُشير إليَّ أن أمشي على أثرها ، فلم أزل أمشي على أثرها إلى أن وصلت المدينة .

وقال : سمعت أبا عبد الله بن سالم يقول : رأيت في المنام كأنِّي في بحر النِّيل ، وإذا بتمساح يريد أن يقفز عليَّ فخفتُ منه ، وإذا بشخص وقع لي أنَّه النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فقال لي : إذا كنت في شدَّة فقل : أنا مستغيث بك يا رسول الله ، فكنت أفعل فأُغاث ، فأراد بعض الإخوان السَّفر لزيارته صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّم ، وكان ضريراً ، فحكيت له الرُّؤيا ، وقلت له : إذا كنت في شدَّة فقل : أنا مستغيث بك يا رسول الله ، فسافر في تلك الأيام ، فجاء إلى رابغ وهي غزيرة الماء ، وكان له خادم قد ذهب في طلب الماء ، قال : فبقيت القربة في يدي وأنا في شدَّة من طلب الماء ، فذكرت ما قلت لي ، وقلت : أنا مستغيث بك يا رسول الله ، فبقيت أنا كذلك ، وإذا بصوت يقول : زم قرْبتك ، وسمعتُ صريرَ الماء في القِربة إلى أن امتلأت ، ولم أعلم من أين أتى القائل .

وقال : سمعت محمَّد السلاوي يقول : لما ودَّعت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، قلت : يا حبيبي يا محمَّد يا سيِّد الكونين أنا أدخل الصَّحراء ، فإذا أخذتني شدَّة أدعو الله وأتوسَّل بك . وجئت إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وقلت لهما كذلك . قال : فبقيت في البريَّة سبعة أيَّام ، ووقعتُ في جبٍّ وفيه ماء ، فبقيت فيه من أوَّل النَّهار إلى ما بعد الظُّهر ، فلم يبق إلَّا الموت . قال : ففكَّرت ما كنت قلت عند النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وقلت

: يا حبيبي يا محمَّد الذي كنت قلت لك وقلت كذلك لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، قال فكأنِّي بمن حولني وطلعت ببركة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وصاحبيه رضي الله عنهما . وقال : أخبرني رجل من مدينة طرابلس ، قال : كنَّا جائين من الاسكندريَّة في مركب ، فهاج البحر علينا ، وأشرفنا على التَّلف والهلاك ، فقمتُ إلى النَّاس ، فقلت : استغيثوا بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فإنَّه غياث ، فقلنا جميعاً : الغياث يا رسول الله ، العفو يا رسول الله ، العفو يا رسول الله ، جانين مذنبين استجرنا بك ، أجرنا يا محمَّد الحبيب ، يا حبيبنا يا شفيعنا يا ولينا . فنام رجل من أهل المركب مشهور بالخير والصَّلاح ، فرأى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وأخذ بيده ، فقال : انج وأبشروا بالسَّلامة ، فلمَّا أفاق الرَّجل بشرَّنا برؤياه ، فلمَّا أصبح رجع البحر كالزَّيت ، وكأنَّه عقد بيضة ، وجئنا إلى طرابلس سالمين ببركته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم .

وقال : سمعت أبا الحسن العسقلاني يقول : ركبنا البحر في طلب جدَّة ، فهاج علينا ، ورمينا ما معنا فيه ، وأشرفنا على التَّلف ، فجعلنا نستغيث بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ونحن نقول : وامحمَّداه ، وكان معنا رجل مغربي صالح ، فقال لنا : ارفقوا حجَّاج إنَّكم سالمون ، رأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في المنام ، فقلت : يا رسول الله أُمَّتك يستغيثون بك ، قال : فالتفت إلى أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه ، وقال : يا أبا بكر أنجدهم . قال : فكأَنَّ عيني ترى أبا بكر رضى الله عنه وقد خاض البحر ، وأدخل يده في مقدم الحلق ، ولم يزل يجذبها حتى دخل بها البر ، فلم تستغيثون فأنتم سالمون ؟ فسلمنا ولم نر بعد هذا إلَّا خيراً ، ودخلنا البر سالمين . والحمد لله ربِّ العالمين .

ولَّما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما – يوم عاشوراء أوَّل سنة إحدى وستِّين ، وهو يومئذ ابن أربع وخمسين سنة ونصف شهر – ووقع ما وقع من السَّبي وحمل النِّساء والصِّبيان ، فلمَّا مرَّوا بالقتلى صاحت زينب بنت علي رضي الله عنهما مستغيثة بالنَّبي صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّم : يا محمَّداه ، هذا حسين بالعراء ، مزمَّل بالدِّماء ، مقطَّع الأعضاء ، يا محمَّداه . فلمَّا كان سنة ثلاث وأربعمائة أخذ أهل الكوفة جدريٌّ عظيم ، ثمَّ عمي منهم ألف وخمسمائة كلّهم من نسل من حضر قتل الحسين رضي الله عنه . وهذا من أعجب ما سمع ... " (١) .

### رَابِعَاً : مَعْنَى المَدَد لُغَةً وَاصْطِلَاحَاً :

المدد مصدر لفعل مدَّ بتشديد الدَّال ، أى منح الشَّيء وأعطاه .

---

(١) انظر : دفع شُبه من شبَّه وتمرَّد ونسب ذلك إلى السيِّد الجليل الإمام أحمد (ص٨٩-٩٢) .

فالسَّائل يتوجَّه إلى الله تعالى بالسُّؤال لكي يُعطيه من فضله أو يسأل النَّاس أن يُعطوه من فضل الله عليهم ... قال الإمام محمَّد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدِّين ابن منظور الأنصاري الرّويفعى الإفريقى (٧١١هـ) : " ومَدَدْنا القومَ : صِرْنا لَهُمْ أَنصاراً ومدَداً وأَمْدَدْناهم بِغَيْرِنَا . وَحَكَى اللِّحْيَانِيُّ : أَمَدَّ الأَمير جُنْدَهُ بِالْخَيْلِ وَالرِّجَالِ وأَعانهم ، وأَمَدَّهم بِمَالٍ كَثِيرٍ وأَغاثهم . قَالَ : وَقَالَ بَعْضُهُمْ أَعطاهم ، والأَوّل أَكثر . وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ : ﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ [الإسراء : ٦] .

والمَدَدُ : مَا مدَّهم بِهِ أَو أَمَدَّهم ؛ سِيبَوَيْهِ ، وَالْجَمْعُ أَمْداد ، قَالَ : وَلَمْ يُجَاوِزُوا بِهِ هَذَا الْبِنَاءَ ، واستَمدَّه : طلَبَ مِنْهُ مَدَداً . والمَدَدُ : العساكرُ الَّتِي تُلحَق بالمَغازي فِي سَبِيلِ اللهِ . والإِمْدادُ : أَنْ يُرْسِلَ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ مَدَداً ، تَقُولُ : أَمْدَدْنا فُلَاناً بِجَيْشٍ . قال الله تعالى : ﴿ يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ ﴾ [آل عمران : ١٢٥] .

وَقَالَ فِي الْمَالِ : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾[المؤمنون : ٥٥] ؛ هَكَذَا قُرِئَ نُمِدُّهُمْ ، بِضَمِّ النُّونِ . وَقَالَ :﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ [الإسراء : ٦ ] ، فالمَدَدُ مَا أَمْدَدْتَ بِهِ قَوْمَكَ فِي حرْب أَو غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ طَعَامٍ أَو أَعوان . وَفِي حَدِيثِ أُويس : كَانَ عُمَرَ ، رَضِيَ الله عَنْهُ ، إِذا أَتَى أَمْدادُ أَهل الْيَمَنِ سأَلهم : أَفيكم أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ ؟ (١) .

الأَمداد : جَمْعُ مَدَد وَهُمُ الأَعوان والأَنصار الَّذِينَ كَانُوا يَمُدُّون الْمُسْلِمِينَ فِي الْجِهَادِ . وَفِي حَدِيثِ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ : خَرَجْتُ مَعَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ فِي غَزْوَةِ مُؤْتَة ورافَقَني مَدَدِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ (٢) .

وَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلى المدَد . وَقَالَ يُونُسُ : مَا كَانَ مِنَ الْخَيْرِ فإِنك تَقُولُ : أَمْدَدْته ، وَمَا كَانَ مِنَ الشَّرِّ ، فَهُوَ مدَدْت " (٣) .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن عبد الرزَّاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقَّب بمرتضى ، الزَّبيدي (١٢٠٥هـ) : " والإِمداد : أَن تَنْصُرَ الأَجْنَادَ بِجَمَاعةٍ غَيْرِكَ ، والمَدَدُ : أَن تصيرَ لَهُم ناصراً بنفْسِك . والإِمدادُ : الإِعطاءُ والإِغاثَةُ ، يُقَال : مَدَّه مِدَاداً وأَمَدَّه : أَعطاه " (٤) .

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٦٩ برقم ٢٥٤٢) ، البزار في المسند (١/ ٤٧٩ برقم ٣٤٢) ، الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣/ ٤٥٦ برقم ٥٧١٩) ، البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٣٧٧) .

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٣٧٤) ، أحمد في المسند (٦/ ٢٧ برقم ٢٤٤٩٧) .

(٣) انظر : لسان العرب (٣/ ٣٩٨) .

(٤) انظر : تاج العروس من جواهر القاموس (٩/ ١٥٥) .

والمددُ قد يكون حسيَّاً وقد يكون معنويَّاً ، فكلُّ ما أعطيه الإنسان وأُمِدَّ به فهو مددٌ له سواء كان حسيَّاً من إمداد بمال أو إمداد بطعام أو إمداد بسلاح ، وما إلى ذلك ، أو كان معنويَّاً ومن جملة ذلك : الإمداد بالدُّعـــاء ، يُقال أمدَّنا فلان بدعواته الصَّالحة ، أي : توجَّه إلى الله تعالى يدعو لنا بسبب ضُرٍّ مسَّنا ...

والمددُ يختلف باختلاف الحال : فمن يدعو الله تعالى سائلاً المددَ ، لا يريدُ إلَّا الإمداد بالإعانة والنَّصر والتَّوفيق للطَّاعة ، والبُعد عن حبائل الشَّيطان وشِراكه ...

ومن يقول في دعائه : مددٌ يا رسول الله ، لا يقصد إلَّا طلب الاستغفار له من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وكذا الحظوة بشفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ...

والقائل : مددٌ يا أولياء الله ... لا يُريد إلَّا أن يُمِدُّوه ويرشدوه ويعلِّموه ممَّا علَّمهم الله تعالى ... فالإغاثة من الخلق ليست كإغاثة الله تعالى لخلقه ، فما هي إلَّا لون من ألوان المساعدة ، والإرشاد ، والإعانة ، والتَّعريف ، فهي مندرجةٌ في إطار المساعدة والتَّعاون على البرِّ والتَّقوى ، مع الإيمان المطلق بأنَّ المُمِد في الحقيقة إنَّما هو الله تعالى ، كما قال سبحانه : ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء : ٢٠] ، " أي : أنَّ الله تعالى يُمدُّ الجميع بمُقوّمات الحياة ، فمنهم مَنْ يستخدم هذه المقوِّمات في الطَّاعة ، ومنهم مَنْ يستخدمها في المعصية ، كما لو أعطيتَ لرجلين مالاً ، فالأوَّل تصدَّق بماله ، والآخر شرب بماله خمراً .

إذن : فعطاء الرُّبوبيَّة مدَدٌ ينال المؤمن والكافر ، والطَّائع والعاصي ، أمَّا عطاء الألوهيَّة المتمثِّل في منهج الله : افعل ولا تفعل ، فهو عطاء خاصٌّ للمؤمنين دون غيرهم " (١) .

وأدلَّة التَّوسُّل بالأحياء والأموات هي نفسها أدلَّة للمدد ، يُضاف إليها ما رواه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، قال : .... " إِذَا انْفَلَتَتْ دَابَّةُ أَحَدِكُمْ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَلْيُنَادِ : يَا عِبَادَ الله ، احْبِسُوا عَلَيَّ ، يَا عِبَادَ اللهِ احْبِسُوا عَلَيَّ ؛ فَإِنَّ للهِّ فِي الْأَرْضِ حَاضِراً سَيَحْبِسُهُ عَلَيْكُمْ " (٢) .

قال الإمام محمَّد بن مفلح بن محمَّد بن مفرج ، أبو عبد الله ، شمس الدِّين المقدسي الرَّامينى ثمَّ الصَّالحي الحنبلي (٧٦٣هـ) : " قَالَ عَبْدُ اللهَّ بْنُ إمَامِنَا أَحْمَدَ : سَمِعْت أَبِي يَقُولُ : حَجَجْت خَمْسَ حِجَجٍ مِنْهَا اثْنَتَيْنِ رَاكِباً

---

(١) انظر : تفسير الشعراوي (الخواطر) (١٤/ ٨٤٤٠) .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٢١٧ برقم ١٠٥١٨) ، ابن السني في عمل اليوم والليلة سلوك النَّبي مع ربه عزَّ وجلَّ ومعاشرته مع العباد (ص٤٥٥ برقم ٥٠٨) ، أبو يعلى في المسند (٩/ ١٧٧ برقم ٥٢٦٩) .

وَثَلَاثاً مَاشِياً ، فَجَعَلْت أَقُولُ : يَا عِبَادَ اللهِ دُلُّونَا عَلَى الطَّرِيقِ ، فَلَمْ أَزَلْ أَقُولُ ذَلِكَ حَتَّى وَقَعْت عَلَى الطَّرِيقِ ، أَوْ كَمَا قَالَ أَبِي " (١) .

وقال الإمام أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيى بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) : " حكى لي بعض شيوخنا الكبار في العلم أنَّه انفلتت له دابّة أظنُّها بغلة ، وكان يَعرفُ هذا الحديث ، فقاله : فحبسَها الله عليهم في الحال ؛ وكنتُ أنا مرَّةً مع جماعة فانفلتت منها بهيمةٌ ، وعجزوا عنها ، فقلته ، فوقفت في الحال بغيرِ سببٍ سوى هذا الكلام " (٢) .

وروى الطَّبراني بسنده عَنْ عُتْبَةَ بْنِ غَزْوَانَ ، عَنْ نَبِيِّ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، قَالَ : " إِذَا أَضَلَّ أَحَدُكُمْ شَيْئاً أَوْ أَرَادَ أَحَدُكُمْ عَوْناً وَهُوَ بِأَرْضٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسٌ ، فَلْيَقُلْ : يَا عِبَادَ الله أَغِيثُونِي ، يَا عِبَادَ الله أَغِيثُونِي ، فَإِنَّ للهِ عِبَاداً لَا نَرَاهُمْ " . وَقَدْ جُرِّبَ ذَلِكَ " (٣) .

**خَامِسَاً : مَعْنَى الشَّفاعة لُغَةً وَاصْطِلَاحَاً :**

قال ابن فارس : " الشِّين والفاء والعين أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على مقارنة الشَّيئين " (٤) .

" والشَّفْع : ضمّ الشَّيء إلى مثله " (٥) .

والشَّفع خلاف الوتر ، وهو الزَّوج ، تقول : كان وتراً فشفعته شفعاً ، " وشَفَع لِي يَشْفَعُ شَفاعةً وتَشَفَّعَ : طَلب . والشَّفِيعُ : الشَّافِعُ ، وَالْجَمْعُ شُفَعاء ، واسْتَشْفَعَ بفُلان عَلَى فُلَانٍ وتَشَفَّع لَهُ إِليه فشَفَّعَه فِيهِ " (٦) .

وسُمِّيت الشَّفاعة بذلك ، لأنَّ المشفوع له يأتي بالشَّافع ليشفع له ، فأصبحا بذلك شفعاً . وقد اختلفت عبارات العلماء وتعريفاتهم للشَّفاعة ، من ذلك :

- " الانضمام إلى آخر ناصراً له وسائلاً عنه ، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ورتبة إلى من هو أدنى " (٧) .

- " أَنْ يَسْتَوْهِبَ أَحَدٌ لِأَحَدٍ شَيْئاً ، وَيَطْلُبَ لَهُ حَاجَةً " (١) .

---

(١) انظر : الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/ ٤٢٩) .

(٢) انظر : الأذكار (ص٣٧٨) .

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ١١٧ برقم ٢٩٠) .

(٤) انظر : معجم مقاييس اللغة (٣/ ١٥٦) .

(٥) انظر : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٣/ ٣٢٨) .

(٦) انظر : لسان العرب (٨/ ١٨٤) .

(٧) انظر : المفردات في غريب القرآن (ص٤٥٧) .

- " السُّؤال في التَّجاوز عن الذُّنوب من الذي وقع الجناية في حقِّه " (٢) .

والنَّاظر في التَّعريفات السَّابقة يرى أنَّها مجمعةٌ على أنَّ الشَّفاعة هي : طلب وسؤال الخير للغير من الأدنى للأعلى ، ومن صور الخير : طلب دفع الضَّرر والشرِّ عنه . أو هي الطَّلب أو السُّؤال في التَّجاوز عمَّا اجترح من الذُّنوب والآثام ....

والشَّفاعة مِلك لله وحده ، ومن رحمته بعباده أن وهبها من شاء من عباده ، قال تعالى : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [الزمر : ٤٤] .

" فالشَّفاعة كلّها لله . وأمر الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بأن يقول ذلك لهم ليعلموا أن لا يملك الشَّفاعة إلَّا الله ، أي : هو مالك إجابة شفاعة الشُّفعاء الحقّ . وتقديم الخبر المجرور وهو ﴿لِّلَّهِ﴾ على المبتدأ لإفادة الحصر . واللام للملك ، أي : قصر ملك الشَّفاعة على الله تعالى لا يملك أحد الشَّفاعة ﴿ لِّلَّهِ ﴾ عنده .

و ﴿جَمِيعٗاۖ﴾ حال من الشَّفاعة مفيدة للاستغراق ، أي لا يشذّ جزئي من جزئيَّات حقيقة الشَّفاعة عن كونه ملكاً لله ، وقد تأكَّد بلازم هذه لحال ما دلَّ عليه الحصرُ من انتفاء أن يكون شيءٌ من الشَّفاعة لغير الله " (٣) .

وقال في آية أخرى : ﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزخرف : ٨٦ ] . والاستثناء في الآية قد يكون متَّصلاً وقد يكون منقطعاً .

يقول الإمام القرطبي في تفسيره للآية : " قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ﴾ في موضع الخفض . وأراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ﴾ عِيسَى وَعُزَيْراً وَالْمَلَائِكَةَ . وَالْمَعْنَى : وَلَا يَمْلِكُ هَؤُلَاءِ الشَّفاعة إِلَّا لِمَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَآمَنَ عَلَى عِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ ، قَالَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَغَيْرُهُ . قَالَ : وَشَهَادَةُ الْحَقِّ لَا إِلَهَ إِلَّا الله . وَقِيلَ : ﴿ مَن﴾ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ ، أَيْ : وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفاعة ، يَعْنِي الْآلِهَةَ - فِي قَوْلِ قَتَادَةَ - أَيْ : لَا يَشْفَعُونَ لِعَابِدِيهَا إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ ، يَعْنِي عُزَيْراً وَعِيسَى وَالْمَلَائِكَةَ ، فَإِنَّهُمْ يَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ وَالْوَحْدَانِيَّةِ للهَّ . " وَهُمْ يَعْلَمُونَ " حَقِيقَةَ مَا شهدوا به . وقيل : أَنَّهَا نَزَلَتْ بِسَبَبِ أَنَّ النَّضْرَ بْنَ الْحَارِثِ وَنَفَراً مِنْ قُرَيْشٍ قَالُوا : إِنْ كَانَ مَا يَقُولُ محمَّد حَقّاً فَنَحْنُ نَتَوَلَّى الْمَلَائِكَةَ وَهُمْ أَحَقُّ بِالشَّفَاعَةِ لَنَا مِنْهُ ، فَأَنْزَلَ الله ﴿ وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ

---

(١) انظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (٣/ ٤٩٥) .

(٢) انظر : كتاب التعريفات (ص١٢٧) .

(٣) انظر : التحرير والتنوير (٢٤/ ٢٨) .

إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ ، أَي : اعْتَقَدُوا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ أَوِ الْأَصْنَامَ أَوِ الْجِنَّ أَوِ الشَّيَاطِينَ تَشْفَعُ لَهُمْ وَلَا شَفَاعَةَ لِأَحَدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ " يَعْنِي : الْمُؤْمِنِينَ إِذَا أَذِنَ لَهُمْ . قَالَ ابْنُ عبَّاس : ﴿ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ ، أَيْ : شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهَّ . وَقِيلَ : أَيْ : لَا يَمْلِكُ هَؤُلَاءِ الْعَابِدُونَ مِنْ دُونِ اللهَّ أَنْ يَشْفَعَ لَهُمْ أَحَدٌ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ ، فَإِنَّ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ يُشْفَعُ لَهُ ولا يشفع لمشرك . و ﴿إِلَّا﴾ بِمَعْنَى لَكِنْ ، أَيْ : لَا يَنَالُ الْمُشْرِكُونَ الشَّفاعة لَكِنْ يَنَالُ الشَّفاعة مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ ، فَهُوَ استثناء مُنْقَطِعٌ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُتَّصِلاً ، لِأَنَّ فِي جُمْلَةِ ﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ الْمَلَائِكَةَ "[1] .

وقد سمَّى اللهُ تعالى شهادةَ الحقِّ بالعهد في قوله تعالى : ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم : ٨٧ ] .

فشهادة الحقِّ هي شرطٌ في الشَّافع والمشفوع له ، وإذا كانت كذلك ، فإنَّه ليس للمشركين من شفيعٍ ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر : ١٨] ، لأنَّ الموحِّدين لا يشفعون إلَّا لمن ارتضى ، قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٨] ، ومن المعلوم أنَّ المشركين ليسوا ممَّن ارتضى ، ولو قدر أن شُفع لهم ، فإنَّها شفاعة خاسرة لا تنفعهم ، كما قال تعالى حكاية عن المجرمين : ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ * حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ * فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٦ – ٤٨ ] . وعندها أيقن الكفرة والمنافقون أن ليس لهم من صديقٍ حميمٍ ولا شفيعٍ يُطاع ، قال تعالى حكايةً عنهم : ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ﴾ [الشعراء : ١٠٠ – ١٠١]

وقد اتَّفقت الأمَّة الإسلاميَّة على إثبات الشَّفاعة لسيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ثمَّ اختلفوا بعد هذا لمن تكون الشَّفاعة ؟ أهي للمؤمنين المستحقِّين للثَّواب ، أم هي لأهل الكبائر المستحقِّين للعقاب ؟ فذهب المعتزلة ، والخوارج ، والإباضيَّة ، والقدريَّة ، ومن وافقهم إلى أنَّها للمستحقِّين للثَّواب ، وتأثير الشَّفاعة في أن

---

[1] انظر : الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) (١٦/ ١٢٢) .

تحصل زيادة من المنافع على قدر ما استحقُّوه ، ومنعوا من إسقاطها لعقوبة العاصي ، وذلك انسجاماً مع مذهبهم في تخليد أهل الكبائر في النَّار ، وقد اختار هذا الرَّأي جمهور الزَّيديَّة (١) .

" وذهب بعضُ المعتزلة إلى إنكار الشَّفاعة أصلاً ورأساً ، وردِّ الأخبار الصَّحيحة الواردة فيها وما دلَّ عليه القرآن من ذلك " (٢) .

أمَّا أهل السُّنَّة والجماعة فقالوا بأنَّها حقٌّ ، وهي إنَّما شُرعت لتنالَ المطيعَ والعاصي ، وهي داخلةٌ في باب الفضل الذي يُكرم الله به عباده ، والله تعالى يختصُّ برحمته من يشاء ، ومن جملة تأثيراتها : إسقاط العقاب عن أهله ، ودخولهم الجنَّة ، وذلك بعد استيفائهم العذاب المقرَّر لهم بموجب قانون العدل الإلهي (٣) .

وقد ذكر غير واحد من العلماء أنَّ الأحاديث والآثار الواردة في أنَّ شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم نائلة أصحاب الكبائر ، وأنَّها بلغت مبلغ التَّواتر المعنوي ، منهم : القاضي عياض ، النَّووي ، ابن كثير ، علي القارّي ، التَّفتازاني ، السَّفاريني ، الألوسي (٤) ...

" وانعقد عليها إجماع أهل الحقِّ من السَّلف الصَّالح ، قبل ظهور المبتدعة " (٥) .

قال الإمام ابن تيمية : "... وَلَكِنَّ كَثِيراً مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ أَنْكَرُوا شَفَاعَتَهُ لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ ، فَقَالُوا : لَا يَشْفَعُ لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ بِنَاءً عَلَى أَنَّ أَهْلَ الْكَبَائِرِ عِنْدَهُمْ لَا يَغْفِرُ الله لَهُمْ وَلَا يُخْرِجُهُمْ مِنْ النَّار بَعْدَ أَنْ يَدْخُلُوهَا لَا بِشَفَاعَةٍ وَلَا غَيْرِهَا ، وَمَذْهَبُ الصَّحابة وَالتَّابِعِينَ وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَسَائِرِ أَهْلِ السُّنَّة وَالْجَمَاعَةِ أَنَّه صَلَّى

---

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة (ص٦٨٧ فما بعدها) ، أصول الدِّين ، البغدادي (ص٢٤٤) ، البحر الزخار (١/ ٨٠) ، مشارق أنوار العقول (ص٣٧٤)، تفسير الرازي (٣/ ٥٢-٥٣) .

(٢) انظر : الإنصاف ، الباقلاني (ص١٦٢) .

(٣) انظر : شرح المقاصد (٥/ ١٥٨) ، نهاية الإقدام في علم الكلام (ص٣٥٤) ، الإرشاد ، الجويني (ص٣٩٣-٣٩٤) ، الإبانة عن أصول الديانة (ص٢٤١) ، لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢١٢) ، الأربعين في أصول الدِّين (٢/ ٢٤٦) ، تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام (٢/ ٢٧٤) ، اليواقيت والجواهر (٢/ ١٧٠) ، فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١/ ٤٢٦ ، ٤٢٨) .

(٤) من العلماء الذين نصُّوا على أنَّ الأحاديث الواردة في شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لأهل الكبائر بلغت مبلغ التواتر المعنوي : القاضي عياض والنووي ، كما في : صحيح مسلم بشرح النووي (٣/ ٣٥) ، ابن كثير في النهاية في الفتن والملاحم (٢/ ٢٠٩) ، علي القاري في شرح الفقه الأكبر (ص١٩٧) ، التفتازاني في شرح المقاصد (٥/١٥٨) ، السفاريني في لوامع الأنوار البهية (٢/٢٠٨) ، الألوسي في روح المعاني ، الألوسي (١/ ٢٥٤) ، بالتَّرتيب ...

(٥) انظر : لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٠٨) .

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْكَبَائِرِ ، وأَنَّه لَا يُخَلَّدُ فِي النَّار مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ أَحَدٌ ؛ بَلْ يَخْرُجُ مِنْ النَّار مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ إيمَانٍ " (١) .

فمذهب أهل السُّنَّة والجماعة كما ذكره الإمام ابن تيمية هو : أَنَّ شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم نائلة أهل الكبائر ، وهو مذهب السَّلف الصَّالح ، وهم أهل قرون الخيريَّة في هذه الأمَّة ....

وقال الإمام الأشعري مناقشاً نُفاةَ الشَّفاعة ومبيِّناً وجه الحقِّ في هذه المسألة : " قد أجمعَ المسلمون أَنَّ لرسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم شفاعة ، فلمن الشَّفاعة ؟ أهي للمذنبين المرتكبين للكبائر ؟ أم للمؤمنين المخلصين ؟ فإن قالوا : للمذنبين المرتكبين للكبائر ، وافقوا ، وإن قالوا : للمؤمنين المبشَّرين بالجنَّة الموعودين بها ، قيل لهم : فإذا كانوا موعودين بالجنَّة ، وبها مبشَّرين ، والله تعالى لا يُخلف وعده ، فما معنى الشَّفاعة لقومٍ لا يجوز عندكم أن لا يدخلهم الله جناته ؟ ومن قولكم أنَّهم قد استحقُّوها على الله عزَّ وجلَّ واستوجبوها عليه سبحانه ، وإذا كان الله تعالى لا يظلم مثقال ذرَّة وكان تأخيرهم عن الجنَّة ظلماً ، فإنَّما يشفعُ الشُّفعاءُ إلى الله تعالى في أن لا يظلم على مذاهبكم ، تعالى الله عن افتراءكم عليه علوَّاً كبيراً .

فإن قالوا : يشفع النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إلى الله تعالى في أن يزيدهم من فضله ، لا في أن يدخلهم جنَّاته ، قيل لهم : أوليس قد وعدهم عزَّ وجلَّ ذلك فقال تعالى : ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء : ١٧٣] ، والله تعالى لا يُخلف وعدَه ، فإنَّما يشفع إلى الله تعالى عندكم من أن لا يخلف وعده ، وهذا جهلٌ منكم ، وإنَّما الشَّفاعة المعقولة فيمن استحقَّ عقاباً ، أن يوضع عنه عقابه أو في من لم يعِدْه شيئاً أن يتفضَّل عليه به ، فأمَّا إذا كان الوعد بالتَّفضُّل سابقاً ، فلا وجه لهذا " (٢) .

وهذا كلامٌ من الإمام الأشعري في غاية الرَّوعة والبيان ، فقد كفى وشفى ، ولا مزيد عليه ، فقد ناقشهم مناقشة شرعيَّة وعقليَّة ، فقطع حجَّتهم ، وأبطل مذهبهم ، وانتصر لمذهب أهل السُّنَّة والجماعة القاضي بشمول شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم للعصاة والمذنبين ....

وقد ذكرَ اللهُ تعالى في كتابه العزيز ثلاثة أصناف من الخلق يشفعون ، وهم :

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١/ ٣١٨) .

(٢) انظر : الإبانة عن أصول الديانة (ص٢٤١-٢٤٢) .

**الأوَّل : المَلَائِكَةُ البَرَرَة :**

قال تعالى : ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ * لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ * يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ﴾ [الأنبياء : ٢٦ -٢٨] . قال ابن عبَّاس رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ ، أي : الذين ارتضاهم لشهادة أن لا إله إلَّا الله (١) .

وعن مجاهد ، قال : لمن رضي عنه (٢) .

فالملائكة يشفعون ، ولا يشفعون إلَّا لمن ارتضى الله الشَّفاعة له ، بأَن يأذن للملائكة بالشَّفاعة له إظهاراً لكرامتهم ومكانتهم عند الله تعالى ، وأكَّد الله تعالى هذا المعنى في قوله تعالى : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾ [النجم : ٢٦] .

قال الإمام القرطبي في تفسير الآية : " فَأَعْلَمَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ مَعَ كَثْرَةِ عِبَادَتِهَا وَكَرَامَتِهِمْ عَلَى اللهِ لَا تَشْفَعُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ أَنْ يُشْفَعَ لَهُ " (٣) .

" وَأُفْرِدَتِ الشَّفاعة فِي قِرَاءَةِ الْجُمْهُورِ لأَنَّها مَصْدَرٌ ، وَلِأَنَّهُمْ لَوْ شَفَعَ جَمِيعُهُمْ لِوَاحِدٍ ، لَمْ تُغْنِ شَفَاعَتُهُمْ عَنْهُ شَيْئاً " (٤) .

وفي السُّنَّة المطهَّرة جاء الحديث عن شفاعة الملائكة الكرام ، من ذلك ما رواه الشَّيخان بسندهما إلى أبي سعيد الخدري مرفوعاً : " شفعت الملائكة ، وشفع النَّبيُّون ، وشفع المؤمنون..." (٥) . والحديث نصٌّ واضحٌ صريحٌ في شفاعة الملائكة الأبرار عليهم السَّلام ، والأحاديث الواردة في شفاعة الملائكة كثيرة ....

**الثَّاني : سيِّدنا مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم :**

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٤٩ برقم ١٣٦٣٥) .

(٢) أخرجه الطَّبري في جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/ ٤٢٩).

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) (١٧/ ١٠٤) .

(٤) انظر : البحر المحيط في التفسير (١٠/ ١٩) .

(٥) أخرجه الطيالسي في المسند (٣/ ٦٢٩ برقم ٢٢٩٣) ، مسلم (١/ ١٦٧ برقم ١٨٣) ، ابن مندة في الإيمان (٢/ ٧٩٧ برقم ٨١٦) ، البيهقي في الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السَّلف وأصحاب الحديث (ص١٩٦) ، شُعب الإيمان (١/ ٤٩٨ برقم ٣١٢) .

لسيِّدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم شفاعات عديدة ، جاءت بها آيات الكتاب العزيز ، وكذا أحاديث المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وهي :

١ -الشَّفاعة العظمى ، وهي شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في أهل الموقف حتى يقضي الله بينهم بعد طول الموقف عليهم ، وبعد مراجعتهم الأنبياء عليهم السَّلام للقيام بها ، فكلٌّ واحد منهم يقول : لست لها ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، حتى يأتوا سيِّدنا محمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فيقوم بها بعد إذن ربِّه ، وهي المقام المحمود ...

٢ - شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في دخول أهل الجنَّة الجنَّة بعد الفراغ من الحساب .

٣ - شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في عمِّه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه ، وهي خاصَّة لأبي طالب ، وهذه الأنواع الثَّلاثة هي من الشَّفاعات الخاصَّة بسيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم .

٤ - شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فيمن استحقَّ النَّار من عصاة الموحِّدين أن لا يدخلها .

٥ - شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فيمن دخل النَّار من عصاة الموحِّدين أن يخرجَ منها .

٦ - شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في رفع درجات بعض أهل الجنَّة فوق ما كان يقتضيه ثوابُ أعمالهم .

٧ - شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم أن يدخلوا الجنَّة ، وهم أهل الأعراف على الرَّاجح من قول العلماء .

٨ - شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في دخول بعض المؤمنين الجنَّة بغير حساب ولا عذاب ، كشفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في عُكاشة بن محصن ، حيث دعا له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أن يكون من السَّبعين ألفاً الذين يدخلون الجنَّة بغير حساب .

والأنواع الخمسة الأخيرة يُشارك النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فيها غيره من الأنبياء والملائكة والصدِّيقين والشُّهداء . وقد خصَّصت لشفاعاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم رسالة خاصَّة بحمد الله تعالى ...

**الثَّالِثُ : الأَنْبِيَاء والشُّهَدَاءُ وَالصَّالِحُوْن :**

فقد صرَّحت السُّنَّة المطهَّرة بشفاعة الأنبياء ، والشُّهداء ، والصَّالحين ، من ذلك :

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " شفعت الملائكة ، وشفع النَّبيُّون ، وشفع المؤمنون " (١) .

---

(١) أخرجه الطيالسي في المسند (٣/ ٦٢٩ برقم ٢٢٩٣) ، مسلم (١/ ١٦٧ برقم ١٨٣) ، ابن مندة في الإيمان (٢/ ٧٩٧ برقم ٨١٦) ، البيهقي في الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السَّلف وأصحاب الحديث (ص١٩٦) ، شعب الإيمان (١/ ٤٩٨ برقم ٣١٢) .

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " للشَّهيد عند الله عزَّ وجلَّ تسع خصال : ... ويشفع في سبعين إنساناً من أقاربه " (١) .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة ، " وَالْحَاصِلُ أَنَّه يَجِبُ أَنْ يُعْتَقَدَ أَنَّ غَيْرَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم مِنْ سَائِرِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالصَّحَابَةِ وَالشُّهَدَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ وَالْأَوْلِيَاءِ عَلَى اخْتِلَافِ مَرَاتِبِهِمْ وَمَقَامَاتِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَشْفَعُونَ ، وَبِقَدْرِ جَاهِهِمْ وَوَجَاهَتِهِمْ يُشَفَّعُونَ ، لِثُبُوتِ الْأَخْبَارِ بِذَلِكَ ، وَتَرَادُفِ الْآثَارِ عَلَى ذَلِكَ ، وَهُوَ أَمْرٌ جَائِزٌ غَيْرُ مُسْتَحِيلٍ ، فَيَجِبُ تَصْدِيقُهُ وَالْقَوْلُ بِمُوجَبِهِ لِثُبُوتِ الدَّلِيْل " (٢) .

وهناك أعمال تشفع لصاحبها ، مثل : الصِّيام ، والقرآن ...

قال الإمام زين الدِّين عبد الرَّحمن بن أحمد بن عبد الرَّحمن بن الحسن بن محمَّد بن أبي البركات مسعود السّلامي البغدادي الدِّمشقي الحنبلي أبو الفرج الشَّهير بابن رجب (٧٩٥هـ) : " والصِّيام يشفع لمن منعه الطَّعام والشَّهوات المحرَّمة كلّها ، سواء كان تحريمها يختصُّ بالصِّيام كشهوة الطَّعام والشراب والنِّكاح ومقدِّماتها أو لا يختصُّ به ، كشهوة فضولِ الكلام المحرَّم ، والسَّماع المحرَّم ، والنَّظر المحرَّم ، والكسب المحرَّم ، فإذا منعه الصِّيام من هذه المحرَّمات كلّها ، فإنَّه يشفع له عند الله يوم القيامة ، ويقول : يا ربّ ، منعته شهواته فشفعني فيه ، فهذا لمن حفظ صيامه ، ومنعه من شهواته ، فأمَّا من ضيَّع صيامه ، ولم يمنعه عمَّا حرَّمه الله عليه ، فإنه جدير أن يُضربَ به وجه صاحبه ، ويقول له : ضيَّعك الله كما ضيَّعتني ... وكذلك القرآن إنَّما يشفع لمن منعه من النَّوم بالليل ، فإنَّ من قرأ القرآن ، وقام به ، فقد قام بحقِّه فيشفع له .... كما في المسند عن عبد الله بن عمرو عن النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، قال : " الصِّيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصِّيام : ربِّ إنِّي منعته الطَّعام والشَّهوات بالنَّهار فشفِّعني فيه ، ويقول القرآن : منعتهُ النَّوم بالليل ، فيشفعان " (٣) .

والشَّفاعات السَّابقة لا بدَّ لها من شروط ... وقد أشارت آيات الكتاب العزيز إلى شروط الشَّفاعة الصَّحيحة ، وهي :

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في السنن (٢/ ٢٥٨ برقم ٢٥٦٢) ، أحمد في المسند (٤/ ١٣١ برقم ١٧٣١٤) ، ابن ماجه (٢/ ٩٣٥ برقم ٢٧٩٩) ، الآجري في الشريعة (٣/ ١٢٤٣ برقم ٨١١) ، الطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ٢٦٦ برقم ٦٢٩) ، مسند الشاميين (٢/ ١٦٧ برقم ١١٢٠) ، ابن بشران في الأمالي (ص٣٢٧ برقم ٧٦٠) ، البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ١١٤ برقم ٣٩٤٩) ، عبد الرزاق في المصنف (٥/ ٢٦٥ برقم ٩٥٥٩) .

(٢) انظر : لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية (٢/ ٢٠٩) .

(٣) انظر : لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف (ص١٨٢) ، والحديث أخرجه أحمد في المسند (٢/ ١٧٤ برقم ٦٦٢٦) .

(١) رضى الله تعالى عن الشَّافع ، قال تعالى : ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾ [طه : ١٠٩] . فقوله تعالى : ﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾ عائد إلى قوله : ﴿مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ ، عَائِدٌ إِلَى مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحمن وَهُوَ الشَّافِعُ . وَاللَّامُ الدَّاخِلَةُ عَلَى ذَلِكَ الضَّمِيرِ لَامُ التَّعْلِيلِ ، أَي : رَضِي الرَّحمان قَوْلَ الشَّافِعِ لِأَجْلِ الشَّافِعِ ، أَيْ : إِكْرَاماً لَهُ ... " (١) .

(٢) رضى الله تعالى عن المشفوع له ، وهذا فيما عدا الشَّفاعة العُظمى في الموقف ، فإنَّها لجميع الخلق ، من رضي الله عنهم ومن لم يرض عنهم . ودليل هذا الشَّرط قوله تعالى : ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء : ٢٨] .

وقد أخرج الحاكم وصحَّحه ، والبيهقي في البعث والشُّعب عن جابر أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم تلا قوله تعالى : ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء : ٢٨] ، قال : " إنَّ شفاعتي لأهل الكبائر من أُمَّتي " (٢) .

(٣) إذن الله بالشَّفاعة ، والإذن لا يكون إلَّا بعد الرِّضى عن الشَّافع والمشفوع له ، قال تعالى : ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾ [النجم : ٢٦] ، وقال تعالى : ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ﴾ [يونس : ٣] ، وقال سبحانه : ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ : ٢٣] .

قال الإمام محمَّد بن علي بن محمَّد بن عبدالله الشَّوكاني (١٢٥٠هـ) في تفسير هذه الآية : " أَيْ : لَا تَنْفَعُ الشَّفاعة فِي حالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ إِلَّا كَائِنَةً لِمَنْ أَذِنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَنَحْوِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَؤُلَاءِ لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ يَسْتَحِقُّ الشَّفاعة ، لَا لِلْكَافِرِينَ " (٣) .

فشروط الشَّفاعة هي : رضى الله تعالى عن الشَّافع ، ورضاه سبحانه عن المشفوع له ، واذنه تعالى للشَّافع بالشَّفاعة ...

---

(١) انظر : التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) (١٦/ ٣١٠) .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ٤١٤ برقم ٣٤٤٢ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ ، البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٨٧ برقم ٣١١) ، البعث والنشور (١/ ٥٥ برقم ١) .

(٣) انظر : : فتح القدير (٤/ ٣٧٢) .

فالمتوسِّل بأصحاب الشَّفاعات من الخلق سواء كانوا أنبياء أو أولياء ، ما توسَّل بهم إلَّا لما لهم من مقامٍ سامقٍ سامٍ عند الله تعالى ، بدليل ما أعطاهم الله تعالى من مكانة وشرف ورفعة في الدُّنيا والآخرة ، حيث يشفعون فيُشفَّعون ... ولذا فلا بأس بالتَّوسُّل إليه سبحانه بجاههم وحقِّهم عنده تعالى ...

**سَادِسَاً : مَعْنَى الدُّعاء لُغَةً وَاصْطِلَاحَاً :**

الدُّعاءُ لغة : قال الإمام ابن فارس : " الدَّالُ وَالْعَيْنُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ وَاحِدٌ ، وَهُوَ أَنْ تُمِيلَ الشَّيء إِلَيْكَ بِصَوْتٍ وَكَلَامٍ يَكُونُ مِنْكَ . تَقُولُ : دَعَوْتُ أَدْعُو دُعَاءً " (١) .

وقال الإمام ابن منظور : " ودَعا الرَّجلَ دَعْواً ودُعَاءً : نَادَاهُ ، وَالِاسْمُ الدَّعْوَة . ودَعَوْت فُلَاناً ، أَي : صِحْت بِهِ واسْتَدْعَيْته " (٢) .

وجاء في المصبـــاح المنير : " دَعَوْتُ اللهَّ أَدْعُوهُ دُعَاءً : ابْتَهَلْتُ إلَيْهِ بِالسُّؤَالِ ، وَرَغِبْتُ فِيمَا عِنْدَهُ مِنْ الْخَيْرِ " (٣) .

و " يُقَال : دَعَا الله : رجا مِنْهُ الْخَيْر ، وَلفُلَان : طلب الْخَيْر لَـــهُ ، ودعا على فلَان : طلب لَهُ الشَّرّ " (٤) .

ومعنى الدُّعاء اصطلاحاً : " استدعَاء العَبْدِ رَبهُ – عزَّ وجلَّ – العِنَايَةَ ، واستمداده إياه المَعُوْنَةَ . وَحَقِيْقَته : إظْهَارُ الافْتِقَارِ إلَيهِ ، والتبَرُّؤ مِنَ الحَوْلِ وَالقُوة ، وَهوَ سِمَةُ العبودية ، واسْتِشْعَارُ الذِّلةِ البَشَرِيةِ ، وَفيهِ مَعْنَى الثنَاءِ عَلى الله عزَّ وجلَّ ، وإِضَافَةُ الجود ، وَالكَرَمِ إليه ؛ وَلذَلِكَ قَالَ رَسُولُ الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم –: " الدُّعاء هُوَ العِبادة " (٥) .

---

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة (٢/ ٢٧٩) .

(٢) انظر : لسان العرب (١٤/ ٢٥٨) .

(٣) انظر : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١/ ١٩٤) .

(٤) انظر : المعجم الوسيط (١/ ٢٨٦) .

(٥) انظر : شأن الدُّعاء (ص٤) ، والحديث أخرجه الطيالسي في المسند (٢/ ١٤٧ برقم ٨٣٨) ، ابن أبي شيبة في المصنَّف (١٠/ ٢٠٠ برقم ٢٩٧٧٧) ، أحمد في المسند (٤/ ٢٦٧ برقم ١٨٥٤٢) البخاري في الأدب المفرد (ص٢٤٩ برقم ٧١٤) ، ابن ماجه (٢/ ١٢٥٨ برقم ٣٨٢٨) ، أبو داود (٢/ ٧٦ برقم ١٤٧٩) ، الترمذي (٥/ ٦١ برقم ٢٩٦٩ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ) ، البزار في المسند (٨/ ٢٠٤ برقم ٣٢٤٣) ، النسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٤٤ برقم ١١٤٠٠) ، أبو يعلى الموصلي في المعجم (١/ ٢٦٢ برقم ٣٢٨) ، ابن حبَّان في الصَّحيح (٣/ ١٧٢ برقم ٨٩٠) الطبراني في الدُّعاء (ص٢٣ برقم ٢) ، المعجم الصغير (٢/ ٢٠٨ برقم ١٠٤١) ، المُعْجَمُ الكَبِير (٢١/ ١٤٩ برقم ١٩١) ، ابن مندة في التَّوحيد (٢/ ١٨٠ برقم ٣٢٠) ، الحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/ ٦٦٧ برقم ١٨٠٢ ، وقال : «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاه)

فحقيقة الدُّعاء هي : إظهار العبد منتهى الخضوع والتَّضرُّع والافتقار والتَّذلُّل والفاقة والفقر مع الرَّغْبَة إلى الله تعالى بنيَّة الْعِبَادَة الخالصة الصَّادقة له تعالى عند طلب ما يحتاج العبد الفقير إليه من الله الغني عمَّا سواه ، وهو سبيل عباد الله المؤمنين الصَّالحين وكذا المذنبين والعصاة من الموحِّدين ...

وجاء الدُّعاء في القرآن الكريم على وجوه عديدة ، قال الإمام الفيروزآبادي : "

" والدُّعاء يَرِدُ في القرآن على وجوه :

الأَوَّل : بمعنى القول : ﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٥] ، أَي : قولهم

الثَّاني : بمعنى العبادة ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا ﴾ [الأنعام : ٧١ ] ، أي : أنعبدُ ﴿ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ﴾ [الحج : ١٣] ، أَي : يعبد ، وله نظائر .

الثَّالث : بمعنى النِّدَاء ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾ [النمل : ٨٠ ] ، أَي : النِّداءَ ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾ [القمر : ١٠] ، أَي : نادى ﴿ وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ [مريم : ٤ ] ، أَي : بندائك .

الرَّابع : بمعنى الاستعانة والاستغاثة ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم ﴾ [البقرة : ٢٣] ، أَي : استعينوا بهم ﴿وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم ﴾ [يونس : ٣٨] ، أَي : استعينوا بهم .

الخامس : بمعنى الاستعلام والاستفهام ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [البقرة: ٦٩] ، أَي : استفهم .

السَّادس : بمعنى العذاب والعقوبة ﴿ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [المعارج : ١٧] ، أَي : تُعذِّب .

السَّابع : بمعنى العَرْض ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ ﴾ [غافر : ٤١] ، أَي : أَعرضها عليكم ﴿وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [غافر : ٤١ ] ، أَي : تعرضونها على النَّار .

الثَّامن : دعوة نوحٍ قومه ﴿ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ [نوح : ٥] .

التَّاسع : دعوة خاتم الأَنبياءِ لكافَّة الخَلْقِ ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ﴾ [النحل : ١٢٥] .

---

، الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ١٢٠) ، الشهاب القضاعي في المسند (١/ ٥١ برقم ٢٩) ، البيهقي في الدعوات الكبير (١/ ٦٨ برقم ٤) ، شعب الإيمان (٢/ ٣٦٢ برقم ١٠٧٠) ، البغوي في شرح السُّنَّة (٥/ ١٨٤ برقم ١٣٨٤) ، ابن المبارك في الزهد (١/ ٤٥٩ برقم ١٢٩٨) .

العاشر : دعوة الخليل للطُّيور ﴿ ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ﴾ [البقرة : ٢٦٠] .

الحادى عشر : دعاءُ إِسرافيل بنفخ الصّور يوم النُّشور لساكنى القبور ﴿يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ﴾ [القمر : ٦] .

الثَّاني عشر : دعاء الخَلْق ربَّهم تعالى ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر : ٦٠] .

قال الشَّاعر :

وصبراً في مجال الموت صبراً فما نيلُ الخلـود بمستطاع

سبيلُ الموت مَنْهَجُ كل حيٍّ وداعيه لأَهل الأَرض داع

وممّا ورد في القرآن أَيضاً من وجوه ذلك دعوة إِبليس ﴿إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر : ٦] ﴿ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ﴾ [القصص : ٤١] ، ودعوة الهادين من الأَئمّة الأَعلام ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا﴾ [الأنبياء : ٧٣] ، ودعوة إسرافيل ﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الروم : ٢٥] ، ودعوة الكَفَرة الضَّالِّين ﴿ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴾ [غافر : ٥٠] ، ودعوة الحق تعالى إلى الجنَّة ذات الظِّلال ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس : ٢٥] ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ﴾ [البقرة : ٢٢١] ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم ﴾ [إبراهيم : ١٠] (١) .

وجاء في فضل الدُّعاء آيات وأحاديث كثيرة منها :

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

وقوله تعالى : ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [غافر : ١٤] .

وقوله تعالى : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر : ٦٠] .

وعن النُّعمان بن بشير رضي الله عنه عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال : " الدُّعاء هوَ العبادةُ " . وقرأ : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر :

---

(١) انظر : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٢/ ٦٠٠-٦٠٣) .

٦٠] . قال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي (٩١١هـ) : " قال البيضاوي (٦٨٥هـ) : لما حكم بأنَّ الدُّعاء هو العبادة الحقيقيَّة التي تستأهل أن تسمَّى عبادة من حيث أنَّه يدُلُّ على أنَّ فاعله مقبلٌ بوجهه إلى الله تعالى معرضٌ عمَّن سِواه ، لا يرجُو ولا يخاف إلَّا منه ، استدلّ عليه بالآية ، فإنَّها تدُلُّ على أنَّه أمر مأمُور به إذا أتى به المكلف قُبل منه لا محالة وترتب عليه المقصود ، ترتُّب الجزاء على الشَّرط ، والمسبَّب على السَّبب ، وما كان كذلك كان أتمّ العبادات وأكملها " (١) .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة ... والدُّعاء سبب كبير لجلب الخير ودفع المكروه ، وهو سلاح المؤمن ، في المنشط والمكره ...

---

(١) انظر : قوت المغتذي على جامع الترمذي (٢/ ٨٢٨) .

# الفَصْلُ الثَّانِي

## المَوْتُ لَيْسَ بِعَدَمٍ مَحْضٍ وَلَا فَنَاءٍ صِرْف

من المعلوم بالضَّرورة أنَّ الموت ليس هو عدمٌ محضٌ ، ولا فناءٌ صرفٌ ، وإنَّما هو انقطاعُ تعلُّق الرُّوح بالبدن ظاهراً بالنَّوم ، وباطناً بالموت ، وهو انتقالٌ من دارٍ إلى دارٍ ، ومرحلةٌ تعقُبُ الحياة الدُّنيا ، وتسبقُ الحياة الأخرويَّة الأبديَّة السَّرمديَّة ، فالموتُ يطرأُ على الجسد لا على الرُّوح ، لأنَّ الرُّوح هي ممَّا له أوَّل وليس له آخر ...

قال الإمام أبو العبَّاس أحمَدُ بنُ الشَّيخ المرحومِ الفقيهِ أبي حَفْصٍ عُمَرَ بنِ إبراهيمَ الحافظ ، الأنصاريُّ القرطبيُّ (٦٥٦هـ) : " أنَّ الموت ليس عدماً ولا إعداماً ، وإنَّما هو انقطاعُ تعلُّقِ الرُّوح بالبدن ، ومفارقتُه ، وحيلولةٌ بينهما " (١) ...

ومن المعلوم كذلك أنَّه يُطلق على الرُّوح اسم النَّفس ، وكذا يطلق على النَّفس اسم الرُّوح ، لكن في الأغلب يطلق على النَّفس اسم الرُّوح إذا كانت متَّصلة بالبدن ، أمَّا إذا انفصلت عن الجسد فتسمية الرُّوح هي الأغلب . وقد فرَّق العلماء بين النَّفس التي تفارق الإنسان عند النَّوم ، والنَّفس التي تفارقه عند الموت ، لكن مفارقة النَّفس للإنسان عند النَّوم لا تكون انقطاعاً تامَّاً عن الجسد ، حيث يبقى لها نوع اتِّصالٍ بالجسد ، أمَّا بالموت فيكون الانقطاع تامَّاً ولا سبيل لعودتها للجسد في عالم الدُّنيا ، ولذلك أطلق البعض على النَّوم : أخو الموت ، نظراً لاشتراكهما في انقطاع تعلُّق الرُّوح بالبدن ...

قال الإمام الحافظ ابن حجر (٨٥٢هـ) : " قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ : النَّفس الَّتِي تُفَارِقُ الْإِنْسَانَ عِنْدَ النَّوْمِ هِيَ الَّتِي لِلتَّمْيِيزِ ، وَالَّتِي تُفَارِقُهُ عِنْدَ الْمَوْتِ هِيَ الَّتِي لِلْحَيَاةِ ، وَهِيَ الَّتِي يَزُولُ مَعَهَا التَّنَفُّسُ ، وَسُمِّيَ النَّوْمُ مَوْتاً لأنَّه يَزُولُ مَعَهُ الْعَقْلُ وَالْحَرَكَةُ تَمْثِيلاً وَتَشْبِيهاً ، قَالَهُ فِي النِّهَايَةِ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْمَوْتِ هُنَا السُّكُونَ ، كَمَا قَالُوا : مَاتَتِ الرِّيحُ ، أَيْ : سَكَنَتْ ، فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَطْلَقَ الْمَوْتَ عَلَى النَّائِمِ بِمَعْنَى إِرَادَةِ سُكُونِ حَرَكَتِهِ ، لِقولِهِ تَعَالَى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ [يونس : ٦٧] ، قَالَهُ الطِّيبِيُّ . قَالَ : وَقَدْ يُسْتَعَارُ الْمَوْتُ لِلْأَحْوَالِ الشَّاقَّةِ ، كَالْفَقْرِ ، وَالذُّلِّ ، وَالسُّؤَالِ ، وَالْهَرَمِ ، وَالْمَعْصِيَةِ ، وَالْجَهْلِ . وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي الْمُفْهِمِ : النَّوْمُ وَالْمَوْتُ يَجْمَعُهُمَا انْقِطَاعُ تَعَلُّقِ الرُّوح بِالْبَدَنِ . وَذَلِكَ قَدْ يَكُونُ ظَاهِراً وَهُوَ النَّوْمُ ، وَلِذَا قِيلَ : النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ ، وَبَاطِناً وَهُوَ الْمَوْتُ ، فَإِطْلَاقُ الْمَوْتِ عَلَى النَّوْمِ يَكُونُ مَجَازاً لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي انْقِطَاعِ تَعَلُّقِ الرُّوح

---

(١) انظر : المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٨/ ٥٠) .

بِالْبَدَنِ . وَقَالَ الطِّيبِيُّ : الْحِكْمَةُ فِي إِطْلَاقِ الْمَوْتِ عَلَى النَّوْمِ : أَنَّ انْتِفَاعَ الْإِنْسَانِ بِالْحَيَاةِ إِنَّمَا هُوَ لِتَحَرِّي رِضَا اللهَّ عَنْهُ ، وَقَصْدِ طَاعَتِهِ ، وَاجْتِنَابِ سَخَطِهِ وَعِقَابِهِ . فَمَنْ نَامَ : زَالَ عَنْهُ هَذَا الِانْتِفَاعُ ، فَكَانَ كَالْمَيِّتِ ، فَحَمِدَ اللهَّ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ وَزَوَالِ ذَلِكَ الْمَانِعِ " (١) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السُّيوطي (٩١١هـ) : " قَالَ الْعلمَاء الْمَوْت لَيْسَ بِعَدَمِ مَحْض وَلَا فنَاء صرف ، وَإِنَّمَا هُوَ إنقطاع تعلق الرُّوح بِالْبدنِ ومفارقة وحيلولة بَينهمَا ، وتبدُّل حَال ، وإنتقال من دَار إِلَى دَار "(٢) .

وقال الإمام السُّيوطي في موضع آخر : " عن بلال بن سعد أنَّه قال : إنَّكم لن تُخلقوا للفناء ، وإنَّما خُلِقتم للخلود والأبد ، ولكنَّكم تنتقلون من دار إلى دار .

وقال ابن القاسم : للنَّفس أربعة دور كلُّ دار أعظم من التي قبلها .

الأوُّلى : بطن الأم ، وذلك محلُّ الضِّيق والحصر والغمّ والظُّلمات الثَّلاث .

والثَّاني : هي الدَّار التي أنشأتها وألفتها واكتسبت فيها الشَّر والخير .

والثَّالثة : هي دار البرزخ ، وهو أوسع من هذه الدَّار وأعظم ، ونسبة هذا الدَّار إليها كنسبة البطن إلى هذه .

والرَّابعة : هي دار القرار الجنَّة أو النَّار ، ولها في كلِّ دار من هذه الدُّور حكم وشأن غير شأن الأخرى " (٣) .

والقول بأنَّ الموت عدمٌ محضٌ هو قول الكفرة والزَّنادقة والملحدين الذين كفروا بالبعث والنُّشور ، والثَّواب والعقاب ، أولئك النَّفر الذين قال الله تعالى عنهم :﴿ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية : ٢٤] ، وهناك ظنونٌ عديدة خالطت قلوب فئات كثيرة من النَّاس عمَّا يحدث بعد الموت ... وأنَّ الحقَّ في هذه المسألة هو أنَّ الموت مرحلة انتقال من دار الدُّنيا إلى دار البرزخ ، وهو نوعٌ من تغيُّر الحال ، حيث ينقطع تعلُّق الرُّوح بالبدن ، وأنَّ الجسد وإن سكن بسبب مفارقة الرُّوح له ، إلَّا أنَّ الرُّوح باقية بعد مفارقته ، وهي إمَّا منعَّمة وإمَّا معذَّبة ، وعلى خلاف بين العلماء : هل المنعَّم هو الرُّوح دون الجسد ؟ أم هو الجسد دون الرُّوح ؟ أم هما معاً ؟ وهي مسألة فرعيَّة دار حولها خلافٌ كبيرٌ بين العلماء ...

---

(١) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١/ ١١٤) .

(٢) انظر : شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور (ص١٩).

(٣) انظر : بشرى الكئيب بلقاء الحبيب (ص١٨) .

قال الإمام أبو حامد محمَّد بن محمَّد الغزالي الطُّوسي (٥٠٥هـ) : " اعلم أنَّ للنَّاس في حقيقة الموت ظنوناً كاذبة قد اخطأوا فيها . فظنَّ بعضهم أنَّ الموت هو العدم ، وأنَّه لا حشر ولا نشر ، ولا عاقبة للخير والشّر ، وأنَّ موت الإنسان كموت الحيوانات وجفاف النَّبات ، وهذا رأي الملحدين ، وكلّ من لا يؤمن بالله واليوم الآخر . وظنَّ قومٌ أنَّه ينعدم بالموت ولا يتألَّم بضارٍّ ولا يتنعَّم بثوابٍ ما دام في القبر إلى أن يُعاد في وقت الحشر .

وقال آخرون : إنَّ الرُّوح باقية لا تنعدم بالموت ، وإنَّما المُثاب والمعاقب هي الأرواح دون الأجساد ، وإنَّ الأجساد لا تبعث ولا تحشر أصلاً . وكلُّ هذه ظنونٌ فاسدةٌ ومائلةٌ عن الحقِّ ، بل الذي تشهد له طُرق الاعتبار ، وتنطق به الآيات والأخبار : أنَّ الموت معناه : تغيُّر حال فقط ، وأنَّ الرُّوح باقية بعد مفارقة الجسد إمَّا معذَّبة وإمَّا منعَّمة ، ومعنى مفارقتها للجسد : انقطاع تصرُّفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها ، فإنَّ الأعضاء آلات الرُّوح تستعملها ، حتى أنَّها لتبطش باليد ، وتسمـــع بالأذن ، وتبصر بالعين ، وتعلم حقيقة الأشياء بالقلب . والقلب ههنا عبارة عن الرُّوح ، والرُّوح تعلم الأشياء بنفسها من غير آلة ، ولذلك قد يتألَّم بنفسه بأنواع الحزن والغمِّ والكمد ، ويتنعَّم بأنواع الفرح والسُّرور ، وكلُّ ذلك لا يتعلَّق بالأعضاء . فكلُّ ما هو وصف للرُّوح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد ، وما هو لها بواسطة الأعضاء فيتعطَّل بموت الجسد إلى أن تُعاد الرُّوح إلى الجسد ، ولا يبعُد أن تُعاد الرُّوح إلى الجسد في القبر ، ولا يبعُد أن تؤخَّر إلى يوم البعث ، والله أعلم بما حكم به على كلِّ عبد من عباده ، وإنَّما تعطُّل الجسد بالموت يضاهي تعطُّل أعضاء الزَّمِن (١) بفساد مزاج يقع فيه وبشدَّة تقع في الأعصاب تمنع نفوذ الرُّوح فيها ، فتكون الرُّوح العالمة العاقلة المدركة باقية مستعملة لبعض الأعضاء ، وقد استعصى عليها بعضها .

والموت عبارة عن استعصاء الأعضاء كلّها ، وكلّ الأعضاء آلات ، والرُّوح هي المستعملة لها ، وأعني بالرُّوح : المعنى الذي يُدركُ من الإنسان العلوم وآلام الغُموم ولذَّات الأفراح ، ومهما بطل تصرُّفها في الأعضاء لم تبطل منها العلوم والإدراكات ، ولا بطل منها الأفراح والغُموم ، ولا بطل منها قبولها للآلآم واللذَّات .

والإنسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم وللآلام واللذَّات ، وذلك لا يموت ، أي : لا ينعدم ، ومعنى الموت : انقطاع تصرُّفه عن البدن ، وخروج البدن عن أن يكون آلة له ، كما أنَّ معنى الزَّمانة خروج اليد عن أن

---

(١) هو المريض مرضاً مزمناً .

تكـــون آلة مستعملة ، فالموت زمانةٌ مطلقةٌ في الأعضاء كلّها ، وحقيقة الإنسان نفسه وروحه وهي باقية ... " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب بن سعد شمس الدِّين ابن قيِّم الجوزيَّة (٧٥١هـ) : " موت النُّفُوس هُوَ مفارقتها لأجسادها وخروجها مِنْهَا ، فَإِن أُرِيد بموتها هَذَا الْقـــدْر ، فَهِيَ ذائقة الْموْت ، وَإِن أُرِيد أَنَّهَا تعدم وتضمحلُّ وَتصيرُ عَدمـــاً مَحْضاً ، فهي لَا تَمُوت بِهَذَا الِاعْتِبَار ، بل هِيَ بَاقِيَة بعد خلقهَا فِي نعيم أَو فِي عَذَاب " (٢) .

ويجب أن لا يغيب عن الأذهان في هذا المقام أنَّ الرُّوح بمفارقة البدن لا تُسلبُ قوَّتها وقدرتها ، بل لها من القوَّة والتَّصرُّف ما ليس للرُّوح المحبوسة في علائق البدن وعوائقه ، قال الإمام محمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب بن سعد شمس الدِّين ابن قيِّم الجوزيَّة (٧٥١هـ) : " فللرُّوح الْمُطلقَة من أسر الْبدن وعلائقه وعوائقه من التَّصَرُّف وَالْقُوَّة والنَّفاذ والهمَّة وَسُرْعَة الصعُود إلى الله ، والتَّعلُّق بِاللهَّ ، مَا لَيْسَ للرُّوح المهينة المحبوسة فِي علائق الْبدن وعوائقه ، فَإِذا كَانَ هَذَا وَهِي محبوسة فِي بدنهَا ، فَكيف إِذا تجرَّدت وفارقته وَاجْتمعت فِيهَا قواها وَكَانَت فِي أصل شَأْنهَا روحاً عليَّة زكيَّه كَبِيرَة ، ذَات همَّة عالية ، فَهَذِهِ لَهَا بعد مُفَارقَة الْبدن شَأْن آخر وَفعل آخر .
وَقد تَوَاتَرَتْ الرُّؤْيَا فِي أَصْنَاف بنى آدم على فعل الْأَرْوَاح بعد مَوتهَا مَا لَا تقدر على مثله حَال اتِّصالها بِالْبدنِ من هزيمَة الجيوش الْكَثِيرَة بِالْوَاحِدِ والاثنين وَالْعدَد الْقَلِيل وَنَحْو ذَلِك ، وَكم قد رئي النَّبي وَمَعَهُ أَبُو بكر وَعمر فِي النَّوم قد هزمت أَرْوَاحهم عَسَاكِر الْكفْر وَالظُّلم ، فَإِذا بجيوشهم مغلوبة مَكْسُورَة مَعَ كَثْرَة عَددهمْ وعُددهم ، وَضعف الْمُؤمنِينَ وقلَّتهم " (٣) .

هذا ما قاله ابن قيِّم الجوزيَّة عن فعل وعمل الأرواح بعد الموت ... فماذا يقول عنه مدَّعو السَّلفيَّة ؟!!! مع أنَّ كلامه عندهم هو المعتمد مع كلام شيخه ابن تيمية ... وما أدري أهو قصورٌ بالاطِّلاع منهم أم هو سُوء النيَّة ، وخُبث الطَّويَّة ؟!!!...

ذكر الإمام أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمَّد بن محمَّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشّيباني الجزري ، عز الدِّين ابن الأثير (٦٣٠هـ) في " الكامل " أنَّه " لما رَكِبَ طَارِقٌ الْبَحْرَ غَلَبَتْهُ عَيْنُهُ ، فَرَأَى النَّبي وَمَعَهُ الْمُهَاجِرُونَ

---

(١) انظر : إحياء علوم الدِّين (٤/ ٤٩٣) .

(٢) انظر : الرُّوح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة (ص٣٤) .

(٣) انظر : الرُّوح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة (ص١٠٢) .

وَالْأَنْصَارُ قَدْ تَقَلَّدُوا السُّيُوفَ وَتَنْكَبُّوا الْقِسِيَّ ، فَقَالَ لَهُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : يَا طَارِقُ تَقَدَّمْ لِشَأْنِكَ . وَأَمَرَهُ بِالرِّفْقِ بِالْمُسْلِمِينَ ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ ، فَنَظَرَ طَارِقٌ فَرَأَى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وَأَصْحَابَهُ قَدْ دَخَلُوا الْأَنْدَلُسَ أَمَامَهُ ، فَاسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهُ مُسْتَبْشِراً ، وَبَشَّرَ أَصْحَابَهُ ، وَقَوِيَتْ نَفْسُهُ ، وَلَمْ يَشُكَّ فِي الظَّفَرِ " (١) .

فالأرواح تسمع وتعي وتتكلَّم ... وممَّا يؤكِّد ذلك ما أخرجه الحاكم ، قال : " حَدَّثَنَاهُ أَبُو العبَّاس محمَّد بْنُ يَعْقُوبَ ، ثنا بَحْرُ بْنُ نَصْرٍ الْخَوْلَانِيُّ ، ثنا بِشْرُ بْنُ بَكْرٍ ، حدَّثني عَبْدُ الرَّحمن بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ ، حدَّثني عَطَاءٌ الْخُرَاسَانِيُّ ، قَالَ : قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَأَتَيْتُ ابْنَةَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ فَذَكَرْتُ قِصَّةَ أَبِيهَا ، قَالَتْ : لما أَنْزَلَ الله عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : ﴿ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الحجرات : ٢] الْآيَةَ ، وَآيَةُ : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [الحديد : ٢٣] ، جَلَسَ أَبِي فِي بَيْتِهِ يَبْكِي ، فَفَقَدَهُ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَأَلَهُ عَنْ أَمْرِهِ ، فَقَالَ : إِنِّي امْرُؤٌ جَهِيرُ الصَّوْتِ ، وَأَخَافُ أَنْ يَكُونَ قَدْ حَبِطَ عَمَلِي ، فَقَالَ : " بَلْ تَعِيشُ حَمِيداً ، وَتَمُوتُ شَهِيداً ، وَيُدْخِلُكَ الله الجنَّة بِسَلَامٍ " ، فلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْيَمَامَةِ مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ اسْتُشْهِدَ فَرَآهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَنَامِهِ ، فَقَالَ : إِنِّي لما قُتِلْتُ انْتَزَعَ دِرْعِي رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَخَبَّأَهُ فِي أَقْصَى الْعَسْكَرِ وَهُوَ عِنْدَهُ ، وَقَدْ أَكَبَّ عَلَى الدِّرْعِ بُرْمَةً ، وَجَعَلَ عَلَى الْبُرْمَةِ رَحْلاً ، فَائتِ الْأَمِيرَ فَأَخْبِرْهُ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ هَذَا حُلْمٌ فَتُضَيِّعَهُ ، وَإِذَا أَتَيْتَ الْمَدِينَةَ فَائتْ فَقُلْ لِخَلِيفَةِ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : إِنَّ عَلَيَّ مِنَ الدِّين كَذَا وَكَذَا ، وَغُلَامِي فُلَانٌ مِنْ رَقِيقِي عَتِيقٌ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ هَذَا حُلْمٌ فَتُضَيِّعَهُ ، قَالَ : فَأَتَاهُ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ فَوَجَدَ الْأَمْرَ عَلَى مَا أَخْبَرَهُ ، وَأَتَى أَبَا بَكْرٍ فَأَخْبَرَهُ فَأَنْفَذَ وَصِيَّتَهُ فَلَا نَعْلَمُ أَحَداً بَعْدَمَا مَاتَ أَنْفَذَ وَصِيَّتَهُ غَيْرُ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ " (٢) .

وهذه منقبةٌ وكرامـــــةٌ عظيمةٌ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ من الله تعالى ، حيث تصرَّفت روحه بنفسها بعد موتها ... وبالجملة فإنَّ مساعدة الأنبياء والأولياء لمن يتوسَّل بهم هي من باب الدُّعاء لهم ، وقد تبيَّن أنَّهم أحياء ، يشعرون ، ويحسُّون ، ويعلمون ... ولا يغيبُ عن البال هنا أنَّ المطلوب والمقصود دائماً هو الله تعالى ، ولكنَّ المتوسِّل يسألُ الله تعالى متوسِّلاً بالنَّبي أو الولي الذي هو الآن في عالم أعظم وأرحب من عالم الدُّنيا وهو عالم البرزخ ، فأرواحهم حيَّة لا ولن تموت ، وهم في حياة خاصَّة لائقة بهم وبالعالم الذي هم فيه ، ولأرواحهم عملٌ أعظم ممَّا لو كانت في علائق البدن ، كما قال الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة ...

---

(١) انظر : الكامل في التَّاريخ (٤/ ٤٠) .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣/ ٢٦١ برقم ٥٠٣٦) .

وقال الإمام تقي الدِّين علي بن عبد الكافي السُّبكي (٧٥٦هـ) : " ... وَعَوْدُ الرُّوح إلى البدن سنذكره في سائر الموتى ، فضلاً عن الشُّهداء ، فضلاً عن الأنبياء ، وإنَّما النَّظر في استمرارها في البدن ، وفي أنَّ البدن يصير حيًّاً بها كحالته في الدُّنيا أو حيًّاً بدونها ، وهي حيث شاء الله تعالى ، فإنَّ ملازمة الحياة للرُّوح أمرٌ عادي لا عقلي ، فهذا ممَّا يجوِّزه العقل ، فإن صحَّ به سمعٌ اتّبع ، وقد ذكرناه عن جماعة من العلماء ، وشهد له صلاة موسى عليه السَّلام في قبره ، فإنَّ الصَّلاة تستدعي جسداً حيًّاً ، وكذلك الصِّفات المذكورة في الأنبياء ليلة الإسراء ، كلّها صفات الأجسام ، ولا يلتزم من كونها حياة حقيقيَّة أن تكون الأبدان معها كما كانت في الدُّنيا ، من الاحتياج إلى الطَّعام والشَّراب ، والامتناع عن النُّفوذ في الحجاب الكثيف ، وغير ذلك من صفات الأجسام ، التي نشاهدها ، بل قد يكون لها حكم آخر ، فليس في العقل ما يمنع من إثبات الحياة الحقيقيَّة لهم ، وأمَّا الإدراكات كالعلم والسَّماع ، فلا شكَّ أنَّ ذلك ثابت ، وسنذكر ثبوته لسائر الموتى ... " (١) .

فالإنسان بعد الموت ينتقل من عالم الدُّنيا إلى عالمٍ غيبيٍّ رحيب اسمه : عالم البرزخ ، يكون فيه ما شاء الله تعالى ، قال تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ * لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون : ٩٩-١٠٠] .

والبرزخُ هو الدَّار التي تعقُبُ دار الدُّنيا ، فهو الحاجز بين الموت والبعث أو بين الدُّنيا والآخرة ...

والحياة البرزخيَّة ليست كحياتنا " بل هي حياة خاصَّة لائقة بهم وبالعالم الذي هم فيه ، لكن لا بدَّ أن نبيِّن للنَّاس أيضاً أنَّها ليست كحياتنا ، لأنَّ حياتنا أحقر وأضيق وأضعف . فالإنسان فيها بين عبادة وعادة ، وطاعة ومعصية ، وواجبات مختلفة لنفسه وأهله ولربِّه ، وأنَّه تارة يكون طاهراً ، وتارة يكون على ضدِّ ذلك ، وتارة يكون في المسجد ، وتارة يكون في الحمَّام ، وأنَّه لا يدري بمَ يُختم له . فقد يكون بينه وبين الجنَّة ذراع ثمَّ ينقلب الأمر رأساً على عقب فيصير من أهل النَّار ، وبالعكس ، أمَّا في البرزخ فإنَّه إن كان من أهل الإيمان فإنَّه قد جاوز قنطرة الامتحان التي لا يثبت عندها إلَّا أهل السَّعادة ، ثمَّ أنَّه قد انقطع عنه التَّكليف وأصبح روحاً مشرقة طاهرة مفكِّرة سيَّاحة سبَّاحة جوَّالة في ملكوت الله وملكه سبحانه وتعالى ، لا همٌّ ، ولا حزنٌ ، ولا بأسٌ ، ولا

(١) انظر : شفاء السقام في زيارة خير الأنام (ص١٥٩) .

قلقٌ ، لأنَّه لا دنيا ، ولا عقار ، ولا ذهب ، ولا فضَّة ، فلا حسد ولا بغي ولا حقد . وإن كان غير ذلك ففي عكس ذلك " (١) .

وفي البرزخ تكون الأرواح سامعة ، مبصرة ، ناطقة ، فهي في حياة حقيقيَّة ، بمعنى أنَّها ليست خياليَّة أو مثاليَّة ، كما يتصوَّرها الذين لا يؤمنون إلَّا بالمحسوس " وإنَّ معنى قولنا عن الحياة البرزخيَّة بأنَّها حقيقيَّة ، أي : ليست خياليَّة أو مثاليَّة ، كما يتصوَّرها بعض الملاحدة ممَّن لا تتسع عقولهم للإيمان إلَّا بالمشاهد المحسوس دون الغيب الذي لا يطيق العقل البشري تصوُّره ، ولا تسليم كيفيَّته لقدرة الله جلَّ جلاله . إنَّ وقفة تأمُّل قصيرة عند قولنا عن الحياة البرزخيَّة بأنَّها حقيقيَّة لا تُبقي من الإشكال أدنى ذرَّة حتى عند من يقصر فهمه وذوقه عن تعقُّل المعاني ، فكلمة (حقيقيَّة) ليست إلَّا لنفي الباطل ، وطرد الوهم ، ونفي الخيال الذي قد يقع في ذهن الإنسان المتشكِّك المرتاب في أحوال عالم البرزخ وعالم الآخرة وغيرهما من العوالم الأخرى كالنَّشر ، والبعث ، والحشر ، والحساب .

وهذا المعنى يُدركه الإنسان العربيُّ البسيط الذي يعرف أنَّ كلمة (حقيقي) تعني حقيقة ، وهي ما يُقابل الوهم والخيال والمثال ، فحقيقيَّة ، أي : ليست بوهميَّة ، وهذا هو المقصود بعينه ، وهذا هو مفهومنا وتصوُّرنا لهذه القضيَّة ، ولقد تضافرت الأحاديث والآثار التي تُثبت بأنَّ الميِّت يسمع ويحسّ ويعرف ، سواء كان مؤمناً أم كافراً " (٢) .

فالحياة البرزخيَّة حياةٌ رحبةٌ أرحب من الحياة الدُّنيا ، حيث تخلَّصت الرُّوح من علائق البدن وسجنه ، فلم يعُد الإنسان فيها بحاجةٍ إلى الطَّعام والشَّراب ...

وقد دلَّت آيات الكتاب العزيز وكذا أحاديث الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم على حياة الأنبياء بعد الوفاة ، ومن ذلك :

١. قوله تعالى : ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف : ٤٥] ، والآية تطلب من الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أن يسأل مَن أُرسل قبله من الرُّسل ... وقد جاء في الأخبار أنَّ جبريل عليه السَّلام قال للرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بعدما فرغ من الصَّلاة إماماً بالأنبياء والمرسلين في

---

(١) انظر : مفاهيم يجب أن تصحَّح (٢٤٨-٢٤٩) .

(٢) انظر : مفاهيم يجب أن تصحَّح (ص٢٤٤) .

رحلة الإسراء والمعراج : سل يا محمَّد ﴿ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ ﴾ [الزخرف : ٤٥] الآية . فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " لا أسأل ، قد اكتفيت ... رواه عطاء عن ابن عبَّاس ، وهذا قول الزُّهري ، وسعيد بن جبير ، وابن زيد [١] . ومن كان هذا حالهم من الصَّلاة خلف النَّبي صَلَّى الله عليهم وَسَلَّم ، لا بدَّ وأن يكونوا أحياء ، وبهذا صرَّح المفسِّرون ...

قال الإمام الطَّبري (٣١٠هـ) في تفسيرها : " ... وقال آخرون : بل الذي أمر بمسألتهم ذلك الأنبياء الذين جُمِعوا له ليلة أُسرِي به ببيت المقدس . ذكر من قال ذلك :

حدَّثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله : ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ ... الآية ، قال : جُمعوا له ليلة أُسري به ببيت المقدس ، فأمَّهم ، وصلَّى بهم ، فقال الله له : سلهم ، قال : فكان أشدّ إيماناً ويقيناً بالله وبما جاء من الله أن يسألهم ، وقرأ : ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس : ٩٤] ، قال : فلم يكن في شكٍّ ، ولم يسأل الأنبياء ، ولا الذين يقرءون الكتاب ... " [٢] .

وقال الإمام الزَّجَّاج (٣١١هـ) : " وقوله : ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف : ٤٥] ، في هذه المسألة ثلاثَةُ أَوْجُهٍ : جاء في التَّفسير أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ليلة أُسري به جمع له الأنبياء في بيت المقدس فأَمَّهم وصلَّى بهم ، وقيل له : سَلْهُمْ فلم يشكك عليه السَّلام ولم يَسَلْ " [٣] .

وقال الإمام الواحدي النَّيسابوري (٤٦٨هـ) : " قال عطاء ، عن ابن عبَّاس : لما أُسري بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، بعث الله له آدم ومن وُلد من المرسلين ، فأذَّن جبريل ، ثمَّ أَقام ، وقال : يا محمَّد ، تقدَّم فصلِّ بهم . فلمَّا فرغ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم من الصَّلاة ، قال له جبريل : سل يا محمَّد ﴿ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ ﴾

---

[١] انظر : الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ، وأحكامه ، وجمل من فنون علومه (١٠/ ٦٦٦٩) ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٤/ ٧٥) ، زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٨٠) ، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) (١٦/ ٩٥) ، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل (٦/ ١٣٧) .

[٢] انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (٢١/ ٦١١) .

[٣] انظر : معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤١٣) .

[الزخرف : ٤٥] ، الآية . فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " لا أسأل ، قد اكتفيت " . وهذا قول الزُّهري ، وسعيد بن جبير ، وابن زيد ، قالوا : جمع له الرُّسل ليلة أُسري به ، فلقيهم ، وأُمر أن يسألهم ، فلم يشكك ، ولم يسأل " (١) .

وبنحو ما سبق في تفسير الآية قال جمهور المفسِّرين (٢) ...

فبناء على ما سبق بيانه ... فقد دلَّت الآية الكريمة على حياة الأنبياء بعد الموت ، والصَّلاة منهم تستدعي جسماً حيَّاً ...

٢. وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [السجدة : ٢٣] . والآية تخبر الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بأنَّه سيلتقي بموسى عليه السَّلام ، وقد حدث ، فقد رآه واجتمع به ، ووصفه وصفاً دقيقاً في رحلـــــة الإسراء ، ومن كان هذا حاله فهو حيٌّ ...

قال الإمام الطَّبري (٣١٠هـ) : " القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ﴾ [السجدة : ٢٣] ، يقول : فلا تكن في شكٍّ من لقائه ، فكان قتادة يقول : معنى ذلك : فلا تكن في شكٍّ من أنَّك لقيته ، أو تلقاه ليلة أُسري بك ، وبذلك جاء الأثرُ عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم " (٣) .

وقال الإمام أبو الليث نصر بن محمَّد بن أحمد بن إبراهيم السَّمرقندي (٣٧٣هـ) : " ... وقال في رواية الكلبي : فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ من لقاء موسى – عليه السَّلام – ، فلقيه ليلة أُسري به في بيت المقدس ، يعني : لقي النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم موسى هناك . ويقال : لقيه في السَّماء . وذكر الخبر المعروف أنَّه فرض على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم خمسون صلاة . فقال له موسى – عليه السَّلام – : ارجع إلى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخفيف لأمَّتك . فلم يزل يرجع حتى حطّ الله عَزَّ وَجَلَّ إلى الخمس " (٤) .

---

(١) انظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٤/ ٧٤) .

(٢) تفسير القرآن ، السمعاني (٥/ ١٠٥) ، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (٧/ ٢١٦) ، الجامع لأحكام القرآن (١١٦/ ٩٥) ، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) (٣/ ٢٧٥) ، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل (٦/ ١٣٦) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٧/ ٢٣٠) ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (٤/ ٥٥٧) ...

(٣) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (٢٠/ ١٩٣) .

(٤) انظر : بحر العلوم (٣/ ٣٦) ، والحديث المُشار إليه أخرجه أحمد في المسند (١٩/ ٤٨٥ برقم ١٢٥٠٥) ، قال الأرنؤوط في تخريجه لأحاديث المسند : " إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة، فمن رجال مسلم.

وقال الإمام أبو الحسن علي بن محمَّد بن محمَّد بن حبيب البصري البغدادي ، الشَّهير بالماوردي (٤٥٠هـ) : " قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ [السجدة : ٢٣] ، فيه خمسة أقاويل : أحدها : فلا تكن يا محمَّد في شكٍّ من لقاء موسى ، ولقد لقيته ليلة الإسراء . روى أبو العالية الرِّياحيُّ عن ابن عبَّاس ، قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " رَأيتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي مُوسَى بْنَ عمرانَ رَجُلاً طُوَالاً جَعْداً ، كَأَنَّهُ مِن رِجَالِ شَنُوءَةَ . وَرَأَيْتُ عِيسَى ابنَ مَرْيَمَ رَجُلاً مَرْبُوعَ الخَلْقِ إلى الحُمْرَةِ وَالبَيَاضِ سَبْطَ الرَّأْسِ " . قال أبو العالية : قد بيَّن الله ذلك في قوله : ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ [الزخرف : ٤٥] ... " (١) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن محمَّد بن علي الواحدي ، النَّيسابوري ، الشَّافعي (٤٦٨هـ) في تفسير الآية : " قال المفسِّرون : وُعدَ محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أنَّه سيلقى موسى قبل أن يموت ، ثمَّ لقيه في السَّماء أو في بيت المقدس حين أُسري به ، وهذا قول مجاهد ، والكلبي ، والسدِّي " (٢) .

وبنحو ما سبق في تفسير الآية قال جمهور المفسِّرين (٣) ...

٣. وقوله تعالى : ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة : ١٠٥] ، والآية نصٌّ في أنَّ الله تعالى يُطلع الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وكذا عباده المؤمنين على أعمال العباد ، : حَيْثُ وَرَدَ أَنَّ أَعْمَالَ الْأَحْيَاءِ تُعرَض عَلَى الْأَمْوَاتِ مِنَ الْأَقْرِبَاءِ وَالْعَشَائِرِ فِي الْبَرْزَخِ ، عَلَى مَا سَيَأتِيْ بَيَانُه ...

---

وأخرجه مسلم (١٦٢) (٢٥٩) ، وأبو يعلى (٣٣٧٥) و (٣٤٥٠) و (٣٤٥١) و (٣٤٩٩) ، وأبو عوانة ١/ ١٢٦-١٢٨، والبيهقي في "دلائل النبوة" ٢/ ٣٨٢-٣٨٤، والبغوي (٣٧٥٣) من طرق عن حماد بن سلمة، بهذا الإسناد -وهو في المواضع الثلاثة الأولى عند أبي يعلى مقطع.

وأخرجه أبو عوانة ١/ ١٢٥-١٢٦ من طريق شريك بن عبد الله بن أبي نمر، عن أنس " .

(١) انظر : تفسير الماوردي (النكت والعيون) (٤/ ٣٦٦) .

(٢) انظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٣/ ٤٥٥) .

(٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (٣/ ٦٠٣) ، المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٦٤) ، زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٤٤٣) ، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (٢٥/ ١٥٠) ، الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ١٠٧) ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ٢٢٢) ، البحر المحيط في التفسير (٨/ ٤٤٠) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٦/ ٣٧١) ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٤/ ٣٣١) ، فتح القدير (٤/ ٢٩٦) .

قال الإمام محمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطَّبري (٣١٠هـ) في تفسير قوله تعالى : ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ﴾ : فَسَيَرَى الله إِنْ عَمِلْتُمْ عَمَلَكُمْ ، وَيَرَاهُ رَسُولُهُ . ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾ ، فِي الدُّنيا " (١) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرْح الأنصاري الخزرجي شمس الدِّين القرطبي (٦٧١هـ) : " قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ ﴾ ، خطاب للجميع .﴿ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾ ، أي : بإطلاعه إيَّاهم على أعمالكم " (٢) .

وقال الإمام علاء الدِّين علي بن محمَّد بن إبراهيم البغدادي الشَّهير بالخازن (٧٢٥) : " أمَّا رؤية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فباطلاع الله إيَّاه على أعمالكم . وأمَّا رؤية المؤمنين ، فبما يقذف الله عزَّ وجلَّ في قلوبهم من محبَّة الصَّالحين وبُغض المذنبين " (٣) .

وقال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمَّ الدِّمشقي (٧٧٤هـ) : " قَالَ مُجَاهِدٌ : هَذَا وَعيدٌ ، يَعْنِي مِنَ اللهَّ تَعَالَى لِلْمُخَالِفِينَ أَوَامِرَهُ بِأَنَّ أَعْمَالَهُمْ ستعرَضُ عَلَيْهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَعَلَى الرَّسول ، وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ . وَهَذَا كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَمَا قَالَ : ﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ﴾ [الحاقة : ١٨] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق : ٩] ، وَقَالَ : ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [العاديات : ١٠] . وَقَدْ يَظْهَرُ ذَلِكَ للنَّاس فِي الدُّنيا ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ .

حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ مُوسَى ، حدَّثنا ابْنُ لَهِيعة ، حدَّثنا دَرَّاج ، عَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ، عَنْ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أنَّه قَالَ : " لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ يَعْمَلُ فِي صَخْرَةٍ صَماء لَيْسَ لَهَا بَابٌ وَلَا كُوَّة ، لَأَخْرَجَ الله عَمَلَهُ للنَّاس كَائِناً مَا كَانَ " (٤) .

وَقَدْ وَرَدَ : أَنَّ أَعْمَالَ الْأَحْيَاءِ تُعرَض عَلَى الْأَمْوَاتِ مِنَ الْأَقْرِبَاءِ وَالْعَشَائِرِ فِي الْبَرْزَخِ ، كَمَا قَالَ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ : حدَّثنا الصَّلْتُ بْنُ دِينَارٍ ، عَنِ الْحَسَنِ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

(١) انظر : تفسير الطَّبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) (١١/ ٦٦٧) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٢٥٢) .

(٣) انظر : تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل (٣/ ١٤٦) .

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٢٨ برقم ١١٢٤٨) .

وَسَلَّم : " إنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَى أَقْرِبَائِكُمْ وَعَشَائِرِكُمْ فِي قُبُورِهِمْ ، فَإِنْ كَانَ خَيْراً اسْتَبْشَرُوا بِهِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ قَالُوا : " اللهمَّ ، أَلْهِمْهُمْ أَنْ يَعْمَلُوا بِطَاعَتِكَ " (١) .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، عَنْ سُفْيَانَ ، عمَّن سَمِعَ أَنَساً يَقُولُ : قَالَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " إِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَى أَقَارِبِكُمْ وَعَشَائِرِكُمْ مِنَ الْأَمْوَاتِ ، فَإِنْ كَانَ خَيْراً اسْتَبْشَرُوا بِهِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ قَالُوا : اللهمَّ ، لَا تُمِتْهُمْ حَتَّى تَهْدِيَهُمْ كَمَا هَدَيْتَنَا " (٢) .

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : قَالَتْ عَائِشَةُ ، رَضِيَ الله عَنْهَا : إِذَا أَعْجَبَكَ حُسن عَمَلِ امْرِئٍ ، فَقُلْ : ﴿ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة : ١٠٥] (٣) .

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ شَبِيهٌ بِهَذَا ، قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ :

حَدَّثَنَا يَزِيدُ ، حدَّثنا حُمَيد ، عَنْ أَنَسٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، قَالَ : " لَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَعْجَبُوا بِأَحَدٍ حَتَّى تَنْظُرُوا بِمَ يُخْتَمُ لَهُ ؟ فَإِنَّ الْعَامِلَ يَعْمَلُ زَمَاناً مِنْ عُمُرِهِ – أَوْ : بُرهَة مِنْ دَهْرِهِ – بِعَمَلٍ صَالِحٍ لَوْ مَاتَ عَلَيْهِ لَدَخَلَ الجنَّة ، ثمَّ يَتَحَوَّلُ فَيَعْمَلُ عَمَلاً سَيِّئاً ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ الْبُرْهَةَ مِنْ دَهْرِهِ بِعَمَلٍ سَيِّئٍ، لو مَاتَ عَلَيْهِ دَخَلَ النَّار ، ثمَّ يَتَحَوَّلُ فَيَعْمَلُ عَمَلاً صَالِحاً ، وَإِذَا أَرَادَ الله بِعَبْدٍ خَيْراً اسْتَعْمَلَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ " . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهَّ وَكَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ : قَالَ : " يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ ثمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ " . تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ " (٤) .

وبالجملة ، فالآية الكريمة دلَّلت على حياة الأنبياء ، كما دلَّت على أنَّ الأموات يعلمون بأعمال الأحياء من خلال إطلاع الله تعالى لهم عليها في الدُّنيا ، ثمَّ إنَّ الآية لم تحصر ولم تخص زمناً محدداً ، فهي شاملة لجميع المؤمنين في كلِّ زمان ومكان ...

٤. وقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧٨-٢٧٩] ، والآية تدلَّ على أنَّ الله تعالى وكذا رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يحاربان أكلة الرِّبا ، وأنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يدعو قي قبره عليهم ، والدُّعاء لا يكون إلَّا من حيٍّ ...

---

(١) أخرجه الطيالسي في المسند (٣/ ٣٤٠ برقم ١٩٠٣) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ١٦٥ برقم ١٢٧١٧) .

(٣) انظر : صحيح البخاري (٩/ ١٥٤) .

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٤/ ٢٠٩-٢١٠) ، والحديث أخرجه أحمد في المسند (٣/ ١٢٠ برقم ١٢٢٣٨) .

٥. أنَّ الأنبياء أولى بالحياة من الشُّهداء الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٤] ، وقال : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۢ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٩ ] ، وقد دلَّت الآيتان الكريمتان على حياة الشُّهداء ، قال الإمام الطَّبري : ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ : هو ميِّت ، فإنَّ الميِّت من خَلقي مَنْ سلبته حياتَه وأعدمتُه حواسَّه ، فلا يلتذّ لذَّة ولا يُدرك نعيماً ، فإنّ من قُتل منكم ومن سائر خَلقي في سبيلي ، أحياءٌ عندي ، في حياة ونعيم ، وعيش هَنِيّ ، ورزق سنيّ ، فَرحين بما آتيتهم من فضلي ، وَحبوتهم به من كرامتي " (١) .

وقال الإمام الزَّجَّاج (٣١١هـ) : " أي : لا تقولوا هم أموات ، فنهاهم اللهّ أن يُسَمُّوا من قتل في سبيل الله ميْتاً ، وأمرهم بأن يسمُّوهم شُهداءَ ، فقال : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۢ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٩] ، فأعلمنا أنَّ من قُتل في سبيل اللهَّ حيٌّ .

فإن قال قائل : فما بالنا نرى جثَّة غير مُتَصرِّفة ؟ فإنَّ دليل ذلك مثل ما يراه الإنسان في منامه ، وجثَّته غير متصرِّفة على قدر ما يُرى ، واللهَّ عزَّ وجلَّ قد توفَّى نفسه في نومه ، فقال تعالى :﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر : ٤٢] .

وينتبه المنتبه من نومه فيدركه الانتباه وهو في بقيَّة من ذلك ، فهذا دليل أنَّ أرواح الشُّهداءِ جائز أن تفارق أجسامهم ، وهم عند اللهَّ أحياءٌ ، فالأمر فيمن قُتِلَ في سبيل الله لا يجب أن يقال له ميِّت ، لكن يقال له شهيد ، وهو عند الله حي " (٢) .

وقال الإمام أبو محمَّد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمَّد بن مختار القيسي القيرواني ثمَّ الأندلسي القرطبي المالكي (٤٣٧هـ) : " هذا يدلُّ على أنَّه لا يقال للشَّهيد ميِّت ، إنَّما يقال : شهيد وقتيل . فالمعنى : هم أحياء عند ربِّهم يرزقون من ثمر الجنَّة ويجدون ريحها وليسوا فيها . قاله مجاهد .

قال قتادة : " كنَّا نحدِّث أنَّ أرواح الشُّهداء تعارَف في طير خضر تأكل من ثمار الجنَّة ، وأنَّ مساكنهم السّدرة ، وأنَّ للمجاهد في سبيل الله عزَّ وجلَّ ثلاث خصلات : من قتل في سبيل الله عزَّ وجلَّ منهم صار حياً مرزوقاً ، ومن غلب آتاه الله أجراً عظيماً ، ومن مات رزقه الله رزقاً حسناً .

---

(١) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (٣/ ٢١٤-٢١٥) .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٢٩-٢٣٠) .

قال الرَّبيع : هم أحياء في صور طير خضر يطيرون في الجنَّة حيث شاءوا . منها يأكلون ، من حيث شاءوا .

وقال عكرمة : أرواح الشُّهداء في طير بيض في الجنَّة . وروى ابن عبَّاس عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أنَّه قال : " الشُّهَدَاءُ عَلَى نَهْرٍ بِبَابِ الجنَّة فِي قُبَّةٍ خَضْرَاءَ " . ويُرْوى أنَّهم بباب الجنَّة في روضة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنَّة بكرة وعشياً . فنهى الله المسلمين أن يسمُّوهم أمواتاً ، وأمرهم أن يسمُّوهم شهداء " (١) .

وقال الإمام محيي السُّنَّة ، أبو محمَّد الحسين بن مسعود بن محمَّد بن الفرَّاء البغوي الشَّافعي (٥١٠هـ) : " قَالَ الْحَسَنُ : إِنَّ الشُّهَدَاءَ أَحْيَاءٌ عِنْدَ اللهَّ تَعَالَى ، تُعْرَضُ أَرْزَاقُهُمْ عَلَى أَرْوَاحِهِمْ فَيَصِلُ إِلَيْهِمُ الرّوح وَالْفَرَحُ ، كَمَا تُعْرَضُ النَّار عَلَى أَرْوَاحِ آلِ فِرْعَوْنَ غُدْوَةً وعشية، فيصل إليهم الوجع " (٢) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي (٥٩٧هـ) : " أي : لا تقولوا : هم أموات ، ذكر نحوه الفرَّاء . فان قيل : فنحن نراهم موتى ، فما وجه النَّهي ؟ فالجواب أنَّ المعنى : لا تقولوا هم أمواتٌ لا تصلُ أرواحهم إلى الجنَّات ، ولا تنالُ من تحف الله ما لا يناله الأحياء ، بل هم أحياءٌ ، أرواحهم في حواصل طير خضر تسرحُ في الجنَّة ، فهم أحياء من هذه الجهة ، وإن كانوا أمواتاً من جهة خروج الأرواح ذكره ابن الأنباري ، فان قيل : أليس جميع المؤمنين منعَّمين بعد موتهم ؟ فلم خصَّصتم الشُّهداء ؟ فالجواب : أنَّ الشُّهداء فُضِّلوا على غيرهم بأنَّهم مرزوقون من مطاعم الجنَّة ومآكلها ، وغيرهم منعم بها دون ذلك ، ذكره ابن جرير الطَّبري " (٣) .

وقال الإمام أبو حيَّان (٧٤٥هـ) : " قِيلَ : سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّه قِيلَ لِمَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهَّ : مَاتَ فُلَانٌ وَذَهَبَ عَنْهُ نَعِيمُ الدُّنيا وَلَذَّتُهَا ، فَأُنْزِلَتْ . نُهُوا عَنْ قَوْلِهِمْ عَنِ الشُّهَدَاءِ أَمْوَاتٌ ، وَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهم أَحْيَاءٌ ، وَارْتِفَاعُ أَمْوَاتٍ وَأَحْيَاءٍ عَلَى أَنَّه خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ ، أَيْ : هُمْ أَمْوَاتٌ ، بَلْ هُمْ أَحْيَاءٌ . وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ بَلْ أَحْيَاءٌ ، مُنْدَرِجاً تَحْتَ قَوْلٍ مُضْمَرٍ ، أَيْ : بَلْ قُولُوا هُمْ أَحْيَاءٌ . لَكِنْ يُرَجَّحُ الْوَجْهُ الأَوَّل ، وَهُوَ أَنَّه إِخْبَارٌ مِنَ اللهَّ تَعَالَى قَوْلُهُ : وَلكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ : أَنَّ حَيَاتَهُمْ لَا شُعُورَ لَكُمْ بِهَا ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ حَقِيقَةُ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ . وَقِيلَ : ذَلِكَ مَجَازٌ . وَاخْتَلَفُوا فَقِيلَ : أَمْوَاتٌ بِانْقِطَاعِ الذِّكر ، بَلْ أَحْيَاءٌ بِبَقَائِهِ وَثُبُوتِ الْأَجْرِ . وَكَانَتِ الْعَرَبُ تُسَمِّي مَنْ لَا يَبْقَى لَهُ ذِكْرٌ بَعْدَ مَوْتِهِ كَالْوَلَدِ ، وَغَيْرِهِ مَيِّتاً . وَقِيلَ : أَمْوَاتٌ بِالضَّلَالِ ، بَلْ أَحْيَاءٌ بِالطَّاعَةِ وَالْهُدَى ،

---

(١) انظر : الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ، وأحكامه ، وجمل من فنون علومه (١/ ٥١٥-٥١٦) .

(٢) انظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (١/ ١٨٥) .

(٣) انظر : زاد المسير في علم التفسير (١/ ١٢٤) .

كَمَا قَالَ : أَوَمَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ . وَإِذَا حُمِلَ الْمَوْتُ وَالْحَيَاةُ عَلَى الْحَقِيقَةِ فَاخْتَلَفُوا ، فَقَالَ قَوْمٌ : مَعْنَاهُ النَّهْيِ عَنْ قَوْلِ الْجَاهِلِيَّةِ أَنَّهم لا يُبْعَثُونَ ، فَالْمَعْنَى : أَنَّهم سَيَحْيَوْنَ بِالْبَعْثِ ، فَيُثَابُونَ ثَوَابَ الشُّهَدَاءِ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ . وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّهم أَحْيَاءٌ فِي الْوَقْتِ . وَمَعْنَى هَذِهِ الْحَيَاةِ : بَقَاءُ أَرْوَاحِهِمْ دُونَ أَجْسَادِهِمْ ، إِذْ أَجْسَادُهُمْ نُشَاهِدُ فَسَادَهَا وفناءها . وَاسْتَدَلُّوا عَلَى بَقَاءِ الْأَرْوَاحِ بِعَذَابِ الْقَبْرِ ، وَبِقَوْلِهِ : وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ مَعْنَاهُ : لَا تَشْعُرُونَ بِكَيْفِيَّةِ حَيَاتِهِمْ . وَلَوْ كَانَ الْمَعْنَى بِإِحْيَاءٍ أَنَّهم سَيَحْيَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَوْ أَنَّهم عَلَى هُدًى وَنُورٍ ، لَمْ يَظْهَرْ لِنَفْيِ الشُّعُورِ مَعْنًى ، إِذْ هُوَ خِطَابٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَهُمْ قَدْ عَلِمُوا بِالْبَعْثِ ، وَبِأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى هُدًى . فَلَا يُقَالُ فِيهِ : وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ، لأَنَّهم قَدْ شَعَرُوا بِهِ وَبِقَوْلِهِ : وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ .

وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ النَّاس إلى أَنَّ الشَّهِيدَ حَيُّ الْجَسَدِ والرُّوح ، وَلَا يَقْدَحُ فِي ذَلِكَ عَدَمُ الشُّعُورِ بِهِ مِنَ الْحَيِّ غَيْرِهِ . فَنَحْنُ نَرَاهُمْ عَلَى صِفَةِ الْأَمْوَاتِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ ، كَمَا قَالَ تعالى : ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ﴾ [النمل : ٨٨ ] ، وَكَمَا تَرَى النَّائِمَ عَلَى هيئة ، وَهُوَ يَرَى فِي مَنَامِهِ مَا يَنْعَمُ بِهِ أَوْ يَتَأَلَّمُ بِهِ . وَنَقَلَ السُّهَيْلِيُّ فِي كِتَابِ (دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ) مِنْ تَأْلِيفِهِ ، حِكَايَةً عَنْ بَعْضِ الصَّحابة ، أَنَّه حَفَرَ فِي مَكَانٍ ، فَانْفَتَحَتْ طَاقَةٌ ، فَإِذَا شَخْصٌ جَالِسٌ عَلَى سَرِيرٍ وَبَيْنَ يَدَيْهِ مُصْحَفٌ يَقْرَأُ فِيهِ وَأَمَامَهُ رَوْضَةٌ خَضْرَاءُ ، وَذَلِكَ بِأُحُدٍ ، وَعَلِمَ أَنَّه مِنَ الشُّهَدَاءِ ، لأَنَّه رَأَى فِي صَفْحَةِ وَجْهِهِ جُرْحاً . وَإِذَا ثَبَتَ أَنَّ الشُّهَدَاءَ أَحْيَاءٌ ، أَمَّا أَرْوَاحُهُمْ ، وأَمَّا أَجْسَادُهُمْ وَأَرْوَاحُهُمْ ، فَاخْتُلِفَ فِي مُسْتَقَرِّهَا ... وَمَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ: أَنَّ الْأَرْوَاحَ لَا تَفْنَى ، وأَنَّها بَاقِيَةٌ بَعْدَ خُرُوجِهَا مِنَ الْبَدَنِ . فَأَرْوَاحُ أَهْلِ السَّعَادَةِ مُنَعَّمَةٌ إلى يَوْمِ الدِّين ، وَأَرْوَاحُ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ مُعَذَّبَةٌ إلى يَوْمِ الدِّين . وَالْفَرْقُ بَيْنَ الشَّهِيدِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّما هُوَ الرِّزْقُ ، فَضَّلَهُمُ الله بِذَلِكَ ... " (١) .

فالآيتان وإن تكلَّمتا عن حياة الشُّهداء ... فحياة الأنبياء أولى ... ولذلك فحياتهم قطعاً أعلى وأرقى من حياة الشُّهداء ، قال الإمام أبو محمَّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظَّاهري (٤٥٦هـ) : " وَلَا خِلَافَ بَيْنَ مُسْلِمَيْنِ فِي أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ – عَلَيْهِمْ السَّلام – أَرْفَعُ قَدْراً وَدَرَجَةً وَأَتَمُّ فَضِيلَةً عِنْدَ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ وَأَعْلَى كَرَامَةً مِنْ كُلِّ مَنْ دُونَهُمْ ، وَمَنْ خَالَفَ فِي هَذَا فَلَيْسَ مُسْلِماً " (٢) .

---

(١) انظر : البحر المحيط في التفسير (٢/ ٥٢-٥٣) .

(٢) انظر : المحلى بالآثار (١/ ٤٥) .

كما دلَّت السُّنَّة المطهَّرة على أنَّ الحياة ثابتة لجميع من فارق الدُّنيا مؤمنين وكفَّار ، كحديث السُّؤال في القبر ، ومخاطبة الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لأهل القَلِيْب ... ثمَّ إنَّ من المعلوم بالضَّرورة أنَّ الرُّوح باقية لا تفنى ، وقد جعلها الله تعالى مصدر الحياة ، وهذ يستلزم وجود آثارها ، وإن كنَّا نعتقد أنَّ الحياة البرزخيَّة أرقى من حياة الدُّنيا ، لأنَّ الرُّوح فيها قد تحرَّرت من أَسْرِ وعلائق الجسد ...

قال الإمام زين الدِّين محمَّد المدعو بعبد الرُّؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدَّادي ثمَّ المناوي القاهري (١٠٣١هـ) : " ... لأنَّهم كالشُّهداء ، بل أفضل والشُّهداء أحياء عند ربِّهم . وفائدة التَّقييد بالعنديَّة الإشارة إلى أنَّ حياتهم ليست بظاهرة عندنا وهي كحياة الملائكة ، وكذا الأنبياء ، ولهذا كانت الأنبياء لا تورّث " (١) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد الصَّاوي الخلوتي المالكي (١٢٤١هـ) : " قوله : ﴿بَلۡ﴾ هم ﴿أَحۡيَآءٌ﴾ ، أي : حياة أخرويَّة بالجسم والرُّوح ليس كحياة أهل الدُّنيا ، لا يشاهدها إلَّا أهل الآخرة ومن خصَّه الله بالاطِّلاع عليها ، وهذا هو التَّحقيق خلافاً لمن قال أنَّهم أحياء بالرُّوح فقط ، لأنَّه يرد بأنَّ كلّ إنسان حي الرُّوح مسلماً كان أو كافراً لعدم فناء الرُّوح ، ولا مزيَّة للشَّهيد على غيره ، وهذه الحياة حقيقيَّة ، وإنَّما خروج روحه انتقال من دار إلى أخرى ، وهي مزيَّة من مزايا الأنبياء ، فلا يُقال أنَّهم ساووهم ، وحكمة عدم تغسيل الشُّهداء : بقاء دمهم ليشهد لهم يوم القيامة ، كما في الحديث : " زمِّلوهم بثيابهم ، اللون لون الدَّم والرِّيح ريح المسك " ، وأمَّا تغسيل الأنبياء فتعبُّدي أو للتَّشريع ، ولا تأكل الأرض أجساد الأنبياء " (٢) .

قلت : بل للشُّهداء العديد من المزايا على غيرهم ... ومن أهمِّ المزايا التي خصَّ بها الله تعالى بها الشُّهداء : ما جاء في قوله تعالى : ﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩] ، ومن المعلوم أنَّه لا يُرزق إلَّا حيٌّ ...

وقال الإمام شهاب الدِّين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (١٢٧٠هـ) : " أي : لا تحسُّون ولا تدركون ما حالهم بالمشاعر ، لأنَّها من أحوال البرزخ التي لا يطَّلع عليها ، ولا طريق للعلم بها إلَّا بالوحي – واختلف في هذه الحياة – فذهب كثير من السَّلف إلى أنَّها حقيقيَّة بالرُّوح والجسد ، ولكنَّا لا ندركها في هذه النَّشأة ، واستدلُّوا بسياق قوله تعالى : ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾ [آل عمران : ١٦٩] ،

---

(١) انظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير (٣/ ١٨٤) .

(٢) انظر : حاشية الصاوي على الجلالين (١/ ٩٣) .

وبأنَّ الحياة الرّوحانيَّة التي ليست بالجسد ليست من خواصِّهم ، فلا يكون لهم امتياز بذلك على من عداهم ، وذهب البعض إلى أنَّها روحانيَّة ، وكونهم يُرزقون لا ينافي ذلك ، فقد روي عن الحسن أنَّ الشُّهداء أحياء عند الله تعالى ، تُعرض أرزاقهم على أرواحهم ، فيَصِل إليهم الرَّوح والفرَح ، كما تُعرض النَّار على أرواح آل فرعون غدوَّاً وعشيَّاً ، فيَصل إليهم الوجع ، فوصول هذا الرَّوح إلى الرُّوح هو الرِّزق والامتياز ليس بمجرَّد الحياة بل مع ما ينضمُّ إليها من اختصاصهم بمزيد القُرب من الله عزَّ شأنه ، ومزيد البهجة والكرامة ... ونُسب إلى ابن عبَّاس ، وقتادة ، ومجاهد ، والحسن ، وعمرو بن عبيد ، وواصل بن عطاء ، والجبَّائي ، والرُّمَّاني ، وجماعة من المفسِّرين لكنَّهم اختلفوا في المراد بالجسد ، فقيل : هو هذا الجسد الذي هدمت بنيته بالقتل ، ولا يعجز الله تعالى أن يحلّ به حياة تكون سبب الحسِّ والإدراك ، وإن كنَّا نراه رمَّة مطروحة على الأرض ، لا يتصرَّف ولا يُرى فيه شيءٌ من علامات الأحياء ، فقد جاء في الحديث : " إنَّ المؤمن يُفسح له مدّ بصره ، ويقال له نم نومة العروس " ، مع أنَّا لا نشاهد ذلك ، إذ البرزخ برزخ آخر بمعزل عن أذهاننا وإدراك قوانا ... " (١) .

فممَّا سبق بيانُه علمنا أنَّ القرآن العظيم نصَّ على أنَّ الشَّهيد حيٌّ عند ربِّه ، يُرزق من رزق الجنَّة ، فيتلذَّذُ ويتمتَّعُ تمتُّعاً حقيقياً ، وإذا ثبت هذا في حقِّ الشُّهداء ، ثبت في حقِّ الأنبياء من باب أولى .

قال الإمام تقي الدِّين أبي الحسن علي بن عبد الكافي السُّبكي (٧٥٦هـ) : " وإذا ثبت ذلك في الشَّهيد ، ثبت في حقِّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بوجوه :

أحدهما : أنَّ هذه رتبةٌ شريفةٌ أُعطيت للشَّهيد كرامة له ، ولا رتبة أعلى من رتبة الأنبياء ، ولا شكَّ أنَّ حال الأنبياء أعلى وأكمل من حال جميع الشُّهداء ، فيستحيلُ أن يحصل كمالٌ للشُّهداء ، ولا يحصل للأنبياء ، لا سيَّما هذا الكمال الذي يوجب زيادة القُرب والزُّلفى والنَّعيم والأُنس بالعليِّ الأعلى .

الثَّاني : أنَّ هذه الرُّتبة حصلت للشُّهداء أجراً على جهادهم وبذلهم أنفسهم لله تعالى ، والنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم هو الذي سنَّ لنا ذلك ودعانا إليه ، وهدانا له بإذن الله تعالى وتوفيقه ، وقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً ، فَلَهُ أَجْرُهَا ، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ ،

---

(١) انظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/ ٤١٨) ، والحديث رواه البيهقي في : الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث ، (ص٢٢٠)، إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين، (ص٦١ برقم ٦٧) ، خلا قوله " فَيَنَامُ نَوْمَةَ الْعَرُوسِ " فإنها من كلام عُمَرَ بْنَ الْحَكَمِ بْنِ ثَوْبَانَ ...

وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً ، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ " (١) .

والأحاديث الصَّحيحة في ذلك كثيرة مشهورة ، فكلُّ أجرٍ حصل للشَّهيد حصل للنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لسعيه مثله ، والحياة أجر ، فيحصل للنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم مثلها ، زيادة على ما له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم من الأجر الخاص من نفسه ، على هدايته للمهتدي ، وعلى ماله من الأجور على حسناته الخاصَّة من الأعمال والمعارف والأحوال التي لا تصل جميع الأمَّة إلى عرف نشرها ، ولا يبلغون معشار عشرها .

وهكذا نقول : إنَّ جميع حسناتنا وأعمالنا الصَّالحة ، وعبادات كلّ مسلم مسطَّر في صحائف نبينا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، زيادة على ماله من الأجر ، ويحصل له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم من الأجور بعدد أمته أضعافاً لا يحصرها إلَّا الله تعالى ، ويقصر العقل عن إدراكها ، فإنَّ كلّ مهتد وعامل إلى يوم القيامة يحصل له أجر ، يتجدَّد لشيخه في الهداية مثل ذلك الأجر ، ولشيخ شيخه مثلاه ، وللشَّيخ الثَّالث أربعة وللرَّابع ثمانية ، وهكذا يضعف في كلِّ مرتبة بعدد الأجور الحاصلة بعده إلى أن ينتهي إلى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم .

الثَّالث : أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم شهيد ، فإنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لما سُمّ بخيبر ، وأكل من الشَّاة المسمومة ، وكان ذلك سُمّاً قاتلاً من ساعته ، مات منه بِشر ابن البراء رضي الله عنه ، وبقي النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وذلك معجزة في حقِّه ، صار ألم السُّمّ يتعاهده إلى أن مات به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في مرضه الذي مات فيه " (٢) .

(١)أخرجه مسلم (٢/ ٧٠٤ برقم ١٠١٧ ، واللفظ له) ، الطيالسي في المسند (٢/ ٥٥ برقم ٧٠٥) ، ابن الجعد في المسند (ص٨٩ برقم ٥١٦) ، ابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ١٠٩ برقم ٩٨٩٦) ، أحمد في المسند ، (٤/ ٣٥٧ برقم ١٩٣٦٩) ، البزار في المسند (٧/ ٣٦٦ برقم ٢٩٦٣) ، النسائي في السنن الكبرى (٣/ ٦٠ برقم ٢٣٤٦) ، الطحاوي في شرح مشكل الآثار (١/ ٢٢٣ برقم ٢٤٣) ، ابن حبَّان في الصحيح (٨/ ١٠١ برقم ٣٣٠٨) ، الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٣٢٨ برقم ٢٣٧٢) ، المعجم الأوسط (٨/ ٣٨٤ برقم ٨٩٤٦) ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٥٥ برقم ٣) ، البيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٩٣ برقم ٧٧٤١) ، السنن الصغير (٢/ ٦٨ برقم ١٢٤٧) ، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السَّلف وأصحاب الحديث (ص٢٣٠) ، شعب الإيمان (٥/ ٢٦ برقم ٣٠٤٨) ، البغوي في شرح السنة (٦/ ١٦٠ برقم ١٦٦١) ، أبو عوانة في المسند (١/ ١٤٢ برقم ٤٨٨).

(٢) انظر : شفاء السقام (ص٢٠١ فما بعدها باختصار) .

٦. وقوله تعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء : ٦٤] ، وقد تكلمنا على معنى الآية في التَّدليل على مشروعيَّة التَّوسُّل بما يغني عن ذكره هنا ...

كما دلَّت السُّنَّة المطهَّرة على حياتهم صلوات الله وسلامه عليهم ، ومن ذلك :

(١) قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " الأنبِيَاءُ أحْيَاءٌ في قُبُورهِمْ يُصَلُّوْن " (١) .

فالحديث يدلُّ دلالة واضحة على أنَّ الأنبياء أحياءٌ في قبورهم ، وأنَّهم يصلُّون ، والصَّلاة تستدعي جسداً حيّاً ، قال الإمام القرطبي : " وهذا الحديث يدلُّ بظاهره على أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم رأى موسى رؤية حقيقيَّة في اليقظة ، وأنَّ موسى كان في قبره حيّاً يُصلي فيه الصَّلاة التي كان له يصلِّيها في الحياة ، وهذا كلُّه مُمكنٌ لا إحالة في شيء منه ، وقد صحَّ أنَّ الشُّهداء أحياء يُرزقون ، ووجد منهم من لم يتغيَّر في قبره من السِّنين كما ذكرناه . وإذا كان هذا في الشُّهداء كان في الأنبياء أحرى وأولى ، فإنَّ قيل : كيف يصلُّون بعد الموت وليس تلك الحال حال تكليف ؟ فالجواب : أنَّ ذلك ليس بحكم التَّكليف ، وإنَّما ذلك بحكم الإكرام لهم والتَّشريف ، وذلك أنَّهم كانوا في الدُّنيا حبِّبت لهم عبادة الله تعالى والصَّلاة بحيث كانوا يلازمون ذلك ، ثمَّ توفُّوا وهم على ذلك ، فشرَّفهم الله تعالى بعد موتهم بأن أبقى عليهم ما كانوا يحبُّون ، وما عُرفوا به ، فتكون عبادتهم إلهاميَّة كعبادة الملائكة ، لا تكليفيَّة ، وقد وقع مثل هذا لثابت البناني رضي الله عنه ؛ فإنَّه حُبِّبت الصَّلاة إليه حتى كان يقول : اللهمَّ إن كنت أعطيت أحداً يُصلِّي لك في قبره ، فأعطني ذلك . فرآه مُلْحِدُه ، بعدما سوَّى عليه لحده قائماً يصلِّي في قبره " (٢) .

---

(١) أخرجه البزار في المسند (١٣/ ٢٩٩ برقم ٦٨٨٨) ، أبو يعلى في المسند (٦/ ١٤٧ برقم ٣٤٢٥) ، وصحَّحه المحقق ، البيهقي في حياة الأنبياء صلوات الله عليهم بعد وفاتهم (ص٦٩ برقم ١) ، وذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ٢١١ برقم ١٣٨١٢) ، وقال : رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَالْبَزَّارُ ، وَرِجَالُ أَبِي يَعْلَى ثِقَاتٌ . قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٦/ ٤٨٧) : " وَقَدْ جَمَعَ الْبَيْهَقِيُّ كِتَاباً لَطِيفاً فِي حَيَاةِ الْأَنْبِيَاءِ فِي قُبُورِهِمْ ، أَوْرَدَ فِيهِ حَدِيثَ أَنَسٍ " الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ " ، أَخْرَجَهُ مِنْ طَرِيقِ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ ، وَهُوَ مِنْ رِجَالِ الصَّحيح عَنِ الْمُسْتَلِمِ بْنِ سَعِيدٍ ، وَقَدْ وَثَّقَهُ أَحْمد وبن حبَان عَن الْحَجَّاج الْأسود ، وَهُوَ بن أبي زِيَاد الْبَصْرِيّ ، وَقد وَثَّقَهُ أَحْمد وبن مُعِينٍ عَنْ ثَابِتٍ عَنْهُ ، وَأَخْرَجَهُ أَيْضاً أَبُو يَعْلَى فِي مُسْنَدِهِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ ، وَأَخْرَجَهُ الْبَزَّارُ لَكِنْ وَقَعَ عِنْدَهُ عَنْ حَجَّاجٍ الصَّوَّافِ وَهُوَ وَهْمٌ ، وَالصَّوَابُ الْحَجَّاجُ الْأَسْوَدُ ، كَمَا وَقَعَ التَّصْرِيحُ بِهِ فِي رِوَايَةِ الْبَيْهَقِيِّ وَصَحَّحَهُ الْبَيْهَقِيُّ ، وَأَخْرَجَهُ أَيْضاً مِنْ طَرِيقِ الْحَسَنِ بْنِ قُتَيْبَةَ عَن المستلم ... " .

(٢) انظر : المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١٩/ ١٠٤) .

(٢) وقولـــه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " ما من أحدٍ يسلِّم عليَّ إلَّا ردَّ الله إليَّ روحي حتى أردَّ عليه السَّلام " .(١)

" فإن قيل : قوله في الحديث : " إلَّا ردَّ الله عليَّ روحي حتى أردّ عليه " ، دالٌّ على عدم استمرار الحياة ، فالجواب من وجوه :

الأوَّل : أنَّ البيهقى استدلَّ به على حياة الأنبياء ، قال : وإنَّما أراد – والله أعلم – إلَّا وقد ردَّ الله عليَّ روحي حتى أردّ عليه .

الثَّاني : أنَّ السُّبكي ، قال : يحتمل أن يكون ردَّاً معنوياً ، وأن تكون روحه الشَّريفة مشتغلة بشهود الحضرة العلية والملأ الأعلى عن هذا العالم ، فإذا سلَّم عليه أقبلت روحه على هذا العالم لتدارك السَّلام وترد على المسلِّم ، يعنى : أنَّ ردَّ روحه الشَّريفة التفاتٌ روحانيٌّ وتنزُّلٌ إلى دوائر البشريَّة من الاستغراق فى الحضرة العليَّة .

---

(١) أخرجه أبو داود (ص٢٣٢ برقم ٢٠٤١) ، بيت الأفكار الدولية ، أحمد في المسند (ص٧٣٨ برقم ١٠٨٢٧) ، بيت الأفكار الدولية ، الطبراني في الأوسط (٢/ ٢٢٦ برقم ٣٠٩٢) ، البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٦٨٦ برقم ١٥٨١) ، وفي السنن ( ٥/ ٢٤٥ برقم ١٠٠٥٠ ) ، وفي حياة الأنبياء (ص٩٧ برقم ١٥) ، أبو نعيم في تاريخ أصبهان (٢/ ٣٣٢ برقم ١٨٧٦) ، وابن بشكوال في القربة ( ٩١ ) . قال عنه الحافظ ابن حجر في الفتح ( ٦/ ٤٨٨) : رجاله ثقات ، وكذا في التلخيص الحبير ( ٢/ ٢٦٧) ، وقال النووي في الأذكار (ص١٧٣ ) : إسناده صحيح ، وقال العراقي في المغني (١/ ٢٧٩) : سنده جيد ، وصحَّح إسناده كذلك ابن القيم في جلاء الإفهام (ص٢٥ برقم ١٩) ، وقال ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (ص٣٢٤) : وهذا الحديث على شرط مسلم ، الألباني في صحيح أبي داود برقم ( ١٧٩٥) ، صحيح الجامع الصغير برقم ( ٥١٧٩) ، الصحيحة برقم ( ٢٢٦٦) . فهؤلاء جميعاً حكموا على الحديث بالصحة، ولذلك فلا يجب التعويل ولا النظر إلى تشغيب ابن عبد الهادي حول الحديث . فقد حاول – كعادته – جاهداً تضعيفه عن طريق الطعن في أبي صخر حميد بن زياد –أحد رواة الحديث– انظر الصارم المنكي (ص١٧٧ فما بعدها) . وقد تكفَّل الأستاذ محمود سعيد ممدوح بالردِّ عليه ، فقال : " أبو صخر حميد بن زياد ، قال عنه أحمد وابن معين : لا بأس به ، ووثَّقه الدارقطني ، وابن حبان ، وقال البغوي : مدني صالح حديث . وقال ابن عدي : وهو عندي صالح الحديث ، ووثقه ابن شاهين وضعفه يحيى بن معين في رواية وكذا النسائي . وذكره الذَّهبي في جزء " من تكلم فيه، وهو موثق " (ص٧٣ ) . ثمَّ وثقه من إتَّفق الأئمة على قبول توثيقه والعمل بمقتضاه ، فقد أخرج له مسلم في صحيحه . فالرجل حسن الحديث على الأقل ، فلا تلتفت لتشغيب ابن عبد الهادي ، فإنه جعل الاختلاف في اسم وكنية الراوي سبباً لردِّ حديثه ، ولو كان الاختلاف في الاسم والكنية سبباً لتضعيف الراوي لفُتِح بابٌ جديد لتضعيف الرواة ، وعند ذلك فَلِلعُقلاء أن يقولوا : رحمة الله على الحديث وعلومه ، فكم من راوٍ اختلف في اسمه وكنيته ، وهو ثقة ، وكم من راوٍ إتَّفق على اسمه وكنيته وهو ضعيف .

والحاصل أنَّ حميد بن زياد حسن الحديث . أمَّا يزيد بن عبد الله بن قُسيط فقد احتج به الجماعة ، ووثَّقه النسائي وابن حبَّان ، وابن عبد البر ، وغيرهم ، وقال ابن معين : لا بأس به . فالحديث حسن بهذا الإسناد . والله أعلم . انظر: رفع المنارة لتخريج أحاديث الزيارة ، محمود سعيد ممدوح (ص٣٥٥-٣٥٦) ، المكتبة الأزهرية للترا ث ، القاهرة .

الثَّالث : قال بعضهم : هو خطاب على مقدار فهم المخاطبين في الخارج من الدُّنيا أنَّه لا بدَّ من عود روحه حتى يسمع ويجيب ، فكأنَّه قال : أنا أجيب ذلك تمام الإجابة ، وأسمعه تمام السَّماع مع دلالته على ردِّ الرُّوح عند سلام أوَّل مسلِّم ، ولم يرد أنَّها تُقبض بعد ، ولا قائل بتكرُّر ذلك ، إذ يفضى ذلك إلى توالى موتات لا تحصر ، مع أنَّا نعتقد ثبوت الإدراكات ، كالعلم والسَّماع لسائر الموتى فضلاً عن الأنبياء ، ونقطع بعودة الحياة لكلِّ ميِّت فى قبره ، كما ثبت في السُّنَّة لأجل السُّؤال ، فيجب الإيمان به كالإيمان بنعيم القبر وعذابه ، وإدراك ذلك من الأعراض المشروطة بالحياة ، وقد يقال : لو كانوا أحياء لرأيناهم ، فنقول لهم : إنَّ الملائكة أحياء ، والشُّهداء أحياء ، والجنُّ أحياء ، ولا نراهم ، وتجوز رؤيتهم من حيث أنَّ كلّ موجود يمكن رؤيته ، وقد ألَّف الإمام السُّيوطي رحمه الله تعالى كتاباً سمَّاه : " نور الحلك في جواز رؤية الجنّ والمَلك " ، وتعرَّض فيه لجواز رؤية النَّبي أيضاً ، وأورد لذلك أدلَّة ، جزاه الله خيراً " (١) .

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) : " ... وَمِمَّا يُشْكِلُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مَا أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ : " مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ الله عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلام " ، وَرُوَاتُهُ ثِقَاتٌ ، وَوَجْهُ الْإِشْكَالِ فِيهِ أَنَّ ظَاهِرَهُ أَنَّ عَوْدَ الرُّوح إلى الْجَسَدِ يَقْتَضِي انْفِصَالَهَا عَنْهُ وَهُوَ الْمَوْتُ . وَقَدْ أَجَابَ الْعُلَمَاءُ عَنْ ذَلِكَ بِأَجْوِبَةٍ :

أَحَدِهَا : أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ رَدَّ الله عَلَيَّ رُوحِي أَنَّ رَدَّ رُوحِهِ كَانَتْ سَابِقَةً عَقِبَ دَفْنِهِ لَا أَنَّها تُعَادُ ثمَّ تُنْزَعُ ثمَّ تُعَادُ .

الثَّانِي : سَلَّمْنَا لَكِنْ لَيْسَ هُوَ نَزْعَ مَوْتٍ بَلْ لَا مَشَقَّةَ فِيهِ .

الثَّالِثُ : أَنَّ الْمُرَادَ بِالرُّوحِ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِذَلِكَ .

الرَّابِعُ : الْمُرَادُ بِالرُّوحِ النُّطْقُ فَتَجُوزُ فِيهِ مِنْ جِهَةِ خِطَابِنَا بِمَا نَفْهَمُهُ .

الْخَامِسُ : أَنَّه يَسْتَغْرِقُ فِي أُمُورِ الْمَلَإِ الْأَعْلَى ، فَإِذَا سَلَّمَ عَلَيْهِ رَجعَ إِلَيْهِ فَهْمُهُ لِيُجِيبَ مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ .

وَقَد اسْتُشْكِلَ ذَلِكَ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى وَهُوَ أَنَّه يَسْتَلْزِمُ اسْتِغْرَاقَ الزَّمَانِ كُلِّهِ فِي ذَلِكَ لِاتِّصَالِ الصَّلاة والسَّلام عَلَيْهِ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ مِمَّنْ لَا يُحْصَى كَثْرَةً ، وَأُجِيبَ : بِأَنَّ أُمُورَ الْآخِرَةِ لَا تُدْرَكُ بِالْعَقْلِ وَأَحْوَالُ الْبَرْزَخِ أَشْبَهُ بِأَحْوَالِ الْآخِرَةِ ، وَاللهُ أَعْلَمُ " (٢) .

---

(١) انظر : منهج السَّلف في فهم النصوص (ص١٣٤-١٣٥) .

(٢) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٦/ ٤٨٨) .

(٣) وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحَدِّثُونَ وَيُحَدَّثُ لَكُمْ ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ ، فَمَا كَانَ مِنْ حَسَنٍ حَمِدْتُ اللهَّ عَلَيْهِ ، وَمَا كَانَ مِنْ سَيِّءٍ اسْتَغْفَرْتُ اللهَّ لَكُمْ " (١) .

---

(١) أخرجه البزار (١/ ٣٩٧ (كشف) . وقال الهيثمي في المجمع ( ٨/ ٤٢٧ برقم ١٤٢٥٠) : رواه البزار ورجاله رجال الصَّحيح ، وصحَّحه السَّيوطي في الخصائص( ٢/ ٢٨١ ) ، وقال العراقي في طرح التثريب ( ٣/ ٢٩٧) : إسناده جيد ، ونصَّ المناوي في فيض القدير( ٣/ ٤٠١ ) بأنه صحيح ، والملا علي القاري في شرح الشفا ( ١/ ١٠٢) ، وكذا عبد الله الغماري في جزء (نهاية الآمال في شرح وتصحيح حديث عرض الأعمال) .

وجاء هذا الحديث عن طريق آخر مرسلاً عن بكر بن عبد الله المزني ، وهو غاية في الصحة . وقد أفاض الأستاذ محمود سعيد ممدوح في الردِّ على تضعيف الألباني للحديث ، وبيّن أنَّه – أي الألباني – اتبع في تضعيفه للحديث سبيلاً لم يسبق إليه ، وتلاعب تلاعباً يُعاب عليه ، وبما لا مزيد عليه ، ومما قاله في ذلك بعد أن ذكر طرق الحديث : أمَّا تضعيفه للحديث فاتبع سبيلاً لم يسبق إليه كما صرح هو بذلك في ضعيفته (٢/ ٤٠٥) ، فإنه أضاف للحديث حديثاً آخر رواه جمع من الثقات ، وجعل حديث (حياتي خيرٌ لكم ...) زيادة على الحديث الأوَّل ، انفرد بها عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد فحكم على الحديث الثاني بالشذوذ لمخالفة عبد المجيد للثقات الذين رووا الحديث الأول...!!

وذلك أنَّ الحافظ البزار قال في مسنده : حدَّثنا يوسف بن موسى ، ثنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد ، عن عبد الله بن السائب ، عن زاذان ، عن عبد الله ، عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال : " إنَّ لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السَّلام " . قال : وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " حياتي خيرٌ لكم تحدثون ويحدث لكم ... " الحديث .

فالحديث الأوَّل : رواه عن سفيان جمع من الثقات .

والحديث الثاني : انفرد به عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي روّاد ، فلمَّا جعلهما الألباني حديثاً واحداً حكم على الثاني بالشذوذ ، ولم يعده حديثاً مستقلاً بل زيادة ، وهذا خطأ بين ! .

ذلك أنَّ المدقق لا بدَّ أن يعلم أنَّ هذين حديثين بسند واحد أخرجهما البزار كما ترى سعياً للاختصار ، وعدم تكرار الإسناد ، وهو ما يكثر حدوثه في كتب الحديث ، حيث يذكرون سنداً واحداً لعدة متون ، وهو ظاهر لا يحتاج لشرح وبيان ، وقد أصاب الحافظ السَّيوطي فجعل في جامعيه الصغير والكبير الحديث الأوَّل في مكان ، والحديث الثاني في مكان آخر ، وهذا من شفوف نظره ، وثاقب فهمه ، رحمه الله تعالى ، والله أعلم .

ولكي تروق للألباني دعوته صرَّح بأنَّ عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد متكلم فيه من قبل حفظه ، وهو وإن وثَّقه بعضهم لكن ضعَّفه آخرون ، وبيَّن بعضهم السبب (كذا) في ضعيفته (٢/ ٤٠٤) ، فكلامه يرشح بضعف الرجل .

ولأنَّ الرجل ثقة ، ومن رجال الصَّحيح ، فقد رأيت أنَّ هذا مقام الذب عنه وبيان ثقته . فقد وثقه ابن معين ، وأحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن شاهين ، والخليلي .

ورجل يوثِّقه هؤلاء ، ويكثر مسلم من الاحتجاج به في صحيحه يكون قد جاوز القنطرة ، ويكون ما جاء فيه من الجرح مردوداً عند التأمل والنظر الصَّحيح الموافق لقواعد الحديث .

فمن تكلم فيه فلأسباب :

١ .بسبب مذهبه ، فإنه كان مرجئاً ، وهذا لا يضرُّ في الرواية كما هو مقرر في محله ، وقد قال الحافظ الذَّهبي في الميزان بعد ذكر عبد المجيد بن عبد العزيز في جماعة من الثقات المرجئين ما نصّه : الإرجاء مذهب لعدة من جلة العلماء لا ينبغي التحامل عليه به . أهـ.

٢. كونه أخطأ في أحاديث ، فإنه روى حديث الأعمال بالنيات من طريق مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري به مرفوعاً . هكذا أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٤٢) ، والقضاعي في مسند الشهاب (فتح الوهَّاب ١/ ١٦) ، وأبو يعلي الخليلي في الإرشاد ١/ ٢٣٣ . والمحفوظ هو عن مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن محمَّد بن إبراهيم التيمي ، عن علقمة ، عن عمر به مرفوعاً ، هكذا أخرجه الجماعة . ولذا عُدّ هذا الحديث مما أخطأ فيه عبد المجيد فكان ماذا ؟ فمن ذا الذي ما غلط في حديث بل في أحاديث ؟

فإذا وقفت على ترجمة ابن عدي لعبد المجيد بن أبي روّاد في الكامل (٥/ ١٩٨٢) ، فتذكر قول الذَّهبي في الموقظة (ص٧٨) : وليس من حدّ الثقة أنَّه لا يغلط ، ولا يخطئ ، فمن الذي يسلم من ذلك ؟ غير المعصوم الذي لا يقر على خطأ ؟ وقد نبَّه الذَّهبي على هذا المعنى عدة مرات في ميزان الاعتدال .

والحاصل أنَّ وجود بعض الوهم في حديث عبد المجيد بن أبي روّاد لا يخرجه عن حد الثقة ، لا سيما وأنَّه كان حافظاً مكثراً وكثيراً ما يقع من المكثرين مثل ذلك . وقد وصفه الذَّهبي بالحفظ والصدق ، فقال في النبلاء (٩/ ٤٣٤) : العالم القدوة الحافظ الصادق . أهـ.

٣.من تكلم فيه بجرح غير مفسر كقول أبي حاتم الرازي – وتشدده معروف ومشهور – (لا يحتج به ، يعتبر بهـ) ، وكقول ابن سعد : (كان كثير الحديث مرجئاً ضعيفاً) ، وكقول أبي أحمد الحاكم : (ليس بالمتين عندهم) ، وكقول أبي عبد الله الحاكم : (هو ممن سكتوا عنهـ) .

فهذا فضلاً عن كونه من الجرح الخفيف الذي لم يسلم منه إلا الطبقة الأولى من الثقات ، فهو من الجرح الغير مفسر الذي ينبغي رده في مقابل توثيق ابن معين ، وأحمد ، وأبي داود ، والنسائي ، وغيرهم .

٤.من تكلم فيه بجرح فيه مبالغة وتشدد مردود ، وهو ابن حبان حيث قال في المجروحين (٢/ ١٦١) : منكر الحديث جداً ، يقلب الأخبار ، ويروي المناكير عن المشاهير فاستحق الترك . أهـ.

وقد نبه الحافظ في التقريب (ص٣٦١) على إفراط ابن حبان بمقولة الترك . وإن تعجب فعجب من الألباني الذي اقتصر في ضعيفته (٢/ ٤٠٤) على قول الحافظ صدوق يخطئ ، ولم يذكر تعقب الحافظ على ابن حبان وما فعل هذا إلا ليوهم القراء أنَّ الرجل متروك ، وكلام ابن حبان مقبول غير متعقب ، نعوذ بالله من اتباع الهوى وشره .

وكيف يكون الرجل مستحقاً للترك ويغيب ذلك عمّن حدث عنه ووثقه كأحمد ، وابن معين . وابن حبان يبالغ جداً في الجرح حتى قال عنه الذَّهبي في الميزان (١/ ٢٧٤) : ابن حبان ربما قصب الثقة حتى كأنه لا يدري ما يخرج من رأسه . وكأنَّ مستند ابن حبان في المبالغة في جرحه لعبد المجيد بن أبي رواد ما رواه في المجروحين (٢/ ١٦١) من طريق عبد المجيد عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عبَّاس ، قال : " القدرية كفر ، والشيعة هلكة ، والحرورية بدعة ، وما نعلم الحق إلا في المرجئة " . قال الدارقطني في الأفراد : تفرَّد به عبد المجيد ، وزاد الحافظ في التهذيب (٦/ ٣٨٣) : وبقية رجاله ثقات .

قلت : ما قاله الدارقطني والحافظ حق لا مرية فيه ، ولا يعني هذا اتهام عبد المجيد ، فالصواب ، وهو الحق أيضاً الذي لا مرية فيه اتهام من دلسه ابن جريج ، فإنه كان مدلساً سيء التدليس .

قال الدارقطني : تجنَّب تدليس ابن جريج ، فإنه قبيح التدليس لا يدلس إلا فيما سمعه من مجروح . أهـ.

وقال الإمام أحمد بن حنبل : بعض هذه الأحاديث التي كان يرسلها ابن جريح أحاديث موضوعة ، كان ابن جريج لا يبالي من أين يأخذها . أهـ هكذا في الميزان (٢/ ٦٥٩) .

وبذا تعلم ما في جرح ابن حبان من النظر ، وتُعَصّب الجناية في هذا الإسناد فيمن دلسه ابن جريج ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

فالحديث يدلُّ دلالة صريحة واضحة على أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يعلمُ بأعمالنا لأنَّها تُعرض عليه ، وأنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يَستغفرُ الله لنا إن كانت أعمالنا قبيحة ... فدلالة الحديث على استغفار الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم للمؤمنين العاصين المذنبين واضحة جليَّة ، ولذلك لا غضاضة في التَّوسُّل به إلى الله تعالى ، وسؤاله الاستغفار لعباد الله المذنبين ...

---

والحاصل أن الرجل كما قال معاصروه أحمد، وابن معين: ثقة، ومن تكلم فيه فكلامه مردود لا ينتبه إليه .

ومن أجل هذا اعتمده مسلم في صحيحه ، وأخرج له في أصوله . ولهذا قال الحافظ الذَّهبي في "من تُكلم فيه وهو موثق" (ص١٢٤) : ثقة مرجئ داعية ، غمزه ابن حبان . أهـ.

فكلام الذَّهبي يصرح بتوثيق الرجل ، وأن بدعته وكلام ابن حبان لا يؤثران في ثقته ، وإن كان لهما تأثير لما صرح بتوثيقه فتنبه ، والله أعلم بالصواب .

أما كونه (أي الألباني) تلاعب تلاعباً يعاب عليه فبيانه من وجهين :

الأول : قال في ضعيفته (٢/ ٤٠٥) : فلعلَّ هذا الحديث الذي رواه عبد المجيد موصولاً عن ابن مسعود أصله هذا المرسل عن بكر ، أخطأ فيه عبد المجيد فوصله عن ابن مسعود ملحقاً إياه بحديثه الأوَّل . أهـ.

قلت : هذا ظنٌ ، والظن ليس بكذب فقط ، ولكنه أكذب الحديث ، ويلزم من هذا الظن الفاسد رد المسند – الذي فيه راوٍ تكلم فيه – للمرسل الذي جاء من وجه أقوى ، فلا يصح بذلك مرسل إلا بشق الأنفس ، وفيه إهدار لشطر من السُّنَّة ، ولم أجد من سبق الألباني لهذه الخرافة .

الثاني : فإنه قد تقرر أن الحديث المرسل يتقوى بأمور ، منها : إذا ورد هذا المرسل من طريق آخر موصول ضعيف تقوى المرسل به ، وصار من باب الحسن لغيره ، وبه تقوم الحجة ويلزم العمل به ، وإذا كان الموصول الذي فيه عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد من قسم الضعيف كما ارتآه الألباني – دفعاً بالصدر – فإنَّ المرسل الصَّحيح إذا ضم إليه صار من قسم الحسن المقبول الذي يجب العمل به اتفاقاً .

ولم أجد مبرراً عند الألباني يبعده عن اتباع القواعد الحديثية هنا إلا التعنت ، واتباع الهوى في رد مثل هذه الأحاديث .

وأزيد هنا بخصوص هذا الحديث ردّه على نفسه واتباعه لما تقرر من قبول المرسل بالشروط المبسوطة في محلها قوله في رده على الشَّيخ إسماعيل الأنصاري (كتاب الشيباني ١/ ١٣٤-١٣٥) ما نصه :

المرسل الصَّحيح إسناده حجة وحده عند جمهور الفقهاء ، قال الحافظ ابن كثير : " والاحتجاج به مذهب مالك وأبي حنيفة وأصحابهما وهو يحكي عن أحمد في رواية " .

وأما مذهب الشَّافعي فشرطه في الاحتجاج به معروف ، وهو أن يجيئ من وجه آخر ولو مرسلاً ... فهذا الحديث المرسل صحيح حجة عند المذاهب الأربعة وغيرهم من أئمة أصول الحديث والفقه ، وبذلك يظهر لكل منصف أن القول بسقوط الاستدلال بهذا الحديث لمجرد وروده مرسلاً هو الساقط . أهـ.

ثم حديث عرض الأعمال أولى بالقبول من هذا المرسل الذي تقوى بموصول ، فالموصول في الرد على الأنصاري ، فيه ليث بن أبي سليم حاله معروف في الضعف ، وموصولنا فيه عبد المجيد ابن عبد العزيز بن أبي روّاد وقد تقدم توثيقه ، وأنَّه من رجال مسلم ، فيكون قد جاوز القنطرة .

انظر : رفع المنارة لتخريج أحاديث التَّوسُّل والزيارة ، محمود سعيد ممدوح (ص١٦١ فما بعدها) .

وقد أخبرنا الله تعالى في القرآن أنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم شهيدٌ على أُمَّته يوم القيامة ، فإن لم يعرف ما جرى من أُمَّته فكيف سيشهد عليهم ؟!!! لذا فإنَّ عَرْضَ الأعمال عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ضروريٌ لشهادته علينا ، قال الإمام عبد الله بن المبارك : " أَنَا رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ ، عَنِ الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّه سَمِعَ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ يَقُولُ : لَيْسَ مِنْ يَوْمٍ إِلَّا يُعْرَضُ فِيهِ عَلَى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أُمَّتُهُ غُدْوَةً وَعَشِيَّةً ، فَيَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ ، لِيَشْهَدَ عَلَيْهِمْ ، يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ٤١] (١) .

ومن المعلوم ، أنَّ عرض الأعمال ليس خاصَّاً به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، بل يعمُّ قرابة الإنسان ، كما ورد في قوله عليه الصَّلاة والسَّلام : " إِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَى أَقَارِبِكُمْ وَعَشَائِرِكُمْ مِنَ الأَمْوَاتِ ، فَإِنْ كَانَ خَيْراً اسْتَبْشَرُوا بِهِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ ، قَالُوا : اللهمَّ لاَ تُمِتْهُمْ ، حَتَّى تَهْدِيَهُمْ كَمَا هَدَيْتَنَا " (٢) .

قلت : وهذا تفسير ما جاء في قوله تعالى : ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة : ١٠٥] ، قال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمَّ الدِّمشقي (٧٧٤هـ) في تفسير هذه الآية : " وَقَدْ وَرَدَ : أَنَّ أَعْمَالَ الْأَحْيَاءِ تُعرَض عَلَى الْأَمْوَاتِ مِنَ الْأَقْرِبَاءِ وَالْعَشَائِرِ فِي الْبَرْزَخِ ، كَمَا قَالَ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ : حدَّثنا الصَّلْتُ بْنُ دِينَارٍ ، عَنِ الْحَسَنِ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " إِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَى أَقْرِبَائِكُمْ وَعَشَائِرِكُمْ فِي قُبُورِهِمْ ، فَإِنْ كَانَ خَيْراً اسْتَبْشَرُوا بِهِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ قَالُوا : " اللهمَّ ، أَلْهِمْهُمْ أَنْ يَعْمَلُوا بِطَاعَتِكَ " .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، عَنْ سُفْيَانَ ، عمَّن سَمِعَ أَنَساً يَقُولُ : قَالَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " إِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَى أَقَارِبِكُمْ وَعَشَائِرِكُمْ مِنَ الْأَمْوَاتِ ، فَإِنْ كَانَ خَيْراً اسْتَبْشَرُوا بِهِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ قَالُوا : اللهمَّ ، لَا تُمِتْهُمْ حَتَّى تَهْدِيَهُمْ كَمَا هَدَيْتَنَا " (٣) .

(٤) وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " أكثروا الصَّلاة عليَّ في يوم الجمعة ، فإنَّه ليس يصلِّي عليَّ أحدٌ يوم الجمعة إلَّا عُرضت عليَّ صلاته " (١) .

---

(١) أخرجه الزهد ، عبد الله بن المبارك (٢/ ٤٢ برقم ١٦٦) .

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٦٥ برقم ١٢٧١٣) ، الطبراني في المعجم الكبير (٤/ ١٢٩ برقم ٣٨٨٧) ، المعجم الأوسط (١/ ٥٣ برقم ١٤٨) .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٤/ ٢٠٩) .

وجاء في رواية ابن ماجه : " فقال رجل يا رسول الله كيف تُعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ، يعني بليت ، فقال : إنَّ الله حرَّم على الأرضِ أن تأكلَ أَجسادَ الأنبياء " (٢) .

قال الإمام محمَّد بن علي بن محمَّد بن عبد الله الشَّوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) بعد أن ذكر جملة من الأحاديث الدالَّة على تحريم أكل أجساد الأنبياء على الأرض ، قال : " وَالْأَحَادِيثُ فِيهَا مَشْرُوعِيَّة الْإِكْثَارِ مِنْ الصَّلاة عَلَى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وأنَّها تُعْرَضُ عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وأنَّه حَيٌّ فِي قَبْرِهِ .

وَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهْ بِإِسْنَادٍ جَيِّد أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَالَ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ : " إنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ " ، وَفِي رِوَايَة لِلطَّبَرَانِيِّ " لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يُصَلِّي عَلَيَّ إلَّا بَلَغَنِي صَلَاتُهُ ، قُلْنَا : وَبَعْدَ وَفَاتِك ؟ قَالَ : وَبَعْدَ وَفَاتِي ، إنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ " (٣) . وَقَدْ ذَهَبَ جَمَاعَة مِنْ الْمُحَقِّقِينَ إلى أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حَيٌّ بَعدَ وَفَاته ، وأنَّه يُسَرُّ بِطَاعَاتِ أُمَّته ، وَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا يُبْلَوْنَ ، مَعَ أَنَّ مُطْلَقَ الْإِدْرَاك كَالْعِلْمِ وَالسَّمَاع ثَابِت لِسَائِرِ الْمَوْتَى ... وَوَرَدَ النَّصّ فِي كِتَابِ اللهَّ فِي حَقّ الشُّهَدَاءِ أَنَّهم أَحْيَاء يُرْزَقُونَ وَأَنَّ الْحَيَاة فِيهِمْ مُتَعَلِّقَة بِالْجَسَدِ فَكَيْف بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ " (٤) .

وقال السيِّد محمَّد بن علوي المالكي (١٤٢٥هـ) : " ويفهم من قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : عُرضت عليَّ صلاته حتى يفرغ منها " أنَّه بمجرَّد ما يبتدئ المصلي بالصَّلاة يسمعها حتى يفرغ منها .

ولقد أحسن السَّائل بالاستيضاح منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حيث قال له : وبعد الموت ؟ فبيَّن له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أنَّ ذلك العرض بعد الموت لوجود صفة الحياة فيه " (٥) .

---

(١) أخرجه البيهقي في حياة الأنبياء ، (ص ٩١) ، شعب الإيمان ( ٣/ ١١٤٥ برقم ٣٠٣٠ ) ، الحاكم في المستدرك ( ٢/ ٤٥٧ برقم ٣٥٧٧) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، فإن أبا رافع هذا هو إسماعيل بن رافع ولم يخرجاه ، وقال الذَّهبي : إسماعيل بن رافع ضعَّفوه ، ابن ماجه ، (ص١٢٢ برقم ١٠٨٥) ، كتاب إقام الصَّلاة ، باب في فضل الجمعة ، قال الألباني : لكنه في الشواهد لا بأس به ، فإنه غير متهم في صدقه ، وقد أشار إلى هذا الحافظ بقوله في التقريب : ضعيف الحفظ ، انظر الصحيحة ( ٤/ ٣٢) ، وجزم بصحته في صحيح الجامع برقم ( ١٢٠٨) .

(٢) انظر سنن ابن ماجه (١/ ٥٢٤ برقم ١٦٣٦) .

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢١٦ برقم ٥٨٩) ، المعجم الأوسط (٥/ ٩٧ برقم ٤٧٨٠) ، ونصُّ الحديث هو : " إِنَّ أَفْضَلَ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ فِيهِ مِنَ الصَّلَاةِ، إِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ» ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلِيتَ، قَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ " .

(٤) انظر : نيل الأوطار (٣/ ٢٩٥) .

(٥) انظر : منهج السَّلف في فهم النصوص (ص١٤٣) .

وقد أكَّد على القول بحياة الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام علماء الأمَّة ، فمن أقوالهم في ذلك :

قال الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) : " فَإِذا ثَبت أَنَّ نَبيَّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حيٌّ ، فالحيُّ لا بدَّ من أَن يكون إمَّا عَالماً أَو جَاهِلاً ، وَلَا يجوز أَن يكون النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم جَاهِلاً ... لِأَنَّ عندنَا رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حيٌّ ، يحسُّ ، وَيعلمُ ، وَتُعرض عَلَيْهِ أَعمال الأمَّة ، ويبلَّغ الصَّلاة والسَّلام على مَا بَينَّا " (١) .

وقال الإمام أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشَّافعي (٨٥٢هـ) : " ... وَقَدْ ثَبَتَ بِهِ النَّقْلُ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى حَيَاتِهِمْ . قُلْتُ : وَإِذَا ثَبَتَ أَنَّهم أَحْيَاءٌ مِنْ حَيْثُ النَّقْلِ ، فَإِنَّهُ يُقَوِّيهِ مِنْ حَيْثُ النَّظَرِ ، كَوْنُ الشُّهَدَاءِ أَحْيَاءٌ بِنَصِّ الْقُرْآنِ ، وَالْأَنْبِيَاءُ أَفْضَلُ مِنَ الشُّهَدَاءِ " (٢) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان السَّخاوي (٩٠٢هـ) : " ونحن نؤمن ونصدِّق بأنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حيٌّ يُرزقُ في قبره ، وأنَّ جسده الشَّريف لا تأكلهُ الأرض ، والإجماعُ على هذا " (٣) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي (٩١١هـ) : " وَقَالَ الْقَاضِي شرف الدِّين هبة الله بن عبد الرَّحيم البارزي فِي كِتَابِ " تَوْثِيقِ عُرَى الْإِيمَانِ " : قَالَ الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِ " الِاعْتِقَادِ " : الْأَنْبِيَاءُ بَعْدَ مَا قُبِضُوا رُدَّتْ إِلَيْهِمْ أَرْوَاحُهُمْ فَهُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ كَالشُّهَدَاءِ ، وَقَدْ رَأَى نَبِيُّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ جَمَاعَةً مِنْهُمْ ، وَأَخْبَرَ - وَخَبَرُهُ صِدْقٌ - أَنَّ صَلَاتَنَا مَعْرُوضَةٌ عَلَيْهِ ، وَأَنَّ سَلَامَنَا يَبْلُغُهُ ، وَأَنَّ اللهَّ تَعَالَى حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ لُحُومَ الْأَنْبِيَاءِ ، قَالَ الْبَارِزِيُّ : وَقَدْ سُمِعَ مِنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ فِي زَمَانِنَا وَقَبْلِهِ أَنَّهم رَأَوْا النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي الْيَقَظَةِ حَيّاً بَعْدَ وَفَاتِهِ ، قَالَ : وَقَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ الشَّيخ الْإِمَامَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو الْبَيَانِ نَبَأَ ابْنُ محمَّد بْنِ محَفُوظٍ الدِّمشقي فِي نَظِيمَتِهِ " (٤) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي (٩١١هـ) أيضاً : " قَالَ الْأُسْتَاذُ أَبُو مَنْصُورٍ عَبْدُ الْقَاهِرِ بْنُ طَاهِرٍ الْبَغْدَادِيُّ الْفَقِيهُ الْأُصُولِيُّ شَيْخُ الشَّافِعِيَّةِ فِي أَجْوِبَةِ مَسَائِلِ الْجَاجِرْمِيِّينَ ، قَالَ الْمُتَكَلِّمُونَ الْمُحَقِّقُونَ

---

(١) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٤١١-٤١٢) .

(٢) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٦/ ٤٨٨) .

(٣) انظر : القول البديع في الصَّلاة على الحبيب الشفيع (ص١٦٧) .

(٤) انظر : الحاوي للفتاوي (٢/ ١٨٠) ، وانظر : الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث (ص٣٠٥) .

مِنْ أَصْحابِنَا : أَنَّ نَبِيَّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حَيٌّ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، وأَنَّه يُسَرُّ بِطَاعَاتِ أُمَّتِهِ ، وَيَحْزَنُ بِمَعَاصِي الْعُصَاةِ مِنْهُمْ ، وأَنَّه تَبْلُغُهُ صَلاةُ مَنْ يُصَلِّي عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِهِ " (١) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي (٩١١هـ) أيضاً : " وَقَالَ الشَّيخ تقي الدِّين السُّبكي : حَيَاةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالشُّهَدَاءِ فِي الْقَبْرِ كَحَيَاتِهِمْ فِي الدُّنيا ، وَيَشْهَدُ لَهُ صَلَاةُ مُوسَى فِي قَبْرِهِ ، فَإِنَّ الصَّلاة تَسْتَدْعِي جَسَداً حَيّاً ، وَكَذَلِكَ الصِّفَاتُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْأَنْبِيَاءِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ كُلُّهَا صِفَاتُ الْأَجْسَامِ ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِهَا حَيَاةً حَقِيقَةً أَنْ تَكُونَ الْأَبْدَانُ مَعَهَا كَمَا كَانَتْ فِي الدُّنيا مِنَ الِاحْتِيَاجِ إلى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، وأَمَّا الْإِدْرَاكَاتُ كَالْعِلْمِ وَالسَّمَاعِ ، فَلَا شَكَّ أَنَّ ذَلِكَ ثَابِتٌ لَهُمْ وَلِسَائِرِ الْمَوْتَى " (٢) .

وقال الإمام السُّيوطي أيضاً : " قَالَ الشَّيخ بَدْرُ الدِّين بْنُ الصَّاحِبِ فِي مُؤَلَّفٍ لَهُ فِي حَيَاةِ الْأَنْبِيَاءِ : هَذَا صَرِيحٌ فِي إِثْبَاتِ الْحَيَاةِ لِمُوسَى فِي قَبْرِهِ ، فَإِنَّهُ وَصَفَهُ بِالصَّلَاةِ ، وأَنَّه قَائِمٌ ، وَمِثْلُ ذَلِكَ لَا يُوصَفُ بِهِ الرُّوح ، وإِنَّمَا يُوصَفُ بِهِ الْجَسَدُ ، وَفِي تَخْصِيصِهِ بِالْقَبْرِ دَلِيلٌ عَلَى هَذَا ، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ مِنْ أَوْصَافِ الرُّوح لَمْ يَحْتَجْ لِتَخْصِيصِهِ بِالْقَبْرِ . وَقَالَ الشَّيخ تَقِيُّ الدِّين السُّبكي فِي هَذَا الْحَدِيثِ الصَّلاة تَسْتَدْعِي جَسَداً حَيّاً وَلَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِهَا حَيَاةً حَقِيقَةً أَنْ تَكُونَ الْأَبْدَانُ مَعَهَا كَمَا كَانَتْ فِي الدُّنيا مِنْ الِاحْتِيَاجِ إلى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ الْأَجْسَامِ الَّتِي نُشَاهِدُهَا ، بَلْ يَكُونُ لَهَا حُكْمٌ آخر " (٣) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي (٩١١هـ) أيضاً : " حَيَاةُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي قَبْرِهِ هُوَ وَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ مَعْلُومَةٌ عِنْدَنَا عِلْماً قَطْعِيّاً لما قَامَ عِنْدَنَا مِنَ الْأَدِلَّةِ فِي ذَلِكَ وَتَوَاتَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ ، وَقَدْ أَلَّفَ الْبَيْهَقِيُّ جُزْءاً فِي حَيَاةِ الْأَنْبِيَاءِ فِي قُبُورِهِمْ " (٤) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي (٩١١هـ) أيضاً : " وَأخرج الزُّبير بن بكار فِي أَخْبَار الْمَدِينَة عَن سعيد بن الْمسيب ، قَالَ : لم أزل أسمع الآذان وَالْإِقَامَة فِي قبر رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَيَّام الْحرَّة حَتَّى عَاد النَّاس " (٥) .

---

(١) انظر : الحاوي للفتاوي (٢/ ١٨٠) .

(٢) انظر : الحاوي للفتاوي (٢/ ١٨٤) .

(٣) انظر : حاشية السندي على سنن النسائي (٣/ ٢١٣) .

(٤) انظر : الحاوي للفتاوي (٢/ ١٧٨) .

(٥) انظر : الخصائص الكبرى (٢/ ٤٩٠) .

قلت : وقد روى الإمام الدَّارمي في سننه بسنده عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، قَالَ : لما كَانَ أَيَّامُ الْحَرَّةِ لَمْ يُؤَذَّنْ فِي مَسْجِدِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ثَلَاثاً ، وَلَمْ يُقَمْ ، وَلَمْ يَبْرَحْ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ الْمَسْجِدَ ، وَكَانَ لَا يَعْرِفُ وَقْتَ الصَّلاة إِلَّا بِهَمْهَمَةٍ يَسْمَعُهَا مِنْ قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَذَكَرَ مَعْنَاهُ (١) .

وقال الإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشَّافعي ، نور الدِّين أبو الحسن السَّمهودي (٩١١هـ) : " ولا شكَّ في حياته صَلَّى الله تعالى عليه وَسَلَّم بعد وفاته ، وكذا سائر الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام أحياء في قبورهم حياة أكمل من حياة الشُّهداء التي أخبر الله تعالى بها في كتابه العزيز " (٢) .

وقال الإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشَّافعي ، نور الدِّين أبو الحسن السَّمهودي (٩١١هـ) أيضاً : " وأمَّا أدلَّة حياة الأنبياء فمقتضاها حياة الأبدان كحالة الدُّنيا ، مع الاستغناء عن الغذاء ، ومع قوَّة النفوذ في العالم " (٣) .

وقال الإمام حسن بن عمار بن علي الشّرنبلالي المصري الحنفي (١٠٦٩هـ) : " وممَّا هو مقرَّر عند المحقِّقين أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حيٌّ يُرزق ، مُمتَّع بجميع الأعمال والعبادات ، غير أنَّه حُجب عن أبصار القاصرين عن شريف المقامات . ولَمَّا رأينا أكثر النَّاس غافلين عن أداء حقِّ زيارته ، وما يسنُّ للزَّائرين من الكليَّات والجزئيَّات ، أحببنا أن نذكر بعد المناسك وأدائها ما فيه نبذة من آداب تتميماً لفائدة الكتاب ، فنقول :

ينبغي لمن قصد زيارة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أن يكثر من الصَّلاة عليه ، فإنَّه يسمعها أو تبلغ إليه ، وفضلها أشهر من أن نذكره ، فإذا عاين حيطان المدينة المنوَّرة يصلِّي على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ثمَّ يقول : اللهمَّ هذا حرم نبيِّك ، ومهبط وحيك ، فامنن عليَّ بالدُّخول فيه ، واجعله وقاية لي من النَّار ، وأماناً من العذاب ، واجعلني من الفائزين بشفاعة المصطفى يوم المآب ، ويغتسل قبل الدُّخول أو بعده قبل التَّوجُّه للزِّيارة إن أمكنه ، ويتطيَّب ويلبس أحسن ثيابه ، تعظيماً للقدوم على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ثمَّ يدخل المدينة المنوَّرة ماشياً إن أمكنه بلا ضرورة بعد وضع ركبه واطمئنانه على حشمه وأمتعته ، متواضعاً بالسَّكينة والوقار ، ملاحظاً جلالة المكان ، قائلاً : بسم الله وعلى ملَّة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي

---

(١) أخرجه الدارمي(١/ ٢٢٧ برقم ٩٤) .

(٢) انظر : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى (٤/ ١٧٩) .

(٣) انظر : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى (٤/ ١٨١) .

مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا﴾ [الإسراء : ٨٠] ، اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّد وعلى آل محمَّد ، إلى آخره ، واغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب رحمتك وفضلك .

ثمَّ يدخل المسجد الشَّريف فيصلِّي تحيَّته عند منبره ركعتين ، ويقف بحيث يكون عمود المنبر الشَّريف بحذاء منكبه الأيمن ، فهو موقف النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وما بين قبره ومنبره روضة من رياض الجنَّة ، كما أخبر به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وقال : " منْبَري عَلى حَوْضِي " [1] ، فيسجدُ شكراً لله تعالى بأداء ركعتين غير تحيَّة المسجد ، شكراً لما وفَّقك الله تعالى ومنَّ عليك بالوصول إليه ، ثمَّ تدعو بما شئت ، ثمَّ انهض متوجِّهاً إلى القبر الشَّريف ، فتقف بمقدار أربعة أذرع بعيداً عن المقصورة الشَّريفة بغاية الأدب ، مستدبراً القبلة ، محاذياً لرأس النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ووجهه الأكرم ، ملاحظاً نظره السَّعيد إليك ، وسماعه كلامك ، وردَّه عليك سلامك ، وتأمينه على دعائك ، وتقول : السَّلام عليك يا سيِّدي يا رسول الله ، السَّلام عليك يا نبيَّ الله ، السَّلام عليك يا حبيب الله ، السَّلام عليك يا نبيَّ الرَّحمة ، السَّلام عليك يا شفيع الأمَّة ، السَّلام عليك يا سيِّد المرسلين ، السَّلام عليك يا خاتم النَّبيين ، السَّلام عليك يا مُزَّمِّل ، السَّلام عليك يا مُدَّثِّر ، السَّلام عليك وعلى أصولك الطيِّبين وأهل بيتك الطَّاهرين الذين أذهب الله عنهم الرِّجس وطهَّرهم تطهيراً ، جزاك الله عنَّا أفضل ما جزى نبيَّاً عن قومه ، ورسولاً عن أمَّته ، أشهد أنَّك رسول الله قد بلَّغت الرِّسالة ، وأدَّيت الأمانة ، ونصحت الأمَّة ، وأوضحت الحجَّة ، وجاهدت في سبيل الله حقَّ جهاده ، وأقمت الدِّين حتى أتاك اليقين ، صَلَّى الله عليك وَسَلَّم وعلى أشرف مكان تشرف بحلول جسمك الكريم فيه ، صلاة وسلاماً دائمين من ربِّ العالمين ، عدد ما كان وعدد ما يكون بعلم الله ، صلاة لا انقضاء لأمدها ، يا رسول الله ، نحن وفدُكَ ، وزوَّار حرمك ، تشرَّفنا بالحلول بين يديك ، وقد جئناك من بلاد شاسعة ، وأمكنة بعيدة ، نقطع السَّهل والوعر ، بقصد زيارتك ، لنفوز بشفاعتك ، والنَّظر إلى مآثرك ومعاهدك ، والقيام بقضاء بعض حقِّك ، والاستشفاع بك إلى ربِّنا ، فإنَّ الخطايا قد قصمت ظهورنا ، والأوزار قد أثقلت كواهلنا ، وأنت الشَّافع المشفَّع ، الموعود بالشَّفاعة العظمى ، والمقام

---

[1] أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٣٩٧ برقم ٩١٤٢) ، البخاري في الصَّحيح (٢/ ٦١ برقم ١١٩٦) ، الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٧/ ٣١٧ برقم ٢٨٧٨) ، ابن حبَّان في الصَّحيح (٩/ ٦٦ برقم ٣٧٥٠) ، الآجري في الشريعة (٥/ ٢٣٥٦ برقم ١٨٣٧) ، البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٨٦ برقم ٤١٤٦) .

المحمود ، والوسيلة ، وقد قال الله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وقد جئناك ظالمين لأنفسنا ، مستغفرين لذنوبنا ، فاشفع لنا إلى ربِّك ، واسأله أن يُميتنا على سنَّتك ، وأن يحشرنا في زمرتك ، وأن يُوردنا حوضك ، وأن يسقينا بكأسك ، غير خزايا ولا ندامى ، الشَّفاعة ، الشَّفاعة ، الشَّفاعة يا رسول الله – يقولها ثلاثاً – ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠] (١) .

وقال الإمام محمَّد بن علي بن محمَّد بن عبد الله الشَّوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) : " وَقَدْ ذَهَبَ جَمَاعَة مِنْ الْمُحَقِّقِينَ إلى أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حَيٌّ بَعَدَ وَفَاته ، وأنَّه يُسَرُّ بِطَاعَاتِ أُمَّته ، وَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا يُبْلَوْنَ ، مَعَ أَنَّ مُطْلَق الْإِدْرَاك كَالْعِلْمِ وَالسَّمَاع ثَابِت لِسَائِرِ الْمَوْتَى .

وَقَدْ صَحَّ عَنْ ابْنِ عبَّاس مَرْفُوعاً : " مَا مِنْ أَحَدٍ يَمُرُّ عَلَى قَبْرِ أَخِيهِ الْمُؤْمِن ، وَفِي رِوَايَة : بِقَبْرِ الرَّجُلِ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنيا فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ إلَّا عَرَفَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ " (٢) ، وَلِابْنِ أَبِي الدُّنيا : " إذَا مَرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرٍ يَعْرِفُهُ فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ رَدَّ – عَلَيْهِ السَّلام – وَعَرَفَهُ ، وَإِذَا مَرَّ بِقَبْرٍ لَا يَعْرِفُهُ رَدَّ – عَلَيْهِ السَّلام – " ، وَصَحَّ : " أَنَّه كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يَخْرُجُ إلى الْبَقِيعِ لِزِيَارَةِ الْمَوْتَى وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ " .

وَوَرَدَ النَّصُّ فِي كِتَابِ اللهَّ فِي حَقِّ الشُّهَدَاءِ أَنَّهم أَحْيَاء يُرْزَقُونَ ، وَأَنَّ الْحَيَاة فِيهِمْ مُتَعَلِّقَة بِالْجَسَدِ ، فَكَيْف بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ . وَقَدْ ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ : " أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ " ، رَوَاهُ الْمُنْذِرِيُّ وَصَحَّحَهُ الْبَيْهَقِيُّ " (٣) .

وقال الإمام محمَّد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرَّحمن ، شرف الحقّ ، الصدِّيقي ، العظيم آبادي (١٣٢٩هـ) : " فإنَّ الأنبياء في قبورهم أحياء . قال بن حَجَرٍ الْمَكِّيُّ : وَمَا أَفَادَهُ مِنْ ثُبُوتِ حَيَاةِ الْأَنْبِيَاءِ حَيَاةً بِهَا يَتَعَبَّدُونَ وَيُصَلُّونَ فِي قُبُورِهِمْ مَعَ اسْتِغْنَائِهِمْ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ كَالْمَلَائِكَةِ ، أَمْرٌ لا مِرية فيه " (٤) .

فمن خلال ما تقدَّم بيانه علمنا أنَّ القرآن والسنة دلاَّ على حياة الأنبياء ، والتَّوسُّل بالحيِّ لا خلاف فيه ...

---

(١) انظر : مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح (ص٢٨٣–٢٨٤) .

(٢) انظر : الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار (٢/ ١٦٦ برقم ١٨٥٨) ، وانظر : تاريخ بغداد (٧/ ٥٩ ترجمة رقم ٣١٢٨) .

(٣) انظر : نيل الأوطار (٣/ ٢٩٥) .

(٤) انظر : عون المعبود شرح سنن أبي داود ، ومعه حاشية ابن القيم : تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته (٣/ ٢٦١) .

ومن جهة أخرى فقد ذكر القرآن العظيم ما يفيد ويدلِّل على حياة عُموم الأموات ، ونقل بعض أهل العلم الإجماع على إثبات إحياء الله تعالى لعموم الموتى في قبورهم ...

قال الإمام علي بن محمَّد بن سالم المعروف بسيف الدِّين الآمدي (٦٣١هـ) : " إتَّفق سلف الأمَّة قبل ظهور الخلاف ، وأكثرهم بعد ظهوره ، على إثبات إحياء الموتى في قبورهم " (١) .

وقال الإمام المجتهد تقي الدِّين السُّبكي (٧٥٦هـ) : " "وقد أجمع أهلُ السُّنَّة على إثبات الحياة في القبور ؛ قال إمام الحرمين في " الشَّامل " : اتَّفق سلف الأمَّة على إثبات عذاب القبر ، وإحياء الموتى في قبورهم ، وردِّ الأرواح في أجسادهم " (٢) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدِّين القرطبي (٦٧١هـ) : " وأنَّ الله تعالى يحيي العبد المكلَّف في قبره بردِّ الحياة إليه ، ويجعله من العقل في مثل الوصف الذي عاش عليه ، ليعقل ما يسأل عنه ، وما يجيب به ، ويفهم ما أتاه من ربِّه ، وما أعدَّ له في قبره من كرامة أو هوان . وبهذا نطقت الأخبار عن النَّبي المختار صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وعلى آله آناء الليل وأطراف النَّهار ، وهذا مذهب أهل السُّنَّة والذي عليه الجماعة من أهل الملَّة . ولم تفهم الصَّحابة الذين نزل القرآن بلسانهم ولغتهم من نبيِّهم عليه السَّلام غير ما ذكرنا . وكذلك التَّابعون بعدهم إلى هلمَّ جراً " (٣) .

وذكر أهل العلم أَنَّ الموتى يتزاورون ، قال الإمام البيهقي : " أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدَانَ ، أنا أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدٍ ، نا تَمْتَامٌ ، نا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْوَرَّاقُ ، نا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ ، نا هِشَامُ بْنُ حَسَّانَ ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ ، عَنِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَالَ : " مَنْ وَلِيَ أَخَاهُ فَلْيُحْسِنْ كَفَنَهُ ، فَإِنَّهُمْ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا " . وَهَذَا إِنْ صَحَّ لَمْ يُخَالِفْ قَوْلَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي الْكَفَنِ ، إِنَّمَا هُوَ لِلْمُهْلِ ، يَعْنِي الصَّدِيدَ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ فِي رُؤْيَتِنَا ، وَيَكُونُ كَمَا شَاءَ اللهُ فِي عِلْمِ اللهِ ، كَمَا قَالَ فِي الشُّهَدَاءِ : ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران : ١٦٩] ،

---

(١) انظر : أبكار الأفكار في أصول الدِّين (٣/ ٢٥٣) .

(٢) انظر : شفاء السقام في زيارة خير الأنام (ص١٦٨) .

(٣) انظر : التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (١/ ٣٦٩) .

وَهُوَ ذَا يَرَاهُمْ يَتَشَحَّطُونَ فِي الدِّمَاءِ ، ثمَّ يُفْتَنُونَ ، وإِنَّما يَكُونُونَ كَذَلِكَ فِي رُؤْيَتِنَا ، وَيَكُونُونَ فِي الْغَيْبِ كَمَا أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ ، وَلَوْ كَانُوا فِي رُؤْيَتِنا كَمَا أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ لَارْتَفَعَ الْإِيمَانُ بِالْغَيْبِ " (١) .

وورد أنَّ الأموات يقرأؤون القرآن في قبورهم ، فقد روي عَنِ ابْنِ عبَّاس ، قَالَ : ضَرَبَ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم خِبَاءَهُ عَلَى قَبْرٍ وَهُوَ لاَ يَحْسِبُ أَنَّه قَبْرٌ ، فَإِذَا فِيهِ إِنْسَانٌ يَقْرَأُ سُورَةَ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ حَتَّى خَتَمَهَا ، فَأَتَى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله إِنِّي ضَرَبْتُ خِبَائِي عَلَى قَبْرٍ وَأَنَا لاَ أَحْسِبُ أَنَّه قَبْرٌ ، فَإِذَا فِيهِ إِنْسَانٌ يَقْرَأُ سُورَةَ تَبَارَكَ الْمُلْكِ حَتَّى خَتَمَهَا . فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : هِيَ الْمَانِعَةُ ، هِيَ الْمُنْجِيَةُ ، تُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ " (٢) .

وورد ما يدلُّ على أنَّ الأموات يَرون ... فقد روي عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، قَالَتْ : كُنْتُ أَدْخُلُ بَيْتِي الَّذِي دُفِنَ فِيهِ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وَأَبِي فَأَضَعُ ثَوْبِي ، وَأَقُولُ إِنَّمَا هُوَ زَوْجِي وَأَبِي ، فلَمَّا دُفِنَ عُمَرُ مَعَهُمْ فَوَاللهَّ مَا دَخَلْتُهُ إِلَّا وَأَنَا مَشْدُودَةٌ عَلَيَّ ثِيَابِي ، حَيَاءً مِنْ عُمَرَ " (٣) .

وورد أنَّ الأموات يُدركون ... فقد ورد أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم مَرَّ بِقَبْرَيْنِ ، فَقَالَ : " إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ ، وأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ " ، ثمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً ، فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ ، فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهَّ ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا ؟ قَالَ : " لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا " (٤) .

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١١/ ٤٥٨ برقم ٨٨٣٠) .

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ١٤ برقم ٢٨٩٠) ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ ، البزار في المسند (١١/ ٤٣٩ برقم ٥٣٠٠) ، الطبراني في الكبير (١٢/ ١٧٤ برقم ١٢٨٠١) ، البيهقي في إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين (ص٩٩ برقم ١٥٠) ، دلائل النبوة (٧/ ٤١) ، الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ٨١) .

(٣) أخرجه أحمد (٤٢/ ٤٤١ برقم ٢٥٦٦٠) ، قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط الشيخين " ، الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣/ ٦٣ برقم ٤٤٠٢) ، وقال : " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ " ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٩/ ٣٧ برقم ١٤٢٧٤) .

(٤) أخرجه البخاري (١/ ٥٣ برقم ٢١٨) ، مسلم (١/ ٢٤٠ برقم ٢٩٢) ، أحمد (١/ ٢٢٥ برقم ١٩٨٠) ، ابن أبي شيبة في المصنف (١/ ١٢٢ برقم ١٣١٣) ، الطيالسي في المسند (٢/ ١٩٨ برقم ٩٠٨) ، الدارمي (١/ ٥٧٣ برقم ٧٦٦) ، ابن ماجه (١/ ١٢٥ برقم ٣٤٧) ، البزار في المسند (٩/ ١٠١ برقم ٣٦٣٦) ، النسائي في السنن الكبرى (٢/ ٤٧٩ برقم ٢٢٠٧) ، أبو عوانة في المستخرج (١/ ١٦٧ برقم ٤٩٥) ، الطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٣/ ١٨٦ برقم ٥١٩١) ، ابن حبَّان (٧/ ٣٩٨ برقم ٣١٢٨) ، الآجري في الشريعة (٣/ ١٢٨١ برقم ٨٥٠) ، الطبر اني في المعجم

وورد أنَّهم يسمعون خطاب الأحياء لهم ، من ذلك قوله سبحانه وتعالى حاكياً خطاب صالح عليه السَّلام لقومه بعد أن أصبحوا جيفاً جاثمين بسبب الصَّيحة التي أخذتهم عن آخرهم : ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ * فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ * فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٨-٧٩] . والنَّصُّ واضحٌ صريحٌ في أنَّ خطابه معهم كان بعد أن حلَّ بهم العذاب المهين ، حيث ذكرت الآية الكريمة مسلسل أحداث ما وقع بين صالح عليه السَّلام وقومه مرتبة بالفاء ﴿ فَعَقَرُواْ ﴾ ﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ﴾ ﴿ فَأَصۡبَحُواْ ﴾ ﴿ فَتَوَلَّىٰ ﴾ ... والفاء تدلُّ على التَّعقيب والتَّرتيب ، والمعنى : أنَّ خطابه لهم كان بعد أن أصابهم ما أصابهم من العذاب الذي طالبوا به نبيَّهم صالح ... فقد خاطبهم صالح عليه السَّلام تماماً كما خاطب الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قتلى المشركين في بدر ... وتكرَّر هذا المشهد في قصَّة شعيب عليه السَّلام مع قومه ، قال تعالى : ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ * ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ * فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف : ٩١-٩٣] ، فصالح وشعيب عليهما السَّلام خاطب كلُّ واحد منهما قومه بعد أن أصبحوا جثثاً هامدة ، ومن المستحيل أن يكون خطابهم لمن لا يسمع الخطاب ، يدلل على ذلك ما جاء في الحديث الصَّحيح من قول الرَّســـول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لما أَقُولُ مِنْهُمْ " ، وسيأتي ...

كما دلَّت أحاديث السُّنَّة المطهَّرة على أنَّ الأموات يسمعون ، بل ذهب بعض أهل العلم إلى أنَّ أحاديث سماع الأموات لكلام الأحياء متواترة ، وقالوا : إنَّ الميِّت بعد موته يسمع كلام الأحياء ، قال الإمام عبد الله بن الصدِّيق الغماري في سياق حديثه عن الرِّوايات الواردة في سماع الموتى : " والآثار في هذا الباب كثيرة متواترة عن الصَّحابة والتَّابعين وأتباعهم ، وهي في " كتاب القبور " لابن أبي الدُّنيا ، وكتاب " من عاش بعد الموت " له

---

الكبير (٨/ ٢١٦ برقم ٧٨٦٩) ، ابن مندة في الإيمان (٢/ ٩٦٩ برقم ١٠٧١) ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٦/ ١٢٠٤ برقم ٢١٣٣) ، البيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٥٧٧ برقم ٤١٣٩) ، السنن الصغير (١/ ٣٢ برقم ٤٩) ، إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين (ص٨٦ برقم ١١٧) ، البيهقي في شعب الإيمان (١٣/ ٤٣٧ بر قم ١٠٥٨٨) ، البغوي في شرح السُّنَّة (١/ ٣٧٠ برقم ١٨٣) ، أبو عوانة في المسند (١/ ١٦٧ برقم ٤٩٥) ، ابن المبارك في الزهد (١/ ٤٣٣ برقم ١٢٢٠) ، هناد بن السري الكوفي في الزهد (٢/ ٥٧٦ برقم ١٢١٣) .

أيضاً ، و" كتاب العاقبة " للحافظ عبد الحق الإشبيلي ، وكتاب " أهوال القبور " للحافظ ابن رجب ، وكتاب " الرُّوح " لابن القيِّم ، وكتاب " شرح الصُّدور " للحافظ السُّيوطي ، وغيرها " (١) .

وممَّا جاء في السُّنَّة المطهَّرة من ذلك :

**الدَّلِيْلُ الأَوَّلُ :** عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : ذَكَرَ لَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ، عَنْ أَبِي طَلْحَةَ ، أَنَّ نَبِيَّ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلاً مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ ، فَقُذِفُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ خَبِيثٍ مُخْبِثٍ ، وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالعَرْصَةِ ثَلاَثَ لَيَالٍ ، فلمَّا كَانَ بِبَدْرٍ اليَوْمَ الثَّالِثَ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشُدَّ عَلَيْهَا رَحْلُهَا ، ثمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ ، وَقَالُوا : مَا نُرَى يَنْطَلِقُ إِلَّا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ ، حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الرَّكِيِّ، فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ : " يَا فُلاَنُ بْنَ فُلاَنٍ ، وَيَا فُلاَنُ بْنَ فُلاَنٍ ، أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمُ اللهَّ وَرَسُولَهُ ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً ، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً ؟ قَالَ : فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللهَّ ، مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لاَ أَرْوَاحَ لَهَا ؟ فَقَـــالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " وَالَّذِي نَفْسُ محمَّد بِيَدِهِ ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لما أَقُولُ مِنْهُمْ " (٢) .

وفي هذا الحديث أقسم الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أنَّ الموتى الذين خاطبهم أسمع وأوعى لكلامه ممَّن كان معه من الصَّحابة الكرام ... ، فالحديث نصٌّ صحيحٌ صريحٌ في سماع الموتى لكلام الأحياء ، ... ، وليس للحديث وجه للقول بالخصوصيَّة ، لأنَّ القول بخصوصيَّة سماع أهل القَلِيْب يحتاج لدليل التَّخصيص ، ولا دليل ...

ولا يشوِّش على السَّماع الوارد في الحديث ما رواه البخاري وغيره بسندهم عن السيِّدة عائشة رضي الله عنها ... فقد جاء في البخاري : " حدَّثني عُثْمَانُ ، حدَّثنا عَبْدَةُ ، عَنْ هِشَامٍ ، عَنْ أَبِيه ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَ ، قَالَ : وَقَفَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم عَلَى قَلِيبِ بَدْرٍ ، فَقَالَ : " هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً ؟ " ثمَّ قَالَ : " أنَّهم الآنَ يَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ " ، فَذُكِرَ لِعَائِشَةَ ، فَقَالَتْ : إِنَّما قَالَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " أنَّهم الآنَ

---

(١) انظر : الردُّ المحكم المتين في الردِّ على القول المبين (ص٢٣٢-٢٣٣) .

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٧٦ برقم ٣٩٧٦) ، أحمد في المسند (٤/ ٢٠ برقم ١٦٤٧٣) ، ابن حبان (١١/ ٩٩ برقم ٤٧٧٨) ، البغوي في شرح السُّنَّة (١٣/ ٣٨٣ برقم ٣٧٧٩) ، البيهقي في الدلائل (٣/ ٩٢) ، أبو يعلى في المسند (٣/ ٢١ برقم ١٤٣١) ، الروياني في المسند (٢/ ١٥٦ برقم ٩٧٩) .

لَيَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ هُوَ الحَقُّ " ، ثمَّ قَرَأَتْ : ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾ [النمل : ٨٠ ] ، حَتَّى قَرَأَتْ الآيَةَ " (١) .

ويردُّ على هذا التَّشويش : أنَّ السيِّدة عائشة رضي الله عنها متأوِّلة بنفيها ، والمثبت مقدَّم على النَّافي ، كما أنَّ رواية العدل لا تردُّ بالتَّأويل ، وقد جاء عن السيِّدة عائشة رضي الله عنها ما يقتضي رجوعها عن تأويلها السَّابق للسَّماع ، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني " وَمِنَ الْغَرِيبِ أَنَّ فِي الْمَغَازِي لِابْنِ إِسْحَاقَ رِوَايَةَ يُونُسَ بْنِ بُكَيْرٍ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ عَنْ عَائِشَةَ مِثْلَ حَدِيثِ أَبِي طَلْحَةَ وَفِيهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لما أَقُولُ مِنْهُمْ وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ فَإِنْ كَانَ مَحْفُوظاً فَكَأَنَّهَا رَجَعَتْ عَنِ الْإِنْكَارِ لما ثَبَتَ عِنْدَهَا مِنْ رِوَايَةِ هَؤُلَاءِ الصَّحابة لِكَوْنِهَا لَمْ تَشْهَدِ القصَّة " (٢) .

وقال الإمام أبو القاسم عبد الرَّحمن بن عبد الله بن أحمد السّهيلي (٥٨١هـ) : " وَعَائِشَةُ لَمْ تَحْضُرْ وَغَيْرُهَا مِمَّنْ حَضَرَ أَحْفَظُ لِلَفْظِهِ عَلَيْهِ السَّلام " (٣) .

وقال الإمام زين الدِّين عبد الرَّحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن ، السَلامي ، البغدادي ، ثمَّ الدِّمشقي ، الحنبلي (٧٩٥هـ) : " وذهب طوائف من أهل العلم - وهم الأكثرون - وهو اختيار الطَّبري وغيره ، وكذلك ذكره ابن قتيبة وغيره من العلماء ، وهؤلاء يحتجُّون بحديث القَليْب ، كما سبق ، وليس هو بوهم ممَّن رواه ، فإنَّ ابن عمر وأبا طلحة وغيرهما ممَّن شهد القصَّة حكياه عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وعائشة لم تشهد ذلك ، وروايتها عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أنَّه قال : " أنَّهم ليعلمون الآن ، أنَّ ما كنت أقول لهم حقٌّ " ، يؤيِّد رواية من روى : أنَّهم ليسمعون ولا ينافيه ، فإنَّ الميِّت إذا جاز أن يعلم جاز أن يسمع ، لأنَّ الموت ينافي العلم ، كما ينافي السَّمع والبصر ، فلو كان مانعاً من البعض لكان مانعاً من الجميع " (٤) .

وقد تعرَّض الإمام ابن تيمية لهذه المسألة ، وذكر أنَّ السيِّدة عائشة تأوَّلت في حديثها المعارض للرِّواية الصَّحيحة ، فقال : " وَالنَّصُّ الصَّحيح عَنْ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم مُقَدَّمٌ عَلَى تَأْوِيلِ مَنْ تَأَوَّلَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَغَيْرِهِ ، وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ مَا يَنْفِي ذَلِكَ ، فَإِنَّ قَوْلَهُ :﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [النمل : ٨٠] ، إِنَّما أَرَادَ بِهِ السَّماعَ الْمُعْتَادَ الَّذِي يَنْفَعُ صَاحِبَهُ ، فَإِنَّ هَذَا مَثَلٌ ضُرِبَ لِلْكُفَّارِ ، وَالْكُفَّارُ تَسْمَعُ الصَّوْتَ لَكِنْ لَا تَسْمَعُ سَماعَ قَبُولٍ بِفِقْهٍ وَاتِّبَاعٍ

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٧٧ برقم ٣٩٨٠) ، مسلم (٢/ ٦٤٣ برقم ٩٣٢) .

(٢) انظر : فتح الباري (٧/ ٣٠٣-٣٠٤) .

(٣) انظر : الروض الأنف في شرح السيرة النبوية (٥/ ١٧٥) .

(٤) انظر : أهوال القبور (ص٨٠-٨١) .

، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة : ١٧١] . فَهَكَذَا الْمَوْتَى الَّذِينَ ضَرَبَ لَهُمْ الْمَثَلَ ، لَا يَجِبُ أَنْ يُنْفَى عَنْهُمْ جَمِيعُ السَّمَاعِ الْمُعْتَادِ أَنْوَاعَ السَّمَاعِ ، كَمَا لَمْ يُنْفَ ذَلِكَ عَنْ الْكُفَّارِ ؛ بَلْ قَدْ انْتَفَى عَنْهُمْ السَّمَاعُ الْمُعْتَادُ الَّذِي يَنْتَفِعُونَ بِهِ ، وأَمَّا سَمَاعٌ آخَرُ فَلَا يُنْفَى عَنْهُمْ . وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا : أَنَّ الْمَيِّتَ يَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ إذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ، فَهَذَا مُوَافِقٌ لِهَذَا ، فَكَيْفَ يَدْفَعُ ذَلِكَ ؟ " (١) .

وفي كتابه : " الرَّدُّ المُحكم المتينُ في الرَّدِّ على القَوْل المُبِيْن " ، ناقش الإمام عبد الله بن الصدِّيق الغماري مسألة إنكار عائشة رضي الله عنها لسماع الأموات ، وذكر أنَّه لا ينهض دليلاً في المسألة ، وذكر في ردِّه ستَّة وجوه (٢) ...

**الدَّلِيْلُ الثَّانِي :** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَتَى الْمَقْبُرَةَ ، فَقَالَ : " السَّلام عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا " ، قَالُوا : أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ ؟ يَا رَسُولَ الله قَالَ : " أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ ... " (٣) .

وروى مسلم ، قال : حدَّثنا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، قَالَا : حدَّثنا مُحمَّد بْنُ عَبْدِ الله الْأَسَدِيُّ ، عَنْ سُفْيَانَ ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : " كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْمَقَابِرِ ، فَكَانَ قَائِلُهُمْ يَقُولُ - فِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ - : السَّلام عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ ، - وَفِي رِوَايَةِ زُهَيْرٍ - : السَّلام عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَإِنَّا ، إِنْ شَاءَ اللهُ لَلَاحِقُونَ ، أَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ " (٤) .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٤/ ٢٩٨-٢٩٩) .

(٢) انظر : الرد المحكم المتين في الردِّ على القول المبين (ص٢٣٧- ٢٣٨) .

(٣) أخرجه الربيع بن حبيب في المسند (ص٢٧ برقم ٤٣) ، مالك في الموطأ (١/ ٢٨ برقم ٢٨) ، مسلم (١/ ٢١٨ برقم ٢٤٩) ، ابن خزيمة في الصَّحيح (١/ ٦ برقم ٦) ، أبو عوانة في المستخرج (١/ ١٢٢ برقم ٣٦٠) ، أبو يعلى في المسند (١١/ ٣٨٧ برقم ٦٥٠٢) ، البيهقي في السنن الكبرى (١/ ١٣٣ برقم ٣٨٨) .

(٤) أخرجه مسلم (٢/ ٥٧١ برقم ٩٥٧) .

وروى ابن أبي شيبة وغيره بسندهم عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، أَنَّه كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَصَلَّى ، ثمَّ أَتَى قَبْرَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فَقَالَ : السَّلام عَلَيْكَ يَا رَسُولَ الله ، السَّلام عَلَيْكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ، السَّلام عَلَيْك يَا أَبَتَاهُ ... " [١] .

وفي الحديث أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم خاطب أهل القبور بقوله : " السَّلام عليكم " ، وقوله : "وإنا إن شاء الله بكم لاحقون " ، وهذا يدلُّ دلالة واضحة بيِّنة على أنَّهم يسمعون سلامه وكلامه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ؛ ولو لم يكونوا يسمعون السَّلام ، لم يكن لسلامه ولا لكلامه أي معنى ، ولكان بمثابة مخاطبة من لا يعي ولا يعقل ، أو بمثابة خطاب الجمادات ، وهذا عبثٌ ، والرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لا يعبث ...

كما نصَّ أهل العلم على أنَّ الميِّت يعرف من يزوره ، ويردُّ عليه السَّلام ، قال الإمام ابن تيمية : " وَالْمَيِّتُ قَدْ يَعْرِفُ مَنْ يَزُورُهُ ، وَلِهَذَا كَانَتْ السُّنَّة أَنْ يُقَالَ : السَّلام عَلَيْكُمْ ، أَهْلَ دَارِ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّا إنْ شَاءَ الله بِكُمْ لَاحِقُونَ . وَيَرْحَمُ الله الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَمِنْكُمْ ، وَالْمُسْتَأْخِرِينَ ، وَالله أَعْلَمُ " [٢] .

وقال الإمام ابن القيِّم : " وقد شرع النَّبي لأُمَّته إذا سلَّموا على أهل القبور أن يسلِّموا عليهم سلام من يخاطبونه ، فيقول : " السَّلام عليكم دار قوم مؤمنين " ، وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل ، ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد .

والسَّلف مجمعون على هذا ، وقد تواترت الآثار عنهم بأنَّ الميِّت يعرف زيارة الحي له ويستبشر به .

قال أبو بكر عبد الله بن محمَّد بن عبيد بن أبى الدُّنيا في " كتاب القبور " : باب معرفة الموتى بزيارة الأحياء : حدَّثنا محمَّد بن عون ، حدَّثنا يحيى بن يمان ، عن عبد الله بن سمعان ، عن زيد بن أسلم ، عن عائشة ، رضى الله تعالى عنها ، قالت : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " ما من رجلٍ يزور قبر أخيه ، ويجلس عنده ، إلَّا استأنس به وردَّ عليه حتى يقوم " .

حدثنا محمَّد بن قدامة الجوهري ، حدَّثنا معن بن عيسى القزاز ، أخبرنا هشام بن سعد ، حدَّثنا زيد بن أسلم ، عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ، قال : " إذا مرَّ الرجلُ بقبرِ أخيه يعرفُهُ ، فسلَّم عليه ، ردَّ عليه السَّلام وعرفه ، وإذا مرَّ بقبرٍ لا يعرفه ، فسلَّم عليه ، ردَّ عليه السَّلام ... ويكفي في هذا تسمية المسلم عليهم زائراً ،

---

[١] أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ٢٨ برقم ١١٧٩٣) ، عبد الرزاق في المصنف (٣/ ٥٧٦ برقم ٦٧٢٤) ، البيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٤٠٢ برقم ١٠٢٧١) ، السنن الصغير (٢/ ٢١٠ برقم ١٧٧٠) .

[٢] انظر : الفتاوى الكبرى (٣/ ٢٦) .

ولولا أنَّهم يشعرون به لما صحَّ تسميته زائراً ، فإنَّ المزورَ إن لم يعلم بزيارة من زاره ، لم يصح أن يقال : زاره ، هذا هو المعقول من الزِّيارة عند جميع الأمم ، وكذلك السَّلام عليهم أيضاً ، فإنَّ السَّلام على من لا يشعر ولا يعلم بالمسلم مُحال . وقد علَّم النَّبي أُمَّته إذا زاروا القبور أن يقولوا : " سلام عليكم أهل الدِّيار من المؤمنين والمسلمين ، وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون ، يرحم الله المستقدمين منَّا ومنكم والمستأخرين ، نسأل الله لنا ولكم العافية " .

وهذا السَّلام والخطاب والنِّداء لموجود يسمع ، ويُخاطب ، ويعقل ، ويردُّوا إن لم يسمع المسلم الرَّد ، وإذا صَلَّى الرَّجل قريباً منهم شاهدوه ، وعلموا صلاته ، وغبطوه على ذلك " [١] .

**الدَّلِيْلُ الثَّالِثُ :** عن أَنَسٍ ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم شَاوَرَ النَّاس يَوْمَ بَدْرٍ ، فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، ثمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ : يَا رَسُولَ الله ، إِيَّانَا تُرِيدُ ؟ فَقَالَ الْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ : يَا رَسُولَ الله ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا الْبَحْرَ لَأَخَضْنَاهَا ، وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إلى بَرْكِ الْغِمَادِ فَعَلْنَا ، فَشَأْنَكَ يَا رَسُولَ الله . فَنَدَبَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَصْحَابَهُ ، فَانْطَلَقَ حَتَّى نَزَلَ بَدْراً وَجَاءَتْ رَوَايَا قُرَيْشٍ ، وَفِيهِمْ غُلَامٌ لِبَنِي الحَجَّاجِ أَسْوَدُ ، فَأَخَذَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَسَأَلُوهُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ وَأَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : أَمَّا أَبُو سُفْيَانَ ، فَلَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ، وَلَكِنْ هَذِهِ قُرَيْشٌ ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ قَدْ جَاءَتْ . فَيَضْرِبُونَهُ ، فَإِذَا ضَرَبُوهُ قَالَ : نَعَمْ هَذَا أَبُو سُفْيَانَ ، فَإِذَا تَرَكُوهُ ، فَسَأَلُوهُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ فَقَالَ : مَا لِي بِأَبِي سُفْيَانَ مِنْ عِلْمٍ ، وَلَكِنْ هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ جَاءَتْ وَرَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يُصَلِّي ، فَانْصَرَفَ ، فَقَالَ : " إِنَّكُمْ لَتَضْرِبُونَهُ إِذَا صَدَقَكُمْ ، وَتَدَعُونَهُ إِذَا كَذَبَكُمْ ". وَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بِيَدِهِ فَوَضَعَهَا ، فَقَالَ : " هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا، وَهَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ غداً إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى " . فَالْتَقَوْا فَهَزَمَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَوَالله مَا أَمَاطَ رَجُلٌ مِنْهُمْ عَنْ مَوْضِعِ كَفَّي النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ : فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَقَدْ جَيَّفُوا فَقَالَ : " يَا أَبَا جَهْلٍ يَا عُتْبَةُ يَا شَيْبَةُ يَا أُمَيَّةُ : هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقّاً ؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقّاً ". فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : يَا رَسُولَ الله ، تَدْعُوهُمْ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَقَدْ جَيَّفُوا ؟ فَقَالَ : " مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لما أَقُولُ مِنْهُمْ ، غَيْرَ أَنَّهم لَا يَسْتَطِيعُونَ جَوَاباً " . فَأَمَرَ بِهِمْ ، فَجُرُّوا بِأَرْجُلِهِمْ ، فَأُلْقُوا فِي قَلِيبِ بَدْرٍ " [٢] .

---

(١) انظر : الرُّوح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة (ص٥) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢١/ ٢١ برقم ١٣٢٩٦ ) ، قال الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم ، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد – وهو ابن سلمة – فمن رجال مسلم . عبد الصمد : هو ابن عبد الوارث . وأخرجه مطولاً ومختصراً مسلم (٢٨٧٤) ، وأبو يعلى (٣٣٢٦) ، وابن

فالحديث نصٌّ صريحٌ صحيحٌ في سماع الأموات ، في الوقت الذي لا يوجد في السُّنَّة المطهَّرة ما ينفيه أو يخصِّصه ، والسَّلف مُجمعون على هذا . وقد تواترت الآثار عنهم بأنَّ الميِّت يعرفُ زيارة الحيِّ له ويستبشرُ به .

قال أبو بكر عبد الله بن محمَّد بن عبيد بن أبي الدُّنيا في " كتاب القبور " ، باب معرفة الموتى بزيارة الأحياء :

حدَّثنا محمَّد بن عون ، حدَّثنا يحيى بن يمان ، عن عبد الله بن سمعان ، عن زيد بن أسلم ، عن عائشة رضي الله تعالى عنها ، قالت : قال رسول الله : " ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلَّا استأنس به وردَّ عليه حتى يقوم " .

حدَّثنا محمَّد بن قدامة الجوهرى ، حدَّثنا معن بن عيسى القزاز ، أخبرنا هشام بن سعد ، حدَّثنا زيد بن أسلم ، عن أبى هريرة رضي الله تعالى عنه ، قال : إذا مرَّ الرَّجل بقبر أخيه يعرفه فسلَّم عليه ردَّ عليه السَّلام وعرفه ، وإذا مرَّ بقبر لا يعرفه فسلَّم عليه ردَّ عليه السَّلام " (١) .

هذا ما قاله ابن القيِّم في هذه المسألة التي لا يُوافق على مفرداتها من يدَّعون السَّلفيَّة في هذا الزَّمان الذي أشاعوا فيه الفوضى والفتن التي غدت بترَّهاتهم وتشنُّجاتهم كقِطَعِ الليل المُظلم ... والغريب في الأمر أنَّ الحديث والأثر اللذين نقلهما الإمام ابن القيِّم عن الإمام ابن أبي الدُّنيا قد تمت إزالتهما من مجموعة كتب ابن أبي الدُّنيا الموجودة في المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ... وهذا هو دينهم وديدنهم ، حيث أفتى لهم علماؤهم بمثل هذا التَّحريف والعبث بكتب أهل العلم التي اشتملت على ما يُخالف مذهبهم ومنهجهم ... وهذه هي السَّلفيَّة في ثوبها الجديد القديم ...

**الدَّلِيْلُ الرَّابعُ :** أنَّه لو كان الأموات ومنهم الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لا يسمعون توسُّل المتوسِّلين ، وسلام المسلِّمين ، كما زعم مدَّعو السَّلفيَّة ، فإنَّ من اللغو والعبث أن يخاطب المسلمون الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في صلاتهم قائلين : " السَّلام عليك أيُّها النَّبي ورحمة الله وبركاته " ؟!

فقد روى البخاري ، قال : حدَّثنا أَبُو نُعَيْمٍ ، قَالَ : حدَّثنا الأَعْمَشُ ، عَنْ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ ، قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللهَّ : كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، قُلْنَا : السَّلام عَلَى جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ السَّلام عَلَى فُلاَنٍ وَفُلاَنٍ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فَقَالَ : " إِنَّ اللهَّ هُوَ السَّلام ، فَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ ، فَلْيَقُلْ :

---

حبان (٤٧٢٢) و (٦٤٩٨) من طريق هدبة بن خالد ، وأبو داود (٢٦٨١) ، والبيهقي في " السنن " ٩/ ١٤٧ – ١٤٨، وفي " الدلائل " ٣/ ٤٦ من طريق موسى بن إسماعيل ، كلاهما عن حماد بن سلمة ، بهذا الإسناد .

(١) انظر : الرُّوح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة (ص٥) .

التَّحِيَّاتُ للهِّ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ ، السَّلام عَلَيْكَ أَيُّها النَّبي وَرَحْمَةُ اللهَّ وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلام عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهَّ الصَّالحين ، فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمُوهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ للهِّ صَالِحٍ فِي السَّماء وَالأَرْضِ ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ " (١) .

وروى مسلم وغيره بسندهم عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أنَّه قَالَ : كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يُعَلِّمُنَا التَّشَهُّدَ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ ، فَكَانَ يَقُولُ : التَّحِيَّاتُ الْمُبَارَكَاتُ ، الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ للهِّ ، السَّلام عَلَيْكَ أَيُّها النَّبي وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلام عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالحين ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله " (٢) . وروي مثله عن عبد الله بن مسعود وجابر ...

قال الإمام أبو محمَّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظَّاهري (٤٥٦هـ) : " وَكَذَلِكَ مَا أجمع النَّاس عَلَيْهِ وَجَاء بِهِ النَّص من قَول كلِّ مصلٍّ فرضاً أَو نَافِلَة : السَّلام عَلَيْك أَيُّها النَّبي وَرَحْمَة الله وَبَرَكَاته ، فَلَو لم يكن روحه عَلَيْهِ السَّلام مَوْجُوداً قَائِماً ، لَكَانَ السَّلام على الْعَدَم هدراً " (٣) .

وهذه صاعقة أقضَّت مضاجعهم ، وهدَّت أركانهم ، وهدمت بُنيانهم ، وشتَّتت أفكارهم ، فما كان من الألباني إلَّا أن أسعفهم برواية شاذَّة ضعيفة رويت عن ابن عمر وابن مسعود ، بلفظ : " السَّلام على النَّبي ورحمة الله وبركاته " (٤) . فتشبَّث بها المتمسلفون متنكِّرين وجاحدين وشائحين بوجوههم عمَّا روي في الصَّحيحين من مناداته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، مغيِّرين صيغة السَّلام في صلاة المسلمين ، من الخطاب إلى الغيْبة !

وقد تبع الألباني في ذلك بعض المتمسلفة كالمدعو مشهور حسن ، الذي قال : " غلط قول السَّلام عليك أيُّها النَّبي في التّشهُّد " (٥) .

هذا ما قاله متمسلفة هذا الزَّمان ، وهم في قولهم متنكِّرين لما جاء في الصَّحيحين من حديثه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، والذي التزمه السَّلف ، كما نقل ابن عبَّاس في رواية مسلم : " كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يُعَلِّمُنَا

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٦٦ برقم ٨٣١) .

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٣٠٢ برقم ٤٠٣) ، ابن ماجه (١/ ٢٩١ برقم ٩٠٠) ، ابن حبَّان (٥/ ٢٨٤ برقم ١٩٥٤) ، البيهقي في معرفة السنن والآثار (٣/ ٥٤ برقم ٣٦٥٦) .

(٣) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٧٦) .

(٤) انظر : تَلخيصُ صِفة صَلاة النَّبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم (ص٢٩) ، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٢/ ٢٧) .

(٥) انظر : القول المبين في أخطاء المصلين (ص١٥٢) .

التَّشَهُّدَ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ ... " . فهل تعليم الرَّسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كان خاصَّاً بالصَّحابة أم أنَّ قوله تشريع لعموم الأمَّة ؟!!! فلمــــاذا هذا الليّ لأعنــــاق النُّصوص أيُّها اللصوص ...

وقد ردَّ على الألباني الإمام عبد الله بن الصدِّيق الغماري في رسالته :" إرغام المبتدع الغبي بجواز التَّوسُّل بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم " ، فقال : " ... تواتر عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم تعليم التَّشهُّد في الصَّلاة ، وفيه السَّلام عليه بالخطاب ونداؤه " السَّلام عليك أيُّها النَّبي " وبهذه الصِّيغة علمه على المنبر النَّبوي أبو بكر وعمر وابن الزُّبير ومعاوية ، واستقرَّ عليه الإجماع كما يقول ابن حزم وابن تيمية !

والألباني لابتداعه خالف هذا كلّه ، وتمسَّك بقول ابن مسعود ، " فلمَّا مات قلنا : السَّلام على النَّبي " ، ومخالفة التواتر والإجماع هي عين الابتداع " (١) .

**الدَّلِيْلُ الخَامِسُ :** روى أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النّمري القرطبي (٤٦٣هـ) ، قال : " أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهَّ عُبَيْدُ بْنُ محمَّد قِرَاءَةً مِنِّي عَلَيْهِ سَنَةَ تِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ فِي رَبِيعِ الأَوَّل ، قَالَ : أَمْلَتْ عَلَيْنَا فَاطِمَةُ بِنْتُ الرَّيَّانِ الْمُسْتَمْلِيِّ فِي دَارِهَا بِمِصْرَ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، قَالَتْ : حدَّثنا الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْمُؤَذِّنُ صَاحِبُ الشَّافعي ، قَالَ : حدَّثنا بِشْرُ بْنُ بُكَيْرٍ ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ ، عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ ، عَنِ ابْنِ عبَّاس ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ – صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّم –: " مَا مِنْ أَحَدٍ مَرَّ بِقَبْرِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنيا فَسَلَّمَ عَلَيْهِ إِلَّا عَرَفَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلام " (٢) .

وقد حكم أهل العلم بصحَّة الحديث السَّابق ، وأنَّ الأموات يسمعون من يسلِّم عليهم عند زيارته لهم ، وكذا يردُّ عليه السَّلام ، وفي ذلك يقول الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة : " الْمَسْأَلَة الأولى : وَهِي هَل تعرف الْأَمْوَات زِيَارَة الْأَحْيَاء وسلامهم أم لَا ؟ قَالَ ابْن عبد الْبر : ثَبت عَن النَّبي أَنَّه قَالَ : مَا من مُسلم يمرُّ على قبر أَخِيه كَانَ يعرفهُ فِي الدُّنيا فَيسلم عَلَيْهِ إِلَّا رد الله عَلَيْهِ روحه حَتَّى يرد عَلَيْهِ السَّلام " . فَهَذَا نَصٌّ فِي أَنَّه يعرفُه (٣) بِعَيْنِه وَيرد

---

(١) انظر : إرغام المبتدع الغبي بجواز التَّوسُّل بالنَّبي (ص١٩) .

(٢) انظر : الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والإختصار (٢/ ١٦٦ برقم ١٨٥٨) ، وانظر : تاريخ بغداد (٧/ ٥٩ ترجمة رقم ٣١٢٨) .

(٣) للأسف ... تمَّ شطب كلمة (يعرفه) من نسخة " الرُّوح " الموجودة في المكتبة الشَّاملة (طبعة دار الكتب العلميَّة ، بيروت) ، وما أرى العبث إلَّا متعمَّداً لأنَّه يتعارض مع الفكر الوهَّابي في هذه المسألة ... (انظر : الرُّوح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدَّلائل من الكتاب والسُّنَّة ، ابن قيِّم الجوزيَّة ، (دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، ص٢١) .

عَلَيْهِ السَّلام ... وَيَكْفِي فِي هَذَا تَسْمِيَة الْمُسلم عَلَيْهِم زَائِراً ، وَلَوْلَا أَنَّهم يَشْعُرُونَ بِهِ لما صَحَّ تَسْمِيَته زَائِراً ، فَإِن المزورَ إِن لم يعلم بزيارة من زَارَهُ لم يَصح أَن يُقَال : زَارَهُ ، هَذَا هُوَ الْمَعْقُول من الزِّيَارَة عِنْد جَمِيع الْأُمَم ، وَكَذَلِكَ السَّلام عَلَيْهِم أَيْضاً ، فَإِن السَّلام على من لَا يشْعر وَلَا يعلم بِالْمُسلمِ محَال . وَقد علَّم النَّبي أُمَّته إِذا زاروا الْقُبُور أَن يَقُولُوا : سَلام عَلَيْكُم أهل الدِّيار من الْمُؤمنِينَ وَالْمُسْلِمين ، وَإِنَّا إِن شَاءَ الله بكم لاحقون ، يرحم الله الْمُسْتَقْدِمِينَ منا ومنكم والمستأخرين ، نسْأَل الله لنا وَلكم الْعَافِيَة . وَهَذَا السَّلام وَالْخطاب والنِّداء لموجود يسمعُ ، ويخاطبُ ، وَيعْقلُ ، ويردُّ ، وإِن لم يسمع الْمُسلم الرَّد ، وَإِذا صَلَّى الرجل قَرِيباً مِنْهُم شاهدوه ، وَعَلمُوا صلَاته ، وغبطوه على ذَلِك .

قَالَ يزِيد بن هَارُون : أخبرنَا سُلَيْمَان التيمي ، عَن أَبى عُثْمَان النهدى : أَنَّ ابْن سَاس خرج فِي جَنَازَة فِي يَوْم وَعَلَيهِ ثِيَاب خفاف ، فَانْتهى إِلَى قبر ، قَالَ : فَصلَّيت رَكْعَتَيْنِ ثمَّ اتَّكأت عَلَيْهِ ، فوَاللهَّ إِنَّ قلبى ليقظان إِذْ سَمِعت صَوتاً من الْقَبْر : إِلَيْك عَني لَا تؤذني ، فَإِنَّكُم قومٌ تَعْمَلُونَ وَلَا تعلمُونَ ، وَنحن قومٌ نعلم وَلَا نعمل ، وَلِأَن يكون لي مثل ركعتيك أحبّ إِلَيَّ من كَذَا وَكَذَا . فَهَذَا قد علم باتِّكاء الرَّجل على الْقَبْر وبصلاته .

وَقَالَ ابْن أَبى الدُّنيا : حدَّثني الْحُسَيْن بن على العجلي ، حدَّثنا محمَّد بن الصَّلْت ، حدَّثنا اسماعيل ابْن عَيَّاش ، عَن ثَابت بن سليم ، حدَّثنا أَبُو قلَابَة ، قَالَ : أَقبلت من الشَّام إِلَى الْبَصْرَة ، فَنزلت منزلاً ، فتطهَّرت ، وَصلَّيت رَكْعَتَيْنِ بلَيْل ثمَّ وضعت رأسي على قبرٍ ، فَنمت ثمَّ انْتَبَهت ، فَإِذا صَاحب الْقَبْر يشتكيني ، يَقُول : قد آذيتني مُنْذُ اللَّيْلَة ثمَّ قَالَ : إِنَّكُم تَعْمَلُونَ وَلَا تعلمُونَ ، وَنحن نعلم وَلَا نقدر على الْعَمَل ثمَّ قَالَ : الرَّكعتان اللَّتَان ركعتهما خير من الدُّنيا وَمَا فِيهَا ثمَّ قَالَ : جزى الله أهل الدُّنيا خيراً ، أقرئهم منَّا السَّلام ، فَإِنَّهُ يدْخل علينا من دُعَائِهِمْ نورٌ أَمْثَال الْجبَال . وحدثني الْحُسَيْن العجلى ، حدَّثنا عبد الله بن نمير ، حدَّثنا مَالك بن مغول ، عَن مَنْصُور ، عَن زيد بن وهب ، قَالَ : خرجت إِلَى الْجَبانَة ، فَجَلَست فِيهَا ، فَإِذا رجلٌ قد جَاءَ إِلَى قبرٍ فسوَّاه ثمَّ تحوَّل إِلَيَّ فَجَلَسَ ، قَالَ : فَقلت : لمن هَذَا الْقَبْر ؟ قَالَ : أَخٌ لي ، فَقلت : أَخ لَك ؟ فَقَالَ : أَخٌ لي فِي الله ، رَأَيْته فِيمَا يرى النَّائِم ، فَقلت : فلَان عِشْت الْحَمد لله رب الْعَالمين ، قَالَ : قد قلتهَا لِأَن أقدر على أَن أقولها أحب إِلى من الدُّنيا وَمَا فِيهَا ثمَّ قَالَ : أَلم تَرَ حَيْثُ كَانُوا يدفنونني ؟ فَإِنَّ فلَاناً قَامَ فصلى رَكْعَتَيْنِ ، لِأَن أكون أقدر على أَن أصلِّيهما أحبّ إِلَيَّ من الدُّنيا وَمَا فِيهَا .

حَدَّثني أَبُو بكر التيمي ، حدَّثنا عبد الله بن صَالح ، حدَّثني اللَّيْث بن سعد ، حدَّثني حميد الطَّوِيل ، عَن مطرف بن عبد الله الحرشي ، قَالَ : خرجنَا إِلَى الرّبيع فِي زَمَانه ، فَقُلْنَا : ندخل يَوْم الْجُمُعَة لشهودها وطريقنا على

الْمَقْبرَة ، قَالَ : فَدَخَلْنَا فَرَأَيْت جَنَازَة فِي الْمَقْبرَة ، فَقلت : لَو اغتنمت شُهُود هَذِه الْجِنَازَة ، فشهدتها ، قَالَ : فاعتزلت نَاحيَة قَرِيباً من قبر فركعت رَكْعَتَيْنِ خففتهما لم أَرض اتقانهما ونعست ، فَرَأَيْت صَاحب الْقَبْر يكلمني ، وَقَالَ : ركعت رَكْعَتَيْنِ لم ترض اتقانهما ؟ قلت : قد كَانَ ذَلِك ، قَالَ تَعْمَلُونَ وَلَا تعلمُونَ ، وَلَا نستطيع أَن نعمل ، لِأَن أكون ركعت مثل ركعتيك أحبّ إِلَيّ من الدُّنيا بحذافيرها . فَقلت : من هَا هُنَا ؟ فَقَالَ : كلهم مُسلم وَكلهمْ قد أصَاب خيراً . فَقلت : من هَا هُنَا أفضل ؟ فَأَشَارَ إِلى قبرٍ ، فَقلت فِي نَفسِي : اللهمَّ رَبَّنا أخرجه إِلَيَّ فأكلمه ، قَالَ : فَخرج من قَبره فَتى شَاب ، فَقلت : أَنْت أفضل من هَا هُنَا ؟ قَالَ : قد قَالُوا ذَلِك . قلت : فبأيِّ شَيْء نلْت ذَلِك ؟ فوَاللهَّ مَا أرى لَك ذَلِك السن ، فَأَقُول : نلْت ذَلِك بطول الْحَجِّ وَالْعمْرَة وَالْجِهَاد فِي سَبِيل الله وَالْعَمَل ، قَالَ : قد ابْتليت بالمصائب فرزقت الصَّبْر عَلَيْهَا فبذلك فضلتهم .

وَهَذِه المرائي وَإِن لم تصح بمجرَّدها لإثبات مثل ذَلِك ، فهي على كثرتها وأَنَّها لَا يحصيها إِلَّا الله ، قد تواطأت على هَذَا الْمَعْنى . وَقد قَالَ النَّبي : " أرى رُؤْيا رؤياكم قد تواطأت على أَنَّها فِي الْعشْر الْأَوَاخِر يَعْنِي لَيْلَة الْقدر " (١) . فَإِذا تواطأت رُؤْيا الْمُؤمنِينَ على شَيْء كَانَ كتواطؤ روايتهم لَهُ ، وكتواطؤ رَأْيهمْ على استحسانه واستقباحه ، وَمَا رَآهُ الْمُسلمُونَ حسناً فَهُوَ عِنْد الله حسن ، وَمَا رَأَوْهُ قبيحاً فَهُوَ عِنْد الله قَبِيح . على أَنَّا لم نثبت هَذَا بِمُجَرَّد الرُّؤْيَا ، بل بِمَا ذَكَرْنَاهُ من الْحجَج وَغَيرهَا " (٢) .

أقول : وهذه رسالة من الإمام ابن القيِّم نقدِّمها لمتمسلفة اليوم ، علَّهم يرجعون إلى صوابهم ، ويعودوا عن غيِّهم ، وما أطلتُ النَّقل في هذه المسألة وغيرها عن ابن القيِّم إلَّا لهذا الغرض ، مع علمي التَّام بل يقيني أنَّهم لن يرعَوُوا ، ولن ينصتوا وينصاعوا للحقِّ بعدما تبيَّن ، لأنَّنا نعلم أنَّهم ينطلقون في نقاشهم مع الآخرين من منطلق : كلامك خطأ لا يحتمل الصَّواب ، وكلامنا صواب لا يحتمل الخطأ ... ونحن ننطلق من منطلق : ﴿وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف : ١٦٤] .

**الدَّلِيْلُ السَّادِسُ :** عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ الله عَنْهُ ، عَنِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَالَ : " العَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ ، وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى أَنَّه لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ ، أَتَاهُ مَلَكَانِ ، فَأَقْعَدَاهُ ، فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ؟ فَيَقُولُ : أَشْهَدُ أَنَّه عَبْدُ اللهَّ وَرَسُولُهُ ، فَيُقَالُ : انْظُرْ إِلى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّار أَبْدَلَكَ

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ٠٩ برقم ٥٤٠١) ، أبو يعلى في المسند (٩/ ٤٠١ برقم ٥٥٤٢) .

(٢) انظر : الرُّوح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة (ص٥ فما بعدها) .

اللهُ بِهِ مَقْعَداً مِنَ الجنَّة ، قَالَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " فَيَرَاهُمَا جَمِيعاً ، وأمَّا الكَافِرُ - أَوِ الْمُنَافِقُ - فَيَقُولُ : لاَ أَدْرِي ، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاس ، فَيُقَالُ : لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ ، ثمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ " (١) .

والحديث فيه تصريحٌ من النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بأنَّ الميِّت في قبره يسمعُ قرعَ نعالِ من دفنوه إذا رجعوا ، وهو نصٌّ صحيحٌ صريحٌ في سماع الموتى ، وظاهره العموم في كلِّ من دُفِنَ ، ولم يذكر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فيه تخصيصاً ، كما أنَّه يسمع كلام الملَكين عند سؤالهما له في القبر ....

جاء في فتاوى الإمام ابن تيمية (٧٢٨هـ) : " وَسُئِلَ - رَحِمَهُ الله - : هَلْ الْمَيِّتُ يَسْمَعُ كَلَامَ زَائِرِهِ وَيَرَى شَخْصَهُ ؟ ... فَأَجَابَ :

الْحَمْدُ للهَّ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، نَعَمْ يَسْمَعُ الْمَيِّتُ فِي الْجُمْلَةِ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أنَّه قَالَ : " يَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّونَ عَنْهُ " . وَثَبَتَ عَنْ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : "أَنَّهُ تَرَكَ قَتْلَى بَدْرٍ ثَلَاثاً ثمَّ أَتَاهُمْ ، فَقَالَ : يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ ، يَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ ، يَا عتبة بْنَ رَبِيعَةَ ، يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقّاً ؟ فَإِنِّي وَجَدْت مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقّاً " ، فَسَمِعَ عُمَرُ رَضِيَ الله عَنْهُ ذَلِكَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهَّ ، كَيْفَ يَسْمَعُونَ وَأَنَّى يُجِيبُونَ وَقَدْ جُيِّفُوا ؟ فَقَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتَ بِأَسْمَعَ لما أَقُولُ مِنْهُمْ ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا " (٢) ، ثمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَسُحِبُوا فِي قَلِيبِ بَدْرٍ . وَكَذَلِكَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عُمَرَ : أَنَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٩٠ برقم ١٣٣٨) ، مسلم (٤/ ٢٢٠٠ برقم ٢٨٧٠) ، أحمد في المسند (٣/ ١٢٦ برقم ١٢٢٩٣) ، أبو داود (٣/ ٢١٧ برقم ٣٢٣١) ، النسائي في السنن الكبرى (٢/ ٤٧٢ برقم ٢١٨٨) ، ابن حبان (٧/ ٣٩٠ برقم ٣١٢٠) ، الآجري في الشريعة (٣/ ١٢٨٩ برقم ٨٥٩) ، ابن منده في الإيمان (٢/ ٩٦٦ برقم ١٠٦٦) ، البيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٣٤ برقم ٧٢١٧) ، إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين (ص٣٣ برقم ١٣) ، أبو عوانه في المسند (١/ ٥٣ برقم ١٩٧) ، عبد بن حميد في المسند (ص٣٥٦ برقم ١١٨٠) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٩/ ٧٧ برقم١٢٠٢٠ ) ، قال الأرنؤوط في تخريجه للمسند : " إسناده صحيح على شرط الشيخين. ابن أبي عدي: اسمه محمد بن إبراهيم.

وأخرجه عبد بن حميد (١٢١١) و (١٤٠٥) ، وابن أبي عاصم في "السنة" (٨٧٨) و (٨٧٩) و (٨٨٠) و (٨٨١) و (٨٨٢) ، والنسائي ٤/ ١٠٩، وأبو يعلى (٣٨٠٨) و (٣٨٠٩) و (٣٨٥٧) ، وابن حبان (٦٥٢٥) من طرق عن حميد الطويل، بهذا الإسناد.

وسيأتي الحديث من طريق حميد الطويل برقم (١٢٨٧٣) و (١٣٧٧٣) ، ومن طريق قتادة برقم (١٢٤٧١) ، ومن طريق ثابت البناني برقم (١٣٢٩٦) .

وقد روي الحديث من طريق ثابت، عن أنس، عن عمر بن الخطاب. وقد سلف في مسنده برقم (١٨٢) .

النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَقَفَ عَلَى قَلِيبِ بَدْرٍ ، فَقَالَ : هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقّاً ؟ وَقَالَ : " أَنَّهم يَسْمَعُونَ الْآنَ مَا أَقُولُ " (١) . وَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ أَنَّه كَانَ يَأْمُرُ بِالسَّلَامِ عَلَى أَهْلِ الْقُبُورِ . وَيَقُولُ : " قُولُوا السَّلام عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَإِنَّا إنْ شَاءَ الله بِكُمْ لَاحِقُونَ ، وَيَرْحَمُ الله الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَمِنْكُمْ وَالْمُسْتَأْخِرِين ، نَسْأَلُ اللهَّ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ ، اللهمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُمْ ، وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُمْ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُمْ " (٢) ، فَهَذَا خِطَابٌ لَهُمْ ، وإنَّما يُخَاطَبُ مَنْ يَسْمَعُ ، وَرَوَى ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ عَنْ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَنَّه قَالَ : " مَا مِنْ رَجُلٍ يَمُرُّ بِقَبْرِ رَجُلٍ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنيا فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ إلَّا رَدَّ الله عَلَيْهِ رُوحَهُ حَتَّى يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلام " . وَفِي السُّنَنِ عَنْهُ أَنَّه قَالَ : " أَكْثِرُوا مِنْ الصَّلاة عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهَّ ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْك ؟ وَقَدْ أَرَمْت - يَعْنِي صِرْت رَمِيماً – فَقَالَ : إنَّ اللهَّ تَعَالَى حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ لُحُومَ الْأَنْبِيَاءِ " . وَفِي السُّنَنِ أَنّه قَالَ : " إنَّ اللهَّ وَكَّلَ بِقَبْرِي مَلَائِكَةً يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلام " . فَهَذِهِ النُّصُوصُ وَأَمْثَالُهَا تُبَيِّنُ أَنَّ الْمَيِّتَ يَسْمَعُ فِي الْجُمْلَةِ كَلَامَ الْحَيِّ ، وَلَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ السَّمْعُ لَهُ دَائِماً ، بَلْ قَدْ يَسْمَعُ فِي حَالٍ دُونَ حَالٍ ، كَمَا قَدْ يَعْرِضُ لِلْحَيِّ ، فَإِنَّهُ قَدْ يَسْمَعُ أَحْيَاناً خِطَابَ مَنْ يُخَاطِبُهُ ، وَقَدْ لَا يَسْمَعُ لِعَارِضٍ يَعْرِضُ لَهُ ، وَهَذَا السَّمْعُ سَمْعُ إدْرَاكٍ لَيْسَ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ جَزَاءٌ وَلَا هُوَ السَّمْعُ الْمَنْفِيُّ بِقَوْلِهِ : " إنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى " ، فَإِنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ سَمْعُ الْقَبُولِ وَالِامْتِثَالِ ، فَإِنَّ اللهَّ جَعَلَ الْكَافِرَ كَالْمَيِّتِ الَّذِي لَا

---

وفي الباب عن ابن عمر، سلف برقم (٤٨٦٤) .

وعن أبي طلحة، سيأتي ٤/ ٢٩.

وعن عائشة، سيأتي ٦/ ٢٧٦.

وعن ابن مسعود عند ابن أبي عاصم (٨٨٤) ، والطبراني في "الكبير" (١٠٣٢٠) .

قوله: "جيفوا" بتشديد الياء على بناء الفاعل، أي: صاروا جيفاً، والجيفة، بكسر الجيم: جثة الميت إذا انتن، فهو أخصُ من الميْتة " .

(١) أخرجه أحمد في المسند (٩/ ٢٠ برقم ٤٩٥٨) ، قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط الشيخين. هشام: هو ابن عروة بن الزبير.

وأخرجه ابن أبي شيبة ١٤/ ٣٧٧، واليخاري (٣٩٨٠) و (٣٩٨١) ، والنسائي في " المجتبى"٤/ ١١٠، والطبراني في "الكبير" (١٣٢٦٣) من طريق عبدة بن سليمان، بهذا الإسناد.

وأخرجه البخاري (٣٩٧٨) ، ومسلم (٩٣٢) (٢٦) من طريق أبي أسامة حماد بن أسامة، عن هشام، عن أبيه، قال: ذكر عند عائشة أن ابن عمر يرفع ... " .

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٦٧١ برقم ٩٧٥) .

يَسْتَجِيبُ لِمَنْ دَعَاهُ ، وَكَالْبَهَائِمِ الَّتِي تَسْمَعُ الصَّوْتَ وَلَا تَفْقَهُ الْمَعْنَى ، فَالْمَيِّتُ وَإِنْ سَمِعَ الْكَلَامَ وَفَقِهَ الْمَعْنَى ، فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُهُ إجَابَةُ الدَّاعِي ، وَلَا امْتِثَالُ مَا أَمَرَ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ ، فَلَا يَنْتَفِعُ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، وَكَذَلِكَ الْكَافِرُ لَا يَنْتَفِعُ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَإِنْ سَمِعَ الْخِطَابَ وَفَهِمَ الْمَعْنَى ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ﴾ [الأنفال : ٢٣] (١) .

قلت : والحديث الذي ذكره ابن تيمية : " مَا مِنْ رَجُلٍ يَمُرُّ بِقَبْرِ رَجُلٍ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنيا فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ إلَّا رَدَّ الله عَلَيْهِ رُوحَهُ حَتَّى يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلام " . تضمَّن تحريفاً ، فنصُّ الحديث كما في " الاستذكار " هو : " مَا مِنْ أَحَدٍ مَرَّ بِقَبْرِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنيا فَسَلَّمَ عَلَيْهِ إلَّا عَرَفَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلام " (٢) .

وجاء في فتاوى الإمـــام ابن تيمية أيضاً : " وَسُئِلَ - رَحِمَهُ الله -: هَلْ يَتَكَلَّمُ الْمَيِّتُ فِي قَبْرِهِ ؟ أَمْ لَا ؟ . فَأَجَابَ :

يَتَكَلَّمُ وَقَدْ يَسْمَعُ أَيْضاً مَنْ كَلَّمَهُ ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحيح عَنْ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَنَّه قَالَ : " أَنَّهم يَسْمَعُونَ قَرْعَ نِعَالِهِمْ " ، وَثَبَتَ عَنْهُ فِي الصَّحيح : " أَنَّ الْمَيِّتَ يُسْأَلُ فِي قَبْرِهِ : فَيُقَالُ لَهُ : مَنْ رَبُّك ؟ وَمَا دِينُك ؟ وَمَنْ نَبِيُّك ؟ فَيُثَبِّتُ الله الْمُؤْمِنَ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ، فَيَقُولُ : الله رَبِّي ، وَالْإِسْلَامُ دِينِي ، ومحمَّد نَبِيِّي ، وَيُقَالُ لَهُ : مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ : هُوَ عَبْدُ اللهَّ وَرَسُولُهُ ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى فَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ " . وَهَذَا تَأْوِيلُ قَوْله تعَالَى : ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ [إبراهيم : ٢٧] . وَقَدْ صَحَّ عَنْ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَنَّها نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ " (٣) .

وقال الإمام محمَّد بن مفلح بن محمَّد بن مفرج ، أبو عبد الله ، شمس الدِّين المقدسي الرَّامينى ثمَّ الصَّالحي الحنبلي (٧٦٣هـ) : " وَيَسْمَعُ الْمَيِّتُ الْكَلَامَ ، وَلِأَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ عَمَّنْ سَمِعَ أَنَساً عَنْهُ مَرْفُوعاً : "إنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَى أَقَارِبِكُمْ وَعَشَائِرِكُمْ مِنْ الْأَمْوَاتِ ، فَإِنْ كَانَ خَيْراً اسْتَبْشَرُوا ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ قَالُوا : اللهمَّ لَا تُمِتْهُمْ حَتَّى تَهْدِيَهُمْ كَمَا هَدَيْتنَا " وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُد الطَّيَالِسِيُّ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ جَابِرٍ مَرْفُوعاً ، وَهُوَ ضَعِيفٌ ، قَالَ أَحْمَدُ :

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٦٣) .

(٢) انظر : الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار (٢/ ١٦٦ برقم ١٨٥٨) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٧٩) .

يَعْرِفُ زَائِرَهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَعْدَ الْفَجْرِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ : وَفِي الْغُنْيَةِ : يَعْرِفُهُ كُلَّ وَقْتٍ ، وَهَذَا الْوَقْتُ آكَدُ ، وَأَطْلَقَ أَبُو محمَّد الْبَرْبَهَارِيُّ مِنْ مُتَقَدِّمِي أَصْحَابِنَا أَنَّه يَعْرِفُهُ . وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي كِتَابِهِ السِّرِّ الْمَصُون : الَّذِي يُوجِبُهُ الْقُرْآنُ وَالنَّظَرُ أَنَّ الْمَيِّتَ لَا يَسْمَعُ وَلَا يُحِسُّ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [فاطر : ٢٢] . وَمَعْلُومٌ أَنَّ آلَاتِ الْحِسِّ قَدْ فُقِدَتْ ، وَأَجَابَ عَنْ خِلَافِ هَذَا بِرَدِّ الْأَرْوَاحِ ، وَالتَّعْذِيبُ عِنْدَهُ وَعِنْدَ ابْنِ عَقِيلٍ عَلَى الرُّوحِ فَقَطْ ، وَعِنْدَ الْقَاضِي يُعَذَّبُ الْبَدَنُ أَيْضاً ، وَأَنَّ اللهَّ يَخْلُقُ فِيهِ إِدْرَاكاً . وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ أَيْضاً : وَمِنْ الْجَائِزِ أَنْ يُجْعَلَ الْبَدَنُ مُعَلَّقاً بِالرُّوحِ فَيُعَذَّبُ فِي الْقَبْرِ . وَفِي الْإِفْصَاحِ فِي حَدِيثِ بُرَيْدَةَ فِي السَّلام عَلَى أَهْلِ الْمَقَابِرِ . قَالَ : فِيهِ وُجُوبُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ الْمَوْتَى يَسْمَعُونَ سَلَامَ الْمُسَلِّمِ عَلَيْهِمْ ، وأَنَّه لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لِيَأْمُرَ بِالسَّلَامِ عَلَى قَوْمٍ لَا يَسْمَعُون .

قَالَ شَيْخُنَا : - يقصد ابن تيمية - اسْتَفَاضَتْ الْآثَارُ بِمَعْرِفَتِهِ بِأَحْوَالِ أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ فِي الدُّنيا ، وَأَنَّ ذَلِكَ يُعْرَضُ عَلَيْهِ ، وَجَاءَتْ الْآثَارُ بِأَنَّهُ يَرَى أَيْضاً ، وَبِأَنَّهُ يَدْرِي بِمَا يُفْعَلُ عِنْدَهُ ، وَيُسَرُّ بِمَا كَانَ حَسَناً ، وَيَتَأَلَّمُ بِمَا كَانَ قَبِيحاً ، وَكَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُولُ : اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِك أَنْ أَعْمَلَ عَمَلاً أُخْزَى بِهِ عِنْدَ عَبْدِ اللهَّ بْنِ رَوَاحَةَ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّهِ . ولَمَّا دُفِنَ عُمَرُ عِنْدَ عَائِشَةَ كَانَتْ تَسْتَتِرُ مِنْهُ وَتَقُولُ : إِنَّمَا كَانَ أَبِي وَزَوْجِي ، وأَمَّا عُمَرُ فَأَجْنَبِيٌّ . تَعْنِي أَنَّه يَرَاهَا " (١) .

وسئل الإمام السُّيوطي (٩١١هـ) : " هل يسمع الميت كلام النَّاس وثناءهم عليه ، وقولهم فيه ؟ فأجاب : " نعم ... أخرج الإمام أحمد في مسنده ، والمروزي في الجنائز ، وابن أبي الدُّنيا ، وغيرهم من طريق أبي عامر العقدي عن عبد الملك بن الحسن المدني عن سعد بن عمرو بن سليم عن معاوية أو ابن معاوية وعن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " إِنَّ الْمَيِّتَ يَعْرِفُ مَنْ يَحْمِلُهُ وَمَنْ يُغَسِّلُهُ ، وَمَنْ يُدَلِّيهِ فِي قَبْرِهِ " (٢) ، وأخرجه الطَّبراني في الأوسط من طريق آخر عن أبي سعيد ، وأخرج ابن أبي الدُّنيا ، وغيره بأسانيد ،

---

(١) انظر : كتاب الفروع ومعه تصحيح الفروع (٣/ ٤١٥-٤١٦) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٧/ ٢٩ برقم ١٠٩٩٧) ، قال الأرنؤوط في تخريج المسند : " إسناده ضعيف لإبهام راويه عن أبي سعيد ، وبقية رجاله ثقات . أبو عامر : هو عبد الملك بن عمرو العقدي ، وعبد الملك بن حسن الحارثي : هو ابن أبي حكيم الجاري أبو مروان الأحول . وسعيد بن عمرو بن سُليم : هو الزرقي الأنصاري ، من رجال التعجيل ، وثقه أحمد وابن معين ، وترجمه البخاري في " التَّاريخ الكبير " ٣/ ٤٩٩، وقال : يقال : سعْد ، وابن أبي حاتم في " الجرح والتعديل " ٤/ ٥٠ ، وذكره ابن حبان في " الثقات " ٦/ ٣٤٩ . وأخرجه الخطيب في "تاريخه" ١٢/ ٢١٢ من طريق أبي عامر العقدي، بهذا الإسناد . وأخرجه أبو نعيم في " أخبار أصبهان " ١/ ٢٠٨ من طريق عطية العوْفي ، عن أبي سعيد، به . وعطية

عن عمرو بن دينار ، وبكر بن عبد الله المزني ، وسفيان الثَّوري ، وغيرهم معنى ذلك ، وقال ابن أبي الدُّنيا : حدَّثنا سريج بن يونس ، ثنا عبيدة بن حميد أخبرني عمار ، عن سالم بن أبي الجعد ، قال : قال حذيفة : الرُّوح بيد ملك وأنَّ الجسد ليغسل وأنَّ الملك ليمشي معه إلى القبر ، فإذا سوي عليه سلك فيه فذلك حين يخاطب ، وقال : ثنا الحسين بن عمرو القرشي ، ثنا أبو داود الحفري ، ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الرَّحمن بن زياد ، عن عبد الرَّحمن بن أبي ليلى ، قال : الرُّوح بيد ملك يمشي به مع الجنازة ، يقول له : اسمع ما يقال لك ، فإذا بلغ حفرته دفنه معه " (١) .

وقال الإمام منصور بن يونس بن صلاح الدِّين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى (١٠٥١هـ) : " ... وَيَسْمَعُ الْمَيِّتُ الْكَلَامَ ، بِدَلِيلِ حَدِيثِ السَّلام عَلَى أَهْلِ الْمَقَابِرِ ، قَالَ الشَّيخ تَقِيُّ الدِّين : وَاسْتَفَاضَتْ الْآثَارُ بِمَعْرِفَةِ الْمَيِّتِ بِأَحْوَالِ أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ فِي الدُّنيا ، وَأَنَّ ذَلِكَ يُعْرَضُ عَلَيْهِ ، وَجَاءَتْ الْآثَارُ بِأَنَّهُ يَرَى أَيْضاً ، وَبِأَنَّهُ يَدْرِي بِمَا فُعِلَ عِنْدَهُ ، وَيُسَرُّ بِمَا كَانَ حَسَناً وَيَتَأَلَّمُ بِمَا كَانَ قَبِيحاً ، وَكَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُولُ : " اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِك أَنْ أَعْمَلَ عَمَلاً أُجْزَى بِهِ عِنْدَ عَبْدِ الرَّحمن بْنِ رَوَاحَةَ ، وَكَانَ ابْنَ عَمِّهِ . ولَمَّا دُفِنَ عُمَرُ عِنْدَ عَائِشَةَ كَانَتْ تَسْتَتِرُ مِنْهُ ، وَتَقُولُ : " إنَّما كَانَ أَبِي وَزَوْجِي ، فَأَمَّا عُمَرُ فَأَجْنَبِيٌّ " . وَيَعْرِفُ الْمَيِّتُ زَائِرَهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، قَالَهُ أَحْمَدُ . وَفِي الْغُنْيَةِ يَعْرِفهُ كُلَّ وَقْتٍ وَهَذَا الْوَقْتُ آكَدُ ، وَيَنْتَفِعُ بِالْخَيْرِ ، وَيَتَأَذَّى بِالْمُنْكَرِ عِنْدَهُ " (٢) .

**الدَّلِيْلُ السَّابِعُ** : ما اعتاد عليه النَّاس من تلقين الميِّت في قبره ، ولولا أنَّهم علموا وفهموا من خلال الأدلَّة السَّابقة وغيرها أنَّ الأموات يسمعون ، ويتكلَّمون بجواب منكر ونكير حين يسألانه ، لما لقَّنوهم ، فقد روى الطَّبراني بسنده عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ الْأَوْدِيِّ ، قَالَ : شَهِدْتُ أَبَا أُمَامَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ وَهُوَ فِي النَّزْعِ ، قَالَ : إِذَا أَنَا مُتُّ فَاصْنَعُوا بِي كَمَا أَمَرَنَا رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَنْ نَصْنَعَ بِمَوْتَانَا ، أَمَرَنَا رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " إِذَا مَاتَ أَحَدٌ مِنْ إِخْوَانِكُمْ فَسَوَّيْتُمُ التُّرَابَ عَلَى قَبْرِهِ فَلْيَقُمْ أَحَدُكُمْ عَلَى رَأْسِ قَبْرِهِ ، ثمَّ لِيَقُلْ : يَا فُلَانُ ابْنَ

---

ضعيف . وأورده الهيثمي في " مجمع الزوائد " ٣/ ٢١ ، وقال : رواه أحمد، والطبراني في " الأوسط " ، وفيه رجل لم أجد من ترجمه . وسيأتي برقم (١١٦٠٠) . قال السندي : قوله : " ومن يدليه " : من التدلية أو الإدلاء : أي : من يدخله في قبره . وقال : لكن له شاهد في الصَّحيح من رواية أبي سعيد : " إذا وضعت الجنازة ، فاحتملها الرجال ، فإن كانت صالحة ، قالت : قدموني ، وإن كانت غير صالحة ، قالت لأهلها : يا ويلها ، أين تذهبون بها " . ومثله جاء عن أبي هريرة ، والله تعالى أعلم .

(١) انظر : الحاوي للفتاوي (٢/ ١٦٢) .

(٢) انظر : كشاف القناع عن متن الإقناع (٢/ ١٦٥) .

فُلَانَة ، فَإِنَّهُ يَسْمَعُهُ وَلَا يُجِيبُ ، ثمَّ يَقُولُ يَا فُلَانُ ابْنَ فُلَانَةَ ، فَإِنَّهُ يَسْتَوِي قَاعِداً ، ثمَّ يَقُولُ : يَا فُلَانُ ابْنَ فُلَانَةَ ، فَإِنَّهُ يَقُولُ : أَرْشِدْ رَحِمَكَ الله وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ، فَلْيَقُلِ : اذْكُرْ مَا خَرَجْتَ عَلَيْهِ مِنَ الدُّنيا شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّكَ رَضِيتُ بِاللهَّ رَبّاً ، وَبِالْإِسْلَامِ دِيناً وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيّاً ، وَبِالْقُرْآنِ إِمَاماً ، فَإِنَّ مُنْكَراً وَنَكِيراً يَأْخُذُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِيَدِ صَاحِبِهِ وَيَقُولُ : انْطَلِقْ مَا نَقْعُدُ عِنْدَ مَنْ قَدْ لُقِّنَ حُجَّتَهُ ، فَيَكُونُ الله عَزَّ وَجَلَّ حَجِيجَهُ دُونَهُمَا ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللهَّ فَإِنْ لَمْ يَعْرِفْ أُمَّهُ قَالَ : " يَنْسُبُهُ إِلى حَوَّاءَ عَلَيْهَا السَّلام ، يَا فُلَانُ ابْنَ حَوَّاءَ " (١) .

والحديث وإن كان فيه ضعف على ما ذكر البعض ... إلَّا أنَّ عليه عملُ النَّاس في سائر الأمصار والأعصار ، قال الإمام ابن تيمية : " وروي في تلقين الميِّت بعد الدَّفن حديث فيه نظر ، لكن عمل به رجال من أهل الشَّام الأوَّلين ، مع روايتهم له ، فلذلك استحبَّه أكثرُ أصحابِنا ، وغيرهم " (٢) .

وجاء في فتاوى ابن تيمية : " وَسُئِلَ – رَحِمَهُ الله –: مُفْتِي الْأَنَامِ بَقِيَّةُ السَّلف الْكِرَامِ تَقِيُّ الدِّين بَقِيَّةُ الْمُجْتَهِدِينَ أَثَابَهُ الله وَأَحْسَنَ إلَيْهِ عَنْ تَلْقِينِ المَيِّتِ فِي قَبْرِهِ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ دَفْنِهِ هَلْ صَحَّ فِيهِ حَدِيثٌ عَنْ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَوْ عَنْ صَحَابَتِهِ ؟ وَهَلْ إذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شَيْءٌ يَجُوزُ فِعْلُهُ ؟ أَمْ لَا ؟ .

فَأَجَابَ : هَذَا التَّلْقِينُ الْمَذْكُورِ قَدْ نُقِلَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْ الصَّحابة : أَنَّهم أَمَرُوا بِهِ كَأَبِي أمامة الْبَاهِلِيِّ وَغَيْرِهِ . وَرُوِيَ فِيهِ حَدِيثٌ عَنْ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لَكِنَّهُ مِمَّا لَا يُحْكَمُ بِصِحَّتِهِ ؛ وَلَمْ يَكُنْ كَثِيرٌ مِنْ الصَّحابة يَفْعَلُ ذَلِكَ ، فَلِهَذَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَد وَغَيْرُهُ مِنْ الْعُلَمَاءِ : إنَّ هَذَا التَّلْقِينَ لَا بَأْسَ بِهِ ، فَرَخَّصُوا فِيهِ وَلَمْ يَأْمُرُوا بِهِ ، وَاسْتَحَبَّهُ طَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِ الشَّافعي وَأَحْمَد ، وَكَرِهَهُ طَائِفَةٌ مِنْ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ وَغَيْرِهِمْ .

وَالَّذِي فِي السُّنَن : عَنْ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَنَّه كَانَ يَقُومُ عَلَى قَبْرِ الرَّجُلِ مِنْ أَصْحَابِهِ إذَا دُفِنَ ، وَيَقُولُ : " سَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ " ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَالَ : " لَقِّنُوا أَمْوَاتَكُمْ لَا إلَهَ إلَّا الله " . فَتَلْقِينُ الْمُحْتَضِرِ سُنَّةٌ مَأْمُورٌ بِهَا . وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ الْمَقْبُورَ يُسْأَلُ وَيُمْتَحَنُ وأَنَّه يُؤْمَرُ بِالدُّعَاءِ لَهُ ؛ فَلِهَذَا قِيلَ : إنَّ التَّلْقِينَ يَنْفَعُهُ ، فَإِنَّ الْمَيِّتَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ . كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيح عَنْ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَنَّه قَالَ : " أَنَّه لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ " ، وأَنَّه قَالَ : " مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لما أَقُولُ مِنْهُمْ " وأَنَّه أَمَرَنَا بِالسَّلَامِ عَلَى

(١) أخرجه الطبراني في الدُّعاء (ص٣٦٤ برقم ١٢١٤) ، المعجم الكبير (٨/ ٢٤٩ برقم ٧٩٧٩) .

(٢) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ١٧٩) .

الْمَوْتَى . فَقَالَ : " مَا مِنْ رَجُلٍ يَمُرُّ بِقَبْرِ الرَّجُلِ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنيا فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِلَّا رَدَّ الله رُوحَهُ حَتَّى يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلام " ، وَاللهُ أَعْلَمُ " .

وَسُئِلَ – رَحِمَهُ الله – : هَلْ يَجِبُ تَلْقِينُ الْمَيِّتِ بَعْدَ دَفْنِهِ ؟ أَمْ لَا ؟ وَهَلْ الْقِرَاءَةُ تَصِلُ إِلى الْمَيِّتِ ؟ .

فَأَجَابَ : تَلْقِينُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ لَيْسَ وَاجِباً بِالْإِجْمَاعِ ، وَلَا كَانَ مِنْ عَمَلِ الْمُسْلِمِينَ الْمَشْهُورِ بَيْنَهُمْ عَلَى عَهْدِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَخُلَفَائِهِ . بَلْ ذَلِكَ مَأْثُورٌ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْ الصَّحابة ؛ كَأَبِي أمامة ، وَوَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ . فَمِنْ الْأَئِمَّةِ مَنْ رَخَّصَ فِيهِ كَالْإِمَامِ أَحْمَد ، وَقَدْ اسْتَحَبَّهُ طَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَأَصْحَابِ الشَّافعي . وَمِنْ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَكْرَهُهُ لِاعْتِقَادِهِ أَنَّه بِدْعَةٌ . فَالْأَقْوَالُ فِيهِ ثَلَاثَةٌ : الِاسْتِحْبَابُ ، وَالْكَرَاهَةُ ، وَالْإِبَاحَةُ ، وَهَذَا أَعْدَلُ الْأَقْوَالِ " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب بن سعد شمس الدِّين ابن قيِّم الجوزيَّة (٧٥١هـ) : " وَيدلُّ على هَذَا أَيْضاً مَا جرى عَلَيْهِ عمل النَّاس قَدِيماً وَإِلَى الْآن من تلقين الْمَيِّت فِي قَبره ، وَلَوْلَا أَنَّه يسمع ذَلِك وَيَنْتَفع بِهِ لم يكن فِيهِ فَائِدَة ، وَكَانَ عَبَثاً ، وَقد سُئِلَ عَنهُ الإِمَام أَحْمد رَحمَه الله فَاسْتَحْسَنَهُ وَاحْتجَّ عَلَيْهِ بِالْعَمَلِ .

ويروى فِيهِ حَدِيث ضَعِيف ذكره الطَّبراني فِي مُعْجَمه من حَدِيث أَبى أُمَامَة ، قَالَ : قَالَ رَسُول الله : " إِذا مَاتَ أحدكُم فسوَّيتم عَلَيْهِ التُّرَاب ، فَليقمْ أحدكُم على رَأس قَبره ثمَّ يَقُول : يَا فلَان ابْن فُلَانَة ، فَإِنَّهُ يسمع ولايجيب ، ثمَّ ليقل : يَا فلَان ابْن فُلَانَة الثَّانِيَة ، فَإِنَّهُ يَسْتَوِي قَاعِداً ، ثمَّ ليقل : يَا فلَان ابْن فُلَانَة ، يَقُول : أرشدنا رَحِمك الله ، وَلَكِنَّكُمْ لاتسمعون . فَيَقُول : أذكر مَا خرجت عَلَيْهِ من الدُّنيا : شَهَادَة أَن لَا إِلَه إِلَّا الله ، وانَّ مُحَمَّداَ رَسُول الله ، وَأَنَّك رضيت بِاللهَّ رَبّاً ، وَبِالْإِسْلَام ديناً ، وَبِمُحَمَّدٍ نَبياً ، وَبِالْقُرْآنِ إِمَاماً ، فإِنَّ مُنْكراً ونكيراً يتَأَخَّر كل وَاحِد مِنْهُمَا ، وَيَقُول : انْطلق بِنَا مَا يقعدنا عِنْد هَذَا وَقد لقن حجَّته ، وَيكون الله وَرَسُوله حجيجه دونهمَا . فَقَالَ رجل : يَا رَسُول الله فَإِن لم يعرف أمه ، قَالَ ينْسبهُ إِلى أُمِهِ حَوَّاء .

فَهَذَا الحَدِيث وَإِن لم يثبت فاتِّصال الْعَمَل بِهِ فِي سَائِر الْأَمْصَار والأعصار من غير إنكار ، كَاف فِي الْعَمَل بِهِ وَمَا أجْرى الله سُبْحَانَهُ الْعَادة قطّ بِأَنَّ أُمة طبقت مَشَارِق الأَرْض وَمَغَارِبهَا ، وَهِي أكمل الْأُمَم عقولاً ، وأوفرها معارف ، تطِيق على مُخَاطبَة من لَا يسمع وَلَا يعقل ، وتستحسن ذَلِك ، لاينكره مِنْهَا مُنكر ، بل سنَّه الأوَّل للآخر ، ويقتدي فِيهِ الآخر بِالْأَوَّلِ ، فلولا أنَّ الْمُخَاطب يسمع ، لَكَانَ ذَلِك بِمَنْزِلَة الْخطاب للتُّراب والخشب وَالْحجر والمعدوم ، وَهَذَا وإِن استحسنه وَاحِد فالعلماء قاطبة على استقباحه واستهجانه .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٩٦–٢٩٨) .

وَقد روى أَبُو دَاوُد فِي سنَنه بِإِسْنَاد لَا بَأْس بِهِ أَنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حضر جَنَازَة رجل فلَمَّا دفن ، قَالَ : " اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ ، وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ " (١) . فَأَخْبر أَنَّه يسْأَل حِينَئِذٍ ، وَإِذا كَانَ يسْأَل فَإِنَّهُ يسمع التَّلْقِين " (٢) .

وقال الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) : " قَوْلُهُ وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يُلَقَّنَ الْمَيِّتُ بَعْدَ الدَّفْنِ ، فَيُقَالُ : يَا عَبْدَ اللهَّ ، يَا ابْنَ أَمَةِ اللهَّ ، اُذْكُرْ مَا خَرَجْت عَلَيْهِ مِنْ الدُّنيا : شَهَادَةَ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا الله ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهَّ ، وَأَنَّ الجنَّة حَقٌّ ، وَأَنَّ النَّار حَقٌّ ، وَأَنَّ الْبَعْثَ حَقٌّ ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فيها ، وأنَّ الله يبعث مَنْ فِي الْقُبُورِ ، وَأَنَّك رَضِيت بِاَللهَّ رَبّاً ، وَبِالْإِسْلَامِ دِيناً ، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيّاً ، وَبِالْقُرْآنِ إمَاماً ، وَبِالْكَعْبَةِ قِبْلَةً ، وَبِالْمُؤْمِنِينَ إخْوَاناً . وَرَدَ بِهِ الْخَبَرُ عَنْ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : الطَّبَرَانِيُّ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ " إذَا أَنَا مِتُّ فَاصْنَعُوا بِي كَمَا أَمَرَنَا رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَنْ نَصْنَعَ بِمَوْتَانَا ، أَمَرَنَا رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فَقَالَ : " إذَا مَاتَ أَحَدٌ مِنْ إخْوَانِكُمْ ،فَسَوَّيْتُم التُّرَابَ عَلَى قَبْرِهِ ، فَلْيَقُمْ أَحَدُكُمْ عَلَى رَأْسِ قَبْرِهِ ، ثمَّ لْيَقُلْ : يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانَةَ ، فَإِنَّهُ يَسْمَعُهُ وَلَا يُجِيبُ ، ثمَّ يَقُولُ : يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانَةَ ، فَإِنَّهُ يَسْتَوِي قَاعِداً ، ثمَّ يَقُولُ : يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانَةَ ، فَإِنَّهُ يَقُولُ : أَرْشِدْنَا يَرْحَمْكَ الله ، وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ . فَلْيَقُلْ : اُذْكُرْ مَا خَرَجْت عَلَيْهِ مِنْ الدُّنيا : شَهَادَةَ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا الله ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّك رَضِيت بِاَللهَّ رَبّاً ، وَبِالْإِسْلَامِ دِيناً ، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيّاً ، وَبِالْقُرْآنِ إمَاماً ، فَإِنَّ مُنْكَراً وَنَكِيراً يَأْخُذُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِيَدِ صَاحِبِهِ ، وَيَقُولُ : انْطَلِقْ بِنَا ، مَا يُقْعِدُنَا عِنْدَ مَنْ لُقِّنَ حُجَّتُهُ " . قَالَ : فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللهَّ ، فَإِنْ لَمْ يَعْرِفْ أُمَّهُ ، قَالَ : يَنْسُبُهُ إلى أُمِّهِ حَوَّاءَ : يَا فُلَانُ بْنُ حَوَّاءَ " . وَإِسْنَادُهُ صَالِحٌ ، وَقَدْ قَوَّاهُ الضِّيَاءُ فِي أَحْكَامِهِ ، وَأَخْرَجَهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ فِي الشَّافِي وَالرَّاوِي عَنْ أَبِي أُمَامَةَ سَعِيدٌ الْأَزْدِيُّ بَيَّضَ لَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ، وَلَكِنْ لَهُ شَوَاهِدُ ، مِنْهَا : مَا رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ مِنْ طَرِيقِ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ وَضَمْرَةَ بْنِ حَبِيبٍ وَغَيْرِهِمَا ، قَالُوا : إذَا سُوِّيَ عَلَى الْمَيِّتِ قَبْرُهُ وَانْصَرَفَ النَّاس عَنْهُ ، كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يُقَالَ لِلْمَيِّتِ عِنْدَ قَبْرِهِ : يَا فُلَانُ ، قُلْ : لَا إلَهَ إلَّا الله ، قُلْ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا الله ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، قُلْ : رَبِّي الله ، وديني الإسلام ، ونبيي محمَّد

---

(١) أخرجه أحمد في الزهد (ص١٢٩ برقم ٦٧٩) ، أبو داود (٣/ ٢١٥ برقم ٣٢٢١) ، الحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/ ٥٢٦ برقم ١٣٧٢ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْإِسْنَادِ ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ) ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٦/ ١٢٠٠ برقم ٢١٢٣) ، البيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٩٣ برقم ٧٠٦٤) ، السنن الصغير (٢/ ٢٩ برقم ١١٢٢) ، إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين (ص٤٧ برقم ٤٠) ، الدعوات الكبير (٢/ ٢٩٤) ، البغوي في شرح السُّنَّة (٥/ ٤١٨ برقم ١٥٢٣) .

(٢) انظر : الرُّوح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة (ص١٣) .

ثمَّ يصرف . وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ الْحَكَمِ بْنِ الْحَارِثِ السُّلَمِيِّ أَنَّه قَالَ لَهُمْ : " إِذَا دَفَنْتُمُونِي وَرَشَشْتُمْ عَلَى قَبْرِي الْمَاءَ ، فَقُومُوا عَلَى قَبْرِي ، وَاسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ وَادْعُوا لِي " (١) .

ولا يعكِّر على صحَّة القول بسماع الأموات في قبورهم قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ﴾ [الروم : ٥٢ ] ، وقوله سبحانه : ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [فاطر : ٢٢] ، لأنَّ المقصود بـ ﴿ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ ، وكذا بـ ﴿مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ ، الكفَّار المصرِّين على الكفر ، فإنَّهم لن ينتفعوا بالتَّذكير والموعظة فهم كالموتى الذين طوتهم القبور ، لن ينتفعوا بما يسمعونه من الهدى والموعظة ، فحالهم في ذلك كحال الموتى الذين لا سبيل لتبليغهم كتاب الله كي يهتدوا به ، والدَّليل عليه قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ﴾ [النمل : ٨٠ ] ، والأموات المقبورين لا يولُّون مدبرين بعد التَّذكير ، إذ لا حول لهم ولا طول ، وإنَّما المراد بذلك الكفَّار ، وقد جاء في الصَّحيح قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ " (٢) .

وعلى ذلك جمهور المفسِّرين ...

ففي تفسير الله تعالى : ﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ﴾ [النمل : ٨٠ ] ، قال الإمام الطَّبري : ﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ ، يقول : إنَّك يا محمَّد لا تقدر أن تُفهم الحقّ من طبع الله على قلبه فأماته ، لأنَّ الله قد ختم عليه أن لا يفهمه ، ﴿ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ﴾ ، يقول : ولا تقدر أن تسمع ذلك من أصمّ الله عن سماعه سمعه ، ﴿ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ﴾ ، يقول : إذا هم أدبروا معرضين عنه ، لا يسمعون له لغلبة دين الكفر على قلوبهم ، ولا يُصغون للحقّ ، ولا يتدبَّرونه ، ولا ينصتون لقائله ، ولكنَّهم يعرضون عنه ، وينكرون القول به ، والاستماع له " (٣) .

وقال الإمام أبو الليث نصر بن محمَّد بن أحمد بن إبراهيم السَّمرقندي (٣٧٣هـ) : " قال عزَّ وجلَّ : ﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [النمل : ٨٠ ] ، فهذا مثل ضربه للكفَّار ، فكما أنَّك لا تسمع الموتى ، فكذلك لا تفقّه كفَّار مكَّة ، وَلا

---

(١) انظر : التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير (٢/ ٣١٠-٣١١) .

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٨٦ برقم ٦٤٠٧) .

(٣) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (١٩/ ٤٩٥) .

تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاء . قرأ ابن كثير : وَلا يَسْمَعُ بالياء والنَّصب وضمّ العين ، والصُّمَّ بضم الميم ، وقرأ الباقون بالتَّاء وضم التَّاء وكسر الميم ، والصَّم بالنَّصب . فمن قرأ بالياء فلا يسمع ، فالفعل للصُّم . ومن قرأ بالتَّاء ، فالخطاب للنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾ [النمل : ٨٠ ] ، يعني : أعرضوا عن الحقِّ مكذِّبين " (١) .

وقال الإمام أبو محمَّد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمَّد بن مختار القيسي القيرواني ثمَّ الأندلسي القرطبي المالكي (٤٣٧هـ) : " قوله تعالى ذكره : ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ ﴾ [النمل : ٨٠ ] . المعنى : إنَّك يا محمَّد لا تقدر أن تُفهم الحقّ من طبع الله على قلبه فأماته ، ولا تقدر أن تسمع ذلك من أصمَّ الله سمعه " (٢) .

وقال الإمام زين الدِّين عبد الرَّحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن ، السَلامي ، البغدادي ، ثمَّ الدِّمشقي ، الحنبلي (٧٩٥هـ) : وأمَّا قوله : ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل : ٨٠ ] ، وقوله : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر : ٢٢] ، فإنَّ السَّماع يُطلق ويُراد به إدراك الكلام وفهمه ، ويراد به أيضاً الانتفاع به والاستجابة له ، والمراد بهذه الآيات نفي الثَّاني دون الأوَّل ، فإنَّها في سياق خطاب الكفَّار الذين لا يستجيبون للهدى ولا للإيمان إذا دعوا إليه ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ [الأعراف : ١٧٩] ، الآية في نفي السَّماع والإبصار عنهم ، لأنَّ الشَّيء قد ينفى لانتفاء فائدته وثمرته ، فإذا لم ينتفع المرء بما يسمعه ويبصره ، فكأنَّه لم يسمع ولا يبصر ، وسماع الموتى هو بهذه المثابة ، وكذلك سماع الكفَّار لمن دعاهم إلى الإيمان والهدى " (٣) .

وبنحو ما قال هؤلاء الأساطين ، قال جمهور المفسَّرين (٤) .

---

(١) انظر : بحر العلوم (٢/ ٥٩٢) .

(٢) انظر : الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ، وأحكامه ، وجمل من فنون علومه (٨/ ٥٤٦٤) .

(٣) انظر : أهوال القبور (ص٨١) .

(٤) انظر : تفسير الماوردي (النكت والعيون) (٤/ ٢٢٥) ، لطائف الإشارات (تفسير القشيري) (٣/ ٤٩) ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٣/ ٣٨٤) ، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (٣/ ٥١٣) ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (٣/ ٣٨٧) ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٢٦٩-٢٧٠) ، زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٣٦٩) ، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (٢٤/ ٥٧١) ، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) (١٣/ ٢٣٢) ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ١٦٧) ، تفسير النسفى (٣/ ١٧٩) ، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل (٥/ ١٥٦) ، البحر المحيط في التفسير (٨/ ٢٦٧-٢٦٨) ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن

وفي تفسير قول الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [فاطر : ٢٢ ] ، قال الإمام الطَّبري (٣١٠هـ) : " وقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [فاطر : ٢٢] ، يقول تعالى ذكره : كما لا يقدر أن يسمع من في القبور كتاب الله فيهديهم به إلى سبيل الرَّشاد ، فكذلك لا يقدر أن ينفع بمواعظ الله وبيان حُججه من كان ميِّت القلب من أحياء عباده ، عن معرفة الله ، وفهم كتابه وتنزيله ، وواضح حُججه .

كما حدَّثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [فاطر : ٢٢] ، كذلك الكافر لا يسمع ، ولا ينتفع بما يسمع " (١) .

وقال الإمام أبو محمَّد عبد الرَّحمن بن محمَّد بن إدريس بن المنذر التَّميمي ، الحنظلي ، الرَّازي ابن أبي حاتم (٣٢٧هـ) : " قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [فاطر : ٢٢] ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [فاطر : ٢٢ ] ، فَكَذَلِكَ الْكَافِرُ لَا يَسْمَعُ وَلا يَنْتَفِعُ بِمَا يَسْمَعُ " (٢) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن إبراهيم الثَّعلبي ، أبو إسحاق (٤٢٧هـ) : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [فاطر : ٢٢ ] ، يعني : الكفَّار شبَّههم بالأموات " (٣) .

وقال الإمام أبو محمَّد مكي بن أبي طالب (٤٣٧هـ) : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢] ، أي : لست يا محمَّد تسمع الموتى كتاب الله فتهديهم به ، فكذلك لا تقدر أن تسمعه من أمات قلبه فيهتدي به " (٤) .

---

(٤/ ٢٥٨) ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٥/ ٤٥٠) ، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٤/ ٢١٧) ، فتح القدير (٤/ ١٧٣) ، فتحُ البيان في مقاصد القرآن (١٠/ ٦٩) ، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (٢/ ١٨٣) ، محاسن التأويل (٧/ ٥٠٥) ...

(١) انظر : تفسير الطَّبري (٢٠/ ٤٥٩) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٧٩) .

(٣) انظر : الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٨/ ١٠٥) .

(٤) انظر : الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ، وأحكامه ، وجمل من فنون علومه (٩/ ٥٩٧٠) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن محمَّد بن محمَّد بن حبيب البصري البغدادي، الشَّهير بالماوردي (٤٥٠هـ) : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾ [فاطر : ٢٢] ، فيه وجهان : أحدهما : أنَّه مثل ضربه الله ، كما أنَّك لا تُسمع الموتى في القبور ، كذلك لا تُسمع الكافر . الثَّاني : أنَّ الكافر قد أماته الكفر حتى أقبره في كفره ، فلذلك لا يسمع " (١) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن محمَّد بن علي الواحدي ، النَّيسابوري ، الشَّافعي (٤٦٨هـ) : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾ [فاطر : ٢٢ ] ، يعني الكفَّار ، شبَّههم بالموتى حين صمُّوا فلم يجيبوا " (٢) .

وقال الإمام أبو القاسم عبد الرَّحمن بن عبد الله بن أحمد السّهيلي (٥٨١هـ) : " ... وَإِذَا جَازَ أَنْ يَكُونُوا فِي تِلْكَ الْحَالِ عَالِمَيْنِ جَازَ أَنْ يَكُونُوا سَامِعَيْنِ أَمَّا بِآذَانِ رُءُوسِهِمْ إذَا قُلْنَا : إنَّ الرُّوح يُعَادُ إلى الْجَسَدِ أَوْ إلى بَعْضِ الْجَسَدِ عِنْدَ الْمُسَاءَلَةِ ، وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِينَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّة ، وأمَّا بِإِذْنِ الْقَلْبِ أَوْ الرُّوح عَلَى مَذْهَبِ مَنْ يَقُولُ بِتَوَجّهِ السّؤَالَ إلى الرُّوح مِنْ غَيْرِ رُجُوعٍ مَعَهُ إلى الْجَسَدِ أَوْ إلى بَعْضِهِ . وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عَائِشَةَ احْتَجّتْ بِقَوْلِ الله سُبْحَانَهُ : ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢] ، وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ﴾ [الزخرف :٤٠] ، أَيْ أَنَّ اللهَ هُوَ الّذِي يُهْدِي وَيُوَفّقُ وَيُوصِلُ الْمَوْعِظَةَ إلى آذَانِ الْقُلُوبِ لَا أَنْتَ ، وَجَعَلَ الْكُفّارَ أَمْوَاتاً وَصُمّاً عَلَى جِهَةِ التّشْبِيهِ بِالْأَمْوَاتِ وَبِالصّمّ ، فَاَللهُ هُوَ الّذِي يَسْمَعُهُمْ عَلَى الْحَقِيقَةِ إذَا شَاءَ لَا نَبِيّهُ وَلَا أَحَدٌ ، فَإِذَاً لَا تَعَلّقَ بِالْآيَةِ مِنْ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا : أَنّهَا إنّمَا نَزَلَتْ فِي دُعَاءِ الْكُفّارِ إلى الْإِيمَانِ . الثّانِي : أَنّه إنّمَا نَفَى عَنْ نَبِيّهِ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمُسْمَعَ لَهُمْ ، وَصَدَقَ اللهُ ، فَإِنّهُ لَا يَسْمَعُهُمْ إذَا شَاءَ إلّا هُوَ وَيَفْعَلُ مَا شَاءَ ، وَهُوَ عَلَى كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " (٣) .

وبنحو ما قال هؤلاء الأساطين ، قال جمهور المفسِّرين (٤) ...

---

(١) انظر : تفسير الماوردي (النكت والعيون) (٤/ ٤٦٩) .

(٢) انظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٣/ ٥٠٤) .

(٣) انظر : الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام (٥/ ١٠٥-١٠٦) .

(٤) انظر : تفسير القرآن ، السمعاني (٤/ ٣٥٥) ، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (٣/ ٦٩٢) ، زاد المسير في علم التفسير (٦/ ٤٨٤) ، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (٢٦/ ٢٣٣) ، الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٣٤١) ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل البيضاوي (٤/ ٢٥٧) ، تفسير النسفي (٣/ ٢٧٢) ، التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٧٤) ، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل (٥/ ٣٠١) ، البحر المحيط في التفسير (٩/ ٢٧) ، روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي) (٢/ ٩٦-٩٧) ، نظم الدرر في تناسب الآيات

## الفَصْلُ الثَّالِثُ

## أَنْوَاعُ التَّوسُّل

ذكر أهل العلم أنَّ من آداب الدُّعاء : التَّوسُّل إلى الله تعالى بين يدي الدُّعاء بوسيلة محبوبة مرضيَّة لديه سبحانه وتعالى ، قال سبحانه : ﴿ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة : ٣٥ ] ، أي: القُربة . والتَّوسُّل إلى الله تعالى هو الطَّلب منه سبحانه لا من سواه ، فهو سبحانه وحده المطلوب والمسؤول ، أمَّا الوسيلة فيتوجَّه بها الإنسان إلى الله ويتشفَّع بها عنده بين يدي طلبه منه تعالى ، فقد يتوسَّل العبد بأسماء الله تعالى وصفاته ، أو بأعماله الصَّالحة ، أو بدعاء الصَّالحين ، أو بحبيبه ومصطفاه سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وكذا بغيره من الأنبياء والمرسلين والصَّالحين ... ومن أنواع التَّوسُّل :

**أَوَّلاً : التَّوَسُّلُ إلى الله تَعَالَى بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِهِ العُلَا :** قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف : ١٨٠] ، فيدعو الإنسانُ ربَّه بالاسم أو بالصِّفة المقتضية لمطلـــوبه ، فيقول : يا غفور اغفر لي ، يا كريم أكرمني ، يا رحيم ارحمني ، يا ستَّار استرني ، وهكذا ...

والدُّعاء معناه : الطَّلب ، والسُّؤال ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر : ٦٠ ] ، وقال :﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦]

وفي الحديث عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كَانَ يَقُولُ فِي وِتْرِهِ : اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ ، لاَ أُحْصِي نِعَمَكَ ، وَلاَ ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ " (١) .

---

والسور (٦/ ٢١٨) ، تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن (٣/ ٤٠٦) ، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) (٧/ ١٥٠) ، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٤/ ٥٣٣) ، التفسير المظهري (٨/ ٥٢) ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (٤/ ٣٤٦) ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١١/ ٣٥٩) ، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (٢/ ٢٧٩) ، محاسن التأويل (٨/ ١٦٥) ...

(١) أخرجه الطيالسي في المسند (١/ ١١٤ برقم ١٢٥) ، ابن أبي شيبة في المُصنف (٢/ ٣٠٦ برقم ٧٠١٦) ، أحمد في المسند (١/ ٩٦ برقم ٧٥١) ، ابن ماجه (١/ ٣٧٣ برقم ١١٧٩) ، أبو داود (٢/ ٦٤ برقم ١٤٢٧) ، الترمذي (٥/ ٤٥٣ برقم ٣٥٦٦) ، النسائي في السنن الكبرى (٢/ ١٧٢ برقم ١٤٤٨) ، الطبراني في الدُّعاء (ص٢٣٨ برقم ٧٥١) ، الحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/ ٤٤٩ برقم ١١٥٠) ، البيهقي في السنن

وجاء في حديث آخر قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " اللهمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْراً لِي ، وَتَوَفَّنِي مَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْراً لِي ، اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْإِخْلَاصِ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا ، وَالْقَصْدَ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ ، وَخَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بِالْقَدَرِ ، وَأَسْأَلُكَ نَعِيماً لَا يَنْفَدُ ، وَقُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ ، وَلَذَّةَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلى وَجْهِكَ ، وَشَوْقاً إِلى لِقَائِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ ، وَفِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ ، اللهمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ " (١) .

والدُّعاء نوعٌ من أنواع التَّوسُّل بالله تعالى لنيل المغفرة ، والرَّحمة ، والرِّضوان ، وسؤال الله تعالى غالباً ما يكون بأسمائه الحسنى وصفاته العلا ، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٠] ، والآية أمرٌ صريحٌ بدعاء الله تعالى بأسمائه الحسنى ، وغالباً ما يأتي الدُّعاء بالأسماء الحسنى على صيغة التَّوسُّل والاستغاثة ، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : كَانَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إِذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ ، قَالَ : " يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ " (٢) .

وقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " مَا أَصَابَ أَحَداً قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ ، فَقَالَ : اللهمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي ،

---

الكبرى (٣/ ٦٠ برقم ٣٨٧١) ، السنن الصغير (١/ ٢٨٥ برقم ٧٩٣) ، الدعوات الكبير (٢/ ٨ برقم ٤٣٧) ، الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٢/ ٢٥١ برقم ٦٢٧) ، عبد بن حميد في المسند (ص٥٦ برقم ٨١) ، أبو يعلى الموصلي في المسند (١/ ٢٣٧ برقم ٢٧٥) .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المسند (١/ ٢٩٤ برقم ٤٤٢) ، أحمد في المسند (٤/ ٢٦٤ برقم ١٨٥١٥) ، ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١/ ٢١٠ برقم ٢٧٦) ، البزار في المسند (٤/ ٢٢٨ برقم ١٣٩٢) ، النسائي في السنن الكبرى (٢/ ٨١ برقم ١٢٢٩) ، ابن خزيمة في كتاب التَّوحيد وإثبات صفات الرب عزَّ وجلَّ (١/ ٢٩) ، ابن حبَّان في الصَّحيح (٥/ ٣٠٤ برقم ١٩٧١) ، الطبراني في الدُّعاء (ص١٩٩ برقم ٦٢٤) ، الحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/ ٧٠٥ برقم ١٩٢٣) ، البيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٣٠٢ برقم ٢٢٧) ، الدعوات الكبير (١/ ٣٣٤ برقم ٢٥١) ، أبو يعلى الموصلي في المسند (٣/ ١٩٥ برقم ١٦٢٤) .

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٢٥ برقم ٣٥٢٤) ، البزار في المسند (١٣/ ٤٩ برقم ٦٣٦٨) ، الحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/ ٦٨٩ برقم ١٨٧٥) ، البيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٢٨٨ برقم ٢١٥) ، الدعوات الكبير (١/ ٢٧٤ برقم ١٩٠) .

وَنُورَ صَدْرِي ، وَجِلَاءَ حُزْنِي ،وَذَهَابَ هَمِّي إِلَّا أَذْهَبَ الله هَمَّهُ وَحُزْنَهُ ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجاً . قَالَ : فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللهِّ أَلَا نَتَعَلَّمُهَا ؟ فَقَالَ : بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا " (١) .

والتَّوسُّل بأسمـــــاء الله الحسنى كثيرٌ جدّاً في الدُّعاء المأثور ، وعليه إجماع المسلمين ، لا يخالف فيه أحد ...

**ثَانِياً : التَّوَسُّلُ إِلى الله تَعَالَى بِالقُرْآن الكَرِيْم :**

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " اقْرَءُوا الْقُرْآنَ ، وَاسْأَلُوا اللهَ بِهِ ؛ فَإِنَّ مِنْ بَعْدِكُمْ قَوْماً يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَسْأَلُونَ النَّاس بِهِ " (٢) ...

وفي موقع مسيد الشَّيخ عبدالرَّحيم البرعي ، وجدت قصيدة طيِّبة اشتملت على توسُّل بجميع سور القرآن ، قال ناشرها بأنَّها قصيدة كان الطَّلبة يردِّدونها في وقت السَّحر ، وهي بلا شكٍّ لتفريج الكروب ، فمن أهمَّه أمرٌ فليتوسَّل إلي الله تعالى بها ... ، والقصيدة هي :

الحمد لله الذي تبـــــارك ... وليس في سلطـــــــانه مشارَكْ
ثمَّ الصَّلاة والسَّلام الـــــوافِي ... على النبيِّ الكامل الأوصـــاف
محمَّدٍ من خُلقــــــه القرآنُ ... ونهجُه الإيمـــانُ والإحســـانُ
وآلِــــــه وصحبِه الأنصـــار ... والتَّابعين هم أولي الأبصـــــار

(١) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٢٤٦ برقم ٣٧١٢) ، الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ١٦٩ برقم ١٠٣٥٢) ، الدُّعاء (ص٣١٤ برقم ١٠٣٥) ، ابن السني في عمل اليوم والليلة سلوك النَّبي مع ربه عزَّ وجلَّ ومعاشرته مع العباد (ص٣٠١ برقم ٣٤٠) ، البيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٢٧ برقم ٧) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٣/ ١٤٦ برقم ١٩٩١٧) . قال الأرنؤوط : " حسن لغيره ، وهذا إسناد ضعيف ، شريك بن عبد الله وخيثمة – وهو ابن أبي خيثمة البصري – ضعيفان ، والحسن – وهو البصري – لم يسمع من عمران . وأخرجه الطبراني في " الكبير " ١٨/ (٣٧٢) ، والآجري في " أخلاق حملة القرآن " (٤٢) من طريق يزيد بن هارون ، بهذا الإسناد . وأخرجه سعيد بن منصور في التفسير من " سننه " ١/ ١٨٧ ، والبزار في " مسنده " (٣٥٥٣) و (٣٥٥٤) ، والعقيلي في " الضعفاء " ٢/ ٢٩، والطبراني ١٨/ (٣٧٠) و (٣٧١) و (٣٧٣) ، والبيهقي في " الشعب " (٢٦٢٩) من طرق عن منصور بن المعتمر ، به . وأخرجه ابن أبي شيبة ١٠/ ٤٧٩ من طريق يزيد بن إبراهيم ، و١٠/ ٤٨٠ من طريق هشام بن حسان ، كلاهما عن الحسن البصري ، عن عمران قوله . وانظر (١٩٨٨٥) . وفي الباب عن أنس وجابر وعبد الرَّحمن بن شبل ، سلفت أحاديثهم بالأرقام (١٢٤٨٣) و (١٤٨٥٥) و (١٥٥٢٩) ، والأخيران صحيحان . وعن سهل بن سعد الساعدي ، سيأتي ٥/ ٣٣٨ ، وصححه ابن حبان (٧٦٠) . وعن أبي سعيد الخدري عند أبي عبيد في " فضائل القرآن " ص ٢٠٦، والبيهقي في "ا لشعب " (٢٦٣٠) ، والبغوي (١١٨٢) . وعن بريدة عند البيهقي (٢٦٢٥) . وانظر حديث عبادة بن الصامت الآتي في " المسند " ٥/ ٣١٥ و٣٢٤ ، وحديث أبي بن كعب عند عبد بن حميد (١٧٥) ، وابن ماجه (٢١٥٨) .

سبحـــانك اللهمَّ يا لطيفُ       يا من إليـــه يُهرع الضعيفُ

أنت الذي تُرجَى لكشف الضرِّ       وتستجيب دعـــوةَ المضطرِّ

وقد وقفنا خُشَّعا ببـــابك       مُلتمِسين العفوَ من جنـــابك

يا من عَنَت لِعِزِّه الوجـــوهُ       ومَن لِكشْف ضرّنا نرجـــوه

بالذَّات والصِّفـــات والأسماء       والعرش والكرسي والعمـــاء

بلوحك المحفـــوظ والأقلام       وسدرة المنتهي والمقـــام

ببيتك المعمـــور والأملاك       والعـــالم العلوي والأفلاك

جئنا بحسن الظَّنِّ والتَّوحيـــد       وجاه طه المصطفي الوحيـــد

به توسَّلنا إليـــك يا من       يأتيـــه كلّ خائف فيأمن

بالمرسلين والكتـــاب المنزل       بارك لنا في الرِّزق ثمَّ المنزل

يا من له قلوبنـــا مفتقره       بسورة المثـــاني ثمَّ البقره

بآل عمران النِّسا والمـــائده       وبالأنعـــام خصَّنا بالفائده

بسورة الأعراف والأنفـــال       والتَّوبـــة ويونس يا والي

كذا بهود يوسف والرَّعـــد       بالحجر إبراهيـــم فاكتب سعدي

بالنَّحل والإسراء ثمَّ الكهـــف       بمريم طـــه أدرك لهفي

ورقنا بالأنبيـــا والحجِّ       بالمؤمنـــون عافنا يا منجي

وصفنا بالنُّـــور والفرقان       والشُّعراء والنَّمـــل من أدران

واكتب لنا بالقصص السَّلامـــه       بالعنكبوت واغفر الملامـــه

بالرُّوم لقمـــان كذا بالسَّجده       وبالأحزاب يا إلهـــي النَّجده

بسبإٍ وفـــاطر ياسين       وبالصَّافات بالتُّقـــى كسينا

كذا بصـــاد ثمَّ سورة الزُّمر       بغـــافر وفصِّلت يا من أمر

بسورة الشُّورى كذا بالزُّخـــرف       وبالدُّخـــان كلَّ همٍّ فاصرف

ونجِّنا يا ذا العلا بالجاثيـــه       وبالأحقاف من قلـــوب قاسيه

بسورة القتـــال ثمَّ الفتح       بالحجرات فأتنا بالفتـــح

يسِّر لنا أمورنا بقـــــــاف
بالطُّور والنَّجم كذا بالقمــــــر
ولقِّنا كلَّ المنى بالواقعـــــــه
بســـــــورة الحشر وبالممتحنة
بالجمعـــــــة الغرَّاء يا ذا الطَّول
وبالتَّغـــــــابن مع الطَّلاق
كذا بنون نجّنا من مـــــارج
وارفع بنــــــوح ذكرنا والجنّ
بســـــــــورة المزمِّل المدثِّر
بسورة الإنســـــان زد تعظيمي
بالنَّازعـــــات الأعمي والتَّكوير
وبالمطففين ثمَّ الانشقـــــاق
بسورة الطَّــــــارق ثمَّ الأعلي
بالفجر لا أقســـــم ثمَّ الشَّمس
بالشَّرح والتِّين كذا بالعلـــــق
بلم يكن نلت المني والزَّلزلــــه
بسورة القارعة العظيمــــــــه
بســــــورة العصر كذا بالهمزه
بالفيل مع قريش المـــــاعون
بالكوثر والكـــــافرون نرتجي
تبَّت يدا وســـــورة الأخلاص
قد استعذنا بإله الفلــــــق
وشرّ الخلق ســـــاحر وحاسد
بالمصطفى والمرتضى وفاطمـــــه

بالذَّاريات اكفنا يا كـــــــافي
وبالرَّحمـــــــن باركن في العمر
وسورة الحديد والمجادلـــــــه
بالصَّف ربّ الدَّهر فاصرف محنه
وبالمنـــــافقون ربّ فاسمع قولي
وبالتَّحريم الملك زد خلاقـــــي
بالحاقة ارحمنا وبالمعــــــــارج
واصرف شرور الإنـــس ثمَّ الجنّ
وبالقيامـــــــة اسقنا من كوثر
بالمرسلات النَّبإ العظيــــــــم
بالانفطــــــار ربّ كن نصيري
وبالبروج عذت من شقـــــاق
بهل أتـــــــاك نلت قدراً أعلى
بالليل والضُّحـــــى فنور رمسي
بالقدر حسن يا كريـــــم خلقي
بالعــــــاديات نجِّنا من زلزله
ألهاكـــــــم حرزاً من الهزيمه
من شرِّ نمَّام وشرِّ اللمـــــــزه
نعوذ من عوائق الطَّاعـــــون
بالنَّصر فتحاً منـــــــك للمرتج
حسِّن بها يا ربَّنا خلاصـــــــي
والنَّاس من مصيبـــــــة وقلق
وشرّ وسواس عدوّ راصـــــد
وابنيهما نرجوك حسن الخاتمـــــه

بالآل والأصحـــاب أرباب الوفا والتَّابعين نهج طه المصطفــــــــى

صلَّي عليهـــــــــــم ذو الجلال كلَّما هبَّ النَّسيـــــم وعليهم سلما

**ثَالثَاً : التَّوسُّلُ إلى اللهِ تَعَالَى بِحَقِّ أوبجاه النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَسَائِرِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِم الصَّلاة والسَّلام ، وَكَذَا بِأَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالَى الصَّالِحِيْن ... :**

وذلك لما لهم عند الله تعالى من الحظوة والمنزلة والشَّرف ، ولا فرق في هذا النَّوع من التَّوسُّل أن يكون المتوسَّل به إلى الله تعالى حيَّاً أو ميتاً ... ومن الأدلَّة على ذلك حديث الأعمى الذي علَّمه الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أن يقول : اللهمَّ إنّي أسألك وأتوجَّه إليك بنبيِّك محمَّد نبيِّ الرَّحمة ، يا محمَّد ، إنّي أتوجَّه بك إلى ربِّي ...

قال الإمام أبو القاسم سليمان بن أحمد الطَّبراني (٣٦٠هـ) : " حدَّثنا أَحْمَدُ بْنُ حَمَّادِ بْنِ زُغْبَةَ ، حدَّثنا رَوْحُ بْنُ صَلاَحٍ ، حدَّثنا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ ، عَنْ عَاصِمٍ الأَحْوَلِ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : لما مَاتَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمٍ أُمُّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، دَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : فَجَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهَا فَقَالَ : رَحِمَكِ الله يَا أُمِّي ، كُنْتِ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي ، وتُشْبِعِينِي وتَعْرَيْنَ ، وتُكْسِينِي ، وتَمْنَعِينَ نَفْسَكِ طَيِّباً ، وتُطْعِمِينِي تُرِيدِينَ بِذَلِكَ وَجْهَ الله وَالدَّارَ الآخِرَةَ ، ثمَّ أَمَرَ أَنْ تُغَسَّلَ ثَلاَثاً ، فلمَّا بَلَغَ المْاَءُ الَّذِي فِيهِ الْكَافُورُ سَكَبَهُ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بِيَدِهِ ، ثمَّ خَلَعَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَمِيصَهُ فَأَلْبَسَهَا إِيَّاهُ وَكَفَّنَهَا بِبُرْدٍ فَوْقَهُ ، ثمَّ دَعَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ، وَأَبَا أَيُّوبَ الأَنْصَارِيَّ ، وَعُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، وَغُلاَماً أَسْوَدَ يَحْفُرُونَ فَحَفَرُوا قَبْرَهَا فلمَّا بَلَغُوا اللَّحْدَ حَفَرَهُ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بِيَدِهِ ، وَأَخْرَجَ تُرَابَهُ بِيَدِهِ ، فلمَّا فَرَغَ دَخَلَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : فَاضْطَجَعَ فِيهِ ، ثمَّ قَالَ : الله الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ ، اغْفِرْ لأُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ ، ولَقِّنْهَا حُجَّتَهَا ، وَوَسِّعْ عَلَيْهَا مُدْخَلَهَا ، بِحَقِّ نَبِيِّكَ وَالأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي فَإِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَكَبَّرَ عَلَيْهَا أَرْبَعاً ، وأَدْخَلُوها اللَّحْدَ هُوَ وَالْعَبَّاسُ ، وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ الله عَنْهُمْ " (١) .

والحديث نصٌّ واضحٌ على التَّوسُّل بالأنبياء والمرسلين في حياتهم وبعد مماتهم ، وهو حديث حسنٌ ، وبه وبغيره من الأدلَّة التي سقناها نردُّ على من منعوا التَّوسُّل ، لاسيَّما ابن تيمية ومقلِّديه من مُدَّعي السَّلفيَّة ، الذين خالفوا جمهور الأمَّة فمنعوا التَّوسُّل إلى الله تعالى بحقِّ أو جاه الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وكذا بجاه غيره من

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٤/ ٣٥١ برقم ٨٧١) ، الأوسط (١/ ٦٧ برقم ١٨٩) ، والحديث حسَّن إسناده المحقق الأستاذ محمود سعيد ممدوح في رفع المنارة لتخريج أحاديث التَّوسُّل والزيارة (ص١٤٨) ، وردَّ على من ضعَّفه ببراعة .

الأنبياء والصَّالحين ، وقد تبيَّن بعد البحث والتَّحقيق أنَّ دعواهم فارغة ، وأنَّهم ليسوا على شيء في هذه المسألة إلَّا ما اعتادوا عليه من التَّقليد الأعمى لابن تيمية ومن شايعه ...

قال الحاكم : " أَخْبَرَنَا أَبُو محمَّد عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ الرَّحمن بْنِ سَهْلٍ الدَّبَّاسُ ، بِمَكَّةَ مِنْ أَصْلِ كِتَابِهِ ، ثنا أَبُو عَبْدِ اللهَّ محمَّد بْنُ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ الصَّائِغُ ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ شَبِيبِ بْنِ سَعِيدٍ الْحَبَطِيُّ ، حدَّثني أَبِي ، عَنْ رَوْحِ بْنِ الْقَاسِمِ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَدَنِيِّ وَهُوَ الْخَطْمِيُّ ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ ، عَنْ عَمِّهِ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَجَاءَهُ رَجُلٌ ضَرِيرٌ ، فَشَكَا إِلَيْهِ ذَهَابَ بَصَرِهِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهَّ ، لَيْسَ لِي قَائِدٌ ، وَقَدْ شَقَّ عَلَيَّ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " ائْتِ الْمِيضَأَةَ فَتَوَضَّأْ ، ثمَّ صَلِّ رَكْعَتَيْنِ ، ثمَّ قُلِ : اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ ، وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، يَا محمَّد إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إلى رَبِّكَ فَيُجَلِّي لِي عَنْ بَصَرِي ، اللهمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ ، وَشَفِّعْنِي فِي نَفْسِي " . قَالَ عُثْمَانُ : فَوَاللهَّ مَا تَفَرَّقْنَا ، وَلَا طَالَ بِنَا الْحَدِيثُ حَتَّى دَخَلَ الرَّجُلُ وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ ضُرٌّ قَطُّ " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ، وإِنَّما قَدَّمْتُ حَدِيثَ عَوْنِ بْنِ عُمَارَةَ لِأَنَّ مِنْ رَسْمِنَا أَنْ نُقَدِّمَ الْعَالِيَ مِنَ الْأَسَانِيدِ " (١) .

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/ ٧٠٧ برقم ١٩٣٠) ، أحمد في المسند (٢٨/ ٤٨٠ برقم ١٧٢٤١) ، قال الشَّيخ شعيب الأرنؤوط في تخريجه للمسند : إسناده صحيح ، رجاله ثقات ، أبو جعفر : هو عمير بن يزيد بن عمير الأنصاري الخطمي ، وهو وعمارة بن خزيمة – وهو ابن ثابت – من رجال أصحاب السنن ، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين ، غير أن عثمان بن حنيف – وهو عم أبي أمامة بن سهل بن حنيف – إنَّما أخرج له البخاري في " الأدب المفرد " وأصحاب السنن سوى أبي داود . عثمان بن عمر : هو ابن فارس العبدي .

وأخرجه عبد بن حميد في " المنتخب " (٣٧٩) ، والترمذي (٣٥٧٨) ، والنسائي في "الكبرى" (١٠٤٩٥) ، وهو في " عمل اليوم والليلة " (٦٥٩) ، وابن ماجه (١٣٨٥) ، وابن خزيمة (١٢١٩) ، والحاكم ١/ ٣١٣ و٥١٩ من طرق عن عثمان بن عمر ، بهذا الإسناد . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر ، وهو الخطمي . وقال الحاكم : إسناده صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذَّهبي .

قلنا : بل في إسناده من لم يخرج له الشيخان ، كما سلف .

وأخرجه الحاكم كذلك ١/ ٥١٩ من طريق محمَّد بن جعفر، عن شعبة ، به . وقال : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذَّهبي .

وأخرجه الطبراني في "الكبير" (٨٣١١/ ٢) من طريق إدريس بن جعفر العطار، عن عثمان بن عمر ، عن شعبة ، عن أبي جعفر ، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، عن عمه عثمان بن حنيف، به. قال الدارقطني : إدريس بن جعفر العطار متروك .

وأخرجه بنحوه النسائي في " الكبرى " (١٠٤٩٦) ، وهو في " عمل اليوم والليلة " (٦٦٠) من طريق هشام الدستوائي ، وأخرجه الطبراني في " الكبير " (٨٣١١/ ١) ، وفي " الصغير" (٥٠٨) مطولاً بذكر قصة ، وابن السني في " عمل اليوم والليلة " (٦٣٣) ، والحاكم ١/ ٥٢٦-٥٢٧ من طريق روح بن القاسم ، كلاهما عن أبي جعفر الخطمي ، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، عن عمه عثمان بن حنيف ، به . وقال الحاكم : صحيح

وقد فهم الصَّحابة رضوان الله عليهم أنَّ العمل بهذا الحديث لم ينقطع بانتقال الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إلى الرَّفيق الأعلى ، لأنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم مشرِّع إلى يوم القيامة ، ولذلك قال الطَّبراني : " حدَّثنا طَاهِرُ بْنُ عِيسَى بْنِ قَيْرَسٍ الْمِصْرِيُّ الْمُقْرِئُ ، حدَّثنا أَصْبَغُ بْنُ الْفَرَجِ ، حدَّثنا ابْنُ وَهْبٍ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْمَكِّيِّ ، عَنْ رَوْحِ بْنِ الْقَاسِمِ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْخَطْمِيِّ الْمَدَنِيِّ ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ ، عَنْ عَمِّهِ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ : أَنَّ رَجُلاً ، كَانَ يَخْتَلِفُ إلى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِي الله عَنْهُ فِي حَاجَةٍ لَهُ ، فَكَانَ عُثْمَانُ لاَ يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ وَلاَ يَنْظُرُ فِي حَاجَتِهِ ، فَلَقِيَ ابْنَ حُنَيْفٍ فَشَكَى ذَلِكَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ : ائتِ الْمِيضَأَةَ فَتَوَضَّأْ ، ثمَّ ائتِ الْمَسْجِدَ فَصَلِّ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ، ثمَّ قُلْ : اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، يَا محمَّد إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلى رَبِّي فَتَقْضِي لِي حَاجَتِي ، وَتُذْكُرُ حَاجَتَكَ وَرُحْ حَتَّى أَرْوحَ مَعَكَ ، فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ فَصَنَعَ مَا قَالَ لَهُ ، ثمَّ أَتَى بَابَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِي الله عَنْهُ ، فَجَاءَ الْبَوَّابُ حَتَّى أَخَذَ بِيَدِهِ فَأَدْخَلَهُ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِي الله عَنْهُ ، فَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى الطِّنْفِسَةِ ، فَقَالَ : حَاجَتُكَ ؟ فَذَكَرَ حَاجَتَهُ وَقَضَاهَا لَهُ ، ثمَّ قَالَ لَهُ : مَا ذَكَرْتُ حَاجَتَكَ حَتَّى كَانَ السَّاعَةُ ، وَقَالَ : مَا كَانَتْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ فَأْذْكُرُهَا ، ثمَّ إِنَّ الرَّجُلَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ فَلَقِيَ عُثْمَانَ بْنَ حُنَيْفٍ ، فَقَالَ لَهُ : جَزَاكَ الله خَيْراً مَا كَانَ يَنْظُرُ فِي حَاجَتِي وَلاَ يَلْتَفِتُ إِلَيَّ حَتَّى كَلَّمْتَهُ فِيَّ ، فَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ : وَاللهِّ مَا كَلَّمْتُهُ ، وَلَكِنِّي شَهِدْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَأَتَاهُ ضَرِيرٌ فَشَكَى إِلَيْهِ ذَهَابَ بَصَرِهِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : فَتَصَبَّرْ فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله ، لَيْسَ لِي قَائِدٌ وَقَدْ شَقَّ عَلَيَّ ، فَقَالَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : ائتِ الْمِيضَأَةَ فَتوَضَّأْ ، ثمَّ صَلِّ رَكْعَتَيْنِ ، ثمَّ ادْعُ بِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ قَالَ ابْنُ حُنَيْفٍ : فَوَاللهِّ مَا تَفَرَّقْنَا وَطَالَ بِنَا الْحَدِيثُ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْنَا الرَّجُلُ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ ضُرٌّ قَطُّ " (١) .

قال الإمام ابن تيمية بعدما ذكر الحديث : " والطَّبَرَانِي ذَكَرَ تَفَرُّدَهُ بِمَبْلَغِ عِلْمِهِ وَلَمْ تَبْلُغْهُ رِوَايَةُ رَوْحِ بْنِ عبادة عَنْ شُعْبَةَ ، وَذَلِكَ إِسْنَادٌ صَحِيحٌ : يُبَيِّنُ أَنَّه لَمْ يَنْفرِدْ بِهِ عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ وَطَرِيقُ ابْنِ وَهْبٍ هَذِهِ تُؤَيِّدُ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ عَدِيٍّ فَإِنَّهُ لَمْ يُحَرِّرْ لَفْظَ الرِّوَايَةِ كَمَا حَرَّرَهَا ابْنَاهُ ؛ بَلْ ذَكَرَ فِيهَا أَنَّ الْأَعْمَى دَعَا بِمِثْلِ مَا ذَكَرَهُ عُثْمَانُ بْنُ حَنِيفٍ وَلَيس

---

على شرط البخاري ، ووافقه الذَّهبي . وسيأتي بعده برقمي (١٧٢٤١) و (١٧٢٤٢) . انظر هامش : مسند الإمام أحمد بن حنبل (٢٨/ ٤٨٠-٤٨١) .

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٧ برقم ٨٣١١) ، الدُّعاء (ص٣٢٠ برقم ١٠٥٠) ، المعجم الصغير (ص٣٠٦ برقم ٥٠٨) ، البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ١٦٧) ، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب من الحديث الشَّريف (١/ ٢٧٢ برقم ١٠١٨) ، وقال : قَالَ الطَّبَرَانِيُّ بعد ذكر طرقه والحَدِيث صَحِيح .

كَذَلِكَ بَلْ فِي حَدِيثِ الْأَعْمَى أَنَّه قَالَ : " اللهمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ وَشَفِّعْنِي فِيهِ - أَوْ قَالَ - فِي نَفْسِي " . وَهَذِهِ لَمْ يَذْكُرْهَا ابْنُ وَهْبٍ فِي رِوَايَتِهِ فَيُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ حَدَّثَ ابْنُ وَهْبٍ مِنْ حِفْظِهِ كَمَا قَالَ ابْنُ عَدِيٍّ فَلَمْ يُتْقِنْ الرِّوَايَةَ ... " (١) .

**رَابِعَاً : التَّوَسُّلُ إلى الله تَعَالَى بِاسْمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم :**

قال الإمام أحمد بن محمَّد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط بن عبد الله بن إبراهيم بن بُدَيْح ، الدِّيْنَوَرِيُّ ، المعروف بـ " ابن السُّنِّي " (٣٦٤هـ) : أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ الصُّوفِيُّ ، حدَّثنا عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ ، ثنا زُهَيْرٌ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحمن بْنِ سَعْدٍ ، قَالَ : " كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ ، فَخَدِرَتْ رِجْلُهُ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحمن ، مَا لِرِجْلِكَ ؟ قَالَ : اجْتَمَعَ عَصَبُهَا مِنْ هَاهُنَا . قُلْتُ : ادْعُ أَحَبَّ النَّاس إِلَيْكَ ، فَقَالَ : يَا محمَّد ، فَانْبَسَطَتْ " (٢) .

وفي الفصل الخاص بأدلَّة التَّوسُّل أفضنا في الكلام على هذا الرِّواية ...

**خَامِسَاً : التَّوَسُّلُ إلى الله تَعَالَى بِآثَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَالأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام :**

وهذا سلوك سار عليه المؤمنون في جميع العصور . قال الله تعالى : ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة : ٢٤٨] ، فقد ذكر المفسِّرون أنَّ بني إسرائيل كانوا يحفظون في هذا التَّابوت بعض آثار أنبيائهم ، يتبرَّكون ويستنصرون الله تعالى بها فينصرهم الله ... وقد استوعبت الحديث في ذلك في الفصل الخاصّ بأدلَّة التَّوسُّل ...

وفي زمان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم تبرَّك الصَّحابة بآثار الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم المنفصلة منه في حال حياته وبعد مماته . فقد حملت السُّنَّة المطهَّرة ألواناً عديدة من تبرُّك الصَّحابة بآثاره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في حياته ، مع إقراره لهم على تبرُّكهم ، كما تبرَّكوا بما وجدوا من آثاره بعد انتقاله إلى الرَّفيق الأعلى ... وقد تكلَّمت عن ذلك في الفصل الخاص بأدلَّة التَّوسُّل ...

وحول هذا الموضوع يقول الدكتور البوطي : " وإذا علمت أنَّ التَّبرُّك بالشَّيء إنَّما هو طلب الخير بواسطته ووسيلته علمت أنَّ التَّوسُّل بآثار النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أمر مندوب إليه ومشروع ، فضلاً عن التَّوسُّل بذاته الشَّريفة .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١/ ٢٧٤) .

(٢) انظر : عمل اليوم والليلة سلوك النَّبي مع ربه عزَّ وجلَّ ومعاشرته مع العباد (ص١٤٢ برقم ١٧٢).

وليس ثمَّة فرق بين أن يكون ذلك في حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أو بعد وفاته ، فآثار النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وفضلاته ، لا تتَّصف بالحياة مطلقاً ، سواء تعلَّق التَّبرُّك والتَّوسُّل بها في حياته أو بعد وفاته ، كما ثبت في صحيح البخاري في باب شيب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم .

ومع ذلك ، فقد ضلّ أقوام لم تشعر أفئدتهم بمحبَّة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وراحوا يستنكرون التَّوسُّل بذاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بعد وفاته ، بحجَّة أنَّ تأثير النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قد انقطع بوفاته ، فالتّوسُّل به ، إنَّما هو توسُّل بشيء لا تأثير له البتَّة !

وهذه حجَّة تدلُّ – كما ترى – على جهل عجيب جدا ! ...

فهل ثبت لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم تأثير ذاتي في الأشياء في حال حياته ، حتى نبحث عن مصير هذا التَّأثير من بعد وفاته ؟! إنَّ أحداً من المسلمين لا يستطيع أن ينسب أي تأثير ذاتي في الأشياء لغير الواحد الأحد جلَّ جلاله ، ومن اعتقد خلاف هذا يكفر بإجماع المسلمين كلّهم .

فمناط التَّبرُّك والتَّوسُّل به أو بآثاره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ليس هو إسناد أي تأثير إليه ، والعياذ بالله ، وإنَّما المناط كونه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أفضل الخلائق عند الله على الإطلاق ، وكونه رحمة من الله للعباد ، فهو التَّوسُّل بقربه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إلى ربّه ، وبرحمته الكبرى للخلق . وبهذا المعنى توسَّل الأعمى به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في أن يردّ عليه بصره ، فردّه الله عليه ، وبهذا المعنى كان الصَّحابة يتوسَّلون بآثاره وفضلاته دون أن يجدوا منه أي إنكار ، وقد مرَّ في هذا الكتاب بيان استحباب الاستشفاع بأهل الصَّلاح والتَّقوى وأهل بيت النُّبوَّة في الاستسقاء وغيره ، وأنَّ ذلك ممَّا أجمع عليه جمهور الأئمَّة والفقهاء بما فيهم الشَّوكاني وابن قدامة الحنبلي والصَّنعاني ، وغيرهم .

والفرق بعد هذا بين حياته وموتـــه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، خلط عجيب وغريب في البحث لا مسوّغ له " (١) .

## سَادِسَاً : التَّوَسُّلُ إلى الله تَعَالَى بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ :

لا بأس في أن يتوسَّل المرءُ إلى الله تعالى بأعماله الصَّالحة لدفع مضرَّة نزلت به أو جلب منفعة ، كأن يقول : اللهمَّ إنِّي أسألك بعملي الفلاني – ويسمِّيه – الذي عملته من أجلك مخلصاً أن تيسِّر لي كذا وكذا ...أو يقول : اللهمَّ إني أسألك بإيماني بك ، وتصديقي لرسولك ، ومحبَّتي له أن تعينني على كذا ....

---

(١) انظر : فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة (ص٢٣٩ فما بعدها) .

وممَّا يستدلُّ به لهذا النَّوع من التَّوسُّل قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران : ١٦] ...

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " بَيْنَمَا ثَلاَثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ ، إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ ، فَأَوَوْا إِلى غَارٍ فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : أَنَّه وَاللهِ يَا هَؤُلاَءِ ، لاَ يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصِّدْقُ ، فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّه قَدْ صَدَقَ فِيهِ ، فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ : اللهمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّه كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَى فَرَقٍ مِنْ أَرُزٍّ ، فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ ، وَأَنِّي عَمَدْتُ إلى ذَلِكَ الفَرَقِ فزَرَعْتُهُ ، فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَنِّي اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَراً ، وأَنَّه أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : اعْمِدْ إلى تِلْكَ البَقَرِ فَسُقْهَا، فَقَالَ لِي: إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرَقٌ مِنْ أَرُزٍّ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إلى تِلْكَ البَقَرِ ، فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الفَرَقِ فَسَاقَهَا ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا ، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ ، فَقَالَ الآخَرُ : اللهمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّه كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ ، فَكُنْتُ آتِيهِمَا كُلَّ لَيْلَةٍ بِلَبَنِ غَنَمٍ لِي ، فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِمَا لَيْلَةً ، فَجِئْتُ وَقَدْ رَقَدَا وَأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاغَوْنَ مِنَ الجُوعِ ، فَكُنْتُ لاَ أَسْقِيهِمْ حَتَّى يَشْرَبَ أَبَوَايَ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَدَعَهُمَا ، فَيَسْتَكِنَّا لِشَرْبَتِهِمَا ، فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُ حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا ، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ حَتَّى نَظَرُوا إلى السَّماء ، فَقَالَ الآخَرُ : اللهمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّه كَانَ لِي ابْنَةُ عَمٍّ ، مِنْ أَحَبِّ النَّاس إِلَيَّ ، وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ ، إِلَّا أَنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ ، فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ ، فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا ، فَأَمْكَنَتْنِي مِنْ نَفْسِهَا ، فلمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا ، فَقَالَتْ : اتَّقِ اللهَ وَلاَ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ المِائَةَ دِينَارٍ ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا ، فَفَرَّجَ الله عَنْهُمْ فَخَرَجُوا " (١) .

فالطَّاعة والعمل الصَّالح أمرٌ يحبُّه الله تعالى ، وبالتَّالي فهو وسيلة من الوسائل التي يقدِّمها الإنسان ليتقرَّب بها إلى الله تعالى طلباً لنيل القُربة والمنزلة ، وكشف الهمِّ والغمِّ والحزن ...

**سَابِعَاً : التَّوَسُّلُ إلى الله تَعَالَى بِدُعَاءِ الصَّالِحِيْن :** ومن أنواع التَّوسُّل : التَّوسُّل إلى الله تعالى بدعاء الصَّالحين ممَّن يُرجى إجابة دعائه ، فعن أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ ، أَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَفَدُوا إلى عُمَرَ ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَسْخَرُ بِأُوَيْسٍ ، فَقَالَ عُمَرُ : هَلْ هَاهُنَا أَحَدٌ مِنَ الْقَرَنِيِّينَ ؟ فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ ، فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٢ برقم ٣٤٦٥) .

وَسَلَّم قَدْ قَالَ : " إِنَّ رَجُلاً يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ ، لَا يَدَعُ بِالْيَمَنِ غَيْرَ أُمٍّ لَهُ ، قَدْ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ ، فَدَعَا اللهَ فَأَذْهَبَهُ عَنْهُ ، إِلَّا مَوْضِعَ الدِّينَارِ أَوِ الدِّرْهَمِ ، فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ " (١) .

والأحاديث الواردة عن الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في الحثِّ على التَّوسُّلِ بدعاء الصَّالحين كثيرة ، منها ما رواه ابن أبي شيبة وابن ماجه بسنديهما عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ صَفْوَانَ ، وَكَانَ تَحْتَهُ الدَّرْدَاءُ فَأَتَاهَا ، فَوَجَدَ أُمَّ الدَّرْدَاءِ وَلَمْ يَجِدْ أَبَا الدَّرْدَاءِ ، فَقَالَتْ لَهُ : تُرِيدُ الْحَجَّ الْعَامَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَتْ : فَادْعُ اللهَ لَنَا بِخَيْرٍ ، فَإِنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يَقُولُ : " دَعْوَةُ الْمَرْءِ مُسْتَجَابَةٌ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ يُؤَمِّنُ عَلَى دُعَائِهِ ، كُلَّمَا دَعَا لَهُ بِخَيْرٍ ، قَالَ : آمِينَ ، وَلَكَ مِثْلُ ذَلِكَ " . ثمَّ خَرَجْتُ إِلى السُّوقِ ، فَلَقِيتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ ، فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بِمِثْلِ ذَلِكَ " (٢) .

وروى مسلم وغيره بسندهم عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ ، أَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَفَدُوا إِلى عُمَرَ ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَسْخَرُ بِأُوَيْسٍ ، فَقَالَ عُمَرُ : هَلْ هَاهُنَا أَحَدٌ مِنَ الْقَرَنِيِّينَ ؟ فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَدْ قَالَ : إِنَّ رَجُلاً يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ ، لَا يَدَعُ بِالْيَمَنِ غَيْرَ أُمٍّ لَهُ ، قَدْ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ ، فَدَعَا اللهَ فَأَذْهَبَهُ عَنْهُ ، إِلَّا مَوْضِعَ الدِّينَارِ أَوِ الدِّرْهَمِ ، فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ " (٣) .

وفي السُّنَّة المطهَّرة نماذج عديدة وفريدة لطلبات الصَّحابة من الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم الدُّعاء لهم ... وقد جاء الأمر من الله تعالى لالتماس وطلب دعائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، في قوله سبحانه : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] .

وقد ذكرت في الفصل الخاصِّ بأدلَّة التَّوسُّل العديد العديد من الأدلَّة التي تندرج تحت أنواع التَّوسُّل المختلفة ...

(١) أخرجه أحمد في الزهد (ص٥٧٠ برقم ٢٠٤٦) ، مسلم (٤/ ١٩٦٨ برقم ٢٥٤٢) ، واللفظ له ، ابن المبارك في الزهد والرقائق (٢/ ٥٩) ، البغوي في شرح السُّنَّة (١٤/ ٢٠٥ برقم ٤٠٠٥) ، البيهقي في شعب الإيمان (٩/ ١٢٨ برقم ٦٣٨٠) ، ابن أبي شيبة في المصنف (١٢/ ١٥٣ برقم ٣٣٠١٠) ، الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ٧٩) .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المسند ، (١/ ٥٢ برقم ٤٣) ، المصنف (٦/ ٢١ برقم ٢٩١٥٨) ، ابن ماجه (٢/ ٩٦٦ برقم ٢٨٩٥) .

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٦٨ برقم ٢٥٤٢) ، البغوي في شرح السُّنَّة (١٤/ ٢٠٥ برقم ٤٠٠٥) .

## الفَصْلُ الرَّابعُ

## أَدِلَّةُ التَّوَسُّلِ بالأنبياء والصَّالحين وآثارهم

لقد دلَّت على جواز التَّوسُّل بالذَّوات الفاضلة من الأنبياء والصَّالحين وآثارهم في الحياة وبعد الممات ، وكذا بالأعمال الصَّالحة آياتُ الكتاب العزيز ، وكذا أحاديثُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ومن تلكمُ الأدلَّة :

**أَوَّلاً : أَدِلَّةُ القُرْآنِ العَظِيْم :**

**الدَّلِيْلُ الأوَّل : قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٨٩] .**

فقد ذكر أهل العلم أنَّ اليهود كانوا قبل بعثة سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يستنصرون بمحمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم على مشركي العرب ، وكانوا يقولون لهم : هذا زمانُ خروج نبي آخر الزَّمان الذي نجد صفته في التَّوراة ، وسنقتلكم معه قتل عادٍ وإرم ، وكان اليهود يُهزمون في حربهم مع قبيلة غطفان العربيَّة ، فقالوا : اللهمَّ إنَّا نسألك بحقِّ النَّبي الأُمِّي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزَّمان إلَّا نصرتنا عليهم ، فهزموا غطفان ... فلمَّا بُعث النَّبي من العرب تنكَّروا له ، وكفروا به ، وعادوه ...

قال الإمام محمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطَّبري (٣١٠هـ) : " يعني بقوله جلَّ ثناؤه : ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البقرة : ٨٩ ] ، أي : وكان هؤلاء اليهود الذين لَّما جاءهم كتاب من عند الله مصدِّق لما معهم من الكتب التي أنزلها الله قبل الفرقان ، كفروا به – يستفتحون بمحمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم . ومعنى" الاستفتاح " : الاستنصار ، يستنصرون الله به على مشركي العرب من قبل مبعثه ، أي : من قبل أن يبعث ، كما حدَّثني ابن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة قال ، حدَّثني ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري ، عن أشياخ منهم ، قالوا : فينا والله وفيهم – يعني في الأنصار ، وفي اليهود الذين كانوا جيرانهم نزلت هذه القصَّة ، يعني : ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [البقرة : ٨٩ ] ، قالوا : كنا قد علوناهم دهرا في الجاهليَّة ، ونحن أهل الشِّرك ، وهم أهل الكتاب ، فكانوا يقولون : إنَّ نبيَّاً الآن مبعثه قد أظلَّ زمانه ، يقتلكم قتل عاد وإرم . فلمَّا بعث الله تعالى ذكره رسوله من قريش واتَّبعناه ، كفروا به . يقول الله : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ ﴾ [البقرة : ٨٩ ] .

وحدَّثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : حدَّثني ابن إسحاق ، قال : حدَّثني محمَّد بن أبي محمَّد مولى آل زيد بن ثابت ، عن سعيد بن جبير ، أو عكرمة مولى ابن عبَّاس ، عن ابن عبَّاس : أنَّ يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قبل مبعثه . فلمَّا بعثه الله من العرب ، كفروا به ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه . فقال لهم معاذ بن جبل ، وبشر بن البراء بن معرور أخو بني سلمة : يا معشر يهود ، اتَّقوا الله وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ونحن أهل شرك ، وتخبروننا أنَّه مبعوث ، وتصفونه لنا بصفته ! فقال سَلام بن مِشْكَم أخو بني النَّضير : ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذي كنَّا نذكر لكم ! فأنزل الله جلَّ ثناؤه في ذلك من قوله : ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩] .

وحدَّثنا أبو كريب ، قال : حدَّثنا يونس بن بكير ، قال : حدَّثنا ابن إسحاق ، قال : حدَّثني محمَّد بن أبي محمَّد مولى آل زيد بن ثابت ، قال : حدَّثني سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عبَّاس مثله .

وحدَّثني محمَّد بن سعد ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثني عمي ، قال : حدَّثني أبي عن أبيه ، عن ابن عبَّاس : ﴿وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة : ٨٩] ، يقول : يستنصرون بخروج محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم على مشركي العرب – يعني بذلك أهل الكتاب – فلمَّا بعث الله محمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ورأوه من غيرهم ، كفروا به وحسدوه .

وحدَّثنا محمَّد بن عمرو قال ، حدَّثنا أبو عاصم ، قال : حدَّثني عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن علي الأزدي في قول الله : ﴿وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة ٨٩] ، قال : اليهود ، كانوا يقولون : اللهمَّ ابعث لنا هذا النَّبي يحكم بيننا وبين النَّاس ، يستفتحون – يستنصرون – به على النَّاس .

وحدَّثني المثنى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفة ، قال : حدَّثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن علي الأزدي – وهو البارقي – في قول الله جلَّ ثناؤه : ﴿وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة: ٨٩] ، فذكر مثله .

وحدَّثنا بشر بن معاذ ، قال : حدَّثنا يزيد ، قال : حدَّثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة : ٨٩] ، كانت اليهود تستفتح بمحمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم على كفَّار

العرب من قبل ، وقالوا : اللهمَّ ابعث هذا النَّبي الذي نجده في التَّوراة يعذّبهم ويقتلهم ! فلمّا بعث الله محمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فرأوا أنَّه بعث من غيرهم ، كفروا به حسداً للعرب ، وهم يعلمون أنَّه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، يجدونه مكتوباً عندهم في التَّوراة :﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [البقرة : ٨٩ ] ... " (١) .

وقال الإمام إبراهيم بن السَّري بن سهل ، أبو إسحاق الزَّجَّاج (٣١١هـ) في معنى الآية : " ... فيه قولان : ... وقيل : وكانوا يستفتحون على الذين كفروا : يَسْتَنْصرون بذكر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ ﴾ [البقرة : ٨٩ ] ، فلمّا جاءَهم ما عرفوا ، أي : ما كانوا يستنصرون وبصحَّته يخبرون ، كفروا وهم يوقنون أنَّهم معْتَمِدُون للشقاق عداوة للهِ" " (٢) .

وقال الإمام أبو محمَّد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمَّد بن مختار القيسي القيرواني ثمَّ الأندلسي القرطبي المالكي (٤٣٧هـ) : " قال ابن عبَّاس : " كانت العرب في الجاهليَّة يمرُّون على اليهود فيؤذونهم ، واليهود يجدون صفة محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في التَّوراة ، فيسألون الله أن يعجِّل ببعثه فينصروا به على العرب لما وصل إليهم من أذى العرب . فلمّا جاءهم محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم الذي قد عرفوه وسألوا الله في بعثه كفروا به " . وقال مجاهد : " كانوا يقولون : " اللهمَّ ابعث لنا هذا النَّبي يفصل بيننا وبين النَّاس ، فلمّا بُعث كفروا به " .

وقيل : أنَّهم كانوا يرغبون إلى الله في النَّصر عند حروبهم بمحمَّد عليه السَّلام ، ويستشفعون به فينصرون ، فلمّا جاءهم بنفسه كفروا به حسداً وبغياً ، وهم يعلمون أنَّه رسول . وبمثل هذا القول ، قال : السدِّي ، وعطاء ، وأبو العالية " (٣) .

وقال الإمام أبو بكر محمَّد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (٣٦٠هـ) : " أَنْبَأَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى الْجَوْزِيُّ ، قَالَ : حدَّثنا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى الْقَطَّانُ ، قَال : حدَّثنا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هَارُونَ بْنِ عَنْتَرَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، عَنِ ابْنِ عبَّاس ، قَالَ : " كَانَتْ يَهُودُ خَيْبَرَ تُقَاتِلُ غَطَفَانَ ، فَكُلَّمَا الْتَقَوْا هُزِمَتِ الْيَهُودُ فَعَادَ الْيَهُودُ يَوْماً فِي الدُّنيا ، فَقَالُوا : اللهمَّ نَسْأَلُكَ بِحَقِّ محمَّد النَّبي الْأُمِّيِّ ، الَّذِي وَعَدْتَنَا أَنَّكَ تُخْرِجُهُ لَنَا فِي آخِرِ الزَّمَانِ إِلَّا نَصَرْتَنَا

(١) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (٢/ ٣٣٢ – ٣٣٥) .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه (١/ ١٧١) .

(٣) انظر : الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ، وأحكامه ، وجمل من فنون علومه (١/ ٣٤٦) .

عَلَيْهِمْ ، قَالَ : فكَانُوا إِذَا الْتَقَوْا دَعَوْا بِهَذَا الدُّعاء ، فَهَزَمُوا غَطَفَانَ ، فلَمَّا بُعِثَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، كَفَرُوا بِهِ ، فَأَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٨٩ ] (١) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن محمَّد بن علي الواحدي ، النَّيسابوري ، الشَّافعي (٤٦٨هـ) : ﴿يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [البقرة : ٨٩ ] ، يستنصرون الله عليهم بالقرآن والنَّبي المبعوث آخر الزَّمان .

قال سعيد بن جبير ، عن ابن عبَّاس : كانت يهود خيبر تقاتل غطفان ، فكلَّما التقوا هزمت يهود خيبر ، فعاذت اليهود بهذا الدُّعاء ، وقالت : اللهمَّ إنَّا نسألك بحقِّ النَّبي الأُمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا فِي آخر الزَّمان إلَّا نصرتنا عليهم .

فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدُّعاء فهزموا غطفان ، فلمَّا بُعث النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كفروا به ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، وهو قوله تعالى : ﴿يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البقرة : ٨٩ ] ، يعني الكتاب ، وذلك أنَّهم كانوا قد قرءوا فِي التَّوراة أنَّ الله يبعث فِي آخر الزَّمان نبيَّاً وينزله عليه قرآناً مبيناً " (٢) .

وقال الإمام أبو المظفَّر ، منصور بن محمَّد بن عبد الجبَّار ابن أحمد المروزى السَّمعاني التَّميمي الحنفي ثمَّ الشَّافعي (٤٨٩هـ) : ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البقرة : ٨٩ ] ، يستنصرون ؛ وَمِنْه قَول الشَّاعِر :

أَلا أبلغ بني عصم رَسُولاً فَإِنِّي عَن قباحتكم غني

أَي : عَن نصرتكم . وَفِي الْخَبَر : " أَنَّ النَّبي كَانَ يستفتح بصعاليك الْمُهَاجِرين " (٣) ، أَي يستنصر بهم فِي الدُّعاء للغزوات .

(١) أخرجه الآجُرِّيُّ في الشريعة (٣/ ١٤٥٢ برقم ٩٧٨) .

(٢) انظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد (١/ ١٧٣) .

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٩٢ برقم ٨٥٧) ، البغوي في شرح السُّنَّة (١٤/ ٢٦٤ برقم ٤٠٦٢) ، الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٤/ ٣٣٧ برقم ١٥٠٧) .

وَمعنى الْآيَة : أَنَّ الْمُشْركين من قبل كَانُوا يُؤْذونَ الْيَهُود ، فَرُبمَا تكون الْغَلَبَة لَهُم على الْيَهُود فِي الْقِتَال ؛ فَقَالَت الْيَهُود - : اللهمَّ انصرنا بالنَّبي الْأُمِّي الَّذِي تبعثه فِي آخر الزَّمَان ، فَكَانُوا ينْصرُونَ بِهِ ، فلمَّا بعث كفرُوا بِهِ " (١) .

وقال الإمام أبو القاسم الحسين بن محمَّد المعروف بالرَّاغب الأصفهانى (٥٠٢هـ) : " الاستفتاح : طلب الفتح ، والفتح ضربان ، فتح إلهي ، وهو النُّصرة بالوصول إلى العلوم والهدايات التي هي ذريعة إلى الثَّواب والمقامات المحمودة ، وفتح دنيوي ، وهو النُّصرة في الوصول إلى اللذَّات البدنيَّة ، وعلى الأوَّل قوله : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح : ١] ، وقوله : ﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ ﴾ [المائدة: ٥٢ ] ، وعلى الثَّاني قوله : ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام : ٤٤ ] ، وقوله : ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ [البقرة : ٨٩ ] ، قيل : معناه : يستعملون خبره من النَّاس مرة ، وقيل يطلبون من الله في بذكره الظَّفر ، وقيل : كانوا يقولون : إنَّا ننصر لمحمد عليه السَّلام على عبدة الأوثان ، وكلُّ ذلك داخل في عموم الاستفتاء ، فبيَّن الله تعالى من جهلهم أنَّهم كانوا ينتظرونه ، وكانوا يعرفون وصفه ... " (٢) .

وقال الإمام بو حامد محمَّد بن محمَّد الغزالي الطُّوسي (٥٠٥هـ) : " قال ابن عبَّاس : كانت اليهود قبل أن يُبعث النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إذا قاتلوا قوماً ، قالوا : نسألك بالنَّبي الذي وعدتنا أن ترسله ، وبالكتاب الذي تنزله إلَّا ما نصرتنا . فكانوا يُنصرون ، فلمَّا جاء النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم من ولد إسماعيل عليه السَّلام عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم إيَّاه ، فقال تعالى : ﴿ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ﴾ [البقرة : ٨٩ ] إلى قوله : ﴿أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا﴾ [البقرة : ٩٠]، أي حسداً ... " (٣) .

وقال الإمام محيي السُّنَّة ، أبو محمَّد الحسين بن مسعود بن محمَّد بن الفرَّاء البغوي الشَّافعي (٥١٠هـ) : " ... ﴿ وَكَانُواْ ﴾ ، يعني : اليهود ، ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ﴾ ، أَيْ : مِنْ قَبْلِ مَبْعَثِ محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ : يَسْتَنْصِرُونَ ، ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ : عَلَى مُشْرِكِي الْعَرَبِ ، وَذَلِكَ أَنَّهم كانوا يقولون إذا

---

(١) انظر : تفسير القرآن ، أبو المظفر السمعاني (١/ ١٠٨) .

(٢) انظر : تفسير الراغب الأصفهاني (١/ ٢٥٧-٢٥٨) .

(٣) انظر : إحياء علوم الدِّين (٣/ ١٩٠) ، وانظر : بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية (٢/ ٢٥٤) .

أحزنهم أمر أو دهمهم عَدُوٌّ : اللهمَّ انْصُرْنَا عَلَيْهِمْ بالنَّبي الْمَبْعُوثِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ الَّذِي نَجِدُ صِفَتَهُ فِي التَّوْرَاةِ ، فَكَانُوا يُنْصَرُونَ ، وَكَانُوا يَقُولُونَ لِأَعْدَائِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ : قَدْ أَظَلَّ زَمَانُ نَبِيٍّ يَخْرُجُ بِتَصْدِيقِ مَا قُلْنَا فَنَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَثَمُودَ وَإِرَمَ ... " (١) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي (٥٩٧هـ) : " قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ٨٩ ] ، يعني : القرآن ، و ﴿ يَسْتَفْتِحُونَ ﴾ [البقرة : ٨٩ ] : يستنصرون . وكانت اليهود إذا قـــاتلت المشركين استنصروا باسم نبيّ الله محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم " (٢) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التَّيمي الرَّازي الملقَّب بفخر الدِّين الرَّازي خطيب الرّي (٦٠٦هـ) : " أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [البقرة : ٨٩ ] ، فَفِي سَبَبِ النُّزُولِ وُجُوهٌ . أَحَدُهَا : أَنَّ الْيَهُودَ مِنْ قَبْلِ مَبْعَثِ محمَّد عَلَيْهِ السَّلام وَنُزُولِ الْقُرْآنِ كَانُوا يَسْتَفْتِحُونَ ، أَيْ : يَسْأَلُونَ الْفَتْحَ وَالنُّصْرَةَ ، وَكَانُوا يَقُولُونَ : اللهمَّ افْتَحْ عَلَيْنَا وَانْصُرْنَا بالنَّبي الْأُمِّيِّ ... " (٣) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدِّين القرطبي (٦٧١ هـ) : ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ﴾ [البقرة : ٨٩ ] ، أي : يستنصرون . والاستفتاح : الاستنصار . استفتحت : استنصرت . وفي الحديث : كان النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يستفتح بصعاليك المهاجرين ، أي : يستنصر بدعائهم وصلاتهم . ومنه : ﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ ﴾ [المائدة : ٥٢ ] . والنَّصر : فتح شيء مغلق ، فهو يرجع إلى قولهم : فتحت الباب . وروى النَّسائي عن أبي سعيد الخدري أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال : " إنَّما نصر الله هذه الأمَّة بضعفائها ، بدعوتهم ، وصلاتهم ، وإخلاصهم " (٤) . وروى النَّسائي أيضاً عن أبي الدَّرداء ، قال : سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، يقول : " أبغوني الضَّعيف ، فإنَّكم إنَّما ترزقون

---

(١) انظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (١/ ١٤١-١٤٢) .

(٢) انظر : زاد المسير في علم التفسير (١/ ٨٧) .

(٣) انظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (٣/ ٥٩٨) .

(٤) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٤/ ٣٠٥ برقم ٤٣٧٢) ، الشاشي في المسند (١/ ١٣٢ برقم ٧٠) ، كلاهما بلفظ : " إِنَّما نَصْرُ اللهُ هَذِهِ الأُمَّة بِضَعِيفِهَا بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ .

وتنصرون بضعفائكم " (١) . قال ابن عبَّاس : كانت يهود خيبر تقاتل غطفان ، فلمَّا التقوا هزمت يهود ، فعادت يهود بهذا الدُّعاء ، وقالوا : إنَّا نسألك بحقِّ النَّبي الأمِّي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزَّمان إلَّا تنصرنا عليهم . قال : فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدُّعاء ، فهزموا غطفان ، فلمَّا بعث النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كفروا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [البقرة : ٨٩ ] ، أي بك : يا محمَّد " (٢) .

وقال الإمام أبو زيد عبد الرَّحمن بن محمَّد بن مخلوف الثَّعالبي (٨٧٥هـ) : " ... وروى أبو بكر محمَّد بن حُسَيْنٍ الآجُرِّيُّ عن ابن عبَّاس ، قال : كانت يهود خيبر يُقَاتِلُونَ غَطَفَانَ ، فكُلَّمَا التقوا ، هزمت اليهودَ ، فَعَاذَ اليهودُ يوماً بالدُّعاء ، فقالوا : اللهمَّ ، إنَّا نسألكَ بحَقِّ محمَّد النَّبي الأُمِّيِّ الذي وعدتَّنا أن تخرجَهُ لَنَا في آخر الزَّمان إِلَّا نَصَرْتَنا علَيْهم ، فكانوا إذا التقوا ، دعوا بهذا الدُّعاء ، فهزموا غطفان ، فلمَّا بعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كَفَرُوا به ... " (٣) .

وبنحو ما قال هؤلاء العلماء ، قال جمهور المفسِّرين (٤) ...

**الدَّلِيْلُ الثَّانِي : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[البقرة : ٢٤٨] .**

وفي تفسيرهم للآية الكريمة ذكر أهل العلم أنَّ التَّابوت كان فيه بعض آثار أنبياء بني إسرائيل ، وكانوا يأخذونه معهم في حروبهم يستنصرون به على عدِّوهم ، وكان بالنِّسبة لهم مصدر سكينة وطمأنينة ووقار ، به

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ١٩٨ برقم ٢٢٠٧٤) ، أبو داود (٣/ ٣٢ برقم ٢٥٩٤) ، الترمذي (٣/ ٢٥٨ برقم ١٧٠٢) ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ، البزار في المسند (١٠/ ٧٤ برقم ٤١٣٩) ، النسائي في السنن الكبرى (٤/ ٣٠٥ برقم ٤٣٧٣) ، ابن حبَّان في الصَّحيح (١١/ ٨٥ برقم ٤٧٦٧) ، الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ١٥٧ برقم ٢٦٤١ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاه) ، البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٤٨٠ برقم ٦٣٨٨) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٢٦-٢٧).

(٣) انظر : الجواهر الحسان في تفسير القرآن (١/ ٢٧٨-٢٧٩) .

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١/ ١٧١) ، بحر العلوم( ١/ ٩٩) ، تفسير القرآن العزيز ، ابن أبي زَمَنِين (١/ ١٥٨) ، تفسير الماوردي (النكت والعيون) (١/ ١٥٨) ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٩٣) ، البحر المحيط في التفسير (١/ ٤٨٧) ، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (١/ ٧٦) ، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (١/ ١٣٢) .

تأنس نفوسهم وتسكن إليه قلوبهم ، فلا يهربوا ولا يفرّوا أمام عدّوهم . ولمّا انحرفوا عن الجادّة وعصوا الرُّسل سلَّط الله عليهم من ينتزعه منهم ، فذلُّوا وهانوا ...

ففي تفسير الآية الكريمة قال الإمام إبراهيم بن السَّري بن سهل ، أبو إسحاق الزجَّاج (٣١١هـ) : " والفائدة – كانت – في هذا التَّابوت أنَّ الأنبياءَ – صلوات اللهَّ عليهم – كانت تستفتح به في الحروب ، فكان التَّابوت يكون بين أيديهم ، فإذا سُمِعَ من جوفه أنين دف التَّابوت ، أي : سار والجميع خلفه – واللهَّ أعلم بحقيقة ذلك " (١) .

وقال الإمام محيي السُّنَّة ، أبو محمَّد الحسين بن مسعود البغوي (٥١٠هـ) : " ... وَقَالَ قَتَادَةُ وَالْكَلْبِيُّ : السَّكِينَةُ فَعِيلَةٌ مِنَ السُّكُونِ ، أَيْ : طُمَأْنِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَفِي أَيِّ مَكَانٍ كَانَ التَّابوت اطْمَأَنُّوا إِلَيْهِ وَسَكَنُوا . ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ﴾ [البقرة : ٢٤٨ ] ، يَعْنِي مُوسَى وَهَارُونَ أَنْفُسَهُمَا كَانَ فِيهِ لَوْحَانِ مِنَ التَّوْرَاةِ ، وَرُضَاضِ الْأَلْوَاحِ الَّتِي تَكَسَّرَتْ ، وَكَانَ فِيهِ عَصَا مُوسَى ، وَنَعْلَاهُ ، وَعِمَامَةُ هَارُونَ ، وَعَصَاهُ ، وَقَفِيزٌ مِنَ الْمَنِّ الَّذِي كَانَ يَنْزِلُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَكَانَ التَّابوت عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَكَانُوا إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ تَكَلَّمَ وَحَكَمَ بَيْنَهُمْ ، وَإِذَا حَضَرُوا الْقِتَالَ قَدَّمُوهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فَيَسْتَفْتِحُونَ بِهِ عَلَى عَدُوِّهِمْ " (٢) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي (٥٩٧هـ) : " كان التَّابوت من عود الشَّمشار (٣) عليه صفائح الذَّهب ، وكان يكون مع الأنبياء إذا حضروا قتالاً ، قدَّموه بين أيديهم يستنصرون به ، وفيه السَّكينة . وقال وهب بن منبِّه : كان نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين . قال مقاتل : فلمّا تفرقت بنو إسرائيل ، وعصوا الأنبياء ، سلَّط الله عليهم عدوَّهم ، فغلبوهم عليه " (٤) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدِّين القرطبي (٦٧١هـ) : قوله تعالى : ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ﴾ [البقرة : ٢٤٨] ، اختلف النَّاس في السَّكينة والبقيَّة ؛ فالسَّكينة فعيلة مأخوذة من السُّكون والوقار والطُّمأنينة . فقوله : " فيه سكينة " ، أي : هو سبب

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٢٩) .

(٢) انظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (١/ ٣٣٤) .

(٣) نوع من الشجر ، خشبه صُلب ، تُصنع منه بعض الأدوات .

(٤) انظر : زاد المسير في علم التفسير (١/ ٢٢٤) .

سكون قلوبكم فيما اختلفتم فيه من أمر طالوت ؛ ونظيره : ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ ﴾ [التوبة : ٤٠] ، أي : أنزل عليه ما سكن به قلبه . وقيل : أراد أنَّ التَّابوت كان سبب سكون قلوبهم ، فأينما كانوا سكنوا إليه ولم يفرُّوا من التَّابوت إذا كان معهم في الحرب " (١) .

وقال الإمام أبو زيد عبد الرَّحمن بن محمَّد بن مخلوف الثَّعالبي (٨٧٥هـ) : " وكانت بنو إسرائيل تغلِبُ من حاربها ، وروي أنَّها كانت تَضَعُ التَّابوت الذي فيه السَّكينةِ والبقيَّة في مَأْزِقِ الحرب ، فلا تزال تَغْلِبُ حتى عصَتْ ، وظهرتْ فيهم الأحداث ، وخالف ملوكهم الأنبياء ، واتَّبعوا الشَّهوات ، وقد كان اللهَّ تعالى أقام أمورهم بأنْ يكون أنبياؤهم يسدِّدون ملوكهم ، فلمَّا فعلوا ما ذكرناه ، سلَّط اللهَّ عليهم أُمماً من الكَفَرة ، فغلَبُوهم ، وأُخِذَ لهم التَّابوت في بعض الحُرُوب ، فذلّ أمرهم ... واختلف في كيفيَّة إتيان التَّابوت ، فقال وهب : لَّما صار التَّابوت عند القومِ الذين غَلَبُوا بني إِسْرَائيل ، وضَعُوه في كنيسة لهم فيها أصنامٌ ، فكانت الأصنام تُصْبِحُ منكَّسة ، فجعلوه في قرية قَوْمٍ ، فأصاب أولئك القَوْم أوجاعٌ ، فقالوا : ما هذا إلَّا لهذا التَّابوت ، فلنردَّه إلى بني إِسرائيل ، فأخذوا عَجَلَةً ، فجعلوا التَّابوت علَيْها ، وربَطُوها ببقرتَيْن ، فأرسلوهما في الأرضِ نَحْو بلادِ بَني إسرائيل ، فبعث اللهَّ ملائكَةً تَسُوقُ البقرتَيْنِ حتى دخَلَتَا به على بني إِسرائيل ، وهم في أمر طَالُوتَ ، فأيقنوا بالنَّصْر " .

وقال قتادةُ ، والرَّبيعُ : كان هذا التَّابوت ممَّا تركه موسى عنْد يُوشَعَ ، فجعله يُوشَعُ في البريَّة ، ومَرَّتْ علَيْه الدُّهُور حتى جاء وقْتُ طَالُوت ، فحملَتْه الملائكةُ في الهَوَاء حتى وضعْته بينهم ، فاستوثقت بنو إِسرائيل عند ذلك على طالوت ، وقيل غير هذا ، واللهَّ أعلم (٢) .

وقال الإمام أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصُّوفي (١٢٢٤هـ) : ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [البقرة : ٢٤٨] ، أي : فيه ما تسكن إليه قلوبكم وتثبت عند الحرب . وكانوا يُقدِّمونه أمامهم في الحروب فلا يفرُّون ، ويُنصرون على عدوِّهم " (٣) .

وقال الإمام محمَّد بن علي بن محمَّد بن عبد الله الشَّوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) : " وَالسَّكِينَةُ فَعِيلَةٌ ، مَأْخُوذَةٌ مِنَ السُّكُونِ وَالْوَقَارِ وَالطُّمَأْنِينَةِ ، أَيْ : فِيهِ سَبَبُ سُكُونِ قُلُوبِكُمْ فِيمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ أَمْرِ طَالُوتَ . قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ :

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٢٤٨-٢٤٩) .

(٢) انظر : الجواهر الحسان في تفسير القرآن (١/ ٤٨٨-٤٩١ باختصار) .

(٣) انظر : البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (١/ ٢٧٥) .

الصَّحيح أَنَّ التَّابوت كَانَتْ فِيهِ أَشْيَاءُ فَاضِلَةٌ مِنْ بَقَايَا الْأَنْبِيَاءِ وَآثَارِهِمْ ، فَكَانَتِ النُّفُوسُ تَسْكُنُ إِلى ذَلِكَ وَتَأْنَسُ بِهِ وَتَتَقَوَّى . وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي السَّكِينَةِ عَلَى أَقْوَالٍ سَيَأْتِي بَيَانُ بَعْضِهَا ، وَكَذَلِكَ اخْتُلِفَ فِي الْبَقِيَّةِ ، فَقِيلَ : هِيَ عَصَا مُوسَى وَرُضَاضُ الْأَلْوَاحِ ، وَقِيلَ : غَيْرُ ذَلِكَ " (١) .

وهذا في الحقيقة ليس إلَّا توسُّلاً بآثار أُولئك الأنبياء ، وتوسُّلاً ببركه التَّابوت . فإذا كان التَّبرُّك بآثار الأنبياء شِرْكاً وخروجاً من ربقة الدِّين ، فماذا يقول مدَّعو السَّلفيَّة عن قصَّة تابوت بني إسرائيل ؟!!! هل يقرُّ القرآن الكفر ويمدحه ؟...

**الدَّلِيْلُ الثَّالِثُ : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة : ٣٥] .**

الوسيلة هي ما يُتقرَّبُ به إلى الله ، وهي ما يتوصَّلُ بها إلى تحصيل المقصود . والوسيلة لفظٌ عامٌ شاملٌ للتَّوسُّل بالذَّوات الفاضلة من الأنبياء والصَّالحين في الحياة وبعد المات ، وكذا بالأعمال الصَّالحة . فالآية الكريمة تدعو المؤمنين للتَّقرُّب إلى الله تعالى بشتَّى أنواع القُربات ، متوسِّلين إليه تعالى بشتَّى أنواع الوسائل ، ومن ضمنها : التَّوسُّل بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ...

وفي تفسير الآية الكريمة قال الإمام أبو بكر عبد الرزَّاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصَّنعاني (٢١١هـ) في تعريف الوسيلة : " عَنِ الْحَسَنِ ، قال : الْقُرْبَةَ ... وعن قتادة ، قال : الْقُرْبَةُ وَالزُّلْفَةُ " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطَّبري (٣١٠هـ) : " والوسيلة : هي الفعيلة من قول القائل : توسَّلت إلى فلان بكذا ، بمعنى : تقرَّبت إليه ، ومنه قول عنترة :

إنَّ الرِّجَالَ لَهُمْ إِلَيْكِ وَسِيلَةٌ ... إِنْ يَأْخُذُوكِ تكَحَّلِي وتَخَضَّبي

يعني بـ الوسيلة ، القُرْبة ، ومنه قول الآخر :

إِذَا غَفَلَ الوَاشُونَ عُدْنَا لِوَصْلِنَا ... وَعَادَ التَّصَافِي بَيْنَنَا وَالوَسَائِلُ

ثمَّ روى بسنده عن أبي وائل ، والسدِّي ، وطلحة ، وقتادة ، ومجاهد ، والحسن ، عبد الله بن كثير : القربة . وروى عن ابن زيد في معنى الوسيلة ، قال : المحبَّة ، تحبَّبوا إلى الله " (٣) .

---

(١) انظر : فتح القدير (١/ ٣٠٣-٣٠٤) .

(٢) انظر : تفسير عبد الرزاق (٢/ ١٧) ، (٢/ ٣٠١) بالترتيب .

(٣) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (١٠/ ٢٩١) .

وقال الإمام إبراهيم بن السَّري بن سهل ، أبو إسحاق الزجَّاج (٣١١هـ) في تعريف الوسيلة : " معناه : اطلبوا إِليهِ القُرْبةَ ... والوسيلة ، والسُّؤال ، والسُّؤْلُ ، والطلَبَةُ ، في معنى واحد " (١) .

وقال الإمام الأزهري محمَّد بن أحمد بن الأزهري الهروي ، أبو منصور (٣٧٠هـ) : " والوَسِيلة : الوُصْلةُ والقُرْبَى ، وجمعُها الوَسائل ، قَالَ الله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾ [الإسراء : ٥٧] ، وَيُقَال : توسَّل فلانٌ إلى فلَان بوَسيلة ، أَي : تَسَبَّبَ إِلَيْهِ بسَبَب ، وتقرّبَ إِلَيْهِ بحُرمةِ آصِرةٍ تَعطِفه عَلَيْهِ " (٢) .

وقال الإمام أبو عبد الله الحاكم النَّيسابوري (٤٠٥هـ) : " حدَّثنا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ محمَّد بْنُ يَعْقُوبَ الشَّيْبَانِيُّ ، ثنا محمَّد بْنُ عَبْدِ الوهَّاب ، ثنا مُحَاضِرُ بْنُ الْمُورِّعِ ، ثنا الْأَعْمَشُ ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ ، عَنْ حُذَيْفَةَ ، أَنَّه سَمِعَ قَارِئاً يَقْرَأُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة : ٣٥] ، قَالَ : الْقُرْبَةَ ، ثمَّ قَالَ : لَقَدْ عَلِمَ الْمَحْفُوظُونَ مِنْ أَصْحَابِ محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَنَّ ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ مِنْ أَقْرَبِهِمْ إلى اللهَّ وَسِيلَةً " (٣) .

وقال الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرَّحمن بن محمَّد الفارسي الجرجاني (٤٧١هـ) : " الوسيلة : الخصلة التي يتقرَّب بها العبد إلى سيده تقرُّب موالاة ومحبَّة ومودَّة لا تقرُّب محاذاة أو أخوَّة " (٤) .

وقال الإمام أبو المظفَّر ، منصور بن محمَّد بن عبد الجبَّار ابن أحمد المروزى السَّمعاني التَّميمي الحنفي ثمَّ الشَّافعي (٤٨٩هـ) : " الْوَسِيلَة كلُّ مَا يتوسَّل بِهِ إلى الله تَعَالَى ، أَي : يتَقرَّب " (٥) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي (٥٩٧هـ) : " قوله تعالى : ﴿ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة : ٣٥ ] ، في الوسيلة قولان :

أحدهما : أنَّها القربة ، قاله ابن عبَّاس ، وعطاء ، ومجاهد ، والفرَّاء . وقال قتادة : تقرَّبوا إليه بما يرضيه . قال أبو عبيدة : يقال : توسَّلت إليه ، أي : تقرّبت إليه . وأنشد :

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٧١) ، (٣/ ٢٤٦) بالترتيب.

(٢) انظر : تهذيب اللغة (١٣/ ٤٨) .

(٣) أخرجه الحالم في المستدرك ، (٢/ ٣٧١ برقم ٣٢٧٦ ، وقال الذَّهبي في التلخيص : على شرط البخاري ومسلم) .

(٤) انظر : دَرْجُ الدُّرر في تَفِسيرِ الآيِ والسُّوَر (٣/ ١١١١) .

(٥) انظر : تفسير القرآن ، أبو المظفر السمعاني (٣/ ٢٥١) .

إذا غفل الواشُونَ عُدْنَا لِوَصْلنَا وَعَادَ التَّصَافي بيننا وَالوَسَائلُ

والثَّاني : المحبَّة ، يقول : تحبَّبوا إلى الله ، هذا قول ابن زيد " (١) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التَّيمي الرَّازي الملقَّب بفخر الدِّين الرَّازي خطيب الرّي (٦٠٦هـ) : " الْوَسِيلَةُ فَعِيلَةٌ ، مِنْ وَسَلَ إِلَيْهِ إِذَا تَقَرَّبَ إِلَيْهِ . قَالَ لَبِيدٌ الشَّاعِرُ :

أَرَى النَّاس لَا يَدْرُونَ مَا قَدْرُ أَمْرِهِمْ أَلَا كُلُّ ذِي لُبٍّ إلى اللهَّ وَاسِلُ

أَيْ : مُتَوَسِّلٌ ، فَالْوَسِيلَةُ هِيَ الَّتِي يُتَوَسَّلُ بِهَا إلى الْمَقْصُودِ . قَالَتِ التَّعْلِيمِيَّةُ : دَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّه لَا سَبِيلَ إلى اللهَّ تَعَالَى إِلَّا بِمُعَلِّمٍ يُعَلِّمُنَا مَعْرِفَتَهُ ، وَمُرْشِدٍ يُرْشِدُنَا إلى الْعِلْمِ بِهِ ، وَذَلِكَ لأَنَّه أَمْرٌ بِطَلَبِ الْوَسِيلَةِ إِلَيْهِ مُطْلَقاً ، وَالْإِيمَانُ بِهِ مِنْ أَعْظَمِ الْمَطَالِبِ وَأَشْرَفِ الْمَقَاصِدِ ، فَلَا بُدَّ فِيهِ مِنَ الْوَسِيلَةِ .

وَجَوَابُنَا : أَنَّه تَعَالَى إِنَّمَا أَمَرَ بِابْتِغَاءِ الْوَسِيلَةِ إِلَيْهِ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِهِ ، وَالْإِيمَانُ بِهِ عِبَارَةٌ عَنِ الْمَعْرِفَةِ بِهِ فَكَانَ هَذَا أَمْراً بِابْتِغَاءِ الْوَسِيلَةِ إِلَيْهِ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَبَعْدَ مَعْرِفَتِهِ ، فَيَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ هَذَا أَمْراً بِطَلَبِ الْوَسِيلَةِ إِلَيْهِ فِي مَعْرِفَتِهِ ، فَكَانَ الْمُرَادُ طَلَبَ الْوَسِيلَةِ إِلَيْهِ فِي تَحْصِيلِ مَرْضَاتِهِ وَذَلِكَ بِالْعِبَادَاتِ وَالطَّاعَاتِ " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدِّين ابن منظور الأنصاري الرّويفعي الإفريقي (٧١١هـ) : " الوَسِيلَةُ : المَنْزِلة عِنْدَ المَلِك . والوَسِيلة : الدَّرَجة . والوَسِيلة : القُرْبة . ووَسَّلَ فلانٌ إلى اللهَّ وَسِيلَةً إذا عَمِل عَمَلاً تقرَّب بِهِ إِليه . والوَاسِل : الرَّاغِبُ إلى اللهَّ ؛ قَالَ لَبِيدٌ :

أَرى النَّاس لَا يَدْرونَ مَا قَدْرُ أَمرِهم بَلى كلُّ ذِي رَأْيٍ إلى اللهَّ وَاسِلُ

وتَوَسَّلَ إِليه بوَسِيلَةٍ : إِذا تقرَّب إِليه بعَمَل . وتَوَسَّلَ إِليه بِكَذَا : تقرَّب إِليه بحُرْمَةِ آصِرةٍ تُعْطفه عَلَيْهِ . والوَسِيلَةُ : الوُصْلة والقُرْبى ، وَجَمْعُهَا الوَسَائِل " (٣) .

**الدَّلِيْلُ الرَّابِعُ : قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء : ٦٤] .**

---

(١) انظر : زاد المسير في علم التفسير ، (١/ ٥٤٣-٥٤٤) .

(٢) انظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (١١/ ٣٤٩) .

(٣) انظر : لسان العرب (١١/ ٧٢٤) .

والآية دالَّة على العموم ، بمعنى أنَّ الاستغفار من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لأُمَّته ثابت في حياته ، وكذا بعد انتقاله إلى الرَّفيق الأعلى ، ومن أراد تخصيصها بحياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فقد خالف ما عليه أهل الحق ، لأنَّ الفعل في سياق الشَّرط يفيد العموم ، وأعلى صيغ العموم ما وقع في سياق الشَّرط ، كما نصَّ على ذلك غير واحد من أهل العلم [1] .

قال الإمام عبد الله الغماري (١٤١٣هـ) : " فهذه الآية وإن نزلت بسبب المنافقين المتحاكمين إلى الطَّاغوت ، فهي عامَّة تشمل كلّ عاص ومقصر ، لأنَّ ظلم النَّفس المذكور فيها يشمل كلَّ معصية ، ثمَّ أنَّها أعني الآية تدلُّ على الاستشفاع بالنَّبي صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّم في حالتي حياته ووفاته ، لأنَّ كلاً من المجيء والاستغفار وقع في سياق الشَّرط ، والفعل في سياق الشَّرط يدلُّ على العموم ، والاستشفاع في حال الحياة ظاهر ليس فيه خلاف .
وأمَّا في حال الوفاة ، فالوهَّابيُّون يمنعونه متوهِّمين أنَّ الموت يحولُ دون تحقُّقه ، وهو غلط ظاهر ، لأنَّ الأنبياء أحياء في قبورهم يُرزقون ، بدليل الكتاب والسُّنَّة والإجماع " [2] .

وقال الإمام عبد الله الغماري (١٤١٣هـ) أيضاً : " فهذه الآية عامَّة تشمل حالة الحياة وحالة الوفاة ، وتخصيصها بأحدهما يحتاج إلى الدَّلِيْل ، وهو مفقود هنا ، فإن قيل : من أين أتى العموم للآية حتى يكون تخصيصها بحالة الحياة دعوى تحتاج إلى دليل ؟ قلنا : من وقوع الفعل في سياق الشَّرط ، والقاعدة المقرَّرة في الأصول : أنَّ الفعل إذا وقع في سياق الشَّرط كان عامَّاً ، لأنَّ الفعل في معنى النَّكرة لتضمُّنه مصدراً منكراً ، والنَّكرة الواقعة في سياق النَّفي أو الشَّرط تكون للعموم وضعاً " [3] .

وهذا ما فهمه كثيرٌ من المفسِّرين وغيرُهم من أهل العلم ، فقد ذكروا قصَّة العتبي عند تفسيرهم للآية الكريمة ، وكذا ذكروها عند الدُّعاء أثناء زيارة القبر الشَّريف ...

قال الإمام أبو عمر ، شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربّه الأندلسي (٣٢٨هـ) : " وقف أعرابي على قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فقال : قلت فقبلنا وأمرت فحفظنا ، وبلّغت عن ربِّك فسمعنا : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ

---

[1] انظر : إرشاد الفحول (ص١٢٢) ، البحر المحيط في أصول الفقه (٤/ ١٦٠) .

[2] انظر : إتحاف الأذكياء بجواز التَّوسُّل بالأنبياء والأولياء (ص١٣) .

[3] انظر : الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين (ص٤٥-٤٦).

إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وقد ظلمنا أنفسنا وجئناك فاستغفر لنا . فما بقيت عينٌ إلَّا سالت ... " (١) .

وروى الإمام سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشَّامي ، أبو القاسم الطَّبراني (٣٦٠هـ) ، قال : حدَّثنا محمَّد بْنُ عَلِيٍّ الصَّائِغُ ، ثنا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ ، ثنا سُفْيَانُ ، عَنْ مِسْعَرٍ ، عَنْ مَعْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحمن ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : قَالَ عَبْدُ الله : " إِنَّ فِي النِّسَاءِ لَخَمْسُ آيَاتٍ مَا يَسُرُّنِي بِهِنَّ الدُّنيا وَمَا فِيهَا ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْعُلَمَاءَ إِذَا مَرُّوا بِهَا يَعْرِفُونَهَا : ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا﴾ [النساء : ٣١ ] ، وَقَوْلُهُ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [النساء : ٤٠ ] ، وَ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء : ٤٨] ، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء : ٦٤] ، ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء : ١١٠] " (٢) .

ففرح عبد الله بن مسعود بهذه الآية واضح وظاهر في أنَّه رآها عامَّة في كلِّ زمان ومكان ، بدليل ضمِّها لغيرها من الآيات التي يفهم الإنسان العادي منها أنَّها عامَّة لا تخصُّ زماناً دون زمان ، ولا مكاناً دون مكان ... وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء : ١٠٠] ، " وَالْهِجْرَةُ إِلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ الْوُصُولُ إلى حَضْرَتِهِ ، كَذَلِكَ الْوُصُولُ بَعْدَ مَوْتِهِ " (٣) .

قال الإمام أحمد بن محمَّد بن إبراهيم الثَّعلبي ، أبو إسحاق (٤٢٧هـ) : " روى الصَّادق عن علي (عليهما السَّلام) ، قال : قدم علينا امرؤ عندما دفنَّا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ثلاثة أيَّام فرمى بنفسه على قبر النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام وحثا على رأسه من ترابه ، وقال : يا رسول الله ، قلتَ فسمعنا قولك ، ووعيت من الله فوعينا عنك ، وكان فيما أنزلَ الله عليك : ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ

---

(١) انظر : العقد الفريد (٣/ ١٩٤) .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٢٢٠ برقم ٩٠٦٩) ، سعيد بن منصور في التفسير (٤/ ١٢٩٧ برقم ٦٥٩) ، البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٧٥ برقم ٢٢٠٢) .

(٣) انظر : نيل الأوطار (٥/ ١١٣) .

﴿لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] . فقد ظلمت نفسي ، فجئتك لتستغفر لي ، فنودي من القبر أنَّه قد غفر لك " (١) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن محمَّد بن حبيب البصري البغدادي ، الشَّهير بالماوردي (٤٥٠هـ) : " فَأَمَّا زِيَارَةُ قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَمَأْمُورٌ بِهَا وَمَنْدُوبٌ إِلَيْهَا ، رَوَى عُبَيْدُ اللهِ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَنَّه قَالَ : " مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي " (٢) ، وَحُكِيَ عَنِ الْعُتْبِيِّ (٢٢٨هـ) أَنَّه قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فَأَتَى أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ وَجَدْتُ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وَقَدْ جِئْتُكَ تَائِباً مِنْ ذَنْبِي مُسْتَشْفِعاً بِكَ إِلى رَبِّي ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظُمُهُ فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكَمُ
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

قَالَ الْعُتْبِيُّ (٢٢٨هـ) : فَغَفَوْتُ غَفْوَةً ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم – يَقُولُ : يَا عُتْبِيُّ الْحَقِ الْأَعْرَابِيَّ ، وَأَخْبِرْهُ بِأَنَّ الله تعالى قد غفر له " (٣) .

وقال الإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) : " أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الله الْحَافِظُ ، أَخْبَرَنِي أَبُو محمَّد بْنُ زِيَادٍ ، حدَّثنا محمَّد بْنُ إِسْحَاقَ الثَّقَفِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ الْقُرَشِيَّ ، يَقُولُ : كَانَ عِنْدَنَا رَجُلٌ بِالْمَدِينَةِ إِذَا رَأَى مُنْكَراً لا يُمْكِنُهُ أَنْ يُغَيِّرَهُ أَتَى الْقَبْرَ ، فَقَالَ :

---

(١) انظر : الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٣/ ٣٣٩) .

(٢) قال الأستاذ المحقق المدقق محمود سعيد ممدوح : " أخرجه الدارقطني في سننه (٢ / ٢٧٨) ، والدولابي في الكنى والأسماء (٢ / ٦٤) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣ / ٤٩٠) ، والخطيب في تلخيص المتشابه في الرسم (١ / ٥٨١) ، وابن الدبيثي في الذيل على التَّاريخ (٢ / ١٧٠) ، وابن النجار في تاريخ المدينة (ص ١٤٢) ، والعقيلي في الضعفاء (٤ / ١٧٠) ، وابن عدي في الكامل (٦ / ٢٣٥٠) ، والسُّبكي في شفاء السقام (ص ٢ – ١٤) . جميعهم من طرق عن موسى بن هلال العبدي ، عن عبيد الله بن عمر وعبد الله بن عمر كلاهما عن نافع عن ابن عمر به مرفوعاً . وهذا الإسناد حسن سواء قال موسى بن هلال عن عبيد الله بن عمر أو عن أخيه عبد الله بن عمر أو عنهما . وقد صحَّحه عبد الحق الإشبيلي ، وصحَّحه أو حسنه السُّبكي في شفاء السَّقام ، والسُّيوطي في مناهل الصَّفا في تخريج أحاديث الشِّفا ، وآخرون ممَّن تأخروا عنه . وقد أعلَّ هذا الحديث بعلل لا يصح منها شيء " انظر : رفع المنارة لتخريج أحاديث التَّوسُّل والزيارة (ص٢٨٠ فما بعدها) . ثمَّ ناقش جميع العلل التي تعلل بها المتمسلفة في تضعيف الحديث ...

(٣) انظر : الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشَّافعي وهو شرح مختصر المزني (٤/ ٢١٤-٢١٥) .

أَيَا قَبْرَ النَّبي وَصَاحِبَيْهِ        أَلَا يَا غَوْثَنَا لَوْ تَعْلَمُونَا

وقال : أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ الرُّوذْبَارِيُّ ، حدَّثنا عَمْرُو بْنُ محمَّد بْنِ عَمْرِو بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ بَقِيَّةَ، إِمْلَاءً ، حدَّثنا شُكْرٌ الْهَرَوِيُّ ، حدَّثنا يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ ، عَنْ محمَّد بْنِ رَوْحِ بْنِ يَزِيدَ الْبَصْرِيِّ ، حدَّثني أَبُو حَرْبٍ الْهِلَالِيُّ ، قَالَ : حَجَّ أَعْرَابِيٌّ فلمَّا جَاءَ إلى بَابِ مَسْجِدِ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَعَقَلَهَا ثمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ حَتَّى أَتَى الْقَبْرَ وَوَقَفَ بِحِذَاءِ وَجْهِ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فَقَالَ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله جِئْتُكَ مُثْقَلاً بالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا مُسْتَشْفِعاً بِكَ عَلَى رَبِّكَ لأَنَّه قَالَ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤ ] ، وَقَدْ جِئْتُكَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مُثْقَلاً بالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا أَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى رَبِّكَ أَنْ يَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي ، وَأَنْ تَشْفَعَ فِيَّ ، ثمَّ أَقْبَلَ فِي عَرْضِ النَّاس ، وَهُوَ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي التُّرْبِ أَعْظُمُهُ    فَطَابَ مِنْ طِيبِهِ الْأَبْقَاعُ وَالْأَكَمُ

نَفْس الْفِدَاءُ بقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُـهُ    فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ (١)

ومع أنَّ إسناد الرِّواية فيه مقال ، لكن الشَّاهد هو إيراد العديد من المفسِّرين لها في كتبهم ، لأنَّهم فهموا من الآية أنَّ استغفار الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حاصلٌ بعد انتقاله إلى الرَّفيق الأعلى ، ولذلك حثُّوا على ضرورة الذَّهاب لزيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وسؤاله الاستغفار ، لأنَّ الله أمره بالاستغفار لزائريه ، وأذن له في الشَّفاعة في العصاة والمذنبين ، وهذا تجده واضحاً بيِّناً في كتب المفسِّرين عند تفسيرهم لقوله تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وكذا في كتب الفقه في باب زيارة قبر الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أو زيارة المدينة المنوَّرة ... كما أنَّ أبيات العتبي مكتوبة على واجهة حجرة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم الشَّريفة في العمود الذي بين شبَّاك الحجرة النَّبويَّة يراها القاصي والدَّاني منذ مئات السِّنين ، وهذا إن دلَّ على شيء فإنَّما يدلُّ على القبول ، ولم يعترض عليها أحد ، حتى جاء من جعلوا السَّلف شمَّاعة علَّقوا عليها

(١) انظر : شعب الإيمان (٦/ ٦٠-٦١).

مصائبهم وطامَّاتهم التي كانت بسبب الفهم السَّقيم الذي ما سبقهم إليه أحد ، والتي عادت على مجموع الأمَّة بالفُرقة والتَّفرقة والتَّكفير وعظائم الأمور ...

وقال الإمام نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم ابن داود النَّابلسي المقدسي ، أبو الفتح الشَّافعي (٤٩٠هـ) : " وَأَخْبَرَنِي أَبُو الْحَسَنِ السُّلَمِيُّ ، أنبا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الرَّحمن الإِمَامُ ، ثنا أبو محمَّد الْوَرْدُ ، ثنا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، ثنا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ ، يَقُولُ : كُنْتُ حَاجّاً فِي بَعْضِ السِّنِينَ ، فَأَتَيْتُ مَسْجِدَ رَسُولِ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فَإِذَا بِأَعْرَابِيٍّ يَرْكُضُ عَلَى بَعِيرِهِ حَتَّى أَتَى مَسْجِدَ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فَعَقَلَ بَعِيرَهُ ، ثمَّ دَخَلَ يَؤُمُّ الْقَبْرَ ، فلمّا نَظَرَ إلى قَبْرِ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، قَالَ : السَّلام عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهَّ ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، لَقَدْ بَعَثَكَ الله عَزَّ وَجَلَّ بَشِيراً وَنَذِيراً ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ كِتَاباً مُسْتَقِيماً ، أَعْلَمَكَ فِيهِ عِلْمَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ ، فَقَالَ : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] .

وَإِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ مُنْجِزٌ لَكَ مَا وَعَدَكَ ، وَهَا أَنَا قَدْ أَتَيْتُكَ مُقِرٌّ بِالذُّنُوبِ مُسْتَشْفِعٌ بِكَ عَلَى رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ ، ثمَّ مَضَى ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي الْقَاعِ أَعْظُمُهُ    فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالأَكَمُ
نَفْسِيَ الْفِدَاءُ لَقَبْرٌ أَنْتَ سَاكِنُــهُ    فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ (١)

وقال الإمام أبو القاسم الحسين بن محمَّد المعروف بالرَّاغب الأصفهانى (٥٠٢هـ) : " ووقف أعرابيٌّ على قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فقال : قد قبلنا منك ، وحفظنا ما أدَّيت عن ربِّك ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، فقد ظلمنا أنفسنا واستغفرنا فاستغفر لنا " (٢) .

---

(١) انظر : أمالي أبي الفتح المقدسي(المجلس الحادي والعشرون بعد المائة) (ص٥) .

(٢) انظر : محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (٢/ ٤٨٩) .

وقال الإمام الرُّوياني ، أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل (٥٠٢ هـ) : " يستحبُّ إذا فرغ من حجِّه أن يزور قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لقوله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم –: " من زارني بعد موتي فكأنَّما زارني في حياتي " . وروي عن ابن عمر أنَّ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم – قال : " من زار قبري وجبت له الجنَّة " .

وروي : " وجبت له شفاعتي " ، ويستحب أن يصلِّي في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " صلاة في مسجدي هذا تعال ألف صلاة في غيره من المساجد " ، ذكره أصحابنا ، وحكى العيني في هذا حكاية حسنة ، قال : كنت عند قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فجاء أعرابي ، وقال : السَّلام عليك يا رسول الله ، ثمَّ قال: سمعت الله تعالى يقول : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وقد جئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك إلى ربِّي ثمَّ أنشأ يقول :

يا خَيرَ من دُفِنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهنَّ القاع والأكم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكـــــرم

قال : ثمَّ انصرف الأعرابي فغلبتني عيناي فنمت ، فرأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في المنام ، فقال : يا عتبي الحق الرَّجل ، وأخبره أنَّ الله عزَّ وجلَّ قد غفر له " (١) .

وقال الإمام أبو حامد محمَّد بن محمَّد بن محمَّد الغزالي الطُّوسي (٥٠٥هـ) : " ... ثمَّ يرجع فيقف عند رأس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بين القبر والاسطوانة اليوم ويستقبل القبلة ، وليحمد الله عزَّ وجلَّ ، وليمجده وليكثر من الصَّلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ثمَّ يقول : اللهمَّ إنَّك قد قلت وقولك الحقّ : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، اللهمَّ إنَّا قد سمعنا قولك ، وأطعنا أمرك ، وقصدنا نبيَّك ، متشفِّعين به إليك في ذنوبنا ، وما أثقل ظهورنا من أوزارنا ، تائبين من زللنا ، معترفين بخطايانا وتقصيرنا ، فتُب اللهمَّ علينا ، وشفع نبيَّك هذا فينا ، وارفعنا بمنزلته عندك وحقّه عليك ، اللهمَّ اغفر

---

(١) انظر : بحر المذهب (في فروع المذهب الشافعي) (٤/ ١٠٣) .

للمهاجرين والأنصار ، واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، اللهمَّ لا تجعله آخر العهد من قبر نبيِّك ، ومن حرمك يا أرحم الرَّاحمين " (١) .

وقال الإمام أَبُو سَعْدٍ أَحْمَدُ بنُ محمَّد بنِ أَحْمَدَ بنِ الحَسَنِ بن عَلِيِّ بنِ أَحْمَدَ بنِ سُلَيْمانَ االبَغْدَادِيُّ الأَصْل ، الأَصْبَهَانِيُّ (٥٤٠هـ) : " حدَّثنا أَبِي ، إِمْلاءً ، ثنا محمَّد بْنُ سَعْدٍ ، نا الصَّوْتُ ، ثنا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ أَحْمَدَ ، بِإِسْنَادٍ ذَكَرَهُ ، عَنْ محمَّد بْنِ حَرْبٍ الْهِلالِيِّ ، قَالَ : دَخَلْتُ مَدِينَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فَإِذَا أَعْرَابِيٌّ وَضَعَ بَعِيرَهُ حَتَّى عَقَلَهُ فَدَخَلَ إلى الْقَبْرِ فَسَلَّمَ سَلاماً حَسِيباً ، ثمَّ قَالَ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ خَصَّكَ بِوُسْعِهِ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ كِتَابَهُ جَمَعَ فِيهِ عِلْمَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ ، فَقَالَ فِي كِتَابِهِ : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] .

وَقَدْ جِئْتُكَ مُقِرّاً بِالذُّنُوبِ ، مُسْتَشْفِعاً بِكَ عَلَى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ ، ثمَّ الْتَفَتَ إلى الْقَبْرِ ، فَقَالَ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي الأَرْضِ أَعْظُمُهُ فَطَابَ مِنْ طِيبِكَ الْقِيعَانُ وَالأَكَمُ
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُـــــهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُـــودُ وَالْكَرَمُ (٢)

وقال الإمام عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السَّبتي ، أبو الفضل (٥٤٤هـ) : " قال أبو حميد : نَاظَرَ أَبُو جَعْفَرٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكاً فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى أَدَّبَ قَوْماً ، فَقَالَ : ﴿ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات : ٢] ، ومدح قوماً فقال :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [الحجرات : ٣] ، وذمَّ قوماً فقال : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات : ٤] ، وَإِنَّ حُرْمَتَهُ مَيِّتاً كَحُرْمَتِهِ حَيّاً.. فَاسْتَكَانَ لَهَا أَبُو جَعْفَرٍ ، وَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ .. أَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَأَدْعُو أَمْ أَسْتَقْبِلُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فَقَالَ : وَلِمَ تَصْرِفُ وَجْهَكَ عَنْهُ وَهُوَ وَسِيلَتُكَ وَوَسِيلَةُ أَبِيكَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلام إلى اللهِ تَعَالَى يَوْمَ القيامة !! بل استقبله واستشفع بِهِ فَيُشَفِّعَهُ الله ... قَالَ الله تَعَالَى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ

(١) انظر : إحياء علوم الدِّين (١/ ٢٥٩) .

(٢) انظر : مجلسان لأبي سعد البغدادي (ص٨) .

إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] (١) .

وقال الإمام أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشَّافعي (٥٥٨هـ) : " وحكى العتبي (٢٢٨هـ) ، قال : كنت جالساً عند قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إذ جاء أعرابي فسلَّم على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ثمَّ قال : يا رسول الله سمعت الله يقول : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤ ] . وقد جئتك مستغفراً من ذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربِّي ، وأنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهنَّ القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكـــــرم

ثمَّ انصرف الأعرابي فغلبتني عيناي ، فنمت . فرأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في النَّوم يقول : يا عتبي ، الحق الأعرابي وبشِّره بأنَّ الله قد غفر له " (٢) .

أبو محمَّد عبد القادر بن موسى بن عبد الله ، الجيلاني، الملقَّب بـ " سلطان الأولياء " (٥٦١هـ) : " اللهمَّ إنَّك قلت في كتابك لنبيِّك : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وإنِّي أتيت نبيَّك تائباً من ذنوبي ، مستغفراً ، فأسألك أن تُوجب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حال حياته فأقرَّ عنده بذنوبه ، فدعا له نبيُّه فغفرت له ، اللهمَّ إنِّي أتوجَّه إليك بنبيِّك عليه سلامك نبيّ الرَّحمة ، يا رسول الله إنِّي أتوجَّه بك إلى ربِّي ليغفر لي ذنوبي ، اللهمَّ إني أسألك بحقِّه أن تغفر لي وترحمني " (٣) .

---

(١) انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٩٢) ، وانظر : غاية السول في خصائص الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم (ص٢٧٥) ، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع (١٤/ ٦١٧) ، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٣/ ٥٩٤) ، (٣/ ٦٠٢) ، سبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد (١١/ ٤٣٩) ، (١٢/ ٣٩٥) ، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (١٢/ ١٩٤) ، (١٢/ ٢١٣) ، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشَّريف (ص٣٤٢) ، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (١/ ٤٢٥) ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك (٢/ ١٠١) .

(٢) انظر : البيان في مذهب الإمام الشَّافعي (٤/ ٣٧٨-٣٧٩) .

(٣) انظر : الغنية (ص٢٢) .

وقال الإمام ثقة الدِّين ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ) : " حدَّثنا عبد الغالب بن ثابت بن ماهان أبو نصر الرَّافقي قاضيها بها وكان شيخاً مسنّاً ، وذكر لي أنَّه سمع من أبي الحسين بن المقتدي ببغداد ومن ابن طوق بالموصل ، واحترقت كتبه ، قال : أبنا ابن طوق الموصلي بالموصل سنة تسع وخمسين وأربع مئة بإسناد لا أذكره الآن عن العتبي (٢٢٨هـ) أنَّه قال : كنت جالساً عند قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وإذا بأعرابي قد أقبل على ناقة له ، فنزل وعقلها ودنا إلى حجرة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وأنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه     فطاب من طيبهنَّ القاع والأكم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنــــه     فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم قال الأعرابي : وجدت الله تعالى يقول : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤ ] ، وقد جئتك يا رسول الله مستغفراً من ذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربِّي ، وانصرف . قال العتبي (٢٢٨هـ) : فنمتُ فرأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في النَّوم ، فقال لي : يا عتبي ، الحق الأعرابيَّ فقل له : إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد غفر له .

أخبرناه أبو أحمد عبد السَّلام بن الحسن بن علي بن زرعة الصّوري بقراءتي عليه بدمشق ، ثنا الفقيه أبو الفتح نصر بن إبراهيم بن نصر بصور لفظا ، ثنا أبو العبَّاس أحمد بن علي بن محمَّد ، أبنا أبو بكر محمَّد بن زهير بنيسابور ، أبنا أبو الحسن علي بن أحمد بن مرزبان ، ثنا أبو محمَّد الحسن بن محمَّد النحوي الأصبهاني ، أبنا ابن فضيل النَّحوي ، أبنا عبد الكريم بن علي ، ثنا محمَّد بن محمَّد بن النُّعمان ، ثنا محمَّد بن روح عن الهلالي محمَّد بن حرب ، قال : دخلت المدينة ، فأتيت قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فزرته وجلست بحذائه ، فجاء أعرابيٌّ فزاره ثمَّ قال : يا خير الرُّسل ، إنَّ الله عزَّ وجلَّ أنزل عليك كتاباً صادقاً ، قال فيه : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وإني جئتك مستغفراً ربَّك من ذنوبي ، مستشفعاً بك فيها ثمَّ بكى وأنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه   فطاب من طيبهنَّ القاع والأكم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه   فيه العفاف وفيه الجود والكـــــرم

ثمَّ استغفر وانصرف ، فرقدت فرأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في نومي ، وهو يقول : الحق الرَّجل فبشِّره بأنَّ الله قد غفر له بشفاعتي ، فاستيقظت ، فخرجت أطلبه فلم أجده " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن علي بن شعيب ، أبو شجاع ، فخر الدِّين ، ابن الدَّهَّان (٥٩٢هـ) : " وتستحبُّ لمن فرغ من الْحَج أَن يزور قبر النَّبي عَلَيْهِ السَّلام . حكى الْعُتْبِي (٢٢٨هـ) ، قَالَ : كنت جَالِساً عِنْد قبر النَّبي عَلَيْهِ السَّلام ، فجَاء أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : السَّلام عَلَيْك يَا رَسُول الله ، سَمِعت الله يَقُول : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وَقد جِئْتُك مُسْتَغْفِراً لذنبي ، مستشفعاً بك إِلى رَبِّي ثمَّ قَالَ :

يَا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهنَّ القاع والأكم
نَفسِي الْفِدَاء لقبر أَنْت ساكنه فِيهِ العفاف وَفِيه الْجُود وَالْكَرم

ثمَّ انْصَرف الْأَعرَابِيُّ ، فَرَأَيْت النَّبي عَلَيْهِ السَّلام فِي النَّوم ، فَقَالَ : الْحق الْأَعرَابِي فبشِّره بِأَنَّ الله قد غفر لَهُ " (٢) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي (٥٩٧هـ) ، في أثناء كلامه عن أبي شجاع الوزير : " ولَمَّا عزل الوزير أبو شجاع خرج إلى الجامع يوم الجمعة فانثالت عليه العامَّة تصافحه وتدعو له ، فكان ذلك سبباً لالتزامه بيته ، والإنكار على من صحبه ، وبنى في دهليز داره مسجداً ، وكان يؤذِّن ويصلِّي فيه ، ثمَّ وردت كتب نظام الملك بإخراجه من بغداد ، فأخرج إلى بلدة ، فأقام مدَّة ، ثمَّ استأذن في الحجِّ فأذن له فخرج .

قال أبو الحسن بن عبد السَّلام : اجتمعت به في المدينة فقبَّل يدي ، فأعظمت ذلك ، فقال لي : قد كنت تفعل هذا بي فأحببت أن أكافئك . وجاور بالمدينة ، فلمَّا مرِض مَرَضَ الموت حُمل إلى مسجد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله فوقف بالحضرة وبكى ، وقال : يا رسول الله ، قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ

(١) انظر : معجم الشيوخ (١/ ٥٩٩) .

(٢) انظر : تقويم النظر في مسائل خلافية ذائعة ، ونبذ مذهبية نافعة (٢/ ١٥٧) .

جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء : ٦٤ ] ، وقد جئت معترفاً بذنوبي وجرائمي أرجو شفاعتك ، وبكى " (١) .

وقال الإمام نصير الدِّين محمَّد بن عبد الله السَّامري الحنبلي (٦١٦هـ) : " باب زيارة قبر الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : وإذا قدم مدينة الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم استحب له أن يغتسل لدخولها ، ذكره ابن البنَّا . ثمَّ يأتي مسجد الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فيقول عند دخوله : بسم الله ، اللهمَّ صلِّ على محمَّد وعلى آل محمَّد ، وافتح لي أبواب رحمتك ، وكفَّ عنِّي أبواب عذابك ، الحمد لله الذي بلغنا هذا المشهد وجعلنا لذلك أهلاً ، والحمد لله ربِّ العالمين . ويقدِّم رجله اليُمنى في الدُّخول ، ثمَّ يأتي حائط القبر ... وسئل أحمد رحمه الله عمَّن يتمسَّح بقبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فقال : ما أعرف هذا ، أهل العلم كانوا لا يمسُّونه ، ويقومون ناحية فيسلِّمون ، وكذا كان ابن عمر يفعل... فيقف ناحية ، ويجعل القبر تلقاء وجهه ، والقبلة خلف ظهره ، والمنبر عن يساره ، ويقف ممَّا يلي طرف جدار القبر ممَّا يلي المنبر فيقول : السَّلام عليك يا رسول الله ، السَّلام عليك أيُّها النَّبي ورحمة الله وبركاته ، اللهمَّ صلِّ على محمَّد وعلى آل محمَّد - إلى آخر ما يقوله في المشهد الأخير - اللهمَّ أعط محمَّداً الوسيلة والفضيلة والدَّرجة الرَّفيعة ، والمقام المحمود الذي وعدته إيَّاه ، إنَّك لا تخلف الميعاد . اللهمَّ صلِّ على روحه في الأرواح ، وجسده في الأجساد ، كما بلَّغ رسالتك وتلا آياتك ، وصدع بأمرك حتى أتاه اليقين . اللهمَّ إنَّك قلت في كتابك لنبيِّك عليه السَّلام : ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء : ٦٤ ] ، وإنِّي قد أتيتك تائباً مستغفراً ، فأسألك أن توجب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حياته . اللهمَّ إنِّي أتوجَّه إليك بنبيِّك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم نبيّ الرَّحمة ، يا رسول الله ، إنِّي أتوجَّه بك إلى ربِّي ليغفر لي ذنوبي . اللهمَّ إنِّي أسألك بحقِّه أن تغفر لي ذنوبي " (٢) .

وقال الإمام أبو محمَّد موفق الدِّين عبد الله بن أحمد بن محمَّد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثمَّ الدِّمشقي الحنبلي ، الشَّهير بابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ) : " فَصْلٌ زِيَارَةُ قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم " ، فَصْلٌ : وَيُسْتَحَبُّ زِيَارَةُ قَبْرِ النَّبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم -؛ لما رَوَى الدَّارَقُطْنِيّ ، بِإِسْنَادِهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -

(١) انظر : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (١٧/ ٢٦) .

(٢) انظر : المستوعب (١/ ٥٢٤-٥٢٥) .

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم -: " مَنْ حَجَّ ، فَزَارَ قَبْرِي بَعْدَ وَفَاتِي ، فَكَأَنَّمَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي " . وَفِي رِوَايَةٍ : " مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي " . رَوَاهُ بِاللَّفْظِ الأَوَّل سَعِيدٌ . حدَّثنا حَفْصُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، عَنْ لَيْثٍ عَنْ مُجَاهِدٍ ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ . وَقَالَ أَحْمَدُ ، فِي رِوَايَةِ عَبْدِ اللهَّ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ قُسَيْطٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم – قَالَ : " مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي ، إِلَّا رَدَّ الله عَلَيَّ رُوحِيِّ ، حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلام " : وَإِذَا حَجَّ الَّذِي لَمْ يَحُجَّ قَطُّ – يَعْنِي مِنْ غَيْرِ طَرِيقِ الشَّام – لَا يَأْخُذُ عَلَى طَرِيقِ الْمَدِينَةِ ، لِأَنِّي أَخَافُ أَنْ يَحْدُثَ بِهِ حَدَثٌ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَقْصِدَ مَكَّةَ مِنْ أَقْصَرِ الطُّرُقِ ، وَلَا يَتَشَاغَلَ بِغَيْرِهِ . وَيُرْوَى عَنْ الْعُتْبِيِّ (٢٢٨هـ) ، قَالَ : كُنْت جَالِساً عِنْدَ قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : السَّلام عَلَيْك يَا رَسُولَ اللهَّ ، سَمِعْت اللهَّ يَقُولُ : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء : ٦٤ ] ، وَقَدْ جِئْتُك مُسْتَغْفِراً لِذَنْبِي ، مُسْتَشْفِعاً بِك إلى رَبِّي ، ثمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظُمُهُ    فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكَمُ
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ    فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ثُمَّ انْصَرَفَ الْأَعْرَابِيُّ ، فَحَمَلَتْنِي عَيْنِي، فَنِمْت ، فَرَأَيْت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي النَّوْمِ ، فَقَالَ : يَا عُتْبِيُّ ، الْحَقْ الْأَعْرَابِيَّ ، فَبَشِّرْهُ أَنَّ اللهَّ قَدْ غَفَرَ لَهُ .

وَيُسْتَحَبُّ لِمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ أَنْ يُقَدِّمَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى ، ثمَّ يَقُولَ : بِسْمِ اللهَّ ، والصَّلاة والسَّلام عَلَى رَسُولِ اللهَّ ، اللهمَّ صَلِّ عَلَى محمَّد وَعَلَى آلِ محمَّد ، وَاغفِرْ لِي ، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِك . وَإِذَا خَرَجَ ، قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ . وَقَالَ : وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ . لما رُوِيَ عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَرَضِي الله عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم عَلَّمَهَا أَنْ تَقُولَ ذَلِكَ ، إِذَا دَخَلَتْ الْمَسْجِدَ . ثمَّ تَأْتِي الْقَبْرَ فَتُوَلِّي ظَهْرَكَ الْقِبْلَةَ ، وَتَسْتَقْبِلُ وَسَطَهُ ، وَتَقُولُ : السَّلام عَلَيْك أَيُّها النَّبي وَرَحْمَةُ اللهَّ وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلام عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللهَّ ، وَخِيرَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ وَعِبَادِهِ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَشْهَدُ أَنَّك قَدْ بَلَّغْت رِسَالَاتِ رَبِّك ، وَنَصَحْت لِأُمَّتِك ، وَدَعَوْت إلى سَبِيلِ رَبِّك بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، وَعَبَدْت اللهَّ حَتَّى أَتَاك الْيَقِينُ ، فَصَلَّى الله عَلَيْك كَثِيراً ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى ، اللهمَّ اجْزِ عَنَّا نَبِيَّنَا أَفْضَلَ مَا جَزَيْت أَحَداً مِنْ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَابْعَثْهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذِي وَعَدْته ، يَغْبِطُهُ بِهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخَرُونَ ، اللهمَّ صَلِّ عَلَى محمَّد وَعَلَى آلِ محمَّد ، كَمَا صَلَّيْت عَلَى إبْرَاهِيمَ وَآلِ إبْرَاهِيمَ ، إنَّك حَمِيدٌ مجِيدٌ ، وَبَارِكْ عَلَى محمَّد وَعَلَى آلِ محمَّد ، كَمَا بَارَكْت عَلَى

إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّك حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، اللهمَّ إِنَّك قُلْت وَقَوْلُك الحَقُّ : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤ ] . وَقَدْ أَتَيْتُك مُسْتَغْفِراً مِنْ ذُنُوبِي ، مُسْتَشْفِعاً بِك إلى رَبِّي ، فَأَسْأَلُك يَا رَبِّ أَنْ تُوجِبَ لِي الْمَغْفِرَةَ ، كَمَا أَوْجَبْتهَا لِمَنْ أَتَاهُ فِي حَيَاتِهِ ... " (١) .

وقال الإمام ضياء الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن عبد الواحد المقدسي (٦٤٣هـ) : " حدَّثنا محمَّد بن الحسن ، ثنا أبو علي الحسين بن إبراهيم القنطري بنسف ، ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمَّد بن عبد الله بن يزداد الرَّازي ، أنبأ أبو الحسن محمَّد بن إسحاق التَّمار بالبصرة ، ثنا أحمد بن ثابت بن بقية أبو الطيِّب ، ثنا الحسن بن يوسف الكاتب ، ثنا ابن بنت يزيد بن هارون ، سمعت سفيان بن سعيد الثَّوري ، يقول : بينا أنا واقف عند قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إذا أنا بأعرابي على قعود له أتى القبر فسلَّم سلاماً حسناً ودعا دعاءاً جميلاً ثمَّ قال : يا رسول الله ، إنَّ الله تعالى أكرمك بالنُّبوَّة واختصَّك بها وجعلك لها ، فقال في كتابه وقوله الحق : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وقد جئتك يا رسول الله مقرَّاً بالذَّنب ، مستشفعاً بك إلى ربِّك ، وهو منجزٌ لك ما وعدك ثمَّ أنشأ يقول :

يا خير من دفنت في الأرض أعظمه   وطاب من طيبه القيعان والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه   فيه العفاف وفيه الجود والكـــــــرم

قلت : ورويت هذه الحكاية عن غير سفيان الثَّوري ! أخبرنا بها شيخنا أبو المظفَّر السَّمعاني بقراءتي عليه بمرو ، قلت له : أخبركم أبو الطيِّب طاهر بن عثمان بن محمَّد بن عبد الحميد بن عبد الرَّحمن بن يعقوب بن إسحاق بن محمَّد بن إبراهيم بن أحمد بن أجيد بن حفص بن غياث بن معبد بن عباد بن عبد الرَّحمن بن عوف الصَّيرفي الزُّهري قراءةً عليه ببخارى ، أنبأ جدي هو أبو بكر محمَّد ، ثنا أبن سهل أحمد بن علي الأبيوردي ، ثنا الإمام أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي ، أنبأ أبو الفضل محمَّد بن يوسف بن ريحان ، ثنا الحسن بن يزيد ، ثنا الحسن بن سهل الواسطي ، ثنا محمَّد بن روح الرّقاشي ، ثنا محمَّد بن حرب الهلالي ، قال : كنت بالمدينة فدخلت إلى قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فإذا رجل يوضع على بعيره حتى أناخه وعقله ثمَّ دخل المسجد فسلَّم

---

(١) انظر : المغني (٣/ ٤٧٨-٤٨٠) .

سلاماً حسناً ودعى دعاءاً جميلاً ثمَّ قال : بأبي وأمِّي أنت يا رسول الله ، إنَّ الله تعالى خصَّك بوحيه وأنزل عليك كتاباً جمع لك فيه ذكر الأوَّلين والآخرين ، فقال في كتابة وقوله الحق : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤ ] ، وقد أتيتك مستشفعاً بك إلى ربِّك وهو منجزٌ ما وعدك ثمَّ التفت إلى القبر ، فقال :

يا خير من دفنت تحت الأرض أعظمه فطاب من طيبهنَّ القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنــه فيه العفاف وفيه الجود والكـرم (١)

وقال الإمام محب الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن محمود بن الحسن المعروف بابن النجَّار (٦٤٣هـ) : أخبرنا عبد الرَّحمن بن أبي الحسن في كتابه ، أخبرنا أبو الفرج بن أحمد ، أخبرنا أحمد بن نصير ، أخبرنا محمَّد بن القاسم ، سمعت علي بن غالب الصُّوفي ، يقول : سمعت إبراهيم بن محمَّد المزكي يقول : سمعت أبا الحسن الفقيه يحكي عن الحسن بن محمَّد ، عن ابن فضيل النَّحوي ، عن محمَّد بن روح ، عن محمَّد بن حرب الهلالي ، قال : دخلت المدينة فأتيت قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فجاء أعرابي فزاره ثمَّ قال : يا خير المرسلين إنَّ الله عزَّ وجلَّ أنزل كتاباً عليك صادقاً ، قال فيه : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وإني جئتك مستغفراً إلى ربي من ذنوبي ، مستشفعاً بك ، ثمَّ بكى وأنشأ يقول :

يـا خير من دفنت بالقاع أعظمـه فطاب من طيبهنَّ القاع والأكم
نفسي الفداء لقبرٍ أنت ساكنـه فيه العفاف وفيه الجـود والكرم
أنت النَّبي الذي تُرجى شفاعتـه عند الصِّراط إذا مـا زلَّت القدم

ثمَّ استغفر وانصرف ، فرقدت فرأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وهو يقول : الحق بالرَّجل فبشِّره بأنَّ الله عزَّ وجلَّ قد غفر له بشفاعتي .

أنبأنا ذاكر بن كامل بن أبي غالب الخفاف – فيما أذن لي في روايته عنه – ، قال : كتب إليَّ أبو علي الحدَّاد ، عن أبي نعيم الأصبهاني ، قال : أنبأنا جعفر بن محمَّد بن نصير ، أخبرنا أبو يزيد المخزومي ، أخبرنا الزُّبير بن بكَّار ، حدَّثنا محمَّد بن الحسن ، حدَّثني غير واحد منهم : عن عبد العزيز بن أبي حازم ، عن عمر بن محمَّد ، أنَّه لما كان

---

(١) انظر : المنتقى من مسموعات مرو (ص٢٣٩-٢٤٠) .

أيام الحرَّة ترك الأذان في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ثلاثة أيام ، وخرج النَّاس إلى الحرَّة ، وجلس سعيد بن المسيِّب في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال : فاستوحشت ، فدنوت من قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فلمَّا حضرت الصَّلاة ، سمعت الأذان في قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فصلَّيت ركعتين ، ثمَّ سمعت الإقامة فصلَّيت الظُّهر ، ثمَّ جلست حتى أصلِّي العصر ، فسمعت الأذان في قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ثمَّ سمعت الإقامة . ثمَّ لم أزل أسمع الأذان والإقامة في قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حتى مضت الثَّلاث ، وقفل القوم ودخلوا مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وعاد المؤذِّنون فأذَّنوا ، فتسمَّعت الأذان في قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فلم أسمعه ، فرجعت إلى مجلسي الذي كنت فيه أكون .

أنبأنا عبد الرَّحمن بن علي ، أنبأنا أبو الفضل الفارسي ، عن أبي بكر الشِّيرازي ، أخبرنا محمَّد بن الحسين ، سمعت أبا الخير الأقطع يقول : دخلت مدينة الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وأنا بفاقة ، فبقيت خمسة أيَّام ما ذقت ذواقاً ، فتقدَّمت إلى القبر وسلَّمت على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وعلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وقلت : أنا ضيفك الليلة يا رسول الله ، وتنحَّيت فنمت ، فرأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في المنام وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله ، وعلي بين يديه ، فحرَّكني علي وقال لي : قم ، قد جاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، قال : فقمت إليه وقبَّلت بين عينيه ، فدفع إليَّ رغيفاً فأكلت نصفه ، وانتبهت وفي يدي النِّصف الآخر .

أخبرنا عبد الوهَّاب بن علي ، أخبرتنا فاطمة بنت أبي حكيم - إن لم يكن سماعاً فإجازة - ، أنبأنا أبو منصور بن الفضل ، أخبرنا أبو عبد الله الكاتب ، أخبرنا ابن المغيرة ، حدَّثنا أحمد بن سعيد الدِّمشقي ، حدَّثنا الزبير بن بكار ، أخبرنا السّري بن الحارث ، عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزُّبير - وكان مصعب يصلِّي في اليوم والليلة ألف ركعة ويصوم الدَّهر - قال : بتُّ ليلة في المسجد بعد ما خرج النَّاس منه ، فإذا برجل قد جاء إلى بيت الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ثمَّ أسند ظهره إلى الجدار ، ثمَّ قال : اللهمَّ إنَّك تعلم أنِّي كنت أمس صائماً ، ثمَّ أمسيت فلم أفطر على شيء ، اللهمَّ إني أمسيت أشتهي الثَّريد فأطعمنيه من عندك .

قال : فنظرت إلى وصيفٍ داخل من خوخة المنارة ، ليس في خلقة وصفاء النَّاس ، معه قصعة فأهوى بها إلى الرَّجل ، فوضعها بين يديه وجلس الرَّجل يأكل وحصبني ، فقال : هلمَّ ، فجئته وظننت أنَّها من الجنَّة ، فأحببت أن آكل منها لقمة ، فأكلت طعاماً لا يشبه طعام أهل الدُّنيا ، ثمَّ احتشمت فقمت فرجعت لمجلسي ، فلمَّا فرغ من

أكله ، أخذ الوصيف القصعة ثمَّ أهوى راجعاً من حيث جاء ، وقام الرَّجل منصرفاً فتبعته لأعرفه ، فلا أدري أين سلك ، فظننته الخضر عليه السَّلام " (١) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدِّين القرطبي (٦٧١ هـ) : " روى أبو صادق عن علي قال : قدم علينا أعرابيٌّ بعد ما دفنَّا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بثلاثة أيَّام ، فرمى بنفسه على قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وحثا على رأسه من ترابه ؛ فقال : قلت يا رسول الله فسمعنا قولك ، ووعيت عن الله فوعينا عنك ، وكان فيما أنزل الله عليك ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤ ] ، وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي ، فنودي من القبر أنَّه قد غفر لك " (٢) .

وقال الإمام أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيى بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) : " وَاعْلَمْ أَنَّ زِيَارَةَ قَبْرِ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم مَنْ أَهَمِّ الْقُرُبَاتِ وَأَنْجَحِ الْمَسَاعِي ، فَإِذَا انْصَرَفَ الْحُجَّاجُ وَالْمُعْتَمِرُونَ مِنْ مَكَّةَ ، اُسْتُحِبَّ لَهُمْ اسْتِحْبَاباً مُتَأَكَّداً أَنْ يَتَوَجَّهُوا إلى الْمَدِينَةِ لِزِيَارَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وينوي الزائر مع الزِّيَارَةِ : التَّقَرُّبَ ، وَشَدَّ الرَّحْلِ إِلَيْهِ ، والصَّلاة فِيهِ ، وَإِذَا تَوَجَّهَ فَلْيُكْثِرْ مِنْ الصَّلاة وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي طَرِيقِهِ ، فَإِذَا وَقَعَ بَصَرُهُ عَلَى أَشْجَارِ الْمَدِينَةِ وَحَرَمِهَا وَمَا يُعْرَفُ بِهَا ، زَادَ مِنْ الصَّلاة وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وَسَأَلَ اللهَّ تَعَالَى أَنْ يَنْفَعَهُ بِهَذِهِ الزِّيَارَةِ وَأَنْ يَقْبَلَهَا مِنْهُ ... فَإِذَا صَلَّى التَّحِيَّةَ فِي الرَّوْضَةِ أَوْ غَيْرِهَا مِنْ الْمَسْجِدِ شَكَرَ اللهَّ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ ، وَسَأَلَهُ إِتْمَامَ مَا قَصَدَهُ وَقَبُولَ زِيَارَتِهِ ، ثمَّ يَأْتِي الْقَبْرَ الْكَرِيمَ ، فَيَسْتَدْبِرُ الْقِبْلَةَ وَيَسْتَقْبِلُ جِدَارَ الْقَبْرِ ... ثمَّ يَرْجِعُ إلى مَوْقِفِهِ الأَوَّل قُبَالَةَ وَجْهِ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَيَتَوَسَّلُ بِهِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ ، وَيَسْتَشْفِعُ بِهِ إلى رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَمِنْ أَحْسَنِ مَا يَقُولُ مَا حَكَاهُ الْمَاوَرْدِيُّ ، وَالْقَاضِي أَبُو الطَّيِّبِ ، وَسَائِرُ أَصْحَابِنَا عَنْ الْعُتْبِيِّ (٢٢٨هـ) ، مُسْتَحْسِنِينَ لَهُ ، قَالَ : كُنْت جَالِساً عِنْدَ قَبْرِ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : السَّلام عَلَيْك يَا رَسُولَ اللهَّ ، سَمِعْت اللهَّ يَقُولُ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ

---

(١) انظر : الدرة الثمينة في أخبار المدينة (ص١٥٨-١٦٠) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٦٥-٢٦٦) .

﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤ ] ، وَقَدْ جِئْتُك مُسْتَغْفِراً مِنْ ذَنْبِي ، مُسْتَشْفِعاً بِك إلى رَبِّي ، ثمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنْت بِالْقَاعِ أَعْظُمُهُ فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكَمُ
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ثُمَّ انْصَرَفَ ، فَحَمَلَتْنِي عَيْنَايَ ، فَرَأَيْت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي النَّوْمِ ، فَقَالَ : يَا عُتْبِيُّ الْحَقْ الْأَعْرَابِيَّ فَبَشِّرْهُ بِأَنَّ اللهَّ تَعَالَى قَدْ غَفَرَ لَهُ " (١) .

وقال الإمام أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيى بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) أيضاً : " وعن العُتبي (٢٢٨هـ) ، قال : كنتُ جالساً عندَ قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فجاء أعرابيٌّ ، فقال : السَّلام عليك يا رسول الله ! سمعتُ الله تعالى يقولُ : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وقد جئتُك مستغفراً من ذنبي ، مُستشفعاً بك إلى ربي ؛ ثمَّ أنشدَ يقولُ :

يا خيرَ مَنْ دُفنتْ بالقاع أعظُمُه فطابَ من طيبهنَّ القاعُ والأكمُ
نفسي الفداءُ لقبرٍ أنتَ ساكنهُ فيه العفافُ وفيه الجودُ والكرَمُ

قال : ثمَّ انصرفَ ، فحملتني عيناي ، فرأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في النَّوم ، فقال لي : يا عُتبي ! الحقِ الأعرابيَّ ، فبشِّره بأن الله تعالى قد غفر له " (٢) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي ، أبو الفرج ، شمس الدِّين (٦٨٢هـ) : " ويروى عن العُتبي (٢٢٨هـ) ، قال : كنت جالساً عند قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فجاء أعرابي ، فقال : السَّلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله يقول : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وقد جئتك مستغفراً من ذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربِّي ، ثمَّ أنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهنَّ البان والأكم

(١) انظر : المجموع شرح المهذب (٨/ ٢٧٢-٢٧٤ باختصار) .

(٢) انظر : الأذكار للنووي (ص٣٥٢) .

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنـــه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثمَّ انصرف الأعرابي ، فحملتني عيني ، فرأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فقال : يا عُتبي ، الحق الأعرابي فبشّره أنَّ الله قد غفر له " (١) .

وقال الإمام عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي البلدحي ، مجد الدِّين أبو الفضل الحنفي (٦٨٣هـ) : " وَلَا يَضَعُ يَدَهُ عَلَى جِدَارِ التُّرْبَةِ فَهُوَ أَهْيَبُ وَأَعْظَمُ لِلْحُرْمَةِ ، وَيَقِفُ كَمَا يَقِفُ فِي الصَّلاة ، وَيُمَثِّلُ صُورَتَهُ الْكَرِيمَةَ الْبَهِيَّةَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كَأَنَّهُ نَائِمٌ فِي لَحْدِهِ ، عَالِمٌ بِهِ يَسْمَعُ كَلَامَهُ ، قَالَ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم –: " مَنْ صَلَّى عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي سَمِعْتُهُ " ، وَفِي الْخَبَرِ : " أَنَّه وُكِّلَ بِقَبْرِهِ مَلَكٌ يُبَلِّغُهُ سَلَامَ مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِهِ " ، وَيَقُولُ : السَّلام عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ ، السَّلام عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللهِ ، السَّلام عَلَيْكَ يَا صَفِيَّ اللهِ ، السَّلام عَلَيْكَ يَا حَبِيبَ اللهِ ، السَّلام عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ الرَّحْمَةِ ، السَّلام عَلَيْكَ يَا شَفِيعَ الأمَّة ، السَّلام عَلَيْكَ يَا سَيِّد الْمُرْسَلِينَ ، السَّلام عَلَيْكَ يَا خَاتَمَ النَّبِيِّينَ ، السَّلام عَلَيْكَ يَا مُزَّمِّلُ ، السَّلام عَلَيْكَ يَا مُدَّثِّرُ ، السَّلام عَلَيْكَ يَا محمَّد ، السَّلام عَلَيْكَ يَا أَحْمَدُ ، السَّلام عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ الَّذِينَ أَذْهَبَ الله عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيراً ، جَزَاكَ الله عَنَّا أَفْضَلَ مَا جَزَى نَبِيّاً عَنْ قَوْمِهِ ، وَرَسُولاً عَنْ أُمَّتِهِ ؛ أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ الرِّسَالَةَ ، وَأَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ ، وَنَصَحْتَ الأمَّة ، وَأَوْضَحْتَ الْحُجَّةَ ، وَجَاهَدْتَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَقَاتَلْتَ عَلَى دِينِ اللهِ حَتَّى أَتَاكَ الْيَقِينُ ، فَصَلَّى الله عَلَى رُوحِكَ وَجَسَدِكَ وَقَبْرِكَ صَلَاةً دَائِمَةً إلى يَوْمِ الدِّين . يَا رَسُولَ اللهِ، نَحْنُ وَفْدُكَ ، وَزُوَّارُ قَبْرِكَ ، جِئْنَاكَ مِنْ بِلَادٍ شَاسِعَةٍ ، وَنَوَاحٍ بَعِيدَةٍ ، قَاصِدِينَ قَضَاءَ حَقِّكَ ، وَالنَّظَرَ إلى مَآثِرِكَ ، وَالتَّيَامُنَ بِزِيَارَتِكَ ، وَالِاسْتِشْفَاعَ بِكَ إلى رَبِّنَا ، فَإِنَّ الْخَطَايَا قَدْ قَصَمَتْ ظُهُورَنَا ، وَالْأَوْزَارَ قَدْ أَثْقَلَتْ كَوَاهِلَنَا ، وَأَنْتَ الشَّافِعُ الْمُشَفَّعُ ، الْمَوْعُودُ بِالشَّفَاعَةِ وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ ، وَقَدْ قَالَ الله تَعَالَى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وَقَدْ جِئْنَاكَ ظَالِمِينَ لِأَنْفُسِنَا ، مُسْتَغْفِرِينَ لِذُنُوبِنَا ، فَاشْفَعْ لَنَا إلى رَبِّكَ ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُمِيتَنَا عَلَى سُنَّتِكَ ، وَأَنْ يَحْشُرَنَا فِي زُمْرَتِكَ ، وَأَنْ يُورِدَنَا حَوْضَكَ ، وَأَنْ يَسْقِيَنَا كَأْسَكَ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَادِمِينَ ، الشَّفاعة الشَّفَاعَةَ يَا رَسُولَ اللهِ ، يَقُولُهَا ثَلَاثاً : ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر : ١٠] . وَيُبَلِّغُهُ سَلَامَ مَنْ أَوْصَاهُ فَيَقُولُ :

(١) انظر : الشرح الكبير على متن المقنع (٣/ ٤٩٤) .

السَّلام عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهَّ مِنْ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ ، يَسْتَشْفِعُ بِكَ إلى رَبِّكِ فَاشْفَعْ لَهُ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ؛ ثمَّ يَقِفُ عِنْدَ وَجْهِهِ مُسْتَدْبِرَ الْقِبْلَةِ ، وَيُصَلِّي عَلَيْهِ مَا شَاءَ .

وَيَتَحَوَّلُ قَدْرَ ذِرَاعٍ حَتَّى يُحَاذِيَ رَأْسَ الصِّدِّيقِ - رَضِيَ الله عَنْهُ - وَيَقُولُ : السَّلام عَلَيْكَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهَّ ، السَّلام عَلَيْكَ يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهَّ فِي الْغَارِ ، السَّلام عَلَيْكَ يَا رَفِيقَهُ فِي الْأَسْفَارِ ، السَّلام عَلَيْكَ يَا أَمِينَهُ عَلَى الْأَسْرَارِ ، جَزَاكَ الله عَنَّا أَفْضَلَ مَا جَازَى إِمَاماً عَنْ أُمَّةِ نَبِيِّهِ ، وَلَقَدْ خَلَفْتَهُ بِأَحْسَنِ خَلَفٍ . وَسَلَكْتَ طَرِيقَهُ وَمِنْهَاجَهُ خَيْرَ مَسْلَكٍ ، وَقَاتَلْتَ أَهْلَ الرِّدَّةِ وَالْبِدَعِ ، وَمَهَّدْتَ الْإِسْلَامَ ، وَوَصَلْتَ الْأَرْحَامَ ، وَلَمْ تَزَلْ قَائِلاً الْحَقَّ ، نَاصِراً لِأَهْلِهِ حَتَّى أَتَاكَ الْيَقِينُ ، فَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهَّ وَبَرَكَاتُهُ ؛ اللهمَّ أَمِتْنَا عَلَى حُبِّهِ ، وَلَا تُخَيِّبْ سَعْيَنَا فِي زِيَارَتِهِ بِرَحْمَتِكَ يَا كَرِيمُ . ثمَّ يَتَحَوَّلُ حَتَّى يُحَاذِيَ قَبْرَ عُمَرَ - رَضِيَ الله عَنْهُ - فَيَقُولُ : السَّلام عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، السَّلام عَلَيْكَ يَا مُظْهِرَ الْإِسْلَامِ ، السَّلام عَلَيْكَ يَا مُكَسِّرَ الْأَصْنَامِ ، جَزَاكَ الله عَنَّا أَفْضَلَ الْجَزَاءِ ، وَرَضِيَ عَمَّنِ اسْتَخْلَفَكَ ، فَلَقَدْ نَصَرْتَ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ حَيّاً وَمَيِّتاً ، فَكَفَلْتَ الْأَيْتَامَ ، وَوَصَلْتَ الْأَرْحَامَ ، وَقَوِيَ بِكَ الْإِسْلَامُ ، وَكُنْتَ لِلْمُسْلِمِينَ إِمَاماً مَرْضِيّاً ، وَهَادِياً مَهْدِيّاً ، جَمَعْتَ شَمْلَهُمْ ، وَأَغْنَيْتَ فَقِيرَهُمْ ، وَجَبَرْتَ كَسْرَهُمْ ، فَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهَّ وَبَرَكَاتُهُ .

ثُمَّ يَرْجِعُ قَدْرَ نِصْفِ ذِرَاعٍ فَيَقُولُ : السَّلام عَلَيْكُمَا يَا ضَجِيعَيْ رَسُولِ اللهَّ وَرَفِيقَيْهِ وَوَزِيرَيْهِ ، وَمُشِيرَيْهِ ، وَالْمُعَاوِنَيْنِ لَهُ عَلَى الْقِيَامِ فِي الدِّين ، وَالْقَائِمَيْنِ بَعْدَهُ بِمَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ ، جَزَاكُمَا الله أَحْسَنَ جَزَاءٍ ، جِئْنَاكُمَا نَتَوَسَّلُ بِكُمَا إلى رَسُولِ اللهَّ لِيَشْفَعَ لَنَا وَيَسْأَلُ رَبَّنَا أَنْ يَقْبَلَ سَعْيَنَا ، وَيُحْيِينَا عَلَى مِلَّتِهِ ، وَيُمِيتَنَا عَلَيْهَا ، وَيَحْشُرَنَا فِي زُمْرَتِهِ ؛ ثمَّ يَدْعُو لِنَفْسِهِ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَنْ أَوْصَاهُ بِالدُّعَاءِ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ .

ثُمَّ يَقِفُ عِنْدَ رَأْسِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كَالْأَوَّلِ وَيَقُولُ : اللهمَّ إِنَّكَ قُلْتَ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] ، وَقَدْ جِئْنَاكَ سَامِعِينَ قَوْلَكَ طَائِعِينَ أَمْرَكَ ، مُسْتَشْفِعِينَ بِنَبِيِّكَ إِلَيْكَ ،﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر : ١٠] الْآيَةَ ﴿ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة : ٢٠١] الْآيَةَ ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الصافات : ١٨٠] إلى آخِرِ السُّورَةِ ، وَيَزِيدُ فِي ذَلِكَ مَا شَاءَ وَيَنْقُصُ مَا شَاءَ، وَيَدْعُو بِمَا يَحْضُرُهُ مِنَ الدُّعاء وَيُوَفَّقُ لَهُ إِنْ شَاءَ الله تَعَالَى " (١) .

---

(١) انظر : الاختيار لتعليل المختار (١/ ١٧٦-١٧٧) .

وقال الإمام أبو العبَّاس شهاب الدِّين أحمد بن إدريس بن عبد الرَّحمن المالكي الشَّهير بالقرافي : " وَحَكَى الْعُتْبِيُّ (٢٢٨هـ) أنَّه كَانَ جَالِساً عِنْدَ قَبْرِهِ عَلَيْهِ السَّلام ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : السَّلام عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ ، سَمِعْتُ اللهَّ يَقُولُ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤ ] ، وَقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَغْفِراً مِنْ ذَنْبِي ، مُسْتَشْفِعاً بِكَ إلى رَبِّي ، ثمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظُمُهُ فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكَمُ
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُــودُ وَالْكَرَمُ

ثُمَّ انْصَرَفَ الْأَعْرَابِيُّ ، فَحَمَلَتْنِي عَيْنِي فَرَأَيْتُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي النَّوْمِ ، فَقَالَ لِي : يَا عُتْبِيُّ الْحَقِ الْأَعْرَابِيَّ فَبَشِّرْهُ أَنَّ اللهَّ قَدْ غَفَرَ لَهُ " (١) .

وقال الإمام أبو العبَّاس شهاب الدِّين أحمد بن إدريس بن عبد الرَّحمن المالكي الشَّهير بالقرافي (٦٨٤هـ) أيضاً : " وأمَّا التَّوسُّل بِبَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ فَجَائِزَةٌ ، وأمَّا الْإِقْسَامُ عَلَى اللهَّ تَعَالَى فِي الدُّعاء بِبَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ كَقَوْلِهِ يَعْنِي الدَّاعِي بِحَقِّ محمَّد اغْفِرْ لَنَا فَخَاصٌّ بِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم .

يَعْنِي إذَا لَاحَظَ الدَّاعِي جَعْلَ الْبَاءِ لِلْقَسَمِ وَإِلَّا كَانَ تَوَسُّلاً لَا إقْسَاماً يَشْهَدُ لِذَلِكَ أَمْرَانِ الأوَّل قَوْلُهُ وأمَّا الْإِقْسَامُ إلى آخِرِهِ الثَّانِي مَا ذَكَرَهُ العلَّامة الشَّيخ عَلِيَّ الْأُجْهُورِيِّ فِي فَتَاوِيهِ مِنْ أَنَّ الْعِزَّ بْنَ عَبْدِ السَّلام ، قَالَ : إنْ صَحَّ مَا جَاءَ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ مِنْ أَنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم عَلَّمَ بَعْضَ النَّاس الدُّعاء فَقَالَ لَهُ فِي أَوَّلِهِ قُلْ اللهمَّ إنِّي أُقْسِمُ عَلَيْك بِنَبِيِّك محمَّد نَبِيِّ الرَّحْمَةِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَقْصُوراً عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لأنَّه سيِّد وَلَدِ آدَمَ وَأَنْ لَا يُقْسَمَ عَلَى اللهَّ بِغَيْرِهِ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ لأنَّهم لَيْسُوا فِي دَرَجَتِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم .

وَخَالَفَهُ ابْنُ عَرَفَةَ وَاسْتَدَلَّ بِمَا يَدُلُّ لَهُ بَلْ إنَّمَا يَدُلُّ لِجَوَازِ التَّوسُّل بِبَعْضِ الْمَخْلُوقَاتِ وَهُوَ غَيْرُ الْإِقْسَامِ وَقَدْ نَبَّهَ عَلَى ذَلِكَ الْحَطَّابُ اهـ. كَلَامُ الْأُجْهُورِيِّ .

وَتَبِعَ ابْنُ عَرَفَةَ فِي قَوْلِهِ بِجَوَازِ الْإِقْسَام بِغَيْرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم العلَّامة ابْنَ حَجَرٍ فِي شَرْحِ الْعُبَابِ كَمَا يُعْلَمُ بِالْوُقُوفِ عَلَيْهِ وَعَلَى مَا نُقِلَ عَنْ فُقَهَاءِ الْأَحْنَافِ مِنْ تَحْرِيمِ قَوْلِ الدَّاعِي بِحَقِّ محمَّد وَبِحَقِّ فُلَانٍ اهـ. فَمَحْمُولٌ أَمَّا عَلَى مُلَاحَظَةِ الدَّاعِي الْإِقْسَامَ أَوْ قَصْدِهِ الْحَقَّ بِمَعْنَى الْوَاجِبِ كَمَا هُوَ ظَاهِرُ تَعْلِيلِهِمْ بِقَوْلِهِمْ لأنَّه لَا حَقَّ لِأَحَدٍ عَلَى اللهِّ أَمَّا إذَا لَاحَظَ بِهِ التَّوسُّل أَوْ قَصَدَ الْحَقِّ بِمَعْنَى الرُّتْبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ لَدَيْهِ تَعَالَى أَوْ الْحَقَّ الَّذِي جَعَلَهُ الله

(١) انظر : الذخيرة (٣/ ٣٧٥-٣٧٦) .

لَهُ عَلَى الْخَلْقِ وَعَلَيْهِ بِفَضْلِهِ لِلْخَلْقِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحيح قَالَ فَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ فَلَا يَحْرُمُ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْقَوْلُ كَمَا هُوَ مُقْتَضَى الْأَدِلَّةِ الْوَارِدَةِ فِي جَوَازِ التَّوَسُّلِ.

وَمَا رَوَاهُ زَرُّوقٌ عَنْ مَالِكٍ مِنْ كَرَاهَةِ التَّوسُّل فَإِنَّمَا يَصِحُّ بِحَمْلِ الْكَرَاهَةِ عَلَى التَّحْرِيمِيَّةِ والتَّوسُّل عَلَى الْإِقْسَامِ إِذْ لَوْ لَمْ يُحْمَلْ عَلَى ذَلِكَ لَعَارَضَهُ مَا نَقَلَهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي الشِّفَاءِ عَنْ الْإِمَامِ مَالِكٍ - رَضِيَ الله تَعَالَى عَنْهُ - أَنَّه لما سَأَلَهُ جَعْفَرٌ الْمَنْصُورُ عَنْ اسْتِقْبَالِ الْقَبْرِ حِينَ الدُّعاء أَوْ اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ قَالَ لَهُ وَلِمَ تَصْرِفُ وَجْهَك عَنْهُ وَهُوَ وَسِيلَتُك وَوَسِيلَةُ أَبِيك آدَمَ قَبْلَك بَلْ اسْتَقْبِلْهُ وَاسْتَشْفِعْ بِهِ فَيُشَفِّعُهُ الله فِيك ، قَالَ الله تَعَالَى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] . قَالَ العلَّامة ابْنُ حَجَرٍ فِي الْجَوْهَرِ الْمُنَظَّمِ رِوَايَةُ ذَلِكَ عَنْ الْإِمَامِ مَالِكٍ جَاءَتْ بِالسَّنَدِ الصَّحيح الَّذِي لَا مَطْعَنَ فِيهِ وَقَالَ العلَّامة الزَّرْقَانِيُّ فِي شَرْحِ الْمَوَاهِبِ وَرَوَاهَا ابْنُ فَهْدٍ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ وَرَوَاهَا الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي الشِّفَاءِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ لَيْسَ فِي إسْنَادِهَا وَضَّاعٌ وَلَا كَذَّابٌ عَلَى أَنَّهَا قَدْ عُضِّدَتْ بِجَرَيَانِ الْعَمَلِ وَبِالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الصَّرِيحَةِ فِي جَوَازِ التَّوسُّل الَّتِي يُعَضِّدُ بَعْضُهَا بَعْضاً وَبِظَاهِرِ اسْتِسْقَاءِ عُمَرَ بالعبَّاس - رَضِيَ الله عَنْهُمَا - بَلْ مِمَّا يُعَيِّنُ حَمْلَ رِوَايَةِ زَرُّوقٍ " (١) .

وقال الإمام أبو العبَّاس شهاب الدِّين أحمد بن إدريس بن عبد الرَّحمن المالكي الشَّهير بالقرافي (٦٨٤هـ) أيضاً : " ما نقله القاضي عياض في " الشِّفاء " عن الإمام مالك رضي الله تعالى عنه أنَّه لما سأله جعفر المنصور عن استقبال القبر حين الدُّعاء أو استقبال القبلة قال له : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم قبلك ؟!!! بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله فيك قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] . قال العلَّامة ابن حجر في " الجوهر المنظَّم " رواية ذلك عن الإمام مالك جاءت بالسَّند الصَّحيح الذي لا مطعن فيه وقال العلَّامة الزّرقاني في " شرح المواهب " ، ورواها ابن فهد بإسناد جيِّد ، ورواها القاضي عياض في " الشِّفاء " بإسناد صحيح رجاله ثقات ليس في إسنادها وضَّاع ولا كذَّاب على أنَّها قد عضدت بجريان العمل وبالأحاديث الصَّحيحة الصَّريحة في جواز التَّوسُّل التي يعضد بعضها بعضاً ، وبظاهر استسقاء عمر بالعبَّاس رضي الله عنهما ،

(١) انظر : الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق) (٣/ ٥١-٥٢) .

بل ممَّا يعين حمل رواية زرُّوق المذكورة على ما ذكروا وبطلانها رأساً أنَّ زرُّوقاً نفسه في شرحه لحزب البحر قال بعد ذكر كثير من الأخبار : اللهمَّ إنَّا نتوسَّل إليك بهم ، فإنَّهم أحبُّوك ، وما أحبُّوك حتى أحببتهم فيك إيَّاهم وصلوا إلى حبِّك ونحن لم نصل إلى حبِّهم فيك فتمِّم لنا ذلك مع العافية الكاملة الشَّاملة حتى نلقاك يا أرحم الرَّاحمين .

وله في التَّوسُّل قصيدة مشهورة ، فمن هنا قال العلَّامة الزّرقاني على المواهب : وقول ابن تيمية ومالك من أعظم الأئمَّة كراهية لذلك خطأ قبيح ، فإنَّ كتب المالكيَّة طافحة باستحباب الدُّعاء عند القبر مستقبلاً له مستدبراً للقبلة ، وممَّن نصَّ على ذلك : أبو الحسن القابسي ، وأبو بكر بن عبد الرَّحمن ، والعلَّامة خليل في منسكه ، ونقله في " الشِّفاء " عن ابن وهب عن مالك ، قال : إذا سلَّم على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ، ويدنو ويسلِّم ، ولا يمسّ القبر بيده أهـ .

فتأمَّل ذلك ، فهذا تحقيق الفرق بين قاعدة ما يجب توحيد الله تعالى به وتوحده ، وبين قاعدة ما لا يجب ، والله أعلم " (١) .

وقال الإمام عبد الصَّمد بن عبد الوهَّاب بن أبي الحسن محمَّد بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين أمين الدِّين أبو اليمن بن عساكر الدِّمشقي نزيل مكة (٦٨٦هـ) : " ... ثمَّ يرجع الزَّائر إلى موقفه الأوَّل قبالة وجه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ويتوسَّل به إلى الله سبحانه في حوائجه ، وخويصة نفسه ، ويستشفع به إليه ، ويجدِّد التَّوبة في حضرته الشَّريفة ، ويسال الله سبحانه أن يجعلها توبةٌ نصوحاً ، ويكثر الاستغفار ، ويديم التَّضرُّع إلى الله سبحانه وتعالى فيها هنالك ، ويسأله ما أهمَّه من أمور الدِّين والدُّنيا ، ويكثر الاستشفاع به إلى الله سبحانه في مهمَّاته ، وخواصِّه ، ولوالديه ، ولإخوانه ، وللمسلمين أجمعين .

قال شيخنا أبو عمرو رحمه الله : ومن أحسن ما يقول ، قول الأعرابي الذي حكاه جماعةٌ من الأئمَّة مستحسنين له عن العُتبي ، واسمه محمَّد بن عبيد الله ، قال :

كنت جالساً عند قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فجاء أعرابي ، فقال : السَّلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله سبحانه يقول : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ

(١) انظر : الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق (مع الهوامش) (٣/ ٥٩) .

لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابَا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وقد جئتك مستغفراً من ذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربِّي ، ثمَّ أنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهنَّ القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنـــه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال : فحملتني عيناي ، فرأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في النَّوم ، فقال لي : يا عُتبيّ ، الحق الأعرابي فبشِّره أنَّ الله قد غفر ذنوبه .

وقد وقعت إلينا هذه الحكاية من غير طريق العُتبي (٢٢٨هـ) ، عن محمَّد بن حرب الهلالي .

كما نبَّأني الشَّيخ أبو القاسم عبد الرَّحمن بن أبي منصور بن نسيم رحمه الله – إن شاء الله – ، أخبرنا الحافظ أبو القاسم قراءةً عليه ، أخبرنا أبو أحمد عبد السَّلام بن الحسن بن علي بن زرعة الصّوري ، حدَّثنا الفقيه أبو الفتح نصر بن إبراهيم بن نصر – بصور – لفظاً ، حدَّثنا أبو العبَّاس أحمد بن علي بن محمَّد ، حدَّثنا أبو بكر محمَّد بن زهير – بنيسابور– ، أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن مرزبان ، حدَّثنا أبو محمَّد الحسن بن محمَّد النَّحوي ، أخبرنا ابن فضيل النَّحوي ، أخبرنا عبد الكريم بن علي ، حدَّثنا محمَّد بن محمَّد بن النُّعمان ، حدَّثنا محمَّد بن حرب الهلالي .

قال : دخلت المدينة فأتيت قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فزرته وجلست بحذائه ، فجاء أعرابيٌّ فزاره، ثمَّ قال: يا خير الرُّسل ! إنَّ الله عزَّ وجلَّ أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه : ﴿ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابَا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] . وإنِّي جئتك مستغفراً من ذنوبي ، مستشفعاً بك فيها ، ثمَّ بكى وأنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهنَّ القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنـــه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثمَّ استغفر وانصرف ، فرقدت فرأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في نومي وهو يقول : الحق الرَّجل فبشِّره أنَّ الله قد غفر له بشفاعتي ، فاستيقظت فخرجت أطلبه فلم أجده " [1] .

---

[1] انظر : إتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر في زيارة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم (ص٥٤-٥٥).

وقال الإمام زين الدِّين المنجى بن عثمان بن أسعد ابن المنجى التنوخي الحنبلي (٦٩٥هـ) : " ويُروى عن العُتبي (٢٢٨هـ) ، قال : كنت جالساً عند قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فجاء أعرابيٌّ ، فقال : السَّلام عليك يا رسول الله ! سمعت الله يقول : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وقد جئتك مستغفراً مستشفعاً بك إلى ربِّي ، ثمَّ أنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهنَّ القاع والأكم

نفسي الفداء لقبرٍ أنت ساكنــــه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثمَّ انصرف الأعرابي ، فحملتني عينيّ ، فرأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في النَّوم فقال : يا عتبي ! الحق الأعرابي فبشِّره أنَّ الله تعالى قد غفر له " (١) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن علي الأنصاري ، أبو العبَّاس، نجم الدِّين ، المعروف بابن الرِّفعة (٧١٠هـ) : " ومن أحسن ما يقول ما حكاه أصحابنا عن العُتبيّ (٢٢٨هـ) ، قال : كنت جالساً عند قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فجاء أعرابي ، فقال : السَّلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله تعالى يقول : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وقد جئتك مستغفراً من ذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربِّي ، ثمَّ انشأ يقول :

يا خبر من دفنت في الترب أعظمه فطاب من طيبهنَّ القاع والأكم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنــه فيه العفاف وفيه الجـــــود والكرم

ثمَّ انصرف ، فغلبتني عيناي ، فرأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في النَّوم ، فقال : " يا عتبي ، الحق الأعرابي ، فبشره بأنَّ الله قد غفر له " (٢) .

وقال الإمام أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدِّين النَّسفي (٧١٠هـ) : " قيل : جاء أعرابيٌّ بعد دفنه عليه السَّلام ، فرمى بنفسه على قبره ، وحثا من ترابه على رأسه ، وقال : يا رسول الله قلت فسمعنا ، وكان فيما أنزل عليك : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ

(١) انظر : الممتع في شرح المقنع (٢/ ٢١٤) .

(٢) انظر : كفاية النبيه في شرح التنبيه (٧/ ٥٣٧-٥٣٨) .

ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] . وقد ظلمت نفسي وجئتك أستغفر الله من ذنبي ، فاستغفر لي من ربِّي ، فنودي من قبره قد غفر لك " (١) .

وقال الإمام أحمد بن عبد الوهَّاب بن محمَّد بن عبد الدَّائم القرشي التَّيمي البكري ، شهاب الدِّين النّويري (٧٣٣هـ) : " ووقف أعرابي على قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فقال: قلت فقبلنا، وأمرت فحفظنا؛ وقلت عن ربِّك فسمعنا : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤ ] ، وقد ظلمنا أنفسنا وجئناك فاستغفر لنا ؛ فما بقيت عينٌ إلَّا سالت " (٢) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن محمَّد العبدري الفاسي المالكي الشَّهير بابن الحاج (٧٣٧هـ) : " فَالتَّوَسُّلُ بِهِ – عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام – هُوَ مَحَلُّ حَطِّ أَحْمَالِ الْأَوْزَارِ وَأَثْقَالِ الذُّنُوبِ ، وَالْخَطَايَا ؛ لِأَنَّ بَرَكَةَ شَفَاعَتِهِ – عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام – وَعِظَمَهَا عِنْدَ رَبِّهِ لَا يَتَعَاظَمُهَا ذَنْبٌ ، إذْ أَنَّهَا أَعْظَمُ مِنْ الْجَمِيعِ فَلْيَسْتَبْشِرْ مَنْ زَارَهُ وَيَلْجَأْ إلى اللهَّ تَعَالَى بِشَفَاعَةِ نَبِيِّهِ – عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام – مَنْ لَمْ يَزُرْهُ اللهمَّ لَا تَحْرِمْنَا مِنْ شَفَاعَتِهِ بِحُرْمَتِهِ عِنْدَك آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

وَمَنْ اعْتَقَدَ خِلَافَ هَذَا فَهُوَ الْمَحْرُومُ أَلَمْ يَسْمَعْ قَوْلَ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، فَمَنْ جَاءَهُ وَوَقَفَ بِبَابِهِ وَتَوَسَّلَ بِهِ وَجَدَ اللهَّ تَوَّاباً رَحِيماً ؛ لِأَنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ مُنَزَّهٌ عَنْ خُلْفِ الْمِيعَادِ ، وَقَدْ وَعَدَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالتَّوْبَةِ لِمَنْ جَاءَهُ وَوَقَفَ بِبَابِهِ وَسَأَلَهُ وَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ ، فَهَذَا لَا يَشُكُّ فِيهِ وَلَا يَرْتَابُ إلَّا جَاحِدٌ لِلدِّينِ مُعَانِدٌ للهَّ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم نَعُوذُ بِاَللهَّ مِنْ الْحِرْمَانِ ، وَقَدْ جَاءَ بَعْضُهُمْ إلى زِيَارَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَلَمْ يَدْخُلْ الْمَدِينَةَ عَلَى سَاكِنِهَا أَفْضَلُ الصَّلاة والسَّلام ، بَلْ زَارَ مِنْ خَارِجِهَا أَدَباً مِنْهُ – رَحِمَهُ الله – مَعَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَقِيلَ لَهُ : أَلَا تَدْخُلُ فَقَالَ : أَمِثْلِي يَدْخُلُ بَلَدَ سيِّد الْكَوْنَيْنِ لَا أَجِدُ نَفْسِي تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ ، أَوْ كَمَا قَالَ ، وَقَدْ قَالَ مَالِكٌ – رَحِمَهُ الله – لِرَسُولِ الْخَلِيفَةِ لما أَنْ أَتَى إلَيْهِ بِالْبَغْلَةِ لِيَرْكَبَهَا حَتَّى يَأْتِيَ إلَيْهِ لِعُذْرِهِ فِي كَوْنِهِ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْمَشْيِ ؛ لأنَّه قَدْ

---

(١) انظر : تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) (١/ ٣٧٠) .

(٢) انظر : نهاية الأرب في فنون الأدب (٥/ ١٦٩) .

كَانَ انْخَلَعَتْ يَدَاهُ وَرُكْبَتَاهُ مِنْ الضَّرْبِ الَّذِي قَدْ وَقَعَ بِهِ – رَضِيَ الله عَنْهُ – فِي الْحِكَايَةِ الْمَشْهُورَةِ عَنْهُ فَأَبَى أَنْ يَرْكَبَ ، وَقَالَ : مَوْضِعٌ وَطِئَهُ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بِأَقْدَامِهِ الْكَرِيمَةِ مَا كَانَ لِي أَنْ أَطَأَهُ بِحَافِرِ بَغْلَةٍ وَمَشَى إِلَيْهِ مُتَّكِئاً عَلَى رَجُلَيْنِ يَجُرُّ رِجْلَيْهِ حَتَّى بَلَغَ إلى الْخَلِيفَةِ فِي خَارِجِ الْمَدِينَةِ عَلَى سَاكِنِهَا أَفْضَلُ الصَّلاة والسَّلام وَجَرَى لَهُ مَعَهُ مَا جَرَى .

وَقَدْ قَالَ مَالِكٌ – رَحِمَهُ الله – لِلْخَلِيفَةِ لما أَنْ سَأَلَهُ إِذَا دَخَلَ مَسْجِدَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم هَلْ يَتَوَجَّهُ إلى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، أَوْ إلى الْقِبْلَةِ فَقَالَ مَالِكٌ – رَحِمَهُ الله – وَكَيْفَ تَصْرِفُ وَجْهك عَنْهُ وَهُوَ وَسِيلَتُك وَوَسِيلَةُ أَبِيك آدَمَ – عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام – قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ عِيَاضٌ – رَحِمَهُ الله – فِي كِتَابِ الشِّفَاءِ لَهُ : وَزِيَارَةُ قَبْرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ الْمُسْلِمِينَ مُجْمَعٌ عَلَيْهَا وَفَضِيلَةٌ مُرَغَّبٌ فِيهَا رُوِيَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : قَالَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي " .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ – رَضِيَ الله عَنْهُ – قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم –: " مَنْ زَارَنِي فِي الْمَدِينَةِ مُحْتَسِباً ، كَانَ فِي جِوَارِي ، وَكُنْت لَهُ شَفِيعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ " ، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ " مَنْ زَارَنِي بَعْدَ مَوْتِي فَكَأَنَّمَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي " . قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْفَقِيهُ – رَحِمَهُ الله تَعَالَى – وَمِمَّا لَمْ يَزَلْ مِنْ شَأْنِ مَنْ حَجَّ الْمُرُورُ بِالْمَدِينَةِ ، وَالْقَصْدُ إلى الصَّلاة فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، والتَّبَرُّك بِرُؤْيَةِ رَوْضَتِهِ وَمِنْبَرِهِ وَقَبْرِهِ وَمَجْلِسِهِ وَمَلَامِسِ يَدَيْهِ وَمَوَاطِئِ قَدَمَيْهِ ، وَالْعَمُودِ الَّذِي يَسْتَنِدُ إِلَيْهِ وَيَنْزِلُ جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ فِيهِ عَلَيْهِ وَبِمَنْ عَمَّرَهُ وَقَصَدَهُ مِنْ الصَّحابة وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَالِاعْتِبَارُ بِذَلِكَ كُلِّهِ وَقَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ سَمِعْت بَعْضَ مَنْ أَدْرَكْته يَقُولُ : بَلَغَنَا أَنَّه مَنْ وَقَفَ عِنْدَ قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب : ٥٦] ، ثمَّ قَالَ صَلَّى الله عَلَيْك يَا محمَّد يَقُولُهَا سَبْعِينَ مَرَّةً نَادَاهُ مَلَكٌ : صَلَّى الله عَلَيْك يَا فُلَانُ وَلَمْ تَسْقُطْ لَهُ حَاجَةٌ وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَهْدِيِّ ، قَالَ : قَدِمْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فلمَّا وَدَّعْته قَالَ لِي : أَلَك حَاجَةٌ إِذَا أَتَيْت الْمَدِينَةَ سَتَرَى قَبْرَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلام ، قَالَ غَيْرُهُ وَكَانَ يُبْرِدُ إِلَيْهِ الْبَرِيدَ مِنْ الشَّام ، قَالَ مَالِكٌ فِي رِوَايَةِ ابْنِ وَهْبٍ : إِذَا سَلَّمَ عَلَى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَدَعَا يَقِفُ وَوَجْهُهُ إلى الْقَبْرِ لَا إلى الْقِبْلَةِ ، وَيَدْنُو وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَلَا يَمَسُّ الْقَبْرَ بِيَدِهِ ، وَقَالَ نَافِعٌ : كَانَ ابْنُ عُمَرَ يُسَلِّمُ عَلَى الْقَبْرِ رَأَيْته مِائَةَ مَرَّةٍ ، وَأَكْثَرُ مَا يَفْعَلُ يَجِيءُ إلى الْقَبْرِ ، فَيَقُولُ : السَّلام عَلَى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم السَّلام عَلَى أَبِي بَكْرٍ السَّلام عَلَى أَبِي حَفْصٍ ، ثمَّ يَنْصَرِفُ ، وَقَالَ ابْنُ حَبِيبٍ : وَيَقُولُ إذَا دَخَلَ مَسْجِدَ

الرَّسول – عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام – : بِسْمِ اللهِّ وَسَلَامٌ عَلَى رَسُولِ اللهِّ – عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام – ، والسَّلام عَلَيْنَا مِنْ رَبِّنَا وَصَلَّى الله وَمَلَائِكَتُهُ عَلَى محمَّد اللهمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِك وَجَنَّتِك وَاحْفَظْنِي مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم ، ثمَّ اقْصِدْ إلى الرَّوْضَةِ وَهِيَ مَا بَيْنَ الْقَبْرِ ، وَالْمِنْبَرِ فَارْكَعْ فِيهَا رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ وُقُوفِك بِالْقَبْرِ تَحْمَدُ اللهَّ فِيهِمَا وَتَسْأَلُهُ تَمَامَ مَا خَرَجْت إلَيْهِ ، وَالْعَوْنَ عَلَيْهِ .

وَإِنْ كَانَتْ رَكْعَتَاك فِي غَيْرِ الرَّوْضَةِ أَجْزَأَتْك ، وَفِي الرَّوْضَةِ أَفْضَلُ ، ثمَّ تَقِفُ بِالْقَبْرِ مُتَوَاضِعاً مُتَوَقِّراً فَتُصَلِّي عَلَى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَتُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا يَحْضُرُك وَتُسَلِّمُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَتَدْعُو لَهُمَا قَالَ مَالِكٌ فِي كِتَابِ محمَّد : يُسَلِّمُ عَلَى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إذَا دَخَلَ وَخَرَجَ قَالَ محمَّد وَإِذَا خَرَجَ جَعَلَ آخِرَ عَهْدِهِ الْوُقُوفَ بِالْقَبْرِ ، وَكَذَلِكَ مَنْ خَرَجَ مُسَافِراً ، وَقَالَ مَالِكٌ فِي الْمَبْسُوطَةِ : وَلَيْسَ يَلْزَمُ مَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَخَرَجَ مِنْهُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الْوُقُوفُ بِالْقَبْرِ ، وإِنَّمَا ذَلِكَ لِلْغُرَبَاءِ فَقِيلَ لَهُ إنَّ نَاساً مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَا يَقْدِمُونَ مِنْ سَفَرٍ وَلَا يُرِيدُونَهُ إلَّا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ فِي الْيَوْمِ مَرَّةً ، أَوْ أَكْثَرَ فَيُسَلِّمُونَ وَيَدْعُونَ سَاعَةً ، فَقَالَ : لَمْ يَبْلُغْنِي هَذَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْفِقْهِ بِبَلَدِنَا ، وَلَا يُصْلِحُ آخِرَ هَذِهِ الأمَّة إلَّا مَا أَصْلَحَ أَوَّلَهَا ، وَلَمْ يَبْلُغْنِي عَنْ أَوَّلِ هَذِهِ الأمَّة وَصَدْرِهَا أَنَّهم كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ ، وَيُكْرَهُ ذَلِكَ إلَّا لِمَنْ جَاءَ مِنْ سَفَرٍ ، أَوْ أَرَادَهُ قَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ وَرَأَيْت أَهْلَ الْمَدِينَةِ إذَا خَرَجُوا مِنْهَا، أَوْ دَخَلُوهَا أَتَوْا الْقَبْرَ فَسَلَّمُوا قَالَ ، وَذَلِكَ دَأْبِي قَالَ الْبَاجِيُّ : فَفَرْقٌ بَيْنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَالْغُرَبَاءِ ؛ لِأَنَّ الْغُرَبَاءَ قَاصِدُونَ إلى ذَلِك ، وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ مُقِيمُونَ بِهَا لَمْ يَقْصِدُوهَا مِنْ أَجْلِ الْقَبْرِ، وَالتَّسْلِيم .

وَفِي الْعُتْبِيَّةِ يَبْدَأُ بِالرُّكُوعِ قَبْلَ السَّلام فِي مَسْجِدِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَمِنْ كِتَابِ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ الْهِنْدِيِّ وَمَنْ وَقَفَ بِالْقَبْرِ لَا يَلْتَصِقْ بِهِ وَلَا يَمَسَّهُ وَلَا يَقِفْ عِنْدَهُ طَوِيلاً ، انْتَهَى .

يَعْنِي بِالْوُقُوفِ طَوِيلاً أَنَّ الْحُجْرَةَ الشَّرِيفَةَ دَاخِلُ الدَّرَابِيزِ ، فَإِذَا وَقَفَ طَوِيلاً ضَيَّقَ عَلَى غَيْرِهِ ، وأَمَّا لَوْ وَقَفَ خَارِجَ الدَّرَابِيزِ فَذَلِكَ الْمَوْضِعُ فِي الْمَسْجِدِ فَلَا يُمْنَعُ مِنْهُ ؛ لِأَنَّ لَهُ فِيهِ حَقَّ الصَّلاة وَانْتِظَارَهَا ، وَالِاعْتِكَافَ وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ لَا يَدْخُلَ مِنْ دَاخِلِ الدَّرَابِيزِ الَّتِي هُنَاكَ ؛ لِأَنَّ الْمَكَانَ مَحَلُّ احْتِرَامٍ وَتَعْظِيمٍ فَيُنَبَّهُ الْعَالِمُ" (١) .

وقال الإمام أبو حيان محمَّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدِّين الأندلسي (٧٤٥هـ) : " وَرُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ الله وَجْهَهُ أَنَّه قَالَ : قَدِمَ عَلَيْنَا أَعْرَابِيٌّ بعد ما دَفَنَّا رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَرَمَى بِنَفْسِهِ عَلَى قَبْرِهِ وَحَثَا مِنْ تُرَابِهِ عَلَى رَأْسِهِ ثمَّ قَالَ :

(١) انظر : المدخل (١/ ٢٦٠-٢٦٢) .

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي التُّرْبِ أَعْظُمُهُ    فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكَمُ
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُــــهُ    فِيهِ الْعَفَــافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ثُمَّ قَالَ : قَدْ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِّ فَسَمِعْنَا قَوْلَكَ ، وَوَعَيْتَ عَنِ اللهِّ فَوَعَيْنَا عَنْكَ ، وَكَانَ فِيمَا أَنْزَلَ الله عَلَيْكَ : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وَقَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَجِئْتُ أَسْتَغْفِرُ اللهَّ ذَنْبِي ، فَاسْتَغْفِرْ لِي مِنْ رَبِّي ، فَنُودِيَ مِنَ الْقَبْرِ أَنَّه قَدْ غُفِرَ لَكَ " (١) .

قال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمَّ الدِّمشقي (٧٧٤هـ) : " يُرْشِدُ تَعَالَى الْعُصَاةَ وَالْمُذْنِبِينَ إِذَا وَقَعَ مِنْهُمُ الْخَطَأُ وَالْعِصْيَانُ أَنْ يَأْتُوا إلى الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَيَسْتَغْفِرُوا اللهَّ عِنْدَهُ ، وَيَسْأَلُوهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ تَابَ الله عَلَيْهِمْ وَرَحِمَهُمْ وَغَفَرَ لَهُمْ ، وَلِهَذَا قَالَ : ﴿ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤ ] ، وقد ذكر جماعةٌ ، منهم : الشَّيخ أبو نصر بن الصَّبَّاغ في كتابه " الشَّامل " الحكاية المشهورة عن العُتبي ، قَالَ : كُنْتُ جَالِساً عِنْدَ قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : السَّلام عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِّ ، سَمِعْتُ اللهَّ يقول :﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤ ] ، وَقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَغْفِراً لِذَنْبِي مُسْتَشْفِعاً بِكَ إلى رَبِّي ثم أَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا خيرَ مَنْ دُفِنَت بِالْقَاعِ أعظُمُه    فطَابَ منْ طِيبِهِنَّ القاعُ والأكَمُ
نَفْسي الفداءُ لقبرٍ أَنْتَ ساكنُـــه    فِيهِ العفافُ وَفِيهِ الجودُ والكرمُ

ثُمَّ انْصَرَفَ الْأَعْرَابِيُّ ، فَغَلَبَتْنِي عَيْنِي ، فَرَأَيْتُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي النَّوْمِ فَقَالَ : يَا عُتْبي ، الحقْ الْأَعْرَابِيَّ فَبَشِّرْهُ أَنَّ اللهَّ قَدْ غَفَرَ له " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن أحمد بن علي ، تقي الدِّين ، أبو الطيِّب المكِّي الحسني الفاسي (٨٣٢هـ) : " أنبأنا أبو الفرج بن علي الفقيه ، أنبأنا عمر بن ظفر ، أنبأنا جعفر بن أحمد، أنبأنا عبد العزيز بن علي ، حدَّثنا أبو الحسن الهمداني ، حدَّثني محمَّد بن حبَّان ، قال : سمعت إبراهيم بن شيبان ، يقول : حججت في بعض السِّنين ؛ فجئت

(١) انظر : البحر المحيط في التفسير (٣/ ٦٩٣) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣٤٧-٣٤٨) .

المدينة فتقدَّمت إلى قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فسلَّمت عليه فسمعت من داخل الحجرة وعليك السَّلام ، أخبرنا عبد الرَّحمن بن أبي الحسن في كتابه ، أخبرنا أبو الفرج بن أحمد ، أخبرنا أحمد بن نصير ، أخبرنا محمَّد بن القاسم ، سمعت علي بن غالب الصُّوفي ، يقول : سمعت إبراهيم بن محمَّد المذكي يقول : سمعت أبا الحسن الفقيه يحكي عن الحسن بن محمَّد عن ابن فضيل النَّحوي ، عن محمَّد بن روح ، عن محمَّد بن حرب الهلالي ، قال : دخلتُ المدينة فأتيت قبر النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّم– فجاء أعرابي فزاره ثمَّ قال : يا خير المرسلين إنَّ الله عزَّ وجلَّ أنزل كتاباً عليك صادقاً ، قال فيه : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] ، وإنِّي جئتك مستغفراً إلى ربِّي من ذنوبي ، مستشفعاً بك ثمَّ بكى ، وأنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهنَّ القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجـــود والكرم
أنت النَّبي الذي تُرجى شفاعته عند الصِّراط إذا ما زلَّت القدم

ثمَّ استغفر وانصرف ؛ فرقدت ، فرأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وهو يقول : الحق بالرَّجل فبشِّره بأنَّ الله عزَّ وجلَّ قد غفر له بشفاعتي " (١) .

وقال الإمام أحمد بن علي بن عبد القادر ، أبو العبَّاس الحسيني العبيدي ، تقي الدِّين المقريزي (٨٤٥هـ) : " وقد روي من طريق، محمَّد بن حرب الهلالي ، قال : دخلت المدينة فأتيت قبر رسول اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فزرته ، وجلست بحذائه ، فجاء أعرابي فزاره ثمَّ قال :

يا خير المرسلين إنَّ اللهَّ عزَّ وجلَّ أنزل عليك كتاباً صادقاً ، قال فيه : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤ ] . وإنِّي جئتك مستغفراً إلى ربِّي من ذنوبي مستشفعاً بك ، ثمَّ بكى وأنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهنَّ القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنـــه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

(١) انظر : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام (٢/ ٤٦٢-٤٦٣) .

ثمَّ استغفر وانصرف . قال : فرقدت ، فرأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وهو يقول : إنَّ اللهَّ عزَّ وجلَّ قد غفر له لشفاعتي " [1] .

وقال الإمام محمَّد بن أحمد بن الضياء محمَّد القرشي العمري المكي الحنفي ، بهاء الدِّين أبو البقاء ، المعروف بابن الضِّياء (٨٥٤هـ) : " وَمن أحسن مَا يَقُول مَا حَكَاهُ الْعلمَاء عَن العتبى (٢٢٨هـ) " مستحبِّين " قَالَ : كنت جَالِساً عِنْد قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فجَاء أَعْرَابِي ، فَقَالَ : السَّلام عَلَيْك يَا رَسُول الله ، سَمِعت الله يَقُول : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤ ] ، وَقد جئْتُك مُسْتَغْفِراً من ذَنبي ، مستشفعاً بك إِلى رَبِّي ، ثمَّ أنشأ يَقُول :

يَا خير من دفنت بالقاع أعظمه    فطاب من طيبهنَّ القاع والأكم

نَفسِي الْفِدَاء لقبر أَنْت ساكنه    فِيهِ العفاف وَفِيه الْجُود وَالْكَرم

ثمَّ اسْتغْفر وَانْصَرف ، فغلبتني عَيْنَايَ فَرَأَيْت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي الْمَنَام ، فَقَالَ : يَا عتبي الْحق بالأعرابي فبشِّره أَنَّ الله قد غفر لَهُ . قَالَ بعض الْعلمَاء : يَقُول الزَّائر بعد السَّلام وَالصَّلاة عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم اللهمَّ إِنَّك قلت وقولك الْحق : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤ ] . اللهمَّ إِنَّا قد سمعنَا قَوْلك وأطعنا أَمرك ، وقصدنا نبيَّك هَذَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم مستشفعين بِهِ إِلَيْك من ذنوبنا، وَمَا أثقل ظُهُورنَا من أوزارنا ، تَائِبين إِلَيْك من زللنا ، معترفين بخطايانا وتقصيرنا ، اللهمَّ فتب علينا ، وشفِّع نبيَّك هَذَا فِينَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وارفعنا بِمَنْزِلَتِهِ عنْدك وَحقِّه عَلَيْك ، اللهمَّ اغْفِر للمهاجرين وَالْأَنْصَار وَلِإِخْوَانِنَا الَّذين سبقُونَا بِالْإِيمَان وَلَا تجْعَل فِي قُلُوبنَا غلّاً للَّذين آمنُوا رَبنَا إِنَّك رؤوف رَحِيم ، وَللهَّ درُّ هَذَا الْأَعرَابِي حَيْثُ استنبط من الْآيَة الْكَرِيمَة الْمَجِيء إِلى زيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بعد مَوته مُسْتَغْفِراً ، فَإِنَّ ذَلِك أظهر فِي قصد التَّعْظِيم وَصدق الْإِيمَان ، واستغفار الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بعد الْمَوْت حَاصِل ؛ لأَنَّه الشَّفِيع الْأَكْبَر يَوْم الْقِيَامَة والوسيلة الْعُظْمَى فِي طلب الغفران وَرفع الدَّرَجَات ، من بَين سَائِر ولد آدم ، والمجيء إِلَيْهِ بعد مَوته تَجْدِيد لتأكيد التَّوسُّل بِهِ إِلى الله تَعَالَى وَقت الْحَاجة ، وَقد خمَّس هذَيْن الْبَيْتَيْنِ الشَّيخ محمَّد بن أَحْمد بن أَمِين الأقشهري رَحمَه الله تَعَالَى ، فَقَالَ :

---

[1] انظر : إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع (١٤/ ٦١٥) .

خير المزار لدُنْيَا ثمَّ أعظمه وَخير من سرّ عرش الرَّب مقدمه

ناديته بمقول وَهُوَ أقومــه يَا خير من دفنت فِي الترب أعظمه

فطاب من طيبهنَّ القاع والأكم

طُوبَى لجاركم طابت مساكنه جَار بجار وجار المرتع آمنهُ

قَول إِذا قلت تشفيني محاسنه نَفسِي الْفِدَاء لقبر أَنْت ساكنه

فِيهِ العفاف وَفِيه الْجُود وَالْكَرم

قَالَ عز الدِّين بن جمَاعَة : وشتان بَين هَذَا الْأَعرَابِي وَبَين من أضلّهُ الله فَحرم السَّفر إِلَى زيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وَهِي من أعظم القربات ، كَمَا قدَّمْنَاهُ . ولبعض زوَّار النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم :

أَتَيْتُك زَائِراً وودت أَنّـي جعلت سَواد عَيْني أمتطيه

وَمَا لي لَا أَسِير على جفوني إِلى قبر رَسُول الله فِيـــهِ

قَالَ القَاضِي عِيَاض رَحمَه الله : وجديرٌ بمواطن عمرت بِالْوَحْي والتَّنزيل ، وَتردَّد بهَا جِبْرِيل وَمِيكَائِيل ، وعرجت مِنْهَا الْمَلَائِكَة والرُّوح ، وضجَّت فِي عرصاتها بالتَّقديس وَالتَّسْبِيح ، واشتملت تربَتهَا على جَسَد سيِّد الْبشر ، وانتشر عَنْهَا من دين الله وَسنَّة نبيِّه مَا انْتَشَر ، مدارس آيَات ، ومساجد وصلوات ، ومشاهد الْفَضَائِل والخيرات ، ومعاهد الْبَرَاهِين والمعجزات ، ومساكن الدِّين ، ومشاعر الْمُسلمين ، وموقف سيِّد الْمُرْسلين ، ومتبوَّأ خَاتم النَّبِيين ، حَيْثُ انفجرت النُّبُوَّة وفاض عبابها ، ومواطن مهبط الرِّسَالَة ، وَأوَّل أَرض مسَّ جلد الْمُصْطَفى ترابها ، أَن تعظَّم عرصاتها ، وتنسَّم نفحاتها ، وتقبّل ربوعها وجدرانها ، وَأنْشد :

يَا دَار خير الْمُرْسلين وَمن بِهِ هدى الْأَنَام وَخص بِالْآيَاتِ

عِنْدِي لِأَجلِك لوعة وصبابة وَتَشَوُّق متوقّد الجمرات

وعليّ عهد إِن مَلَأت محاجري من تلكم الجدرات والعرصـــات

لأُعَفِّرَنَّ مصون شيبي بَينهَا من كَثْرَة التَّقْبِيل والرشفـــات

لَوْلَا العوادي والأعادي زرتهـــا أبدا وَلَو سحباً على الوجنات

لَكِن سأهدي من حفيل تحيتــي لقطيـن تِلْكَ الدَّار والحجرات

أزكى من الْمسك المفتق نفحـة تغشاه بالآصـال والبكرات

وتخصّه بزواكي الصَّلَـــــوَات وتوأمي التَّسْلِيم والبركـــات

(١)

وقال الإمام محمَّد بن أحمد بن الضياء محمَّد القرشي العمري المكِّي الحنفي ، بهاء الدِّين أبو البقاء ، المعروف بابن الضِّياء (٨٥٤هـ) : " ... وَالنَّظَر إلى مآثرك ، والتَّيمُّن بزيارتك ، والتَّبرُّك بِالسَّلَامِ عَلَيْك ، والاستشفاع بك إلى رَبِّنَا عزَّ وَجلَّ ، فَإِنَّ خطايانا قد قصمت ظُهُورنَا، وأوزارنا قد أثقلت كواهلنا ، وَأَنت الشَّافع المشفَّع ، وَقد قَالَ الله تَعَالَى : ﴿ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴾ [النساء : ٦٤ ] . وَقد جئْنَاك يَا رَسُول الله ظالمين لأنفسنا مستغفرين لذنوبنا ، فاشفع لنا إلى رَبِّنا ، واسأله أَن يميتنا على سنَّتك ، ويحشرنا فِي زُمرتك ، ويسقينا بكأسك غير خزايا وَلَا ندامى ، ويرزقنا مرافقتك فِي الفردوس الْأَعْلَى مَعَ الَّذين أنعم الله عَلَيْهِم من النَّبِيين وَالصدِّيقين وَالشُّهَدَاء والصَّالحين وَحسن أُولَئِكَ رَفِيقاً ، يَا رَسُول الله الشَّفاعة الشَّفَاعَة ، اللهمَّ صلِّ على محمَّد وعَلى آل محمَّد " (٢) .

وقال الإمام أبو زيد عبد الرَّحمن بن محمَّد بن مخلوف الثَّعالبي (٨٧٥هـ) : " وعن العتبيِّ (٢٢٨هـ) ، قال : كنتُ جالساً عند قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : السَّلام عَلَيْكَ ، يَا رَسُولَ اللهَّ ، سَمِعْتُ اللهَّ تعالى يَقُولُ : ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴾ [النساء : ٦٤] ، وقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَعْفِياً مِنْ ذُنُوبِي ، مُسْتَغْفِراً إلى رَبِّي ، ثمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظُمُهُ فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ القَاعُ وَالأَكَمُ
نَفْسي الفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ فِيهِ العَفَافُ، وَفِيهِ الجُودُ وَالكَرَمُ

قال : ثمَّ انصرف ، فَحَمَلَتْنِي عَيْنَايَ ، فَرَأَيْتُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي النَّوْمِ ، فَقَالَ لِي : يَا عُتْبِيُّ : الحق الأَعْرَابِيَّ ، فَبَشِّرْهُ أَنَّ اللهَّ تعالى قَدْ غَفَرَ لَهُ . انتهى من حلية النوويِّ ، وسُنَنِ الصَّالحين للباجيِّ ، وفيه : مُسْتَغْفِراً مِنْ ذُنُوبِي ، مستشفعاً بك إلى ربِّي " (٣) .

وقال الإمام إبراهيم بن محمَّد بن عبد الله بن محمَّد ابن مفلح، أبو إسحاق ، برهان الدِّين (٨٨٤هـ) : " وَرُوِيَ عَنِ الْعُتْبِيِّ (٢٢٨هـ) ، قَالَ : كُنْتُ جَالِساً عِنْدَ قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : السَّلام عَلَيْكَ يَا

---

(١) انظر : تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشَّريف (ص٣٤٦-٣٤٧) .

(٢) انظر : تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشَّريف (ص٣٤٤) .

(٣) انظر : الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٢/ ٢٥٧) .

رَسُولَ اللهَّ سَمِعْتُ اللهَّ يَقُولُ : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤ ] ، وَقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَغْفِراً مِنْ ذَنْبِي ، مُسْتَشْفِعاً بِكَ إِلى رَبِّي ، ثمَّ أَنْشَدَ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظُمُهُ فَطَابَ مَنْ طيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكَمُ
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُــهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ (١)

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي (٩١١هـ) : " وَأخرج الْبَيْهَقِيّ عَن أبي حَرْب الْهِلَالِي ، قَالَ : حجَّ أَعْرَابِيٌّ فلمَّا جاء إِلى بَاب مَسْجِد رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَنَاخَ رَاحِلَته فعقلها ثمَّ دخل الْمَسْجِد حَتَّى أَتَى الْقَبْر ووقف بحذاء وَجه رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فَقَالَ : بِأَبِي أَنْت وَأمِّي يَا رَسُول الله ، جئْتُك مُثقلاً بِالذنُوبِ والخطايا ، مستشفعاً بك على رَبك لأَنَّه قَالَ فِي مُحكم تَنْزِيله : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وَقد جئْتُك بِأبي أَنْت وَأمي مُثقلاً بِالذنُوبِ والخطايا ، استشفع بك على رَبِّك أَن يغْفر لي ذُنُوبِي ، وَأَن تشفع فِيَّ ، ثمَّ أقبل فِي عرض النَّاس ، وَهُوَ يَقُول :

يَا خير من دفنت فِي التُّرب أعظمه فطاب من طيبهنَّ القاع والأكم
نَفسِي الْفِدَاء لقبر أَنْت ساكنـــه فِيهِ العفـــــاف وَفِيه الْجُود وَالْكَرم (٢)

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي (٩١١هـ) : " ... كذلك أنْتَ يا عبد الله ، إذا أذنبتَ وأتيتَ معترفاً لرسولك الذي أُرسل إليك متضرِّعاً وجِلاً ، فإنَّه يستغفر لك ، ويشفعُ فيك ، لأنَّ الله أمره بالاستغفار لك ، وأذن له في الشَّفاعة فيك .

وكيف لا وهو أكرم الخَلْق عليه ! وقد وعدنا بذلك في قوله : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤ ] .

---

(١) انظر : المبدع في شرح المقنع (٣/ ٢٣٦) .

(٢) انظر : الدر المنثور في التفسير بالمأثور (١/ ٥٧٠-٥٧١) .

وإنِّي قد مُنعت يا سيِّد الأوَّلين والآخرين عن الإتيان إليكَ بذنوب جَنَيْتها على نفسي ، فأنْتَ تعلم عُذْري ، ولا حيلةَ لي غير التَّعلُّق بجاهك العظيم والصَّلاة عليك ، صَلَّى الله عليك وعلى آلك أفضل صلاة وأزكى تسليم " (١) .

وقال الإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السَّمهودي (٩١١هـ) : " ... فسيأتي أنَّ المجيء المذكور في قوله تعالى : ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء : ٦٤ ] ، حاصل بالمجيء إلى قبره الشَّريف ، وكذا زيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وسؤال الشَّفاعة منه ، والتَّوسُّل به إلى الله تعالى ، والمجاورة عنده من أفضل القُربات ، وعنده تُجاب الدَّعوات ، فكيف لا يكون أفضل ، وهو السَّبب في هذه الخيرات " (٢) .

وقال الإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السَّمهودي (٩١١هـ) : " ... وبالكتاب لقوله تعالى : ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء : ٦٤] ، لحثِّه على المجيء إليه والاستغفار عنده واستغفاره للجاءين وهذه رتبة لا تنقطع بموته وقد استغفر لكلِّ من المؤمنين والمؤمنات لأمر الله له به في كتابه ، فإذا وجد المجيء واستغفار الجائي تكمَّلت الأمور الموجبة لتوبة الله ورحمته . وقوله : ﴿وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ﴾ معطوف على ﴿جَآءُوكَ﴾ فلا يقتضي كون استغفاره بعد استغفارهم مع أنَّا لا نسلم أنَّهم لا يستغفر لهم بعد الموت لما سبق من حياته ، واستغفاره لأمَّته عند عرض أعمالهم ، فهو متوقّع كما في الحياة ويعمل في كمال رحمته أنَّه لا يترك ذلك لمن جاءهم . وسيأتي في الفصل بعده عن مالك في مناظرته المنصور ما يشهد لذلك وكذا عن غيره .

وقد فهم العلماء من الآية العموم واستحبُّوا لمن أتى القبر أن يتلوها ويستغفر الله تعالى ، وأوردوا حكاية العتبي (٢٢٨هـ) الآتية في كتبهم مستحسنين لها !! وذكرها ابن عساكر في تاريخه ، وابن الجوزي في مثير الغرام ، وابن النَّجَّار بأسانيدهم إلى محمَّد بن حرب الهلالي ، قال : أتيت قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فزرته وجلست بحذاءه ، فجاء أعرابي وذكر نحو ما سيأتي ، بل روى أبو سعيد السَّمعاني عن عليّ رضي الله عنه ، قال : قدم علينا

---

(١) انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (٣/ ١٥٥) .

(٢) انظر : خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (١/ ٦٦-٦٧) .

إعرابي بعد ما دفنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بثلاثة أيَّام فرمى بنفسه على قبره وحثا من ترابه على رأسه ، وقال : يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ، ووعيت عن الله سبحانه وما وعينا عنك ، وكان فيما أنزل عليك : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي ، فنوديّ من القبر أنَّه قد غفر لك ، بل يستدلُّ بالآية ، وكذا بما سبق أيضاً على مشروعيَّة السّفر للزِّيارة وشدِّ الرِّحال لشموله المجيء من قرب ومن بعد ... " (١) .

وقال الإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السَّمهودي (٩١١هـ) : " وفي الشَّفاء بسند جيِّد عن أبن حميد قال ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فقال مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإنَّ الله تعالى أَدَّب قوماً ، فقال : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات : ٢] ، ومدح قوماً ، فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات : ٣] ، وذمَّ قوماً ، فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحجرات: ٤] ، وإنَّ حرمته ميتاً كحرمته حيَّاً ، فاستكان لها أبو جعفر ، وقال يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعوا أم أستقبل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ؟ فقال : ولمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السَّلام إلى الله تعالى يوم القيامة ؟! بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤ ] .

وفي المستوعب لأبي عبد الله السَّامريّ الحنبلي : ثمَّ يأتي حائط القبر ، فيقف ناحيته ، ويجعل القبر تلقاء وجهه ، والقبلة خلف ظهره ، والمنبر عن يساره ، وذكر السَّلام والدُّعاء ، ومنه : اللهمَّ إنَّك قلت في كتابك لنبيِّك عليه السَّلام : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤ ] ، وأنِّي أتيت نبيَّك مستغفراً ، فأسألك أن تُوجب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حياته ، اللهمَّ إنِّي أتوجَّه إليك بنبيِّك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إلخ .

---

(١) انظر : خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (١/ ٣٦٧-٣٧٢) .

وقال عياض : قال مالك في رواية ابن وهب : إذا سلَّم على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ودعا ، يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ، ويدنو ويسلِّم " (١) .

وقال الإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السَّمهودي (٩١١هـ) : " ... ثمَّ سلِّم مقتصداً من غير رفع صوت ولا إخفاء ، فتقول بحياء ووقار : السَّلام عليك أيُّها النَّبي ورحمة الله وبركاته ثلاثاً ، السَّلام عليك يا رسول ربِّ العالمين ، السَّلام عليك يا خير الخلائق أجمعين ، السَّلام عليك يا سيِّد المرسلين وخاتم النَّبيِّين ، السَّلام عليك يا إمام المتَّقين ، السَّلام عليك يا قائد الغرّ المحجَّلين ، السَّلام عليك أيُّها المبعوث رحمة للعالمين ، السَّلام عليك يا شفيع المذنبين ، السَّلام عليك يا حبيب الله ، السَّلام عليك يا خيرة الله ، السَّلام عليك يا صفوة الله ، السَّلام عليك أيُّها الهادي إلى صراط المستقيم ، السَّلام عليك يا من وصفه الله تعالى بقوله : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم : ٤ ] ، وبقوله : ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] ، السَّلام عليك يا من سبَّح الحصى في يديه ، وحنَّ الجذع إليه ، السَّلام عليك يا من أمرنا الله بطاعته والصَّلاة عليه ، السَّلام عليك وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصَّالحين وملائكة الله المقرَّبين ، وعلى آلك وأزواجك الطَّاهرات أمَّهات المؤمنين ، وأصحابك أجمعين ، كثيراً دائماً أبداً ، كما يحبُّ ربُّنا ويرضى ، جزاك الله عنَّا أفضل ما جزى رسولاً عن أمَّته ، وصلَّى الله عليك أفضل وأكمل وأزكى وأنمى صلاة صلَّاها على أحد من خلقه ، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّك عبده ورسوله ، وخيرته من خلقه ، وأشهد أنَّك قد بلَّغت الرِّسالة ، وأدَّيت الأمانة ، ونصحت الأمَّة ، وكشفت الغُمَّة ، وأقمت الحجَّة ، وأوضحت المحجَّة ، وجاهدت في الله حقَّ جهاده ، وكنت كما نعتك الله في كتابه حيث قال : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة : ١٢٨] ، فصلوات الله وملائكته وجميع خلقه في سماواته وأرضه عليك يا رسول الله ، اللهمَّ آته الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، وآته نهاية ما ينبغي أن يسأله السَّائلون ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣] ، آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشرِّه ، اللهمَّ ثبِّتني على ذلك ، ولا تردَّنا على أعقابنا ، ولا تُزغ قلوبنا بعد أن هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنَّك أنت الوهَّاب ، اللهمَّ صلِّ على محمَّد عبدك ورسولك النَّبي الأميّ

---

(١) انظر : خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (١/ ٤٢٥-٤٢٦) .

وعلى آل محمَّد وأزواجه وذرِّيته ، كما صلَّيت على إبراهيم ، وبارك على محمَّد النَّبي الأميّ وعلى آل محمَّد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنَّك حميد مجيد . ومن عجز عن حفظ ذلك أو ضاق عنه الوقت أقتصر على بعضه ، وأقلُّه : السَّلام عليك يا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم .

وذكر ابن حبيب السَّلام والثناء على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وعطف عليه قوله : والسَّلام عليكما يا صاحبي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يا أبا بكر ويا عمر جزاكما الله تعالى عن الإسلام وأهله أفضل ما جزى وزيري نبي عن وزارته في حياته وعلى حسن خلافته إيَّاه في أمَّته بعد وفاته ، فقد كنتما لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وزيري صدق في حياته وخلفتماه بالعدل والإحسان في أمَّته بعد وفاته ، فجزاكما الله تعالى على ذلك مرافقته في جنَّته وإيَّانا معكم برحمته ، انتهى ...

قال النَّووي وغيره : ثمَّ يرجع الزائر إلى موقعه قبالة وجه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فيتوسَّل به ويتشفَّع به إلى ربِّه ، ومن أحسن ما يقول ما حكاه أصحابنا عن العتبيّ (٢٢٨هـ) ، مستحسنين له ، قال : كنتُ جالساً عند قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فجاء إعرابيٌّ ، فقال : السَّلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله تعالى يقول : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤ ] ، وقد جئتك مستغفراً من ذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربِّي أنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه    فطاب من طيبهنَّ القاعُ والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنـــه    فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال ثمَّ انصرف ، فحملني عيناي ، فرأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في النَّوم ، فقال : يا عتبيّ الحق الأعرابي فبشِّره بأنَّ الله قد غفر له .

قلت : وليقدّم على ذلك ما تضمَّنه خبر ابن فديك عن بعض من أدركه ، قال : بلغنا أنَّ من وقف عند قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فقال : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب : ٥٦] ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم عليك يا محمَّد ، يقولها سبعين مرَّة ، ناداه ملك : صَلَّى الله عليك يا فلان ، ولم تسقط لك اليوم حاجة . قال بعضهم : والأولى أن يقول : صَلَّى الله عليك يا رسول الله ، إذ من خصائصه أن لا يُنادى باسمه ، والذي يظهر : أنَّ ذلك في النِّداء الذي لا يقترن به الصَّلاة والسَّلام ، ثمَّ يجدّد التَّوبة عقب ذلك ، ويكثر من الاستغفار والتَّضرُّع إلى الله تعالى ، والاستشفاع بنبيِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في

جعلها توبة نصوحاً ، ثمَّ يقول : يا رسول الله : إنَّ الله تعالى قال فيما أنزل عليك : ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء : ٦٤ ] ، وقد ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ، وأتيت بجهلي وغفلتي أمراً كبيراً ، وقد وفدت عليك زائراً ، وبك مستجيراً ، وجئتك مستغفراً من ذنبي ، سائلاً منك أن تشفع لي إلى ربِّي ، وأنت شفيع المذنبين المقبول الوجيه عند ربّ العالمين ، وها أنا معترف بذنبي متوسِّل بك إلى الله ، مستشفعٌ بك إليه ، وأسأل الله البرّ الرَّحيم بك أن يغفر لي ، ويميتني على سنَّتك ، ومحبَّتك ، ويحشرني في زمرتك ، ويوردني وأحبائي حوضك ، غير خزايا ولا نادمين ، فاشفع لي يا رسول رب العالمين ، وشفيع المذنبين ، فها أنا في حضرتك وجوارك ، ونزيل بابك ، وعلقت بكرم ربِّي والرَّجاء لعلَّه يرحم عبده وإن أساء ، ويعفو عمَّا جنى ، ويعصمه ما بقى في الدُّنيا ، وشفاعتك يا خاتم النَّبيِّين وشفيع المذنبين ...

أنت الشَّفيــــــع وآمالي معلَّقة ... وقد رجوتك يا ذا الفضل تشفع لي
هذا نزيلك أضحى لا ملاذ لــه ... إلَّا جنابك يا سؤلي ويا أملــــــي
ضعيف غريب قد أنـــاخ بكم ... ومستجير الفقير ومرمي القصد والطَّلب
هذا مقام الذي ضاقت مذاهبــــه ... وأنتموا في الرَّجـا من أعظــــم السَّبب

وعن الأصمعيّ : وقف إعرابيٌّ مقابل القبر الشَّريف ، فقال : اللهمَّ هذا حبيبك ، وأنا عبدك ، والشَّيطان عدوّك ، فإن غفرت لي عزَّ حبيبك ، وفاز عبدُك ، وغضب عدوّك ، وإن لم تغفر لي غضب حبيبك ، ورضي عدوّك ، وهلك عبدك ، وأنت أكرم من أن تُغضب حبيبك ، وتُرضي عدوّك ، وتُهلك عبدك ، اللهمَّ إنَّ العرب الكرام إذا مات فيهم سيِّداً عتقوا على قبره ، وإنّ هذا سيِّد العالمين فأعتقني على قبره . فقلت يا أخا العرب إنَّ الله قد غفر لك وأعتقك بحسن هذا السُّؤال . ويجلس الزَّائر إن شقَّ عليه طول القيام ، فيُكثر من الصَّلاة والتَّسليم ، ويتلو ما تيسَّر ، ويقصد الآي والسُّور الجامعة لطبقات الإيمان ومعاني التَّوحيد " (١) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري ، أبو العبَّاس ، شهاب الدِّين (٩٢٣هـ) : " قال العلَّامة زين الدِّين بن الحسين المراغي : وينبغى لكل مسلم اعتقاد كون زيارته – صَلَّى اللهُ

---

(١) انظر : خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (١/ ٤٤٦–٤٥١) .

عَلَيْه وَسَلَّم- قربة ، للأحاديث الواردة في ذلك ، ولقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، لأنَّ تعظيمه - صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّم- لا ينقطع بموته ، ولا يقال : إنَّ استغفار الرَّسول لهم إنَّما هو في حال حياته وليست الزِّيارة كذلك ، لما أجاب به بعض أئمَّة المحقِّقين : أنَّ الآية دلَّت على تعليق وجدان الله تواباً رحيماً بثلاثة أمور : المجيء ، واستغفارهم ، واستغفار الرَّسول لهم ، وقد حصل استغفار الرَّسول لجميع المؤمنين والمؤمنات ، لأنه- صَلَّى الله عليه وسلَّم- قد استغفر للجميع ، قال الله تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ [محمَّد : ١٩] ، فإذا وجد مجيئهم واستغفارهم تكملت الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة الله ورحمته " (١) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري ، أبو العبَّاس ، شهاب الدِّين (٩٢٣هـ) : " وقد حكى جماعة منهم الإمام أبو نصر بن الصبَّاغ في " الشَّامل " الحكاية المشهورة عن العتبي (٢٢٨هـ) ، واسمه : محمَّد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبى سفيان صخر بن حرب ، وتوفِّي في سنة ثمان وعشرين ومائتين ، وذكرها ابن النجَّار ، وابن عساكر ، وابن الجوزي في " مثير الغرام السَّاكن " . عن محمَّد بن حرب الهلالي ، قال : أتيت قبر النَّبي- صَلَّى الله عليه وسلَّم- فزرته وجلست بحذائه ، فجاء أعرابى فزاره ثمَّ قال : يا خير الرُّسل ، إنَّ الله أنزل عليك كتاباً صادقاً ، قال فيه : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤ ] ، وقد جئتك مستغفراً من ذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربِّي ، وأنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه    فطاب من طيبهنَّ القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنـــه    فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ووقف أعرابي على قبره الشَّريف ، وقال : اللهمَّ إنَّك أمرت بعتق العبيد ، وهذا حبيبك وأنا عبدك ، فأعتقني من النَّار على قبر حبيبك ، فهتف به هاتف : يا هذا تسأل العتق لك وحدك ، هلَّا سألت لجميع الخلق ؟! اذهب فقد أعتقناك من النَّار .

---

(١) انظر : المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٣/ ٥٨٩) .

إنَّ الملوك إذا شابت عبيدهم في رقِّهم أعتقـــــــــوهم عتق أبرار
وأنت يا سيِّدى أولى بذا كرماً قد شبت في الرِّقّ فاعتقني من النَّار

وعن الحسن البصري ، قال : وقف حاتم الأصم على قبر النَّبي – صَلَّى الله عليه وسلَّم– فقال : يا ربّ ، إنا زرنا قبر نبيك فلا تردَّنا خائبين ، فنودي : يا هذا ما أذنا لك في زيارة قبر حبيبنا إلَّا وقد قبلناك ، فارجع أنت ومن معك من الزوَّار مغفوراً لكم " (١) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن محمَّد بن عبد الرَّحمن العليمي الحنبلي ، أبو اليمن ، مجير الدِّين (٩٢٨هـ) في حديث عن زيارة قبر الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " ثمَّ يَأْتِي الرَّوْضَة فيصَلي فِيهَا مَا يسَّر الله لَهُ ، وَيُصلي عِنْد الْمِنْبَر أَيْضاً ثمَّ يَدْعُو عِنْد انْصِرَافه ، فَيَقُول : اللهمَّ إِنِّي أتيت قبر نبيِّك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم متقرِّباً إِلَيْك بزيارته ، متوسِّلاً لديك بِهِ ، وَأَنت قلت وقولك الْحق وَلَا تخلف الميعاد : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤ ] ، اللهمَّ أجعلها زِيَارَة مَقْبُول وسعياً مشكوراً وَعَملاً متقبَّلاً مبروراً ، وَدُعَاء تُدْخِلنَا بِهِ جنَّتك ، وتسبغ علينا رَحْمَتُك ، اللهمَّ اجْعَل سيِّدنا مُحَمَّداً أنجح السَّائِلين " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشَّافعي ، الشَّهير بـ " بَحْرَق " (٩٣٠هـ) : " وروى الشَّيخ محيي الدِّين النَّوويّ ، عن العتبي (٢٢٨هـ) – رحمه الله تعالى ، بفوقيَّة قبل الموحّدة – قال : كنت جالساً عند قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فجاء أعرابيّ ، فقال : السَّلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤ ] ، وقد جئتك مستغفراً من ذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربِّي ، ثمَّ أنشأ يقول :

يا خير من دفنت في التّرب أعظمه فطاب من طيبهنَّ القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنــــــه فيه العفاف وفيه الجـود والكرم
أنت النَّبي الّذي ترجى شفاعتــــه عند الصِّراط إذا ما زلّت القدم

(١) انظر : المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٣/ ٥٩٦–٥٩٧) .

(٢) انظر : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل (١/ ٢٢٥) .

قال : ثمَّ انصرف . فأخذتني سِنَةٌ ، فرأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في النَّوم ، فقال لي : يا عتبيّ ، الحق الأعرابيّ ، فبشِّره بأنَّ الله قد غفر له " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن يوسف الصَّالحي الشَّامي (٩٤٢هـ) : " وسيأتي أنَّ المجيء المذكور في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، حاصل بالمجيء إلى قبره الشَّريف ، وكذا زيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وسؤال الشَّفاعة منه والتَّوسُّل به إلى الله والمجاورة عنده من أفضل القُربات ، وعنده تجاب الدَّعوات أيضاً ، فكيف لا تكون أفضل وهو السَّبب في هذه الخيرات ؟ " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن يوسف الصَّالحي الشَّامي (٩٤٢هـ) : " الباب الثَّاني في الدَّلِيْل على مشروعيَّة السَّفر وشدّ الرَّحل لزيارة سيِّدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم :

استدلَّ العلماء ، رضي الله تعالى عنهم على مشروعيَّة زيارته وشدّ الرَّحل لذلك بالكتاب ، والسُّنَّة ، والإجماع ، والقياس .

أمَّا الكتاب فقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤ ] . وجه الدلالة من هذه الآية مبني على شيئين :

أحدهما : أنَّ نبيَّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حيّ ، كما يثبت ذلك في بابه .

الثَّاني : أنَّ أعمال أمَّته معروضة عليه ، كما يثبت ذلك في بابه .

فإذا عرف ذلك فوجه الاحتجاج بها حينئذ أنَّ الله تعالى أخبر أنَّ من ظلم نفسه ثمَّ جاء رسول الله- صَلَّى الله عليه وسلَّم- فاستغفر الله تعالى واستغفر له الرَّسول فإنَّه يجد الله تواباً رحيماً ، وهذا عامٌّ في الأحوال والأزمان للتَّعليق على الشَّرط ، وبعد تقرير أنَّ نبيَّنا- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم - بعد موته عارف بمن يجيء إليه سامع الصَّلاة ممَّن يصلِّي عليه ، وسلام من يسلم عليه ، ويردّ عليه السَّلام فهذه حالة الحياة ، فإذا سأله العبد استغفر له ، لأنَّ هذه الحالة ثابتة له في الدُّنيا والآخرة ، فإنَّه شفيع المذنبين وموجبها في الدّارين الحياة والإدراك مع النُّبوَّة ، وهذه الأمور ثابتة له في البرزخ أيضاً ، فتصحّ الدّلالة حينئذ وفاء بمقتضى الشَّرط .

---

(١) انظر : حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النَّبي المختار (ص٤٩٤) .

(٢) انظر : سبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد (٣/ ٣١٧) .

وقد استدلَّ الإمام مالك على ذلك بهذه الآية كما ذكرته في باب مشروعية التَّوسُّل به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم .

وحكى المصنِّفون في المناسك من أرباب المذاهب عن أبي عبد الرَّحمن محمَّد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب العتبي (٢٢٨هـ) ، أحد أصحاب سفيان بن عيينة ، قال : دخلت المدينة فأتيت قبر النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّم– فزرته وجلست بحذائه ، فجاء أعرابي فزاره ثمَّ قال : يا خير الرُّسل ، إنَّ الله تعالى أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه : ﴿ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤ ] ، وإني جئتك مستغفراً من ذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربِّي ثمَّ بكى وأنشد :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهنَّ القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجـــود والكرم

ثمَّ استغفر وانصرف .

قال العتبيّ (٢٢٨هـ) : فرقدتّ فرأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في النَّوم ، وهو يقول : الحق الأعرابيَّ وبشِّره بأنَّ الله غفر له بشفاعتي ، فاستيقظت فخرجت أطلبه فلم أجده .

ورويت هذه القصَّة من غير طريق العتبي رواه ابن عساكر في " تاريخه " ، وابن الجوزي في " الوفاء " عن محمَّد بن حرب الهلالي ، وقد خمس هذه الأبيات جماعة ، منهم : الشَّيخ أبو عبد الله محمَّد بن أحمد الأقفسهي .

وروى الحافظ ابن النُّعمان في " مصباح الظَّلام في المستغيثين بخير الأنام " من طريق الحافظ ابن السَّمعانيّ بسنده عن علي – رضي الله تعالى عنه – قال : قدم علينا أعرابيّ بعد ما دفنّا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بثلاثة أيَّام فرمى نفسه على القبر الشَّريف ، وحثا من ترابه على رأسه ، وقال : يا رسول الله ، قلت فسمعنا قولك ، ووعيت عن الله تعالى ، ووعينا عنك ، وكان فيما أنزل عليك : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤ ] ، وقد ظلمت نفسي ، وجئتك تستغفر لي فنودي من القبر : أنَّه قد غفر لك .

والآية دالَّة على الحثِّ على المجيء إلى الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم والاستغفار عنده واستغفاره لهم ، وهذه رتبة لا تنقطع بموته – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم – والعلماء – رضي الله تعالى عنهم – فهموا من الآية العموم ، بحالتي الموت والحياة ، واستحبوا لمن أتى القبر الشَّريف أن يتلوها ويستغفر الله تعالى .

وأمَّا السُّنَّة فما ذكر في الكتب وما ثبت من خروج النَّبي- صَلَّى الله عليه وسلَّم- من المدينة لزيارة قبر الشُّهداء ، وإذا ثبت أن الزِّيارة قربة فالسَّفر كذلك ، وإذا جاز الخروج للقريب جاز للبعيد ، وحينئذ فقبره - صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّم- أولى ، وقد وقع الإجماع على ذلك لإطباق السَّلف والخلف .

قال القاضي عياض- رحمه الله تعالى- : زيارة قبر النَّبي- صَلَّى الله عليه وسلَّم- سنَّة بين المسلمين ومجمع عليها ، وفضيلة مرغب فيها ، وأجمع العلماء على زيارة القبور للرِّجال والنِّساء كما حكاه النَّووي - رحمه الله تعالى- بل قال بعض الظَّاهريَّة بوجوبه ، واختلفوا في النِّساء ، وقد امتاز القبر الشَّريف بالأدلَّة الخاصَّة به كما سبق .

قال السُّبكي : ولهذا أقول : لا فرق بين الرِّجال والنِّساء .

وأمَّا القياس فعلى ما ثبت من زيارته- صَلَّى الله عليه وسلَّم- لأهل البقيع وشهداء أحد ، وإذا استحبَّ زيارة قبر غيره فقبره أولى ، لما له من الحقّ ووجوب التَّعظيم ، وليست زيارته إلَّا لتعظيمه والتَّبرُّك به ، ولتنالنا الرَّحمة بصلاتنا وسلامنا عليه عند قبره بحضرة الملائكة الحافِّين به ، وذلك من الدُّعاء المشروع له " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن يوسف الصَّالحي الشَّامي (٩٤٢هـ) : " الباب الثَّالث في الرَّدِّ على من زعم أنَّ شدَّ الرَّحل لزيارته- صَلَّى الله عليه وسلَّم- معصية .

قد تقدَّم أنَّه انعقد الإجماع على تأكّد زيارته ، وحديث لا تشدّ الرِّحال إلَّا إلى ثلاثة مساجد حجَّة في ذلك .

قال الحافظ أبو عمر بن عبد البرّ بعد أن ذكر حديث الصَّحيحين : أنَّه- صَلَّى الله عليه وسلَّم- كان يأتي قباء راكباً وماشيا ليس في إتيانه- صَلَّى الله عليه وسلَّم- مسجد قباء ما يعارض الحديث الأوَّل ، لأنَّ ذلك معناه عند العلماء فيمن نذر على نفسه صلاة في أحد المساجد الثَّلاثة أنَّه يلزمه إتيانها دون غيرها .

وأمَّا إتيان مسجد قباء وغيره من مواضع الرّباط ، فلا بأس بإتيانها بدليل حديث قباء هذا .

قال الإمام العلَّامة محمود بن جملة (٧٦٤هـ) : وهو الذي ذكره هو الحقّ الذي لا محيد عنه ، ولهذا تجد الأئمَّة من الفقهاء والمحدِّثين يذكرون الحديث في باب النُّذور والسّفر للجهاد ، ولتعلُّم العلم الواجب ، وبرّ الوالدين ، وزيارة الإخوان ، والتَّفكير في أثار صنع الله تعالى ، وكلّه مطلوب للشَّارع إمَّا وجوباً ، أو استحباباً ، والسَّفر للتِّجارة والأغراض الدّنيويَّة جائز وكلُّه خارج عن هذا الحديث ، فلم يبق إلَّا شدّ الرّحل للمعصية ، وحينئذ هو النَّوع ، ولا يختصُّ بشدِّ الرَّحل ، يا سبحان الله أن يكون السَّفر لزيارة النَّبي- صَلَّى الله عليه وسلَّم- من هذا

(١) انظر : سبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد (١٢/ ٢٨٠-٢٨٢) .

القسم ، لقد اجترأ على رسول الله- صَلَّى الله عليه وسلَّم- من قال هذا ، وهو كلام يدور مع الاستهانة وسوء الأدب ، وفي إطلاقه ما يقتضي كفر قائله نعوذ بالله من الخذلان ، وكذا في قوله- صَلَّى الله عليه وسلَّم- : " لا تتَّخذوا قبري عيداً ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً " ، يعارض ما سبق ، لأنَّ سياقه يقتضي دفع توهُّم من توهَّم أنَّ الصَّلاة عليه لا تكون مؤثِّرة إلَّا عند قبره فيفوت بسبب ذلك ثواب المصلِّي عليه من مصلّ ، ولهذا قال- صَلَّى الله عليه وسلَّم-: " فإنَّ صلاتكم تبلغني حيثما كنتم " .

ولا نعلم خلافاً بين أهل العلم في جواز السَّفر وشدّ الرَّحل لغرض دنيوي كالتِّجارة ، فإذا جاز ذلك فهذا أولى ، لأنَّه أعظم الأغراض الأخرويَّة ، فإنّه في أصله من أمر الآخرة لا سيَّما في هذا الوضع ، ولا نعلم خلافاً بين أهل العلم في جواز السَّفر وشدّ الرَّحل لغرض أخرويّ ، كالاعتبار بمخلوقات الله- عزَّ وجلَّ - وآثار صنعه وعجائب ملكوته ومبتدعاته ، وقد دلَّ على هذا آيات كثيرة في الكتاب العزيز ، كقوله تعالى : ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾ [العنكبوت : ٢٠] ، والاعتبار لمن بصَّره الله تعالى بمثل هذا السَّفر ، فإن المسلم العاقل يحصل له أعظم العبر فيتقرَّر عنده أنَّ الدُّنيا ليست بدار مقام ، وأنَّ آخر أمرها شرب كأس الحُمام ، ويتذكر شدة الموت وسكراته ، وما حصل للنَّبي- صَلَّى الله عليه وسلَّم- من ذلك وهو أكرم الخلق على الله تعالى .

قال العلَّامة زين الدِّين المراغيّ : وينبغي لكلِّ مسلم اعتقاد كون زيارته- صَلَّى الله عليه وسلَّم- قربة للأحاديث الواردة في ذلك ، ولقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء : ٦٤] ، لأنَّ تعظيمه- صَلَّى الله عليه وسلَّم- لا ينقطع بموته ، ولا يقال : إنَّ استغفار الرَّسول لهم إنَّما هو في حال حياته ، وليست الزِّيارة كذلك لما قد أجاب به بعض أئمَّة المحقِّقين من أنَّ الآية دلَّت على تعليق وجدان الله توَّاباً رحيماً بثلاثة أمور : المجيء ، واستغفار الرَّسول لهم ، وقد حصل استغفار الرَّسول لجميع المؤمنين ، لأنَّه- صَلَّى الله عليه وسلَّم- قد استغفر للجميع ، قال الله تعالى : ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ [محمَّد : ١٩] ، فإذا وجد مجيئهم أو استغفارهم تكاملت الأمور الثَّلاثة الموجبة لتوبة الله تعالى ورحمته .

ومشروعيَّة السَّفر لزيارة قبر النَّبي- صَلَّى الله عليه وسلَّم- قد ألَّف فيها الشَّيخ تقي الدِّين السُّبكي ، والشَّيخ جمال الدِّين بن الزملكاني ، والشَّيخ داود أبو سليمان المالكيّ ، وابن جملة ، وغيرهم من الأئمَّة ، وردُّوا

على عصريّهم الشَّيخ تقي الدِّين بن تيميّة- رحمه الله تعالى ، فإنَّه قد أتى في ذلك بشيء منكر لا تغسله البحار ، والله تعالى وليّ التّوفيق ربّ السَّموات والأرض وما بينهما العزيز الغفّار " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن يوسف الصَّالحي الشَّامي (٩٤٢هـ) : " ... ثمَّ يرجع الزَّائر إلى موقفه الأوَّل قبالة وجه رسول الله- صَلَّى الله عليه وسلم- ، فيتوسَّل به في حقّ نفسه ، ويستشفع به إلى ربِّه سبحانه وتعالى ، ومن أحسن ما يقول ما حكاه المصنِّفون في المناسك من جميع المذاهب واستحسنوه ورأوه من أدب الزَّائر عن أبي عبد الرَّحمن محمَّد بن عبد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عقبة بن أبي سفيان- صخر بن حرب- العتبي (٢٢٨هـ) أحد أصحاب سفيان بن عيينة ، قال : دخلت المدينة ، فأتيت قبر رسول الله- صَلَّى الله عليه وسلَّم- ، فزرته ، وجلست بحزائه ، فجاء أعرابيٌّ ، فزاره ثمَّ قال : يا خير الرّسل ، إنَّ الله أنزل عليك كتاباً صادقاً ، قال فيه : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وإنِّي جئتك مستغفراً من ذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربي ثمَّ بكى ، وأنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمـــه    فطاب من طيبهنَّ القـــاع والأكم

نفسي لقبر أنت ساكنـــه    فيه العفاف وفيه الجـــود والكرم

ثمَّ استغفر وانصرف ، فرقدتّ ، فرأيت رسول الله- صَلَّى الله عليه وسلَّم- في نومي وهو يقول : الحق الأعرابيّ ، وبشّره بأنَّ الله تعالى غفر له بشفاعتي ، فاستيقظت ، فخرجت أطلبه فلم أجده . رواها ابن عساكر في تاريخه ، وابن الجوزي في كتابه : " مثير الغرام السَّاكن " عن محمَّد بن حرب الهلاليّ أنَّه إتَّفق له مثل ما إتَّفق للعتبي ، ووردت هذه القصَّة من غير طريق العتبي (٢٢٨هـ) فرواها .

وروى ابن السّمعاني عن علي بن أبي طالب – رضي الله تعالى عنه – ، قال : قدم علينا أعرابيٌّ بعد ما دفنَّا رسول الله- صَلَّى الله عليه وسلَّم- بثلاثة أيَّام ، فرمى نفسه على قبر النَّبي- صَلَّى الله عليه وسلم- ، وحثا من ترابه على رأسه ، وقال : يا رسول الله ، قلت فسمعنا قولك ، ووعيت عن الله تعالى ووعينا عنك ، وكان فيما أُنزل عليك : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤ ] ، فنودي من القبر : قد غفرَ لك " (٢) .

---

(١) انظر : سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد (١٢/ ٣٨٣-٣٨٤) .

(٢) انظر : سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد (١٢/ ٣٩٠) .

وقال الإمام حسين بن محمَّد بن الحسن الدِّيار بَكْري (٩٦٦هـ) : " السَّلام عليك يا رسول الله ، السَّلام عليك يا نبيَّ الله ، السَّلام عليك يا سيِّد المرسلين ، السَّلام عليك يا خاتم النَّبيِّين ، السَّلام عليك يا قائد الغرِّ المحجَّلين ، السَّلام عليك وعلى أهل بيتك وأزواجك وأصحابك أجمعين ، السَّلام عليك أيُّها النَّبي ورحمة الله وبركاته ، أشهد أن لا إله إلَّا الله ، وأشهد أنَّك عبده ورسوله وأمينه وخيرته من خلقه ، وأشهد أنَّك بلَّغت الرِّسالة وأدَّيت الأمانة ونصحت الأمَّة وجاهدت في الله حقَّ جهاده وعبدت ربَّك حتى أتاك اليقين ، فجزاك الله عنَّا يا رسول الله أفضل ما جزى نبيَّاً عن قومه ورسولاً عن أمَّته ، اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّد وعلى آل سيِّدنا محمَّد كما صلَّيت على إبراهيم ، وبارك على سيِّدنا محمَّد وعلى آل سيِّدنا محمَّد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين إنَّك حميد مجيد ، اللهمَّ إنك قلت وقولك الحقّ : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤ ] ، اللهمَّ انا قد سمعنا قولك ، وأطعنا أمرك ، وقصدنا نبيَّك هذا ، مستغيثين به إليك من ذنوبنا ، اللهمَّ فتب علينا ، وأسعدنا بزيارته ، وأدخلنا في شفاعته ، وقد جئناك يا رسول الله ظالمين لأنفسنا ، مستغفرين لذنوبنا ، وقد سماك الله بالرَّؤوف الرَّحيم ، فاشفع لمن جاءك ظالماً لنفسه ، معترفاً بذنبه ، تائباً إلى ربِّه ، وقد قيل :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمـــــه فطاب من طيبهنَّ القاع والاكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنـــــه فيه العفاف وفيه الجـود والكرم
أنت الشَّفيع الذى ترجى شفاعتـــه عند الصِّراط اذا مـا زلَّت القدم

ويدعو لنفسه ، ولوالديه ، ولمن أحبَّ بها أحبَّ ، وإن كان قد أوصاه أحد بتبليغ السَّلام إلى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، يقول : السَّلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان ، يستشفع بك إلى ربِّك بالرَّحمة والمغفرة ، فاشفع له ولجميع المؤمنين ، فأنت الشَّافع المشفَّع ، الرَّؤوف الرَّحيم ، ويكفي في زيارته أن يقول : السَّلام عليك يا رسول الله ، صَلَّى الله عليك وَسَلَّم ثمَّ يتحوّل عن ذلك المكان ويدور إلى أن يقف بحذاء وجه النَّبي عليه السَّلام ، مستدبر القبلة ، ويقف لحظة ويصلِّي ويسلِّم عليه مرَّة أو ثلاث مرَّات ثمَّ يتحوَّل عن يمينه قدر ذراع إلى أن يحاذي رأس قبر الصدِّيق ، فإنَّ رأسه بحيال منكب النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم عند الأكثر ، فيقول : السَّلام عليك يا خليفة رسول الله ، السَّلام عليك يا صاحب رسول الله في الغار ، السَّلام عليك يا صاحب رسول الله في الأسفار السَّلام ، عليك يا أبا بكر الصدِّيق ، جزاك الله أفضل ما جزى إماماً عن أمَّة نبيِّه ، فلقد خلفته أحسن

الخلف ، وسلكت طريقته بأحسن الطُّرق ، وقاتلت أهل الرِّدَّة والبدعة ، ونصرت الإسلام ، وكفلت الأيتام ، ووصلت الأرحام ، ولم تزل قائلاً للحقِّ ، ناصراً لأهله حتى أتاك اليقين ، رضوان الله عليك وبركاته وسلامه وتحياته ، أسأل الله تعالى أن يميتنا على محبَّتك ، كما وفَّقنا لزيارتك ، أنَّه هو الغفور الرحيم ، ثمَّ يتحوَّل عن يمينه قدر ذراع إلى أن يُحاذى رأس قبر الفاروق أمير المؤمنين عمر ، لأنَّ رأسه عند منكب أبى بكر عند الأكثر ، فيقول : السَّلام عليك يا أمير المؤمنين عمر الفاروق ، السَّلام عليك يا كاسر الأصنام ، السَّلام عليك يا من أعزَّ الله به الإسلام ، جزاك الله أفضل ما جزى إماماً عن أمّة نبيِّه ، ثمَّ يرجع قدر نصف ذراع ويقف بين رأس الصدّيق ورأس الفاروق ، ويقول : السَّلام عليكما يا صاحبي رسول الله ، السَّلام عليكما يا وزيري رسول الله ، المعاونين له على القيام في دين الله ، القائمين في أمَّته في أمور الإسلام ، جئنا يا صاحبي رسول الله زائرين لنبيِّنا وصدِّيقنا وفاروقنا ، ونحن نتوسَّل بكما إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ليشفع لنا ، ويسأل الله تعالى أن يتقبَّل سعينا ، وأن يحيينا على مِلَّتكم ، ويميتنا على سنَّتكم ، ويحشرنا في زمرتكم ، ثمَّ يدعو لنفسه ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات ، ويسأل الله تعالى حاجته ، ويصلِّي في آخره على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وآله ، ثمَّ يرجع ويقف عند رأس النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بين القبر والمنبر ، كما وقف في الابتداء ، وليستقبل القبلة ويحمد الله تعالى ويثنى عليه ويصلِّي على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ويدعو لنفسه ولمن أحبَّ من المسلمين بما أحبَّ . ويستحب أن يخرج بعد زيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كل يوم خصوصاً يوم الجمعة إلى البقيع ، ويأتي المشاهد والمزارات ، ويزور القبور المشهورة فيه ، كقبر أمير المؤمنين عثمان بن عفَّان ، وهو منفرد في قبة ، وقبر عمِّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم العبَّاس في قبَّته المعروفة به ، وفيها ضريحان ، فالغربي منهما قبر العبَّاس ، والشرقي منهما قبر الحسن بن علي ، وزين العابدين ، وابنه محمَّد الباقر ، وابن الباقر جعفر الصَّادق ، كلُّهم في قبر واحد ، وكقبر صفية بنت عبد المطلب عمَّة رسول الله أمّ الزُّبير ، فإنَّه خارج باب البقيع عن يسار الخارج ، ويزور قبر فاطمة بنت أسد أمّ علي ، وقيل : إنَّ قبر فاطمة بنت رسول الله بالمسجد المنسوب إليها بالبقيع ، وهو المعروف ببيت الأحزان ، ويستحبّ أن يأتيه ويصلِّي فيه ، وقيل : إنَّ قبرها في بيتها ، وهو في مكان المحراب الخشب الذي خلف الحجرة المقدّسة ، داخل الدَّرابزين . قيل : وهذا أظهر الأقوال . وقبر ابراهيم بن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بالبقيع ، وهو مدفون إلى جنب عثمان بن مظعون ، ودفن أيضاً إلى جنب عثمان ابن مظعون عبد الرَّحمن بن عوف ، وبه قبر ، يقال : إنَّ فيه عقيل بن أبى طالب ، وابن أخيه عبد الله بن جعفر ابن أبى طالب ، والمنقول : أنَّ قبر عقيل في داره ، وفي قبلة

قبر عقيل حظيرة مستهدمة مبنية بالحجارة ، يقال : إنَّ فيها قبور من دفن بالبقيع من أزواج النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم .

وفي مناسك الكرماني : إنَّ فيها قبور أربع من أزواج النَّبي عليه السَّلام ، وفيه قبر مالك بن أنس ، صاحب المذهب وغيرهم من الصَّحابة والتَّابعين ، كلُّهم بالبقيع ، ويستحبّ أن يزور شهداء أحد يوم الخميس ، ويبدأ بحمزة عمِّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ومعه في القبر ابن أخته المجذع في الله عبد الله بن جحش ، ثمَّ يزور باقي الشُّهداء ، ولا يعرف قبر أحد منهم . ويُسمِّي من علم اسمه منهم في السَّلام عليه ، فمنهم مصعب بن عمير ، وحنظلة غسيل الملائكة ابن أبى عامر ، وسعد بن الرَّبيع ، وأنس بن النَّضر ، وأبو الدَّحداح ، ومجد بن زياد ، وغيرهم . وعند رجلي حمزة قبر ليس من قبور الشُّهداء . ويقول في السَّلام عليهم : السَّلام على أهل الدِّيار من المؤمنين والمسلمين ، وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون ، رحم الله غربتكم ، وآنس الله وحشتكم ، تقبَّل الله من محسنكم ، وتجاوز الله عن مسيئكم ، ثمَّ يقرأ سورة الإخلاص ، وآية الكرسي ، لورود الأحاديث فيهما . روى أبو نعيم في الحلية بسنده إلى ابن عمر ، قال : مرّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بمصعب بن عمير ، فوقف عليه ، وقال : أشهد أنَّكم أحياء عند الله تُرزقون ، فزوروهم وسلِّموا عليهم ، فوالذى نفسي بيده ، لا يسلِّم عليهم أحد إلَّا ردُّوا عليه السَّلام ... " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحي الحنبلي الشَّهير بابن النَّجَّار (٩٧٢هـ) : " ويروى عن العتبي (٢٢٨هـ) ، قال : كنت جالساً عند قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فجاء أعرابي ، فقال : السَّلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله يقول : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤ ] ، وقد جئتك مستغفراً من ذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربِّي ، ثمَّ أنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه   فطاب من طيبهنَّ القاع والأكم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه   فيه العفاف وفيه الجـــــود والكرم

ثمَّ انصرف الأعرابي . فحملتني عينيّ ، فرأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في النَّوم فقال : ياعُتبي ! الحق الأعرابي فبشره أنَّ الله تعالى قد غفر له . ثمَّ إذا أتى الزَّائر إلى قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فيسلم عليه مستقبلاً له بأن يولِّي ظهره القبلة ، ويستقبل وسط القبر ، ويقول : السَّلام عليك أيُّها النَّبي ورحمة الله وبركاته ، السَّلام

(١) انظر : تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس (٢/ ١٧٥-١٧٦) .

عليك يا نبي الله ، وخيرته من خلقه وعباده ، أشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله ، أشهد أنَّك قد بلَّغت رسالة ربِّك ، ونصحت لأمَّتك ، ودعوت إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وعبدت الله حتى أتاك اليقين . فصلَّى الله عليك كثيراً ، كما يُحبُّ ربنا ويرضى .

اللهمَّ ! أجزِ عنَّا نبيَّنا أفضل ما جزيت أحداً من النَّبيِّين والمرسلين ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، يغبطه به الأوَّلون والأخرون .

اللهم ! صلِّ على محمَّد وعلى آل محمَّد ، كما صلَّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنَّك حميد مجيد . وبارك على محمَّد وعلى آل محمَّد ، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنَّك حميد مجيد . اللهمَّ ! إنَّك قلت وقولك الحق : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤ ] ، وقد أتيتك مستغفراً من ذنوبي مستشفعاً بك إلى ربِّي ، فأسألك يا ربّ أن توجب لي المغفرة ، كما أوجبتها لمن أتاه في حياته .

اللهمَّ ! اجعله أوَّل الشَّافعين ، وأنجح السَّائلين ، وأكرم الأوَّلين والآخرين ، برحمتك يا أرحم الرَّاحمين " (١) .

وقال الإمام علي بن سلطان محمَّد ، أبو الحسن نور الدِّين الملا الهروي القاري (١٠١٤هـ) : " (وقال) ، أي : أبو جعفر لمالك رحمه الله تعالى (يا أب عبد الله) بحذف الألف كتابة وإثباته قراءة (استقبل القبلة) استفهام استرشاد والتَّقدير استقبلها (وأدعو) ، أي : الله سبحانه وتعالى بعد الزِّيارة (أم أستقبل رسول الله صَلَّى الله تعالى عليه وَسَلَّم ؟ فقال) أي : مالك (ولمَ تصرف وجهك عنه) أي : عن رسولك (فهو) ، وفي نسخة صحيحة ، وهو أي : والحال أنَّه (وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السَّلام) ، أي : وسائر الأنام (إلى الله تعالى يوم القيامة) ، أي : كما يشير إليه قوله عليه الصَّلاة والسَّلام آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة (بل استقبله واستشفع به) ، أي : اطلب شفاعته وسل وسيلته في قضاء مراداتك وأداء حاجاتك (فيشفّعك الله) بتشديد الفاء ، أي : يقبل الله به شفاعتك لأمرك ولغيرك ، وفي نسخة : فيشفعه ، أي : فيقبل شفاعته في حقِّك ويعفو عن ذنبك بوسيلة نبيِّك (قال الله تعالى) ، أي : مصدِّقاً لذلك فيما قرَّره مالك : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ [النساء : ٦٤ ] الْآيَةَ ، بالمعصية ﴿جَآءُوكَ﴾، أي : للمعذرة والتَّوبة ، يعني : ﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ﴾ ، أي : بلسانهم وجنانهم

(١) انظر : معونة أولى النهى ، شرح المنتهى منتهى الإرادات (٤/ ٢٤٧-٢٤٨) .

﴿وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ ، فيه التفات عدل إليه تفخيماً لشأنه صَلَّى الله تعالى عليه وَسَلَّم ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ﴾ ، أي : لعلموه ﴿تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ أي : منعوتاً بهذين الوصفين حين تاب عليهم ورحمهم بعدم المؤآخذة على ما صدر منهم " (١) .

وقال الإمام منصور بن يونس بن صلاح الدِّين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى (١٠٥١هـ) : " " فَائِدَةٌ " يُرْوَى عَنْ الْعُتْبِيِّ (٢٢٨هـ) ، قَالَ : كُنْتُ جَالِساً عِنْدَ قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : السَّلام عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ سَمِعْتُ اللهَ يَقُولُ : ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤ ] ، وَقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَغْفِراً مِنْ ذُنُوبِي مُسْتَشْفِعاً بِكَ إلى رَبِّي ثمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظُمُهُ فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكَمُ
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ثُمَّ انْصَرَفَ الْأَعْرَابِيُّ ، فَحَمَلَتْنِي عَيْنَيَّ فَرَأَيْتُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي النَّوْمِ ، فَقَالَ : يَا عُتْبِيُّ الْحَقْ الْأَعْرَابِيَّ ، فَبَشِّرْهُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ غَفَرَ لَهُ " (٢) .

وقال الإمام حسن بن عمار بن علي الشرنبلالي المصري الحنفي (١٠٦٩هـ) : " وممَّا هو مقرَّر عند المحقِّقين أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حيٌّ يُرزق ممتَّع بجميع الأعمال والعبادات غير أنَّه حجب عن أبصار القاصرين عن شريف المقامات . ولَمَّا رأينا أكثر النَّاس غافلين عن أداء حقِّ زيارته ، وما يُسنُّ للزَّائرين من الكليَّات والجزئيَّات ، أحببنا أن نذكر بعد المناسك وأدائها ، ما فيه نبذة من آداب تتميماً لفائدة الكتاب ، فنقول :

ينبغي لمن قصد زيارة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أن يُكثر من الصَّلاة عليه ، فإنَّه يسمعها أو تبلغ إليه ، وفضلها أشهر من أن نذكره ، فإذا عاين حيطان المدينة المنوَّرة يصلِّي على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ثمَّ يقول : اللهمَّ هذا حرم نبيِّك ، ومهبط وحيك ، فامنن عليَّ بالدُّخول فيه ، واجعله وقاية لي من النَّار ، وأماناً من العذاب ، واجعلني من الفائزين بشفاعة المصطفى يوم المآب ، ويغتسل قبل الدُّخول أو بعده قبل التَّوجُّه للزِّيارة إن أمكنه ، ويتطيَّب ، ويلبس أحسن ثيابه ، تعظيماً للقدوم على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ثمَّ يدخل المدينة المنوَّرة

---

(١) انظر : شرح الشفا (٢/ ٧٣) .

(٢) انظر : كشاف القناع عن متن الإقناع (٢/ ٢١٥) .

ماشياً إن أمكنه بلا ضرورة ، بعد وضع ركبه ، واطمئنانه على حشمه وأمتعته ، متواضعاً بالسَّكينة والوقار ، ملاحظاً جلالة المكان ، قائلاً : بسم الله وعلى ملَّة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ﴿أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء : ٨٠ ] ، اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّد ، وعلى آل محمَّد ، إلى آخره ، واغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب رحمتك وفضلك .

ثمَّ يدخل المسجد الشَّريف ، فيصلي تحيَّته عند منبره ركعتين ، ويقف بحيث يكون عمود المنبر الشَّريف بحذاء منكبه الأيمن ، فهو موقف النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وما بين قبره ومنبره روضة من رياض الجنَّة ، كما أخبر به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وقال : " منبري على حوضي " ، فيسجد شكراً لله تعالى بأداء ركعتين غير تحيَّة المسجد شكراً لما وفقك الله تعالى ومنَّ عليك بالوصول إليه ثمَّ تدعو بما شئت ، ثمَّ انهض متوجهاً إلى القبر الشَّريف ، فتقف بمقدار أربعة أذرع بعيداً عن المقصورة الشَّريفة بغاية الأدب ، مستدبراً القبلة محاذياً لرأس النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ووجهه الأكرم ، ملاحظاً نظره السَّعيد إليك ، وسماعه كلامك ، وردَّه عليك سلامك ، وتأمينه على دعائك ، وتقول : السَّلام عليك يا سيِّدي يا رسول الله ، السَّلام عليك يا نبيَّ الله ، السَّلام عليك يا حبيب الله ، السَّلام عليك يا نبيَّ الرَّحمة ، السَّلام عليك يا شفيع الأمَّة ، السَّلام عليك يا سيِّد المرسلين ، السَّلام عليك يا خاتم النَّبيِّين ، السَّلام عليك يا مزَّمِّل ، السَّلام عليك يا مدَّثِّر ، السَّلام عليك وعلى أصولك الطيِّبين ، وأهل بيتك الطَّاهرين ، الذين أذْهِب الله عنهم الرِّجس وطهِّرهم تطهيراً ، جزاك الله عنَّا أفضل ما جزى نبيَّاً عن قومه ، ورسولاً عن أمَّته ، أشهد أنَّك رسول الله قد بلَّغت الرِّسالة ، وأدَّيت الأمانة ، ونصحت الأمَّة ، وأوضحت الحُجَّة ، وجاهدت في سبيل الله حقَّ جهاده ، وأقمت الدِّين حتى أتاك اليقين ، صَلَّى الله عليك وَسَلَّم وعلى أشرف مكان تشرف بحلول جسمك الكريم فيه ، صلاة وسلاماً دائمين من ربِّ العالمين ، عدد ما كان ، وعدد ما يكون بعلم الله ، صلاة لا انقضاء لأمدها ، يا رسول الله نحن وفدك ، وزوَّار حرمك ، تشرَّفنا بالحلول بين يديك ، وقد جئناك من بلاد شاسعة ، وأمكنة بعيدة ، نقطع السَّهل والوعر ، بقصد زيارتك ، لنفوز بشفاعتك ، والنَّظر إلى مآثرك ومعاهدك ، والقيام بقضاء بعض حقّك ، والاستشفاع بك إلى ربِّنا ، فإنَّ الخطايا قد قصمت ظهورنا ، والأوزار قد أثقلت كواهلنا ، وأنت الشَّافع المشفَّع ، الموعود بالشَّفاعة العظمى ، والمقام المحمود والوسيلة ، وقد قال الله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ

لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤ ] ، وقد جئناك ظالمين لأنفسنا ، مستغفرين لذنوبنا ، فاشفع لنا إلى ربِّك ، واسأله أن يميتنا على سنَّتك ، وأن يحشرنا في زمرتك ، وأن يوردنا حوضك ، وأن يسقينا بكأسك ، غير خزايا ، ولا ندامى ، الشَّفاعة الشَّفاعة الشَّفاعة يا رسول الله – يقولها ثلاثاً – ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر : ١٠] . وتبلِّغه سلام من أوصاك به فتقول : السَّلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان يتشفَّع بك إلى ربِّك فاشفع له وللمسلمين ، ثمَّ تصلِّي عليه وتدعو بما شئت عند وجهه الكريم مستدبراً القبلة .

ثمَّ تتحوَّل قدر ذراع حتى تحاذي رأس الصدِّيق أبي بكر رضي الله عنه ، وتقول : السَّلام عليك يا خليفة رسول الله ، وأنيسه في الغار ، ورفيقه في الأسفار ، وأمينه على الأسرار ، جزاك الله عنَّا أفضل ما جزى إماماً عن أمَّة نبيِّه ، فلقد خلفته بأحسن خلف ، وسلكت طريقه ومنهاجه خير مسلك ، وقاتلت أهل الردَّة والبدع ، ومهَّدت الإسلام وشيَّدت أركانه ، فكنت خير إمام ، ووصلت الأرحام ، ولم تزل قائماً بالحق ، ناصراً للدِّين ولأهله حتى أتاك اليقين ، سل الله سبحانه لنا دوام حبّك ، والحشر مع حزبك ، وقبول زيارتنا ، السَّلام عليك ورحمة الله وبركاته .

ثمَّ تتحوَّل مثل ذلك حتى تحاذي رأس أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه ، فتقول : السَّلام عليك يا أمير المؤمنين ، السَّلام عليك يا مُظهر الإسلام ، السَّلام عليك يا مُكسِّر الأصنام ، جزاك الله عنَّا أفضل الجزاء ، نصرت الإسلام والمسلمين ، وفتحت معظم البلاد بعد سيِّد المرسلين ، وكفلت الأيتام ، ووصلت الأرحام ، وقوي بك الإسلام ، وكنت للمسلمين إماماً مرضيَّاً ، وهدياً مهديَّاً ، جمعت شملهم ، وأعنت فقيرهم ، وجبرت كسيرهم ، السَّلام عليك ورحمة الله وبركاته .

ثمَّ ترجع قدر نصف ذراع ، فتقول : السَّلام عليكما يا ضجيعي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ورفيقيه ، ووزيريه ، ومشيريه ، والمعاونين له على القيام بالدِّين ، والقائمين بعده بمصالح المسلمين ، جزاكما الله أحسن الجزاء ، جئناكما نتوسَّل بكما إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ليشفع لنا ، ويسأل الله ربّنا أن يتقبَّل سعينا ، ويحيينا على ملَّته ، ويميتنا عليها ويحشرنا في زمرته . ثمَّ يدعو لنفسه ولوالديه ولمن أوصاه بالدُّعاء ولجميع المسلمين ، ثمَّ يقف عند رأس النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كالأوَّل ، ويقول : اللهمَّ إنك قلت وقولك الحق : ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا

رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وقد جئناك سامعين قولك طائعين أمرك ، مستشفعين بنبيِّك إليك ، اللهمَّ ربَّنا اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربَّنا إنَّك رؤوف رحيم . ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة : ٢٠١] ، ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ * وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات : ١٨٠-١٨٢] ، ويزيد ما شاء ويدعو بما حضرته ويوفّق له بفضل الله " (١) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدِّين بن محمَّد الزّرقاني المالكي (١١٢٢هـ) : " وقد حكى جماعة منهم الإمام أبو نصر بن الصبَّاغ في " الشَّامل " ، الحكاية المشهورة عن العتبي (٢٢٨هـ) ، واسمه : محمَّد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب ، وتوفِّي في سنة ثمان وعشرين ومائتين ، وذكرها ابن النَّجَّار ، وابن عساكر ، وابن الجوزيَّة في " منبر الغرام السَّاكن " عن محمَّد بن حرب الهلالي ، قال : أتيت قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فزرته ، وجلست بحذائه ، فجاء أعرابي فزاره ثمَّ قال : يا خير الرُّسل، إن الله أنزل عليك كتاباً صادقًا، قال فيه : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤ ] ، وقد جئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك إلى ربِّي ، وأنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهنَّ القاع والأكم
نفسي الفداء لقبرٍ أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجـــود والكرم

ووقف أعرابيٌّ على قبره الشَّريف ، وقال : اللهمَّ إنَّك أمرت بعتق العبيد ، وهذا حبيبك وأنا عبدك ، فأعتقني من النَّار على قبر حبيبك ، فهتف به هاتف : يا هذا ، تسأل العتق لك وحدك ، هلّا سألت لجميع الخلق ، اذهب فقد أعتقناك من النَّار .

إنَّ الملوك إذا شـــابت عبيدهم في رقِّهم أعتقـــوهم عتق أحرار
وأنت يا سيِّدي أولى بذا كرماً قد شبت في الرِّقِّ فاعتقني من النَّار

---

(١) انظر : مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح (ص٢٨٤-٢٨٥) .

وعن الحسن البصري ، قال : وقف حاتم الأصم على قبره – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم – فقال : يا ربّ ، إنَّا زرنا قبر نبيِّك ، فلا تردَّنا خائبين ، فنودي : يا هذا ، ما أذنَّا لك في زيارة قبر حبيبنا إلَّا وقد قبلناك ، فارجع أنت ومن معك من الزوَّار مغفوراً لكم " (١) .

وقال الإمام سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري ، المعروف بالجمل (١٢٠٤هـ) : " ... (قَوْلُهُ : وَيَسْتَشْفِعُ بِهِ إلى رَبِّه) وَمِنْ أَحْسَنِ مَا يَقُولُ مَا حَكَاهُ أَصْحَابُنَا عَنْ الْعُتْبِيِّ (٢٢٨هـ) ، مُسْتَحْسِنِينَ لَهُ ، قَالَ : كُنْت جَالِساً عِنْدَ قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : السَّلام عَلَيْك يَا رَسُولَ اللهَّ ، سَمِعْت قَوْلَ اللهَّ تَعَالَى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وَقَدْ جِئْتُك مُسْتَغْفِراً مِنْ ذَنْبِي مُسْتَشْفِعاً بِك إلى رَبِّي ، ثمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتَ فِي الْقَاعِ أَعْظَمُهُ فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكَمُ
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكنهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرْمُ

قَالَ ثمَّ انْصَرَفَ فَحَمَلَتْنِي عَيْنَايَ فَرَأَيْت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي النَّوْمِ ، فَقَالَ : يَا عُتْبِيُّ الْحَقْ الْأَعْرَابِيَّ فَبَشِّرْهُ بِأَنَّ اللهَّ تَعَالَى قَدْ غَفَرَ لَهُ " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن الحسيني الزَّبيدي الشَّهير بمرتضى (١٢٠٥هـ) : " (ويستقبل القبلة) هناك ويستدبر القبر الشَّريف (وليحمد الله عزَّ وجلَّ) بمحامده اللائقة به (وليمجِّده) تمجيداً حريَّاً بجنابه (وليكثر من الصَّلاة على رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم) في تضاعيف الحمد والتَّمجيد (ثمَّ ليقل : اللهمَّ إنَّك قلت وقولك الحقّ) في كتابك المنزل على لسان نبيِّك المرسل : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، اللهمَّ إنَّا قد سمعنا قولك ، وأطعنا أمرك ، وقصدنا نبيَّك ، مستغيثين به إليك من) ، وفى بعض النُّسخ في (ذنوبنا وما أثقل ظهورنا من أوزارنا) التي ارتكبناها (تائبين من زلنا ، معترفين بخطايانا وتقصيرنا ، فتب اللهمَّ علينا ، وشفِّع نبيك هذا فينا) ويشير بذلك إلى حضرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بالتفات وجهه إليه (وارفعنا) أي : ارفع قدرنا (بمنزلته) وجاهه ومكانته (عندك

(١) انظر : شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (١٢/ ١٩٩–٢٠٠) .

(٢) انظر : فتوحات الوهَّاب بتوضيح شرح منهج الطلاب المعروف بحاشية الجمل (منهج الطلاب اختصره زكريا الأنصاري من منهاج الطالبين للنووي ثمَّ شرحه في شرح منهج الطلاب) (٢/ ٤٨٥) .

وحقِّه عليك) ، وهذا من باب الفضل والامتنان ، وإلَّا فلا حقَّ لمخلوق على الخالق (اللهمَّ اغفر للمهاجرين والأنصار ، واغفر لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان) من سائر الاخوان (اللهمَّ لا تجعله آخر العهد من قبر نبيِّك) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم (ولا من حرمك) يعني مكَّة (يا أرحم الرَّاحمين) ، وإن لم يستحضر هذا الدُّعاء ، فليدع بما أحبَّ وألهمه الله على لسانه وقلبه .

وأخرج أبو أحمد بن عساكر عن محمَّد بن كعب الهلالي ، قال : دخلت المدينة فأتيت قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فزرته وجلست بحذائه ، فجاء أعرابي فزاره ثمَّ قال : يا خير الرُّسل ، إنَّ الله أنزل عليك كتاباً صادقاً ، وقال فيه : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] ، وإنِّي جئتك مستغفراً لديك من ذنوبي ، مستشفعاً بك إلى الله فيها ، ثمَّ بكى وأنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهنَّ القاع والأكم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجـــــود والكرم

ثمَّ استغفر وانصرف ، فرقدت ، فرأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في نومي وهو يقول : الحق الرَّجل فبشِّره أنَّ الله قد غفر له بشفاعتي ، فاستيقظت فخرجت أطلبه فلم أجده " (١) .

وقال الإمام مصطفى بن سعد بن عبده السُّيوطي شهرة ، الرّحيبانى مولداً ثمَّ الدِّمشقي الحنبلي (١٢٤٣هـ) : " قُلْت وَقَوْلُك الْحَقُّ : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤ ] ، وَقَدْ أَتَيْتُك مُسْتَغْفِراً مِنْ ذُنُوبِي ، مُسْتَشْفِعاً بِك إلَى رَبِّي ، فَأَسْأَلُك يَا رَبِّ أَنْ تُوجِبَ لِي الْمَغْفِرَةَ كَمَا أَوْجَبْتهَا لِمَنْ أَتَاهُ فِي حَيَاتِهِ ، اللهمَّ اجْعَلْهُ أَوَّلَ الشَّافِعِينَ ، وَأَنْجَحَ السَّائِلِينَ ، وَأَكْرَمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ بِرَحْمَتِك يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . ثمَّ يَدْعُو لِوَالِدَيْهِ وَإِخْوَانِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن علي بن محمَّد بن عبد الله الشَّوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) : " فَائِدَةٌ : لَمْ يَذْكُرْ الْمُصَنِّفُ – رَحِمَهُ الله تَعَالَى – فِي كِتَابِهِ هَذَا زِيَارَةَ قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَكَانَ الْمَوْطِنُ الَّذِي يَحْسُنُ ذِكْرُهَا فِيهِ كِتَاب

(١) انظر : اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدِّين (٤/ ٤٥٥) .

(٢) انظر : مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى (٢/ ٤٤١) .

الْجَنَائِزِ ، وَلَكِنَّهَا لما كَانَتْ تُفْعَلُ فِي سَفرِ الْحَجِّ فِي الْغَالِبِ ذَكَرَهَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي كِتَابِ الْحَجِّ فَأَحْبَبْنَا ذِكْرَهَا هَاهُنَا تَكْمِيلاً لِلْفَائِدَةِ .

وَقَدْ اخْتَلَفَتْ فِيهَا أَقْوَالُ أَهْلِ الْعِلْمِ ، فَذَهَبَ الْجُمْهُورُ إلى أَنَّهَا مَنْدُوبَةٌ ، وَذَهَبَ بَعْضُ الْمَالِكِيَّةِ وَبَعْضُ الظَّاهِرِيَّةِ إلى أَنَّهَا وَاجِبَةٌ وَقَالَتْ الْحَنَفِيَّةُ : أَنَّهَا قَرِيبَةٌ مِنْ الْوَاجِبَاتِ وَذَهَبَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ الْحَنْبَلِيُّ حَفِيدُ الْمُصَنِّفِ الْمَعْرُوفُ بِشَيْخِ الْإِسْلَامِ إلى أَنَّها غَيْرُ مَشْرُوعَةٍ، وَتَبِعَهُ عَلَى ذَلِكَ بَعْضُ الْحَنَابِلَةِ وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ مَالِكٍ ، وَالْجُوَيْنِيِّ ، وَالْقَاضِي عِيَاضٍ ، كَمَا سَيَأْتِي .

احْتَجَّ الْقَائِلُونَ بِأَنَّهَا مَنْدُوبَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وَوَجْهُ الِاسْتِدْلَالِ بِهَا أَنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حَيٌّ فِي قَبْرِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا فِي حَدِيثِ : " الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ " (١) .

. قَالَ الْأُسْتَاذُ أَبُو مَنْصُورٍ الْبَغْدَادِيُّ : قَالَ الْمُتَكَلِّمُونَ الْمُحَقِّقُونَ مِنْ أَصْحَابِنَا : إنَّ نَبِيَّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حَيٌّ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، انْتَهَى . وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ : مَا ثَبَتَ أَنَّ الشُّهَدَاءَ أَحْيَاءٌ يُرْزَقُونَ فِي قُبُورِهِمْ والنَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم – مِنْهُمْ ، وَإِذَا ثَبَتَ أَنَّه حَيٌّ فِي قَبْرِهِ كَانَ الْمَجِيءُ إلَيْهِ بَعْدَ الْمَوْتِ كَالْمَجِيءِ إلَيْهِ قَبْلَهُ ...

وَاسْتَدَلُّوا ثَانِياً بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠ ] ، وَالْهِجْرَةُ إلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ الْوُصُولُ إلى حَضْرَتِهِ كَذَلِكَ الْوُصُولُ بَعْدَ مَوْتِهِ ، وَلَكِنَّهُ لا يَخْفَى أَنَّ الْوُصُولَ إلى حَضْرَتِهِ فِي حَيَاتِهِ فِيهِ فَوَائِدُ لَا تُوجَدُ فِي الْوُصُولِ إلى حَضْرَتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ مِنْهَا النَّظَرُ إلى ذَاتِهِ الشَّرِيفَةِ وَتَعَلُّمُ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ مِنْهُ وَالْجِهَادُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَغَيْرُ ذَلِكَ .

---

(١) أخرجه البزار في المسند ، (١٣/ ٢٩٩ برقم ٦٨٨٨) ، أبو يعلى في المسند (٦/ ١٤٧ برقم ٣٤٢٥) ، وصححه المحقق ، البيهقي في حياة الأنبياء (ص٦٩ برقم ١) ، ابن عساكر في تاريخ دمشق ، (١٣/ ٣٢٦) وذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ٢١١ برقم ١٣٨١٢) ، وقال : رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَالْبَزَّارُ ، وَرِجَالُ أَبِي يَعْلَى ثِقَاتٌ ، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ، (٦/ ٤٨٧) ، أَخْرَجَهُ مِنْ طَرِيقِ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ وَهُوَ مِنْ رِجَالِ الصَّحِيحِ عَنِ الْمُسْتَلِمِ بْنِ سَعِيدٍ وَقَدْ وَثَّقَهُ أَحْمد وبن حبان عَن الْحَجَّاج الْأسود وَهُوَ بن أبي زِيَاد الْبَصْرِيّ وَقد وَثَّقَهُ أَحْمد وبن مُعِينٍ عَنْ ثَابِتٍ عَنْهُ وَأَخْرَجَهُ أَيْضاً أَبُو يَعْلَى فِي مُسْنَدِهِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَأَخْرَجَهُ الْبَزَّارُ لَكِنْ وَقَعَ عِنْدَهُ عَنْ حَجَّاجٍ الصَّوَّافِ وَهُوَ وَهْمٌ وَالصَّوَابُ الْحَجَّاجُ الْأَسْوَدُ كَمَا وَقَعَ التَّصْرِيحُ بِهِ فِي رِوَايَةِ الْبَيْهَقِيِّ وَصَحَّحَهُ الْبَيْهَقِيُّ وَأَخْرَجَهُ أَيْضاً مِنْ طَرِيقِ الْحَسَنِ بْنِ قُتَيْبَةَ عَن المستلم وَكَذَلِكَ أخرجه الْبَزَّار وبن عَدِيٍّ وَالْحَسَنُ بْنُ قُتَيْبَةَ ضَعِيفٌ .

وَاسْتَدَلُّوا ثَالِثاً بِالْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي ذَلِكَ مِنْهَا الْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي مَشْرُوعِيَّةِ زِيَارَةِ الْقُبُورِ عَلَى الْعُمُومِ والنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم دَاخِلٌ فِي ذَلِكَ دُخُولاً أَوَّلِيّاً ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا فِي الْجَنَائِزِ ، وَكَذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الثَّابِتَةُ مِنْ فِعْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي زِيَارَتِهَا ، وَمِنْهَا : أَحَادِيثُ خَاصَّةٌ بِزِيَارَةِ قَبْرِهِ الشَّرِيف ...

قَالَ الْحَافِظُ : وَأَصَحُّ مَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعاً " مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ الله عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلام " .

وَبِهَذَا الْحَدِيثِ صَدَّرَ الْبَيْهَقِيُّ الْبَابَ ، وَلَكِنْ لَيْسَ فِيهِ مَا يَدُلُّ عَلَى اعْتِبَارِ كَوْنِ الْمُسَلِّمِ عَلَيْهِ عَلَى قَبْرِهِ ، بَلْ ظَاهِرُهُ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ . وَقَالَ الْحَافِظُ أَيْضاً : أَكْثَرُ مُتُونِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ مَوْضُوعَةٌ وَقَدْ رُوِيَتْ زِيَارَتُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ الصَّحابة ، مِنْهُمْ : بِلَالٌ عِنْدَ ابْنِ عَسَاكِرَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ ، وَابْنُ عُمَرَ عِنْدَ مَالِكٍ فِي الْمُوَطَّإِ ، وَأَبُو أَيُّوبَ عِنْدَ أَحْمَدَ ، وَأَنَسٍ ذَكَرَهُ عِيَاضٌ فِي الشِّفَاءِ ، وَعُمَرُ عِنْدَ الْبَزَّارِ ، وَعَلِيٌّ – عَلَيْهِ السَّلام – عِنْدَ الدَّارَقُطْنِيّ وَغَيْرُ هَؤُلَاءِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَنَّه شَدَّ الرَّحْلَ لِذَلِكَ إِلَّا عَنْ بِلَالٍ ؛ لأَنَّه رُوِيَ عَنْهُ أَنَّه رَأَى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَهُوَ بِدَارِيَّا يَقُولُ لَهُ : " مَا هَذِهِ الْجَفْوَةُ يَا بِلَالُ أَمَّا آنَ لَكَ أَنْ تَزُورَنِي " ، رَوَى ذَلِكَ ابْنُ عَسَاكِرَ ، وَاسْتَدَلَّ الْقَائِلُونَ بِالْوُجُوبِ بِحَدِيثِ : " مَنْ حَجَّ وَلَمْ يَزُرْنِي فَقَدْ جَفَانِي " ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ، قَالُوا : وَالْجَفَاءُ لِلنَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم – مُحَرَّمٌ ، فَتَجِبُ الزِّيَارَةُ لِئَلَّا يَقَعَ فِي الْمُحَرَّمِ ، وَأَجَابَ عَنْ ذَلِكَ الْجُمْهُورُ بِأَنَّ الْجَفَاءَ يُقَالُ عَلَى تَرْكِ الْمَنْدُوبِ كَمَا فِي تَرْكِ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ ، وَعَلَى غِلَظِ الطَّبْعِ كَمَا فِي حَدِيثِ : " مَنْ بَدَا فَقَدْ جَفَا " ، وَأَيْضاً الْحَدِيثُ عَلَى انْفِرَادِهِ مِمَّا لَا تَقُومُ بِهِ الْحُجَّةُ لما سَلَفَ . وَاحْتَجَّ مَنْ قَالَ بِأَنَّهَا غَيْرُ مَشْرُوعَةٍ بِحَدِيثِ ": " لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إلى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ " ، وَهُوَ فِي الصَّحيح .

وَقَدْ تَقَدَّمَ وَحَدِيثُ " لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيداً " رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ . قَالَ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ : اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي شَدِّ الرَّحْلِ لِغَيْرِ الثَّلَاثَةِ كَالذَّهَابِ إلى قُبُورِ الصَّالحين وَإِلَى الْمَوَاضِعِ الْفَاضِلَةِ، فَذَهَبَ الشَّيخ أَبُو محمَّد الْجُوَيْنِيُّ إلى حُرْمَتِهِ ، وَأَشَارَ عِيَاضٌ إلى اخْتِيَارِهِ ، والصَّحيح عِنْدَ أَصْحَابِنَا أَنَّه لَا يَحْرُمُ وَلَا يُكْرَهُ ، قَالُوا : وَالْمُرَادُ أَنَّ الْفَضِيلَةَ الثَّابِتَةَ إِنَّمَا هِيَ شَدُّ الرَّحْلِ إلى هَذِهِ الثَّلَاثَةِ خَاصَّةً ، انْتَهَى . وَقَدْ أَجَابَ الْجُمْهُورُ عَنْ حَدِيثِ شَدِّ الرَّحْلِ بِأَنَّ الْقَصْرَ فِيهِ إِضَافِيٌّ بِاعْتِبَارِ الْمَسَاجِدِ لَا حَقِيقِيٌّ .

قَالُوا : وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّه قَدْ ثَبَتَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ فِي بَعْضِ أَلْفَاظِ الْحَدِيثِ " لَا يَنْبَغِي لِلْمَطِيِّ أَنْ يُشَدَّ رِحَالُهَا إلى مَسْجِدٍ تُبْتَغَى فِيهِ الصَّلاة غَيْرِ مَسْجِدِي هَذَا ، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى " ، فَالزِّيَارَةُ وَغَيْرُهَا خَارِجَةٌ عَنْ النَّهْيِ . وَأَجَابُوا ثَانِياً بِالْإِجْمَاعِ عَلَى جَوَازِ شَدِّ الرِّحَالِ لِلتِّجَارَةِ وَسَائِرِ مَطَالِبِ الدُّنيا .

وَعَلَى وُجُوبِهِ إلى عَرَفَةَ لِلْوُقُوفِ وَإِلَى مِنًى لِلْمَنَاسِكِ الَّتِي فِيهَا ، وَإِلَى مُزْدَلِفَةَ ، وَإِلَى الْجِهَادِ ، وَالْهِجْرَةِ مِنْ دَارِ الْكُفْرِ ، وَعَلَى اسْتِحْبَابِهِ لِطَلَبِ الْعِلْمِ ، وَأَجَابُوا عَنْ حَدِيثِ : " لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيداً " بِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الْحَثِّ عَلَى كَثْرَةِ الزِّيَارَةِ لَا عَلَى مَنْعِهَا ، وأَنَّه لَا يُهْمَلُ حَتَّى لَا يُزَارَ إلَّا فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ كَالْعِيدَيْنِ . وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ : " لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُوراً " ، أَيْ : لَا تَتْرُكُوا الصَّلاة فِيهَا ، كَذَا قَالَ الْحَافِظُ الْمُنْذِرِيُّ .

وَقَالَ السُّبكي : مَعْنَاهُ أَنَّه لَا تَتَّخِذُوا لَهَا وَقْتاً مَخْصُوصاً لَا تَكُونُ الزِّيَارَةُ إلَّا فِيهِ ، أَوْ لَا تَتَّخِذُوهُ كَالْعِيدِ فِي الْعُكُوفِ عَلَيْهِ وَإِظْهَارِ الزِّينَةِ وَالِاجْتِمَاعِ لِلَّهْوِ وَغَيْرِهِ كَمَا يُفْعَلُ فِي الْأَعْيَادِ بَلْ لَا يُؤْتَى إلَّا لِلزِّيَارَةِ والدُّعاء والسَّلام والصَّلاة ثمَّ يَنْصَرِفُ عَنْهُ وَأُجِيبَ عَمَّا رُوِيَ عَنْ مَالِكٍ مِنْ الْقَوْلِ بِكَرَاهَةِ زِيَارَةِ قَبْرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بِأَنَّهُ إنَّمَا قَالَ بِكَرَاهَةِ زِيَارَةِ قَبْرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَطْعاً لِلذَّرِيعَةِ ، وَقِيلَ : إنَّمَا كَرِهَ إطْلَاقَ لَفْظِ الزِّيَارَةِ ؛ لِأَنَّ الزِّيَادَةَ مَنْ شَاءَ فَعَلَهَا وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهَا ، وَزِيَارَةُ قَبْرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم مِنْ السُّنَنِ الْوَاجِبَةِ ، كَذَا قَالَ عَبْدُ الْحَقِّ وَاحْتَجَّ أَيْضاً مَنْ قَالَ بِالْمَشْرُوعِيَّةِ بِأَنَّهُ لَمْ يَزَلْ دَأْبُ الْمُسْلِمِينَ الْقَاصِدِينَ لِلْحَجِّ فِي جَمِيعِ الْأَزْمَانِ عَلَى تَبَايُنِ الدِّيَارِ وَاخْتِلَافِ الْمَذَاهِبِ الْوُصُولَ إلى الْمَدِينَةِ الْمُشَرَّفَةِ لِقَصْدِ زِيَارَتِهِ ، وَيَعُدُّونَ ذَلِكَ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ وَلَمْ يُنْقَلْ أَنَّ أَحَداً أَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَكَانَ إجْمَاعاً " (١) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الشَّرواني (١٢٥٣هـ) : " حكاية : عن ابن مريم قال : كنت حاجَّاً في بعض السِّنين ، فأتيت مسجد رسول الله صَلَّى عليه وَسَلَّم ، فإذا أنا بأعرابي يركض على بعيره حتى أتى مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فعقل بعيره ثمَّ دخل يؤمّ القبر ، فلمَّا نظر إلى قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، قال : بأبي أنت وأمِّي ، لقد بعثك الله بشيراً ونذيراً ، وأنزل عليك كتاباً مستقيماً ، علَّمك فيه علم الأوَّلين والآخرين ، فقال : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وإنِّي لأعلم أنَّ ربَّك منجز لك ما وعدك ، وها أنا قد أتيتك مقرَّاً بالذُّنوب ، مستشفعاً بك عند ربِّك عزَّ وجلَّ ثمَّ أمضى ، وأنشأ يقول شعراً :

يا خير من دُفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهنَّ القاع والأكمُ
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنــه فيه العفاف وفيه الجــود والكرمُ (٢)

---

(١) انظر : نيل الأوطار (٥/ ١١٣-١١٥) .

(٢) انظر : نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن (ص١٢) .

وقال الإمام أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمَّد شطا الدّمياطي (المتوفى: بعد ١٣٠٢هـ) : " السَّلام عليك يا سيِّدي يا رسول الله ، إنَّ الله تعالى أنزل عليك كتاباً صادقاً ، قال فيه : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤ ] ، وقد جئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك إلى ربِّي :

| | |
|---|---|
| يا خير من دفنت في القاع أعظمه | فطاب من طيبهنَّ القـــاع والأكم |
| نفسي الفداء لقبر أنت ساكنـــه | فيه العفــــاف وفيه الجود والكرم |
| أنت النَّبي الذي تُرجى شفاعتـــه | عند الصِّراط إذا مـــا زلَّت القدم |
| وصاحباك فلا أنساهمـــــــا أبداً | منِّي السَّلام عليكم مـا جرى القلم (١) |

(١)

وقال الإمام محمَّد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليماً ، التناري بلداً (١٣١٦هـ) : " يسْتَحبّ اسْتِحْبَاباً مؤكَّداً زِيَارَة رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فَإِنَّهَا من أعظم القُربات ، وأنجح المساعي ، ويقصد الْمَسْجِد الشَّرِيف مَاشِياً بسكينة ووقار ، ممثلاً فِي نَفسه أَنَّه يضع قَدَمَيْهِ على مَوَاضِع أَقْدَام رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فَإِذا وصل إلى بَاب الْمَسْجِد الشَّرِيف وَيَنْبَغِي أَن يكون بَاب جِبْرِيل ، قصد الرَّوْضَة الشَّرِيفَة ، وَهِي مَا بَين الْمِنْبَر والقبر الْمُقَدّس ، فَيصَلي تَحِيَّة الْمَسْجِد فِي موقف رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وَيجْعَل عَمُود الْمِنْبَر حذاء مَنْكِبه الْأَيْمن ، وَيسْتَقْبل السَّارِية الَّتِي إِلى جَانبهَا الصّندوق ، وَتَكون الدَّائرة الَّتِي فِي الْقبْلَة بَين عَيْنَيْهِ ، فَتلك موقف رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فَإِذا فرغ من التَّحِيَّة ، شكر الله تَعَالَى على مَا أنعم بِهِ عَلَيْهِ ، وَسَأَلَهُ إِتْمَام النِّعْمَة بِقبُول زيارته ثمَّ يَأْتِي الْقَبْر الشَّرِيف الْمُقَدّس ، فيقف قبالة الْوَجْه الشَّرِيف بِأَن يستدبر الْقبْلَة وَيسْتَقْبل جِدَار الْحُجْرَة الشَّرِيفَة ، وَيقف على مِقْدَار ثَلَاثَة أَذْرع من الْجِدَار نَاظراً إلى الأَرْض ، غاض الطَّرف فِي مقَام الهيبة والتَّعظيم والإجلال ، فارغ الْقلب من جَمِيع العلائق ، مستحضراً فِي قلبه جلالة موقفه ومنزلة من هُوَ بِحَضْرَتِهِ ، فَإِنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يسمع وَيعلم وقوفك بَين يَدَيْهِ ، وَليقل بِحُضُور قلب وخفض صَوت وَسُكُون جوارح : السَّلَام عَلَيْك يَا رَسُول الله ، السَّلَام عَلَيْك يَا نَبِي الله ، السَّلَام عَلَيْك يَا حبيب الله ، السَّلَام عَلَيْك يَا صفوة الله ، السَّلَام عَلَيْك يَا سيِّد الْمُرْسلين الطيِّبين الطَّاهرين ، السَّلَام عَلَيْك وعَلى أَزوَاجك الطَّاهرات أُمَّهَات الْمُؤمنِينَ ،

(١) انظر : شَرح الْمُقَدّمَة الحضرمية الْمُسمّى بُشرى الكريم بشَرح مَسَائل التَّعليم (ص٦٨٢) .

السَّلام عَلَيْك وعَلى أَصْحَابك أَجْمَعِينَ ، السَّلام عَلَيْك وعَلى الْأَنْبِيَاء وَالْمُرْسلِينَ وَسَائِر عباد الله الصَّالحين ، السَّلام عَلَيْك أَيُّها النَّبي وَرَحْمَة الله وَبَرَكَاته .

قَالَ السُّبكي : والمروي عَن السَّلف الإيجاز فِي ذَلِك جداً .

فَعَن الإِمَام مَالك رَحمَه الله أَنَّه كَانَ يَقُول : السَّلام عَلَيْك أَيُّها النَّبي وَرَحْمَة الله وَبَرَكَاته . ثمَّ إن كَانَ أحد أوصاه بِالسَّلَامِ ، فَلْيقل : السَّلام عَلَيْك يَا رَسُول الله من فلَان بن فلَان أَو نَحْو هَذَا ثمَّ يتَحَوَّل إِلى جِهَة يَمِينه قدر ذِرَاع للسَّلام على أبي بكر رَضِي الله عَنهُ ، لِأَنَّ رَأسه عِنْد منْكب رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فَيَقُول : السَّلام عَلَيْك يَا أَبَا بكر ، السَّلام عَلَيْك يَا خَليفَة رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَصفيه وثانيه فِي الْغَار ، جَزَاك الله عَن أمَّة رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم خيراً ثمَّ يتَحَوَّل إِلى جِهَة يَمِينه قدر ذِرَاع للسَّلام على عمر رَضِي الله عَنهُ ، لِأَنَّ رَأسه عِنْد منْكب أبي بكر رَضِي الله عَنهُ ، فَيَقُول : السَّلام عَلَيْك يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ عمر الْفَارُوق الَّذِي أعزَّ الله بِهِ الْإِسْلَام ، جَزَاك الله عَن أمة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم خيراً ثمَّ يعود إِلى موقفه الأوَّل ، ويتوسل بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي قَضَاء حَوَائِجه ، ويستشفع بِهِ إِلى ربِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَيَدْعُو لنَفسِهِ ولوالديه وَأَوْلَاده وَلمن أحبَّ بِمَا أحبَّ ، وَيخْتم دعاءه بآمين وبالصَّلاة على رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم .

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَن يَقُول فِي دُعَائِهِ : اللهمَّ إِنَّك قلت وقولك الْحق : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، اللهمَّ إنَّا قد سمعنا قَوْلك ، وأطعنا أَمرك ، وقصدنا نبيَّك هَذَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، مستشفعين بِهِ إِلَيْك من ذنوبنا ، وَمَا أثقل ظُهُورنَا من أوزارنا ، تَائِبين إِلَيْك من زللنا ، معترفين بخطايانا وتقصيرنا ، اللهمَّ فتُب علينا وشفِّع نبيِّك هَذَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِينَا ، اللهمَّ اغْفِر للمهاجرين وَالْأَنْصَار وَلِإِخْوَانِنَا الَّذين سبقُونَا بِالْإِيمَان وَلَا تجْعَل فِي قُلُوبنَا غلا للَّذين آمنُوا رَبَّنَا إِنَّك رؤوف رَحِيم " (١) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن محمَّد عوض الجزيري (١٣٦٠هـ) : " ثمَّ يقف عند رأسه الشَّريف كالأوَّل : ويقول اللهمَّ إنَّك قلت وقولك الحق : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] . وقد جئناك سامعين قولك ، طائعين أمرك ، متشفِّعين بنبيِّك ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ

---

(١) انظر : نهاية الزين في إرشاد المبتدئين (ص٢١٩-٢٢٠) .

رَّحِيمٌ﴾ [الحشر : ١٠] ، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة : ٢٠١] (١) .

وقال الإمام محمَّد سيِّد طنطاوي (١٤٣١هـ) : " ورحم الله ابن كثير ، فقد قال عند تفسيره لهذه الآية : وقوله :﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤ ] . يُرشد- تعالى- العصاة والمذنبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلى الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فيستغفروا الله عنده ، ويسألوه أن يستغفر لهم ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم ، ولهذا قال : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤ ] .

وقد جاء عن الإمام العتبى أنَّه قال : كنت جالساً عند قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فجاء أعرابى ، فقال : السَّلام عليك يا رسول الله !! سمعت الله يقول : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[النساء : ٦٤ ] ، وقد جئتك مستغفراً لذنبي ، مستشفعاً بك عند ربِّي . ثمَّ أنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه    فطاب من طيبهنَّ القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنـه    فيه العفاف وفيه الجود والكـــرم

قال العتبي : ثمَّ انصرف الأعرابي ، فرأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في النَّوم ، فقال : يا عتبي ، الحق الأعرابي ، فبشِّره أنَّ الله قد غفر له " (٢) .

وجاء في الموسوعة الفقهيَّة الكويتيَّة : " وَقَال النَّوَوِيُّ فِي بَيَانِ آدَابِ زِيَارَةِ قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : ثمَّ يَرْجِعُ الزَّائِرُ إلى مَوْقِفٍ قُبَالَةَ وَجْهِ رَسُول اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَيَتَوَسَّل بِهِ وَيَسْتَشْفِعُ بِهِ إلى رَبِّهِ ، وَمِنْ أَحْسَنِ مَا يَقُول (الزَّائِرُ) مَا حَكَاهُ الْمَاوَرْدِيُّ وَالْقَاضِي أَبُو الطَّيِّبِ وَسَائِرُ أَصْحَابِنَا عَنِ الْعُتْبِيِّ (٢٢٨هـ) ، مُسْتَحْسِنِينَ لَهُ قَال : كُنْت جَالِساً عِنْدَ قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَجَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَال : السَّلام عَلَيْك يَا رَسُول اللهَّ . سَمِعْتُ اللهَّ تَعَالَى يَقُول : ﴿ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ

(١) انظر : الفقه على المذاهب الأربعة (١/ ٦٤١) .

(٢) انظر : التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٣/ ٢٠١) .

﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤ ] ، وَقَدْ جِئْتُك مُسْتَغْفِراً مِنْ ذَنْبِي مُسْتَشْفِعاً بِك إلى رَبِّي ، ثمَّ أَنْشَأَ يَقُول :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظُمُهُ وَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالأَكَمُ
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرْمُ (١)

وفي الحقيقة ، فإنَّ العلماء الذين استشهدوا بقوله تعالى : ﴿ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤ ] ، على جواز التَّوسُّل ، ذاكرين ومستشهدين بقصَّة العتبي هم من الكثرة بمكان ... ومع ذلك لم يرُق للبعض ما سارت عليه الأمَّة قروناً طوالاً ، ذلك أنَّه لم يؤثر عن أحد السَّلف أو من الخلف قبل ظهور ابن تيمية أنَّه منع التَّوسُّل بذوات الأموات ، من الأنبياء والصَّالحين (٢) ، فراحوا يوردون الشُّبهات والاعتراضات لتوهين الأدلَّة التي استدلَّ بها جمهور الأمَّة على جواز التَّوسُّل بالذَّوات الفاضلة .

يقول الشَّيخ محمَّد صالح بن محمَّد العثيمين (١٤٢١هـ) : " وهذه الآية استدلَّ بها دعاة القبور الذين يدعون القبور ويستغفرونها حيث قالوا: لأنَّ الله قال لنبيِّه عليه الصَّلاة والسَّلام: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] ، فأنت إذا أذنبت ، فأذهب إلى قبر النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام ، واستغفر الله ليستغفر لك الرَّسول . ولكن هؤلاء ضلُّوا ضلالاً بعيداً ؛ لأنَّ الآية صريحة قال : ﴿إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ ، ولم يقل : إذا ظلموا أنفسهم جاءوك ، فهي تتحدَّث عن شيء مضى وانقضى ، يقول : لو أنَّهم إذ ظلموا أنفسهم بما أحدثوا ، ثمَّ جاءوك في حياتك ، واستغفروا الله ، واستغفر لهم الرَّسول ، لوجدوا الله توَّاباً رحيما ، أمَّا بعد موت الرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام ؛ فإنَّه لا يمكن أن يستغفر الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لأحد ؛ لأنَّه انقطع عمله ، كما قال الرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام : " إذا مات الإنسان انقطع عمله إلَّا من ثلاثة : إلَّا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له " ، فعمل النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم نفسه بعد موته لا يمكن ، لكنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يكتب له أجر كلّ ما عملته

(١) انظر : الموسوعة الفقهية الكويتية ، (١٤/ ١٥٧) .

(٢) انظر : مجلة الأزهر ، الجزء الخامس ، المجلد الثاني ، جمادى الأوَّل سنة (١٣٥٠هـ) ، مقال للدجوي بعنوان : التوسل .

الأمَّة ، فكلّ ما عملنا من خير وعمل صالح من فرائض ونوافل ، فإنه يكتب أجره للرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام ؛ لأنَّه هو الذي علمنا ، فهذا داخل في قوله : " أو علم ينتفع به " . الحاصل أنَّه لا دلالة في هذه الآية على ما زعمه هؤلاء الدَّاعون لقبر النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام " (١) .

وابن عثيمين بكلامه هذا يخالف عموم علماء أمَّة محمَّد ، ويُصرِّح بأنَّهم ضلُّوا ضلالاً بعيداً ، بل هو يخالف الأمَّة التي بيَّن لها ورثة الأنبياء الحقَّ من الباطل ، أولئك الجهابيذ الأساطين الذين جوَّزوا التَّوسُّل واحتجُّوا له بالأدلَّة ... ومن أدلَّتهم : الآية التي أنكر ابن عثيمين أن تكون دليلاً على التَّوسُّل ، مع العلم أنَّ جلَّ المسائل التي خالفوا فيها هي ممَّا عليه الأمَّة ، فهم لا يتورَّعون عن مخالفة الأمَّة ، ويزعمون أنَّهم وحدهم على الحقِّ ، وأنَّ ما عليه غيرهم هو الباطل ، وسيتبيَّن لك ضلال ابن عثيمين في هذه المسألة من خلال ما عرضَه من دليلٍ على ما ذهب إليه في كلامه الآتي بعد قليل ...

وقد أشاح ابن عبد الهادي ، والشَّيخ ابن عثيمين بوجهيهما عن استشهادهم ، وزعما أنَّ الاستشهاد بالآية على جواز التَّوسُّل برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ليس في محلِّه ، فذهب ابن عبد الهادي إلى تخصيص قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤ ] ، بما قبل الموت (٢) .

والحقيقة أنَّ تخصيص الآية المذكورة بما قبل الموت بدون حُجَّة عن هوى ، وترك المطلق على إطلاقة ممَّا اتَّفق عليه أهل الحق ، والتّقيد لا يكون إلَّا بحجَّة ، ولا حجَّة هنا لتقيد الآية ، بل فقهاء المذاهب حتى الحنابلة على شمول الآية لما بعد الموت ، والأنبياء أحياء في قبورهم (٣) .

والسَّبب أنَّ الآية عامَّة لوقوع الفعل ﴿جَآءُوكَ﴾ في حيِّز الشَّرط الذي يدلُّ على العموم ، فقد تقرَّر في علم الأصول : أنَّ أعلى صيغ العموم ما وقع في سياق الشَّرط (١) ، ولذلك فهم العلماء من الآية العموم ، ونصُّوا على أنَّه يُستحب لمن زار القبر الشَّريف أن يقرأ هذه الآية ...

---

(١) انظر : شرح رياض الصَّالحين (٢/ ٢٥٧-٢٥٨) .

(٢) انظر : الصارم المنكي في الرد على السُّبكي (ص٣١٩ فما بعدها) .

(٣) انظر : مقالات الكوثري (ص٣٨٧) .

أمَّا الشَّيخ محمَّد العثيمين فقد اعترض على الاستدلال بالآية بجواز التَّوسُّل ، وأتى بما يضحك الثَّكلى ... حيث ذهب إلى أنَّ استغفار الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بعد موته أمرٌ متعذِّر ... فقال : " فإذا قال قائل : جئت إلى الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم عند قبره ، وسألته أن يستغفر لي ، أو أن يشفع لي عند الله فهل يجوز ذلك أو لا ؟ قلنا : لا يجوز . فإذا قال : أليس الله يقول : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤ ] . قلنا له : بلى ، إنَّ الله تعالى يقول ذلك : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ﴾ ، و ﴿إِذ﴾ هذه ظرف لما مضى وليست ظرفاً للمستقبل ، لم يقل الله : (ولو أنَّهم إذا ظلموا) ، بل قال : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ﴾ ، فالآية تتحدَّث عن أمرٍ واقع في حياة الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، واستغفار الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بعد مماته أمرٌ متعذِّر ، لأنَّه إذا مات العبد انقطع عمله إلَّا من ثلاث ، كما قال الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له " (٢) .

فلا يمكن لإنسان بعد موته أن يستغفر لأحد ، بل ولا يستغفر لنفسه أيضاً ، لأنَّ العمل انقطع " (٣) .

هذا ما قاله الشَّيخ محمَّد العثيمين ، وفي كلامه عدَّة مؤآخذات :

(١) أنَّه قصر ﴿إِذ﴾ على الماضي فقط ، وهذا مجانب للصَّواب ﴿إِذ﴾ فكما تُستعمل للماضي تستعمل للمستقبل ، وقد دلَّت على ذلك آيات الكتاب العزيز ، قال الإمام محمَّد بن أحمد بن الأزهري ، أبو منصور

---

(١) انظر : المسودة في أصول الفقه (ص١٠١ فما بعدها) ، إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول (١/ ٣٠٦) ، تلقيح المفهوم في تنقيح صيغ العموم (ص١٢٦) .

(٢) قال الشَّيخ الأرنؤوط : " إسناده صحيح . وأخرجه الدارمي (٥٥٩) ، والبخاري في " الأدب المفرد " (٣٨) ، ومسلم (١٦٣١) (١٤) ، وأبو داود في " السنن " برواية أبي الحسن ابن العبد كما في " تحفة الأشراف " ١٠/ ٢٢١، والترمذي (١٣٧٦) ، وابن أبي الدُّنيا في "العيال" (٤٣٠) ، والنسائي ٦/ ٢٥١، وأبو يعلى (٦٤٥٧) ، وابن خزيمة (٢٤٩٤) ، والطحاوي في " مشكل الآثار " (٢٤٦) ، وابن حبان (٣٠١٦) ، والطبراني في "الدعاء" (١٢٥١) ، والبيهقي في " السنن " ٦/ ٢٧٨، وفي " الشعب " (٣٤٤٧) ، وابن عبد البر في " جامع بيان العلم وفضله " ١/ ١٩٠، والبغوي (١٣٩) من طرق عن إسماعيل بن جعفر بهذا الإسناد . وقال الترمذي : حسن صحيح . وأخرجه أبو داود (٢٨٨٠) ، والدولابي في " الكنى " ١/ ١٩٠، والطحاوي في " مشكل الآثار " (٢٤٧) ، والطبراني في " الدُّعاء " (١٢٥٠) و (١٢٥٢) و (١٢٥٣) و (١٢٥٤) و (١٢٥٥) ، والبيهقي ٦/ ٢٧٨، وابن عبد البر ١/ ١٥ من طرق عن العلاء بن عبد الرَّحمن ، به " . انظر : مسند الإمام أحمد بن حنبل (١٤/ ٤٣٨ حديث رقم ٨٨٤٤) .

(٣) انظر : مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين (٢/ ٣٤٥) .

(٣٧٠هـ) : " الْعَرَب تَضع ﴿إِذ﴾ للمُستقبل ، و (إذا) للماضي . قَالَ الله عَزَّ وجَلَّ : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [سبأ : ٥١] ، مَعْنَاهُ : وَلَو تَرَى إِذْ يَفْزعون يومَ الْقِيَامَة " (١) .

قلت : ومن الآيات التي جاء الظَّرف ﴿إذ﴾ فيها للمستقبل :

قوله تعالى : ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة : ١٦٦] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام : ٢٧ ] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام : ٣٠ ] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام : ٩٣ ] . وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الأنفال : ٥٠ ] .

والآيات في هذا المعنى كثيرة ، وكلُّها تتحدَّث عن أمور مستقبليَّة ... وهناك العديد من المعاني التي تستعمل فيها ﴿إذ﴾ ، استوعبها جميعاً الإمام عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف ، أبو محمَّد ، جمال الدِّين ، ابن هشام (٧٦١هـ) في كتابه : " مغني اللبيب عن كتب الأعاريب " (٢) ...

ومن الجدير بالذِّكر هنا : أنَّ ابن العثيمين من أشدِّ المتحمِّسين لنفي المجاز من القرآن الكريم ، ولذلك لم يتردَّد البتَّة حين اصطدم بقول الله تعالى : ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف : ٧٧ ] ، عن التَّصريح بالقول : " بل للجِدَار إرادة ؛ كما قال تعالى : ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ (٣) .

---

(١) انظر : تهذيب اللغة (١٥/ ٣٧) .

(٢) انظر : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (١/ ١١١-١١٩) .

(٣) انظر : شرح العقيدة الواسطية (٢/ ٢٥) .

فماذا يقول ابن العثيمين في قول الله تعالى : ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ [يوسف : ٨٢ ] ، هل سيسأل شوارع القرية أو بيوتها أو ... وماذا عن الجِمال ؟؟؟ هل سيسأل الإبل ؟؟!! بل ماذا يقول في قول الله تعالى : ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء : ٢٤ ] ، وماذا سيقول في قول الله تعالى : ﴿ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير : ١٨] ، وقول الله تعالى : ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة : ١٨٧ ] ، وقول الله تعالى : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩] ، وقول اله تعالى : ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت : ٤٢ ] ، وقول الله تعالى : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ [البقرة : ١٩ ] ، وقول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [ق: ٣٠ ] ، وقول الله تعالى : ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل : ١١٢ ] ، وقول الله تعالى : ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء : ٩٢ ] ، وقول الله تعالى : ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة : ٣٨ ] ، وقول الله تعالى : ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف : ٣٦ ] ، وقول الله تعالى : ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء : ٢٤ ] ... وصدق الله العظيم : ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج : ٤٦ ] ... لقد طبَّق ابن العثيمين حكاية المثل السَّائر : عنزة ولو طارت ...

(٢) أنَّه حكم بتعذُّر استغفار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ... لأنَّه مات ، ... وهذا خطأ واضح بيِّن ، لأنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حيٌّ في قبره ، وقد تضافرت الأحاديث الدالَّة على حياته ، منها :

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في الحديث الصَّحيح : " الأنبياء أحياء في قبورهم يصلُّون " ، وغير هذا الحديث كثير ، فإذا انضمَّت هذه الأحاديث إلى صريح ومُحكم آيات الكتاب العزيز التي حكمت بحياة الشَّهيد – والنَّبي أعلى رتبة منه قطعاً – حكمنا بحياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم .

ثمَّ إنَّ استغفار الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حاصل لجميع المؤمنين سواء منهم من أدرك حياته أو لم يدركها ، قال تعالى : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ [محمَّد : ١٩] .

وقد ذكرنا أنَّ جمعاً كبيراً من المفسِّرين فهم من الآية الكريمة العموم ، وهو بلا شكٍّ يظهر صحَّة الاستدلال بالآية الكريمة على حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وأنَّه حيٌّ في قبره يستغفرُ للمستغفرين ، وهذا الفهم هو الذي فهمه جمهور الفقهاء حيث ذكروا الآية في كتب المناسك ، في صفة زيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم .....

(٣) أمَّا عن قول ابن عثيمين : أنَّ عمله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : انقطع بموته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ... فهذا فيه مغالطة كبيرة ... فعمل النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لم ينقطع ، وعمله دائم إلى يوم القيامة ، لأنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم هو الدَّاعي إلى ما تعمله أُمته من الخير ، فجميع الأعمال الصَّادرة عن الأمَّة راجع ثوابها إليه ، كيف لا وهو القائل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " مَنْ دَعَا إلى هُدى ، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً ، وَمَنْ دَعَا إلى ضَلَالَةٍ ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً " (١) .

وفي هذا المعنى يقول ابن تيمية : "... فَإِنَّهُ قَدْ صَحَّ عَنْهُ أَنَّه قَالَ : " مَنْ دَعَا إلى هُدًى كَانَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً ، وَمَنْ دَعَا إلى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ الْوِزْرِ مِثْلُ أَوْزَارِ مَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئاً " ، وَهُوَ دَاعِي الأمَّة إلى كُلِّ هُدًى ، فَلَهُ مِثْلُ أُجُورِهِمْ فِي كُلِّ مَا اتَّبَعُوهُ فِيهِ " (٢) .

وكذا يردُّ قوله : " واستغفار الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أمرٌ متعذِّر ... ما أوردناه من الأدلَّة على إثبات حياة الأنبياء ، وأنَّ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم – يدعو ويستغفر للأمَّة ...

**ثَانِيَاً : أَدِلَّةُ السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَة والآثار ... :**

**الدَّلِيْلُ الأَوَّلُ :** قال الآجري : " حدَّثنا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ ، قَالَ : حدَّثنا أَبُو الْحَارِثِ الْفِهْرِيُّ ، قَالَ : حدَّثني سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : حدَّثنا أَبُو عَبْدِ الرَّحمن بْنُ عَبْدِ اللهَّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ابْنِ بِنْتِ أَبِي مَرْيَمَ ، قَالَ : حدَّثني عَبْدُ الرَّحمن بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ الله عَنْهُ ، قَالَ : " لَمَّا أَذْنَبَ آدَمُ عَلَيْهِ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٦٠ برقم ٢٦٧٤) ، أحمد في المسند (٢/ ٣٩٧ برقم ٩١٤٩) ، الدارمي (١/ ٤٤٤ برقم ٥٣٠) ، ابن ماحه (١/ ٧٥ برقم ٢٠٦) ، أبو داود (٤/ ٢٠١ برقم ٤٦٠٩) ، الترمذي (٤/ ٣٤٠ برقم ٢٦٧٤) ، ابن أبي عاصم (١/ ٥٢ برقم ١١٣) ، البزار (١٥/ ٨٥ برقم ٨٣٣٨) ، أبو عوانه في المستخرج (٣/ ٤٩٤ برقم ٥٨٢٣) ، ابن حبان (١/ ٣١٨ برقم ١١٢) ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (١/ ٥٧ برقم ٦) ، البيهقي في الاعتقاد (ص٢٣٠) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (١/ ١٣٢) .

السَّلام الذَّنْبَ الَّذِي أَذْنَبَهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إلى السَّماء ، فَقَالَ : أَسْأَلُكَ بِحَقِّ محمَّد إِلَّا غَفَرْتَ لِي ، فَأَوْحَى الله عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ : وَمَا محمَّد ؟ وَمَنْ محمَّد ؟ قَالَ : تَبَارَكَ اسْمُكَ ، لما خَلَقْتَنِي رَفَعْتُ رَأْسِي إلى عَرْشِكَ وَإِذَا فِيهِ مَكْتُوبٌ : لَا إِلَهَ إِلَّا الله محمَّد رَسُولُ اللهَّ ، فَعَلِمْتُ أَنَّه لَيْسَ أَحَدٌ أَعْظَمَ قَدْراً عِنْدَكَ مِمَّنْ جَعَلْتَ اسْمَهُ مَعَ اسْمِكَ ، فَأَوْحَى الله عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ : يَا آدَمُ ، وَعِزَّتِي وَجَلَالِي ، أَنَّه لَآخِرُ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ ، وَلَوْلَاهُ مَا خَلَقْتُكَ ، قَالَ محمَّد بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ الله : وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عبَّاس أَنَّه قَالَ : " مَا خَلَقَ الله وَلَا بَرأً وَلَا ذَرَأً أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْ محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وَمَا سَمِعْتُ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ أَقْسَمَ بِحَيَاةِ أَحَدٍ إِلَّا بِحَيَاتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر : ٧٢] ، قَالَ : وَحَيَاتِكَ يَا محمَّد ، ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر : ٧٢] ، وَاللهُ أَعْلَمُ " (١) .

وقد ذكر ابن تيمية شاهدين لحديث توسُّل آدم بالرَّعععغفسول محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فقال : " وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ بشران مِنْ طَرِيقِ الشَّيخ أَبِي الْفَرَجِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ فِي الوفا بِفَضَائِلِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : حدَّثنا أَبُو جَعْفَرٍ محمَّد بْنُ عَمْرٍو ، حدَّثنا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ صَالِحٍ ، ثَنَا محمَّد بْنُ صَالِحٍ ، ثَنَا محمَّد بْنُ سِنَانٍ العوفي ، ثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ طهمان ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ مَيْسَرَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ سُفْيَانَ ، عَنْ مَيْسَرَةَ ، قَالَ : قُلْت : يَا رَسُولَ اللهَّ مَتَى كُنْت نَبِيّاً ؟ قَالَ : لما خَلَقَ الله الْأَرْضَ وَاسْتَوَى إلى السَّماء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَخَلَقَ الْعَرْشَ : كَتَبَ عَلَى سَاقِ الْعَرْشِ : محمَّد رَسُولُ اللهَّ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَخَلَقَ الله الجنَّة الَّتِي أَسْكَنَهَا آدَمَ وَحَوَّاءَ ، فَكَتَبَ اسْمِي عَلَى الْأَبْوَابِ وَالْأَوْرَاقِ وَالْقِبَابِ وَالْخِيَامِ وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ ، فلمَّا أَحْيَاهُ الله تَعَالَى : نَظَرَ إلى الْعَرْشِ فَرَأَى اسْمِي ، فَأَخْبَرَهُ الله أَنَّه سيِّد وَلَدِك ، فلمَّا غَرَّهُمَا الشَّيْطَانُ تَابَا وَاسْتَشْفَعَا بِاسْمِي إِلَيْهِ .

وَرَوَى أَبُو نُعَيْمٍ الْحَافِظُ فِي كِتَابِ " دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ " : وَمِنْ طَرِيقِ الشَّيخ أَبِي الْفَرَجِ ، حدَّثنا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ ، ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ رشدين ، ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الفهري ، ثنا عَبْدُ اللهَّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمَدَنِيّ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحمن بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " لَمَّا أَصَابَ آدَمَ الْخَطِيئَةَ رَفَعَ رَأْسَهُ

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ٦٧٢ برقم ٤٢٢٨) ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَهُوَ أَوَّلُ حَدِيثٍ ذَكَرْتُهُ لِعَبْدِ الرَّحمن بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ فِي هَذَا الْكِتَابِ ، ابن كثير في مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم (٢/ ٦٧١) ، البيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٤٨٩) ، وذكره القسطلاني في المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٣/ ٦٠٥) ، وصحَّحه ، وكذا صحَّحه الزرقاني في شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (١٢/ ٢٢٠) .

فَقَالَ يَا رَبِّ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ إِلَّا غَفَرْت لِي فَأَوْحَى إِلَيْهِ وَمَا مُحَمَّدٌ ؟ وَمَنْ محمَّد ؟ فَقَالَ : يَا رَبِّ إِنَّك لما أَتْمَمْت خَلْقِي رَفَعْت رَأْسِي إلى عَرْشِك ، فَإِذَا عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ : لَا إِلَهَ إِلَّا الله محمَّد رَسُولُ اللهَّ ، فَعَلِمْت أَنَّه أَكْرَمُ خَلْقِك عَلَيْك ؛ إذْ قَرَنْت اسْمَهُ مَعَ اسْمِك . فَقَالَ : نَعَمْ ، قَدْ غَفَرْت لَك وَهُوَ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ ذُرِّيَّتِك وَلَوْلَاهُ مَا خَلَقْتُك " . فَهَذَا الْحَدِيثُ يُؤَيِّدُ الَّذِي قَبْلَهُ ، وَهُمَا كَالتَّفْسِيرِ لِلْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ " (١) .

قال الإمام محمَّد بن علوي المالكي : " فهذا يدلُّ على أنَّ الحديث عند ابن تيمية صالح للاستشهاد والاعتبار ، لأنَّ الموضوع أو الباطل لا يستشهد به عند المحدِّثين ، وأنت ترى أنَّ الشَّيخ استشهد به هنا على التَّفسير " (٢) .

قلت : والغريب أنَّني بحثت طويلاً في كتاب " دلائل النُّبُّوة " لأبي نعيم ، حيث أحال عليه ابن تيمية ، ولم أجده ، وذلك في نسخة المكتبة الشَّاملة ، وغالب الظنِّ أنَّهم حذفوه منها ... فهذا هو ديدنهم ، كما هو معلوم ... فإلى الله المشتكى .

**الدَّلِيْلُ الثَّانِي :** قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (٢٤١هـ) : " حدَّثنا يَزِيدُ ، أَخْبَرَنَا فُضَيْلُ بْنُ مَرْزُوقٍ ، عَنْ عَطِيَّةَ الْعَوْفِيِّ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ – فَقُلْتُ لِفُضَيْلٍ : رَفَعَهُ ؟ قَالَ : أَحْسِبُهُ قَدْ رَفَعَهُ – قَالَ : مَنْ قَالَ حِينَ يَخْرُجُ إلى الصَّلاة : اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ ، وَبِحَقِّ مَمْشَايَ فَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشَراً وَلاَ بَطَراً ، وَلاَ رِيَاءً وَلاَ سُمْعَةً ، خَرَجْتُ اتِّقَاءَ سَخَطِكَ ، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُنْقِذَنِي مِنَ النَّار ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي ، أَنَّه لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، وَكَّلَ الله بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ ، وَأَقْبَلَ الله عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ حَتَّى يَفْرَغَ مِنْ صَلاَتِهِ " (٣) .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٢/ ١٥٠) ، مجموعة الرسائل والمسائل (٤/ ٢٣-٢٤) .

(٢) انظر : مفاهيم يجب أن تصحح (ص١٢٢) .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٢١ برقم ١١١٧٣) ، ابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٢١١ برقم ٢٩٨١٢) ، ابن الجَعْد في المسند (ص٢٢٩ برقم ٢٠٣١) ، ابن ماجه (١/ ٢٥٦ برقم ٧٧٨) ، الطبراني في الدُّعاء (ص١٤٩ برقم ٤٢١) ، ابن السني في عمل اليوم والليلة سلوك النَّبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد (ص٧٦ برقم ٨٥) ، ابن بشران في الأمالي (ص٣٢٥ برقم ٧٥٣) ، البيهقي في الدعوات الكبير (ص١٢٥ برقم ٢٥) ، الشجري في ترتيب الأمالي الخميسية (١/ ٣٣٢ برقم ١١٧٢) ، والحديث ذكره المحقق الأستاذ محمود سعيد ممدوح في رفع المنارة لتخريج أحاديث التَّوسُّل والزيارة (ص١٧١-١٧٢) ، وقال : وإسناد هذا الحديث من شرط الحسن ، وقد حسنه جمع من الحفاظ منهم الحافظ الدمياطي في " المتجر الرابح في ثواب العمل الصَّالح " (ص٤٧١-٤٧٢) ، والحافظ أبو الحسن المقدسي شيخ الحافظ المنذرى كما في " الترغيب والترهيب " (٣/ ٢٧٣) . والحافظ العراقى في " تخريج أحاديث الاحياء " (١/ ٢٩١) . والحافظ ابن حجر العسقلاني في " أمالى الاذكار " (١/ ٢٧٢) . وقال

والحديث صحيح ، وهو دليل على صحَّة القول بجواز التَّوسُّل إلى الله بالعمل الصَّالح ، فهل يليق أن يتوجَّه الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بسؤال الله تعالى بحقِّ السَّائلين ، وهو أكرم الخلق على الله تعالى ، ثمَّ يأتي من يمنع ذلك بحقِّنا ؟!!!

ومعنى قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ " ، أي : بالحقِّ الذي جعلته لهم عليك من محض فضلك بوعدك الذي لا يخلف . وفيه التَّوسُّل بحقِّ أرباب الخير على سبيل العموم من السَّائلين ، ومثلهم بالأولى الأنبياء والمرسلون " (١) .

" وفي الحديث التَّوسُّل بعامة المسلمين وخاصَّتهم ، وإدخال الباء في أحد مفعولي السُّؤال إنَّما هو في السُّؤال الاستعلامي ، كقوله تعالى :﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان : ٥٩] وَ ﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ [المعارج : ١] ، وأمَّا السُّؤال الاستعطائي فلا ندخل الباء فيه أصلاً إلَّا على المتوسّل به ، فدونك الأدعية المأثورة ، فتصوّر إدخالها هنا في المفعول الثَّاني ، إخراجٌ للكلام عن سننه بهوى ، وصيحة باطل تمجُّها الأسماع ، وليس معنى الحق الإجابة ، بل ما يستحقُّه السَّائلون المتضرِّعون فضلاً من الله سبحانه ، فيكون عد " بِحَقِّ السَّائِلِينَ " سؤلاً لهذا الدَّاعي هذياناً محضاً ، ولا سيَّما عند ملاحظة ما عطف عليه في الحديث ، وأمَّا زعم أنَّه ليس في سياق الحديث ما يصلح أن يكون سؤلاً غير ذلك ، فممَّا يثير الضَّحك الشَّديد والهزء المديد ، فأين ذهب عن هذا الزَّاعم " أَنْ تُنْقِذَنِي مِنَ النَّار " ؟ وكم يكرّر الفعل للتَّوكيد ؟ فالسُّؤل في الفعل الأخير هو السُّؤل في الفعلين المتقدِّمين بل لو لم تكن تلك الأفعال من باب التَّوكيد لدخلت في باب التَّنازع ، فيكون هذا القيد معتبراً في الجميع على كلِّ تقدير " (٢) .

قال الإمام يوسف الدّجوي : " فالتّوسُّل بالصَّالحين والدُّعاء ثابت وواقع ، وقد قلنا في بعض ما كتبناه : لا معنى لكون هذا شريكاً ، كما يقوله الغلاة ، فإنَّ الحي إذا طلب من الميّت الّذي هو حي بروحه ، متمتع بلوازم

---

الحافظ البوصيرى في " مصباح الزجاجة " (١/ ٩٩) : لكن رواه ابن خزيمة في صحيحه من طريق فضيل بن مرزوق فهو صحيح عنده . اهـ . فهؤلاء خمسة من الحفاظ رحمهم الله تعالى صحَّحوا أو حسنوا الحديث وقولهم حقيق بالقبول والوقوف عنده والاذعان إليه ... ثمَّ تكلم في تحسين الحديث بما لا مزيد عليه ...

(١) انظر : الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية (٢/ ٣٩) .

(٢) انظر : مقالات الكوثري ، الكوثري ، (ص٣٩٥) .

الحياة وخصائصها ، فإنَّما يطلب منه على سبيل التَّسبُّب والاكتساب ، لا على سبيل الخلق والإيجاد ؛ لأنَّه ليس من المعقول أن يرفعه عن رتبة الحي ، وهو إذا طلب من الحي فإنَّما يطلب منه على هذا الوجه ، لا على جهة الخلق والإيجاد ، والطَّلب من المخلوق على سبيل التَّسبُّب ليس شركاً ولا كفراً ، فلا معنى لتكفير المسلمين بذلك ، ولو فرضنا أنَّ الميّت لا عمل له ، فإنّ خطأ المنادي أو المستغيث – على هذا الفرض – إنَّما هو في اعتقاد السَّببيَّة لا الإلهيَّة ، واعتقاد السَّببيَّة في غير الله ليس هو اعتقاد الإلهيَّة كما يظنّه الجاهلون ، وقد عرفت ممَّا قدّمناه أنَّه ليس غَلَطاً أيضاً ، وإنَّما الغالطون هم الغُلاة ، وإن كان التَّوسُّل بمنزلته عند الله فالأمر واضح ، لأنَّ الموت لا يغيِّر المنزلة عند الله تعالى " [1] .

وقد اعترض البعض على الاستدلال بهذا الحديث على جواز التَّوسُّل ، فعمدوا إلى تضعيف الحديث بعلل ثلاث : ضعف الفضيل بن مرزوق ، وعطيَّة العوفي ، والفضل بن الموفَّق " [2] .

وللرَّدِّ عليهم نقول :

(١) أمَّا عن الفضيل بن مرزوق : فهو من رجال مسلم في صحيحه ، وثَّقه جماعة من الأمَّة ، منهم : العجلي في ثقاته ، ( ص ٣٨٤ ) فقال : " جائز الحديث ثقة " ووثقه السُّفيانان (الثَّوري وابن عيينه) ، وقال ابن عدي في الكامل (٦/ ٢٠٤٥ ) : لفضيل أحاديث حسان ، وأرجو أنَّه لا بأس به . وقال أحمد بن حنبل كما في الجرح ( ٧/ ٧٥ ) لا أعلم إلَّا خيراً . ووثَّقه ابن شاهين بإدخاله في الثِّقات (ص١٨٥ ) .

أمَّا إمام الجرح والتَّعديل يحيى ابن معين فقد روى عنه خمسة من أصحابه توثيقه لفضيل بن مرزوق ، وهم : عثمان الدَّارمي ، والدُّوري ، وعبدالخالق بن منصور ، وابن محرز ، وابن خيثمة ، وأدخله الذَّهبي في كتابه ( من تُكلِّم فيه وهو موثَّق ) (ص١٥١ ) ، وأطلق الذَّهبي القول في توثيقة في الكاشف ( ٢/ ٣٣٢ ) .

ومن الغريب العجيب أنَّ الألباني ضعَّف حديث الفضيل في ضعيفته (١/ ٣٢٣٤ ) ، ثمَّ عاد وتناقض وحسَّن حديث في الصَّحيحة (٣/ ١٢٨) [3] .

(٢) أما عن العلَّة الثَّانية وهي الكلام في عطيَّة العوفي فقد ضعَّفوه بسبب تدليس الشُّيوخ والتَّشيُّع ، وقد اعتمد من اتَّهم عطيَّة العوفي بتدليس الشُّيوخ على الآتي : قال عبدالله بن أحمد : سمعت أبي ذكر عطيَّة العوفي

---

[1] انظر : التَّوسُّل والاستغاثة ، مقال للإمام الدجوي ، مجلة الأزهر ، الجزء الخامس ، المجلد الثاني ، جمادى الأولى سنة ١٣٥٠هـ

[2] انظر : التَّوسُّل ، الألباني (ص١٠٢ فما بعدها) ، التوصُّل إلى حقيقة التَّوسُّل (ص٢٢٠ فما بعدها) .

[3] انظر : مباحثة السائرين بحديث اللهمَّ إني أسألك بحق السائلين (ص١١ فما بعدها) .

فقال : هو ضعيف الحديث ، بلغني أنَّ عطيَّة كان يأتي الكلبي يأخذ عنه التَّفسير ، يكنِّيه فيقول : قال أبو سعيد ، قال أبي وكان هشيم يضعف حديث عطيَّة " .

وقال عبدالله بن أحمد : حدَّثني أبي ، حدَّثني أبو أحمد الزّبيري ، سمعت الثَّوري قال : سمعت الكلبي قال : كنَّاني عطية بأبي سعيد . وسمعت أبي يقول : كان سفيان الثَّوري يضعِّف حديث عطية العوفي "، كذا في العلل ومعرفة الرِّجال (١/١٢٢) والجرح والتَّعديل (٦/٣٨٣ ) ، وضعفاء العقيلي (٣/٣٥٩) ، والكامل لأبن عدي (٥/٢٠٠٧) .

فأنت ترى أنَّ من ضعَّفه بسبب التَّدليس اعتمد على حكاية الكلبي ، وحكايته هي مدار الجميع ، وحال الكلبي معروف للجميع فهو مُتَّهمٌ بالكذب ، فالسَّند الذي يكون فيه ذلك الرَّجل لا ينظر إليه ، ولا يعتمد عليه في شيء ...

وقد أنصف الإمام ابن رجب ، فقال في علل الإمام التِّرمذي (ص٤٧١) بعد نقله أصل الحكاية عن العلل للإمام أحمد ما نصّه : " ولكن الكلبي لا يعتمد على ما يرويه " . وأمَّا من تكلَّموا عن عطيَّه العوفي لتشيُّعه ، كالجوزجاني فإنَّه قال في أحوال الرِّجال (ص٥٦) :" مائل" والجوزجاني كان معروفاً بالنَّصب مشهوراً به ، حتى قال عنه الحافظ في مقدِّمة اللسان (١/١٦) الحاذق إذا تأمَّل ثلب أبي اسحاق الجوزجاني لأهل الكوفة رأى العجب ، وذلك لشدَّة انحرافه في النَّصب وشهرة أهلها بالتَّشيُّع " .

وكذا قول السَّاجي في عطيَّة العوفي كما في التّهذيب (٧/٢٢٦) : " ليس بحجَّة ، وكان يقدِّم عليَّاً على الكلِّ ، فإنَّ السَّاجي كان بصريَّاً ، والبصريُّون كثُر فيهم النَّصب ، قال الحافظ في اللسان ( ٤/٤٣٩) : " النَّصب معروف في كثير من أهل البصرة " (١) .

وممَّا تجدر الإشارة إليه أنَّ السَّبب الذي لأجله رُمي عطية العوفي بالتَّشيُّع هو حبُّه لعلي ، وأنَّه رفض أن يسبَّه ، وقد نصَّ على ذلك الحافظ ابن حجر في التَّهذيب ، فقال :" خرج عطيَّة مع ابن الأشعث فكتب الحجاج إلى محمَّد بن القاسم أن يعرضه على سبِّ علي فإن لم يفعل فاضربه أربعمائة سوط ، واحلق لحيته ، فاستدعاه فأبى أن يسبَّ ، فأمضى حكم الحجاج فيه ثمَّ خرج إلى خراسان " (٢) .

---

(١) انظر : مباحثة السائرين بحديث اللهمَّ إني أسألك بحق السائلين (ص٢١ فما بعدها) .

(٢) تهذيب التهذيب (٧/ ١٩٥-١٩٦) .

وعليه ، فقد تبيَّن أنَّ إتِّهام عطية العوفي بالتَّدليس ليس صحيحاً ، والتَّشيُّع الحقّ لا علاقة له في الرِّواية ، فالرَّجل صدوق .

(٣) وأمَّا عن الفضل بن الموفَّق فقد قال الكوثري : " هو ابن خال ابن عيينة ، قال أبو حاتم صالح ضعيف الحديث ، ولم يضعِّفه سواه ، وجرحه غير مفسَّر ، بل وافقه البستي " (١) .

والحديث رواه ابن خزيمة في صحيحه من طريق فضيل بن مرزوق ، فهو صحيح عنده ، وذكره رزين ، ورواه أحمد بن منيع في مسنده ، ثنا يزيد ، ثنا فضيل بن مرزوق ، فذكره بإسناده ومتنه .

وقال علاء الدِّين مغلطاي في الإعلام شرح سنن ابن ماجه : ذكره أبو نعيم الفضل " هو ابن دكين " في كتاب الصَّلاة ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري موقوفاً أهـ ولم ينفرد عطيَّة عن الخدري بل تابعه أبو الصدِّيق عنه في رواية عبد الحكم بن ذكوان ، وهو ثقة عند ابن حبَّان ، وإن أعلَّه به أبو الفرج في علله .

وأخرج ابن السنِّي في " عمل اليوم والليلة " بسند فيه الوازع ، عن بلال ، وليس فيه عطيَّة ، ولا ابن مرزوق ، ولا ابن الموفَّق : " اللهمَّ بحقِّ السَّائلين عليك " ، فظهر أنَّه لم ينفرد عطيَّة ، ولا ابن مرزوق ، ولا ابن الموفَّق بالنَّظر إلى هذه الطُّرق ، على فرض ضعف الثَّلاثة ، مع أنَّ يزيد بن هارون شيخ أحمد بن منيع شارك ابن الموفَّق في روايته عن ابن مرزوق ، وكذا الفضيل بن دكين ، وابن فضيل ، وسليمان بن حيَّان ، وغيرهم . وعطيَّة جُرح بالتَّشيُّع لكن حسَّن له التِّرمذي عدَّة أحاديث ، وعن ابن معين أنَّه صالح ، وعن ابن سعد : ثقة إن شاء الله ، وعن ابن عدي : له أحاديث صالحة ، وبعد التَّصريح بالخدري لا يبقى احتمال التَّدليس ، ولا سيَّما مع المتابعة ، وابن مرزوق ترجَّح توثيقه عند مسلم ، فروى عنه في صحيحه ...

على أنَّ الحديث مرويٌّ بطريق بلال رضي الله عنه ، فلا تنزل درجة الحديث مهما نزلت عن درجة الاحتجاج به ، بل يدور أمره بين الصحَّة والحسن لكثرة المتابعات والشَّواهد (٢) .

**الدَّلِيْلُ الثَّالِثُ :** قال الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) : " حدَّثنا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ عُمَارَةَ بْنَ خُزَيْمَةَ ، يُحَدِّثُ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ ، أَنَّ رَجُلاً ضَرِيرَ الْبَصَرِ أَتَى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فَقَالَ : ادْعُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَنِي ، قَالَ : " إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ لَكَ ، وَإِنْ شِئْتَ أَخَّرْتُ ذَاكَ ، فَهُوَ خَيْرٌ " . فَقَالَ : "

---

(١) انظر : هامش مقالات الكوثري (ص٣٩٣) .

(٢) انظر : مقالات الكوثري (ص٣٩٤) .

ادْعُهُ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ ، فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ ، وَيُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ ، وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعاء : اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ ، وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ محمَّد نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، يَا محمَّد ، إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إلى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ ، فَتَقْضِي لِي ، اللهمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ " (١) .

وقد فهم الصَّحابة رضوان الله عليهم أنَّ العمل بهذا الحديث لم ينقطع بانتقال الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إلى الرَّفيق الأعلى ، لأنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم مشرِّع إلى يوم القيامة ، ولذلك فقد وردت زيادة موقوفة عن المرفوعة رواها الطَّبراني وغيره ، قال الطَّبراني : " حدَّثنا طَاهِرُ بْنُ عِيسَى بْنِ قَيْرَسَ الْمُقْرِي الْمِصْرِيُّ التَّمِيمِيُّ ، حدَّثنا أَصْبَغُ بْنُ الْفَرَجِ ، حدَّثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ ، عَنْ شَبِيبِ بْنِ سَعِيدٍ الْمَكِّيِّ ، عَنْ رَوْحِ بْنِ الْقَاسِمِ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْخَطْمِيِّ الْمَدَنِيِّ ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ ، عَنْ عَمِّهِ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ " أَنَّ رَجُلاً كَانَ يَخْتَلِفُ إلى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ الله عَنْهُ فِي حَاجَةٍ لَهُ ، فَكَانَ عُثْمَانُ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ ، وَلَا يَنْظُرُ فِي حَاجَتِهِ ، فَلَقِيَ عُثْمَانَ بْنَ حَنِيفٍ ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ بْنُ حَنِيفٍ : ائْتِ الْمِيضَأَةَ فَتَوَضَّأْ ، ثمَّ ائْتِ الْمَسْجِدَ فَصَلِّ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ، ثمَّ

---

(١) قال الشَّيخ الأرنؤوط : " إسناده صحيح ، رجاله ثقات ، أبو جعفر : هو عمير بن يزيد بن عمير الأنصاري الخطمي ، وهو وعمارة بن خزيمة – وهو ابن ثابت – من رجال أصحاب السنن ، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين ، غير أن عثمان بن حنيف – وهو عم أبي أمامة بن سهل بن حنيف – إنَّما أخرج له البخاري في " الأدب المفرد " وأصحاب السنن سوى أبي داود . عثمان بن عمر : هو ابن فارس العبدي .

وأخرجه عبد بن حميد في " المنتخب " (٣٧٩) ، والترمذي (٣٥٧٨) ، والنسائي في " الكبرى " (١٠٤٩٥) ، وهو في " عمل اليوم والليلة " (٦٥٩) ، وابن ماجه (١٣٨٥) ، وابن خزيمة (١٢١٩) ، والحاكم ١/ ٣١٣ و٥١٩ من طرق عن عثمان بن عمر، بهذا الإسناد . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر ، وهو الخطمي . وقال الحاكم : إسناده صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذَّهبي .

قلنا : بل في إسناده من لم يخرج له الشيخان ، كما سلف .

وأخرجه الحاكم كذلك ١/ ٥١٩ من طريق محمَّد بن جعفر ، عن شعبة ، به . وقال : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذَّهبي .

وأخرجه الطبراني في " الكبير" (٨٣١١/ ٢) من طريق إدريس بن جعفر العطار ، عن عثمان بن عمر ، عن شعبة ، عن أبي جعفر ، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، عن عمه عثمان بن حنيف ، به . قال الدارقطني : إدريس بن جعفر العطار متروك .

وأخرجه بنحوه النسائي في " الكبرى " (١٠٤٩٦) ، وهو في " عمل اليوم والليلة " (٦٦٠) من طريق هشام الدستوائي ، وأخرجه الطبراني في "الكبير" (٨٣١١/ ١) ، وفي " الصغير" (٥٠٨) مطولاً بذكر قصة ، وابن السني في " عمل اليوم والليلة " (٦٣٣) ، والحاكم ١/ ٥٢٦-٥٢٧ من طريق روح بن القاسم ، كلاهما عن أبي جعفر الخطمي ، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، عن عمه عثمان بن حنيف ، به . وقال الحاكم : صحيح على شرط البخاري ، ووافقه الذَّهبي " . انظر : هامش مسند الإمام أحمد بن حنبل (٢٨/ ٤٧٨-٤٧٩) ، وقد أسهب العلَّامة محمود سعيد ممدوح – حفظه الله – في كلامه على الحديث في رفع المنارة لتخريج أحاديث التَّوسُّل والزيارة (ص١٢٢ فما بعدها بما لا مزيد عليه ) .

قُلِ: اللهمَّ ، إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا محمَّد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم نَبِيِّ الرَّحْمَةِ يَا محمَّد إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلى رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ فَيَقْضِي لِي حَاجَتِي ، وَتَذْكُرُ حَاجَتَكَ ، وَرُحْ إِلَيَّ حَتَّى أَرُوحَ مَعَكَ ، فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ ، فَصَنَعَ مَا قَالَ لَهُ عُثْمَانُ ، ثمَّ أَتَى بَابَ عُثْمَانَ ، فَجَاءَ الْبَوَّابُ حَتَّى أَخَذَ بِيَدِهِ ، فَأَدْخَلَهُ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، فَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى الطِّنْفِسَةِ ، وَقَالَ : حَاجَتُكَ ؟ فَذَكَرَ حَاجَتَهُ ، فَقَضَاهَا لَهُ ، ثمَّ قَالَ لَهُ : مَا ذَكَرْتَ حَاجَتَكَ حَتَّى كَانَتْ هَذِهِ السَّاعَةُ ، وَقَالَ : مَا كَانَتْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ ، فَأْتِنَا ، ثمَّ إِنَّ الرَّجُلَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ ، فَلَقِيَ عُثْمَانَ بْنَ حُنَيْفٍ ، فَقَالَ : لَهُ جَزَاكَ الله خَيْراً ، مَا كَانَ يَنْظُرُ فِي حَاجَتِي ، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيَّ حَتَّى كَلَّمْتَهُ فِي ، فَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ : وَاللهَّ ، مَا كَلَّمْتُهُ ، وَلَكِنْ شَهِدْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم وَأَتَاهُ ضَرِيرٌ ، فَشَكَا عَلَيْهِ ذَهَابَ بَصَرِهِ ، فَقَالَ: لَهُ النَّبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم : " أَفَتَصْبِرُ ؟ " ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهَّ ، أَنَّه لَيْسَ لِي قَائِدٌ ، وَقَدْ شَقَّ عَلَيَّ ، فَقَالَ لَهُ النَّبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم : " ائْتِ الْمِيضَأَةَ ، فَتَوَضَّأْ ، ثمَّ صَلِّ رَكْعَتَيْنِ ، ثمَّ ادْعُ بِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ " قَالَ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ : فَوَاللهَّ ، مَا تَفَرَّقْنَا وَطَالَ بِنَا الْحَدِيثُ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْنَا الرَّجُلُ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ ضَرَرٌ قَطُّ " . لَمْ يَرْوِهِ عَنْ رَوْحِ بْنِ الْقَاسِمِ إِلَّا شَبِيبُ بْنُ سَعِيدٍ أَبُو سَعِيدٍ الْمَكِّيُّ ، وَهُوَ ثِقَةٌ ، وَهُوَ الَّذِي يُحَدِّثُ عَنِ أَحْمَدَ بْنِ شَبِيبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ يُونُسَ بْنِ يَزِيدَ الْأَيْلِيِّ ، وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ شُعْبَةُ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْخَطْمِيِّ وَاسْمُهُ عُمَيْرُ بْنُ يَزِيدَ ، وَهُوَ ثِقَةٌ تَفَرَّدَ بِهِ عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ بْنِ فَارِسٍ عَنْ شُعْبَةَ ، وَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ " (١) .

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (١/ ٣٠٦ برقم ٥٠٨) ، الدُّعاء (١/ ٣٢٠ برقم ١٠٥٠) ، المعجم الكبير (٩/ ٣٠ برقم ٨٣١٠) ، البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ١٦٧) ، الفسوي في مشيخته (ص٩٤ برقم ١١٣) ، الضياء المقدسي في العدة للكرب والشدة (ص٦٥ برقم ٢٩) ، المنذري في الترغيب والترهيب من الحديث الشَّريف (١/ ٢٧٣ برقم ١٠١٨) ، وقال : قال الطبراني بعد ذكر طرقه والحديث صحيح . وقال العلَّامة المحقق محمود سعيد ممدوح بعد نقله تصحيح الرواية : " قلت : لا كلام بعد تصحيح الطبراني للحديث مرفوعاً وموقوفاً . فإن قيل : قد صحَّح الطبراني الحديث المرفوع ، لكنه لم يصحِّح القصَّة الموقوفة . أجيب : بأنَّ الطبراني قد وثق (شبيب بن سعيد الحبطي) ، وهو راوي الموقوف ، وتوثيق حديث الرجل هو تصحيح لحديثه ، فالأمر سهل ولا يحتاج لبيان ، ويؤيد هذا ويوضحه أنَّ الهيثمي في مجمع الزوائد (٢ / ١٧٩) لم يتكلم على الحديث كما عهد عنه ، ولكنه اقتصر على نقل تصحيح الطبراني فقط . فتدبَّر أيُّها المستبصر . ومع ذلك سعى الساعون لتضعيف هذه الزيادة الموقوفة جهد الطاقة ، فأتوا بعلل مزعومة هي : ١ - شيخ الطبراني طاهر بن عيسى مجهول . ٢ - شبيب بن سعيد الحبطي انفرد بالقصة وهو ضعيف الحفظ . ٣ - الاختلاف عليه فيها . ٤ - مخالفته للثقات الذين لم يذكروا القصَّة في الحديث . والثلاثة الاخيرة ذكرها الالباني في توسله (ص ٨٨) ، والناظر فيها لا يراها أكثر من دفعة صدر من متعنت ، وسيرى أنَّ السعي لتضعيف الأحاديث الصحيحة بهذه الحجج الواهية سعي لاقامة باطل بدعائم هي أوهى من بيوت العنكبوت ، ولو فتح هذا المهيع الخطير لانسدَّ بابُ الآثار ، والله المستعان ... ثمَّ شرع في الردِّ على من ضعَّف الرواية ... " . انظر : رفع المنارة لتخريج أحاديث التَّوسُّل والزيارة (ص١٢٦ فما بعدها) .

وموضع الاستشهاد بهذا الأثر أنَّ الصَّحابي عثمان بن حنيف فَهِمَ من الحديث أنَّه لا يختصُّ بزمن الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بدليل أنَّه " علَّم من شكا إبطاء الخليفة عن قضاء حاجته هذا الدُّعاء الذي فيه التَّوسُّل بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، والنِّداء له مستغيثاً به بعد وفاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ولَمَّا ظنَّ الرَّجلُ أن حاجته قُضيت بسبب كلام عثمان مع الخليفة ، بادر ابن حنيف بنفي ذلك الظَّن ، وحدَّثه بالحديث الذي سمعه وشهده ، ليثبت له أنَّ حاجته إنَّما انقضت بتوسُّله به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وندائه له واستغاثته به ، وأكَّد ذلك له بالحلف أنَّه ما كلَّم الخليفة في شأنه " (١) .

وقد استدلَّ العلماء بحديث الضَّرير هذا على جواز التَّوسُّل بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بعد وفاته ، وذلك من وجوه :

الأوَّل : أنَّ هذا الحديث وإن كان ورد بسبب سؤال هذا الضَّرير ، فغيره مثله في ذلك للقطع الجازم باستواء النَّاس في الأحكام الشَّرعيَّة .

الثَّاني : أنَّه وإن كان الخطاب فيه متوجِّهاً إلى الضَّرير ، فهو محمول على العموم ، للإجماع المتيقّن من جميع العلماء على أنَّ خطابات الشَّارع محمولة على العموم ، وإن كانت خارجة مخرج الخصوص ، حتى يقوم الدَّلِيْل على تخصيص شيء منها فيوقف عنده ، وهو هنا مفقود .

الثَّالث : أنَّ الضَّرير سأل النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أن يدعو له ، فعلَّمه النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم الدُّعاء المذكور ، فعدوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم عن الدُّعاء المطلوب منه إلى تعليمه دعاءً دليل على أنَّه أراد أن يشرِّع لأُمَّته حكماً عامَّاً لا يختصُّ بواحد منهم دون آخر .

الرَّابع : أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أرشد الضَّرير إلى الصَّلاة والدُّعاء ، والصَّلاة مشروعة لجميع النَّاس بالإجماع ، فكذلك الدُّعاء ، والتَّفريق بينهما تعطيل لبعض الحديث من غير دليل ، وهو تلاعب لا يقبل .

الخامس : ولو فرضنا أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم دعا لهذا الضَّرير ، مع أنَّ الحديث لا يدلُّ على ذلك أصلاً ، فدعاؤه يدلُّ على جواز التَّوسُّل في عموم الحالات ، لما تقرَّر في علم الأصول : أنَّ فعل النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لشيء يدلُّ على جوازه ، لأنَّه لا يفعل المحرَّم ولا المكروه ، ويندب الاقتداء به لقوله تعالى : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب : ٢١] .

---

(١) انظر : مفاهيم يجب أن تصحَّح (ص١٣٢) .

السَّادس : أنَّه لو كان الحديث خاصَّاً بهذا الضَّرير أو بحال الحياة دون الممات ، أو في الحضور دون الغَيْبة لبيَّن ذلك ، كما بيَّن لأبي بردة أنّ الجذعة من المعز تجزئه في الأضحية ، ولا تجزئ أحداً غيره .

السَّابع : أنَّه لو كان الحديث خاصَّاً بهذا الضَّرير أو بحال الحياة دون الممات لبيَّن ذلك ، وإذا لم يبيِّن ذلك لكان قد أخَّر البيان عن وقت الحاجة وهو ممنوع ، لأنَّه تكليف بما لا يعلم .

الثَّامن : أنَّ عثمان بن حنيف وهو راوي الحديث ، وأعرف بالمراد منه ، حمله على العموم ، حيث أرشد الرَّجل الذي كانت له حاجة عند عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وطال انتظاره لقضائها إلى الدُّعاء المذكور ، وهذا يؤيِّد ما قدَّمناه .

التَّاسع : أنَّ حُفَّاظ الحديث ونُقَّاده فهموا من حديث الضَّرير العموم ، حيث ترجموا عليه في كتبهم بتراجم تفيد ذلك ، فذكره التِّرمذي والحاكم والبيهقي في كتاب الدَّعوات على أنَّه من الدَّعوات المأثورة المشروعة ، وذكره ابن ماجه والمنذري والهيثمي في كتاب الصَّلاة ، لأنَّ الصَّلاة المأمور بها فيه داخلة في باب التَّطوُّع والنَّفل ، وذكره النَّووي في باب أذكار صلاة الحاجة على أنَّه من جملة الأذكار التي تُقال عند عروض الحاجة ، وهذا اتِّفاق منهم على أنَّ الحديث معمول به ، وأنَّه عامٌّ لجميع النَّاس في جميع الحالات ، ولو كان خاصَّاً بذلك الضَّرير أو بحالة دون أخرى لم يكن لذكرهم له في كتب الأحكام وغيرها فائدة ، ولنبَّهوا على أنَّه غير معمول به كما نبَّهوا على غيره من الأحاديث التي تكون مخصوصة أو منسوخة ، وهذا ظاهر جدَّاً " (١) .

وقد اعترض مدَّعو السَّلفيَّة على الاستدلال بحديث عثمان بن حنيف – رضي الله عنه – فزعموا أنَّ أبا جعفر – الذي في سند الحديث – ليس هو الخطمي . بل هو آخر مجهول (٢) ...

والحقّ أنَّ هذا ليس بشيء ، فإنَّه ممَّا وقع في بعض النَّسخ المطبوعة من تصرُّفات النَّاسخين ، وليس من عادة التِّرمذي أن يقول : هو غير فلان ويترك من غير بيان ، على أنَّ أبا جعفر الرَّاوي عن عمارة بين شيوخ شعبه ، إنَّما هو عمير بن يزيد الخطمي المدني الأصل ثمَّ البصري كما يظهر من كتب الرِّجال المعروفة من مطبوع ومحفوظ (٣) ، وأبو جعفر الرَّازي المتوفَّى سنة ( ١٦٠هـ) ، من شيوخ شعبه لم يدرك عمارة المتوفَّى سنة (١٠٥هـ) أصلاً ، لأنَّ رحلته إلى الحجاز بعد وفاة عمارة بنحو تسع سنين ، وشعبة شعبة في التثبُّت فيما يروى ، على أنَّ طرقاً أخرى للحديث

---

(١) انظر : الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين (ص١٥٢-١٥٤ باختصار) .

(٢) انظر : التوصل إلى حقيقة التَّوسُّل (ص٢٣٦) .

(٣) انظر : ترجمته في تهذيب الكمال (٢٢/ ٣٩١) ، تهذيب التهذيب (٨/ ١٢٨) .

عند الطَّبراني وغيرة تنصُّ في صلب السَّند على أنَّه الخطمي الثِّقة باتِّفاق ، وسند الطَّبراني في هذا الحديث مسوق في " شفاء السَّقام " للتَّقي السُّبكي (١) .

ورجال سند التِّرمذي كلّهم ثقات ، وإنَّما سمَّاه غريباً لانفراد عثمان بن عمر عن شعبة ، وانفراد أبي جعفر عن عمارة ، وهما ثقتان باتِّفاق ، وكم من حديث صحيح ينفرد به أحد الرُّواة كحديث " إنَّما الأعمال بالنيَّات " . وسمَّاه حسناً أيضاً لتعدُّد طرقة بعد أبي جعفر وعثمان بن عمر ، وتسميته صحيحاً باعتبار تكامل أوصاف الصحَّة في رواته (٢) .

قال الإمام الغماري :" ولعلَّ زيادة لفظ ( غير ) سهو من التِّرمذي رحمه الله ، وإلَّا فأبو جعفر هو الخطمي ، كما صرَّح به ابن أبي خيثمة والطَّبراني وغيرهما .

وقال ابن تيمية ما نصّه :" هكذا وقع في التِّرمذي ، وسائر العلماء قالوا : هو ابو جعفر الخطمي ، وهو الصَّواب " (٣) .

وعلَّق حمدي السَّلفي على الحديث فقال : " لا شكَّ في صحَّة الحديث المرفـوع ، وإنَّما الشَّكُّ في هذه القصَّة ( أي : قصَّة إرشاد عثمان بن حنيف لمن جاء إليه يطلب منه التَّوسُّط له عند سيِّدنا عثمان بن عفاء لقضاء حاجته ) التي يستدلُّ بها على التَّوسُّل المبتدع ، وهي انفرد بها شبيب كما قال الطَّبراني ، وشبيب لا بأس بحديثه ، بشرطين : أن يكون من رواية ابنه أحمد عنه ، وأن يكون من رواية شبيب عن يونس بن يزيد . والحديث رواه عن شبيب ابن وهب وولداه إسماعيل وأحمد، وقد تكلَّم الثِّقات في رواية ابن وهب عن شبيب ، في شبيب ، وابنه إسماعيل لا يعرف ، وأحمد وإن روى القصَّة عن أبيه إلَّا أنَّها ليست من طريق يونس بن يزيد ، ثمَّ اختلف فيها على أحمد ، ورواه ابن السنِّي في عمل اليوم والليلة ، والحاكم من ثلاثة طرق بدون ذكر القصَّة ، ورواه الحاكم من طريق عون بن عمارة البصري عن روح بن القاسم به ، قال شيخنا محمَّد ناصر الدِّين الألباني : وعون هذا وإن كان ضعيف فروايته أولى من رواية شبيب لموافقتها لرواية شعبة وحماد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمي " (٤) .

وللرَّدِّ عليه نقول :

---

(١) انظر : شفاء السقام (ص١٧٦) .

(٢) انظر : مقالات الكوثري (ص٤٢١) .

(٣) انظر : الرد المحكم المتين (ص١٤٣) .

(٤) انظر : هامش المعجم الكبير للطبراني ، (٩/ ١٧) ، الجمهورية العراقية ، وزارة الأوقاف ، مطبعة الأمَّة ، بغداد .

أ-لقد اشتمل كلام السّلفي والألباني على الكذب والخيانة ، حيث كتما ما قاله الإمام الحاكم في شبيب ، فقد كتما قوله : والقول فيه قول شبيب ، فإنَّه ثقة مأمون " (١) .

ب-هذه القصَّة رواها البيهقي في " دلائل النُّبوَّة " من طريق يعقوب بن سفيان ، حدَّثنا أحمد بن شبيب بن سعيد ، ثنا أبي ، عن روح بن القاسم ، عن أبي جعفر الخطمي ، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، عن عمِّه عثمان بن حنيف ، أنَّ رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، فذكر القصَّة بتمامها " (٢) .

ويعقوب بن سفيان هو الفسوي الحافظ الإمام الثِّقة ، بل هو فوق الثِّقة ، وهذا إسناد صحيح البخاري ، ومعنى ذلك أنَّها صحيحة ، وهذا الذي يوافق كلام الحافظ ، ويُبطل ما استنبطه الألباني من كلام الحافظ في مقدِّمة فتح الباري ، فليتأمَّل .

ج- أنَّ الحفَّاظ أيضاً صحَّحوا هذه القصَّة ، كالمنذري في التَّرغيب والتَّرهيب (١ / ٤٧٦) بإقراره للطَّبراني ، والهيثمي في مجمع الزَّوائد (٢ / ٢٧٩) .

د-أحمد بن شبيب من رجال البخاري ، روى عنه في " الصَّحيح " ، وفي " الأدب المفرد " . ووثَّقه أبو حاتم الرَّازي وكتب عنه هو وأبو زرعة ، وقال ابن عدي : وثَّقه أهل البصرة وكتب عنه علي ابن المديني .

وأبوه شبيب بن سعيد التَّميمي الحبطي البصري أبو سعيد من رجال البخاري أيضاً ، روى عنه في " الصَّحيح " وفي " الأدب المفرد " . ووثقه أبو زرعة وأبو حاتم والنِّسائي والذّهلي والدَّارقطني والطَّبراني في الأوسط . قال أبو حاتم : كان عنده كتب يونس بن زيد ، وهو صالح الحديث لا بأس به . وقال ابن عدي : ولشبيب نسخة الزُّهري عنده عن يونس عن الزُّهري أحاديث مستقيمة.

وقال ابن المديني: ثقة كان يختلف في تجارة إلى مصر وكتابه كتاب الصَّحيح . هذا ما يتعلَّق بتوثيق شبيب وليس فيه اشتراط صحَّة روايته بأن تكون عن يونس بن يزيد . بل صرَّح ابن المديني بأنَّ كتابه صحيح ،وابن عدي إنَّما تكلَّم عن نسخة الزُّهري عن شبيب فقط ولم يقصد جميع رواياته ، فما ادَّعاه الألباني تدليس وخيانة ، يؤكِّد ذلك أنَّ حديث الضَّرير صحَّحه الحفَّاظ ولم يروه شبيب عن يونس عن الزُّهري !! وإنَّما رواه عن روح بن القاسم ودعواه ضعف القصَّة بالاختلاف فيها حيث لم يذكرها بعض الرُّواة عند ابن السنِّي والحاكم لون ءاخر من التَّدليس لأن من المعلوم عند أهل العلم أنَّ بعض الرُّواة يروي الحديث وما يتَّصل به كاملا وبعضهم يختصر

---

(١) انظر : المستدرك على الصحيحين (١/ ٧٠٧) .

(٢) انظر : دلائل النبوة (٦/ ١٦٦-١٦٧) .

منه بحسب الحاجة والبخاري يفعل هذا أيضاً ، فكثيراً ما يذكر الحديث مختصراً ويوجد عند غيره تاماً . والذي ذكر القصَّة في رواية البيهقي إمام فذّ يقول عنه أبو زرعة الدِّمشقي : قدمَ علينا رجلان من نُبلاء النَّاس أحدهما وارحلهما يعقوب بن سفيان يعجز أهل العراق أن يَرَوا مثلَه رجلاً .

وتقديمه رواية عون الضَّعيف على من زاد القصَّة لون ثالث من التَّدليس والغش ، فإنَّ الحاكم روى حديث الضَّرير من طريق عون مختصراً ثمَّ قال: تابعه شبـيب بن سعيد الحَبَطي عن روح بن القاسم زيادات في المتن والإسناد والقول فيه قول شبيب فإنَّه ثقة مأمون ، هذا كلام الحاكم ، وهو يؤكِّد ما تقرَّر عند علماء الحديث والأصول أنَّ زيادة الثِّقة مقبولة ، وأنَّ من حفظ حجَّة على من لم يحفظ (١) .

هـ- أنَّه لم ينقل الألباني عن حافظ واحد أنَّه نصَّ على تضعيف القصَّة مع ملاحظة هؤلاء الحفَّاظ من الأئمَّة الأعلام ، كالمنذري والهيثمي وغيرهما لم ينصُّوا على أنَّ هذا بدعة أو ... (٢) .

و- أنَّه ليس من المعقول أن يجمع الحفَّاظ على تصحيح حديث في سنده مجهول ، خصوصا الذَّهبي ، والمنذري ، فمحاولة بعض العصريِّين لتضعيف الحديث مقضيٌّ عليها بالفشل الكبير ، فالحديث صحيح بلا شكٍّ وهو يدلُّ على جواز التَّوسُّل بالنَّبي صَلَّى الله عليه وءاله وَسَلَّم في جميع الحالات وفي سائر الأوقات.

ويكفي لبيان ذلك هنا أن نقول : أنَّ العلماء فهموا الحديث على العموم كما هو الواجب في نصوص الشَّارع ، فأورده التِّرمذي في كتاب الدَّعوات من سننه ، والحاكم في الدُّعاء من مستدركه ، والبيهقي في كتاب الدَّعوات ، وهو مؤلَّف خاصٌّ ، معتبرين له جملة الأدعية المشروعة المأثورة ، وأورده ابن ماجه في كتاب الصَّلاة من سننه وكذا فعل المنذري في " التَّرغيب والتَّرهيب " والهيثمي في " مجمع الزَّوائد " معتبرين الصَّلاة فيه والدُّعاء من جملة النَّوافل المطلوبة ، وأورده النَّووي في أذكار الحاجة من كتاب " الأذكار " معتبراً له من جملة الأذكار التي تُقال عند عروض حاجة ، وإرادة قضائها ، وأورده غير هؤلاء كابن خزيمة في صحيحه المرتَّب على الكتب والأبواب ، وهذا اتفاق منهم على أنَّ الحديث معمول به في سائر الأوقات والأزمان ، ولو كان خاصَّاً بذلك الضَّرير أو بحالة دون حالة أو بوقت دون وقت لم يكن لذكرهم له في كتب الأحكام وغيرها فائدة ، أو لنبَّهوا على أنَّه خاصٌّ ليس بعامّ كما فعلوا في غيره من الأحاديث التي تكون خاصَّة ببعض الحالات (٣) .

---

(١) انظر : إرغام المبتدع (ص١٣-١٤) .

(٢) انظر : هامش إرغام المبتدع (ص١٤) .

(٣) إرغام المبتدع (ص١٣-١٦) .

وقد صرَّح ابن تيمية أنَّ السَّلف دعوا بهذا الدُّعاء ، فقال : " فَهَذَا الدُّعاء وَنَحْوُهُ قَدْ رُوِيَ أَنَّه دَعَا بِهِ السَّلف ، وَنُقِلَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فِي مَنْسَكِ المروذي التَّوسُّـــل بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي الدُّعاء " (١) .

فابن تيمية أقرَّ بأنَّ الدُّعاء بلفظ : اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا محمَّد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، يَا محمَّد إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إلى رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ ... قد فعله السَّلف ، ومع ذلك لم ينصع للحق بعدما تبيَّن ، وأبى هو ومن سار في ركابه إلَّا تكفير المتوسِّلين إلى الله بجاه نَبِيِّنَا محمَّد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، فإلى الله المشتكى ...

**الدَّلِيْلُ الرَّابِعُ :** قال الإمام أبو يعلى : " حدَّثنا عُقْبَةُ ، حدَّثنا يُونُس ، حدَّثنا سُلَيْمَانُ الْأَعْمَشُ ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ ، عَنْ جَابِرٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَالَ : " لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاس زَمَانٌ يَخْرُجُ الْجَيْشُ مِنْ جُيُوشِهِمْ ، فَيُقَالُ : هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ صَحِبَ مُحَمَّداً فَتَسْتَنْصِرُونَ بِهِ فَتُنْصَرُوا ؟ ثمَّ يُقَالُ : هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ مُحَمَّداً ؟ فَيُقَالُ : لَا . فَمَنْ صَحِبَ أَصْحَابَهُ ؟ فَيُقَالُ : لَا . فَيُقَالُ : مَنْ رَأَى مَنْ صَحِبَ أَصْحَابَهُ ؟ فَلَوْ سَمِعُوا بِهِ مِنْ وَرَاءِ الْبَحْرِ لَأَتَوْهُ " (٢) .

**الدَّلِيْلُ الخَامِسُ :** قال الطَّبراني : " حدَّثنا محمَّد بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ ، ثنا أَبِي، ثنا عِيسَى بْنُ يُونُسَ ، حدَّثني أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أُسَيْدٍ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يَسْتَفْتِحُ بِصَعَالِيكِ الْمُهَاجِرِينَ " (٣) .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١/ ٢٦٤) .

(٢) أخرجه أبو يعلى في المسند (٤/ ١٣٢ برقم ٢١٨٢) ، تحقيق : حسين سليم أسد ، وصححه الأستاذ المحقق حسين أسد ... وقال الأستاذ المحقق محمود سعيد ممدوح : " إسناده صحيح . والأعمش وإن كان مدلساً فهو معدود في المرتبة الثانية منهم ، وحديثهم مقبول صرحوا بالسماع أو لم يصرحوا . ورواه أبو يعلى في مسنده (٤ / ٢٠٠) بلفظ مقارب : حدَّثنا ابن نمير ، حدَّثنا محاضر ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان عن جابر ، قال : سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يقول : " يبعث بعث فيقال لهم : هل فيكم أحد صحب محمداً ؟ فيقال : نعم . فيلتمس فيوجد الرجل فيستفتح فيفتح عليهم . ثمَّ يبعث بعث فيقال : هل فيكم من رأى أصحاب محمَّد ؟ فيلتمس فلا يوجد حتى لو كان من وراء البحر لأتيتموه . ثمَّ يبقى قوم يقرؤون القرآن لا يدرون ما هو . وهو سند صحيح أيضاً . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ١٨) : رواه أبو يعلى من طريقين ورجالهما رجال الصَّحيح " . انظر : رفع المنارة لتخريج أحاديث التَّوسُّل والزيارة (ص٢٣١-٢٣٢).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٩٢ برقم ٨٥٧) ، البغوي في شرح السُّنَّة (١٤/ ٢٦٤ برقم ٤٠٦٢) ، الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٤/ ٣٣٧ برقم ١٥٠٧) .

وقال الطَّبراني أيضاً : " حدَّثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ محمَّد بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبَغَوِيُّ ، ثنا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ ، ثنا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ سُفْيَانَ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ أُمَيَّةَ بْنِ خَالِدٍ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يَسْتَفْتِحُ بِصَعَالِيكِ الْمُهَاجِرِينَ " (١) .

فالرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كان يستفتح بفقراء المهاجرين ، أي : يطلب النَّصر والفتح من الله تعالى ببركة دعائهم ...

**الدَّلِيْلُ السَّادِسُ :** وروى ابن أبي شيبة ، قال : حدَّثنا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ مَالِكٍ الدَّارِ ، قَالَ : وَكَانَ خَازِنَ عُمَرَ عَلَى الطَّعَامِ ، قَالَ : أَصَابَ النَّاس قَحْطٌ فِي زَمَنِ عُمَرَ ، فَجَاءَ رَجُلٌ إلى قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِّ ، اسْتَسْقِ لِأُمَّتِكَ فَإِنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا ، فَأَتَى الرَّجُلَ فِي الْمَنَامِ فَقِيلَ لَهُ : " ائْتِ عُمَرَ فَأَقْرِئْهُ السَّلام ، وَأَخْبِرْهُ أَنَّكُمْ مُسْتَقِيمُونَ ، وَقُلْ لَهُ : عَلَيْكَ الْكَيْسُ ، عَلَيْكَ الْكَيْسُ " ، فَأَتَى عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ فَبَكَى عُمَرُ ثمَّ قَالَ : يَا رَبِّ لَا آلُو إِلَّا مَا عَجَزْتُ عَنْهُ " (٢) .

فَإتيَانُ هذا الصَّحَابي الجليل لقبرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عليهِ وآله وَسَلَّم ونِدَاؤُهُ لَهُ وطَلَبُهُ أنْ يستَسقي لأمَّتِهِ دَليل على أنَّ ذَلكَ جائز ، وهُوَ مَوضعُ الإستدلال بِعَمل هذا الصَّحابي على صِّحةِ التَّوسُّل بِهِ صَلَّى اللهُ عَليهِ وآله وَسَلَّم سَواء في حَيَاتِهِ أو بعد وفَاتِهِ . وقد أقرَّه عمر على صنيعه ولم يعنِّفه أو يقل له أشركت ...

وقد اعترض المتمسلفون على هذا الأثر بعدَّة اعتراضات ، هي :

جهالة السَّائل ، وكذا جهالة مالك الدَّار ، قال ابن باز في تعليقه على هذا الأثر : " ... هذا الأثر – على فرض صحَّته كما قال الشَّارح – ليس بحجَّة على جواز الاستسقاء بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بعد وفاته ، لأنَّ السَّائل مجهول ، ولأنَّ عمل الصَّحابة رضي الله عنهم على خلافه ، وهم أعلم النَّاس بالشَّرع ، ولم يأت أحد منهم إلى قبره يسأله السُّقيا ولا غيرها ، بل عدل عمر عنه لما وقع الجدب إلى الاستسقاء بالعبَّاس ، ولم يُنكر ذلك عليه

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٩٢ برقم ٨٥٨) ، أبو مسعود المعافى بن عمران الموصلي في الزهد ، (ص٨٠ برقم ١٢٥) ، وقال الهيثمي بعد أن ذكر الروايتين : " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ ، وَرِجَالُ الرِّوَايَةِ الْأُولَى رِجَالُ الصَّحِيح " . انظر : مجمع الزوائد ، الهيثمي (١٠/ ٢٦٢) ، وقال الأستاذ المحقق محمود سعيد ممدوح : " قلت : أمية بن عبد الله بن خالد تابعي ، ولم يخرج له في الصَّحيح لكنه ثقة ، ولولا عنعنة أبي إسحاق السبيعي – فإنه مذكور في المرتبة الثالثة من المدلسين (ص ٤٢) – لكان الحديث مرسلا صحيح الإسناد ، والله أعلم " .انظر : رفع المنارة لتخريج أحاديث التَّوسُّل والزيارة ، محمود سعيد ممدوح (ص٢٣٣) .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ٣٥٦ برقم ٣٢٠٠٢) ، البيهقي في دلائل النبوة (٧/ ٤٧) .

أحد من الصَّحابة ، فعُلم أنَّ ذلك هو الحقّ ، وأنَّ ما فعله هذا الرَّجل منكر ، ووسيلة إلى الشِّرك ، بل قد جعله بعض أهل العلم من أنواع الشِّرك " (١) .

وذكر الألباني من علله : جهالة مالك الدَّار ، وأنَّه غير معروف بعدالة ، وعضد رأيه بأنَّ المنذري والهيثمي نصَّا على جهالة مالك الدَّار (٢) .

والرَّدُّ على هذا سهل جدَّاً ، ويكفي في الرَّدِّ عليه أن نقول : إنَّ مالك الدَّار كان معروفاً للكثيرين ، لدرجة أنَّ عمر بن الخطَّاب – رضي الله عنه – قد استعمله على بيت المال ، ومثل هذا المنصب لا يتولَّاه إلَّا الثِّقة أو فوق الثِّقة ، وإذا خلت بعض كتب التَّراجم من التَّرجمة له فلا يعني ذلك أبداً أنَّه مجهول ، فها هو الحافظ ابن حجر يوثِّق عاملاً لعمر ، وهو هُنَي على الحمى بن نويره الكوفي ، وقد استعمله عمر على الحمى ، فقد روى البخاري بسنده عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ الله عَنْهُ : اسْتَعْمَلَ مَوْلًى لَهُ يُدْعَى هُنَيّاً عَلَى الحِمَى ، فَقَالَ : " يَا هُنَيُّ اضْمُمْ جَنَاحَكَ عَنِ المُسْلِمِينَ ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ ، فَإِنَّ دَعْوَةَ المَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ ... " (٣) .

قال الحافظ ابن حجر : " وهذا المولى لم أَرَ من ذكره في الصَّحابة مع إدراكه ، وقد وجدت له رواية عن أبي بكر وعمر وعمرو بن العاص ، روى عنه ابنه عمير وشيخ من الأنصار وغيرهما ، وشهد صفِّين مع معاوية ثمَّ تحوَّل إلى علي لما قتل عمار .... ولولا أنَّه كان من الفضلاء النُّبهاء الموثوق بهم لما استعمله عمر " (٤) .

وعليه فما ينطبق على هنيّ ينطبق على مالك الدَّار ، ذلك أنَّ علَّة توثيق هُنَيّ ، هي علَّة توثيق مالك الدَّار ، بل هي أوضح وأجلّ في مالك الدَّار الذي ولَّاه عمر رضي الله عنه بيت المال ، وما ولَّاه إلَّا لفرط في دينه وأمانته وتقواه وخوفه من مولاه ...

ومن جهة أخرى فقد نصَّ غير واحد من العلماء على توثيق مالك الدَّار ... فقد وثَّقه ابن حبَّان في الثِّقات (٥) ، وقال أبو يعلى الخليلي في الإرشاد : " مَالِكُ الدَّارِ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ الرِّعَاءِ عَنْهُ : تَابِعِيٌّ ، قَدِيمٌ ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، أَثْنَى عَلَيْهِ التَّابِعُونَ ، وَلَيْسَ بِكَثِيرِ الرِّوَايَةِ ، رَوَى عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، وَعُمَرَ " (١) .

---

(١) انظر : هامش فتح الباري (٢/ ٤٩٥) ،.

(٢) انظر : التَّوسُّل ، الألباني (ص١٣١) .

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ٧١ برقم ٣٠٥٩) .

(٤) انظر : فتح الباري (٦/ ١٧٦) .

(٥) انظر : الثقات (٥/ ٣٨٤) .

أمَّا عن جهالة السَّائل فلا ضير في ذلك ، فكم من حديث في الصَّحيحين تضمَّنا السُّؤال للرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، والسَّائل فيها مجهول ...

وزعموا أنَّ أبا صالح وهو ذكوان الرَّاوي عن مالك لا يعلم سماعه ولا إدراكه لمالك ، إذ لم نتبيَّن وفاة مالك ، سيَّما ورواه بالعنعنة فهو مظنَّة انقطاع لا تدليس (٢) .

وللرَّدِّ على ذلك نقول : إنَّ هذه مغالطة بناها القوم على جهالة مالك الدَّار ، وقد سبق أن بيَّنا أنَّه ثقه ، بل فوق الثِّقة ، يُضاف إلى ذلك أنَّ بعض العلماء صرَّحوا بأنَّ له إدراك ، وعلى أقل تقدير فهو من كبار التَّابعين ، وقد صرَّح غير واحد من العلماء بأنَّ أبا صالح السَّمان روى عن مالك الدَّار ، كما تجد ذلك في " تهذيب الكمال " (٣) ... وقد ذكر الحديث الإمام ابن كثير في " جامع المسانيد " ، ونصَّ على أنَّ إسناده جيِّد قويٌّ (٤) .

وذكر الدكتور محمَّد بن علوي المالكي أنَّ بعضهم ضعَّف الحديث بتدليس الأعمش – أحد رواته – والمدلِّس الثِّقة لا يُقبل خبره إلَّا إذا صرَّح بالسَّماع .... وردَّ عليه العلوي رحمه الله ، فقال : " ... وَفَاتَهُ أنَّ هذه القاعدة عامَّة إلَّا فيمن استثناه العلماء خاصَّة فيمن يُرسل أو يُدلس كابن المسيّب وكالأعمش هنا ، وبيان ذلك وضَّحه الذَّهبي في " ميزان الاعتدال " ، فقال : " وهو يدلِّس ، وربَّما دلَّس عن ضعيف ، ولا يدرى به ، فمتى قال : حدَّثنا فلا كلام ، ومتى قال " عن " تطرَّق إلى احتمال التَّدليس إلَّا في شيوخ له أكثر عنهم : كإبراهيم ، وابن أبي وائل ، وأبي صالح السَّمان ، فإنَّ روايته عن هذا الصِّنف محمولة على الاتِّصال " (٥) ، وكذا صحَّح إسناده الإمام الغماري (٦) ...

وقال الإمام الغماري : " طعن بعض المعاصرين (٧) في رواية سيف بأنَّه تكلَّم فيه ، وهذا لا يضيرنا ، فإنَّ الرَّجل إن لم يكن بلالاً بن الحارث ، فهو يقيناً إمَّا صحابي أو تابعي ، لا شكَّ في ذلك ، وكفى بأحدهما حجَّة ،

---

(١) انظر : الإرشاد في معرفة علماء الحديث (١/ ٣١٣) .

(٢) انظر : هذه مفاهيمنا (ص٦٧) .

(٣) انظر : تهذيب الكمال (٨/ ٥١٤) .

(٤) انظر : جامع المسانيد ، "مسند عمر " ابن كثير (١/ ٢٢٣) .

(٥) انظر : هامش مفاهيم يجب أن تصحَّح (ص١٥١) .

(٦) انظر : الرد المحكم المتين (ص٥٣) .

(٧) انظر : التَّوسُّل ، الألباني (ص١٣٣) ، هذه مفاهيمنا ، صالح بن عبد العزيز بن محمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ (ص٦٢-٦٤) .

أضف إلى ذلك أنَّ عمر رضي الله عنه لم ينكر عليه توسُّله " [١] ، يضاف إلى ذلك أنَّ ابن حجر قد صحَّح الرِّواية ، ولذلك لا يلتفت إلى تضعيف من ضعَّفها .

وقال المالكي : " كما تكلَّم البعض على رواية سيف أيضاً ، وزعم أنَّ ابن حجر لم يصحِّح السَّند ، وهذا من المعارض تطاولٌ بجانب الحقّ ، ولا يتَّصف بالأدب ، ويظهر ذلك لمن راجع كلام ابن حجر في الفتح ، ولكن النَّاقد استعجل وفاته أوَّل الكلام ، وذلك لأنَّ ابن حجر صحَّح الخبر من قبل بقوله : روى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح وساق القصَّة ثمَّ قال : وروى سيف في الفتوح : أنَّ الذي رأى في المنام المذكور هو بلال بن الحارث أحد الصَّحابة ، فالقصَّة واحدة والسَّند واحد والتَّصحيح يشملها " [٢] .

**الدَّلِيْلُ السَّابِعُ :** وروى البخاري ، قال : حدَّثنا الحَسَنُ بْنُ محمَّد ، قَالَ : حدَّثنا محمَّد بْنُ عَبْدِ اللهَّ الأَنْصَارِيُّ ، قَالَ : حدَّثني أَبِي عَبْدُ اللهَّ بْنُ الْمُثَنَّى ، عَنْ ثُمَامَةَ بْنِ عَبْدِ اللهَّ بْنِ أَنَسٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ الله عَنْهُ ، كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بالعبَّاس بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَقَالَ : " اللهمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا ، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا " ، قَالَ : فَيُسْقَوْنَ " [٣] .

قال الإمام عبد الله بن الصدِّيق الغماري في كلامه على استسقاء عمر بالعبَّاس :

" وقد فهم ابن تيمية وتبعه الوهَّابيَّة أنَّ فعل عمر هذا يدلُّ على منع التَّوسُّل بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بعد انتقاله ، وهو خطأ لوجوه :

الأوَّل : أنَّ ترك الشَّيء لا يدلُّ عل منعه ، كما تقرَّر في الأصول ، فترك عمر للتَّوسُّل بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لا دلالة فيه أصلاً على منع التَّوسُّل ، وقد ترك النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كثيراً من المباحات ، فهل دلَّ تركه لها على حرمتها ؟ لم يقل بذلك أحدٌ من العلماء .

الثَّاني : أنَّ الله تعالى يقول : ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل : ٦٢] ، ولا شكَّ أنَّ العبَّاس كان في تلك الحادثة من المضطرِّين فكان التَّوسُّل به أنسب .

---

[١] انظر : هامش إتحاف الأذكياء بجواز التَّوسُّل بالأنبياء (ص٣٤) .

[٢] انظر : هامش مفاهيم يجب أن تصحح (ص١٥٠) .

[٣] أخرجه البخاري (٢/ ٢٧ برقم ١٠١٠) ، الآجُرِّيُّ في الشريعة (٥/ ٢٢٦٢ برقم ١٧٤٤) ، البغوي في شرح السُّنَّة (٤/ ٤٠٩ برقم ١١٦٥) ، البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٤٩١ برقم ٦٤٢٧) ، دلائل النبوة (٦/ ١٤٧) .

الثَّالث : أنَّ عمر أراد بالتَّوسُّل بالعبَّاس رضي الله عنهما الاقتداء برسول الله صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّم في إكرام العبَّاس وإجلاله ، صرَّح عمر نفسه بذلك كما رواه الزُّبير بن بكَّار في " الأنساب " والبلاذري في " فتوح البلدان " ، وقد ذكرت كلامه في " الردّ المحكم المتين " ، كما أنَّه مذكور في " فتح الباري " ، وغيره من كتب الحديث .

الرَّابع : أراد عمر بفعله أن يبيِّن جواز التَّوسُّل بغير النَّبي صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّم من أهل الصَّلاح ممَّن تُرجى بركته . ولذا قال الحافظ في الفتح عقب هذه القصَّة ما نصُّه : " يُستفاد من قصَّة العبَّاس استحباب الاستشفاع بأهل الصَّلاح والخير وأهل بيت النُّبوَّة " (١) .

الخامس : أراد عمر أن يبيِّن التَّوسُّل بالمفضول مع وجود الفاضل ، لأنَّه كان في ذلك الجمع من هو أفضل من العبَّاس ، كعلي وعثمان ، رضي الله عنهما .

السَّادس : أنَّ توسُّل عمر بالعبَّاس رضي الله عنهما هو في الحقيقة توسُّل بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، لأنَّ العبَّاس إنَّما توسَّل به الصَّحابة لكونه عم النَّبي ، ولمكانته منه ..." (٢) .

وقال الإمام الكوثري في تعليقه على هذا الأثر : " وفيه التَّوسُّل بالذَّات ، وادِّعاء أنَّ هناك مضافاً محذوف ، أي : بدعاء عمِّ نبيِّنا تقوُّل محضٌ بدون أي حجَّة ، كما أنَّ فرض العدول – لوفاة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم – إلى العبَّاس تقويلٌ لعمر ما لم يخطر له على بال ، بل فيه جواز التَّوسُّل بالمفضول مع وجود الفاضل ، بل التَّوسُّل بلفظ " عم نبيِّنا " توسُّلٌ بقرابة العبَّاس منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وبمنزلته لديه ، فيكون هذا التَّوسُّل توسُّلاً به ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أيضاً ، ولفظ " كنَّا " غير خاص بعهد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، بل يشمله وما بعده إلى عام الرَّمادة ، والتَّقييد تقييد بدون مقيِّد " (٣) .

فتوسُّل سيِّدنا عمر بالعبَّاس هو في حقيقته توسُّل برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، لأنَّه ما توسَّل به إلَّا لكونه عمّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ...

قال ابن عبد البر : " وَرَوَيْنَا مِنْ وُجُوهٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ – رَضِيَ الله عَنْهُ – أَنَّه خَرَجَ يَسْتَسْقِي ، فَخَرَجَ مَعَهُ العبَّاس ، فَقَالَ : اللهمَّ إِنَّا نَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّكَ وَنَسْتَشْفِعُ بِهِ فَاحْفَظْ فِينَا نَبِيَّكَ كَمَا حَفِظْتَ الْغُلَامَيْنِ

(١) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢/ ٤٩٧) .

(٢) انظر : إتحاف الأذكياء بجواز التزسُّل بالأنبياء والأولياء (ص٣٥-٣٧) .

(٣) انظر : مقالات الكوثري (ص٣٨٠) .

لِصَلَاحِ أَبِيهِمَا ، وَأَتَيْنَاكَ مُسْتَغْفِرِينَ مُسْتَشْفِعِينَ ، ثمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاس ، فَقَالَ : ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح : ١٠-١٢] ، ثمَّ قَامَ العبَّاس وَعَيْنَاهُ تَنْضَحَانِ ... " (١) .

قال الإمام ابن حجر العسقلاني : " وَقَدْ بَيَّنَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ فِي الْأَنْسَابِ صِفَةَ مَا دَعَا بِهِ العبَّاس فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ وَالْوَقْتَ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ ذَلِكَ ، فَأَخْرَجَ بِإِسْنَادٍ لَهُ أَنَّ العبَّاس لما اسْتَسْقَى بِهِ عُمَرُ ، قَالَ : اللهمَّ أَنَّه لَمْ يَنْزِلْ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ ، وَلَمْ يُكْشَفْ إِلَّا بِتَوْبَةٍ ، وَقَدْ تَوَجَّهَ الْقَوْمُ بِي إِلَيْكَ لِمَكَانِي مِنْ نَبِيِّكَ ، وَهَذِهِ أَيْدِينَا إِلَيْكَ بِالذُّنُوبِ ، وَنَوَاصِينَا إِلَيْكَ بِالتَّوْبَةِ ، فَاسْقِنَا الْغَيْثَ ، فَأَرْخَتِ السَّماء مِثْلَ الْجِبَالِ ، حَتَّى أَخْصَبَتِ الْأَرْضَ ، وَعَاشَ النَّاس . وَأَخْرَجَ أَيْضاً مِنْ طَرِيقِ دَاوُدَ ، عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنِ بن عُمَرَ ، قَالَ : اسْتَسْقَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَامَ الرَّمَادَةِ بالعبَّاس بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ ، وَفِيهِ : فَخَطَبَ النَّاس عُمَرُ ، فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كَانَ يَرَى لِلْعَبَّاسِ مَا يَرَى الْوَلَدُ لِلْوَالِدِ ، فَاقْتَدُوا أَيُّها النَّاس بِرَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي عَمِّهِ العبَّاس وَاتَّخِذُوهُ وَسِيلَةً إِلى اللهَّ " (٢) .

فالتَّوسُّل بالعبَّاس ما كان إلَّا بسبب كونه عمّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فرجع الأمر إلى كونه توسُّل بالرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، يُضاف لذلك أنَّ العبَّاس هو من كان يُعاني من جدب السَّماء ، فهو مُضطرٌ وبحاجةٍ لماء السَّماء ، وقد قال الله تعالى : ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل : ٦٢] .

قال الإمام محمَّد متولِّي الشَّعراوي (١٤١٨هـ) : " ونقول لمن يكفِّر المتوسِّلين بالنَّبي أو الولي : هذِّبوا هذا القول قليلاً ؛ إنَّ حدوث مثل هذا القول هو نتيجة عدم الفهم ، فالذي يتوسَّل إلى النَّبي أو الولي هو يعتقد أنَّ له منزلة عند الله . وهل يعتقد أحد أنَّ الوليَّ يجامله ليعطيه ما ليس له عند الله ؟ طبعاً لا . وهناك من قال : إنَّ الوسيلة بالأحياء مُمكنة ، وأنَّ الوسيلة بالأموات ممنوعة . ونقول له : أنت تضيِّق أمراً مُتسعاً ؛ لأنَّ حياة الحي لا مدخل لها بالتَّوسُّل ، فإن جاء التَّوسُّل بحضرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إلى الله ، فإنك قد جعلت التَّوسُّل بحبِّك لمن علمت أنَّه أقرب منك إلى الله ؛ فحُبك له هو الذي يشفع . وإيَّاك أن تظنَّ أنَّه سيأتي لك بما لا تستحق .

---

(١) انظر : الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمَّنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والإختصار ، (٧/ ١٥٠) .

(٢) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢/ ٤٩٧) .

والجماعة التي تقول : لا يصحُّ أن نتوسَّل بالنَّبي ؛ لأنَّ النَّبي انتقل إلى الرَّفيق الأعلى ، نقول لهم : انتظروا قليلاً وانتبهوا إلى ما قال سيِّدنا عُمر – رضوان الله عليه – ؛ قال : كنَّا في عهد رسول الله إذا امتنع المطر نتوسَّل برسول الله ونستسقي به . ولمَّا انتقل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، توسَّل بعمِّه العبَّاس . وقالوا : لو كان التَّوسُّل برسول الله جائزاً بعد انتقاله لما عدل عمر بن الخطاب – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – عن التَّوسُّل بالنَّبي بعد انتقاله ، وذهب إلى التَّوسُّل بعمِّ النَّبي . ونسأل : أقال عمر " كنا نتوسَّل بنبيِّك والآن نتوسَّل إليك بالعبَّاس ؟ أم قال : والآن نتوسَّل إليك بعمِّ نبيك " ؟ .

ولذلك فالذين يمنعون ذلك يوسِّعون الشُّقَّة على أنفسهم ؛ لأنَّ التَّوسُّل لا يكون بالنَّبي فقط ، ولكن التَّوسُّل أيضاً بمن يَمُتُّ بصلة إلى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم . فساعة يتوسَّل واحدٌ إلى غيره يعني أنَّه يعتقد أنَّ الذي توسَّل به لا يقدر على شيء ، إنَّني أتوسَّل به إلى الغير ، لأنِّي أعرف أنَّه لا يستطيع أن ينفذ لي مطلوبي . إذن فلنبعد مسألة الشِّرك بالله عن هذا المجال ، ونقول : نحن نتوسَّل به إلى غيره لأنَّنا نعلم أنَّ المتوسَّل إليه هو القادر وأنَّ المتوسَّل به عاجز ، وهذا هو منتهى اليقين ومنتهى الإيمان .

ولكن المتوسَّل به قد ينتفع وقد لا ينتفع ، وعندما توسَّل سيِّدنا عمر بالعبَّاس عَمّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، كان يفعل ذلك من أجل المطر ، والمطر في هذه الحالة لا ينتفع به رسول الله ، لذلك جاء بواحدٍ من آل البيت ، وكأنَّه قال : يا ربُّ عمُّ نبيِّك عطشان فمن أجله نريد المطر .

إذن فتوسُّل عمر بن الخطَّاب بعمِّ النَّبي دليل ضدَّ الذين يمنعون التَّوسُّل بالنَّبي بعد الانتقال إلى الرفيق الأعلى . وحتى نخرج من الخلاف . نقول : إنَّ العمل الصَّالح المتمثل في : افعل كذا ولا تفعل كذا هو الوسيلة الخالصة ، وبذلك نخلص من الخلاف ولا ندخل في متاهات " (١) .

وقَال الشَّيخ يُوسُف إسَماعيل النَّبهاني : إنَّما استَسقى عُمَرُ – رَضي اللهُ عَنْهُ – بالعبَّاس ولَمْ يستسق بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَليهِ وآله وَسَلَّم ليُبَيِّنَ للنَّاس أنَّ الاستِسْقاء بغير النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم جَائزٌ ومشروعٌ ولا حَرَجَ فيهِ ؛ لأنَّ الاستِسقاء بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَليهِ وآله وَسَلَّم كَانَ مَعلوماً عِندَهُم . فَلَرُبَّما يَتوهَّمُ بَعضُ النَّاس أنَّه لا يَجُوزُ الإستسقَاء بغير النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَبيَّنَ لَهُم عُمَرُ – رَضي اللهُ تعالى عَنْهُ – الجَوَاز .

ولو استسقى بالنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لأفهم أنَّه لا يجوز الاستسقاء بغيره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ولا يَصِحُّ أنْ يُقَال : إنَّما استسقى بالعبَّاس ولَمْ يَستسق بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لأنَّ العبَّاس حيٌّ والنَّبي صَلَّى اللهُ

(١) انظر : تفسير الشعراوي ، الخواطر (٥/ ٣١٠٧-٣١٠٨) .

عَلَيْهِ وَسَلَّم قَدْ مَات ؛ لأنَّ الاستِسقَاء إنَّما يَكُونُ بالحيِّ ، فهذا القَولُ باطِلٌ مَردُودٌ بأدِّلَّة كثيرة ؛ منْهَا : تَوسُّلُ الصَّحابة – رَضي اللهُ تعالى عَنْهُم – بِهِ بَعد وفَاتِهِ ، كَما تَقدَّمَ في القصَّة التي رَوَاهَا عُثمان بنُ حَنيف – رَضي اللهُ تعالى عَنْهُ – و كَمَا في حَديث بلال بن الحَارث المُتقدِّم ، وكَذَا تَوسُّل آدم الَّذي رَواه عُمَر – رَضي اللهُ تعالى عَنْهُ – كَمَا تَقَدَّم . فكيف يُعتقَدُ عَدَم صِحتِّه بَعد وفَاتِه . وقد روى التَّوسُّل به قبل وجوده مع أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حيٌّ في قبره .

فتلخَّص من هذا أنَّه يصحُّ التَّوسُّل به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قبل وجوده وفي حَيَاتِهِ وبَعدَ وفَاتِهِ ، وأنَّه يَصح التَّوسُّل أيضاً بغيره من الأخيَار ، كَمَا فَعَلهُ عُمر – رَضي الله تعالى عَنْهُ – حينَ استَسْقَى بالعبَّاس – رَضي اللهُ تعالى عَنْهُ – وذلك من أنواعِ التَّوسُّل كَمَا تَقَدم ... والحَاصِل أنَّ مَذهب أهِل السُّنَّة والجَمَاعَة على صِحَّة التَّوسُّل وجَوَازُه بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في حَيَاتِهِ وبَعدَ وَفَاتِهِ ، وكَذَا بغيره من الأنبيَاء والمُرسلين والأوليَاء والصَّالحين ، كَمَا دلَّت عَليهِ الأحَاديث السَّابقة ، لأنَّا مَعَاشِر أهل السُّنَّة لا نَعتَقِدُ تَأثيراً ولا خَلقاً ولا إيجَاداً ولا إعْدَاماً ولا نَفْعاً ولا ضَراً إلاَّ لله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، فَلا نَعتقِدُ تَأثيراً ولا نَفعاً ولا ضَراً للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ولا لغيره منَ الأحيَاء والأموَات .

فَلا فَرقَ في التَّوسُّل بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وغَيره منَ الأنبياء والمُرسَلين صَلواتُ الله عَليه وعلييهم أجْمَعين ، وكَذَا بالأوليَاء والصَّالحين ، لا فَرقَ بَينَ كَوْنِهم أحيَاءً أو أموَاتاً ؛ لأنَّهم لا يَخلُقُونَ شيئاً ولَيسَ لَهُم تَأثير في شيء ، وإنَّما يُتَبَرَّكَ بهم لِكَونِهم أحِبَّاءُ الله تَعَالى . والخَلقُ والتَأثيرُ لله وَحدَه لا شَريكَ لَهُ " (١) .

**الدَّلِيْلُ الثَّامِنُ :** قال الدَّارمي : حدَّثنا أَبُو النُّعْمَانِ ، حدَّثنا سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ ، حدَّثنا عَمْرُو بْنُ مَالِكٍ النُّكْرِيُّ ، حدَّثنا أَبُو الْجَوْزَاءِ أَوْسُ بْنُ عَبْدِ اللهِّ ، قَالَ : قُحِطَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ قَحْطاً شَدِيداً ، فَشَكَوْا إلى عَائِشَةَ فَقَالَتْ : " انْظُرُوا قَبْرَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَاجْعَلُوا مِنْهُ كِوًى إلى السَّماء حَتَّى لَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّماء سَقْفٌ . قَالَ : فَفَعَلُوا ، فَمُطِرْنَا مَطَراً حَتَّى نَبَتَ الْعُشْبُ ، وَسَمِنَتِ الإِبِلُ حَتَّى تَفَتَّقَتْ مِنَ الشَّحْمِ ، فَسُمِّيَ عَامَ الْفَتْقِ " (٢) .

---

(١) انظر : شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم (ص١١٧-١١٨) .

(٢) أخرجه الدارمي (١/ ٢٢٧ برقم ٩٣) .

قال الأستاذ المحقِّق محمود سعيد ممدوح في تخريجه لهذا الأثر : " قلت : هذا إسناد حسن إن شاء الله تعالى ... وبعد مناقشة مستفيضة مع من ضعَّفه من مدَّعي السَّلفيَّة ، قال : فحاصل ما تقدَّم : أنَّ هذا إسناد حسن أو صحيح ، ورجاله رجال مسلم ما خلا عمرو بن مالك النّكري ، وهو ثقة ، والله تعالى أعلم بالصَّواب " (١) .

فالذي صنعه الصَّحابة الكرام رضوان الله عليهم من فتح الكوى ، بإشارة من أمِّ المؤمنين عائشة الصِّدِّيقة هو توسُّل بقبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم طلباً للسُّقيا ، وما ذاك إلَّا لأنَّ القبر الشَّريف ضمَّ ذاته الشَّريفة ، والتي بسببها أصبح مكان القبر أشرف البقاع على وجه الأرض ، ... ولم يجد ذلكم الفعل عند أحد من الصَّحابة نكيراً ، ولم يُسمِّه أحدٌ منهم شركاً ، فكان إجماعاً ...

فهل من يدَّعون السَّلفيَّة أعلم من الصَّحابة وأحرص على سلامة الإيمان من عائشة رضي الله عنها ومن معها من الصَّحابة الكرام الذين وافقوها وبادروا إلى فعل ما أشارت به ؟!! نبِّئوني بعلم إن كنتم صادقين ...

قال الإمام الغماري نقلاً عن القاري في " شرح المشكاة " : " قيل في سبب كشف قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كان يستشفع به عند الجدب فتمطر السَّماء ، فأمرت عائشة رضي الله عنها بكشف قبره مبالغة في الاستشفاع به ، فلا يبقى بينه وبين السَّماء حجاب " (٢) .

ومن المعلوم أنَّ فَتحُ الكوَّة عِنْدَ الجَدْبِ كان سُنَّةُ أهلِ المدينة ، " قال الزين المراغي : واعلم أنَّ فتح الكوة عند الجدب سُنَّة أهل المدينة حتى الآن ، يفتحون كوة في أسفل قبة الحجرة : أي القبَّة الزَّرقاء المقدَّسة من جهة القبلة ، وإن كان السَّقف حائلاً بين القبر الشَّريف وبين السَّماء .

قلت - أي : السَّمهودي - : وسنَّتهم اليوم فتح الباب المواجه للوجه الشَّريف من المقصورة المحيطة بالحجرة ، والاجتماع هناك " (٣) .

واجتماعهم عندَ الحُجرة الشَّريفة ليس إلَّا للتَّوسُّل به صَلَّى اللهُ عَليهِ وآله وَسَلَّم وبِجَاهِهِ ...

قلت : وكعادتهم احتجَّ مدَّعو السَّلفيَّة على هذا الحديث ، وزعموا أنَّه ضعيف ...

فقد ضعَّف الألباني هذا الأثر بثلاث علل :

١ -ضعف سعيد بن زيد - أحد رواة الحديث - حيث اقتصر على النَّقل من بعض كتب التَّراجم (١) .

---

(١) انظر : رفع المنارة لتخريج أحاديث التَّوسُّل والزيارة (ص٢٥٣-٢٦١) .

(٢) انظر : الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين (ص١٩٦) .

(٣) انظر : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى (٢/ ١٢٣) .

وهذا مردودٌ لأنَّ سعيداً بن زيد من رجال مسلم ، ووثَّقه غير واحد من العلماء ، فقال الدُّوري : " عن يحيى بن معين ، وقال ابن عدي : هو عندي في جملة من يُنسب إلى الصِّدق ، وقال ابن حبَّان : صدوق (٢) . وقد ذكره الذَّهبي في " جزء من تكلِّم فيه وهو ثقة " (٣) ، وعليه فإنَّ سعيد بن زيد لا ينزل عن درجة الحسن .

٢-اختلاط أبي النُّعمان (٤) ، واسمه محمَّد بن الفضل المعروف بعارم شيخ البخاري .

وهذا مردودٌ بأَنَّ اختلاط أبي النُّعمان لم يؤثر في روايته ، قال الدَّارقطني : تغيَّر بآخره ، وما ظهر له بعد اختلاطه حديث منكر وهو ثقة . وقول ابن حبَّان : وقع في حديثه المناكير الكثيرة بعد اختلاطه . ردَّه الذَّهبي فقال : لم يقدر ابن حبَّان أن يسوق له حديثاً منكراً .

والقول فيه ما قاله الدَّارقطني . وبمثل قول الدَّارقطني قال الذَّهبي في السِّير ، وابن حجر في التَّهذيب (٥) .

٣-أنَّه موقوف على عائشة رضي الله عنها ، وليس مرفوعاً إلى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ولو صحَّ لم تكن فيه حجَّة ... (٦) .

والجواب على ما ذكره الألباني بأنَّ الحديث صحيح - كما بيَّنَّا - بلا شكٍّ وريبة ، وهو حجَّة من وجهين :

-أنَّ بصحَّته سقط كلام الألباني وتمويهه في التَّضعيف ، وثبت أنَّ التَّوسُّل مذهب للسيِّدة عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها .

-أنَّه اتِّفاق من حضر من المسلمين صحابة ممَّن كانوا صحابة وغيرهم ، وفي ذلك تثبيت مع أثر عثمان بن حنيف في إرشاد الرَّجل للتَّوسُّل بعد وفاة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم (٧) .

**الدَّلِيْلُ التَّاسِعُ :** وروى الطَّبراني ، قال : " حدَّثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ نَائِلَةَ الْأَصْبَهَانِيُّ ، ثنا الْحَسَنُ بْنُ عُمَرَ بْنِ شَقِيقٍ ، ثنا مَعْرُوفُ بْنُ حَسَّانَ السَّمَرْقَنْدِيُّ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ

---

(١) انظر : التَّوسُّل (ص١٤٠) .

(٢) انظر : تهذيب الكمال (١٠/ ٤٤٣) ، تهذيب التهذيب (٤/ ٢٩) .

(٣) انظر : جزء من تكلم فيه (ص ٨٥) .

(٤) انظر : التَّوسُّل ، الألباني (ص١٤١) .

(٥) انظر : سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٦٨) ، تهذيب التهذيب (٩/ ٣٤٩) ، ميزان الاعتدال (٤/ ٧-٨) .

(٦) انظر : التَّوسُّل (ص١٤١) .

(٧) انظر : هامش ارغام المبتدع (ص٢٤ بتصرُّف) .

بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " إِذَا انْفَلَتَتْ دَابَّةُ أَحَدِكُمْ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَلْيُنَادِ : يَا عِبَادَ الله ، احْبِسُوا عَلَيَّ ، يَا عِبَادَ الله احْبِسُوا عَلَيَّ ؛ فَإِنَّ للهِ فِي الْأَرْضِ حَاضِراً سَيَحْبِسُهُ عَلَيْكُمْ " (١) .

فَفي هَذا الحَديث نِداء وطَلَبُ نِعَم التَسبُب في ذلكَ من عِبَاد الله تعالى الَّذين لَمْ يُشَاهدهُم . وقال الطَّبراني : " حدَّثنا الْحُسَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ التُّسْتَرِيُّ ، ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوفِيّ ، ثَنَا عَبْدُ الرَّحمن بْنُ سَهْلٍ ، حدَّثني أَبِي ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عِيسَى ، عَنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ ، عَنْ عُتْبَةَ بْنِ غَزْوَانَ ، عَنْ نَبِيِّ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَالَ : " إِذَا أَضَلَّ أَحَدُكُمْ شَيْئاً أَوْ أَرَادَ أَحَدُكُمْ عَوْناً وَهُوَ بِأَرْضٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسٌ ، فَلْيَقُلْ : يَا عِبَادَ الله أَغِيثُونِي ، يَا عِبَادَ الله أَغِيثُونِي ، فَإِنَّ للهِ عِبَاداً لَا نَرَاهُمْ " وَقَدْ جُرِّبَ ذَلِكَ (٢) .

وفي الحديث دلاله على الاستغاثة وطلب العون والمساعدة من مخلوقات لا نراها ، وفيه نوع من أنواع التَّوسُّل وطلب العون من تلك المخلوقات فيما يقدرون عليه ، مع الإيمان المطلق بأن لا غياث ولا مغيث حقَّاً إلَّا الله تعالى ، فالغوت ليس إلَّا منه تعالى ، وإن كان سبحانه أجرى بفضله وكرمه ومنَّته الإغاثة على يد بعض خلقه على سبيل الكسب ...

**الدَّلِيْلُ العَاشِرُ** : وروى البيهقي قال : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الله الْحَافِظُ ، ومحمَّد بْنُ مُوسَى ، قَالَا : نا أَبُو العبَّاس الْأَصَمُّ ، نا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ ، نا رَوْحٌ ، نا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، ح وَأَخْبَرَنَا أَبُو زَكَرِيَّا بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ ، أنا أَبُو عَبْدِ الله بْنُ يَعْقُوبَ ، نا محمَّد بْنُ عَبْدِ الوهَّاب ، نا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ ، أنا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، عَنْ أَبَانَ بْنِ صَالِحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، عَنِ ابْنِ عبَّاس ، قَالَ : " إِنَّ للهِ عَزَّ وَجَلَّ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ سِوَى الْحَفَظَةِ يَكْتُبُونَ مَا يَسْقُطُ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ ، فَإِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ عَرْجَةٌ فِي الْأَرْضِ لَا يَقْدِرُ فِيهَا عَلَى الْأَعْوَانِ فَلْيَصِحْ ، فَلْيَقُلْ : عِبَادَ الله أَغِيثُونَا أَوْ أَعِينُونَا رَحِمَكُمُ اللهُ ، فَإِنَّهُ سَيُعَانُ " لَفْظُ حَدِيثِ جَعْفَرٍ ، وَفِي رِوَايَةِ رَوْحٍ : " إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يُسَمَّونَ

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٢١٧ برقم ١٠٥١٨) ، ابن السني في عمل اليوم والليلة سلوك النَّبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد (ص٤٥٥ برقم ٥٠٨) ، أبو يعلى في المسند (٩/ ١٧٧ برقم ٥٢٦٩) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/ ١٣٢ برقم ١٧١٠٥ ، وقال : رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى ، وَالطَّبَرَانِيُّ ، وَزَادَ : " " سَيَحْبِسُهُ عَلَيْكُمْ " . وَفِيهِ مَعْرُوفُ بْنُ حَسَّانَ ، وَهُوَ ضَعِيفٌ) .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ١١٧ برقم ٢٩٠) ، الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/ ١٨٨ برقم ١٧١٠٣) ، وقال : رواه الطبراني ورجاله وثقوا على ضعف في بعضهم إلا أن زيد بن علي لم يدرك عتبة .

الْحَفَظَةَ ، يَكْتُبُونَ مَا يَقَعُ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ ، فَمَا أَصَابَ أَحَداً مِنْكُمْ عَرْجَةٌ أَوِ احْتَاجَ إِلى عَوْنٍ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ فَلْيَقُلْ : أَعِينُونَا عِبَادَ اللهِ ، رَحِمَكُمُ اللهُ ، فَإِنَّهُ يُعَانُ إِنْ شَاءَ اللهُ " (١) .

قال الإمام عبد الله بن الصدِّيق الغماري : " ففي هذا الحديث جواز استغاثة المخلوق، والاستعانة به، وذلك لا يكون بالضّرورة إلّا فيما يقدر عليه، ويليق به، أمَّا الإغاثة المطلقة، والإعانة المطلقة، فهما مختصَّان بالله تعالى، لا يطلبان إلَّا منه، وهذا معلوم من الدِّين بالضّرورة " (٢) .

**الدَّلِيْلُ الحَادِيْ عَشَر :** وذكر الإمام عمر بن زيد بن عبيدة بن ريطة النّميري البصري ، أبو زيد ابن شبة (٢٦٢هـ) في تاريخ المدينة أنَّ عليَّاً لقي سَعْداً ، فَقَال : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء : ١] : أَسْأَلُكَ بِرَحِمِ ابْنِي هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَبِرَحِمِ عَمِّي حَمْزَةَ مِنْكَ ، أَنْ لَا تَكُونَ مَعَ عَبْدِ الرَّحمن لِعُثْمَانَ ظَهِيراً عَلَيَّ " (٣) .

والأثر فيه توسُّل إلى الله تعالى بالرَّحم ... لأنَّ الأرحام تُوجب لبعض على البعض العديد من الحقوق ...

قال الإمام ابن تيمية : قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ ﴾ [النساء:١] . فَعَلَى قِرَاءَةِ الْجُمْهُورِ بِالنَّصْبِ: إِنَّمَا يَسْأَلُونَ بِاَللَّهِ وَحْدَهُ لَا بِالرَّحِمِ وَتَسَاؤُلُهُمْ بِاَللَّهِ تَعَالَى يَتَضَمَّنُ إقْسَامَ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ بِاَللَّهِ وَتَعَاهُدَهُمْ بِاَللَّهِ. وَأَمَّا عَلَى قِرَاءَةِ الْخَفْضِ فَقَدْ قَالَ طَائِفَةٌ مِنْ السَّلَفِ: هُوَ قَوْلُهُمْ أَسْأَلُك بِاَللَّهِ وَبِالرَّحِمِ وَهَذَا إخْبَارٌ عَنْ سُؤَالِهِمْ وَقَدْ يُقَالُ إنَّهُ لَيْسَ بِدَلِيلٍ عَلَى جَوَازِهِ فَإِنْ كَانَ دَلِيلاً عَلَى جَوَازِهِ فَمَعْنَى قَوْلِهِ أَسْأَلُك بِالرَّحِمِ لَيْسَ إقْسَاماً بِالرَّحِمِ – وَالْقَسَمُ هُنَا لَا يَسُوغُ – لَكِنْ بِسَبَبِ الرَّحِمِ أَيْ لِأَنَّ الرَّحِمَ تُوجِبُ لِأَصْحَابِهَا بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ حُقُوقاً كَسُؤَالِ الثَّلَاثَةِ للهَّ تَعَالَى بِأَعْمَالِهِمْ الصَّالِحَةِ وَكَسُؤَالِنَا بِدُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَفَاعَتِهِ. وَمِنْ هَذَا الْبَابِ مَا رُوِيَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّ ابْنَ أَخِيهِ عَبْدَ اللهَّ بْنَ جَعْفَرٍ كَانَ إذَا سَأَلَهُ بِحَقِّ جَعْفَرٍ

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٠/ ١٤٠ برقم ٧٢٩٧) ، البزار في المسند (١١/ ١٨١ برقم ٤٩٢٢) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/ ١٣٢ برقم ١٧١٠٤) .

(٢) انظر : الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين (ص٤٢) .

(٣) انظر : تاريخ المدينة ،ابن شبة (٣/ ٩٢٤) .

أَعْطَاهُ وَلَيْسَ هَذَا مِنْ بَابِ الْإِقْسَامِ؛ فَإِنَّ الْإِقْسَامَ بِغَيْرِ جَعْفَرٍ أَعْظَمُ بَلْ مِنْ بَابِ حَقِّ الرَّحِمِ لِأَنَّ حَقَّ اللهِ إنَّمَا وَجَبَ بِسَبَبِ جَعْفَرٍ وَجَعْفَرٌ حَقُّهُ عَلَى عَلِيٍّ " (١) .

وقال أيضاً : " فَإِنْ قِيلَ: فَقَدْ يَقُولُ الرَّجُلُ لِغَيْرِهِ بِحَقِّ الرَّحِمِ قِيلَ: الرَّحِمُ تُوجِبُ عَلَى صَاحِبِهَا حَقّاً لِذِي الرَّحِمِ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾ وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " الرَّحِمُ شَجْنَةٌ مِنْ الرَّحْمَنِ مَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللهَّ " ، وَقَالَ " لَمَّا خَلَقَ اللهُ الرَّحِمَ تَعَلَّقَتْ بِحَقْوَيْ الرَّحْمَنِ وَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِك مِنْ الْقَطِيعَةِ فَقَالَ: أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَك وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَك؟ قَالَتْ: بَلَى قَدْ رَضِيت " ، وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا الرَّحْمَنُ خَلَقْت الرَّحِمَ وَشَقَقْت لَهَا اسْماً مِنْ اسْمِي فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْته وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتّهُ " ...

وَالَّذِي قَالَهُ أَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُ وَغَيْرُهُمْ مِنْ الْعُلَمَاءِ - مِنْ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُسْأَلَ اللهُ تَعَالَى بِمَخْلُوقٍ: لَا بِحَقِّ الْأَنْبِيَاءِ وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ - يَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ كَمَا تَقَدَّمَ. (أَحَدُهُمَا) الْإِقْسَامُ عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهِ وَهَذَا مَنْهِيٌّ عَنْهُ عِنْدَ جَمَاهِيرِ الْعُلَمَاءِ كَمَا تَقَدَّمَ كَمَا يُنْهَى أَنْ يُقْسَمَ عَلَى اللهَّ بِالْكَعْبَةِ وَالْمَشَاعِرِ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ. و (الثَّانِي) السُّؤَالُ بِهِ فَهَذَا يُجَوِّزُهُ طَائِفَةٌ مِنْ النَّاسِ وَنُقِلَ فِي ذَلِكَ آثَارٌ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ وَهُوَ مَوْجُودٌ فِي دُعَاءِ كَثِيرٍ مِنْ النَّاسِ " (٢) .

**الدَّلِيْلُ الثَّانِي عَشَر :** وجاء في حديث الشَّفاعة الذي رواه البخاري وغيره مرفوعاً : " ... فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ اسْتَغَاثُوا بِآدَمَ ، ثمَّ بِمُوسَى ، ثمَّ بمحمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم " (٣) .

والحديث يدلُّ على أنَّ الاستغاثة جائزة ، وهي في هذا الباب كالتَّوسُّل . فإذا كان التَّوسُّل شركاً ، فهل يقال : إنَّ الشِّرك مُباح في يوم المحشر ، كما يقول المتعنِّتون المتمسلفون المتنطِّعون ؟!!!

**الدَّلِيْلُ الثَّالِثُ عَشَر :** وقال ابن أبي عاصم : حدَّثنا أَبُو عُمَيْرٍ ، نا ضَمْرَةُ ، عَنِ ابْنِ أَبِي حَمَلَةَ ، قَالَ : أَصَابَ النَّاس قَحْطٌ بِدِمَشْقَ ، وَعَلَى النَّاس الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ ، فَخَرَجَ يَسْتَسْقِي ، فَقَالَ : " أَيْنَ يَزِيدُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْجُرَشِيُّ ؟ ، فَلَمْ يُجِبْهُ ، فَقَالَ : " أَيْنَ يَزِيدُ بْنُ الْأَسْوَدِ ؟ ، فَلَمْ يُجِبْهُ ، فَقَالَ : " أَيْنَ يَزِيدُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْجُرَشِيُّ ؟ ، فَقَالَ : " عَزَمْتُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ يَسْمَعُ صَوْتِي إِلَّا قَامَ " ، فَقَامَ يَزِيدُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، فَثَنَى جَانِبَي الْبُرْنُسِ عَلَى عَاتِقِهِ ثمَّ قَالَ : "

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١/ ٣٣٩) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (١/ ٢٢١-٢٢٢) .

(٣) أخرجه البخاري ( ٢/ ١٢٣ برقم ١٤٧٥) ، البغوي في شرح السُّنَّة ( ٦/ ١١٩ برقم ١٦١٢) .

اللهمَّ إِنَّ عِبادَكَ قَدْ تَقَرَّبُوا بِي إِلَيْكَ فَاسْقِهِمْ " ، قَالَ : فَمَا انْصَرَفُوا إِلَّا وَهُمْ يَخُوضُونَ الْأَوْدِيَةَ ، ثمَّ قَالَ : " اللهمَّ أنَّه قَدْ شَهَرَنِي فَأَرِحْنِي " قَالَ : فَمَا أَتَى عَلَيْهِ جُمُعَةٌ حَتَّى مَاتَ ، أَوْ قُتِلَ (١) .

والأثر واضح الدّلالة على التّوسُّل إلى الله تعالى بالصَّالحين ...

**الدَّلِيْلُ الرَّابعُ عَشَر :** قال الإمام أبو القاسم سليمان بن أحمد الطَّبراني (٣٦٠هـ) : " حدَّثنا أَحْمَدُ بْنُ حَمَّادِ بْنِ زُغْبَةَ ، حدَّثنا رَوْحُ بْنُ صَلاَحٍ ، حدَّثنا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ ، عَنْ عَاصِمٍ الأَحْوَلِ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : لما مَاتَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمٍ أُمُّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، دَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : فَجَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهَا فَقَالَ : رَحِمَكِ الله يَا أُمِّي ، كُنْتِ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي ، وتُشْبِعِينِي وتَعْرَيْنَ ، وتُكْسِينِي ، وتَمْنَعِينَ نَفْسَكِ طَيِّباً ، وتُطْعِمِينِي تُرِيدِينَ بِذَلِكَ وَجْهَ الله وَالدَّارَ الآخِرَةَ ، ثمَّ أَمَرَ أَنْ تُغَسَّلَ ثَلاَثاً ، فلمَّا بَلَغَ الْماءُ الَّذِي فِيهِ الْكَافُورُ سَكَبَهُ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بِيَدِهِ ، ثمَّ خَلَعَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَمِيصَهُ فَأَلْبَسَهَا إِيَّاهُ وَكَفَّنَهَا بِبُرْدٍ فَوْقَهُ ، ثمَّ دَعَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ، وَأَبَا أَيُّوبَ الأَنْصَارِيَّ ، وَعُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، وَغُلاَماً أَسْوَدَ يَحْفُرُونَ فَحَفَرُوا قَبْرَهَا فلمَّا بَلَغُوا اللَّحْدَ حَفَرَهُ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بِيَدِهِ ، وَأَخْرَجَ تُرَابَهُ بِيَدِهِ ، فلمَّا فَرَغَ دَخَلَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : فَاضْطَجَعَ فِيهِ ، ثمَّ قَالَ : الله الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ ، اغْفِرْ لأُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ ، ولَقِّنْهَا حُجَّتَها ، وَوَسِّعْ عَلَيْهَا مُدْخَلَهَا ، بِحَقِّ نَبِيِّكَ وَالأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي فَإِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَكَبَّرَ عَلَيْهَا أَرْبَعاً ، وأَدْخَلُوها اللَّحْدَ هُوَ وَالْعَبَّاسُ ، وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ الله عَنْهُمْ " (٢) .

وفي الحديث توسُّلٌ من الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إلى الله تعالى بحقِّه وحقِّ الأنبياء والصَّالحين ...

**الدَّلِيْلُ الخَامِسُ عَشَر :** وقال الإمام أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بنُ عَمْرٍو البَصْرِيُّ الشَّيخ ، الإِمَامُ ، الحَافِظُ الكَبِيْرُ ، أَبُو بَكْرٍ أَحْمَد بن عَمْرِو بنِ عَبْدِ الخَالِقِ البَصْرِيُّ ، البَزَّارُ (٢٩٢هـ) : " حدَّثنا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى ، قَالَ : حدَّثنا عَبْدُ الْمَجِيدِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي رَوَّادَ ، عَنْ سُفْيَانَ ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ السَّائِبِ ، عَنْ زَاذَانَ ، عَنْ عَبْدِ الله ، عَنِ النَّبي

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٦/ ١١٩ برقم١٦٢٢) .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٤/ ٣٥١ برقم ٨٧١) ، الأوسط (١/ ٦٧ برقم ١٨٩) ، والحديث حسَّن إسناده المحقق الأستاذ محمود سعيد ممدوح في رفع المنارة لتخريج أحاديث التَّوسُّل والزيارة (ص١٤٨) .

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، قَالَ : " حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحَدِّثُونَ وَنُحَدِّثُ لَكُمْ ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ ، فَمَا رَأَيْتُ مِنَ خَيْرٍ حَمِدْتُ اللهَ عَلَيْهِ ، وَمَا رَأَيْتُ مِنَ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللهَ لَكُمْ " (١) .

فالحديث دليل على صحَّة الإستغفار من الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، لأنَّه حيٌّ في قبره عليه الصَّلاة والسَّلام ، فمن استغاث به أو توسَّل بجنابه أغاثه وسأل الله له حاجته ، والحديث مؤكِّد لما فهمه العلماء من آية المجيء إليه ، وأنَّها تفيد العُموم لحالتي الموت والحياة ، واستحبُّوا لمن أتى القبر أن يتلوها ، وبالتَّالي فلا حجَّة لمن قال : إنَّ استغفار النَّبي بعد موته أمرٌ متعذِّر ...

**الدَّلِيْلُ السَّادِسُ عَشَر :** وممَّا يُستدلُّ به على جواز التَّوسُّل بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بعد انتقاله إلى الرَّفيق الأعلى : القياس على ما كان عليه الصَّحابة الكرام من التَّبرُّك بآثار الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم المنفصلة منه في حال حياته وبعد مماته . فقد حملت السُّنَّة المطهَّرة أنواناً عديدة من تبرُّك الصَّحابة بآثاره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في حياته مع إقراره لهم على تبرُّكهم ، كما تبرَّكوا بما وجدوا من آثاره بعد وفاته ، وفي هذا دلالة على الصَّحابة الكرام عرفوا أنَّ التَّبرُّك بآثاره بعد مماته يأخذ نفس الحكم ، ولذا استشفوا بآثاره وتبرَّكوا بها ، مع إيمانهم المطلق أنَّ اله تعالى وحده الشَّافي والكافي والمعافي ...فجاه الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ومكانته عند ربِّه تعالى لا تزول أبداً بالموت ، لأنَّ الموت ما هو إلَّا انتقال من دار إلى دار ، فجاهه لا يتغيَّر ولا يتبدَّل ولا ينقص منه شيء ، فهو على حاله وكماله كما لو كان حيّاً ، لأنَّ الأنبياء أحياء في قبورهم يصلُّون ، وقد حرَّم الله على الأرض أن تأكل أجسادهم ...

---

(١) أخرجه البزار في المسند (٥/ ٣٠٨ برقم ١٩٢٥) ، الحارث في مسنده (٢/ ٨٨٤ برقم ٩٥٣) ، القاضي أبو إسحاق الجهضمي في فضل الصَّلاة على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، (ص٣٨ برقم ٢٥) ، تحقيق : محمَّد ناصر الدِّين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الثالثة ، ١٣٩٧ه ، وذكره ابن حجدر العسقلاني في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية (١٥/ ٥٨٥ برقم ٣٨٢٤) ، وذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٤ برقم ١٤٢٥٠ ، وقال : رَوَاهُ الْبَزَّارُ ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ)، وقال العراقي : إسناده جيد . انظر : طرح التثريب في شرح التقريب ، العراقي (٣/ ٢٩٧) ، وقال السَّيوطي في الخصائص الكبرى : وَأخرج الْبَزَّار بِسَنَد صَحِيح من حَدِيث ابْن مَسْعُود مثله . الخصائص الكبرى ، جلال الدِّين السَّيوطي (٢/ ٤٩١) . وقال المحقق الأستاذ محمود سعيد ممدوح في تخريجه للحديث : ولشيخنا العلَّامة المحقق السيد عبد الله بن الصديق الغماري الحسني رحمه الله تعالى ونوَّر مرقده في هذا الحديث جزء مفيد مطبوع اسمه " نهاية الآمال في شرح وتصحيح حديث عرض الاعمال " . ورجال السند ثقات ، وعبد المجيد بن عبد العزيز بن أبى رواد ثقة أيضاً احتجَّ به مسلم ، ثمَّ ناقش من ضعَّف الحديث من مدَّعي السَّلفيَّة مناقشة مستفيضة تركتهم يضربون أخماساً بأسداس ، حيث لا مناص ولا حجة ولا سبيل لهم لتضعيف الحديث ... انظر : المنارة لتخريج أحاديث التَّوسُّل والزيارة ، محمود سعيد ممدوح (ص١٥٦ فما بعدها) .

وروى البخاري ، قال : " حدَّثنا سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ ، قَالَ : حدَّثني اللَّيْثُ ، قَالَ : حدَّثني عُقَيْلٌ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي مَحْمُودُ بْنُ الرَّبِيعِ الأَنْصَارِيُّ ، أَنَّ عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم مِمَّنْ شَهِدَ بَدْراً مِنَ الأَنْصَارِ أَنَّه أَتَى رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهَّ قَدْ أَنْكَرْتُ بَصَرِي ، وَأَنَا أُصَلِّي لِقَوْمِي فَإِذَا كَانَتِ الأَمْطَارُ سَالَ الوَادِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ ، لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ آتِيَ مَسْجِدَهُمْ فَأُصَلِّيَ بِهِمْ ، وَوَدِدْتُ يَا رَسُولَ اللهَّ ، أَنَّكَ تَأْتِينِي فَتُصَلِّيَ فِي بَيْتِي ، فَأَتَّخِذَهُ مُصَلًّى ، قَالَ : فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " سَأَفْعَلُ إِنْ شَاءَ الله " ، قَالَ عِتْبَانُ : فَغَدَا رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَأَبُو بَكْرٍ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ ، فَاسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَأَذِنْتُ لَهُ ، فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى دَخَلَ البَيْتَ ، ثمَّ قَالَ : " أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ " قَالَ : فَأَشَرْتُ لَهُ إِلى نَاحِيَةٍ مِنَ البَيْتِ ، فَقَامَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَكَبَّرَ ، فَقُمْنَا فَصَفَّنَا فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثمَّ سَلَّمَ ... " (١) .

فهذا الصَّحابي الجليل رضي الله عنه دعا النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إلى بيته ليصلِّي فيه كي يتبرَّك بالموضع الذي صَلَّى فيه النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام ، وقد أجابه الرَّسول إلى دعوته ولم ينكر عليه.....

قال الإمام ابن بطَّال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (٤٤٩هـ) : " قال المهلَّب : وفيه التَّبرُّك بمصلَّى الصَّالحين ومساجد الفاضلين . وفيه : أنَّه من دُعي من الصَّالحين إلى شيء يتبرَّك به منه ، فله أن يجيب إذا أمن الفتنة من العجب " (٢) .

وقال الإمام أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيى بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) : " وَفِي حَدِيثِ عِتْبَانَ هَذَا فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ ... وَمِنْهَا : التَّبرُّك بِالصَّالِحِينَ ، وَآثَارِهِمْ ، والصَّلاة فِي المُوَاضِعِ الَّتِي صَلَّوْا بِهَا ، وَطَلَبُ التَّبْرِيكِ مِنْهُمْ " (٣) .

وقال الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشَّافعي (٨٥٢هـ) في شرحه للحديث : " ... وَفِيهِ التَّبرُّك بِالمُوَاضِعِ الَّتِي صَلَّى فِيهَا النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَوْ وَطِئَهَا ، وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ : أَنَّ مَنْ دُعِيَ مِنَ الصَّالحين ليتبرك بِهِ أَنَّه يُجِيب إِذَا أَمِنَ الْفِتْنَةَ " (٤) .

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٩٢ برقم ٤٢٥) ، مسلم (١/ ٤٥٥ برقم ٣٣) .

(٢) انظر : شرح صحيح البخاري (٢/ ٧٧) .

(٣) انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٥/ ١٦١) .

(٤) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ٥٢٢) .

وروى الشَّيخان بسندهما عن يزيد بن أبي عبيد ، قال : كنت آتي مع مسلمة بن الأكوع ، فيصلِّي عند الاسطوانة التي عند المصحف ، فقلت : يا أبا مسلم ، أراك تتحرَّى الصَّلاة عند هذه الأسطوانة ؟ قال : فإنِّي رأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يتحرَّى الصَّلاة عندها (١) .

قال الإمام النووي (٦٧٦هـ) : " وفي هذا أنَّه لا بأس بإدامة الصَّلاة في موضع واحد إذا كان فيه فضل " (٢) .

قلت : وهل هناك فضلٌ أعظم من أن يُلامس الإنسان بحرِّ وجهه مكاناً مَّسه وجه الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، يتبرَّك بذلك ...؟

قال الحافظ ابن حجر (٨٥٢هـ) : " والأسطوانة المذكورة حقَّق لنا بعض مشايخنا أنَّها المتوسطة في الرَّوضة المكرَّمة ، وأنَّها تُعرف باسطوانة المهاجرين ، قال : وروي عن عائشة : أنَّها كانت تقول : لو عرفها النَّاس لاضطربوا عليها بالسِّهام . وأنَّها أسرَّتها إلى ابن الزُّبير ، فكان كثير الصَّلاة عندها . ثمَّ وجدت ذلك في تاريخ المدينة لابن النَّجَّار ، وزاد : أنَّ المهاجرين من قريش كانوا يجتمعون عندها " (٣) .

قلت : ولا يكون الاضطراب عليها والاجتماع عندها من قِبل النَّاس إلَّا لطلب بركة ذلك الموضع الذي كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يُكثر من الصَّلاة فيه .

قال الحافظ ابن حجر (٨٥٢هـ) : "ومحصّل ذلك أنَّ ابن عمر كان يتبرَّك بتلك الأماكن ، وتشدُّده في الاتباع مشهور ، ولا يُعارض ذلك ما ثبت عن أبيه أنَّه رأى النَّاس في سفر يتبادرون إلى مكان فسأل عن ذلك ، فقالوا : قد صَلَّى فيه النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فقال : من عرضت له الصَّلاة فليصلِّ وإلَّا فليمض ، فإنَّما هلك أهل الكتاب لأنَّهم تتبَّعوا آثار أنبيائهم فاتَّخذوها كنائس وبِيَعَاً ، لأنَّ ذلك من عمر محمول على أنَّه كره زيارتهم لمثل ذلك بغير صلاة أو خشي أن يشكل ذلك على من لا يعرف حقيقة الأمر فيظنّه واجباً ، وكلا الأمرين ، مأمون من ابن عمر ، وقد تقدَّم حديث عتبان وسؤاله النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : أن يصلِّي في بيته ليتَّخذه مصلًّى وإجابة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إلى ذلك ، فهو حجَّة في التَّبرُّك بآثار الصَّالحين " (٤) .

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٠٦ برقم ٥٠٢) ، مسلم (١/ ٣٦٤ برقم ٥٠٩) ، أحمد في المسند (٤/ ٤٨ برقم ١٦٦٣١) ، البيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٣٨٥ برقم ٣٤٧١) .

(٢) انظر : صحيح مسلم بشرح النووي (٤/ ٢٢٦) .

(٣) انظر : فتح الباري (١/ ٥٧٧) .

(٤) انظر : فتح الباري (١/ ٥٦٩) .

وروى أحمد ، والنَّسائي ، وغيرهما بسندهم عن عاصم الأحوال عن أبي مجلز أنَّ أبا موسى كان بين مكَّة والمدينة ، فصلَّى العشاء ركعتين ثمَّ قام فصلَّى ركعة أوتر بها فقرأ بمائة أية من النِّساء ثمَّ قال : ما ألوت أن أضع قدمي حيث وضع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قدميه وأنا أقرأ بما قرأ به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم (١) .

وروى النَّسائي أيضا بسنده عن أنس بن مالك أنَّ أُم سليم سألت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أن يأتيها فيصلِّي في بيتها فتتَّخذه مصلًّى ، فأتاها فعمدت إلى حصير فنضحته بماء فصلَّى عليه وصلُّوا معه (٢) .

فالرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يعلم أنَّها ما دعته للصَّلاة في بيتها إلَّا من أجل التَّبرُّك بموضع صلاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ومع ذلك أجابها إلى طلبها وأقرَّها ...

وكذا تبرَّك الصَّحابة بالمواضع التي مسَّتها يدُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وهذا ثابت عن عدد من الصَّحابة ، بل ثبت أنَّ الصَّحابة كانوا يطلبون منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أن يدعو لأبنائهم ، فكان يمسح على رؤوسهم ويدعو لهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ...

قال الإمام أحمد بن حنبل : " حدَّثنا أَبُو سَعِيدٍ ، مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ ، حدَّثنا ذَيَّالُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ حَنْظَلَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ حَنْظَلَةَ بنَ حِذْيَم جدِّي ، أَنَّ جَدَّهُ حَنِيفَةَ ، قَالَ لِحِذْيَمٍ : اجْمَعْ لِي بَنِيَّ ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُوصِيَ ، فَجَمَعَهُمْ ، فَقَالَ : إِنَّ أَوَّلَ مَا أُوصِي أَنَّ لِيَتِيمِي هَذَا الَّذِي فِي حِجْرِي مِئَةً مِنَ الإِبِلِ ، الَّتِي كُنَّا نُسَمِّيهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ : الْمُطَيَّبَةَ ، فَقَالَ حِذْيَمٌ : يَا أَبَتِ ، إِنِّي سَمِعْتُ بَنِيكَ يَقُولُونَ : إِنَّما نُقِرُّ بِهَذَا عِنْدَ أَبِينَا ، فَإِذَا مَاتَ رَجَعْنَا فِيهِ ، قَالَ : فَبَيْنِي وَبَيْنَكُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فَقَالَ حِذْيَمٌ : رَضِينَا ، فَارْتَفَعَ حِذْيَمٌ ، وَحَنِيفَةُ ، وحَنْظَلَةُ مَعَهُمْ غُلَامٌ ، وَهُوَ رَدِيفٌ لِحِذْيَمٍ ، فلمَّا أَتَوُا النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، سَلَّمُوا عَلَيْهِ ، ... وفيه : فَدَنَا بِي إلى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فَقَالَ : إِنَّ لِي بَنِينَ ذَوِي لِحًى ، وَدُونَ ذَلِكَ ، وَإِنَّ ذَا أَصْغَرُهُمْ ، فَادْعُ اللهَّ لَهُ ، فَمَسَحَ رَأْسَهُ ، وَقَالَ : بَارَكَ اللهُ فِيكَ ، أَوْ بُورِكَ فِيهِ .

قَالَ ذَيَّالٌ : فَلَقَدْ رَأَيْتُ حَنْظَلَةَ ، يُؤْتَى بِالإِنْسَانِ الْوَارِمِ وَجْهُهُ ، أَوِ بِالْبَهِيمَةِ الْوَارِمَةِ الضَّرْعُ ، فَيَتْفُلُ عَلَى يَدَيْهِ ، وَيَقُولُ : بِسْمِ اللهِ ، وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ ، وَيَقُولُ عَلَى مَوْضِعِ كَفِّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فَيَمْسَحُهُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ ذَيَّالٌ : فَيَذْهَبُ الْوَرَمُ " (١) .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٣١٩ برقم ١٩٩٩٨) ، النسائي في السنن الكبرى (١/ ٤٤٦ برقم ١٤٢٤) ، البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٧ برقم ٤٧٨٨) ،الطيالسي في المسند (١/ ٤١٣ برقم ٥١٤) .

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١/ ٤٠٣ برقم ٨١٨) .

ومن شدَّة حرصهم رضوان الله عليهم على الجزء الممسوح عليه من شعر الرَّأس كانوا لا يجزُّونه بل تركوه يسترسل حتى بلغ الأرض ، ومن ذلك ما رواه الحاكم بسنده عن صفيَّة بنت مجزاة عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ مَجْزَأَةَ، أَنَّ أَبَا مَحْذُورَةَ، كَانَتْ لَهُ قُصَّةٌ فِي مُقَدَّمِ رَأْسِهِ إِذَا قَعَدَ أَرْسَلَهَا فَتَبْلُغُ الْأَرْضَ فَقَالُوا لَهُ: أَلَا تَحْلِقُهَا؟ فَقَالَ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسَحَ عَلَيْهَا بِيَدِهِ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَحْلِقَهَا حَتَّى أَمُوتَ» فَلَمْ يَحْلِقْهَا حَتَّى مَاتَ " (٢) .

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَتْ لِي ذُؤَابَةٌ، فَقَالَتْ لِي أُمِّي: لَا أَجُزُّهَا، «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمُدُّهَا، وَيَأْخُذُ بِهَا» (٣) .

قال الإمام الذَّهبي : " وقد كان ثابت البنائي إذا رأى أنس بن مالك أخذ يده فقبَّلها ، ويقول : يد مسَّت يد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فنقول نحن إذ فاتنا ذلك : حجرٌ مُعظمٌ بمنزلة يمين الله في الأرض مسَّته شفتا نبيّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لاثماً له ، فإذا فاتك الحجّ وتلقَّيت الوفد فالتزم الحاج وقبِّل فمه ، وقُل : فمٌ مسَّ بالتَّقبيل حجراً قبَّله خليلي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم (٤) .

وروى مسلم بسنده عن أبي أيوب أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم نزل عليه ... فكان يصنع للنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم طعاماً ، فإذا جيء به إليه سأل عن موضع أصابعه ، فيتتبَّع موضع أصابعه (٥) ...

قال الإمام النَّووي : " قوله : فكان يصنع للنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم طعاماً ، فإذا جيء به إليه سأل عن موضع أصابعه فيتتبَّع موضع أصابعه يعني : إذا بعث إليه فأكل من حاجته ثمَّ ردَّ الفضلة أكل أبو أيوب من موضع أصابع النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم تبركاً ، ففيه التَّبرُّك بآثار أهل الخير في الطَّعام وغيره (٦) .

وتبرَّك الصَّحابة رضوان الله عليهم بشعره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في حياته وبعد انتقاله إلى الرَّفيق الأعلى ... فقد ثبت في الصِّحاح أنَّ الصَّحابة الكرام رضوان الله عليهم كانوا يتبرَّكون بشعره في حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وأنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أقرَّهم على ذلك ...

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٦٧ برقم ٢٠٩٤١) .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦٣٢ برقم ٦٢٥٨) ، الطبراني في المعجم الكبير (٧/ ١٧٦ برقم ٦٧٤٦) .

(٣) أخرجه أبو داود (٤/ ٨٤ برقم ٤١٩٦) ، البيهقي في الآداب (ص٢٣٢) ، شعب الإيمان (٨/ ٤٤٢ برقم ٦٠٦٦)، البغوي في شرح السُّنَّة (١٢/ ١٠١) .

(٤) انظر : سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٣) .

(٥) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٢٣ برقم ٢٠٥٣) ، أبو عوانة في المسند (٥/ ٢٠٠ برقم ٨٣٩١) ، البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٥٠٩) .

(٦) انظر : صحيح مسلم بشرح النووي ، النووي ، (١٤/ ١١) .

فعن أنس بن مالك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لَّمَا حلق رأسه كان أبو طلحة أوَّل من أخذ من شعره (١) .

قال الحافظ ابن حجر (٨٥٢هـ) في تعليقه على الحديث : " وفيه التَّبرُّك بشعره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وجواز اقتنائه " (٢) .

وكان الصَّحابة رضوان الله عليهم يحرصون أشدَّ الحرص على اقتناء شعره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ففي صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : " لقد رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم والحلَّاق يحلق ، وأطاف به أصحابه ، فما يريدون أن تقع شعرة إلَّا في يد رجل " (٣) .

قال الإمام النَّووي (٦٧٦هـ) معلِّقاً عليه : " وفيه التَّبرُّك بآثار الصَّالحين ، وبيان ما كانت الصَّحابة عليه من التَّبرُّك بآثاره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وتبرُّكهم بشعره الكريم ، وإكرامهم إيَّاه أن يقع شيء منه إلَّا في يد رجلٍ سَبَقَ إليه " (٤) .

وروى الإمام أحمد بسنده عن محمَّد يَعْنِي ابْنَ سِيرِينَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ لما حَلَقَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم رَأْسَهُ بِمِنًى أَخَذَ شِقَّ رَأْسِهِ الْأَيْمَنَ بِيَدِهِ ، فلمَّا فَرَغَ نَاوَلَنِي ، فَقَالَ : يَا أَنَسُ انْطَلِقْ بِهَذَا إلى أُمِّ سُلَيْمٍ ، فلمَّا رَأَى النَّاس مَا خَصَّهَا بِهِ مِنْ ذَلِكَ ، تَنَافَسُوا فِي الشِّقِّ الْآخَرِ ، هَذَا يَأْخُذُ الشَّيء ، وَهَذَا يَأْخُذُ الشَّيء ، قَالَ محمَّد : فَحَدَّثْتُهُ عَبِيدَةَ السَّلْمَانِيَّ ، فَقَالَ : لَأَنْ يَكُونَ عِنْدِي مِنْهُ شَعَرَةٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ صَفْرَاءَ وَبَيْضَاءَ أَصْبَحَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَفِي بَطْنِهَا " (٥) .

قال الإمام الذَّهبي معلِّقاً على هذا الأَثر : " قلت : هذا القول من عبيدة هو معيار كمال الحُبِّ ، وهو أن يوثر شعرة نبوية على كلِّ ذهب وفضَّة بأيدي النَّاس ، ومثل هذا يقوله هذا الإمام بعد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بخمسين سنة ، فما الذي نقوله نحن في وقتنا لو وجدنا بعض شعره بإسناد ثابت ، أو شسع نعل كان له ، أو قلامة ظفر ، أو شقفة من إناء شرب فيه ، فلو بذل الغني معظم أمواله في تحصيل شيء من ذلك عنده ، أكنت

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٤٥ برقم ١٧١) .

(٢) انظر : فتح الباري (١/ ٢٧٤) .

(٣) أخرجه مسلم ، (٤/ ١٨١٢) .

(٤) انظر : صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/ ٨٢) .

(٥) أخرجه أحمد في المسند (٢١/ ٢٥٤ بر قم ١٣٦٨٥) .

تعده مبذراً أو سفيهاً ؟ كلا فابذل مالكَ في زورة مسجده الذي بني فيه بيده والسَّلام عليه عند حجرته في بلده ، والتذَّ بالنَّظر إلى أُحُده وأحبَّه ، فقد كان نبيُّك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يحبُّه ، وتملأ بالحلول في روضته ومقعده ، فلن تكون مؤمناً حتى يكون هذا السيِّد أحبّ إليك من نفسك وولدك وأموالك والنَّاس .

وقبِّل حجراً مكرَّماً نزل من الجنَّة ، وضع فمك لاثماً مكاناً قبّله سيِّد البشر بيقين ، فهنأك بما أعطاك ، فما فوق ذلك مفخر ، ولو ظفرنا بالمحجن الذي أشار به الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إلى الحجر ثمَّ قبّل محجنه ، لَحُقَّ لنا أن نزدحم على ذلك المحجن بالتقبيل والتبجيل ، ونحن ندري بالضرورة أن تقبيل الحجر أرفع وأفضل من تقبيل محجنه ونعله " (١) .

وعن أنس بن مالك ، أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم آتى منى ، فأتى الجمرة فرماها ، ثمَّ أتى منزله بمنى ونحر ، ثمَّ قال للحلَّاق : خذ ، وأشار إلى جبينه الأيمن ، ثمَّ الأيسر ، ثمَّ جعل يعطيه النَّاس (٢) .

وورد في الصَّحيح أنَّ الصَّحابة الكرام رضوان الله عليهم كانوا إذا ما حَزَبهُم أمرٌ تبرَّكوا بشعره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فكانوا يجعلون شعره في قدح من ماء ثمَّ يشربونه ، فيشفون بإذن الله تعالى...

فقد روى البخاري بسنده عن إِسْرَائِيلُ ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَوْهَبٍ ، قَالَ : أَرْسَلَنِي أَهْلِي إِلى أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ – وَقَبَضَ إِسْرَائِيلُ ثَلاَثَ أَصَابِعَ مِنْ قُصَّةٍ – فِيهِ شَعَرٌ مِنْ شَعَرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وَكَانَ إِذَا أَصَابَ الإِنْسَانَ عَيْنٌ أَوْ شَيْءٌ بَعَثَ إِلَيْهَا مِخْضَبَهُ ، فَاطَّلَعْتُ فِي الجُلْجُلِ ، فَرَأَيْتُ شَعَرَاتٍ حُمْراً " (٣) .

قال الإمام الكرماني (٧٨٦هـ) : " كان عند أُم سلمة شعرات من شعر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حمر في شيء مثل الجلجل ، وكان النَّاس عند مرضهم يتبرَّكون بها ويستشفون من بركتها ، فتارة يجعلونها في قدح من الماء ، فيشربون الماء الذي هي فيه ، وتارة يجعلونها في إجانة من الماء فيجلسون في الماء الذي فيه تلك الجلجلة التي فيها الشَّعر ، وكان لأهل عثمان إجانة كبيرة لائقة بالجلوس فيها ، فكان يبعث بها إليها عند الحاجة إليها " (٤) .

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٢) .

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٩٤٧ برقم ١٣٠٥) ، البيهقي في السنن الكبرى (٥/ ١٦٨ برقم ٩٤٠٠) .

(٣) أخرجه البخاري (٧/ ١٦٠ برقم ٥٨٩٦) .

(٤) انظر : الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٢١/ ١١٣) ، وانظر : إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٨/ ٤٦٥) .

فالصَّحابة رضوان الله عليهم توسَّلوا ببركه شعر النَّبي صلَّي الله عليه وَسَلَّم طلباً للشِّفاء ، وكان هذا قطعاً بعد انتقال النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إلى الرَّفيق الأعلى ، فكيف يُنكر من يدَّعون السَّلفيَّة التَّوسُّل بآثاره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ؟!!!...

فتوسُّل الصَّحابة كان ببعض ذات النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فقد توسَّلوا به لدفعِ العينِ وما شابه ... فهل تُدفع العَين بذات الشَّعر ولا تُدفع بذاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ؟؟

وقال الحافظ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشَّافعي (٨٥٢هـ) : " والمراد أنَّه كان من اشتكى أرسل إناء إلى أمِّ سلمة فتجعل فيه تلك الشَّعرات وتغسلها فيه ، وتعيده فيشربه صاحب الإناء أو يغتسل به استشفاء بها ، فتحصل له بركتها " (١) .

والرِّوايات في حرص الصَّحابة والتابعين على اقتناء شعره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم والتَّبرُّك به كثيرة ، من ذلك ما رواه الحاكم وغيره بسندهم عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه ، أنَّ خالد بن الوليد فَقَدَ قلنسوة له يوم اليرموك ، فقال : اطلبوها فلم يجدوها ثمَّ طلبوها فوجدوها ، وإذا هي قلنسوة خلِقة ، فقال خالد : اعتمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فحلق رأسه ، وابتدر النَّاس جوانب شعره ، فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها في هذه القلنسوة ، فلم أشهد قتالاً وهي معي إلَّا رُزقت النَّصر " (٢) .

وفي الأثر توسُّل خالد بن الوليد رضي الله عنه بشعر النَّبي صلَّي الله عليه وَسَلَّم ، وهو توسُّل ببعض ذات النَّبي لجلب البركة من أثره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ...

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما ، قال : لَمَّا احتضر معاوية ، قال : إنِّي كنت مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم على الصَّفا ، وإنِّي دعوت بمشقص ، فأخذت من شعره ، وهو في موضع كذا وكذا ، فإذا أنا متُّ فخذوا ذلك الشَّعر ، فاحشوا به فمي ومنخري (٣) .

وروى ابن الجوزي بسنده عن عبد الله بن أحمد ، قال : رأيت أبي يأخذ شعرة من شعر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فيضعها على فيه ويقبِّلها ، وأحسب أنَّني رأيته يضعها على عينيه ، ويغمسها في الماء ثمَّ يشربه يستشفي به

---

(١) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٠/ ٣٥٣) .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤/ ١٠٤ برقم ٣٨٠٤) ، الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣/ ٣٣٨ برقم ٥٢٩٩) ، البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٢٤٩) .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء (٣/ ١٥٨) .

، ورأيته قد أخذ قصعة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فغسلها في حب الماء ثمَّ شرب فيها ، ورأيته غير مرة يشرب ماء زمزم يستشفي به ويمسح به بدنه ووجهه (١) .

وقال الإمام الذَّهبي (٧٤٨هـ) : " قال الخلاَّل : أخبرني عصمة بن عصام ، حدَّثنا حنبل ، قال : أعطى بعض ولد الفضل بن الرَّبيع أبا عبد الله ، وهو في الحبس ثلاث شعرات ، فقال : هذه من شعر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فأوصى أبو عبد الله عند موته أن يجعل على كلِّ عين شعرة ، وشعرة على لسانه ، ففعل ذلك به عند موته (٢) .

وفي ترجمته للإمام البخاري نقل الإمام الذَّهبي عن محمَّد الوراق ، قال : دخل أبو عبد الله بِفِرَبْر الحمّام ، وكنت أنا في مشْلح الحمام ، أتعاهد عليه ثيابه ، فلمَّا خرج ناولته ثيابه ، فلبسها ، ثمَّ ناولته الخف ، فقال : مَسَسْتَ شيئاً فيه شعر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فقُلت : في أيِّ موضع هو في الخف فلم يخبرني ، فتوهَّمت أنَّه في ساقه بين الظِّهارة والبطانة " (٣) .

وتبرَّك الصَّحابة رضوان الله عليهم بريقه وبصاقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في حياته وبعد انتقاله إلى الرَّفيق الأعلى ...

فقد روى البخاري بسنده عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما : أنَّها حملت بعبد الله بن الزُّبير بمكَّة ، قالت : فخرجت وأنا متمٌّ ، فأتيت المدينة فنزلت قباء فولدت بقباء ، ثمَّ أتيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فوضعه في حجره ، ثمَّ دعا بتمرة فمضغها ، ثمَّ تفل في فمه ، فكان أوَّل شيء دخل جوفه ريق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ثمَّ حنَّكه بالتَّمرة ، ثمَّ دعا له فبرَّك عليه ، وكان أوَّل مولود ولد في الإسلام ، ففرحوا به فرحاً شديداً ، لأنَّهم قيل لهم : إنَّ اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم (٤) .

قال الإمام النَّووي (٦٧٦هـ) : " وفي هذا الحديث فوائد ... ومنها : التَّبرُّك بآثار الصَّالحين وريقهم وكلّ شيء منهم " (٥) .

---

(١) مناقب الإمام أحمد (ص١٨٧) .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٣٧) .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٥٣) .

(٤) أخرجه أخرجه البخاري (٧/ ٨٤ برقم ٥٤٦٩) .

(٥) انظر : صحيح مسلم بشرح النووي (١٤/ ١٢٤) .

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ الله عَنْهُ ، قَالَ : كَانَ ابْنٌ لِأَبِي طَلْحَةَ يَشْتَكِي ، فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ ، فَقُبِضَ الصَّبِيُّ ، فلمّا رَجَعَ أَبُو طَلْحَةَ ، قَالَ : مَا فَعَلَ ابْنِي ، قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ : هُوَ أَسْكَنُ مَا كَانَ ، فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ العَشَاءَ فَتَعَشَّى ، ثمَّ أَصَابَ مِنْهَا ، فلمّا فَرَغَ قَالَتْ : وَارُوا الصَّبِيَّ ، فلمّا أَصْبَحَ أَبُو طَلْحَةَ أَتَى رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ : " أَعْرَسْتُمُ اللَّيْلَةَ ؟ " قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : " اللهمَّ بَارِكْ لَهُمَا " فَوَلَدَتْ غُلاَماً ، قَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ : احْفَظْهُ حَتَّى تَأْتِيَ بِهِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فَأَتَى بِهِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَأَرْسَلَتْ مَعَهُ بِتَمَرَاتٍ ، فَأَخَذَهُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَقَالَ : " أَمَعَهُ شَيْءٌ ؟ " قَالُوا : نَعَمْ ، تَمَرَاتٌ ، فَأَخَذَهَا النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَمَضَغَهَا ، ثمَّ أَخَذَ مِنْ فِيهِ ، فَجَعَلَهَا فِي فِي الصَّبِيِّ وَحَنَّكَهُ بِهِ ، وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللهَّ " (١) .

وعن مالك بن حمزة بن أبي أُسيد السَّاعدي الخزرجي ، عن أبيه ، عن جدِّه أبي أسيد وله بئر بالمدينة يقال لها : بئر بضاعة ، قد بصق فيها النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فهو يشربها ويتيمَّن بها (٢) .

وتبرَّك الصَّحابة الكرام رضوان الله عليهم بعَرَقِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في حياته وبعد انتقاله إلى الرَّفيق الأعلى ...

فقد روى مسلم وغيره بسندهم ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُ بَيْتَ أُمِّ سُلَيْمٍ فَيَنَامُ عَلَى فِرَاشِهَا، وَلَيْسَتْ فِيهِ، قَالَ: فَجَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ فَنَامَ عَلَى فِرَاشِهَا، فَأُتِيَتْ فَقِيلَ لَهَا: هَذَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَامَ فِي بَيْتِكِ، عَلَى فِرَاشِكِ، قَالَ فَجَاءَتْ وَقَدْ عَرِقَ، وَاسْتَنْقَعَ عَرَقُهُ عَلَى قِطْعَةِ أَدِيمٍ، عَلَى الْفِرَاشِ، فَفَتَحَتْ عَتِيدَتَهَا فَجَعَلَتْ تُنَشِّفُ ذَلِكَ الْعَرَقَ فَتَعْصِرُهُ فِي قَوَارِيرِهَا، فَفَزِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَا تَصْنَعِينَ؟ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله نَرْجُو بَرَكَتَهُ لِصِبْيَانِنَا، قَالَ: «أَصَبْتِ» (٣) .

وعن أنس صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، قال : كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إذا نام عرق ، فتأخذ أُم سليم عرقه بقطنة ، فتجعلها في مسكها (٤) .

---

(١) أخرجه البخاري ، (٧/ ٨٤ برقم ٥٤٧٠) ، مسلم (٣/ ١٦٨٩ برقم ٢١٤٤) ، البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٣٨٢ برقم ٨٦٣١).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٢٦٣ برقم ٥٨٥) .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٢٢١ برقم ١٣٣٤٣) مسلم (٤/ ١٨١٥ برقم ٢٣٣١) ، قال الأرنؤوط في تخريجه لأحاديث المسند : " إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وأخرجه مسلم (٢٣٣١) (٨٤) عن محمد بن رافع، عن حجين بن المثنى، بهذا الإسناد.

وأخرجه الطيالسي (٢٠٧٨) ، ومن طريقه البيهقي ١/ ٢٥٤ عن عبد العزيز بن أبى سلمة، به.

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٣٣٠ برقم ١٣٤٤٢) .

وفي ترجمة أمِّ سليم روى الذَّهبي عن محمَّد بن سيرين قوله : فاستوهبت من أمّ سليم من ذلك المسك ، فوهبت لي منه ... ولمَّا مات محمَّد بن سيرين حنِّط بذلك المسك (١) .

وأخرج أبو يعلى والطَّبراني من حديث أبي هريرة في قصَّة الذي استعان به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم على تجهيز ابنته : فلم يكن عنده شيء ، فاستدعى بقارورة فسلت له فيها من عرقه ، وقال له : مرها فلتطيّب به ، فكانت إذا تطيّبت به شم أهل المدينة رائحة الطِّيب فسمُّوا بيت المطيَّبين (٢) .

وروى البزَّار بإسناد صحيح عن أنس : - كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أذا مرَّ في طريق من طرق المدينة وجد فيه رائحة المسك ، فيقال مرَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم (٣) .

وقد عقَّب الحافظ ابن حجر على ما جاء في قصَّة أم سليم ، فقال : " ويُستفاد من هذه الرِّوايات اطلاع النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم على فعل أُمِّ سليم وتصويبه ، ولا معارضه بين قولها أنَّها كانت تجمعه لأجل طيبه ، وبين قولها للبركة ، بل يحمل على أنَّها كانت تفعل ذلك للأمرين معاً " (٤) .

وتبرَّك الصَّحابة الكرام رضوان الله عليهم بماء وضوئه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ...

روى الشَّيخان بسندهما عن أبي جحيفة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أنَّه قال : " خرج علينا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بالهاجرة ، فأتي بوضوء فتوضأ ، فجعل النَّاس يأخذون من فضل وضوئه فيتمسحون به " (٥) .

قال الحافظ ابن حجر : " وقوله : " يأخذون من فضل وضوئه " ، كأنَّهم اقتسموا الماء الذي فضل عنه ، ويحتمل أن يكونوا تناولوا ما سال من أعضاء وضوئه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم " (٦) .

قلت : وما أخذوا فضل وضوئه وما سال عن أعضائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إلَّا ليتبرَّكوا به ...

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٠٧) .

(٢) أخرجه أبو يعلى في المعجم (ص١١٧ برقم ١١٨) ، الطبراني في الأوسط (٣/ ١٩٠ برقم ٢٨٩٥) .

(٣) أخرجه البزار في المسند (١٣،٤٠٦ برقم ٧١١٨) ، الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٧/ ١٢٩ برقم ٢٥٦٠) ، وانظر : فتح الباري (٦/ ٥٧٣-٥٧٤) ، وانظر : مجمع الزوائد (٨/ ٣٦٠ برقم ١٤٠٥٣) .

(٤) انظر : فتح الباري (١١/ ٧٢) .

(٥) أخرجه البخاري (١/ ٤٩ برقم ١٨٧) ، ابن الجعد في المسند (ص٤٠ برقم ١٣٧) .

(٦) انظر : فتح الباري (١/ ٢٩٥) .

ولشدَّة حرص الصَّحابة رضوان الله عليهم على ماء وضوئه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كادوا يقتتلون على وضوئه ، فقد جاء في حديث صلح الحديبية أنَّ عروة بن مسعود رضي الله عنه ، قال عن الصَّحابة الكرام : " وإذا توضَّأ كادوا يقتتلون على وضوئه " (١) .

وجاء في الصَّحيح أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كان يُرشد أصحابه إلى الحرص على التَّبرُّك بماء وضوئه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ....

فقد روى الشَّيخان بسندهما عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، قال : دعا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بقدح فيه ماء ، فغسل يديه ووجهه فيه ، ومجَّ فيه ، ثمَّ قال : اشربا( يقصد بلال وأبي موسى) منه ، وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وابشرا . فأخذا القدح ففعلا ، فنادت أمُّ سلمه من وراء السِّتر : أن أفضلا لأمكما ، فأفضلا لها منه " (٢) .

وعن طلق بن علي قال : وفدنا على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فلمَّا ودعنا أمرني فأتيته بإداوة من ماء ، فحثا منها ، ثمَّ مجّ فيها ثلاثاً ، ثمَّ أوكأها ، ثمَّ قال : اذهب بها وانضح مسجد قومك ، وأمُرْهم أن يرفعوا برؤوسهم أن رفعها الله ، قلت : أن الأرض بيننا وبينك بعيده ، وأنَّها تيبس ، قال : فإذا يبست فمدّها (٣) . قال الطِّيبي : "وفيه جواز التَّبرُّك بماء زمزم ونقله إلى البلاد الشَّاسعة " (٤) .

قال السيِّد محمَّد بن علوي المالكي (١٣٩١هـ) : " وهذا الحديث من الأصول المعتبرة المشتهرة الدالَّة على مشروعية التَّبرُّك به وبآثاره وبكلِّ ما هو منسوب إليه ، فإنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أخذ وضوئه ثمَّ جعله في إناء ثمَّ أمرهم أن يأخذوه معهم إجابة لطلبهم وتحقيقاً لمرادهم ، فلا بدَّ أن هناك سرَّاً قويَّاً متمكناً في نفوسهم دفعهم إلى طلب هذا الماء بخصوصه ، والمدينة مملوءة بالمياه ، بل وبلادهم مملوءة بالماء ، فَلِمَ هذا التَّعب والتَّكلُّف في حمل قليل من الماء من بلد إلى بلد مع بُعد المسافة وطول السَّفر وحرارة الشَّمس ؟

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٩٣ برقم ٢٣١٧) ، أحمد في المسند (٤/ ٣٢٩ برقم ١٩١٣٦) ، ابن حبان (١١/ ٢٢١ برقم ٤٨٧٢) ، الطبراني في الكبير (٢٠/ ٩ برقم ١٣) ، البيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٣٦٦ برقم ١٨٨٠٧) ، شعب الإيمان (٢/ ١٩٩ برقم ١٤٣٣) ، عبد الرزاق في المصنف (٥/ ٣٣٠ برقم ٨٧٢٠) .

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ١٥٧ برقم ٤٣٢٨) .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٢٣ برقم ١٦٤٠٢) .

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (٢/ ٢٨٢) .

نعم كلّ ذلك لم يهمّهم ، لأنَّ المعنى الذي يحمله هذا الماء يهون عليهم كلّ مشقَّة ، ألا وهو التَّبرُّك به وبآثاره وبكلِّ ما هو منسوب إليه ، وهو لا يوجد في بلدهم ولا يتوافر على كلِّ حال عندهم ، ويتأكَّد تأييده لهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ورضاه عن فعلهم بجوابه لهم لما قالوا : أنَّ الماء ينشف لشدَّة الحرّ ، إذ قال لهم : " مدُّوه من الماء " ، فبيَّن لهم أنَّ بركته التي حلَّت في الماء لا تزال باقية مهما زادوا فيه فهي مستمرَّة متَّصلة " (١) .

وفي الصَّحيحين عن محمَّد بن المنكدر ، قال : سمعت جابراً يقول : جاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يعودني ، وأنا مريض لا أعقل ، فتوضَّأ وصّب عليّ من وضوئه ، فعقلت ، فقلت : يا رسول الله لمن الميراث ؟ إنَّما يرثني كلالة ، فنزلت أية الفرائض (٢) .

قال الإمام النَّووي في تعليقه على هذا الحديث : "وفيه التَّبرُّك بآثار الصَّالحين وفضل طعامهم وشرابهم ، ونحوهما ، وفضل مؤاكلتهم ومشاربتهم ونحو ذلك ، وفيه ظهور آثار بركة الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم (٣) .

وتبرَّك الصَّحابة الكرام رضوان الله عليهم بثيابه النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في حياته وبعد انتقاله إلى الرَّفيق الأعلى ...

فقد روى البخاري بسنده عن سهل بن سعد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، قال : جاءت امرأة ببردة ، قال : أتدرون ما البردة ؟ فقيل له : نعم ، هي الشَّمله ، منسوج في حاشيتها ، قالت : يا رسول الله ، إنِّي نسجت هذه بيدي أكسوكها ، فأخذها النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم محتاجاً إليها ، فخرج إلينا وأنَّها إزاره ، فقال رجل من القوم ، يا رسول الله ، أكْسنيها ، فقال : " نعم " . فجلس النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في المجلس ، ثمَّ رجع فطواها ، ثمَّ أرسل بها إليه ، فقال له القوم : ما أحسنت مسألتها إيَّاه ، لقد علمت أنَّه لا يردُّ سائلاً ، فقال الرَّجل : والله ما سألته إلَّا لتكون كفني يوم أموت ، قال سهل : فكانت كفنه (٤) .

---

(١) انظر : مفاهيم يجب أن تصحَّح (ص٢٢١-٢٢٢) .

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٥٠ برقم ١٩٤) ، البغوي في شرح السُّنَّة (٨/ ٣٣٦ برقم ٢٢١٩) ، البيهقي في السنن الكبرى (١/ ٣٥٩ برقم ١١١٨) .

(٣) انظر : صحيح مسلم بشرح النووي (١١/ ٥٥) .

(٤) أخرجه البخاري (٢/ ٧٨ برقم ١٢٧٧) ، ابن أبي شيبة في المسند (١/ ٩٧ برقم ١١٦) ، أحمد في المسند (٥/ ٣٣٣ برقم ٢٣٢١٣) ، النسائي في السنن الكبرى (٨/ ٤٢١ برقم ٩٥٨٠) ، عبد بن حميد في المسند (١/ ١٧٠ برقم ٤٦٢) .

فالرِّواية اشتملت على توسُّل الصَّحابي ببركة بردة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، كي ينال بسببها الرَّحمات والبركات ، كونها لامست ذاته الشَّريفة ، والصَّحابي ما سأل البُردة إلَّا لتكون كفنه عند موته تبرُّكاً بها ، وهو عبد الرَّحمن بن عوف ، وقيل هو سعد بن أبي وقاص ، وهما من العشرة المبشَّرين بالجنَّة (١) .

قال الحافظ ابن حجر: " ورد في الحديث من الفوائد : ... التَّبرُّك بآثار الصَّالحين (٢) .

"وعن أبي بردة ، قال : أخرجت إلينا عائشة رضي الله عنها ، كساء ملبَّداً ، وقالت : في هذا نزع روح النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم .

وزاد سليمان ، عن حميد ، عن أبي بردة ، قال : أخرجت إلينا عائشة إزاراً غليظاً ممَّا يصنع باليمن ، وكساء من هذه التي يدعونها الملبّدة (٣) .

وعن أسماء بنت أبي بكر : أنَّها أخرجت جبّة طيالسة كسروانيَّة ، لها لبنةُ ديباج ، وفرجيها مكفوفين بالدِّيباج ، فقالت : هذه كانت عند عائشة حتى قبضت ، فلمَّا قبضت قبضتها ، وكان النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يلبسها ، فنحن نغسلها للمرض يستشفى بها (٤) .

فالصَّحابة الكرام رضوان الله عليهم توسَّلوا ببركة جُبَّته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لدفع المرض عنهم وعن المسلمين ، والسَّبب أنَّها لامست جسده الشَّريف صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فما كان التَّوسُّل بالجبة إلَّا لأنَّها لامست ذاته الشَّريفة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، حيث يعمدون إلى غسل جبَّته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ويجعلون من غُسالتها سبيلاً للاستشفاء ، وهذا كان منهم بعد انتقاله إلى الرَّفيق الأعلى ...

ومن المعلوم أنَّ الصَّحابة الكرام رضوان الله عليهم كانوا ومَنْ جاء بعدهم حريصين على اقتناء أثاره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ومن ضمنها بردته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، حتى أنَّ خلفاء بني العبَّاس اشتروها بمئات الدَّنانير ، وما ذلك إلَّا لينعموا ببركة صاحبها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم .

قال الإمام ابن كثير : " قال الحافظ البيهقي : وأمَّا البرد الذي عند الخلفاء ، فقد روِّينا عن محمَّد بن إسحق بن يسار في قصَّة تبوك أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أعطى أهل آيلة بردة مع كتابه الذي كتب لهم أماناً لهم ،

---

(١) انظر : هدي الساري مقدمة فتح الباري (ص٢٦٨) .

(٢) انظر : فتح الباري (٣/ ٢٤٤) .

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ٨٣ برقم ٣١٠٨) .

(٤) أخرجه مسلم ، (٣/ ١٦٤١ برقم ٢٠٦٩) ، البيهقي في شعب الإيمان (٨/ ٢٠٧ برقم ٥٧٠٢) .

فاشتراه أبو العبَّاس عبد الله بن محمَّد بثلاثمائة دينار ، يعني بذلك أول خلفاء بني العبَّاس وهو السفَّاح رحمه الله ، وقد توارث بنو العبَّاس هذه البردة خلفاً عن سلف ، كان الخليفة يلبسها يوم العيد على كتفيه ، ويأخذ القضيب المنسوب إليه – صلوات الله وسلامه عليه – في إحدى يديه ، فيخرج عليه من السَّكينة والوقار ما يصدع به القلوب ، ويبهر الأبصار" (١) .

وتبرَّك الصَّحابة الكرام رضوان الله عليهم بنعله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ...

فقد عقد الإمام البخاري باباً في صحيحه ، سمَّاه : (باب ما ذكر من درع النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وعصاه ، وسيفه ، وقدحه ، وخاتمه ، وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك ممَّا لم يذكر قسمته ، ومن شعره ونعله وآنيته ممَّا يتبرَّك أصحابه وغيرهم بعد وفاته) ، وذلك ضمن كتاب (فرض الخمس) .

قلت : وفي قول البخاري (ممَّا يتبرَّك أصحابه وغيرهم بعد وفاته) ما يشير إلى أنَّ الصَّحابة وغيرهم تبرَّكوا بعصاه وبنعله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، بعد انتقاله إلى الرَّفيق الأعلى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ...

ثم ذكر عدداً من الأحاديث التي ساقها ضمن هذا الباب ، منها : " عن عيسى بن طهمان ، قال : أخرج إلينا أنس نعلين جرداوين لهما قبالان ، فحدَّثني ثابت البنـــاني بعد عن أنس أنَّهما نعلا النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم (٢) .

وقد بالغ النَّاس في المحافظة على أثاره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حتى أنَّهم حفظوها وحافظوا عليها في أماكن خاصة ، وكانت من ضمن ما يتبرَّك به ....

فقد ذكر الحافظ الذَّهبي في ترجمة شداد بن أوس أنَّ نعله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كانت زوجاً ، خلَّفها شدَّاد عند ولده ، فصارت إلى محمَّد بن شدَّاد ، فلمَّا أن رأت أخته خزرج ما نزل به وبأهله ، جاءت ، فأخذت فرد النَّعلين ، وقالت : يا أخي ، ليس لك نسل ، وقد رزقت ولداً ، وهذه مكرمة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أحبُّ أن تشرك فيها ولدي ، فأخذتها منه (٣) .

وقال الحافظ ابن كثير : " واشتهر في حدود سنه ستمائة وما بعدها عن رجلٍ من التُّجَّار ، يقال له : ابن أبي الحدود ، نعل مفردة ذكر أنَّها نعل النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فسامها الملك الأشرف موسى بن الملك العادل أبي

(١) انظر : البداية والنهاية (٦/ ١٠) ، وانظر : دلائل النبوة (٧/ ٢٣١٨ برقم ٣٣٣٠) .

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ٨٣ برقم ٣١٠٧) ، البغوي في شرح السُّنَّة (١٢/ ٧٣ برقم ٣١٥٢) .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٦٣) .

بكر بن أيوب منه بمال جزيل فأبى أن يبيعها ، فاتَّفق معه بعد حين ، فصارت إلى الملك الأشرف المذكور ، فأخذها إليه وعظمها ، ثمَّ لما بني دار الحديث الأشرفيَّة إلى جانب القلعة ، جعلها في خزانه منها ، وجعل لها خادماً ، وقرر له من المعلوم كلّ شهر أربعون درهماً ، وهي موجودة إلى الآن في الدَّار المذكورة (١) .

وتبرَّك الصَّحابة الكرام رضوان الله عليهم بقصعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ...

قال القاضي عياض : " وحدَّثنا الْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ عَنْ شَيْخِهِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْمَأْمُونِ ، قال : كانت عِنْدَنَا قَصْعَةٌ مِنْ قِصَاعِ النَّبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... فَكُنَّا نَجْعَلُ فِيهَا الْمَاءَ لِلْمَرْضَى فَيَسْتَشْفُونَ بِهَا ... وَأَخَذَ جَهْجَاهُ الْغِفَارِيُّ الْقَضِيبَ مِنْ يَدِ عُثْمَانَ رَضِيَ الله عَنْهُ لِيَكْسِرَهُ عَلَى رُكْبَتِهِ فَصَاحَ النَّاس بِهِ فَأَخَذَتْهُ فِيهَا الْآكِلَةُ فَقَطَعَهَا وَمَاتَ قَبْلَ الْحَوْلِ " (٢) .

وذكر عبد الله بن أحمد أنَّه رأى أباه أَخذَ قَصْعَةَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَغَسلهَا فِي حُبِّ الْمَاءِ، ثُمَّ شَرِبَ فِيْهَا، وَرَأَيْتُهُ يَشْرَبُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ يَسْتَشفِي بِهِ، وَيَمسحُ بِهِ يَدَيْهِ وَوَجهَه (٣) .

وتبرَّك الصَّحابة الكرام رضوان الله عليهم بقدحه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ...

فقد أخرج الشَّيخان بسندهما عن سهل بن سعد السَّاعدي ، قال : أُتِي النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بقدح فشرب منه ، وعن يمينه غلام أصغر القوم ، والأشياخ عن يساره ، فقال : " يا غلام ، تأذن لي أن أعطيه الأشياخ " ، قال : ما كنت لأوثر بفضلي منك أحداً يا رسول الله ، فأعطاه إيَّاه " (٤) .

ومن المعلوم أنَّ الإيثار خُلقٌ إسلاميٌّ رفيعٌ ، جاء ذكره في الكتاب العزيز ، ومع ذلك لم تسمح نفس ذلك الغلام بأن يؤثر الأشياخ بفضل شرب النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، بل خصَّ بها نفسه ، وأقرّه النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ولم يعنِّفه ، لأنَّ مثل هذه الواقعة قد لا تتكرَّر بالنِّسبة لذلك الغلام الذي كان بشوق شديد للتَّبرُّك بفضل شرب النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ...

وفي صحيحه فتح الإمام البخاري باباً سمَّاه : (باب الشُّرب من قدح النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وآنيته) ضمن كتاب الأشربة ، روى فيه حديثين هما :

---

(١) انظر : البداية والنهاية (٦/ ٨) .

(٢) انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/ ٦٣٨) .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء (١١/ ٢١٢) .

(٤) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٩ برقم ٢٣٥١) ، أبو عوانة في المسند (٥/ ١٥٨ برقم ٨٢٣٣) .

" عن سهل بن سعد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، قال : ذُكر للنَّبي امرأة ... وفيه : فأقبل النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يومئذ حتى جلس في سقيفة بني ساعده هو وأصحابه ، ثمَّ قال : اسقنا يا سهل ، فأخرجت لهم هذا القدح فأسقيتهم منه ، فأخرج لنا سهل ذلك القدح فشربنا منه ، وقال : ثمَّ استوهبه عمر بن عبد العزيز بعد ذلك فوهبه له " (١) .

قال الحافظ ابن حجر : قوله : " باب الشُّرب من قدح النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم " ، أي : تبرُّكاً به " (٢) .

وقال أيضاً : " وفي الحديث التَّبسُّط على الصَّاحب واستدعاء ما عنده من مأكول ومشروب ، وتعظيمه بدعائه بكنيته والتَّبرُّك بآثار الصَّالحين " (٣) .

وقال الإمام النَّووي (٦٧٦هـ) : " قَوْلُهُ (فَأَخْرَجَ لَنَا سَهْلٌ ذَلِكَ الْقَدَحَ فَشَرِبْنَا مِنْهُ قَالَ ثُمَّ اسْتَوْهَبَهُ بَعْدَ ذَلِكَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَوَهَبَهُ لَهُ) – يَعْنِي الْقَدَحَ الَّذِي شَرِبَ مِنْهُ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – هَذَا فِيهِ التَّبَرُّكُ بِآثَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما مسه أو لبسه أوكان مِنْهُ فِيهِ سَبَبٌ ، وَهَذَا نَحْوُ مَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ وَأَطْبَقَ السَّلَفُ وَالْخَلَفُ عَلَيْهِ مِنَ التَّبَرُّكِ بِالصَّلَاةِ فِي مُصَلَّى رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الرَّوْضَةِ الْكَرِيمَةِ ، وَدُخُولِ الْغَارِ الَّذِي دَخَلَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَمِنْ هَذَا إِعْطَاؤُهُ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا طَلْحَةَ شَعْرَهُ لِيَقْسِمَهُ بَيْنَ النَّاسِ وَإِعْطَاؤُهُ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِقْوَةً لِتُكَفَّنَ فِيهِ بِنْتُهُ رَضِيَ اللهَّ عَنْهَا ، وَجَعلَهُ الْجَرِيدَتَيْنِ عَلَى الْقَبْرَيْنِ ، وَجَمَعَتْ بِنْتُ مِلْحَانِ عَرَقَهُ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَمَسَّحُوا بِوُضُوئِهِ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَلَّكُوا وُجُوهَهُمْ بِنُخَامَتِهِ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَشْبَاهُ هَذِهِ كَثِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ فى الصحيح ، وكلُّ ذلك واضح لاشكَّ فِيهِ " (٤) .

وقال الإمام الكنكوهي : " وممَّا يدلُّ عليه استيهاب عمر بن عبد العزيز هذا القدح من سهل لأنَّه إنَّما استوهبه منه لكونه في الأصل للنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لأجل التَّبرُّك به ، وهذا شيء ظاهر لا يخفى " (٥) .

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ١١٣ برقم ٥٦٣٧) .

(٢) انظر : فتح الباري (١٠/ ٩٩) .

(٣) انظر : فتح الباري (١٠/ ١٠٠) .

(٤) انظر : صحيح مسلم بشرح النووي (١٣/ ١٧٨-١٧٩) .

(٥) انظر : لامع الدراري شرح البخاري (٩/ ٤٦٥) .

وعن عاصم الأحول ، قال : رأيت قدح النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم عند أنس بن مالك ، وكان قد انصدع فسلسله بفضَّة ، قال : وهو قدح جيد عريض من نضار ، قال : قال أنس : لقد سقيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في هذا القدح أكثر من كذا وكذا (١) .

وقال الحافظ ابن حجر : " قال علي بن الحسن (٢١١هـ) : وأنا رأيت القدح وشربت منه . وذكر القرطبي في مختصر البخاري أنَّه رأى في بعض النُّسخ القديمة من صحيح البخاري : قال أبو عبد الله البخاري : رأيت هذا القدح بالبصرة وشربتُ منه " (٢) .

كما روى البخاري تعليقاً قول أبي بردة ، قال : قال لي عبد الله بن سلام . ألا أُسقيك في قدح شرب النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فيه (٣) .

فانظر إلى الصَّحابي الجليل ابن سلام كيف يرغّب إلى أبي بردة أن يسقيه من قدح شرب فيه الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وما ذلك إلَّا ليحظى الشَّارب بخير وبركة الشُّرب من قدح شرب فيها الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ...

وروى أحمد في المسند بسنده عَن حَجَّاجُ بْنُ حَسَّانَ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، " فَدَعَا بِإِنَاءٍ وَفِيهِ ثَلَاثُ ضِبَابِ حَدِيدٍ، وَحَلْقَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، فَأُخْرِجَ مِنْ غِلَافٍ أَسْوَدَ، وَهُوَ دُونَ الرُّبُعِ وَفَوْقَ نِصْفِ الرُّبُعِ، " فَأَمَرَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ فَجُعِلَ لَنَا فِيهِ مَاءٌ، فَأُتِينَا بِهِ فَشَرِبْنَا وَصَبَبْنَا عَلَى رُءُوسِنَا وَوُجُوهِنَا، وَصَلَّيْنَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (٤) .

فانظر إلى الصَّحابة والتَّابعين كيف تبرَّكوا بالإناء الذي شرب فيه الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وكيف أنَّهم صبُّوا الماء على رؤوسهم تبرُّكاً به ....

وتبرَّك الصَّحابة الكرام رضوان الله عليهم بقبره وبمنبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ...

فقد جاء في الصِّحاح أنَّ الخليفة الرَّاشد عمر بن الخطاب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، حين أدركته الوفاة بعدما طعن ، أرسل ولده عبد الله إلى السيِّدة عائشة رضي الله عنها يستأذنها في أن يدفن بجوار صاحبيه : سيِّدنا رسول

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ١١٣ برقم ٥٦٣٨) .

(٢) انظر : فتح الباري (١٠/ ١٠٠) .

(٣) أخرجه البخاري (٧/ ١١٣) .

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٢٠/ ٢٧٧ برقم ١٢٩٤٨) ، قال الأرنؤوط في تخريج الحديث : " إسناده قوي .

الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وصاحبه أبي بكر الصدِّيق ، لدرجة أنَّ عبد الله حين رجع بعدما استأذن السيِّدة عائشة رضي الله عنها ، نسي الفاروق جراحه وآلامه وابتدر ولده بالسُّؤال : ما لديك يا عبد الله ، وعندما أخبره ولده عبد الله بموافقتها على طلبـــه ، قال : ما كان شيء أهم إليَّ من ذلك المضجع ...

فقد روى البخاري بسنده عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الأَوْدِيِّ، قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ، اذْهَبْ إِلَى أُمِّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقُلْ: يَقْرَأُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ عَلَيْكِ السَّلاَمَ، ثُمَّ سَلْهَا، أَنْ أُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيَّ، قَالَتْ: كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي فَلَأُوثِرَنَّهُ اليَوْمَ عَلَى نَفْسِي، فَلَمَّا أَقْبَلَ، قَالَ: لَهُ مَا لَدَيْكَ؟ قَالَ: أَذِنَتْ لَكَ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، قَالَ: " مَا كَانَ شَيْءٌ أَهَمَّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ المَضْجَعِ، فَإِذَا قُبِضْتُ فَاحْمِلُونِي، ثُمَّ سَلِّمُوا، ثُمَّ قُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، فَإِنْ أَذِنَتْ لِي، فَادْفِنُونِي، وَإِلَّا فَرُدُّونِي إِلَى مَقَابِرِ المُسْلِمِينَ ... " (١) .

قال الحافظ ابن حجر : " وفيه الحرص على مجاورة الصَّالحين في القبور طمعاً في إصابة الرَّحمة إذا نزلت عليهم وفي دعاء من يزورهم من أهل الخير " (٢) .

فحرص سيِّدنا عمر رضي الله عنه على أن يُدفن في جوار الحبيب ليس إلَّا لتناله بركة سيِّد الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فبركته ميتاً كبركته حيَّاً ، وبركته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لم تنقطع بانتقاله إلى الرَّفيق الأعلى ...

وفي دفن أبي بكر وعمر في حجرة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ردٌّ على ابن تيمية والألباني في زعمهما أنَّ الدَّفن في البناء من خصوصيَّات الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم (٣) . وهو في ذلك مقلِّد لابن تيمية (٤) .

وهم في ذلك مخالفون لأكثر العلماء كما قال الإمام ابن رجب ، قال : " وأكثر العلماء على جواز الدَّفن في البيوت ، ووصَّى يزيد بن عبد الله بن الشَّخير أن يُدفن في داره ، فدُفن فيها ، وشهد الحسن جنازته ، ولم ينكر ذلك أحد " (٥) .

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ١٠٣ برقم ١٣٩٢) .

(٢) انظر : فتح الباري (٣/ ٢٥٨) .

(٣) انظر : تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد (ص٣٦) .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٩٠) .

(٥) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣/ ٢٣٣) .

ومن الجدير بالذِّكر هأنه روي عن السيِّدة عائشة رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ لِأَبِي بَكْرٍ : " رَأَيْتُ ثَلَاثَةَ أَقْمَارٍ سَقَطْنَ فِي حُجْرَتِي ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يُدْفَنُ فِي بَيْتِكِ ثَلَاثَةٌ هُمْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ " . قَالَ يَحْيَى : فَسَمِعْتُ النَّاس يَتَحَدَّثُونَ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لما قُبِضَ فِي بَيْتِهَا ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَحَدُ أَقْمَارِكِ ، وَهُوَ خَيْرُهَا " (١) .

وعلى كلِّ حال فإنَّ حرص عمر رضي الله عنه على أن يُدفن بجوار صاحبيه لم يكن إلَّا لتناله بركة الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وقد روي التَّبرُّك بقبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم عن غير واحد من الصَّحابة رضوان الله عليهم ، فقد روى أحمد في المسند بسنده عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، قَالَ: أَقْبَلَ مَرْوَانُ يَوْمًا فَوَجَدَ رَجُلًا وَاضِعًا وَجْهَهُ عَلَى الْقَبْرِ، فَقَالَ: أَتَدْرِي مَا تَصْنَعُ؟ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ فَإِذَا هُوَ أَبُو أَيُّوبَ، فَقَالَ: نَعَمْ، جِئْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ آتِ الْحَجَرَ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " لَا تَبْكُوا عَلَى الدِّينِ إِذَا وَلِيَهُ أَهْلُهُ، وَلَكِنْ ابْكُوا عَلَيْهِ إِذَا وَلِيَهُ غَيْرُ أَهْلِهِ " (٢) .

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٣/ ٤٧ برقم ١٢٦) ، الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣/ ٦٦ برقم ٤٤٦١ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ ، وَلَمْ يُخَرِّجَاه) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٤٢٢ برقم ٢٣٩٨٣) ، الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٦٠ برقم ٨٥٧١) ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ ، ووافقه الذَّهبي . وفي تخريجه لأحاديث التَّوسُّل والزيارة ، أفاض الأستاذ المحقق محمود سعيد ممدوح في كلامه على هذا الحديث ، فقال : " عبد الملك بن عمرو هو القيسي أبو عامر العقدي ، ثقة ، احتج به الجماعة ، وكثير بن زيد حسن الحديث . وداود بن أبي صالح ، قال عنه الذَّهبي في الميزان : (٢ / ٩) : لا يعرف ، وسكت عنه ابن أبي حاتم الرازي (الجرح ٣ / ٤١٦) . وذكره الحافظ ابن حجر تمييزاً ، وقال في التقريب : " مقبول " .

فإذا تشددت وأعرضت عن تصحيح الحاكم وموافقه الذَّهبي له لأنَّ التصحيح هو توثيق للراوي ، فهذا الإسناد فيه ضعف يسير يزول بالمتابعة ، وداود بن أبي صالح قد تابعه المطلب بن عبد الله بن حنطب فيما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤ / ١٨٩) ، والأوسط (١ / ١٩٩) ، وأبو الحسين يحيى ابن الحسن في أخبار المدينة (كما في شفاء السقام ص ١٥٢) . والمطلب بن عبد الله بن حنطب صدوق ويدلس ، ومثله يصلح للمتابعة ، صرح بالسماع أو لم يصرح ، أدرك أبا أيوب أو لم يدركه . فغاية هذا الإسناد أنَّه فيه انقطاع يسير يزول بالمتابعة المتقدمة . وبهذه المتابعة يثبت الحديث ويصير من قسم الحسن لغيره ، والله أعلم .

تنبيه :

أما الألباني فكان ولا بد أن يضعِّف الحديث ، فماذا فعل في تضعيفه ؟! اقتصر على رواية أحمد والحاكم التي فيها داود بن أبي صالح وضعف الحديث به ، وهذا قصور ، وقد علمت وجود متابع لداود بن أبي صالح .

ثم أخطأ على الحافظ العلم نور الدِّين الهيثمي ، فقال الألباني : وذهل عن هذه العلة (أي داود بن أبي صالح) الحافظ الهيثمي ، فقال في المجمع (٥ / ٢٤٥) : رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ، وفيه كثير بن زيد وثقه أحمد وغيره ، وضعفه النسائي وغيره . ا هـ.

وعلى أي حال فإنَّ التزام القبر ثابت عن الصَّحابي الجليل أبي أيُّوب الأنصاري رضي الله عنه ، وفيه جواز التَّوسُّل بالتَّبرك بقبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وأنَّ الصَّحابة الكرام توسَّلوا به ... كما أنَّه ، رضي الله عنه على من أنكر عليه التزامه قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ووصف المنكر عليه بأنَّه ليس من أهل العلم .

قال الإمام ابن تيميه : " قال أبو بكر الأثرم : قلت لأبي عبد الله - يعني أحمد بن حنبل – قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يمسّ ويتمسَّح به ؟ فقال : ما أعرف هذا . قلت له : فالمنبر ؟ فقال : أمَّا المنبر فنعم ، قد جاء فيه ، قال أبو عبد الله : شيء يروونه عن ابن أبي فديك عن ابن أبى ذئب عن ابن عمر : أنَّه مسح على المنبر ، قال : ويروونه عن سعيد بن المسيب في الرُّمَّانة . قلت : ويروونه عن يحيى بن سعيد : أنَّه حين أراد الخروج إلى العراق جاء إلى المنبر فمسحه ودعا ، فرأيته استحسنه ، ثمَّ قال : لعله عند الضّرورة والشَّيء . قيل لأبى عبد الله : أنَّهم يلصقون بطونهم بجدار القبر ، وقلت له : رأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسّونه ويقومون ناحية فيسلمون . فقال أبو عبد الله : نعم . وهكذا كان ابن عمر يفعل . ثمَّ قال أبو عبد الله : بأبي هو وأمِّي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم .

فقد رخَّص أحمد وغيره في التَّمسُّح بالمنبر والرُّمَّانة التي هي موضع مقعد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ويده ، ولم يرخِّصوا في التمسح بقبره ، وقد حكى بعض أصحابنا رواية في مسح قبره . لأنَّ أحمد شيَّع بعض الموتى ، فوضع يده على قبره يدعو له " (١) .

قلت : والرِّواية التي أشار إليها ابن تيميه ، وأنَّ أحمد شيَّع بعض الموتى ... ذكرها صاحب الرِّوايتين والوجهتين ، فقال :

مسألة : واختلف في وضع اليد على القبر على روايتين ، قال محمَّد بن حبيب البزَّار : كنت مع أبي عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل في جنازة فأخذ يدي وقمنا ناحية ، فلمَّا فرغ النَّاس وانقضى الدَّفن جاء إلى القبر وأخذ

---

وخطأ الألباني أنَّه اعتبر الجودة ذهولاً ، ذلك أنَّ الحافظ الهيثمي عندما نظر لإسنادي أحمد والطبراني وجد متابعاً لداود بن أبي صالح ، وهو المطلب بن عبد الله بن حنطب ، فلم يجد ما يستحق الكلام عليه إلا كثير بن زيد فبيَّن أنَّه مختلف فيه ، ومثله يحسن حديثه . فحصر الهيثمي الكلام على كثير بن زيد هو الصواب .

ومنشأ خطأ الألباني هو عدم وقوفه على المتابعة وهو قصور بلا شك .

وبيان هذا القصور أنَّه عندما علم تخريج الطبراني للحديث كان ينبغي المسارعة والبحث عن إسناد الطبراني والنظر فيه ، وهذا هو مسلك المحدثين الناقدين ، أمَّا الاقتصار على طريق واحد للحديث ثمَّ تضعيف الألباني له مع وجود طريق آخر فهو خطأ بلا ريب . ولعمل الألباني هذا نظائر في كتبه . والحديث فيه التجاء أحد الصَّحابة إلى القبر الشَّريف .

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ٢٤٥) .

بيدي وجلس ووضع يده على القبر ، وقال : اللهمَّ إنَّك قلت في كتابك : ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ * وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ * فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ * وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ * فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة :٨٨-٩٤] . اللهمَّ إنَّا نشهد أنَّ هذا فلان ابن فلان ما كذَّب بك ، ولقد كان يؤمن بك وبرسولك ، اللهمَّ فاقبل شهادتنا له ، ودعا وانصرف " (١) .

وفي ترجمة محمَّد بن المنكدر(١٣٠هـ) نقل الإمام الذَّهبي عن مصعب بن عبد الله ، قال : حدَّثني إسماعيل بن يعقوب التَّيمي ، قال : كان ابن المنكدر يجلس مع أصحابه ، فكان يصيبه صمات ، فكان يقوم كما هو حتى يضع خدَّه على قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ثمَّ يرجع ، فعوتب في ذلك ، فقال : أنَّه يصيبني خطر ، فإذا وجدت ذلك ، استعنت !!! بقبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم .

وكان يأتي موضعاً من المسجد يتمرَّغ فيه ويضطجع ، فقيل له في ذلك ، فقال : إنِّي رأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في هذا الموضع (٢) .

ونقل الإمام الذَّهبي عَنْ نَافِعٍ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ : أنَّه كَانَ يَكْرَهُ مَسَّ قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم .

قُلْتُ : كَرِهَ ذَلِكَ لأنَّه رَآهُ إِسَاءَةَ أَدَبٍ ، وَقَدْ سُئِلَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَنْ مَسِّ الْقَبْرِ النَّبَوِيِّ وَتَقْبِيلِهِ ، فَلَمْ يَرَ بِذَلِكَ بَأْساً ، رَوَاهُ عَنْهُ وَلَدُهُ عَبْدُ اللهَّ بْنُ أَحْمَدَ .

فَإِنْ قِيلَ : فَهَلا فَعَلَ ذَلِكَ الصَّحابة ؟ قِيلَ : لأنَّهم عَايَنُوهُ حَيّاً وَتَمَلَّوْا بِهِ وَقَبَّلُوا يَدَهُ وَكَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وُضُوئِهِ وَاقْتَسَمُوا شَعْرَهُ الْمُطَهَّرَ يَوْمَ الحَجِّ الأَكْبَرِ ، وَكَانَ إِذَا تَنَخَّمَ لا تَكَادُ نُخَامَتُهُ تَقَعُ إِلا فِي يَدِ رَجُلٍ فَيُدَلِّكُ بِهَا وَجْهَهُ ، وَنَحْنُ فلمَّا لَمْ يَصِحْ لَنَا مِثْلُ هَذَا النَّصِيبِ الأَوْفَرِ تَرَامَيْنَا عَلَى قَبْرِهِ بِالالْتِزَامِ وَالتَّبْجِيلِ وَالاسْتِلامِ وَالتَّقْبِيلِ ، أَلا تَرَى كَيْفَ فَعَلَ ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ ؟ كَانَ يُقَبِّلُ يَدَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَيَضَعُهَا عَلَى وَجْهِهِ وَيَقُولُ : يَدٌ مَسَّتْ يَدَ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم .

وَهَذِهِ الأُمُورُ لا يُحَرِّكُهَا مِنَ الْمُسْلِمِ إِلَّا فَرْطُ حُبِّهِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، إِذْ هُوَ مَأْمُورٌ بِأَنْ يُحِبَّ اللهَّ وَرَسُولَهُ أَشَدَّ مِنْ حُبِّهِ لِنَفْسِهِ ، وَوَلَدِهِ والنَّاس أَجْمَعِينَ ، وَمِنْ أَمْوَالِهِ ، وَمِنَ الجنَّة وَحُورِهَا ، بَلْ خَلْقٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يُحِبُّونَ أَبَا بَكْرٍ ، وَعُمَرَ أَكْثَرَ مِنْ حُبِّ أَنْفُسِهِمْ " (٣) .

---

(١) انظر : المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين (١/ ٢١٥) .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٥٨-٣٥٩) .

(٣) انظر : معجم الشيوخ الكبير (١/ ٧٣) .

وفي شرحه لباب " من لم يستلم إلَّا الرُّكنين اليمانيين " من صحيح البخاري ، قال الحافظ ابن حجر : " استنبط بعضهم من مشروعيَّة تقبيل الأركان جواز تقبيل كلّ من يستحق التَّعظيم من آدمي وغيره . فأمَّا تقبيل يد الآدمي فيأتي في كتاب الأدب ، وأمَّا غيره فنقل عن الإمام أحمد أنَّه سئل عن تقبيل منبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وتقبيل قبره فلم ير به بأساً " (١) .

ونقل الذَّهبي عن البخاري في ترجمته له أنَّه صنَّف كتاب التَّاريخ إذ ذاك عند قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في الليالي المقمرة ، وقلّ اسم في التَّاريخ إلَّا وله قصَّة ، إلَّا أنِّي كرهت تطويل الكتاب (٢)...

وقال ابن عدي : سمعت عبد القدوس بن همام يقول : سمعت عدَّة من المشايخ يقولون : حوّل محمَّد بن إسماعيل تراجم جامعه بين قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ومنبره ، وكان يصلِّي لكلِّ ترجمة ركعتين (٣) .

قلت : وما قصد البخاري ذلك المكان الطَّاهر إلَّا تبرُّكاً به وبقبر الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ...

وقال القاضي عياض : " وعن ابن قسيط والعتبي : كان أصحاب النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إذا خلا المسجد جسّوا رمانة المنبر التي تلي القبر بميامنهم ثمَّ استقبلوا القبلة يدعون (٤) .

وقال القاضي عياض أيضاً : " ورؤي ابن عمر واضعاً يده على مقعد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم من المنبر ثمَّ وضعها على وجهه " (٥) .

وفي ترجمة الإمام أحمد بن حنبل ، قال الإمام الذَّهبي : " قلت : أين المتنطِّع المنكر على أحمد ، وقد ثبت أنَّ عبد الله سأل أباه عمّن يلمس رمَّانة منبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ويمسّ الحجرة النَّبويَّة ، فقال : لا أرى بذلك بأساً . أعاذنا الله وإيَّاكم من رأي الخوارج ومن البدع " (٦) .

---

(١) انظر : فتح الباري (٣/ ٤٧٥) ، وانظر أقوال ابن حجر العسقلاني في التَّبرُّك في الفتح : (١/ ٣٢٧) ، (١/ ٥٢٢) ، (١/ ٥٢٣) ، (١/ ٥٢٥) ، (١/ ٥٦٩) ، (١/ ٥٧١) ، (٣/ ١١٥) ، (٣/ ١٣٩) ، (٣/ ١٤٤) ، (٣/ ٢٥٤) ، (٣/ ٤٧٥) ، (٣/ ١٢٩-١٣٠) ، (٣/ ١٥٨) ، (٣/ ٣٦٧) ، (٤/ ٥) ، (٩/ ٣٤١) ، (٦/ ١١٦) ، (٦/ ٦٠٠) ، (٦/ ٣٥٣) ، (١٠/ ١٠٠) .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٠٠) ، وقال المحقق : انظر : تاريخ بغداد ، (٢/ ٧) ، طبقات السُّبكي الكبرى ، (٢/ ٢١٦) ، مقدمة الفتح (ص٤٧٩) .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٠٤) .

(٤) انظر : الشفا بأحوال المصطفى ، القاضي عياض (٢/ ٢٠٠) .

(٥) انظر : الشفا بأحوال المصطفى (٢/ ١٩٩-٢٠٠) ، مكتبة الفارابي ، دمشق ، طبقات الكبرى (١/ ١٢٣) .

(٦) انظر : سير أعلام النبلاء (١١/ ٢١٢) .

فالإمام الذَّهبي يعتبر من يمنعون لمس رمَّانة منبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وكذا مسَّ حجرته عليه الصَّلاة والسَّلام مبتدعة ، وأنَّهم في ذلك ينهجون نهج الخوارج ...

**الدَّلِيْلُ السَّابِعُ عَشَر** : وقال الإمام محمَّد بن سعد بن منيع الزُّهري (٢٣٠هـ) : " أَخْبَرَنَا الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ ، قَالَ : حدَّثنا سُفْيَانُ ، وَزُهَيْرُ بْنُ مُعَاوِيَةَ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحمن بْنِ سَعْدٍ ، قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ فَخَدِرَتْ رِجْلُهُ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحمن مَا لِرَجْلِكَ ؟ قَالَ : اجْتَمَعَ عَصَبُهَا مِنْ هَاهُنَا - هَذَا فِي حَدِيثِ زُهَيْرٍ وَحْدَهُ - قَالَ : قُلْتُ : ادْعُ أَحَبَّ النَّاس إِلَيْكَ ، قَالَ : يَا محمَّد ، فَبَسَطَهَا " (١) .

وقال الإمام علي بن الجعد بن عبيد أبو الحسن الجوهري البغدادي (٢٣٠هـ) : ... وَبِهِ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ الرَّحمن بْنِ سَعْدٍ ، قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عُمَرَ فُخَدِّرَتْ رِجْلُهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحمن ، مَا لِرِجْلِكَ ؟ قَالَ : " اجْتَمَعَ عَصَبُهَا مِنْ هَاهُنَا ، قُلْتُ : ادْعُ أَحَبَّ النَّاس إِلَيْكَ ، قَالَ : يَا محمَّد ، فَانْبَسَطَتْ " (٢) .

وذكر الإمام البخاري (٢٥٦هـ) في بَابُ : مَا يَقُولُ الرَّجُلُ إِذَا خَدِرَتْ رِجْلُهُ من كتابه :

حَدثنا أَبُو نُعَيْمٍ ، قَالَ : حدَّثنا سُفْيَانُ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحمن بْنِ سَعْدٍ قَالَ : خَدِرَتْ رِجْلُ ابْنِ عُمَرَ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : اذْكُرْ أَحَبَّ النَّاس إِلَيْكَ ، فَقَالَ : يَا محمَّد " (٣) .

وقال الإمام إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق (٢٨٥هـ) : " حدَّثنا عَفَّانُ ، حدَّثنا شُعْبَةُ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَمَّنْ سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ ، قَالَ : خَدِرَتْ رِجْلُهُ ، فَقِيـلَ : اذْكُرْ أَحَبَّ النَّاس ، قَالَ : يَا محمَّد " (٤) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط بن عبد الله بن إبراهيم بن بُدَيْح ، الدِّيْنَوَرِيُّ ، المعروف بـ " ابن السُّنِّي " (٣٦٤هـ) : أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ الصُّوفِيُّ ، حدَّثنا عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ ، ثنا زُهَيْرٌ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحمن بْنِ سَعْدٍ ، قَالَ : " كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ ، فَخَدِرَتْ رِجْلُهُ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحمن ، مَا لِرِجْلِكَ ؟ قَالَ : اجْتَمَعَ عَصَبُهَا مِنْ هَاهُنَا . قُلْتُ : ادْعُ أَحَبَّ النَّاس إِلَيْكَ ، فَقَالَ : يَا محمَّد ، فَانْبَسَطَتْ " (٥) .

---

(١) انظر : الطبقات الكبير (٤/ ١٤٤ برقم ٥١٢١) .

(٢) انظر : مسند ابن الجعد(ص٣٦٩ برقم ٢٥٣٩) .

(٣) انظر : الأدب المفرد (ص٤٤١ برقم ٨٦٤) .

(٤) انظر : غريب الحديث (٢/ ٦٧٣) .

(٥) انظر : عمل اليوم والليلة سلوك النَّبي مع ربه عزَّ وجلَّ ومعاشرته مع العباد (ص١٤٢ برقم ١٧٢) .

وقال الإمام أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيى بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) في كتابه " الأذكار " : " بابُ ما يقولُه إذا خَدِرَتْ رِجْلُه :

روِّينا في كتاب ابن السنِّي عن الهيثم بن حنش ، قال : كنَّا عندَ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فخدِرَتْ رجلُه ، فقال له رجل : اذكر أحبَّ النَّاس إليك ، فقال : يا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فكأنَّما نُشِطَ من عِقَال .

وروينا فيه ، عن مُجاهد ، قال : خَدِرَتْ رِجلُ رجلٍ عند ابن عبَّاس ، فقال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما : اذكر أحبَّ النَّاس إليك ، فقال : محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فذهبَ خَدَرُه .

وروِّينا فيه ، عن إبراهيم بن المنذر الحزامي أحدِ شيوخ البخاري الذين روى عنهم في صحيحه ، قال : أهلُ المدينة يَعجبون من حُسن بيت أبي العتاهية :

وتَخْدَرُ في بعضِ الأحايينِ رِجْلُهُ    فإنْ لم يَقلْ يا عُتْب لم يذهبِ الخَدَرْ (١)

وقال الإمام يوسف بن عبد الرَّحمن بن يوسف ، أبو الحجَّاج ، جمال الدِّين ابن الزَّكي أبي محمَّد القضاعي الكلبي المزّي (٧٤٢هـ) : " أَخْبَرَنَا بِهِ أَبُو الحسن بْن البخاري ، وزينب بنت مكِّي ، قَالا : أخبرنا أَبُو حفص بن طبرزذ ، قال : أخبرنا الْحَافِظُ أَبُو الْبَرَكَاتِ الأنماطي ، قال : أَخْبَرَنَا أبو محمَّد الصّريفيني ، قال : أَخْبَرَنَا أبو القاسم بْنِ حُبَابَةَ ، قال : أَخْبَرَنَا عَبد الله بْن محمَّد البغوي ، قال : حدَّثنا علي بْن الجعد ، قال : أَخْبَرَنَا زُهَيْرٌ ، عَن أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ عَبْد الرَّحمن بْن سَعْد ، قال : كنت عِنْدَ عَبد اللهَّ بْنِ عُمَر ، فَخُدِّرَتْ رِجْلُهُ، فَقُلْتُ له : يا عَبْدِ الرَّحمن مَا لِرِجْلِكَ ؟ قال : اجْتَمَعَ عَصَبُهَا مِنْ هَاهُنَا . قال : قُلْتُ : ادْعُ أَحَبَّ النَّاس إِلَيْكَ ، فَقَالَ : يَا محمَّد ، فَانْبَسَطَتْ . رَوَاهُ عَن أَبِي نُعَيْمٍ ، عَنْ سُفْيَانَ ، عَن أَبِي إِسْحَاقَ مُخْتَصَراً " (٢) .

والرِّواية ذكرها الإمام تقي الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمَّد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدِّمشقي في كتابه : " الكلم الطيِّب " (٣) ، ولم يعقِّب عليها ...

قلت : وكعادتهم ، فقد قام مدَّعو السَّلفيَّة بشطب ياء النِّداء من الرِّواية ، وذلك في كتاب " الأدب المفرد " الذي حقَّقه : سمير بن أمين الزّهيري ، مكتبة المعارف للنَّشر والتَّوزيع ، الرِّياض ، الطَّبعة : الأولى ، (١٤١٩هـ ،

---

(١) انظر : الأذكار النووية أو " حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار المستحبة في الليل والنهار " (ص٤٧٨) .

(٢) انظر : تهذيب الكمال في أسماء الرجال (١٧/ ١٤٣) .

(٣) الكلم الطيب ، (ص٩٦) ، تحقيق : الدكتور السيد الجميلي ، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٧٨م .

١٩٩٨م) " ، كما تمَّ شطبها من نسخة " الكلم الطيِّب " الموجودة في المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ، والتي حقَّقها السيِّد الجميلي ، وكذا حذفت من نسخة : " الوابل الصيِّب من الكلم الطيِّب " ، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدِّين ابن قيِّم الجوزيَّة ، (ص٢٠٤) ، تحقيق : محمَّد عبد الرَّحمن عوض دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطَّبعة : الأولى ، ( ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م ) ، وكذا تمَّ حذفها من نسخة " عمل اليوم والليلة سلوك النَّبي مع ربِّه عزَّ وجلَّ ومعاشرته مع العباد " ، أحمد بن محمَّد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط بن عبد الله بن إبراهيم بن بُدَيْح ، الدِّيْنَوَرِيُّ ، المعروف بـ ابن السُّنِّي ، (ص١٤١) ، تحقيق : كوثر البرني ، دار القبلة للثَّقافة الإسلاميَّة ومؤسسة علوم القرآن ، جدَّة ، بيروت ... انظر تلاعبهم وعبثهم المتقدِّم في نسخة الكتاب الموجودة ضمن المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ...

قلت : فانظر يا رعاك الله كيف جعله ابن تيمية من " الكلم الطيِّب " ولم يعترض عليه !!! وجعله في محلِّ الاستشهاد دون الإنكار ... والأثر فيه توسُّل بالنَّبي ونداءه والاستشفاع به في الكُرب ، والمرض ، والشَّدائد ...

**الدَّلِيْلُ الثَّامِنُ عَشَر :** وقال الإمام محمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطَّبري (٣١٠هـ) في معرض كلامه عن وقعة اليمامة : " ... ثمَّ بَرَزَ خَالِدٌ ، حَتَّى إِذَا كَانَ أَمَامَ الصَّفِّ دَعَا إِلَى الْبِرَازِ وَانْتَمَى ، وَقَالَ : أَنَا ابْنُ الْوَلِيدِ الْعود ، أَنَا ابْنُ عَامِرٍ وَزَيْدٍ ! وَنَادَى بِشِعَارِهِمْ يَوْمَئِذٍ ، وَكَانَ شِعَارُهُمْ يَوْمَئِذٍ : يَا مُحَمَّدَاهُ ! " (١) .

فشعارهم المتضمِّن قولهم : وامحمَّداه : هو توسُّل بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ...

وقال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمَّ الدِّمشقي (٧٧٤هـ) : " قَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنيا : وَحَدَّثَنِي مَسْلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ ، عَنِ الْحُمَيْدِيِّ ، عَنْ سُفْيَانَ ، سَمِعْتُ سَالِمَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ ، قَالَ : قَالَ الْحَسَنُ : لما جِيءَ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ جَعَلَ يَزِيدُ يَطْعَنُ بِالْقَضِيبِ . قَالَ : سُفْيَانُ : وَأَخْبِرْتُ أَنَّ الْحَسَنَ كَانَ يُنْشِدُ عَلَى إِثْرِ هَذَا :

سُمَيَّةُ أَمْسَى نَسْلُهَا عَدَدَ الْحَصَى    وَبِنْتُ رَسُولِ اللهَّ لَيْسَ لَهَا نَسْلُ

وَأَمَّا بَقِيَّةُ أَهْلِهِ وَنِسَاؤُهُ وَحَرَمُهُ ، فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ وَكَلَ بِهِمْ مَنْ يَحْرُسُهُمْ وَيَكْلَؤُهُمْ ، فَأَرْكَبُوهُمْ عَلَى الرَّوَاحِلِ فِي الْهَوَادِجِ ، فلمّا مَرُّوا بِمَكَانِ الْمَعْرَكَةِ رَأَوُا الْحُسَيْنَ وَأَصْحَابَهُ مُجَدَّلِينَ ، هُنَالِكَ بَكَتْهُ النِّسَاءُ ، وَصَرَخْنَ وَنَدَبَتْ زَيْنَبُ أَخَاهَا الْحُسَيْنَ وَأَهْلَهَا ، فَقَالَتْ وَهِيَ تَبْكِي : يَا مُحَمَّدَاهُ ، يَا مُحَمَّدَاهُ ، صَلَّى عَلَيْكَ مَلَائِكَةُ السَّماء ،

---

(١) انظر : تاريخ الطَّبري (تاريخ الرسل والملوك) (٢/ ٢٨١) ، وانظر : البداية والنهاية ، ابن كثير ، (٦/ ٣٥٧) ، الكامل في التَّاريخ (٢/ ٢١٧) .

هَذَا حُسَيْنٌ بِالْعَرَاءِ ، مُزَمَّلٌ بِالدِّمَاءِ ، مُقَطَّعُ الْأَعْضَاءِ ، يَا مُحَمَّدَاهُ ، وَبَنَاتُكَ سَبَايَا ، وَذُرِّيَّتُكَ مُقَتَّلَةٌ تَسْفِي عَلَيْهَا الصَّبَا . قَالَ : فَأَبْكَتْ وَاللهِ كُلَّ عَدُوٍّ وَصَدِيقٍ " (١) .

وجاء في تاريخ الطَّبَري : " ... وذكر ضمره بن ربيعه ، عن أبي شوذب : أنَّ عمال الحجَّاج كتبوا إليه : أنَّ الخراج قد انكسر ، وأنَّ أهل الذمَّة قد أسلموا ولحقوا بالأمصار ، فكتب إلى البصرة وغيرها أنَّ من كان له أصل في قرية فليخرج إليها . فخرج النَّاس فعسكروا ، فجعلوا يبكون وينادون : يا مُحَمَّداه يا مُحَمَّداه ! وجعلوا لا يدرون أين يذهبون ! فجعل قرَّاء أهل البصرة يخرجون إليهم متقنِّعين فيبكون لما يسمعون منهم ويرون " (٢) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمَّد بن محمَّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشَّيباني الجزري ، عز الدِّين ابن الأثير (٦٣٠هـ) في حوادث سنة (١٣٧هـ) : " وَفِي هَذِهِ السُّنَّة خَرَجَ سُنْبَاذُ بِخُرَاسَانَ يَطْلُبُ بِدَمِ أَبِي مُسْلِمٍ ، وَكَانَ مَجُوسِيّاً مِنْ قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى نَيْسَابُورَ يُقَالُ لَهَا أَهْرَوَانَهْ ، كَانَ ظُهُورُهُ غَضَباً لِقَتْلِ أَبِي مُسْلِمٍ ، لأَنَّه كَانَ مِنْ صَنَائِعِهِ ، وَكَثُرَ أَتْبَاعُهُ ، وَكَانَ عَامَّتُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْجِبَالِ ، وَغَلَبَ عَلَى نَيْسَابُورَ وَقُومِسَ وَالرَّيِّ ، وَتُسَمَّى فَيْرُوزَ أَصْبَهْبَذَ .

فَلَمَّا صَارَ بِالرَّيِّ أَخَذَ خَزَائِنَ أَبِي مُسْلِمٍ ، وَكَانَ أَبُو مُسْلِمٍ خَلَّفَهَا بِالرَّيِّ حِينَ شَخَصَ إلى أَبِي العبَّاس ، وَسَبَى الْحُرَمَ ، وَنَهَبَ الْأَمْوَالَ ، وَلَمْ يَعْرِضْ لِلتُّجَّارِ ، وَكَانَ يُظْهِرُ أَنَّه يَقْصِدُ الْكَعْبَةَ وَيَهْدِمُهَا .

فَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْمَنْصُورُ جُمْهُورَ بْنَ مِرَّارٍ الْعِجْلِيَّ فِي عَشَرَةِ آلَافِ فَارِسٍ ، فَالْتَقَوْا بَيْنَ هَمَذَانَ وَالرَّيِّ عَلَى طَرَفِ الْمَفَازَةِ ، وَعَزَمَ جُمْهُورٌ عَلَى مُطَاوَلَتِهِ ، فلمَّا الْتَقَوْا قَدَّمَ سُنْبَاذُ السَّبَايَا مِنَ النِّسَاءِ الْمُسْلِمَاتِ عَلَى الْجِمَالِ ، فلمَّا رَأَيْنَ عَسْكَرَ الْمُسْلِمِينَ قُمْنَ فِي الْمَحَامِلِ وَنَادَيْنَ : وَامُحَمَّدَاهُ ! ذَهَبَ الْإِسْلَامُ ! وَوَقَعَتِ الرِّيحُ فِي أَثْوَابِهِنَّ ، فَنَفَرَتِ الْإِبِلُ وَعَادَتْ عَلَى عَسْكَرِ سُنْبَاذَ ، فَتَفَرَّقَ الْعَسْكَرُ ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ الْهَزِيمَةِ " (٣) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي (٥٩٧هـ) : " أَخْبَرَنَا محمَّد بن ناصر الحافظ ، قال : أخبرنا المبارك بْن عَبْد الْجَبَّارِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا إِبرَاهِيم بْن عُمَر البرمكي ، قَالَ : أَنْبَأَنَا أَبُو الحسين بْن عَبْد اللهَّ بْن إِبْرَاهِيم الزَّيْنبيّ ، قَالَ : حدَّثنا محمَّد بن خلف بن المرزبان ، قال : حدَّثني أحمد بْن زهير ، قَالَ : حدَّثني عَلِيّ بْن البربري ، قَالَ : حدَّثني أبي- وَكَانَ أول من سكن طرسوس حين بْناها أَبُو سليم ، وَكَانَ شيخاً

---

(١) انظر : البداية والنهاية (١١/ ٥٥٩-٥٦٠)، وانظر : تاريخ الأمم والملوك (٣/ ٣٣٦) ، الكامل في التَّاريخ (٣/ ١٨٥).

(٢) انظر : تاريخ الأمم والملوك (٣/ ٦٤٨) .

(٣) انظر : الكامل في التَّاريخ (٥/ ٦٦) .

قديماً ، قَالَ : كَانَ يغازينا من الشَّام ثلاثة أخوة فرسان شجعان ، وكانوا لا يخالطون العسكر ، وكانوا يسيرون وحدهم ، وينزلون كذلك ، فإذا رأوا العدو لم يقاتلوا مَا كفوا ، فغزوا مرَّة ، فلقيهم الطَّاغية في جمع كثير ، فقاتلوا المسلمين فقتلوا وأسروا ، فَقَالَ بعضهم لبعض : قَدْ ترون مَا نزل بالمسلمين ، وقد وجب علينا أن نبذل أنفسنا ونقاتل فتقدَّموا ، وقالوا لمن بقي من المسلمين : كونوا وراء ظهورنا وخلوا بيننا وبين القتال نكفيكم إن شاء الله تعالى . فقاتلوا فقهروا الرُّوم ، فَقَالَ ملك الرُّوم لمن معه من البطارقة : من جاءني برجل من هؤلاء قدَّمته وبطرقته . فألقت الرُّوم أنفسها عليهم فأخذوهم أسرى ، لم يصب رجل منهم كلم ، فَقَالَ ملك الروم : لا غنيمة ولا فتح أعظم من أخذ هؤلاء . فرحل بهم حَتَّى نزل بهم القسطنطينية ، فعرض عليهم النَّصرانيَّة ، وَقَالَ : إنِّي أجعل فيكم الملك وأزوجكم بْناتي . فأبوا عليه ونادوا : يا محمداه ، فَقَالَ الملك : مَا يقولون ؟ قالوا : يدعون نبيَّهم ... " (١) .

---

(١) انظر : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (٨/ ٣٢٩) .

# الفَصْلُ الخَامِسُ

## أَقْوَالُ العُلَمَاءِ فِي التَّوَسُّلِ

إنَّ النَّاظر في كتب أهل العلم من الرَّبَّانيين المخلصين يجد أنَّهم في كتبهم التي سطَّروها لا يتردَّدون عن افتتاحها بالتَّوسُّل إلى الله تعالى بجاه الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كي يعينهم على الإخلاص فيها وتحقُّق النفع بها لعموم الأمَّة ، وكذا يختمونها متوسِّلين به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إلى الله تعالى كي يتقبَّلها منهم بقبول حسن ، ولكن جاء في القرون المتأخِّرة من أشاح بوجهه وأدار ظهره لعموم الأمَّة ، وزعم أنَّه الوحيد الذي يفهم التَّوحيد ، فسطَّر في كتبه مسائل تُضحك الثَّكلى ، فسال به السَّيل وهو لا يدري ، ومن ضمن تلك المسائل التي خالف بها عموم الأمَّة : قوله بعدم جواز التَّوسُّل بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وكذا بغيره من عباد الله الصَّالحين ، واتَّهم هو وشيعته من بعده عموم الأمَّة التي اعتادت على التَّوسُّل بالشِّرك والإلحاد والخروج من ربقة التَّكليف ، مع أنَّ الإجماع معقود في هذه المسألة ، وقد ذكر ذلك كبار العلماء كـ : تقي الدِّين السُّبكي وغيره من أساطين العلم ، وظلَّ المسلمون مجمعون على التَّوسُّل حتى جاء ابن تيمية في القرن الثَّامن ، فقال بحرمته وبالإغلاظ على المتوسِّلين حتى رماهم بالشِّرك ، فأمات العلماء دعوته ، وانتهت فتنته ، حتى أحياها محمَّد بن عبد الوهَّاب في القرن الثَّاني عشر ، فقام بدعوته وسطوته ، التي جرَّت على الأمَّة الإحن والمحن وما زالت ، فكفَّر وبدَّع عموم الأمَّة ، واستحلَّ دماء الموحِّدين ، فقتل عشرات الألوف منهم ، وسلب ونهب أموالهم ، وسبى نسائهم .... بحجَّة المحافظة على التَّوحيد ، وما زال أتباعه حجر عثرة أمام تقدُّم الأمَّة ، لأنَّه هكذا أُريد لهم ... على أنَّنا معاشر الموحِّدين مطالبون باتِّباع الإجماع ، لأنَّه حجَّة من الحجج ...

قال الإمام أبو حامد محمَّد بن محمَّد الغزالي (٥٠٥هـ) : " الْإِجْمَاعُ أَعْظَمُ أُصُولِ الدِّين ، فَلَوْ خَالَفَ فِيهِ مُخَالِفٌ ؛ لَعَظُمَ الْأَمْرُ فِيهِ وَاشْتَهَرَ الْخِلَافُ ، إِذْ لَمْ يَنْدَرِسْ خِلَافُ الصَّحابة فِي دِيَةِ الْجَنِينِ .. وَحَدِّ الشُّرْبِ .فَكَيْفَ انْدَرَسَ الْخِلَافُ فِي أَصْلٍ عَظِيمٍ يَلْزَمُ فِيهِ التَّضْلِيلُ وَالتَّبْدِيعُ لِمَنْ أَخْطَأَ فِي نَفْيِهِ وَإِثْبَاتِهِ ؟ وَكَيْفَ اشْتَهَرَ خِلَافُ النَّظَّامِ مَعَ سُقُوطِ قَدْرِهِ وَخِسَّةِ رُتْبَتِهِ وَخَفِيَ خِلَافُ أَكَابِرِ الصَّحابة وَالتَّابِعِينَ ؟ هَذَا مِمَّا لَا يَتَّسِعُ لَهُ عَقْلٌ أَصْلاً " (١) .

وقال الإمام ابن تيمية (٧٢٨هـ) : " إِجْمَاعُ هَذِهِ الأمَّة حُجَّةً ؛ لِأَنَّ اللهَّ تَعَالَى أَخْبَرَ أَنَّهم يَأْمُرُونَ بِكُلِّ مَعْرُوفٍ وَيَنْهَوْنَ عَنْ كُلِّ مُنْكَرٍ ؛ فَلَوْ اتَّفَقُوا عَلَى إبَاحَةِ مُحَرَّمٍ أَوْ إسْقَاطِ وَاجِبٍ ؛ أَوْ تَحْرِيمِ حَلَالٍ أَوْ إخْبَارٍ عَنْ اللهَّ تَعَالَى ؛ أَوْ خَلْقِهِ بِبَاطِلِ : لَكَانُوا مُتَّصِفِينَ بِالْأَمْرِ بِمُنْكَرٍ وَالنَّهْيِ عَنْ مَعْرُوفٍ : مِنْ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالح ؛ بَلْ الْآيَةُ

---

(١) انظر : المستصفى (١/ ١٣٩-١٤٠) .

تَقْتَضِي أَنَّ مَا لَمْ تَأْمُرْ بِهِ الأمَّة فَلَيْسَ مِنْ الْمَعْرُوفِ وَمَا لَمْ تَنْهَ عَنْهُ فَلَيْسَ مِنْ الْمُنْكَرِ . وَإِذَا كَانَتْ آمِرَةً بِكُلِّ مَعْرُوفٍ نَاهِيَةً عَنْ كُلِّ مُنْكَرٍ : فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ تَأْمُرَ كُلُّهَا بِمُنْكَرٍ أَوْ تَنْهَى كُلُّهَا عَنْ مَعْرُوفٍ " (١) .

وقال الإمام عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدِّين البخاري الحنفي (٧٣٠هـ) : " وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْإِجْمَاعَ حُجَّةٌ مَقْطُوعٌ بِهَا عِنْدَ عَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَمِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ مَنْ لَمْ يَجْعَلْهُ حُجَّةً ، مِثْلُ : إبْرَاهِيمَ النَّظَّامِ ، وَالْقَاشَانِيِّ مِنْ الْمُعْتَزِلَةِ ، وَالْخَوَارِجِ ، وَأَكْثَرِ الرَّوَافِضِ " (٢) .

ولذا فعلى العلماء أن ينبِّهوا ويوضِّحوا للنَّاس الحقَّ من الباطل في هذه المسألة وغيرها ، ولذلك كانت هذه الدِّراسة ، التي كشفت عن أنَّ جمهور بل عموم العلماء الرَّبَّانيِّين المخلصين يقولون بجواز التَّوسُّل إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين ، وهذه باقة من أقوالهم ...

قال الإمام محمَّد بن عمر بن واقد السَّهمي الأسلمي بالولاء ، المدني ، أبو عبد الله ، الواقدي (٢٠٧هـ) : " وقال أبو سبرة ابراهيم بن عبد العزيز بن أبي قيس ، وكان من السَّابقين والمتقدِّمين بإيمانهم في الإسلام وصاحب الهجرتين جميعاً ، قال : شهدتُ قتال الحبشة مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، وشهدت المشاهد مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في بدر ، وفي أحد ، وفي حنين ، وقلت : إنِّي لا أشهد مثلها ، فلمَّا قُبض رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حزنتُ عليه ولم أستطع أن أُقيم بالمدينة بعد فقْده ، فقدمت مكة ، فأقمتُ بها ، فعوتبتُ في منامي من التَّخلُّف عن الجهاد ، فخرجتُ إلى الشَّام ، وشهدتُ أجنادين والشَّام وسريَّة خالد خلف توما وهربيس ، وشهدت سريَّة عبد الله بن جعفر ، وكنت معه على دير أبي القدس ... فألجأ إلى الله تعالى أَمْره ، وفوَّضَ إلى صاحب السَّماء شأنه ، ورفع يده إلى السَّماء ، وقال في دعائه : يا من خلق خلقه ، وأبلى بعضهم ببعض ، وجعل ذلك محنة لهم ، أسألك بجاه محمَّد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إلَّا ما جعلت لنا من أمرنا فرجاً ومخرجاً " (٣) .

وقال الإمام محمَّد بن عمر بن واقد السّهمي الأسلمي بالولاء ، المدني ، أبو عبد الله الواقدي أيضاً : " ... فأرسل الكتاب لعمر رضي الله عنه ، فقرأه على المسلمين ، واستشارهم في الأمر ، فقال علي رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين مُر صاحبك أن يصير إلى بيت المقدس ، فيحدقوا بها ويقاتلوا أهلها ، فهو خير الرَّأي وأكبره ، وإذا فتحت بيت المقدس فاصرف جيشه إلى قيساريَّة ، فإنَّها تفتح بعد أن شاء الله تعالى ، كذا أخبرني رسول الله صَلَّى

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٢٥) .

(٢) انظر : كشف الأسرار شرح أصول البزدوي (٣/ ٢٥٢) .

(٣) انظر : فتوح الشَّام (١/ ٩٤) .

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم . قال : صدقت يا أبا الحسن ، فكتب إليه : بسم الله الرَّحمن الرَّحيم من عبد الله عمر بن الخطاب إلى عامله بالشَّام أبي عبيدة ، أمَّا بعد : فإنِّي أحمد الله الذي لا إله إلَّا هو ، وأصلِّي على نبيِّه ، وقد ورد عليَّ كتابك ، وفيه تستشيرني في أي ناحية تتوجَّه إليها ، وقد أشار ابن عم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بالسَّير إلى بيت المقدس ، فإن الله سبحانه وتعالى يفتحها على يديك ، والسَّلام عليك ، ثمَّ طوى الكتاب ودفعه إلى عرفجة ، وأمره أن يعجِّل بالمسير فسار حتى قدم على أبي عبيدة ، فوجده على الجابية ، فدفع الكتاب إليه ، فقرأ على المسلمين ، ففرحوا بمسيرهم إلى بيت المقدس ، فعندها دعا أبو عبيدة بخالد بن الوليد ، وعقد له راية ، وضم إليه خمسة آلاف فارس من خيل الزَّحف ، وسرَّحه إلى بيت المقدس ثمَّ دعا بيزيد بن أبي سفيان ، وعقد له راية على خمسة آلاف ، وأمره أن يلحق بخالد إلى بيت المقدس ، وقال له : يا ابن أبي سفيان ما علمتك إلَّا ناصحاً ، فإذا أشرفت على بلد إيلياء ، فارفعوا أصواتكم بالتَّهليل والتَّكبير ، واسألوا الله بجاه نبيِّه ومن سكنها من الأنبياء والصَّالحين ، أن يسهِّل فتحها على أيدي المسلمين ... " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن عمر بن واقد السَّهمي الأسلمي بالولاء ، المدني ، أبو عبد الله ، الواقدي: " ثمَّ أنَّ المغيرة رضي الله عنه دخل إلى خيمته ، ولبس درعه ، وشدَّ وسطه بمنطقته ، وهي من الأدم ، وفيها خنجران : واحد عن اليمين ، وواحد عن الشِّمال ، وتقلَّد بسيف من جوهر ، واعتقل برمح أسمر ، وركب جواده الأدهم ، وأخذ كل واحد منهم عبده راكباً على بغلة ، وودَّعهم ، فالتفت الأمير عياض ، وقال للمغيرة : اعرف يا أبا شعبة ما تكلَّم به هذا الملعون ، فما عرفتك إلَّا مفلح الحجَّة ، فادعه إلى الإسلام ، وما فرض عليه من الصَّلاة ، والزَّكاة ، والصِّيام ، والحجِّ ، والجهاد ، وما أبيح من الحلال ، وما حرم من الحرام ، فإن أبى فالجزية في كلِّ عام ، فإن أبى فالقتال بحدِّ الحسام ، ونرجو النَّصر من الملك الديَّان بجاه محمَّد خير الأنام " (٢) .

وقال الإمام عبد الملك بن حَبِيب بن حبيب بن سليمان بن هارون السّلمي الإلبيري القرطبي ، أبو مروان (٢٣٨هـ) : " ... لَا إِلَه إِلَّا هُوَ ربّ الْأَوَّلين والآخرين ، وَسَلام على عباده الَّذين اصْطفى ، توسلنا إِلَيْك يَا الله بجاه سيِّدنا ومولانا محمَّد الْمُصْطَفى وَأَصْحَابه الْخُلَفَاء أَن يرزقنا تَوْبَة وَحسن الْوَفَاء وَالْهِدَايَة " (٣) .

---

(١) انظر : فتوح الشَّام (١/ ٩٤) .

(٢) انظر : : فتوح الشَّام (١/ ٢٢٠) .

(٣) انظر : (مختصر في الطب) العلاج بالأغذية والأعشاب في بلاد المغرب (ص١٢١) .

وجاء في " العلل ومعرفة الرِّجال " للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشَّيباني: " سَأَلته عَن الرجل يمسّ مِنبَر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ويتبرَّك بمسِّه ويقبِّله ، وَيفْعل بالقبر مثل ذَلِك أَو نَحْو هَذَا ، يُرِيد بذلك التَّقَرُّب إلى الله جلَّ وَعزَّ ، فَقَالَ : لَا بَأْس بذلك " [1] .

وقال أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشَّيباني كما قال ابنه عبد الله رواية عنه : " سَمِعت أبي يَقُول : حججْت خمس حجج ، مِنْهَا ثِنْتَيْنِ رَاكِباً وَثَلَاثَة مَاشِياً اَوْ ثِنْتَيْنِ مَاشِياً وَثَلَاثَة رَاكِباً ، فضللت الطَّرِيق فِي حجَّة وَكنت مَاشِياً ، فَجعلت أقول : يَا عباد الله دلّونا على الطَّرِيق ، فَلم أزل أقول ذَلِك حَتَّى وَقعت الطَّرِيق اَوْ كَمَا قَالَ أبي "[2] .

وقال الإمام أحمد بن حنبل: " قَالَ ابن عُيَيْنَة : رجلَانِ صالحان يُستسقى بهما : بن عجلَان ، وَيزِيد بن يزِيد بن جَابر " [3] .

" وجاء في مسند الإمام أحمد ما نصّه : تم المجلَّد الثَّاني من مسند الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، ويليه المجلَّد الثَّالث ، أوله : مسند جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله تعالى عنه ، وقد تمَّ بقلم الحقير الفقير ، أفقر العباد وأذلهم وأدناهم محمَّد بن علي بن ملا أحمد سبتة ، غفر الله له ولوالديه ولكافة المؤمنين والمؤمنات ، وأسأل الله تعالى أن يوفِّقنا لتتمة كمال المسند بجاه سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم " [4] .

وجاء فيه أيضاً : " ... جعل الله ذلك في حيز القبول بجاه أفضل رسول ، صَلَّى الله عليه وعلى آله أجمعين " [5] .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن إسحاق بن العبَّاس المكِّي الفاكهي (٢٧٢هـ) : " حدَّثنا أَبُو بَكْرِ بْنُ محمَّد بْنِ عُبَيْدِ بْنِ سُفْيَانَ الْأُمَوِيُّ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبَانَ الْعَامِرِيِّ ، قَالَ : ثنا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ ، عَنْ طَارِقِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ (١٠٥هـ) ، قَالَ : " لَقَدْ رَأَيْتُ عَجَباً ، كُنَّا بِفِنَاءِ الْكَعْبَةِ أَنَا وَعَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ (٧٣هـ) ، وَعَبْدُ الله بْنُ الزُّبَيْرِ (٧٣هـ) ، وَمُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ (٣هـ) ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ (٨٦هـ) ، فَقَالَ الْقَوْمُ بَعْدَ أَنْ فَرَغُوا مِنْ حَدِيثِهِمْ : لِيَقُمْ

---

[1] انظر : العلل ومعرفة الرجال (٢/ ٤٩٢) .

[2] انظر : مسائل أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله (ص٢٤٥) .

[3] انظر : العلل ومعرفة الرجال (ص١٦٣) ، (ص٣٧٤) .

[4] انظر : مسند الإمام أحمد بن حنبل( ١/ ١٠٧) .

[5] انظر : مسند الإمام أحمد بن حنبل (١/ ١٠٨) .

رَجُلٌ رَجُلٌ فَلْيَأْخُذْ بِالرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ ، فَلْيَسْأَلِ اللهَ تَعَالَى حَاجَتَهُ ؛ فَإِنَّهُ يُعْطِي مِنْ سَعَتِهِ ، قُمْ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ ؛ فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَوْلُودٍ وُلِدَ فِي الْهِجْرَةِ ، فَقَامَ فَأَخَذَ بِالرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ ثمَّ قَالَ : اللهمَّ إِنَّكَ عَظِيمٌ تُرْجَى لِكُلِّ عَظِيمٍ ، أَسْأَلُكَ بِحُرْمَةِ وَجْهِكَ ، وَحُرْمَةِ عَرْشِكَ ، وَحُرْمَةِ بَيْتِكَ ، أَنْ لَا تُمِيتَنِي مِنَ الدُّنيا حَتَّى تُوَلِّيَنِي الْحِجَازَ وَيُسَلَّمُ عَلَيَّ بِالْخِلَافَةِ ، وَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ ، فَقَالُوا : قُمْ يَا مُصْعَبُ بْنَ الزُّبَيْرِ فَقَامَ حَتَّى أَخَذَ بِالرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ ، فَقَالَ : اللهمَّ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ ، وَإِلَيْكَ كُلُّ شَيْءٍ ، أَسْأَلُكَ بِقُدْرَتِكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، أَنْ لَا تُمِيتَنِي مِنَ الدُّنيا حَتَّى تُوَلِّيَنِي الْعِرَاقَ وَتُزَوِّجَنِي سَكِينَةَ بِنْتَ الْحُسَيْنِ ، وَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ ، فَقَالُوا : قُمْ يَا عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ فَقَامَ فَأَخَذَ بِالرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ ، فَقَالَ : اللهمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ ، وَرَبَّ الْأَرْضِ ذَاتِ النَّبْتِ بَعْدَ الْقَفْرِ ، أَسْأَلُكَ بِمَا سَأَلَكَ عِبَادُكَ الْمُطِيعُونَ لِأَمْرِكَ ، وَأَسْأَلُكَ بِحُرْمَةِ وَجْهِكَ ، وَأَسْأَلُكَ بِحَقِّكَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ ، وَبِحَقِّ الطَّائِفِينَ حَوْلَ بَيْتِكَ ، أَنْ لَا تُمِيتَنِي حَتَّى تُوَلِّيَنِي شَرْقَ الْأَرْضِ وَغَرْبَهَا ، وَلَا يُنَازِعَنِي أَحَدٌ إِلَّا أُتِيتُ بِرَأْسِهِ ، ثمَّ جاءَ حَتَّى جَلَسَ ، فَقَالُوا : قُمْ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ فَقَامَ حَتَّى أَخَذَ بِالرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ ثمَّ قَالَ : اللهمَّ يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ ، أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي سَبَقَتْ غَضَبَكَ ، وَأَسْأَلُكَ بِقُدْرَتِكَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ ، أَنْ لَا تُمِيتَنِي مِنَ الدُّنيا حَتَّى تُوجِبَ لِيَ الجنَّة ، قَالَ الشَّعْبِيُّ : فَمَا ذَهَبَتْ عَيْنَايَ مِنَ الدُّنيا حَتَّى رَأَيْتُ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ قَدْ أُعْطِيَ مَا سَأَلَ ، وَبُشِّرَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بِالْجَنَّةِ ، وَرُئِيَتْ لَهُ " (١) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن إسحاق بن العبَّاس المكي الفاكهي (٢٧٢هـ) : "حَدَّثَنَا مَيْمُونُ بْنُ الْحَكَمِ ، قَالَ : ثنا محمَّد بْنُ جُعْشُمٍ ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ أَبِي يَزِيدَ ، قَالَ : إِنَّ عَبْدَ الرَّحمن بْنَ طَارِقِ بْنِ عَلْقَمَةَ ، أَخْبَرَهُ عَنْ أُمِّهِ " أَنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كَانَ إِذَا جَاءَ مَكَاناً مِنْ دَارِ يَعْلَى – نَسِيَهُ عُبَيْدُ اللهِ – اسْتَقْبَلَ الْبَيْتَ فَدَعَا " وَكُنْتُ أَنَا أَنْصَرِفُ وَعُبَيْدُ اللهِ بْنُ كَثِيرٍ ، حَتَّى إِذَا جِئْنَا ذَلِكَ الْمَكَانَ ، اسْتَقْبَلَ الْبَيْتَ وَدَعَا ، وَقَالَ : بَلَغَنِي فِي هَذَا الْمَقَامِ نَبِيٌّ " (٢) .

وقال الإمام أبو محمَّد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروري الدَّينوري (٢٧٦هـ) : " ... أعادها الله تعالى للإسلام بجاه النَّبي عليه أفضل الصَّلاة وأزكى السَّلام " (٣) .

---

(١) انظر : أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه (١/ ١٤٠) .

(٢) انظر : أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه (٣/ ٢٥٦) .

(٣) انظر : أدب الكاتب (ص١) .

وقال الإمام ابن أبي الدُّنيا (٢٨١هـ) : " حدَّثنا أَبُو هِشَامٍ ، سَمِعْتُ عَنَ كَثِيرِ بْنِ محمَّد بْنِ كَثِيرِ بْنِ رِفَاعَةَ ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إلى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ حَيَّانَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ أَبْجَر ، فَجَسَّ بَطْنَهُ ، فَقَالَ : بِكَ دَاءٌ لَا يَبْرَأُ ، قَالَ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : هُوَ الدُّبَيْلَةُ ، فَتَحَوَّلَ الرَّجُلُ ، فَقَالَ : الله ، الله ، رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً ، اللهمَّ إِنِّي أَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، يَا محمَّد ، إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إلى رَبِّكَ وَرَبِّي أَنْ يَرْحَمَنِي مِمَّا بِي رَحْمَةً يُغْنِينِي بِهَا عَنْ رَحْمَةِ مَنْ سِوَاهُ – ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثمَّ دَعَا إلى ابْنِ أَبْجَرَ ، فَجَسَّ بَطْنَهُ ، فَقَالَ : بَرَأْتَ ، مَا بِكَ عِلَّةٌ " (١) .

قال الإمام ابن تيمية : " فَهَذَا الدُّعاء وَنَحْوُهُ قَدْ رُوِيَ أَنَّه دَعَا بِهِ السَّلف ، وَنُقِلَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فِي مَنْسَكِ المروذي التَّوسُّل بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي الدُّعاء " (٢) .

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن مروان الدِّينوري المالكي (٣٣٣هـ) : " حدَّثنا أَحْمَدُ ، نَا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْمُقْرِئُ ، نَا الْأَصْمَعِيُّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ : أَنَّ أَبَا أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيَّ وَهُوَ خَالِدُ بْنُ زَيْدٍ غَزَا بِلادَ الرُّومِ ، فَمَاتَ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، فَقُبِرَ مَعَ سُورِ الْمَدِينَةِ وَبُنِيَ عَلَيْهِ ، فلمَّا أَصْبَحُوا أَشْرَفَ عَلَيْهِمُ الرُّومُ ، فَقَالُوا : يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ ! قَدْ كَانَ لَكُمُ اللَّيْلَةَ شَأْنٌ . فَقَالُوا : مَاتَ رَجُلٌ مِنْ أَكَابِرِ أَصْحَابِ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وَوَاللهِ لَئِنْ نُبِشَ لا ضُرِبَ بِنَاقُوسٍ فِي بِلادِ الْعَرَبِ . قَالَ : وَكَانَ الرُّومُ إِذَا أَمْحَلُوا كَشَفُوا عَنْ قَبْرِهِ ؛ فَأُمْطِرُوا " (٣) .

وقال الإمام محمَّد بن حبَّان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ ، التَّميمي ، أبو حاتم ، الدَّارمي ، البُستي (٣٥٤هـ) ، فِي ترجمة علي بن موسى الرِّضا : " ... وقبره بسنا باذ خَارج النوقان مَشْهُور يُزار بِجنب قبر الرَّشيد قد زرته مرَاراً كَثِيرَة وَمَا حلت بِي شدَّة فِي وَقت مقَامي بطوس فزرت قبر عَليّ بن مُوسَى الرِّضَا صلوَات الله على جدِّه وَعَلِيهِ ودعوت الله إِزَالَتهَا عَنى إِلَّا أستجيب لي ، وزالت عَنِّى تِلْكَ الشدَّة ، وَهَذَا شَيْء جربته مرَاراً فَوَجدته كَذَلِك . أماتنا الله على محبَّة المصطفي وَأهل بَيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم الله عَلَيْهِ وَعَلَيْهِم أَجْمَعِينَ " (٤) .

وقال الإمام محمَّد بن حبَّان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ ، التَّميمي ، أبو حاتم ، الدَّارمي ، البُستي (٣٥٤هـ) : " أَخْبَرَنَا أَبُو يَعْلَى ، قَالَ : حدَّثنا أَبُو مُوسَى محمَّد بْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : حدَّثنا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ ، قَالَ : حدَّثنا أَبِي ، قَالَ : سَمِعْتُ محمَّد بْنَ إِسْحَاقَ ، يُحَدِّثُ عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ ، عَنْ عُبَيْدِ اللهَّ بْنِ عَبْدِ اللهَّ ، قَالَ : رَأَيْتُ

---

(١) انظر : مجموعة رسائل ابن أبي الدُّنيا كتاب مجابي الدعوة (١/ ٨٥) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (١/ ٢٦٤) .

(٣) انظر : المجالسة وجواهر العلم (٤/ ٨٩) ، وانظر : بغية الطلب في تاريخ حلب (٧/ ٣٠٣٨) ، وانظر : سير أعلام النبلاء (٢/ ٤١٢) .

(٤) انظر : الثقات (٨/ ٤٥٧) .

أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ يُصَلِّي عِنْدَ قَبْرِ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فَخَرَجَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ ، فَقَالَ : تُصَلِّي إلى قَبْرِهِ ؟ فَقَالَ : إِنِّي أُحِبُّهُ ، فَقَالَ لَهُ قَوْلاً قَبِيحاً ، ثمَّ أَدْبَرَ ، فَانْصَرَفَ أُسَامَةُ ، فَقَالَ : يَا مَرْوَانُ إِنَّكَ آذَيْتَنِي ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يَقُولُ : " إِنَّ اللهَّ يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ ، وَإِنَّكَ فَاحِشٌ مُتَفَحِّشٌ " (١) .

وقالَ الإمام سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشَّامي ، أبو القاسم الطَّبراني (٣٦٠هـ) : " حدَّثنا محمَّد بْنُ عَبْدِ اللهِ الْحَضْرَمِيُّ ، ثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَبَانَ ، ثنا محمَّد بْنُ فُضَيْلٍ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنِ ابْنِ عبَّاس (٦٨هـ) ، قَالَ : مَا رَأَيْتُ قَوْماً كَانُوا خَيْراً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم مَا سَأَلُوهُ إِلَّا عَنْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ مَسْأَلَةً حَتَّى قُبِضَ ، كُلُّهُنَّ فِي الْقُرْآنِ ، مِنْهُنَّ : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة : ٢١٧] ، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [البقرة : ٢١٩] ، ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ [البقرة : ٢٢٠] ، ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة : ٢٢٢ ] ، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ [الأنفال : ١] ، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ [البقرة : ٢١٩ ] ، مَا كَانُوا يَسْأَلُونَ إِلَّا عَمَّا يَنْفَعُهُمْ ، قَالَ : " وَأَوَّلُ مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ الْمَلَائِكَةُ ، وَإِنَّ مَا بَيْنَ الْحَجَرِ إلى الرُّكْنِ الْيَمَانِي لقُبُوراً مِنْ قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَكَانَ النَّبي إِذَا آذَاهُ قَوْمُهُ خَرَجَ هُوَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ فَعَبَدَ اللهَ فِيهَا حَتَّى يَمُوتَ " (٢) .

وقال الإمام أبو الليث نصر بن محمَّد بن أحمد بن إبراهيم السَّمرقندي (٣٧٣هـ) : " أحسن الله عاقبتها بمحمَّد وآله " (٣) .

---

(١) انظر : الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٢/ ٥٠٦-٥٠٧ برقم ٥٦٩٤) .قال الشَّيخ شعيب الأرنؤوط : " إسناده حسن ، رجال ثقات رجال الشيخين غير محمَّد بن إسحاق ، فقد روى له البخاري تعليقاً ، ومسلم متابعة ، وأصحاب السنن، وهو صدوق . وأخرجه الطبراني في " الكبير " (٤٠٥ ) من طريق علي بن المديني ، عن وهب بن جرير ، بهذا الإسناد . ولفظه : رأيت أسامة بن زيد عند حجرة عائشة يدعو ، فجاء مروان فأسمعه كلاماً ، فقال أسامة : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يقول : " إن اللهَ عَزَّ وجَلَّ يُبغض الفاحش البذيء " . وأورده الهيثمي في " المجمع " ٨/ ٦٤ وقال : رجاله ثقات . وأخرج المرفوع منه الطبراني في " الكبير " (٣٩٩) و (٤٠٤) ، وفي " الأوسط " (٣٣٠) ، والخطيب في " تاريخ بغداد " ١٣/ ١٨٨ من طريقين عن عثمان بن حكيم ، عن محمَّد بن أفلح مولى أبي أيوب ، عن أسامة ، وأخرجه أحمد ٥/ ٢٠٢ عن حسين بن محمَّد ، عن أبي معشر ، عن سليم مولى ليث ، عن أسامة . أبو معشر ضعيف ، وسليم مولى ليث لا يعرف . وأورده الهيثمي في " المجمع " ٨/ ٦٤ ، وقال : رواه أحمد والطبراني في " الكبير " و" الأوسط " بأسانيد ، وأحد أسانيد الطبراني رجاله ثقات .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٤٥٤ برقم ١٢٢٨٨) .

(٣) انظر : بحر العلوم (٣/ ٦١٣) .

وقال الإمام أبو بكر محمَّد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (٣٨٠هـ) : " وَبِاللهَّ أستعين ، وَعَلِيهِ أتوكَّل ، وعَلى نبيِّه أُصَلِّي ، وَبِه أتوسَّل ، وَلَا حول وَلَا قُوَّة إِلَّا بِاللهَّ الْعلي الْعَظِيم " (١) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النُّعمان بن دينار البغدادي الدَّارقطني (٣٨٥هـ) : " وأمَّا ذو النُّور ، فهو عبد الرَّحمن بن رَبيعة الباهلي (٣٢هـ) ، استعمله عُمَر على الباب والأبواب وقتال الترك وقتل بِبَلَنْجَر في خلافة عُثْمان في سنة تسع من إمارة عُثْمان ، وكان أمير الجيش والأتراك يستسقون بجسده إلى اليوم وجعلوه في سفط ، هو أخو سلمان بن ربيعة الباهلي (٣٠هـ) الذي يَرْوي عن عُمَر بن الخطاب حديثاً رواه عنه أبو وَائِل ، وكان سلمان قاضي الكوفة " (٢) .

وقال الإمام أبو حيَّان التَّوحيدي ، علي بن محمَّد بن العبَّاس (٤٠٠هـ) : " قال أبو العيناء : حدَّثني حجاج بن نصير ، قال : سمعت إبراهيم بن عبد الله بن حسن في يوم عيد يخطب ، فقال : اللهمَّ إن هذا يوم أنت ذاكر فيه آباء بأبناء بآباء ، فاذكرنا عندك بمحمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم " (٣) .

وقال الإمام أبو عبد الله الحاكم محمَّد بن عبد الله بن محمَّد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (٤٠٥هـ) : " أَخْبَرَنَا الشَّيخ أَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْحَاقَ ، أَنْبَأَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، ثَنَا أَبُو حُذَيْفَةَ ، ثَنَا أَيُّوبُ بْنُ ثَابِتٍ ، عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ مَجْزَأَةَ ، أَنَّ أَبَا مَحْذُورَةَ ، كَانَتْ لَهُ قُصَّةٌ فِي مُقَدَّمِ رَأْسِهِ إِذَا قَعَدَ أَرْسَلَهَا فَتَبْلُغُ الْأَرْضَ فَقَالُوا لَهُ : أَلَا تَحْلِقُهَا ؟ فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم مَسَحَ عَلَيْهَا بِيَدِهِ ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَحْلِقَهَا حَتَّى أَمُوتَ ، فَلَمْ يَحْلِقْهَا حَتَّى مَاتَ " (٤) .

وقال الإمام أبو الطيِّب نايف بن صلاح بن علي المنصوري في ترجمة إبراهيم بن محمَّد بن إبراهيم بن مهران ، أبو إسحاق ، الأستاذ الإمام ، الإِسْفَرايِيني (٤١٨هـ) : " ... والنَّاس يتبرَّكون ويزورونه ، وتُستجاب عنده الدَّعوات " (٥) .

---

(١) انظر : التعرُّف لمذهب أهل التَّصوُّف (ص٢١) .

(٢) انظر : المؤتَلِف والمختَلِف (٢/ ١٠٠٠) ، وانظر : سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٤٠) ، وانظر : الإصابة في تمييز الصَّحابة (٤/ ٢٥٨) .

(٣) انظر : البصائر والذخائر (٤/ ٢٠) .

(٤) انظر : المستدرك على الصحيحين (٣/ ٥٨٩ برقم ٦١٨١) .

(٥) انظر : السَّلسَبِيلُ النَّقِي في تَرَاجِمِ شيُوخ البَيهَقِيّ (١/ ١٧٧) .

وقال الإمام منصور بن الحسين الرَّازي ، أبو سعد الآبى (٤٢١هـ) : " قَالَ إِبْرَاهِيم بن عبد الله بن حسن: وجدت جَمِيع مَا يطْلب الْعباد من جسيم الْخَيْر عِنْد الله فِي ثَلَاث : فِي الْمنطق وَالنَّظَر وَالسُّكُوت ؛ فَكل منطقٍ لَيْسَ فِيهِ ذكرٌ فَهُوَ لَغْو ، وكل سكوتٍ لَيْسَ فِيهِ تفكرٌ فَهُوَ سهوٌ ، وكل نظر لَيْسَ فِيهِ عِبْرَة فَهُوَ غفلةٌ . فطوبى لمن كَانَ مَنْطِقه ذكراً ، وَنَظره عبراً ، وسكوته تفكراً ، ووسعه بَيته، وَبكى على خطيئته ، وَسَلَّم الْمُسلمُونَ مِنْهُ. وَقَالَ فِي خطبَته يَوْم الْفطر : اللهمَّ إِنَّك ذاكرٌ الْيَوْم آبَاءَنَا بأبنائهم وَأَبْنَاءَنَا بآبائهم ؛ فاذكرنا عنْدك بمحمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يَا حَافظ الْآبَاء فِي الْأَبْنَاء احفظ ذُرِّيَّة نبيك . قَالَ : فَبكى النَّاس بكاء شَدِيداً " (١) .

وقال الإمام أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (٤٣٠هـ) : " حدَّثنا أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِسْحَاقَ الْمُعَدَّلُ الْأَصْبَهَانِيُّ بنَيْسَابُورَ ، ثنا أَبُو عَلِيٍّ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَنْصَارِيُّ وَمَوْلِدُهُ بأَصْبَهَانَ ، ثنا أَبُو الصَّلْتِ عَبْدُ السَّلام بْنِ صَالِحٍ الْهَرَوِيُّ ، قَالَ : كُنْتُ مَعَ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا (٢٠٣هـ) ، وَدَخَلَ نَيْسَابُورَ رَاكِباً بَغْلَةً شَهْبَاءَ أَوْ بَغْلاً أَشْهَبَ ، الشَّكُّ مِنْ أَبِي الصَّلْتِ ، فَعَدَا فِي طَلَبِهِ عُلَمَاءُ الْبَلَدِ يَاسِينُ بْنُ النَّضْرِ ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَرْبٍ ، وَيَحْيَى بْنُ يَحْيَى ، وَعِدَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، فَتَعَلَّقُوا بِلِجَامِهِ فِي الْمُرَبَّعِ ، فَقَالُوا : بِحَقِّ آبَائِكَ الطَّاهِرِينَ ، حدَّثنا بِحَدِيثٍ سَمِعْتَهُ مِنْ أَبِيكَ ، قَالَ : حدَّثني أَبِي الْعَدْلُ الصَّالح مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ ، قَالَ مُوسَى : حدَّثني أَبِي الصَّادِقُ جَعْفَرُ بْنُ محمَّد ، حدَّثني أَبِي أَبُو جَعْفَرٍ بَاقِرُ الْعِلْمِ عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ ، قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : حدَّثني أَبِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ سيِّد الْعَابِدِينَ ، حدَّثني أَبِي سيِّد أَهْلِ الجَنَّة الْحُسَيْنُ ، حدَّثني أَبِي سيِّد الْعَرَبِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : مَا الْإِيمَانُ ؟ قَالَ : مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ ، وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ : قَالَ لِي أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : إِنْ قَرَأْتَ هَذَا الْإِسْنَادَ عَلَى مَجْنُونٍ بُرِئَ مِنْ جُنُونِهِ ، وَمَا عَيْبُ هَذَا الْحَدِيثِ إِلَّا جَوْدَةُ إِسْنَادِهِ " (٢) .

وقال الإمام أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (٤٣٠هـ) : " أُمُّ حَرَامَ بِنْتُ مِلْحَانَ الْأَنْصَارِيَّةُ خَالَةُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، كَانَتْ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، وَخَرَجَتْ مَعَهُ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِ الْبَحْرِ ، وَمَاتَتْ بِالشَّامِ ، وَقُبِرَتْ بِقُبْرُسَ ، وَقَصَتْهَا بَغْلَتُهَا فَمَاتَتْ ، وَأَهْلُ الشَّام يَسْتَسْقُونَ بِهَا ، يَقُولُونَ : قَبْرُ الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ ، قِيلَ : اسْمُهَا الرُّمَيْصَاءُ ، وَقِيلَ : الْغُمَيْصَاءُ أَيْضاً " (٣) .

---

(١) انظر : نثر الدر في المحاضرات (١/ ٢٥٩) .

(٢) انظر : تاريخ أصبهان (أخبار أصبهان) (١/ ١٧٤) ، وانظر : التدوين في أخبار قزوين (٣/ ٤٨٢) .

(٣) انظر : معرفة الصَّحابة (٦/ ٣٤٧٩) ، وانظر أيضاً : تاريخ دمشق (٧٠/ ٢١٧) ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٣٥/ ٣٤٠) .

وقال الإمام أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (٤٣٠هـ) : " حدَّثنا محمَّد بْنُ عَبْدِ الله ، ثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ نَصْرٍ الطُّوسِيُّ ، ثنا محمَّد بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْعَبْدِيُّ ، ثَنَا الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ ، ثنا ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ ، ثَنَا خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ ، قَالَ : اسْتَعْمَلَ عَلَيْنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِحِمْصَ سَعِيدَ بْنَ عَامِرِ بْنِ جُذَيْمٍ الْجُمَحِيُّ ، فلمَّا قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ حِمْصَ ، قَالَ : يَا أَهْلَ حِمْصَ ، كَيْفَ وَجَدْتُمْ عَامِلَكُمْ ؟ فَشَكَوْهُ إِلَيْهِ – وَكَانَ يُقَالُ لِأَهْلِ حِمْصَ : الْكُوَيْفَةُ الصُّغْرَى لِشِكَايَتِهِمُ الْعُمَّالَ – قَالُوا : نَشْكُو أَرْبَعاً : لَا يَخْرُجُ إِلَيْنَا حَتَّى يَتَعَالَى النَّهَارُ ، قَالَ : أَعْظِمْ بِهَا ، قَالَ : وَمَاذَا ؟ قَالُوا : لَا يُجِيبُ أَحَداً بِلَيْلٍ ، قَالَ : وَعَظِيمَةٌ ، قَالَ: وَمَاذَا ؟ قَالُوا : وَلَهُ يَوْمٌ فِي الشَّهْرِ لَا يَخْرُجُ فِيهِ إِلَيْنَا ، قَالَ : عَظِيمَةٌ ، قَالَ : وَمَاذَا ؟ قَالُوا : يَغْنَظُ الْغُنْظَةَ بَيْنَ الْأَيَّامِ – يَعْنِي تَأْخُذُهُ مَوْتَةٌ – قَالَ : فَجَمَعَ عُمَرُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ ، وَقَالَ : اللهمَّ لَا تُفَيِّلْ رَأْيِي فِيهِ الْيَوْمَ ، مَا تَشْكُونَ مِنْهُ ؟ قَالُوا : لَا يَخْرُجُ إِلَيْنَا حَتَّى يَتَعَالَى النَّهَارُ ، قَالَ : وَالله إِنْ كُنْتُ لَأَكْرَهُ ذِكْرَهُ ، لَيْسَ لِأَهْلِي خَادِمٌ فَأَعْجِنُ عَجِينِي ثمَّ أَجْلِسُ حَتَّى يَخْتَمِرَ ثمَّ أَخْبِزُ خُبْزِي ، ثمَّ أَتَوَضَّأُ ثمَّ أَخْرُجُ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ : مَا تَشْكُونَ مِنْهُ ؟ قَالُوا : لَا يُجِيبُ أَحَداً مَا أُحِبُّ أَنِّي فِي أَهْلِي وَوَلَدِي وَأَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم شِيكَ بِشَوْكَةٍ ، ثمَّ نَادَى : يَا محمَّد ، فَمَا ذَكَرْتُ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَتَرْكِي نُصْرَتَهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ ، وَأَنَا مُشْرِكٌ لَا أُؤْمِنُ بِالله الْعَظِيمِ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَغْفِرُ لِي بِذَلِكَ الذَّنْبِ أَبَداً ، قَالَ : فَتُصِيبُنِي تِلْكَ الْغِنْظَةُ ... " (١) .

وقال الإمام أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (٤٣٠هـ) ، في ترجمة شَقِيقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْبَلْخِيُّ (١٩٤هـ) : " قَالَ عَلِيُّ بْنُ محمَّد بْنِ شَقِيقٍ : كَانَ لِجَدِّي ثَلَاثُمِائَةِ قَرْيَةٍ يَوْمَ قُتِلَ بِوَاشْكَرْدٍ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كَفَنٌ يُكَفَّنُ فِيهِ ، قَدَّمَهُ كُلُّهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَثِيَابُهُ وَسَيْفُهُ إلى السَّاعَةِ مُعَلَّقٌ ، يَتَبَرَّكُونَ بِهِ " (٢) .

والرواية ذكرها الإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) في الشُّعب ، قال : " أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الله الْحَافِظُ ، أنا أَحْمَدُ بْنُ سَلْمَانَ الْفَقِيهُ ، بِبَغْدَادَ ، نا عَبْدُ الله بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي ، يَقُولُ : " حَجَجْتُ خَمْسَ حِجَجٍ ، اثْنَتَيْنِ رَاكِباً ، وَثَلَاثَ مَاشِياً ، أَوْ ثَلَاثَ رَاكِباً ، وَاثْنَتَيْنِ مَاشِياً ، فَضَلَلْتُ الطَّرِيقَ فِي حَجَّةٍ ، وَكُنْتُ مَاشِياً فَجَعَلْتُ أَقُولُ : يَا عِبَادَ الله ، دُلُّونِي عَلَى الطَّرِيقِ ، قَالَ : فَلَمْ أَزَلْ أَقُولُ ذَلِكَ حَتَّى وَقَفْتُ عَلَى الطَّرِيقِ ، أَوْ كَمَا قَالَ أَبِي " (٣) .

---

(١) انظر : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٢٤٦) .

(٢) انظر : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٥٩) .

(٣) انظر : شعب الإيمان (١٠/ ١٤١) ، وانظر : تاريخ دمشق (٥/ ٢٩٨) .

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) : " ... ومقبرة باب البردان فيها أيضا جماعة من أهل الفضل . وعند المصلى المرسوم بصلاة العيد كان قبره يعرف بقبر النُّذور، يقال: إنَّ المدفون فيه رجل من ولد عَلِيّ بْن أَبِي طالب رضي الله عنه يتبرَّك النَّاس بزيارته ، ويقصده ذو الحاجة منهم لقضاء حاجته " (١) .

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) : أَخْبَرَنَا الْقَاضِي أَبُو محمَّد الْحَسَن بْن الحسين بْن محمَّد بْن رامين الإستراباذي ، قَال : أَخبرنا أَحْمَد بْن جعفر بْن حمدان القطيعي ، قَالَ : سمعت الْحَسَن بْن إِبْرَاهِيمَ أبا عَلِيّ الخلَّال ، يقول : ما همَّني أمرٌ فقصدتُ قبرَ مُوسَى بْن جعفر ، فتوسَّلت به إلَّا سهَّل الله تعالى لي ما أحب " (٢) .

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) : " أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْد الرَّحمن إسماعيل بْن أَحْمَد الحيري الضَّرير ، قَالَ : أَخبرنا أَبُو عَبْد الرَّحمن محمَّد بْن الحسين السّلمي ، بنيسابور ، قَالَ : سمعت أبا بكر الرَّازي ، يقول : سمعت عَبْد الله بْن مُوسَى الطّلحي ، يقول : سمعت أَحْمَد بْن العبَّاس ، يقول : خرجت من بغداد ، فاستقبلني رجل عليه أثر العبادة ، فقال لي : من أين خرجت؟ قلت: من بغداد هربت منها لما رأيت فيها من الفساد ، خفت أن يخسف بأهلها . فقال : ارجع ولا تخف ، فإنَّ فيها قبور أربعة من أولياء الله هم حصن لهم من جميع البلايا . قلت : من هم ؟ قَالَ : ثمَّ الإمام أَحْمَد بْن حَنْبَل (٢٤١هـ) ، ومعروف الكرخي (٢٠٠هـ) ، وبشر الحافي (٢٢٧هـ) ، ومنصور بْن عمار (٢٢٥هـ) . فرجعت وزرت القبور ، ولم أخرج تلك السُّنَّة " (٣) .

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) : " أَخْبَرَنَا الْقَاضِي أَبُو عَبْد الله الحسين بْن عَلِيّ بْن محمَّد الصيمري ، قَالَ : أَخبرنا عُمَر بْن إِبْرَاهِيمَ المقرئ ، قَالَ : حدَّثنا مكرم بْن أَحْمَد ، قَالَ : حدَّثنا عُمَر بْن إسحاق بْن إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : حدَّثنا عَلِيّ بْن ميمون ، قَالَ : سمعت الشَّافعي

---

(١) انظر : تاريخ بغداد (١/ ٢٤٥-٢٤٦) .

(٢) انظر : تاريخ بغداد ١/ ٤٤٢) ، وانظر : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (٩/ ٨٩) .

(٣) انظر : تاريخ بغداد (١/ ٤٤٣) .

(٢٠٤هـ) ، يقول : إنِّي لأتبرَّك بأبي حنيفة (١٥٠هـ) ، وأجيء إلى قبره في كل يوم ، يَعْنِي زائراً ، فإذا عرضت لي حاجة صلَّيت ركعتين ، وجئت إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده ، فما تبعد عنِّي حتى تقضى " (١) .

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) : "أَخْبَرَنِي أَبُو إسحاق إِبْرَاهِيم بْن عُمَر البرمكي ، قَالَ : حدَّثنا أَبُو الفضل عبيد الله بْن عَبْد الرَّحمن بْن محمَّد الزهري ، قَالَ : سمعت أَبِي يقول : قبر معروف الكرخي (٢٠٠هـ) مجرَّب لقضاء الحوائج ، ويقال : أنَّه من قرأ عنده مائة مرَّة قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ ، وسأل الله تعالى ما يريد ، قضى الله له حاجته." (٢) .

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) : " حدَّثني أَبُو عَبْد الله محمَّد بْن عَلِيّ بْن عَبْدِ اللهَّ الصوري ، قَالَ : سمعت أبا الحسين محمَّد بْن أَحْمَد بْن جميع ، يقول : سمعت أبا عَبْد الله ابْن المحاملي ، يقول : أعرف قبر معروف الكرخي منذ سبعين سنة ما قصده مهمومٌ إلَّا فرَّج الله همَّه " (٣) .

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) : " أَخْبَرَنَا محمَّد بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يَعْقُوبَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا محمَّد بْنُ عَبْدِ اللهَّ بْنِ حَمْدَوَيْهِ النَّيْسَابُورِيُّ ، قَالَ : حدَّثني عَلِيُّ بْنُ محمَّد الْمُذَكِّرُ ، قَالَ : حدَّثنا محمَّد بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ الْفَقِيهُ الرَّازِيُّ ، قَالَ : حدَّثنا أَبِي ، عَنْ محمَّد بْنِ عَبْدِ اللهَّ بْنِ طَاهِرٍ ، قَالَ : كُنْتُ وَاقِفاً عَلَى رَأْسِ أَبِي وَعِنْدَهُ أَحْمَدُ بْنُ محمَّد بْنِ حَنْبَلٍ ، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ ، وَأَبُو الصَّلْتِ الْهَرَوِيُّ ، فَقَالَ أَبِي : لِيُحَدِّثَنِي كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِحَدِيثٍ ؛ فَقَالَ : أَبُو الصَّلت حدَّثني عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرِّضَا ، وَكَانَ وَاللهَّ رِضاً كَمَا سُمِّيَ ، عَنْ أَبِيهِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ جَعْفَرِ بْنِ محمَّد ، عَنْ أَبِيهِ محمَّد بْنِ عَلِيٍّ ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيٍّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " الإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ ".

فَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَا هَذَا الإِسْنَادُ ؟! فَقَالَ لَهُ أَبِي : هَذَا سُعُوطُ الْمَجَانِينِ ، وَإِذَا سَعَطَ بِهِ الْمَجْنُونُ بَرَأَ " (٤) .

وقال الإمام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمَّد بن عبد البر بن عاصم النّمري القرطبي (٤٦٣هـ) : " وقبر أبي أيُّوب قرب سورها معلوم إلى اليوم معظم يستسقون به فيسقون " (١) .

---

(١) انظر : تاريخ بغداد (١/ ٤٤٥)، وانظر : مناقب أبي حنيفة (٥٦٨هـ) ، (ص٤٥٣) .

(٢) انظر : تاريخ بغداد (١/ ٤٤٥) ، طبقات الأولياء (ص٢٨١) .

(٣) انظر : تاريخ بغداد (١/ ٤٤٥) .

(٤) انظر : تاريخ بغداد (٣/ ٤٢١) .

وقال الإمام أبو معين الدِّين ناصر خسرو الحكيم القبادياني المروزي (٤٨١هـ) : " ... ودعوت الله تَعَالَى أَن يوفقني لطاعته وَأَن يغْفر ذَنبي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يهدي عباده جَمِيعاً لما يرضاه وَيغْفر لَهُم ذنوبهم بِحَق محمَّد وَآله الطَّاهرين " (٢) .

وقال الإمام أبو القاسم الحسين بن محمَّد المعروف بالراغب الأصفهانى (٥٠٢هـ) : " غفر اللهَّ لكاتبه ، ونفع به صاحبه ، وألهمه لما فيه ، واستعمله بما يرضيه بمحمَّد وآله الطَّاهرين" (٣) .

وقال الإمام أبو حامد محمَّد بن محمَّد الغزالي الطُّوسي (٥٠٥هـ) : " كتاب " أسرار الحجّ " : ويدخل في جملته زيارة قبور الأنبياء عليهم السَّلام ، وزيارة قبور الصَّحابة والتَّابعين ، وسائر العلماء والأولياء ، وكل من يُتبرَّك بمشاهدته في حياته يُتبرَّك بزيارته بعد وفاته . ويجوز شدُّ الرِّحال لهذا الغرض ، ولا يمنع من هذا قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " لا تشدُّ الرِّحال إِلَّا إلى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِي هَذَا ، وَالْمُسْجِدِ الحرام ، والمسجد الأقصى " ، لأنَّ ذلك في المساجد ، فإنَّها متماثلة بعد هذه المساجد . وإلَّا فلا فرق بين زيارة قبور الأنبياء والأولياء والعلماء في أصل الفضل ، وإن كان يتفاوت في الدَّرجات تفاوتاً عظيماً بحسب اختلاف درجاتهم عند الله" (٤) .

وقال الإمام أبو حامد محمَّد بن محمَّد الغزالي الطُّوسي (٥٠٥هـ) : " زيارة القبور مستحبة على الجملة للتَّذكُّر والاعتبار ، وزيارة قبور الصَّالحين لأجل التَّبرُّك مع الاعتبار ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم نَهَى عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ ثمَّ أَذِنَ في ذلك بعد " (٥) .

وقال الإمام شيرويه بن شهردار بن شيرو يه بن فناخسرو ، أبو شجاع الدَّيلميّ الهمذاني (٥٠٩هـ) : " إِذا شجاك شَيْطَان أَو سُلْطَان فَقل : يَا من يَكْفِي من كلِّ أحد وَلَا يَكْفِي مِنْهُ أحد ، يَا أحد من لَا أحد لَهُ ، يَا سَنَد من لا سند لَهُ ، انْقَطع الرَّجَاء إِلَّا مِنْك ، فَاكْفِنِي مِمَّا أَنا فِيهِ ، وأعني على مَا أَنا عَلَيْهِ مِمَّا قد نزل بِي ، بجاه وَجهك الْكَرِيم ، وبحق محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم عَلَيْك آمين " (٦) .

---

(١) انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٤٢٦) ، وانظر : أسد الغابة في معرفة الصَّحابة (٢/ ١٢١) ، معرفة الصَّحابة (٢/ ٩٣٣) .

(٢) انظر : سفر نامه (ص٦٠) .

(٣) انظر : الذريعة إلى مكارم الشريعة (ص٢٠٠) .

(٤) انظر : إحياء علوم الدِّين (٢/ ٢٤٧) .

(٥) انظر : إحياء علوم الدِّين (٤/ ٤٩٠) .

(٦) انظر : الفردوس بمأثور الخطاب (ص٣٢٤ برقم ١٢٨٢) .

وقال الإمام أمين الدولة محمَّد بن محمَّد بن هبة الله العلوي الحسيني أبو جعفر الأفطسي الطَّرابلسي (المتوفى: بعد ٥١٥هـ) : " نسأل الله توفيقاً لما أغرب عن ذلك المقام ، وأعفى من ذلك الغرام ، ونتوجه إليه بمحمَّد وآله عليهم أفضل الصَّلاة والسَّلام . هذا كلام الوزير رحمه الله " (١) .

وقال الإمام أبو محمَّد القاسم بن علي الحريري (٥١٦هـ) : " فقدْ مدَدْنا إليْكَ يدَ المسْألَةِ ، وبخَعْنا بالاسْتِكانَةِ لكَ والمَسْكَنةِ ، واستَنْزَلْنا كرَمَك الجَمّ ، وفضْلَكَ الذي عمّ ، بضَراعَةِ الطَّلَبِ ، وبِضاعَةِ الأمَلِ ، بالتَّوسُّل بمحمَّد سيِّد البشَرِ ، والشَّفيعِ المُشفَّعِ في المحْشَرِ ، الذي ختَمْتَ بهِ النّبيّينَ ، وأعليتَ درجتَهُ في عِلّيّينَ " (٢) .

وقال الإمام أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمَّد بن محمَّد (٥٢٦هـ) ، في ترجمة علي بْن محمَّد بْن بشار أَبُو الحسن الزاهد العارف : " ... وتوفِّي لسبع خلون من شهر ربيع الأوَّل سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة ودفن بالعقبة قريباً من النجمي ، وقبره الآن ظاهر يتبرَّك النَّاس بزيارته " (٣) .

وقال الإمام القاضي أبي الحسين ابن أبي يعلى، محمَّد بن محمَّد (٥٢٦هـ) في ترجمة أَبُو جَعْفَر عبد الخالق بْن عيسى بْن أَحْمَد بن محمَّد بْنِ عِيسَى بْن أَحْمَد بْن موسى بْن محمَّد بن إبراهيم بْن عَبْدِ اللَّهِ بْن معبد بْن العبَّاس بْن عبد المطلب (٤٧٠هـ) : " وحفر لَهُ بجنب قبر إمامنا أَحْمَد ، فدفن فِيهِ وأخذ النَّاس من تراب قبره الكثير تبركاً به ، ولزم النَّاس قبره ليلاً ونهاراً مدَّة طويلة ويقرأون ختمات ويكثرون الدُّعاء . ولقد بلغني أنَّه ختم عَلَى قبره فِي مدَّة شهور ألوف ختمات ، وكثرت المنامات من الصَّالحين بالرُّؤى الصَّالحة لَهُ ... " (٤) .

وفي كلامه عن فتح أذربيجان ، قال الإمام أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ) : " ... افتتحها ، يعني : أذربيجان البراء بن عازب ، فهي مختلطة منها عنوة ومنها صلح ، ويقال : افتتحها سلمان بن ربيعة الباهلي في زمن عثمان ، ويقال : بل الوليد افتتحها ثمَّ بعث الوليد من فور ذلك سلمان بن ربيعة فمات ببلنجر فقبره اليوم يستسقون به .

أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم ، أنا رشأ بن نظيف ، أنا أبو محمَّد المصري ، نا أحمد بن مروان ، نا أبو بكر بن أبي الدُّنيا ، نا ابن سعد ، نا محمَّد بن عمر الأسلمي ، نا أبو بكر بن أبي سبرة ، عن الفضيل بن أبي عبد الله بن

---

(١) انظر : المجموع اللفيف (ص٢٩) .

(٢) انظر : مقامات الحريري (ص١٢) .

(٣) انظر : طبقات الحنابلة (٢/ ٦٣) .

(٤) انظر : طبقات الحنابلة (٢/ ٢٤١) .

دينار الأسلمي أنَّ سلمان بن ربيعة الباهلي غزا بلاد التُّرك في خلافة عثمان بن عفان ، فقتل بالانجر ، فجعل أهل تلك النَّاحية عظامه في تابوت ، فإذا احتبس عنهم القطر أخرجوه فاستسقوا به وقال في ذلك ابن جمانة الباهلي الشَّاعر :

إنَّ لنــــــــا قبرين قبر بالانجر وقبراً بأعلى الصِّيــن يا لك من قبر

فهذا الذي بالصِّين عمَّت فتوحه وهذا الذي بالتُّرك يسقـى به القطر

القبر الذي بالصِّين قبر قتيبة بن مسلم " (١) .

وقال الإمام أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ) : " أخبرني أبو المظفَّر عبد المنعم بن عبد الكريم القشيري ، أنا أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، أنا أبو عبد الرَّحمن محمَّد بن الحسين بن محمَّد بن موسى قراءة عليه ، قال : سمعت محمَّد بن عبد الله بن شاذان ، يقول : سمعت أبا القاسم بن صدقة ، يقول : سمعت علي بن عبد العزيز الطّلحي ، يقول : قال لي الرَّبيع : إنَّ الشَّافعي خرج إلى مصر وأنا معه ، فقال لي : يا ربيع خذ كتابي هذا فامض به وسلِّمه إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل وائتني بالجواب ، قال الرَّبيع : فدخلت بغداد ومعي الكتاب فلقيت أحمد بن حنبل صلاة الصُّبح فصلَّيت معه الفجر ، فلمَّا انفتل من المحراب سلَّمت إليه الكتاب ، وقلت له : هذا كتاب أخيك الشَّافعي من مصر ، فقال : أحمد نظرت فيه ، قلت : لا ، فكسر أبو عبد الله الختم وقرأ الكتاب وتغرغرت عيناه بالدُّموع ، فقلت : إيش فيه يا أبا عبد الله ، قال : يذكر أنَّه رأى النَّبي ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في النَّوم ، فقال له : اكتب إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل ، واقرأ عليه مني السَّلام ، وقل : إنك ستُمتحن وتدعى إلى خلق القرآن فلا تجبهم فسيرفع الله لك علماً إلى يوم القيامة ، قال الربيع : فقلت : البشارة فخلع أحمد قميصيه الذي يلي جلده ودفعه إليَّ فأخذته وخرجت إلى مصر ، وأخذت جواب الكتاب ، فسلَّمته إلى الشَّافعي ، فقال لي الشَّافعي : يا ربيع إيش الذي دفع إليك ، قلت : القميص الذي يلي جلده ، قال الشَّافعي : ليس نفجعك به ولكن بلّه وادفع إليَّ الماء حتى أشركك فيه " (٢) .

وفي حديثه عن أم حرام بنت ملحان الأنصاريَّة ، قال الإمام أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ) : " أمِّ حرام بنت ملحان الأنصاريَّة خالة أنس بن مالك ، كانت تحت عبادة بن الصامت ،

---

(١) انظر : تاريخ دمشق (٢١/ ٤٧٤) .

(٢) انظر : تاريخ دمشق (٥/ ٣١١) .

وخرجت معه في بعض غزوات البحر ، وماتت بالشَّام ، وقُبرت بقبرس ، وَقَصَتهَا بغلتها فماتت ، وأهل الشَّام يستسقون بها ، يقولون : قبر المرأة الصَّالحة " (١) .

وقال الإمام أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ) : " حكى لي أبو المغيث منقذ بن مرشد الكناني ، قال : كنت عند والدي رحمه الله تعالى وهو ينسخ مصحفاً ، ونحن نتذاكر خروج الرُّوم ، فرفع المصحف ، وقال : اللهمَّ بحقِّ من أنزلته عليه ، إن قضيت بخروج الرُّوم فخذ روحي ولا أراهم ، فمات يوم الاثنين الثَّامن من شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة بشيزر ، ودفن في داره ، وخرجت الرُّوم ونزلوا على شيزر في نصف شعبان سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة ، فحاصروها أربعة وعشرين يوماً ونصبوا عليها ثمانية عشر منجنيقاً ، ثمَّ رحلوا عنها يوم السَّبت تاسع شهر رمضان سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة ، والله تعالى أعلم " (٢) .

وقال الإمام أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ) : " أخبرنا أبو الفضائل بن محمود ، أنبأنا علي بن أحمد بن زهير ، أنبأنا علي بن محمَّد بن شجاع ، أنبأنا تمام أخبرنا الحارث بن عمارة ، حدَّثني أبي ، أنبأنا محمَّد بن إبراهيم ، أنبأنا هشام يعني ابن خالد ، وقال : سمعت الوليد يقول : سمعت سعيد بن عبد العزيز ، وقال : حدَّثني مكحول أنَّه صعد مع عمر بن عبد العزيز إلى موضع الدَّم يسأل الله تبارك وتعالى أن يسقينا ، فسقانا ، قال مكحول : وخرج معاوية والمسلمون إلى موضع الدَّم يستسقون ، فلم يزل فلم يبرحوا حتى سالت الأودية . أخبرنا أبو محمَّد بن الأكفاني فيما قرئ عليه عن عبد العزيز بن أحمد ، أنبأنا عبد الوهَّاب بن جعفر بن علي ، أنبأنا أبو الحارث أحمد بن محمَّد بن عمارة الليثي ، حدَّثني أبو سهل سعيد بن الحسن الأصبهاني ، أنبأنا أحمد بن محمَّد بن إبراهيم ، قال : قال هشام بن عمَّار : سمعت الوليد ، يقول : قال سعيد : وحدثني مكحول أنَّه صعد مع عمر بن عبد العزيز إلى موضع الدَّم يسأل الله تبارك وتعالى أن يسقينا ، فسقانا . قال مكحول : وخرج معاوية والمسلمون يستسقون فلم يبرحوا حتى سالت الأودية .

قال مكحول : وسمعت كعب الأحبار يذكر أنَّه موضع الحاجات والمواهب من الله تبارك وتعالى ، وأنَّه لا يزال سائلاً في ذلك الموضع . قال هشام : وسمعت الوليد ، يقول : سمعت سعيد بن عبد العزيز ، قال : صعدنا في خلافة هشام إلى موضع قتل ابن آدم أخاه ، فسأل الله تعالى أن يسقينا ، فسقانا ، فأتى مطر فأقمنا في الغار

---

(١) انظر : تاريخ دمشق (٧٠/ ٢١٧) .

(٢) انظر : تاريخ دمشق (٥٧/ ٢١٩) ، وانظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام (١١/ ٥٥٦) .

الذي تحت الدَّم ثلاثة أيَّام . قال : وحدَّثني سعيد ، حدَّثنا محمَّد ، قال : قال هشام بن عمار : وصعدت مع أبي وجماعة من أهل دمشق نسأل الله تعالى سقيانا إلى موضع قتل ابن آدم أخاه ، فأرسل الله تبارك وتعالى علينا مطراً غزيراً حتى أقمنا في الغار تحت الدَّم ، فدعونا الله تبارك وتعالى فارتفع عنَّا ، وقد رويت الأرض .

قرأت على أبي محمَّد عبد الكريم بن حمزة ، عن أبي محمَّد عبد العزيز بن أحمد ، أنبأنا تمام الرَّازي ، أنبأنا أبو بكر أحمد بن عبد الله بن الفرج ، حدَّثني محمَّد بن يوسف الهروي ، قال : سمعت أبا زرعة عبد الرَّحمن بن عمرو ، يقول : سألت أبا مسهر عن مغارة الدَّم ، فقال : مغارة الدَّم موضع الحمرة ، موضع الحوائج ، يعني بذلك الدُّعاء فيها والصَّلاة ، قال : وأنبأنا محمَّد بن يوسف ، قال : سمعت يزيد بن محمَّد وأبا زرعة وأحمد بن المعلى وسليمان بن أيوب بن حذلم ومحمَّد بن إسحاق ومحمَّد بن إبراهيم ومحمَّد بن يزيد ومحمَّد بن هارون وغيرهم من مشايخنا يقولون : سمعنا هشام بن عمار ، يقول وهشام بن خالد وأحمد بن أبي الحواري وسليمان بن مسلم يقول : سمعت ابن عبَّاس ، يقول : كان أهل دمشق إذا احتبس عليهم المطر أو غلا سعرهم أو جار عليهم سلطان أو كانت لأحدهم حاجة صعد إلى موضع ابن آدم المقتول ، فيسألون الله تبارك وتعالى ، فيعطيهم ما سألوا .

قال هشام : ولقد صعدت مع أبي وجماعة من أهل دمشق نسأل الله تعالى سقيا ، فأرسل عليهم المطر مطراً غزيراً ، حتى أقمنا في الغار الذي تحت الدَّم ثلاثة أيام ثمَّ دعونا أن يرفع فرفع ، وقد رويت الأرض . قال هشام : سمعت الوليد بن مسلم ، يقول : سمعت سعيد بن عبد العزيز ، يقول : صعدنا في خلافة هشام بن عبد الملك إلى موضع دم ابن آدم نسأل الله تعالى سقيا فسقانا ، فأتانا مطر فأقمنا في الغار ستَّة أيام .

وقال ابن مكحول : صعدت مع عمر بن عبد العزيز إلى موضع الدَّم يسألون الله تعالى سقيا فسقاهم . وقال : إن معاوية خرج إلى موضع الدَّم يستسقون الله تعالى سقيا فسقاهم ، فلم يبرحوا حتى جرت الأودية . وروي عن أحمد بن كثير ، قال : صعدت إلى موضع دم ابن آدم عليه السَّلام في جبل قاسيون بدمشق نسأل الله تبارك وتعالى الحجّ فحججت ، وسألته الجهاد فجاهدت ، وسألته الزِّيارة والصَّلاة في بيت المقدس وعسقلان وعكا والرّباط في جميع السَّواحل ، فرزقت ذلك كلّه ، وسألته يغنيني عن الأسواق والبيع ، فرزقت ذلك . ولقد رأيت النَّبي ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما وهابيل بن آدم ، فقلت له : أسألك بحقِّ الواحد الصَّمد وبحقِّ أبيك آدم النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام هذا دمك ، فقال : أي والواحد الصَّمد ، هذا دمي جعله الله تعالى آية للنَّاس ، وإنِّي دعوت الله عزَّ وجلَّ ، فقلت : اللهمَّ ربّ أبي آدم وأمِّي حواء وهذا النَّبي المصطفى الأمِّي اجعل دمي مستغاثاً لكلِّ نبي وصدِّيق ، ومن دعا فيه فتجيبه ، وسألك فتعطيه ، فاستجاب الله

تبارك وتعالى دعائي وجعله طاهراً آمناً ، وجعل معه من الملائكة بعدد نجوم السَّماء يحفظونه ، من أتاه لا يرد إلَّا الصَّلاة فيه ، فقال رسول الله ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " قد فعل وزاد كرماً وإحساناً ، وإنِّي آتيه كلّ خميس وصاحباي وهابيل نصلِّي فيه ، فقلت : يا رسول الله ادع الله تعالى أن أكون مستجاب الدَّعوة وعلِّمني دعاء لكلِّ ملمَّة وحاجة ، فقال لي : افتح فاك ففتحته فتفل فيه ، فقال لي : رزقت فالزم رزقت فالزم " (١) .

وقال الإمام أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (٥٧٨هـ) ، في ترجمة نصر بن الحسن بن أبي القاسم بن أبي حاتم بن الأشعث التنكتي الشَّاشي : " أخبرنا القاضي الشَّهيد أبو عبد الله محمَّد بن أحمد رحمه الله قراءة عليه وأنا أسمع ، قال : قرأت على أبي على حسين بن محمَّد الغسَّاني ، قال : أخبرني أبو الحسن طاهر بن مفوز والمعافري ، قال : أنا أبو الفتح وأبو الليث نصر بن الحسن التنكتي المقيم بسمرقند قدم عليهم بلنسية عام أربعة وستين وأربع مائة . قال : قحط المطر عندنا بسمرقند في بعض الأعوام ، قال : فاستسقى النَّاس مراراً فلم يُسقوا . قال : فأتى رجل من الصَّالحين معروف بالصَّلاح مشهور به إلى قاضي سمرقند ، فقال له : إني قد رأيت رأياً أعرضه عليك . قال : وما هو ؟ قال : أرى أن تخرج ويخرج النَّاس معك إلى قبر الإمام محمَّد بن إسماعيل البخاري رحمه الله وقبره بخرتنك وتستسقوا عنده فعسى الله أن يسقينا ، قال : فقال القاضي نعم ما رأيت . فخرج القاضي وخرج النَّاس معه واستسقى القاضي بالنَّاس ، وبكى النَّاس عند القبر وتشفَّعوا بصاحبه ، فأرسل الله السَّماء بماءٍ عظيم غزير أقام النَّاس من أجله بخرتنك سبعة أيَّام أو نحوها لا يستطيع أحد الوصول إلى سمرقند من كثرة المطر وغزارته ، وبين خرتنك وسمرقند ثلاثة أميال أو نحوها " (٢) .

وقال الإمام عبد الحق بن عبد الرَّحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد إبراهيم الأزدي ، الأندلسي الأشبيلي ، المعروف بابن الخرَّاط (٥٨١هـ) : " ... وَيسْتَحب لَك رَحِمك الله أَن تقصد بميتك قُبُور الصَّالحين ، ومدافن أهل الْخَيْر ، فتدفنه مَعَهم ، وتنزله بإزائهم ، وتسكنه فِي جوارهم ، تبرُّكاً بهم ، وتوسُّلاً إلى الله تَعَالَى بقربهم ، وَأَن تجتنب بِهِ قُبُور من سواهُم مِمَّن يخَاف التأذِّي بمجاورته ، والتألُّم بمشاهدته ، فقد روى عَن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَنَّه قَالَ : " إِن الْمَيِّت يتَأَذَّى بالجار السُّوء كَمَا يتَأَذَّى بِهِ الْحَيّ ... " (٣) .

---

(١) انظر : تاريخ دمشق (٢/ ٣٣٣-٣٣٥) .

(٢) انظر : الصلة في تاريخ أئمة الأندلس (١/ ٦٠٣) ، وانظر : سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٦٩) .

(٣) انظر : العاقبة في ذكر الموت (١/ ٢١٩-٢٢٠) ، وحديث تأذي الميت بجار السوء ذكره العجلوني في كشف الخفاء ، وقال : " ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ، وقال في المقاصد : رواه أبو نعيم والخَليلي من حديث سليمان بن عيسى عن أبي هريرة مرفوعاً ، وسليمان متروك بل اتهم بالوضع

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي (٥٩٧هـ) : " عن أبي عبد الله احمد بن يحيى الجلاء ، قال : سمعت أبي يقول : كنت عند معروف في مجلسه ، فدخل عليه رجل ، فقال : يا أبا محفوظ : رأيت في هذه الليلة عجباً ، قال : وما رأيت رحمك الله ؟ قال : اشتهى علي أهلي سمكاً ، فذهبت إلى السُّوق ، فاشتريت لهم سمكة ، وحملتها مع حمَّال ، فمشي معي ، فلمَّا سمعنا آذان الظُّهر ، قال الحمَّال : يا عم ، هل لك أن نصلِّي ؟! فكأنَّه أيقظني من غفلة ، فقلت له : نعم نصلِّي .

فوضع الطَّبق والسَّمكة عليه على مستراح ، ودخل المسجد ، فقلت في نفسي : الغلام قد جاد بالطَّبق أجود أنا أيضاً بالسَّمكة ، فلم يزل يركع حتى أقيمت الصَّلاة ، فصلَّينا جماعة ، وركع بعد الصَّلاة ، وخرجنا ، فإذا الطبق على حاله موضوع ، فجئت إلى البيت وحدثت أهلي بهذا ، فقالوا لي : قل له يأكل معنا من هذا السَّمك ، فقلت له : تأكل معنا من هذا السَّمك ، فقال أنا صائم ، فقلت له : فأفطر عندنا ، قال : نعم ، أروني طريق المسجد ، فأريته ، فدخل المسجد وجلس إلى أن صلَّينا المغرب . فجئت إليه وقلت له : تقوم رحمك الله ، فقال : أو نصلِّي عشاء الآخرة ؟! فقلت في نفسي هذه ثانية يريد أنَّ فيه خيراً ، فلمَّا صلَّينا جئت به إلى منزلي ولنا ثلاثة أبيات : بيت فيه أنا وأهلي ، وبيت فيه صبيَّة مُقعدة ولدت كذلك لها فوق العشرين سنة ، وبيت كان فيه ضيفنا .

فبينا أنا مع أهلي إذ دقَّ داقٌ الباب في آخر الليل ، فقلت : من يدقُّ الباب ، فقالت : أنا فلانة ، فقلت : فلانة قطعة لحم مطروحة في البيت ، كيف يستوي لها أن تمشي ؟!! فقالت : أنا هي افتحوا لي ، ففتحنا لها ، فإذا هي ، فقلت : أي شيء الخبر ؟ فقالت : سمعتكم تذكرون ضيفنا هذا بخير ، فوقع في نفسي أن أتوسَّل إلى الله عزَّ وجلَّ به ، فقلت : اللهمَّ بحق ضيفنا هذا وبجاهه عندك إلَّا أطلقت أسري ، فاستويت وقمت وأنا في عافية كما تروني .

فقمت إليه أطلبه في البيت ، فإذا البيت خالٍ ليس فيه أحد ، فجئت إلى الباب فوجدته مغلقاً بحاله ، فقال معروف : نعم فيهم صغار وكبار يعني الأولياء " (١) .

---

، ولكن لم يزل عمل السَّلف والخلف على هذا انتهى ، ومما يشهد له ما أخرجه ابن عساكر عن علي أمرنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أن ندفن موتانا وسط قوم صالحين ، فإن الموتى يتأذون بالجار السوء كما يتأذى به الأحياء " . انظر : كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على السُّنَّة النَّاس (١/ ٧٢) . قلت : وقد رواه الطبراني في : جزء فيه ما انتقى أبوبكر أحمد بن موسى ابن مردويه على أبي القاسم الطبراني من حديثه لأهل البصرة (ص٢٩٩ برقم ١٣٨) .

(١) انظر : صفة الصفوة (١/ ٥٦٤) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي (٥٩٧هـ) : " فَالْوَاجِب علينا ان نستغيث بمراحم الْعَزِيز الرَّحِيم ، ونستشفع إِلَيْهِ بجاه نبيه الْكَرِيم الَّذِي أذن لَهُ فِي إِخْرَاج النَّاس من الظُّلُمَات إِلَى النُّور " (١) .

وقال جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي (٥٩٧هـ) : " وكان هبة الله بن عبد الوارث يحكي عن والدته فاطمة بنت علي قالت : سمعت أبا عبد الله محمَّد بن أحمد المعروف بابن أبي زرعة الطَّبري ، قَالَ : سافرت مع أبي إلى مكة ، فأصابتنا فاقة شديدة ، فدخلنا مدينة الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وبتنا طاويين ، وكنت دون البالغ ، فكنت أجيء إلى أبي وأقول : أنا جائع . فأتى بي أبي إلى الحضرة ، وقال : يا رسول الله ، أنا ضيفك الليلة . وجلس فلمَّا كان بعد ساعة رفع رأسه وجعل يبكي ساعة ، ويضحك ساعة . فقال : رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فوضع في يدي دراهم ، ففتح يده فإذا فيها دراهم وبارك الله فيها إلى أن رجعنا إلى شيراز وكنَّا ننفق منها " (٢) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي ، في ترجمة أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي : " ... وتوفي ببغداد سنة خمس وثمانين ومائتين وقبره ظاهر يتبرَّك النَّاس به رحمه الله " (٣) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي : " اللهمَّ إنا نتوسَّل إليك بالخليل في منزلته ، والحبيب في رتبته ، وكل مخلص في طاعته ، أن تغفر لكلٍّ منَّا زلَّته ، يا كريم برحمتك يا أرحم الرَّاحمين " (٤) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي: " أنبأنا يحيى بن الحسن ، قال : أنبأنا محمَّد بن الحسين ، قال : أخبرنا أبو الحسن على بن محمَّد الحِنائى ، قال : أخبرنا أبو محمَّد عبد الله بن محمَّد ، قال : أخبرنا أبو بكر محمَّد بن عيسى ، قال : حدَّثنا العبَّاس ، قال : وحدَّثنى اللَّكّاف ، قال : حدَّثني عبد الله بن موسى - وكان من أهل السُّنَّة - قال : خرجتُ أنا وأبي في لَيلة مُظلمة نزور أحمد ، فاشتدَّت الظُّلمة ، فقال أبي : يا بُني ، تعال حتى نتوسَّل إلى الله تعالى بهذا العبد الصَّالح حَتى يُضيء لنا الطَّريق ، فإني مُنذ ثلاثين سَنة ما

---

(١) انظر : التذكرة في الوعظ (ص١٦٢) .

(٢) انظر : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (١٦/ ٣١٤) .

(٣) انظر : صفة الصفوة (١/ ٥١٥) .

(٤) انظر : التبصرة لابن الجوزي (١/ ١٢٤) .

توسَّلتُ به إلَّا قُضيت حاجَتي ، فدعا أبى وأَمَّنْتُ أنا على دُعائه ، فأضاءّت السَّماء كأنَّها ليلة مُقمرة حتى وَصلنا إليه " (١) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي : " أَخْبَرَنَا زَاهِرُ بْنُ طَاهِرٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بن الحسين البيهقي ، أخبرنا أبو عبد الله الحاكم ، قَالَ : سمعت أبا العبَّاس محمَّد بْن أحمد القاضي ، يقول : سمعت أبا عبد الله محمَّد بْن جعفر الزاهد ، يقول : سمعت زكريَّا بْن أبي دلويه ، يقول : رأيت أحمد بْن حرب بعد وفاته بشهر فِي المنام ، فقلت : مَا فعل بك ربك ؟ قَالَ : غفر لي وفوق المغفرة . قلت : ومَا فوق المغفرة ؟ قال : أكرمني بأن يستجيب دعوات المسلمين إذا توسَّلوا بقبري... " (٢) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي (٥٩٧هـ) : " ... وكثر ضجيجي من مرضي ، وعجزت عن طلب نفسي ، فلجأت إلى قبور الصَّالحين ، وتوسلت في صلاحي ... " (٣) .

قلت : وعلى الدَّوام ... يأبى مدَّعو السَّلفيَّة إلَّا العبث بكتب أهل العلم بالتَّزوير والتَّحوير والتَّبديل والتَّغيير ... وهنا حرَّفوا قول الإمام ابن الجوزي ( قبور الصَّالحين) لتصبح بعبثهم وكذبهم (قبول الصَّالحين) ، وذلك في كتاب " صيد الخاطر " الموجود في المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ، مع أنَّ التَّحريف الذي أوقعوه وأحدثوه لا يستقيم معه النَّص ... ولم أستطع الحصول على نسخة دار القلم التي نقلت عنها من المكتبة الشَّاملة ، ولذلك لا أدري : هل وقع التَّحريف والتَّزييف في طبعة دار القلم أم كان من المشرفين على المكتبة الشَّاملة ، وهذا ما أعتقدهُ وأَميلُ إليه ، فإلى الله تعالى المشتكى (٤) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي : " لم يزل ذكر نَبينَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم منشوراً وَهُوَ فِي طي الْعَدَم ، توسَّل بِهِ آدم وَأخذ لَهُ مِيثَاق الْأَنْبِيَاء على تَصْدِيقه " (٥) .

---

(١) انظر : مناقب الإمام أحمد (ص٤٠٠) .

(٢) انظر : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (١١/ ٢١١) .

(٣) انظر : صيد الخاطر ، جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي ، (ص٩٣) ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م .

(٤) انظر النصَّ غير المحرَّف في كتاب : صيد الخاطر ، ابن الجوزي (ص٧٩) ، المكتبة العلميَّة ، بيروت .

(٥) انظر : المدهش ، ابن الجوزي (ص١٤١) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد بن الجوزي أبو الفرج ، في ترجمة علي بن محمَّد بن بشار أبو الحسن : " ... ودفن يوم الخميس بمشرعة السَّاج من الجانب الغربى ببغداد ، وقبره اليوم ظاهر يتبرَّك به " (١) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي (٥٩٧هـ) : " أنبأنا يحيى بن الحسن ، قال : أنبأنا محمَّد بن الحسين ، قال أخبرنا أبو الحسن على بن محمَّد الحِنائي ، قال : أخبرنا أبو محمَّد عبد الله بن محمَّد ، قال : أخبرنا أبو بكر محمَّد بن عيسى ، قال : حدَّثنا العبَّاس ، قال : وحدَّثنى اللَّكّاف ، قال : حدَّثني عبد الله بن موسى – وكان من أهل السُّنَّة – قال : خرجتُ أنا وأبى في لَيلة مُظلمة نزور أحمد ، فاشتدَّت الظُّلمة ، فقال أبي يا بُني ، تعال حتى نتوسَّل إلى الله تعالى بهذا العبد الصَّالح حَتى يُضيء لنا الطَّريق ، فإني مُنذ ثلاثين سَنة ما توسَّلتُ به إلَّا قُضيت حاجَتي ، فدعا أبي وأمَّنْتُ أنا على دُعائه ، فأضاءّت السَّماء كأنَّها ليلة مُقمرة حتى وَصلنا إليه " (٢) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي (٥٩٧هـ) : " قوله تعالى : ﴿فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ﴾ [يوسف : ٦٦] ، أي : أعطَوْه العهد ، وفيه قولان : أحدهما : أنَّهم حلفوا له بحقِّ محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ومنزلته من ربِّه ، قاله الضَّحَّاك (١٠٢هـ) عن ابن عبَّاس (٦٨هـ) " (٣) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي (٥٩٧هـ) : " أخبرنَا عبد الوهَّاب الحَافِظُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا حَمَدُ بْنُ أَحْمَدَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو نَعِيمٍ الحَافِظُ ، قَالَ : حدَّثنا محمَّد بْنُ عبد الله ، قَالَ : حدَّثنا الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الطُّوسي ، قَالَ : حدَّثنا محمَّد بن عبد الكريم ، قَالَ : حدَّثنا الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ ، قَالَ : حدَّثنا ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ ، قَالَ : حدَّثنا خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ ، قَالَ : قَالَ : سَعِيدُ بْنُ عَامِرِ بْنِ جُذَيْمٍ : شَهِدْتُ مَصْرَعَ خُبَيْبٍ وَقَدْ بَضَعَتْ قُرَيْشٌ لَحْمَهُ ثمَّ حَمَلُوهُ عَلَى جَذْعَةٍ ، فَقَالُوا : أَتُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّداً مَكَانَكَ ، فَقَالَ : وَاللهَّ مَا أُحِبُّ أَنِّي فِي أَهْلِي وَوَلَدِي وَأَنَّ مُحَمَّداً شِيكَ بِشَوْكَةٍ ثمَّ نَادَى يَا محمَّد " (٤) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي (٥٩٧هـ) : " قال الخلَّال : وحدَّثنا أبو طالب علي بن أحمد ، قال : دخلتُ يوماً على أبي عبد الله وهو يملي عليَّ ، وأنا أكتب ، فاندقَّ قلمي ، فأخذ قلماً

(١) انظر : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٦/ ١٩٨-١٩٩) .

(٢) انظر : مناقب الإمام أحمد (ص٤٠٠-٤٠١) .

(٣) انظر : زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٤٥٥) .

(٤) انظر : الثبات عند المات (ص١٢٤) ، وانظر : صفة الصفوة (١/ ٢٣٧) ، (١/ ٢٥٧) .

فأعطانيه ، فجئت بالقلم إلى أبي علي الجعفري ، فقلت : هذا قلم أبي عبد الله أعطانيه ، فقال لغلامه : خُذ القلم فَضعه في النَّخلة عسى تَحمل ، فوضعه في النَّخلة فحملت النَّخلة " (١) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي (٥٩٧هـ) : " أخبرنا محمَّد بن أبي منصور ، قال : أخبرنا أبو الغنائم محمَّد بن محمَّد بن المهتدي ، قال : أنبأنا عبدالعزيز بن علي الأزَجي ، قال : أنبأنا عبد العزيز بن جعفر ، قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمَّد الخلاّل ، قال : أخبرني عِصمة بن عِصام ، قال : حدَّثنا حنبل ، قال : أعطي بعض ولد الفَضل بن الربيع أبا عبد الله وهو في الحَبس ثلاث شَعرات ، فقال : هذا من شَعر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم . فأوصى أبو عبد الله عند موته أن يُجعل على كل عَين شعرة ، وشَعرة على لسانه ، فَفُعل به ذلك عند موته " (٢) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي (٥٩٧هـ) :

بجاه محمَّد خير البرايا ... تشفّعنا لكم وبه اعتصمنا
عليـــــــــه تحيَّة ما لاح برق ... وتاق لحبِّـــــــه قلب المعنَّى (٣)

(٣)

وقال الإمام عماد الدِّين الكاتب الأصبهاني ، محمَّد بن محمَّد صفي الدِّين بن نفيس الدِّين حامد ، أبو عبد الله (٥٩٧هـ) : " ... والله سبحـــانه يتقبَّل من الخادم فيه صالح دعائه ، وينصره على جاحدي نعمائه ، بمحمَّد وآله " (٤) .

وقال الإمام علي بن أبي بكر بن علي الهروي ، أبو الحسن (٦١١هـ) : " وفَّقه الله لطاعته ، وبلَّغه نهاية آماله من دنياه وآخرته ، بمحمَّد وآله وعترته " (٥) .

وقال الإمام شَرَفُ الدِّين ، عَلِيُّ بنُ الْمُفَضَّلِ بنِ عَلِيِّ بنِ مُفَرِّجِ بنِ حَاتِمِ بنِ حَسَنِ بنِ جَعْفَرٍ الْمَقْدِسِيُّ (٦١١هـ) : " ... أحسن الله عافيتها بمحمَّد وآله وحسبنا الله ونعم الوكيل " (١) .

---

(١) انظر : مناقب الإمام أحمد (ص٣٩٨) .

(٢) انظر : مناقب الإمام أحمد (ص٥٤٥) .

(٣) انظر : بحر الدموع (ص٥٨) .

(٤) انظر : خريدة القصر وجريدة العصر (٢/ ٣٥٤) .

(٥) انظر : الإشارات إلى معرفة الزيارات (ص١٣) .

وقال الإمام موفق الدِّين أبو محمَّد بن عبد الرَّحمن ، ابن الشَّيخ أبي الحرم مكّي بن عثمان الشَّارعي الشَّافعي (٦١٥هـ) : " واقض حوائجنا في الدُّنيا والآخرة بمحمَّد وآله وصحبه أجمعين " (٢) .

وقال الإمام موفق الدِّين أبو محمَّد بن عبد الرَّحمن ، ابن الشَّيخ أبي الحرم مكّي بن عثمان الشَّارعي الشَّافعي (٦١٥هـ) في ترجمة الإمام العالم القاسم الطيِّب بن محمَّد المأمون ابن جعفر الصَّادق بن محمَّد الباقر بن زين العابدين (٩٤هـ) : " وقد كتب على قبره من نظم ابن سناء الملك الوزير :

يا من إذا سأل المقصِّر عفوَه فهو المجيب بفضله لسؤاله
مالي سوى فقرى إليــك وسيلـــة وتشفُّعي بمحمَّد وبآلـــــــه (٣)

وقال الإمام نصير الدِّين محمَّد بن عبد الله السَّامري الحنبلي (٦١٦هـ) : " ولا بأس بالتَّوسُّل إلى الله تعالى في الاستسقاء بالشُّيوخ والزهَّاد وأهل العلم والفضل والدِّين من المسلمين " (٤) .

وقال الإمام أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (٦١٦هـ) : " قَالَ الشَّيخ الإِمَام الْعَالم محب الدِّين أَبُو الْبَقَاء عبد الله بن الْحُسَيْن بن عبد الله العكبرى رَحمَه الله تَعَالَى ورحم أسلافه بمحمَّد وآله وَأَصْحَابه وأنصاره " (٥) .

وقال الإمام أبو محمَّد جلال الدِّين عبد الله بن نجم بن شاس بن نزار الجذامي السَّعدي المالكي (٦١٦هـ) : " والله سبحانه وتعالى المسؤول في أن يوفِّقنا للإقبال على امتثال مأموراته ، والإحجام عن ارتكاب محظوراته ، ويلهمنا ما يقر من أجره وثوابه ، ويباعد من سخطه وعقابه بمحمَّد وآله " (٦) .

وقال الإمام أبو محمَّد موفَّق الدِّين عبد الله بن أحمد بن محمَّد ، الشَّهير بابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ) : " وَيُرْوَى عَنْ الْعُتْبِيِّ (٢٢٨هـ) ، قَالَ : كُنْت جَالِساً عِنْدَ قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ :

---

(١) انظر : أربعون حديثا لعلي بن المفضل المقدسي ، شَرَفُ الدِّين ، عَلِيُّ بنُ الْمُفَضَّلِ بنِ عَلِيِّ بنِ مُفَرِّجِ بنِ حَاتِمِ بنِ حَسَنِ بنِ جَعْفَرٍ الْمَقْدِسِيُّ ، (ص٤٣) ، مخطوط .

(٢) انظر : مرشد الزوار إلى قبور الأبرار (١/ ١٨٨) .

(٣) انظر : مرشد الزوار إلى قبور الأبرار (١/ ١٩٦) .

(٤) انظر : المستوعب (١/ ٢٩٣) .

(٥) انظر : التبيان في إعراب القرآن (١/ ١) .

(٦) انظر : عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة (٣/ ١٣١٣) .

السَّلام عَلَيْك يَا رَسُولَ اللهِّ ، سَمِعْت اللهَّ يَقُولُ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] .

وَقَدْ جِئْتُك مُسْتَغْفِراً لِذَنْبِي ، مُسْتَشْفِعاً بِك إلى رَبِّي ، ثمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظُمُـــهُ فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكَمُ
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُـــــودُ وَالْكَرَمُ

ثُمَّ انْصَرَفَ الْأَعْرَابِيُّ ، فَحَمَلَتْنِي عَيْنِي ، فَنِمْت ، فَرَأَيْت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي النَّوْمِ ، فَقَالَ : يَا عُتْبِيُّ ، الْحَقْ الْأَعْرَابِيَّ ، فَبَشِّرْهُ أَنَّ اللهَّ قَدْ غَفَرَ لَهُ " (١) .

وقال الإمام وقال الإمام أبو محمَّد موفق الدِّين عبد الله بن أحمد بن محمَّد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثمَّ الدِّمشقي الحنبلي ، الشَّهير بابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ) : " فَصْلٌ : فَإِنْ سَافَرَ لِزِيَارَةِ الْقُبُورِ وَالْمَشَاهِدِ .

فَقَالَ ابْنُ عَقِيلٍ : لَا يُبَاحُ لَهُ التَّرَخُّصُ ؛ لأَنَّه مَنْهِيٌّ عَنْ السَّفَرِ إلَيْهَا ، قَالَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلَّا إلى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ " . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، والصَّحيح إبَاحَتُهُ ، وَجَوَازُ الْقَصْرِ فِيهِ ؛ لأَنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كَانَ يَأْتِي قُبَاءَ رَاكِباً وَمَاشِياً ، وَكَانَ يَزُورُ الْقُبُورَ ، وَقَالَ : " زُورُوهَا تُذَكِّرْكُمْ الْآخِرَةَ " .

وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلَّا إلى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ " فَيُحْمَلُ عَلَى نَفْيِ التَّفْضِيلِ ، لَا عَلَى التَّحْرِيمِ ، وَلَيْسَتْ الْفَضِيلَةُ شَرْطاً فِي إبَاحَةِ الْقَصْرِ ، فَلَا يَضُرُّ انْتِفَاؤُهَا " (٢) .

وقال الإمام أبو محمَّد موفق الدِّين عبد الله بن أحمد بن محمَّد ، الشَّهير بابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ) : " وَيُسْتَحَبُّ الدَّفْنُ فِي الْمَقْبَرَةِ الَّتِي يَكْثُرُ فِيهَا الصَّالِحُونَ وَالشُّهَدَاءُ ؛ لِتَنَالَهُ بَرَكَتُهُمْ ، وَكَذَلِكَ فِي الْبِقَاعِ الشَّرِيفَةِ . وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ بِإِسْنَادِهِمَا " أَنَّ مُوسَى – عَلَيْهِ السَّلام – لما حَضَرَهُ الْمَوْتُ سَأَلَ اللهَّ تَعَالَى أَنْ يُدْنِيَهُ إلى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ ، قَالَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : لَوْ كُنْتُ ثمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ " (٣) .

---

(١) انظر : المغني (٥/ ٤٦٥-٤٦٦) .

(٢) انظر : المغني (٢/ ١٩٥) .

(٣) انظر : المغني (٢/ ٣٨٠) .

وقال الإمام أبو محمَّد موفق الدِّين عبد الله بن أحمد بن محمَّد ، الشَّهير بابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ) : " فَصْلٌ : وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يُسْتَسْقَى بِمَنْ ظَهَرَ صَلَاحُهُ ؛ لأنَّه أَقْرَبُ إلى إجَابَةِ الدُّعاء ، فَإِنَّ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُ اسْتَسْقَى بالعبَّاس عَمِّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم .

قَالَ ابْنُ عُمَرَ : اسْتَسْقَى عُمَرُ عَامَ الرَّمَادَةِ بالعبَّاس ، فَقَالَ : اللهمَّ إنَّ هَذَا عَمُّ نَبِيِّك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم نَتَوَجَّهُ إلَيْك بِهِ فَاسْقِنَا . اللهَّ تَعَالَى ، فَثَارَتْ فِي الْغَرْبِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ ، وَهَبَّ لَهَا رِيحٌ ، فَسُقُوا حَتَّى كَادُوا لَا يَبْلُغُونَ مَنَازِلَهُمْ ، وَاسْتَسْقَى بِهِ الضَّحَّاكُ مَرَّةً أُخْرَى ، فَمَا بَرِحُوا حَتَّى سَقَاهُمْ الله عَزَّ وَجَلَّ .

وَرُوِيَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ خَرَجَ يَسْتَسْقِي ، فلمَّا جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ ، قَالَ : أَيْنَ يَزِيدُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْجُرَشِيُّ ؟ فَقَامَ يَزِيدُ ، فَدَعَاهُ مُعَاوِيَةُ ، فَأَجْلَسَهُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ ، ثمَّ قَالَ : اللهمَّ إنَّا نَسْتَشْفِعُ إلَيْك بِخَيْرِنَا وَأَفْضَلِنَا يَزِيدَ بْنِ الْأَسْوَدِ ، يَا يَزِيدُ ، ارْفَعْ يَدَيْكَ ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ ، وَدَعَا " (١) .

وقال الإمام ابن قدامة المقدسي (٦٢٠ هـ) : " وإذا كانت لك حاجة إلى الله تعالى ، تريد طلبها منه فتوضَّأ وأحسن الوضوء ، واركع ركعتين وأثن على الله عزَّ وجلَّ ، وصلِّ على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ثمَّ قل: ... اللهمَّ إنِّي أسالك وأتوجَّه إليك بنبيِّنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم نبيِّ الرَّحمة ، يا محمَّد إنِّي أتوجَّه بك إلى ربِّي وربِّك عزَّ وجلَّ فيقضي لي حاجتي . ويذكر حاجته . وروي أنَّ السَّلف كانوا يستنجحون حوائجهم بركعتين يصليهما ثمَّ يقول : اللهمَّ بك أستفتح وأستنجح ، وإليك بنبيِّك محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أتوجَّه ، اللهمَّ ذلل لي صعوبة أمري ، وسهِّل من الخير أكثر ممَّا أرجو ، واصرف عنِّي من الشَّر أكثر ممَّا أخاف " (٢) .

قلت : وقد قامت الأيدي الظَّالمة الأثيمة بالتَّلاعب في كتاب الوصيَّة للإمام ابن قدامة المقدسي ، فشطبوا هذه الفقرة من كتاب " الوصية " الذي نشرته دار تيسير السُّنَّة ، الطَّبعة : الأولى ، (١٤١١ هـ ، ١٩٩٠م) ، بتحقيق : أُم عبد الله بنت محروس العسيلي ، وإشراف : أبو عبد الله محمود بن محمَّد الحدَّاد ، والموجود في المكتبة الشَّاملة ، الإصدار السَّادس . وللأمانة لم أستطع الحصول على النُّسخة الورقيَّة من هذه الطَّبعة ، وبالتَّالي لا أدري : هل وقع العبث من قبل المسؤولين عن المكتبة الشَّاملة أم كان العبث ممَّن حقَّق الكتاب أصلاً ...

أمَّا النُّسخة التي نقلت عنها ، والتي هي من تحقيق : محمَّد خير رمضان يوسف ، وطباعة دار ابن حزم ، بيروت ، الطَّبعة الأولى ، (١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م) ، فقد ذكر المحقِّق الأستاذ محمَّد خير رمضان يوسف ، أنَّه قد حقَّقها

---

(١) انظر : المغني (٣/ ٣٤٦-٣٤٧) .

(٢) انظر : الوصية (ص٤٦) .

على ثلاث نسخ ، رمز لها بـ : (أ)،(ب)،(ج) . وذكر أنَّ النُّسخة (أ) ، النُّسخة هي الأقدم من بين النُّسخ ، ولذلك فقد اتَّخذها المحقّق أصلاً ، وفيها جاء نصُّ الكلام الذي ذكرناه . أمَّا النُّسخة (ب) فهي ناقصة ، وأمَّا النُّسخة (ج) ، فهي نسخة مكتبة مركز الملك فيصل للبحوث والدِّراسات الإسلاميَّة ، وهي النُّسخة الأحدث من بين النُّسخ الثَّلاث حيث نسخت عام (١٣٣٥هـ) ، وناسخها ممن يدَّعون السَّلفيَّة ، واسمه : الشَّيخ القاضي محمَّد بن سليمان البصيري ، وقد قام هذا النَّاسخ بحذف حديث التَّوسُّل تماماً !! وكذا قام بحذف قول ابن قدامة : اللهمَّ بك أستفتح وأستنجح ، وإليك بنبيِّك محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أتوجَّه !! فإلى الله المشتكى من هذه الشِّرذمة التي دأبت على التَّزوير والعبث بكتب أهل العلم في القديم والحديث ...

والغريب في الأمر أنَّ التَّحريف يقع ويحدث بعلمٍ من علمائهم الذين باركوا هذه الخطوة العبثيَّة في القديم والحديث ، قال الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) : " وَفِي المبتدعة لَا سِيمَا المجسِّمة زِيَادَة لَا تُوجد فِي غَيرهم وَهُوَ أَنَّهم يرَوْنَ الْكَذِب لنصرة مَذْهَبهم وَالشَّهَادَة عَلَى من يخالفهم فِي العقيدة بِمَا يسوءه فِي نَفسه وَمَاله بِالْكَذِبِ تأييداً لاعتقادهم ويزداد حنقهم وتقرُّبهم إلى اللهَّ بِالْكَذِبِ عَلَيْهِ بِمِقْدَار زِيَادَته فِي النّيل مِنْهُم فَهَؤُلَاءِ لَا يحلُّ لُمسلم أَن يعْتَبر كَلَامهم " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن زاهد الكوثري (١٣٧١هـ) في مقدِّمته لكتاب " تبيين كذب المفتري " : " من عادة الحشويَّة أن يترصَّدوا الفرص لإفناء أمثال هذه الكتب ، إمَّا بحرقها علاناً يوم يكون لهم شوكة وسلطان أو بسرقتها من دور الكتب أو بوضع مواد متلفة فيها ، وإمَّا بتشويهها بطرح ما يخالف عقولهم منها عند نسخها أو بالكشط والشَّطب في نسخها الأصليَّة ... وكتابنا هذا كان حظُّه من النَّوع الثَّالث من فنون احتيالهم ، ولكن أبى الله إلَّا أن يظهر الحقّ ، فلم تأكل هذه المادَّة غير أوله " (٢) .

وهذه بعض الأمثلة من تحريفاتهم العديدة لكتب أهل العلم : قال الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي (٩٠٢هـ) في ترجمته للإمام محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن محمَّد الْعَلَاء أَبُو عبد الله الْبُخَارِيّ العجمي الْحَنَفِيّ (٨٤١هـ) : " ... وَتوجه إلى بِلَاد الْهِنْد فقطن كلبرجا مِنْهَا وَنشر بهَا الْعلم والتَّصوف وَكَانَ مِمَّن قَرَأَ عَلَيْهِ ملكهَا وترقى عِنْده إلى الْغَايَة لما وقر عِنْده

(١) انظر : طبقات الشافعية الكبرى ، (٢/ ١٦) .

(٢) انظر : تبيين كذب المفتري فيما نُسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، ابن عساكر ، (هامش صفحة د) ، تحقيق : محمَّد زاهد الكوثري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، نشر : القدسي ، ١٩٧٩م .

من علمه وزهده وورعه، ثمَّ قدم مَكَّة فجاور بهَا وانتفع بِهِ فِيهَا غَالب أعيانها ثمَّ قدم الْقَاهِرَة فَأَقَامَ بهَا سِنِين وانثال عَلَيْهِ الْفُضَلَاء من كلِّ مَذْهَب وعظمه الأكابر فَمن دونهم بِحَيْثُ كَانَ إِذا اجْتمع مَعَه الْقُضَاة يكونُونَ عَن يَمِينه وَعَن يسَاره كالسلطان وَإِذا حضر عِنْده أَعْيَان الدَّولة بَالغ فِي وعظهم والإغلاظ عَلَيْهِم بل ويراسل السُّلْطَان مَعَهم بِمَا هُوَ أَشد فِي الإغلاظ ويحضه عَن إِزَالَة أَشْيَاء من الْمَظَالِم مَعَ كَونه لَا يحضر مَجْلِسه وَهُوَ مَعَ هَذَا لَا يزْدَاد إِلَّا إجلالا ورفعة ومهابة فِي الْقُلُوب " (١) .

وقد تمَّ تحريف قول السَّخاوي بحق العلاء البخاري : " وَإِذا حضر عِنْده أَعْيَان الدَّولة ، بَالغ فِي وعظهم ، والإغلاظ عَلَيْهِم ، بل ويراسل السُّلْطَان مَعَهم بِمَا هُوَ أَشدّ فِي الإغلاظ ، ويحضه عَن إِزَالَة أَشْيَاء من الْمَظَالِم " من قبل محقِّق الكتاب الشَّيخ زهير الشَّاويش ليُصبح : " ... واتَّصل بحكَّامها ، وكان شديد الالتصاق بهم " (٢) . والسَّبب هو لأنَّ الإمام العلاء البخاري كان على خلاف مع ابن تيمية حتى أنَّه حكم بتكفيره ...

ومن عبثهم وخياناتهم وتدليسهم في كتب أهل العلم : ما ذكره الألباني في " مختصر العلو " ، حيث قال عن حديث الجارية ضمن من صحَّح الحديث : " فإنَّه مع صحَّة إسناده ، وتصحيح أئمَّة الحديث إيَّاه دون خلاف بينهم أعلمه ، منهم الإمام مسلم حيث أخرجه في " صحيحه " ، وكذا أبو عوانة في "مستخرجه عليه " والبيهقي في " الأسماء " حيث قال عقبه " (ص٤٢٢) " : " وهذا صحيح ، قد أخرجه مسلم " .

وهذا كذب صُراح ... فقد قال الإمام البيهقي : " وَهَذَا صَحِيحٌ ، قَدْ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مُقَطَّعاً مِنْ حَدِيثِ الْأَوْزَاعِيِّ وَحَجَّاجٍ الصَّوَّافِ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ دُونَ قِصَّةِ الْجَارِيَةِ !!! وَأَظُنُّهُ إِنَّما تَرَكَهَا مِنَ الْحَدِيثِ لِاخْتِلَافِ الرُّوَاةِ فِي لَفْظِهِ " (٣) .

وقال الإمام البيهقي – أيضاً – عقب روايته لحديث الجارية في كتابه السُّنن الكبرى : " أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الصَّحيح مِنْ حَدِيثِ الْأَوْزَاعِيِّ دُونَ قِصَّةِ الْجَارِيَةِ " (٤) . فالإمام البيهقي لم يقل ما نسبه له الألباني ، بل أنَّه حذف قصَّة الجارية من صحيحه بشهادة الإمام البيهقي . والسُّؤال الذي يطرح نفسه هنا : إذا كان الإمام البيهقي يشهد أنَّه في زمانه لم يكن حديث الجارية – بنصِّه الموجود في الصَّحيح اليوم – موجوداً ، فمتى ، وكيف

---

(١) انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٩/ ٢٩١) .

(٢) انظر تقديم الشَّيخ لكتاب الرد الوافر لابن ناصر الدِّين الدِّمشقي (ص٢١).

(٣) انظر : الأسماء والصفات (٢/ ٣٢٥ برقم ٨٩١) .

(٤) انظر : السنن الكبرى (١٠/ ٩٨ برقم ١٩٩٨٥) .

، ومن أَدخل وأضاف للحديث لفظ : " أين الله " ؟!!! وهذا عبثٌ آخر في نصِّ الحديث ... فتدبَّروا يا أُولي الألباب .

ومن تحريفاتهم لكتب أهل العلم : " جاء في كتاب : " تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان " للشَّيخ السَّعدي : " قال الله متوجِّعاً !!! للعباد :﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [يس : ٣٠] ، أي : ما أعظم شقاءهم ، وأطول عناءهم ، وأشدّ جهلهم ، حيث كانوا بهذه الصِّفة القبيحة ، التي هي سبب لكلِّ شقاء وعذاب ونكال " (١) . فالسَّعدي يصف الله تعالى بصفة الوجع التي لم يقلها قبله أحدٌ من العالمين ، وقد ورد هذا اللفظ الشَّنيع في طبعات : دار الرِّسالة ، ودار ابن الجوزي ، وطبعة مكتبة الرُّشد ، وقد حاول بعض أدعياء السَّلفيَّة تدارك فداحة ما وقع فيه مفسِّرهم السعدي المعتمد لديهم ، فحرَّف قوله : (متوجِّعاً !!!) لتصبح (مترحِّماً) ، وقد نشرت التَّحريف في طبعتها لكتاب السَّعدي كلٌّ من : دار المدني بجدَّة ، وطبعة المؤسَّسة السَّعيديَّة ، وكذا طبعة مركز ابن صالح ... فما رأيكم بهذا التَّحريف الذي ما كان إلَّا لجبر كسر كبير حصل في كلام عالم من كبار علمائهم ، أم أنَّهم سيقولون بوصلتهم المعروفة دائماً : إنَّ الله تعالى يتوجَّع لا كتوجُّعنا ، بل يتوجَّع توجُّعاً يليق به !! سبحانك ربِّي هذا بهتانٌ عظيم ...

ومن تحريفاتهم لكتب أهل العلم : أنَّهم طبعوا كتاب " الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل " ، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ، الزَّمخشري جار الله (٥٣٨هـ) في دار العبيكان بالرِّياض ، وحرَّفوا فيه العديد من المسائل ، منها : تحريفهم لتفسير الزَّمخشري لقولــــــه تعالى : ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣] ...

ومن تحريفاتهم لكتب أهل العلم : ما فعلوه في كتاب : " حاشية العلَّامة الصَّاوي على تفسير الجلالين " ، للإمام أحمد بن محمَّد الصَّاوي المالكي الصَّاوي (١٢٤١هـ) ، عند تفسير قول الله تعالى : ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [فاطر : ٦ ] ، فقد قال الإمام الصَّاوي : " وقيل : هذه الآية نزلت في الخوارج الذين يحرِّفون تأويل الكتاب والسُّنَّة ، ويستحلُّون بذلك دماء المسلمين وأموالهم ، كما هو مُشَاهَدٌ الآن في نَظَائِرهم ، وهم فرقة بأرض الحجاز ، يقال لهم : الوهَّابيَّة ، يحسبون أنَّهم على شيء ، ألا أنَّهم هم الكاذبون ، استحوذ عليهم الشَّيطان فأنساهم

(١) انظر : تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان (ص٦٩٥) .

ذكر الله أولئك حزب الشَّيطان ألا إن حزب الشَّيطان هم الخاسرون ، نسأل الله الكريم أن يقطع دابرهم " . انتهى كلام الشَّيخ الصَّاوي المالكي .

فهذا هو ما قاله الإمام الصَّاوي ، كما تجد ذلك في طبعة دار إحياء التُّراث العربي ، (٥/ ٧٨) ، طبعة جديدة محقَّقة على نسخة خطيَّة للجلالين .

وقد جاء النصُّ المحرَّف في طبعة دار الكتب العلميَّة ، بيروت ، الطَّبعة الأولى ، (١٩٩٥م) ، ضبطه وصحَّحه !!! محمَّد عبد السَّلام شاهين ، كالآتي : " وقيل : هذه الآية نزلت في الخوارج الذين يحرِّفون تأويل الكتاب والسُّنَّة ، ويستحلُّون بذلك دماء المسلمين وأموالهم ، استحوذ عليهم الشَّيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشَّيطان ألا إن حزب الشَّيطان هم الخاسرون ، نسأل الله الكريـــم أن يقطع دابرهم " .

أمَّا النُّسخة التي أصدرتها دار الجيل ، بيروت ، وهي الطَّبعة الأخيرة التي راجع تصحيحها !!! فضيلة الشَّيخ علي محمَّد الضّباع ، شيخ القرَّاء والمقارئ بالدِّيار المصريَّة ، فقد جاء فيها : ( وهم فرقة بأرض الحجاز ... يحسبون أنَّهم ) . فإلى الله المشتكى من قوم لا يستحون ولا يرعوون ...

ومن تحريفاتهم لكتب أهل العلم : ما جاء في حاشية ابن عابدين ، الذي كان معاصراً لابن عبد الوهَّاب ، فقد قال في حاشيته : " مَطْلَبٌ فِي أَتْبَاعِ محمَّد ابْنِ عَبْدِ الوهَّاب الْخَوَارِجِ فِي زَمَانِنَا .

( قَوْلُهُ : وَيُكَفِّرُونَ أَصْحَابَ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ) عَلِمْت أَنَّ هَذَا غَيْرُ شَرْطٍ فِي مُسَمَّى الْخَوَارِجِ ، بَلْ هُوَ بَيَانٌ لِمَنْ خَرَجُوا عَلَى سيِّدنا عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ ، وَإِلَّا فَيَكْفِي فِيهِمْ اعْتِقَادُهُمْ كُفْرَ مَنْ خَرَجُوا عَلَيْهِ ، كَمَا وَقَعَ فِي زَمَانِنَا فِي أَتْبَاعِ محمَّد ابْنِ عَبْدِ الوهَّاب الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ نَجْدٍ وَتَغَلَّبُوا عَلَى الْحَرَمَيْنِ وَكَانُوا يَنْتَحِلُونَ مَذْهَبَ الْحَنَابِلَةِ ، لَكِنَّهُمْ اعْتَقَدُوا أَنَّهم هُمْ الْمُسْلِمُونَ وَأَنَّ مَنْ خَالَفَ اعْتِقَادَهُمْ مُشْرِكُونَ ، وَاسْتَبَاحُوا بِذَلِكَ قَتْلَ أَهْلِ السُّنَّة وَقَتْلَ عُلَمَائِهِمْ حَتَّى كَسَرَ اللهُ تَعَالَى شَوْكَتَهُمْ وَخَرَّبَ بِلَادَهُمْ وَظَفِرَ بِهِمْ عَسَاكِرُ الْمُسْلِمِينَ عَامَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ ) [1] ، فهذه الفقرة تمَّ حذفها ... كما تمَّ حذف كتاب " البُغاة " من حـــاشية ابن عابدين ، وذلك في النُّسخة التي طُبعت على نفقة الوليد بن طلال ....

ومن تحريفاتهم لكتب أهل العلم : ما قاله الأستاذ محمَّد نوري الدّيرثوي : " ... بل التَّحريف وحذف الأسانيد شأن المتسلفة وديدنهم . إنَّ نعمان الألوسي حرَّف تفسير والده المكرَّم علامة العراق الشَّيخ محمود

---

[1] انظر : حاشية ابن عابدين (١٣/ ١٣٥) .

الألوسي ( تفسير : روح المعاني) ، ولولا تحريفه لكان التَّفسير الفريد وجامع الجوامع . وأمَّا الحذف والسَّلخ للعبارات والأحاديث فحدِّث ولا حرج ، لقد طبعوا كتاب المغني لابن قدامة الحنبلي فحذفوا منه مبحث الاستغاثة ، وطبعوا شرح صحيح مسلم ، فسلخوا منه أحاديث الصِّفات ..." [١] .

قلت : ومما يؤكد كلام الأستاذ محمَّد نوري الديرثوي : ما قاله الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) حيث قال : " وَقد وصل حَال بعض المجسمة فِي زَمَاننَا إِلَى أَن كتب شرح صَحِيح مُسلم للشَّيْخ محيي الدِّين النَّوَوِيّ وَحذف من كَلَام النَّوَوِيّ مَا تكلم بِهِ عَلَى أَحَادِيث الصِّفَات ، فَإِن النَّوَوِيّ أشعري العقيدة ، فَلم تحمل قوى هَذَا الْكَاتِب أَن يكْتب الْكتاب عَلَى الْوَضع الَّذِي صنَّفه مُصَنِّفه .

وَهَذَا عِنْدِي من كَبَائِر الذُّنُوب ، فَإِنَّهُ تَحْرِيف للشريعة ، وَفتح بَاب لَا يُؤمن مَعَه بكتب النَّاس وَمَا فِي أَيْديهم من المصنَّفـــات . فقبَّح اللهَّ فَاعله وأخزاه ، وَقد كَانَ فِي غنية عَن كِتَابَة هَذَا الشَّرْح ، وَكَانَ الشَّرْح فِي غنية عَنهُ " [٢] .

ومن تحريفاتهم لكتب أهل العلم : وضع الأستاذ محمَّد رفيق الونشريسي الجزائري شرحاً لطيفاً على نظم المقدِّمة الآجروميَّة للإمام العلَّامة محمَّد بن أب المعروف بعبيد ربّه الشَّنقيطي رحمه الله تعالى ، وطبعته دار الإمام مالك ، أبو ظبي :

وقد جعلها الله لكلِّ مبتدي        دائمة النَّفع بحب أحمد

قال الأستاذ في الشَّرح الصَّفحة (٧٩-٨٠) : ثمَّ سأل (المؤلِّف) الله عزَّ وجلَّ أن يجعل نظمه هذا دائم النَّفع للمبتدئين في علم النَّحو ، وقد توسَّل إلى الله سبحانه وتعالى في الأصل بجاه محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فقال : (دائمَّة النَّفع بجاه أحمد) ، ومعلوم ما في هذا التَّوسُّل من مخالفة لما كان عليه سلفنا الصَّالح - رضوان الله عليهم - فحذفته وأبدلته بتوسُّل مشروع ، وهو حب النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وراجع في ذلك ..." .اهـ

وقامت إدارة مساجد محافظة العاصمة (الجزائر) بطبع منظومة الآجروميَّة لعبيد ربّه الشَّنقيطي ، وذلك ضمن المسابقة الرَّمضانيَّة للغة العربيَّة في سنة (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م) .

وبدل أن يتركوا نصَّ النَّاظم كما هو ويعلِّقوا في الهامش بما شاءوا غيَّروا النَّصَّ الأصلي رأساً ، الهامش الصَّفحة (١٤) إلى ما يلي :

---

(١) انظر : ردود على شبهات السَّلفيَّة (ص٢٤٩) .

(٢) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ١٩) .

جعلها الله لكلِّ مبتدي          دائمة النَّفع دوام الأبد

وكتبوا في الهامش: [ ما بين معكوفين هي جملة من وضع فضيلة الشَّيخ زايد الأذان بن الطَّالب الشَّنقيطي شارح هذه المنظومة في كتابه مصباح السَّاري شرح منظومة عبيد ربه الشَّنقيطي على المقدِّمة الآجروميَّة ، فبدَّل عبارة للنَّاظم يقول : ( بجاه أحمد ) ولا يخفى عليك لماذا [١] .

وجاء في موقع : " شبكة روض الرَّياحين " بقلم الأستاذ الأزهري : " كشف تزوير في اجتماع الجيوش لابن قيِّم الجوزيَّة : ذكر ابن القيم في اجتماع الجيوش عقيدة الإمام الحجَّة أبي أحمد بن الحسين الشَّافعي المعروف بالحدَّاد ، وذكر هذا النَّص من كلامه ، وهو منقول من الجيوش ، طبعة : مكتبة ابن تيمية بالقاهرة ، (ط١ـ١٤٠٨هـ ، ص٨٠) : " وَنَعْتَقِدُ حُبَّ آلِ محمَّد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم وَأَزْوَاجِهِ وَسَائِرِ أَصْحَابِهِ رِضْوَانُ اللهَّ عَلَيْهِمْ وَنَذْكُرُ مَحَاسِنَهُمْ وَنَنْشُرُ فَضَائِلَهُمْ وَنَمْسِكُ أَلْسِنَتَنَا وَقُلُوبَنَا عَنِ التَّطَلُّعِ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَنَسْتَغْفِرُ اللهَّ لَهُمْ وَنَتَوَسَّلُ إلى اللهَّ تَعَالَى بِاتِّبَاعِهِمْ " .

لاحظ الكلمة التي تحتها خط : **[ونتوسَّل إلى الله تعالى باتِّباعهم]** !! فما زلت أشكُّ في أن هذه العبارة مزوَّرة لأنَّني لم أعهد القُدماء يقولون هذا وإنَّما يقولون نتوسَّل بهم ، فاستحضرت نسخة أخرى من الجيوش ، طبعة مكتبة المؤيَّد ، الرِّياض ، بتحقيق : بشير محمَّد عيون ، وقد حقَّقها على مخطوطة الظَّاهريَّة ، والطَّبعة المنيريَّة ، فإذا النصُّ فيها (ص١٣٣) ، هكذا :

ونعتقد حبَّ آل محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وأزواجه وسائر أصحابه رضوان الله عليهم ، ونذكر محاسنهم ، وننشر فضائلهم ، ونُمسك ألسنتنا وقلوبنا عن التَّطلُّع فيما شجر بينهم ، ونستغفر الله لهم ، ونتوسَّل إلى الله تعالى بهم " .

فإذا العبارة في هذه الطَّبعة المحقَّقة ( بهم ) وليست (باتِّباعهم) !! أ.هـ وقد أرفق الأستاذ الأزهري مخطوطة الكتاب الأصليَّة التي برهنت على التَّزوير المتعمَّد ... فإلى الله تعالى وحده المشتكى ....

ثمَّ إنِّي وقفت بعد مدَّة على رسالة صغيرة تصنيف العلَّامة ابن طولون الدِّمشقي الصَّالحي الحنفي عنوانها : ( قيد الشَّريد من أخبار يزيد ) جمعها في أخبار يزيد بن معاوية ، من مطبوعات دار الصَّحوة ـ القاهرة (ط١ ، ١٤٠٦هـ) ، وإذا به يذكر مبيِّناً موقف أهل السُّنَّة في المسألة ـ القطعة السَّابقة من عقيدة الحدَّاد نقلاً عن اجتماع

---

[١] انظر موقع شبكة روض الرياحين ، بقلم الأستاذ العلوي .

الجيوش فإذا فيها : " ... ونعتقد حبَّ آل محمَّد و(أزواجه) ، وسائر أصحابه ، ونذكر محاسنهم ، وننشر فضائلهم ، ونمسك ألسنتنا وقلوبنا عن التَّطلُّع فيما شجر بينهم ، ونستغفر الله لهم ، ونتوسَّل إلى الله تعالى بهم " .

فإذا العبارة في هذا النَّص عند ابن طولون كما هي في طبعة دار المؤيَّد بتحقيق بشير عيون " .

وعلى كلِّ حال فقد قمت بحمد الله وعونه وتوفيقه بتتبُّع العديد العديد من عبثيَّاتهم وتحريفاتهم لكتب أهل العلم في القديم والحديث ، ضمن كتاب خاص بهذه المسألة ...

وقال الإمام عبد الكريم بن محمَّد بن عبد الكريم ، أبو القاسم الرَّافعي القزويني (٦٢٣هـ) في ترجمة محمَّد بْن علي بْن حسول أَبُو العلاء الوزير الصّفي معروف بالفضل وحسن النَّظم والنَّثر ثمَّ بالوزارة ورفعة القدر والجاه وقد ورد قزوين كتب إلى الإمام أبي حفص هبة اللهَّ بْن محمَّد بْن زاذان : "

زرت الإمـــــام بْن الإمام ... بلا مـــــراء أو ريـاء

بل قـــاضيا حقًّاً عَلَيَّ ... له جديـــــراً بالقضـــاء

ومراعيــــــاً فرضاً وما ... أنا فِي الفروص من البطـــــاء

متوسِّلاً بشفـــــاعة ... من عنده يوم الجـــــزاء (١)

(١)

وقال الإمام شهاب الدِّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرُّومي الحموي (٦٢٦هـ) : " فأحسن الله عنا جزاءه ، وأدام عزَّه وعلاءه ، بمحمَّد وآله الكرام " (٢) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرُّومي الحموي (٦٢٦هـ) أيضاً : " وسألت الله أن لا يحرمنا ثواب التَّعب فيه ، ولا يكِلنا إلى أنفسنا فيما نعمله وننويه ، بمحمَّد وآله وأصحابه الكرام البررة " (٣) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرُّومي الحموي (٦٢٦هـ) أيضاً : " والله يحسن لنا العافية ولا يحرمنا ثواب حسن النيَّة في الإفادة والاستفادة بحقِّ محمَّد وآله " (٤) .

---

(١) انظر : التدوين في أخبار قزوين (٢/ ٧٦) .

(٢) انظر : معجم البلدان (١/ ١٥) .

(٣) انظر : معجم البلدان (٥/ ٤٥٧) .

(٤) انظر : معجم البلدان (٥/ ٨٧) .

وقال الإمام علي بن محمَّد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي ، أبو الحسن ابن القطَّان (٦٢٨هـ) : " الرَّاجي الْعَفو بمحمَّد وَآله وَصَحبه وإجزال الثَّوَاب من إلهه ، وَهُوَ غَايَة إربه " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع ، أبو بكر ، معين الدِّين ، ابن نقطة الحنبلي البغدادي (٦٢٩هـ) في ترجمة سعيد بن أبي سعد بن عبد الْعَزِيز بن أبي سعد الجامدي ثمَّ القيلوي : " وَكَانَ شَيخاً صَالحاً ، وَأَبوهُ يُتبَرَّك بقبره " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع ، أبو بكر ، معين الدِّين ، ابن نقطة الحنبلي البغدادي (٦٢٩هـ) ، في ترجمة عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور بن رافع أبو محمَّد المقدسي الحافظ (٦٠٠هـ) : " ... وقبره بالقرافة يُتبرك به " (٣) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمَّد بن محمَّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشَّيباني الجزري ، عز الدِّين ابن الأثير (٦٣٠هـ) : " نسأل الله تعالى أن ينفعنا به في الدُّنيا والآخرة وأن ينفع به ، وأن يجعله خالصاً لوجهه بمحمَّد وآله " (٤) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمَّد بن محمَّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشَّيباني الجزري، عز الدِّين ابن الأثير (٦٣٠هـ) : " نَسْأَلُ اللهَّ أَنْ يَخْتِمَ أَعْمَالَنَا بِالْحُسْنَى، وَيَجْعَلَ خَيْرَ أَيَّامِنَا يَوْمَ نَلْقَاهُ بمحمَّد وَآلِهِ" .

وقال أيضاً : " فَاللهَّ يُعِيدُهُ إلى الْإِسْلَامِ، وَيُقِرُّ أَعْيُنَ الْمُسْلِمِينَ بِفَتْحِهِ، بمحمَّد وَآلِهِ" .

وقال أيضاً : " نَسْأَلُ اللهَّ أَنْ يُحْسِنَ لَنَا الْعُقْبَى بمحمَّد وَآلِهِ " .

وقال أيضاً : " وَيَسَّرَ لِلْمُسْلِمِينَ مَنْ يَقُومُ بِنَصْرِهِمْ وَحَفِظَ بِلَادِهِمْ بمحمَّد وَآلِهِ " .

وقال أيضاً : " وَاللهَّ تَعَالَى يَخْذُلُهُ وَيَنْصُرُ الْمُسْلِمِينَ بمحمَّد وَآلِهِ " (٥) .

وألَّف الإمام سليمان بن موسى الكلاعي ، أبو الرَّبيع (٦٣٤هـ) ، كتاباً بعنوان : " مصباح الظَّلام ، في المستغيثين بخير الأنام ، في اليقظة والمنام " (١) .

---

(١) انظر : بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام (٥/ ٨٣٤) .

(٢) انظر : إكمال الإكمال (تكملة لكتاب الإكمال لابن ماكولا) (٢/ ٣٣١) .

(٣) انظر : التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد (١/ ٣٧٠) .

(٤) انظر : أسد الغابة (٥/ ٤٤٩) .

(٥) انظر : الكامل في التَّاريخ (٨/ ٦٦٥) ، (٨/ ٦٩٤) ، (٩/ ٢٤٥) ، (١٠/ ٣٧٦) ، (١٠/ ٤٣٠) بالترتيب .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن سعيد ابن الدّبيثي (٦٣٧هـ) : " فالله يمتِّع الإسلام وأهله بدوام أيام مولانا أمير المؤمنين النَّاصر لدين الله، ويثبت دعوته ، وينشر في الخافقين ألويته ، ويعزُّ به دين الإسلام على ممرِّ السِّنين والأعوام، بمحمَّد وآله الطَّاهرين " (٢) .

وقال الإمام المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإِربلي ، المعروف بابن المستوفي (٦٣٧هـ) : " بمحمَّد وآله وصحبه أولي الحمد والتمجيد " (٣) .

وقال الإمام المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإِربلي ، المعروف بابن المستوفي أيضاً : " وإيَّاه أسأل التَّوْفِيق لما يُرضيه، والهداية إلى مَا يُحبه ويُزلف إليه، بمحمَّد وآله وصحبه" (٤) .

وقال الإمام عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو ، تقي الدِّين المعروف بابن الصَّلاح (٦٤٣هـ) : " رَضِي الله عَنهُ وأرضاه ، وَجعل الجنَّة مَأْوَاه بمحمَّد وَآله " (٥) .

وقال الإمام عثمان بن عبد الرَّحمن ، أبو عمرو ، تقي الدِّين المعروف بابن الصَّلاح (٦٤٣هـ) ، وهو يتكلَّم عن معجزات النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " ... وَأي فنٍّ أخزى من فنٍّ يُعمي صَاحبه أظلم قلبه عَن نبوَّة نَبينَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كلما ذكره ذَاكر ، وَكلَّما غفل عَن ذكره غافل ، مَعَ انتشار آيَاته المستبينة ومعجزاته المستنيرة ، حَتَّى لقد انتدب بعض الْعلمَاء لاستقصائها ، فَجمع مِنْهَا ألف معْجزَة وعددناه مقصراً إِذا فَوق ذَلِك بأضعاف لَا تحصى فَإِنَّهَا لَيست محصورة على مَا وجد مِنْهَا فِي عصره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بل لم تزل تتجدَّد بعده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم على تعاقب العصور ، وَذَلِكَ أَنَّ كرامات الْأَوْلِيَاء من أمته وإجابات المتوسِّلين بِهِ فِي حوائجهم ومغوثاتهم عقيب توسُّلهم بِهِ فِي شدائدهم براهين لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قواطع ومعجزات لَهُ سواطع وَلَا يعدها عد وَلَا يحصرها حد ، أعاذنا الله من الزَّيغ عَن مِلَّته وَجَعَلنَا من المهتدين الهادين بهديه وسنَّته " (٦) .

---

(١) انظر : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (٢/ ١٧٠٦) .

(٢) انظر : ذيل تاريخ مدينة السَّلام (٢/ ٢٣٥) .

(٣) انظر : تاريخ إربل (١/ ٩٧) .

(٤) انظر : تاريخ إربل (١/ ٣٢٢) .

(٥) انظر : طبقات الفقهاء الشافعية (١/ ٢٦٤) .

(٦) انظر : فتاوى ابن الصلاح (١/ ٢١٤) .

وقال الإمام عثمان بن عبد الرَّحمن ، أبوعمرو ، تقي الدِّين المعروف بابن الصَّلاح (٦٤٣هـ) : " فَاللهَّ الْعَظِيمَ الَّذِي بِيَدِهِ الضُّرُّ وَالنَّفْعُ ، وَالْإِعْطَاءُ وَالْمَنْعُ أَسْأَلُ ، وَإِلَيْهِ أَضْرَعُ وَأَبْتَهِلُ ، مُتَوَسِّلاً إِلَيْهِ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ ، مُتَشَفِّعاً إِلَيْهِ بِكُلِّ شَفِيعٍ ، أَنْ يَجْعَلَهُ مَلِيّاً بِذَلِكَ وَأَمْلَى وَفِيّاً بِكُلِّ ذَلِكَ وَأَوْفَى . وَأَنْ يُعَظِّمَ الْأَجْرَ وَالنَّفْعَ بِهِ فِي الدَّارَيْنِ ، أنَّه قَرِيبٌ مُجِيبٌ " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن ناماور بن عبد الملك الخونجي ، أبو عبد الله ، أفضل الدِّين (٦٤٦هـ) : " ... أعاننى الله وإيَّاه على ما يقرِّبنا منه ، ويزلفنا لديه بجاه سيِّدنا محمَّد وآله الطَّاهرين " (٢) .

وألَّف الإمام عبد الْعَظِيم بن عبد القوى بن عبد الله بن سَلامَة الْحَافِظ زكى الدِّين أَبُو محمَّد المنذرى القيرواني ثمَّ المصرى الشَّافعي (٦٥٦هـ) كتاباً بعنوان : " زَوَال الظَّما فِي ذكر من اسْتَغَاثَ بِرَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم من الشِّدَّة والعما " (٣) .

وقال الإمام ابن الأبار ، محمَّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (٦٥٨هـ) ، في ترجمة : عَبْد اللهَّ بْن محمَّد بْن عَلِيّ بْن عَبْد اللهَّ بْن عُبَيْد اللهَّ بْن سَعِيد بْن محمَّد بْن ذِي النُّون الحَجْري (٥٩١هـ) : " ... وَدفن بجبل المينا مِنْهَا وصادف وقتُ وَفَاته بسبتة قحطاً أضرّ بِأَهْلِهَا ، فلَمَّا وُضعت جنَازَته عَلَى شَفير قَبره توسَّلوا بِهِ إِلى اللهَّ تَعَالى فِي إغاثتهم وتداركهم بالسُّقيا ، فسقوا من تِلْكَ اللَّيْلَة مَطَراً وابلاً ، وَمَا اخْتلف النَّاس إِلى قَبره مُدَّة الْأُسْبُوع ... " (٤) .

وقال الإمام ابن الأَبَّار ، محمَّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (٦٥٨هـ) في ترجمة أَبي عَليّ عمر ابْن الشَّيخ المكرّم أبي مُوسَى : " وَشعر أبي عليّ أعزَّه الله كثير ، وَقد وقفت على ديوانه وَسمعت مِنْهُ غير قصيدة وَقطعَة بِلَفْظِهِ ، وَمن ذَلِك كلمة بعث بهَا إِلى قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم صُحْبَة الحَاج أبي بكر بن الْعَرَبِيّ الإشبيلي أوّلها وأنشدني جَمِيعهَا ...

يَا خير من تعْمـــــل المطيّ لَهُ ... عُذْري فِي اللّبْث غير متَّهم
عَبدك لَو يَسْتَطِيع جـــاب إِلَيْك ... القفر فِي غيهب من الظُّلـــم

---

(١) انظر : معرفة أنواع علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح) (ص٦-٧) .

(٢) انظر : الجمل في المنطق (ص٤) .

(٣) انظر : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (١/ ٥٨٦) .

(٤) انظر : التكملة لكتاب الصلة (٢/ ٢٨١) .

يمسح مَا بَين حمص مِنْهُ إِلى يشرب مرّاً بوجنـــــــــة وفم
ولي ذنُوب وقصنني ثقلاً لَوْلَا أَذَى ثقلهنَّ لم أقـــــــــم
يرجوك يَا شَافِع الْبَرِيَّـــــــــة أَن تشفع فِيهَا لبارئ النَّسم
عَسى قبُول لديك يلحقنـــــــي بقبـــــــــرك المستنير وَالْحرم
وصاحبيك اللَّذين خصَّهمــــــا بِنِعْمَة الْقرب مِنْك ذُو النعم
فقـــــد توسَّلت بِالَّذِي لَك عِنْد الله من رفْعَة وَمن عظـــــــم
صلـَّى عَلَيْهِ الْإِلَـــــه مَا اتَّصفت أَوْصَافه بالجلال وَالْكـــــرم (١)

(١)

وقال الإمام عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي ، كمال الدِّين ابن العديم (٦٦٠هـ) ، في ترجمة حمد بن عبد الواحد المدروز العجمي : " وأخبرني تاج الدِّين أحمد بن هبة الله بن أمين الدَّولة ، قال : سمعت الشَّيخ أحمد بن عبد الواحد المدروز يقول : إنَّ سبب اشتغالي بالدَّروزة أنَّني كنت قد حججت وزرت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فبقيت بالمدينة ثلاثة أيَّام لا أطعم طعاماً ، فجئت إلى قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وجلست عنده ، وقلت : يا رسول الله أكون ضيفك ولي ثلاثة أيَّام لم أطعم طعاماً ، قال : فهومت وانتبهت وفي يدي درهم كبير ، فخرجت واشتريت به شيئاً أكلته ، وشيئاً للبسي ، ثمَّ اشتغلت بعد ذلك بالدَّروزة " (٢) .

وقال الإمام عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي ، كمال الدِّين ابن العديم (٦٦٠هـ) : " ... طهَّره الله منهم ببركة سيِّد المرسلين ، وأهل بيته الطَّاهرين ، وأصحابه المنتجبين " (٣) .

وقال الإمام أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدِّين ، أبو العبَّاس ابن أبي أصيبعة (٦٦٨هـ) في ترجمة الصَّاحب نجم الدِّين أَبُو زَكَرِيَّا يحيى بن الْحَكِيم الامام شمس الدِّين محمَّد بن عَبْدَانِ بن عَبْدَانِ بن عبد الْوَاحِد أوحد فِي الصِّنَاعَة الطبيَّة ندرة فِي الْعُلُوم الْحكمِيَّة : " وَمن شعره وَهُوَ مِمَّا انشدني لنَفسِهِ فَمن ذَلِك : قَالَ فِي الْخَلِيل عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام وَهُوَ مُتَوَجّه إلى خدمته عِنْد عودته من الدِّيار المصريَّة وأنشدها عِنْد بَاب السِّرداب وَهُوَ قَائِم فِي ذِي الْقعدَة سنة إحدى وَسِتِّينَ وستمِائَة :

---

(١) انظر : الحلة السيراء ، ابن الأبار (٢/ ٢٨٤) .

(٢) انظر : بغية الطلب في تاريخ حلب (٢/ ١٠١٨) .

(٣) انظر : بغية الطلب في تاريخ حلب (٧/ ٣٢٤٢) .

هذي المهابة والجلال الهائـــــل ... بهرا فَمَاذَا أن يَقُول الْقَائِـــــــل
لَو أَن قساً حَاضراً متمثـــــِّــلاً ... يَوْماً لديك حسبته هُوَ بَاقِـــــل
هَل تقدر الفصحاء يَوْماً أن يرَوا ... وبيانهم عَن ذِي الْجلَال يناضــــل
وَبِك اقْتدى جلّ النَّبِيين الأُولـى ... ولديك أضحت حجَّة وَدَلَائِــــل
أظهرت إبراهيم أسباب الْهـــدى ... وَالْخَيْر وَالْمَعْرُوف انت الْعَامِـــــل
شيدت أركـــان الشَّرِيعَة مُعْلناً ... ومقرِّراً أنَّ الإلــــــــــه الْفَاعِل
مَا زَالَ بَيْتك مهبط الْوَحْي الَّذِي ... لجلاله مقفر ربعـــــــــــك آهل
وبهرت فِي كل الامــور بمعجز ... مَا أَن يُخَالف فِيهِ يَوْماً عَـــــاقل
وَكَفـــاك يَوْم الْفَخر أَن مُحَمَّداً ... يَوْم التنـــاسب فِي النجار مواصل
مَا زلت تنقل للنّبوءة سرَّها ... حَتَّى غَدا لُمحَمَّد هُوَ حَاصِـــــــل
فعليكما صلوَات ربٍّ لم يزل ... يأتيكما مِنْهُ ثَنَا وفواضـــــــــل
وَقد التجأت إِلى جنابك خاضعـاً ... متوسِّلاً وَأَنا الْفَقِير السَّائِـل
أرجوك تسْأَل لي لَدَى رب الْعـــلَا ... غفران مَـــا قد كنت فِيهِ أُزاول
وَأرى وَقد غفرت لَدَيْهِ خطيتــــي ... وَبَلغت مقصودي وَمَا أَنا آمل
وَرجعت مُنْقَطِعاً إِلى أبوابــــــه ... لَا ألتقي عَن غَيره أَنا سَائِــل
وَلَقَد سَأَلت لكامل فِي جــــــوده ... يُعْطي بِلَا منٍّ وَلَا هُوَ باخــل
فحقيقة أَنِّي بلغت إرادتـــــــــي ... سِيمَا وَأَنت لما سَأَلت الْحَامِـــل (١)

وقال أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدِّين القرطبي (٦٧١هـ) أيضاً : " ... وهذا فرار التبرّي ، نجَّانا الله من أهوال هذا اليوم بحقِّ محمَّد نبي الرَّحمة وصحبه الكرام البررة ، وجعلنا ممَّن حشر في زمرتهم ، ولا خالف بنا على طريقهم ومذهبهم بمنِّه وكرمه آمين ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه وَسَلَّم " (٢) .

---

(١) انظر : عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص٦٦٤) .

(٢) انظر : التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (١/ ٥٧٩) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدِّين القرطبي (٦٧١هـ) : " رَوَى أَبُو صَادِقٍ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ : قَدِمَ علينا أعرابي بعد ما دَفَنَّا رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، فَرَمَى بِنَفْسِهِ عَلَى قَبْرِ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وَحَثَا عَلَى رَأْسِهِ مِنْ تُرَابِهِ ، فَقَالَ : قُلْتَ يَا رَسُولَ اللهَّ فَسَمِعْنَا قَوْلَكَ ، وَوَعَيْتَ عَنِ اللهَّ فَوَعَيْنَا عَنْكَ ، وَكَانَ فِيمَا أَنْزَلَ الله عَلَيْكَ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤ ] ، وَقَدْ ظَلَمْتُ نفسي وجئتك تَسْتَغْفِرُ لِي . فَنُودِيَ مِنَ الْقَبْرِ : أَنَّه قَدْ غُفِرَ لَكَ " (١) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدِّين القرطبي (٦٧١هـ) أيضاً : " ... وَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " وَدِدْتُ أَنَّا لَوْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا ... " . الْحَدِيثَ . فَجَعَلَنَا إِخْوَانَهُ ، إِنِ اتَّقَيْنَا اللهَّ وَاقْتَفَيْنَا آثَارَهُ حَشَرَنَا الله فِي زُمْرَتِهِ وَلَا حَادَ بِنَا عن طريقته وملته بحقٍّ ، وفي رواية بجاه – كما قال المحقِّق – محمَّد وآله (٢) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدِّين القرطبي (٦٧١هـ) : " قَالَ ابْنُ خُوَيْزِ مَنْدَادَ : وَاسْتَدَلَّ أَيْضاً مَنْ جوَّزَ ذَلِكَ ، بِأَنَّ أَيْمَانَ الْمُسْلِمِينَ جَرَتْ مُنْذُ عَهْدِ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إلى يَوْمِنَا هَذَا أَنْ يَحْلِفُوا بالنَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، حَتَّى أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ إلى يَوْمِنَا هَذَا إِذَا حَاكَمَ أَحَدُهُمْ صَاحِبَهُ ، قَالَ : احْلِفْ لِي بِحَقِّ مَا حَوَاهُ هَذَا الْقَبْرُ ، وَبِحَقِّ سَاكِنِ هَذَا الْقَبْرِ ، يَعْنِي النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وَكَذَلِكَ بِالْحَرَمِ وَالْمَشَاعِرِ الْعِظَامِ ، وَالرُّكْنِ وَالْمَقَامِ وَالْمِحْرَابِ وَمَا يُتْلَى فيه " (٣) .

وقال الإمام ابن الحدَّاد محمَّد بن منصور بن حبيش (المتوفى: بعد ٦٧٣هـ) : " بلَّغه الله الآمال فِي الدُّنيا والمآل ، وأدام دولته ، وَحفظ مهجته ، وأعزَّ أنصاره ، وضاعف اقتداره وَأحسن إِلَيْهِ بإحسانه إِلَيْنَا ، وأنعم عَلَيْهِ بإنعامه علينا بمحمَّد وَآله الطَّاهرين" (٤) .

وقال الإمام أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيى بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) : " فصل في زيارة قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وأذكارها : اعلم أنَّه ينبغي لكلِّ من حجّ أن يتوجَّه إلى زيارة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ،

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) (٥/ ٢٦٥-٢٦٦) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٢٤٠) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) (١٠/ ٤٢) .

(٤) انظر : الجوهر النفيس في سياسة الرئيس (ص١٢٠) .

سواء كان ذلك طريقه أو لم يكن ، فإنَّ زيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم من أهمّ القربات وأربح المساعي وأفضل الطَّلبات ، فإذا توجَّه للزيارة أكثرَ من الصَّلاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في طريقه ، فإذا وقعَ بصرُه على أشجار المدينة وحَرمِها وما يَعرفُ بها ، زاد من الصَّلاة والتَّسليم عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وسألَ الله تعالى أن ينفعَه بزيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وأن يُسعدَه بها في الدَّارين ، وليقلْ : اللهمَّ افْتَحْ عَليَّ أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ ، وَارْزُقْنِي في زِيارَةِ قَبْرِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ما رزقْتَهُ أَوْلِياءَكَ وأَهْلَ طَاعَتِكَ ، واغْفِرْ لي وارْحمني يا خَيْرَ مَسْؤُول ... فإذا صَلَّى تحيَّة المسجد أتى القبر الكريم فاستقبله واستدبر القبلة على نحو أربع أذرع من جدار القبر ، وَسَلَّم مقتصداً لا يرفع صوته ، فيقول : السَّلام عَلَيْكَ يا رَسُولَ الله ، السَّلام عَلَيْكَ يا خِيرَةَ الله مِنْ خَلْقِهِ ، السَّلام عَلَيْكَ يَا حَبِيبَ اللهَّ ... ثمَّ يرجعُ إلى موقفه الأوَّل قُبالة وجهِ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فيتوسَّلُ به في حقِّ نفسه ، ويتشَّفعُ به إلى ربِّه سبحانه وتعالى ، ويدعو لنفسه ولوالديه وأصحابه وأحبابه ومَن أحسنَ إليه وسائر المسلمين ، وأن يَجتهدَ في إكثار الدُّعاء ، ويغتنم هذا الموقف الشَّريف " (١) .

وقال الإمام أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيى بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) : " ... ويُستحبّ إذا كان فيهم رجلٌ مشهورٌ بالصَّلاح أن يستسقوا به ، فيقولـــوا : اللهمَّ إنَّا نَسْتَسْقِي وَنَتَشَفَّعُ إِلَيْكَ بعبدك فُلانٍ ... " (٢) .

وقال الإمام أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيى بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) : " رَوَيْنَا في " كتاب ابن السنِّي " ، عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنهُ ، عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، قال : " إِذَا انْفَلَتَتْ دابَّةُ أَحَدِكُمْ بأرضٍ فلاةٍ فليُنادِ : يا عِبادَ الله ! احْبِسُوا ، يا عِبادَ اللهَّ ! احبسوا ؛ فإنَّ لله عَزَّ وَجَلَّ في الأَرْضِ حاصِراً سَيَحْبِسُهُ " . قال الإمام النَّووي : " حكى لي بعض شيوخنا الكبار في العلم أنَّه انفلتت له دابّة أظنُّها بغلة ، وكان يَعرفُ هذا الحديث ، فقاله : فحبسَها الله عليهم في الحال ؛ وكنتُ أنا مرَّةً مع جماعة فانفلتت منها بهيمةٌ ، وعجزوا عنها ، فقلته ، فوقفت في الحال بغيرِ سببٍ سوى هذا الكلام " (٣) .

قلت : وقد قامت الأيدي العابثة المجرمة الأثيمة بشطب هذا الحديث وكذا تعليق النَّووي عليه من كتاب الأذكار للنَّووي ، من النُّسخة التي حقَّقها !!! عبد القادر الأرنؤوط ، ونشرتها دار الفكر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع ، بيروت ، بطبعة جديدة منقَّحة !!! ، (١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م) ، والموجودة بالمكتبة الشَّاملة ، الإصدار

---

(١) انظر : الأذكار (ص٢٠٤-٢٠٥) .

(٢) انظر : الأذكار للنووي (ص٣٠٩) .

(٣) انظر : الأذكار للنووي (ص٣٧٨) .

السَّادس ... وهذا هو ديدنهم وصنيعهم ، وهي شنشنة نعرفها من أخزم ... ولكن يأبى الله تعالى إلَّا أن يقيِّض للحقِّ من عبيده من يكشف زيفهم وتزييفهم وعبثهم بكُتُبِ أهل العلم ...

وقال الإمام أبو العبَّاس شمس الدِّين أحمد بن محمَّد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (٦٨١هـ) في ترجمة الملك العادل نور الدِّين أبو القاسم محمود بن عماد الدِّين زنكي (٥٦٩هـ) : " وسمعت من جماعة من أهل دمشق يقولون : إنَّ الدُّعاء عند قبره مستجاب ، ولقد جربت ذلك فصحّ ، رحمه الله تعالى " (١) .

وقال الإمام أبو العبَّاس شمس الدِّين أحمد بن محمَّد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلِّكان البرمكي الإربلي (٦٨١هـ) : " ... اسمع ندائي ، واستجب دعائي ، وبلغنا في معاليه ، ما نؤمِّله ونرتجيه ، بمحمَّد النَّبي وصحبه وذويه " (٢) .

وقال الإمام أبو العبَّاس شمس الدِّين أحمد بن محمَّد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (٦٨١هـ) ، في ترجمة يحيى بن يحيى الليثي أبو محمَّد يحيى بن يحيى بن كثير بن وسلاس (٢٣٤هـ) : " ... وقبره بمقبرة ابن عياش يُستسقى به ، وهذه المقبرة بظاهر قرطبة " (٣) .

وقال الإمام أبو العبَّاس شمس الدِّين أحمد بن محمَّد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (٦٨١هـ) : " وذكر الشَّيخ شمس الدِّين أبو المظفَّر يوسف بن قزغلي بن عبد الله سبط الشَّيخ جمال الدِّين أبي الفرج ابن الجوزي في تاريخه الذي سمَّاه " مرآة الزَّمان " ورأيته في أربعين مجلَّداً وجميعه بخطّه – وكان أبوه قزغلي مملوك عون الدِّين بن هبيرة المذكور ، وزوجه بنت الشَّيخ جمال الدِّين أبي الفرج المذكور ، فأولدها شمس الدِّين فولاؤه له – أنَّه سمع مشايخه ببغداد يحكون أنَّ عون الدِّين ، قال : كان سبب ولايتي المخزن أنني ضاق ما بيدي حتى فقدت القوت أياماً ، فأشار عليَّ بعض أهلي أن أمضي إلى قبر معروف الكرخي رضي الله عنه ، فأسأل الله تعالى عنده ، فإنَّ الدُّعاء عنده مُستجاب ، قال: فأتيت قبر معروف فصليت عنده ودعوت ، ثمَّ خرجت لأقصد البلد ، يعني بغداد ، فاجتزت بقطفتا – قلت : وهي محلة من محال بغداد – قال : فرأيت مسجداً مهجوراً فدخلت لأصلِّي فيه ركعتين ، وإذا بمريض ملقى على بارية ، فقعدت عند رأسه ، وقلت : ما تشتهي ؟ فقال : سفرجلة ، قال : فخرجت إلى بقَّال هناك فرهنت عنده مئزري على سفرجلتين وتفَّاحة وأتيته بذلك ، فأكل من السَّفرجلة ،

---

(١) انظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٥/ ١٨٧) .

(٢) انظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٦/ ١٣٢) .

(٣) انظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٦/ ١٤٦) .

ثمَّ قال : أغلق باب المسجد ، فأغلقته ، فتنحَّى عن البارية ، وقال : احفر هاهنا ، فحفرت وإذا بكوز ، فقال خذ هذا فأنت أحقّ به ، فقلت : أما لك وارث ، فقال : لا ، وإنَّما كان لي أخ وعهدي بعيد وبلغني أنَّه مات ، ونحن من الرّصافة ، قال : وبينما هو يحدِّثني إذ قضى نحبه ، فغسَّلته وكفَّنته ودفنته ، ثمَّ أخذت الكوز وفيه مقدار خمسمائة دينار وأتيت إلى دجلة لأعبرها ، وإذا بملَّاح في سفينة عتيقة وعليه ثياب رثَّة ، فقال : معي معي ، فنزلت معه ، وإذا به من أكثر النَّاس شبهاً بذلك الرَّجل ، فقلت : من أين أنت ، فقال : من الرّصافة ، ولي بنات ، وأنا صعلوك ، قلت : فما لك أحد ، قال : لا ، كان لي أخ ولي عنه زمان ما أدري ما فعل الله به ، فقلت : ابسط حجرك ، فبسطه فصببت المال فيه ، فبهت ، فحدَّثته الحديث ، فسألني أن آخذ نصفه ، فقلت: لا والله ولا حبَّة ، ثمَّ صعدت إلى دار الخليفة وكتبت رقعة فخرج عليها إشراف المخزن ، ثمَّ تدرَّجت إلى الوزارة " (١) .

وقال الإمام أبو العبَّاس شمس الدِّين أحمد بن محمَّد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (٦٨١هـ) : " قال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر: حدَّثني الشَّيخ الصَّالح الأصيل أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن عمر بن الصفَّار الإسفرايني ، قال : قبر أبي عوانة بإسفرايين مزار العالم ، ومتبرَّك الخلق " (٢) .

وقال الإمام عفيف الدِّين اليافعي الشَّافعي (٦٨٣هـ) : " ... ونسأل الله الكريم ، بالآيات والذِّكر الحكيم ، وبرسوله عليه أفضل الصَّلاة والتَّسليم ، أن تجمع بيننا وبين أحبابنا في جنَّات النَّعيم ، إنَّه الجواد المنان ، ذو الفضل العظيم ، آمين آمين آمين يا ربّ العالمين " (٣) .

وألَّف الإمام أبو عبد الله محمَّد بن موسى بن النُّعمان المراكشي (٦٨٣هـ) كتاباً سمَّاه : " مصباح الظَّلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام " ، وهو مطبوع .

وقال الإمام أبو العبَّاس ، أحمد بن عبد الله بن محمَّد ، محب الدِّين الطَّبري (٦٩٤هـ) : " رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين بمحمَّد وآله " (٤) .

وقال الإمام محب الدِّين أحمد بن عبد الله الطَّبري (٦٩٤هـ) : " أحسن الله خاتمتها بمحمَّد وآله وصحبه آمين وحسبنا الله وكفى" (١) .

---

(١) انظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٦/ ٢٣٩-٢٤٠) .

(٢) انظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٦/ ٣٩٤) .

(٣) انظر : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (٤/ ٢٦٨) .

(٤) انظر : الرياض النضرة في مناقب العشرة (١/ ٣١) .

وقال الإمام شرف الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن سعيد البوصيري (٦٩٦هـ) في قصيدته المسَّاة : " الكواكب الدُّريَّة في مدح خير البريَّة " والمشهورة بـ" البُردة " أو " البُرأة " :

ما سامني الدَّهرُ ضيماً واستجَرْتُ به    إلَّا ونِلْــتُ جِـــواراً منه لم يُضمِ
ولا التمستُ غِنَى الدَّارين مِن يَــده    إلَّا استلمتُ النَّدى مِن خير مُستَلَمِ

قال العلَّامة الصَّفدي بعد أن ذكرها في كتابيه : " ولم أقف للشيخ رحمه الله تعالى على نظم هو خير من هذه القصيدة؛ لقصدها الصالح " اهـ.

وقال الإمام محمَّد بن سعيد البوصيري (٦٩٧هـ) :

خدمته بمديح أستقيل بــه    ذنوب عمْر مضى في الشِّعر والخدم
فإنَّ لي ذمَّة منه بتسميتـــي    محمَّداً وهو أوفى الخلق بالذِّمـــم
حاشاه أن يحرم الرَّاجي مكارمــه    أو يرجع الجـــار منه غير محترم
يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به    سواك عند حلول الحادث العمـم
يا ربّ بالمصطفى بلِّغ مقاصدنا    واغفر لنا ما مضى يا واسع الكــرم
واغفر إلهي لكلِّ المسلمين بمـــا    يتلوه في المسجد الأقصى وفي الحرم
بجاه من بيته في طيبـــــة حرم    واسمه قسم من أعظـم القسم (٢)

وللإمام أحمد بن محمَّد بن علي الأنصاري ، أبو العبَّاس ، نجم الدِّين ، المعروف بابن الرِّفعة (٧١٠ـ) ردٌّ على ابن تيمية ، وهو الذي ناظره في التَّوسُّل والزِّيارة ، وكان أحد أسباب سجنه .

وقال الإمام محمَّد بن مكرم بن على ، أبو الفضل ، جمال الدِّين ابن منظور الأنصاري الرّويفعى الإفريقى (٧١١هـ) : " والذي نقول نَحْنُ فِي يَوْمِنَا هَذَا : إنا نَرْغَبُ إلى اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ وَنَتَضَرَّعُ إليه فِي نُصْرَةِ مِلَّتِهِ وإِعْزاز أُمته وإِظهار شَرِيعَتِهِ ، وأَن يُبْقِي لَهُمْ هِبَة تأْويل هَذَا الْمَنَامِ ، وأَن يُعِيدَ عَلَيْهِمْ بِقُوَّتِهِ مَا عَدَا عَلَيْهِ الْكُفَّارُ للإِسلام بمحمَّد وَآلِهِ ، عَلَيْهِمُ الصَّلاة والسَّلام " (٣) .

---

(١) انظر : ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى (ص٢٦١) .

(٢) انظر : معجم أعلام شعراء المدح النبوي (ص٣٥٦) .

(٣) انظر : لسان العرب (١١/ ٧٨) .

وقال الإمام سليمان بن عبد القــــوي بن الكريم الطُّوفي الصّرصري ، أبو الرَّبيع ، نجم الدِّين الطُّوفي (٧١٦هـ) : " ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص :١٥] احتجَّ بها الشَّيخ شمس الدِّين الجزري شارح " المنهاج في أصول الفقه " على الشَّيخ تقي الدِّين ابن تيمية فيما قيل عنه أنَّه قال : لا يُستغاث برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، لأنَّ الاستغاثة بالله عزَّ وجلَّ من خصائصه وحقوقه الخاصَّة به فلا تكون لغيره كالعبادة .

وتقرير الحجَّة المذكورة : أنَّه قال : يجب أن ينظر في حقيقة الاستغاثة ماهي وهي الاستنصار والاستصراخ ثمَّ قد وجدنا هذا الإسرائيلي استغاث بموسى واستنصره واستصرخه بنصِّ هذه الآيات وهي استغاثة مخلوق بمخلوق ، وقد أقرَّ موسى عليها الإسرائيلي ، وقد أقرَّ الله عزَّ وجلَّ موسى على ذلك ، ولم ينكر محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ذلك لمَّا نزلت هذه الآيات ، أي : فكان هذا إقراراً من الله عزَّ وجلّ ورسوله على استغاثة المخلوق بالمخلوق ، وإذا جاز أن يُستغاث بموسى فبمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أولى لأنَّه أفضل بإجماع .

وممَّا يحتجُّ به على ذلك : حديث هاجر أُم إسماعيل حيث التمست الماء لابنها فلم تجد ، فسمعت حسَّاً في بطن الوادي ، فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غواث ، وهذا في معنى الاستغاثة منها بجبريل ، وقد أقرَّها على ذلك ولم ينكره النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم عليها لما حكاه عنها.

ولأنَّ اعتقاد التَّوحيد من لوازم الإسلام ، فإذا رأينا مسلماً يستغيث بمخلوق ، علمنا قطعاً أنَّه غير مشرك لذلك المخلوق مع الله عزَّ وجلَّ ، وإنَّما ذلك منه طلب مساعدة أو توجُّه إلى الله ببركة ذلك المخلوق ، وإذا استصرخ النَّاس في موقف القيامة بالأنبياء ليشفعوا لهم في التَّخفيف عنهم ، جاز استصراخهم بهم في غير ذلك المقام . وقد صنَّف الشَّيخ أبو عبدالله النعمان كتاباً سمَّاه : " مصباح الظَّلام في المستغيثين بخير الأنام " ، واشتهر هذا الكتاب ، وأجمع أهل عصره على تلقِّيه منه بالقبول ، وإجماع أهل كلّ عصر حجَّة ، فالمنكر لذلك مخالف لهذا الإجماع . فإن قيل : الآية المذكورة في قصَّة موسى والإسرائيلي ليست في محلِّ النِّزاع من وجهين :

أحدهما : أنَّ موسى حينئذ كان حيَّاً ، ونحن إنَّما نمنع الاستغاثة بميت .

الثَّاني : أنَّ استغاثة صاحب موسى به كان في أمر يمكن موسى فعله ، وهو إعانته على خصمه ، وهو أمر معتاد ، ونحن إنَّما نمنع من الاستغاثة بالمخلوق فيما يختصّ فعله بالله عزَّ وجلَّ ، كالرَّحمة ، والمغفرة ، والرِّزق ، والحياة ، ونحو ذلك ، فلا يقال : يا محمَّد اغفر لي أو ارحمني أو ارزقني أو أجبني ، وفي نسخة أخرى : أحيني بدل أجبني ، أو أعطني مالاً وولداً ، لأنَّ ذلك شرك بإجماع .

وأجيب عن الأوَّل : بأنَّ الاستغاثة إذا جازت بالحي فبالميت المساوي فضلاً عن الأفضل أولى ، لأنَّه أقرب إلى الله عزَّ وجلَّ من الحي لوجوه :

أحدها : أنَّه في دار الكرامة والجزاء والحي في دار التَّكليف .

الثَّاني : أنَّ الميت تجرَّد عن عالم الطَّبيعة القاطعة عن الوصول إلى عالم الآخرة والحي متلبِّس بها .

الثَّالث : أنَّ الشُّهداء في حياتهم محجوبون ، وبعد موتهم أحياء عند ربِّهم يُرزقون .

وعن الثَّاني : أنَّ ما ذكرتموه أمرٌ مجمعٌ عليه ، معلوم عند صغير المسلمين فضلاً عن كبيرهم أنَّ المخلوق على الإطلاق لا يُطلب منه ولا يُنسب إليه فعل ما اختصت القدرة الإلهيَّة به . وقد رأينا أغمار النَّاس وعامَّتهم وأبعدهم عن العلم والمعرفة يلوذون بحجرة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ولا يزيدون على أن يسألوا الشَّفاعة والوسيلة يا رسول الله ، وفي نسخة أخرى : برسول الله ، اشفع لنا يا الله ببركة نبيِّك اغفر لنا ، فصار الكلام في المسألة المفروضة فضلاً لا حاجة بأحد من المسلمين إليه .

وإذا لم يكن بد من التَّعريف بهذا الحكم خشية أن يقع فيه أحد فليكن بعبارة لا توهم نقصاً في النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ولا غضاً من منصبه ، مثل أن يقال : ما استأثر الله عزَّ وجلَّ بالقدرة عليه ، فلا يطلب من مخلوق على الإطلاق أو نحو هذا ، ولا يتعرَّض للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بسلب الاستغاثة عنه مطلقاً ولا مقيَّداً ، ولا يذكر إلَّا بالصَّلاة والسَّلام عليه والرِّواية عنه ونحو ذلك .

هذا حاصل ما وقع في هذه المسألة سؤالاً وجواباً ذكرته بمعناه وزيادات من عندي " (١) .

وقال الإمام عماد الدِّين بن العطَّار (٧٢٤هـ) وهو أحد تلاميذ الإمام النَّووي : " ... وَقَدْ أَمَرَنَا الله بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَحَثَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم عَلَى ذَلِكَ وَأَمَرَنَا بِسُؤَالِ الْوَسِيلَةِ وَالسُّؤَالِ بِجَاهِهِ ..." (٢) .

وقال الإمام الشَّمْس كَمَال الدِّين الزّملكاني محمَّد بن عَليّ بن عبد الْوَاحِد الشَّيخ الإِمَام العلَّامة الْمُفْتِي قَاضِي الْقُضَاة ذُو الْفُنُون جمال الْإِسْلَام كَمَال الدِّين أَبُو الْمَعَالِي ابْن الزملكاني الْأَنْصَارِيّ السماكي الدِّمشقي كَبِير الشَّافِعِيَّة (٧٢٧ هـ) :

يَا صَاحب الجاه عِنْد الله خالقــــه ... مَا ردَّ جاهك إِلَّا كلُّ أفــَّـاك
أَنْت الْوَجِيه على رغم العــــــدى ... أبداً أَنْت الشَّفِيع لفتاكٍ ونســـاك

(١) انظر : الإشارات الإلهية في المباحث الأصولية (٣/ ٨٩-٩٣) .

(٢) انظر : مواهب الجليل في شرح مختصر خليل (٩٥٤هـ) .

يَا فرقة الزَّيغ لَا لقِيت صَـــالِحَة وَلَا شفى الله يَوْماً قلب مرضـــاك
وَلَا حظيت بجاه الْمُصْطَفَـى أبداً وَمن أعـــانك فِي الدُّنيا ووالاك
يَا أفضل الرُّسُل يَا مولى الْأَنَـام وَيَا خير الْخَلَائق من إنسٍ وأملاك
هَا قد قصدتك أشكو بعض مَا صنعت بِي الذُّنُوب وَهَذَا ملْجأ الشَّاكِـي
قد قيَّدتني ذنوبٌ عَن بلـوغ مدىً قصدي إِلَى الْفَوْز مِنْهَا من غير إمْسَـاك (١)

وقال الإمام تقي الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمَّد ابن تيمية الحرَّاني الحنبلي الدِّمشقي (٧٢٨هـ) : " وفي منسك المروذي الذي نقله عن أحمد أنَّه قال في السَّلام على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : ولا تستقبل الحائط ، وخذ ممَّا يلي صحن المسجد فسلِّم على أبي بكر وعمر .

وقال : فإذا أردت الخروج فأت المسجد وصل ركعتين وودع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بمثل سلامك الأوَّل ، وَسَلَّم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وحول ، وسل الله حاجتك متوسِّلاً إليه بنبيِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم تقض من الله عزَّ وجلَّ " ؟ (٢) .

وقال الإمام تقي الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (٧٢٨هـ) : " وَقَدْ تَقَدَّمَ لَفْظُ الْحَدِيثِ الَّذِي فِي الْمُسْنَدِ عَنْ مَيْسَرَةَ الْفَجْرِ لما " قِيلَ لَهُ متى كُنْت نَبِيّاً ؟ قَالَ وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوح وَالْجَسَدِ " . وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ بشران مِنْ طَرِيقِ الشَّيخ أَبِي الْفَرَجِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ فِي " الوفا بِفَضَائِلِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم " : حدَّثنا أَبُو جَعْفَرٍ محمَّد بْنُ عَمْرٍو ، حدَّثنا أَحْمَدُ بْنُ إسْحَاقَ بْنِ صَالِحٍ ، ثَنَا محمَّد بْنُ صَالِحٍ ، ثَنَا محمَّد بْنُ سِنَانٍ العوفي ، ثَنَا إبْرَاهِيمُ بْنُ طهمان ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ مَيْسَرَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُفْيَانَ ، عَنْ مَيْسَرَةَ ، قَالَ : قُلْت : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى كُنْت نَبِيّاً ؟ قَالَ لما خَلَقَ الله الْأَرْضَ وَاسْتَوَى إلى السَّماء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَخَلَقَ الْعَرْشَ : كَتَبَ عَلَى سَاقِ الْعَرْشِ محمَّد رَسُولُ اللَّهِ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَخَلَقَ الله الجنَّة الَّتِي أَسْكَنَهَا آدَمَ وَحَوَّاءَ فَكَتَبَ اسْمِي عَلَى الْأَبْوَابِ وَالْأَوْرَاقِ وَالْقِبَابِ وَالْخِيَامِ وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوح وَالْجَسَدِ ، فلمَّا أَحْيَاهُ الله تَعَالَى : نَظَرَ إلى الْعَرْشِ ، فَرَأَى اسْمِي فَأَخْبَرَهُ الله أنَّه سيِّد وَلَدِك ، فلمَّا غَرَّهُمَا الشَّيْطَانُ تَابَا وَاسْتَشْفَعَا بِاسْمِي إلَيْهِ .

وَرَوَى أَبُو نُعَيْمٍ الْحَافِظُ فِي كِتَابِ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ : وَمِنْ طَرِيقِ الشَّيخ أَبِي الْفَرَجِ ، حدَّثنا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ ، ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ رشدين ، ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الفهري ، ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إسْمَاعِيلَ الْمَدَنِيّ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحمن بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ،

---

(١) انظر : الوافي بالوفيات (٤/ ١٥٤) .

(٢) انظر : الإخنائية (أو الرد على الإخنائي) (ص٤١٠) .

عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " لما أَصَابَ آدَمَ الْخَطِيئَةَ رَفَعَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ : يَا رَبِّ بِحَقِّ محمَّد إِلَّا غَفَرْت لِي ، فَأَوْحَى إِلَيْهِ : وَمَا محمَّد ؟ وَمَنْ محمَّد ؟ فَقَالَ : يَا رَبِّ إِنَّك لما أَتْمَمْت خَلْقِي رَفَعْت رَأْسِي إلى عَرْشِك فَإِذَا عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ : لَا إِلَهَ إِلَّا الله محمَّد رَسُولُ اللهَّ ، فَعَلِمْت أَنَّه أَكْرَمُ خَلْقِك عَلَيْك ؛ إذْ قَرَنْت اسْمَهُ مَعَ اسْمِك . فَقَالَ : نَعَمْ قَدْ غَفَرْت لَك ، وَهُوَ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ ذُرِّيَّتِك ، وَلَوْلَاهُ مَا خَلَقْتُك ، فَهَذَا الْحَدِيثُ يُؤَيِّدُ الَّذِي قَبْلَهُ ، وَهُمَا كَالتَّفْسِيرِ لِلْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ " (1) .

وقال الإمام تقي الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمَّد ابن تيمية الحرَّاني الحنبلي الدِّمشقي (٧٢٨هـ) : " ورُوي في ذلك أثر عن بعض السَّلف ، مثل ما رواه ابن أبي الدُّنيا في كتاب مجابي الدُّعاء ، قال : حدَّثنا أبو هاشم ، سمعت كثير ابن محمَّد ابن كثير بن رفاعة ، يقول : جاء رجل إلى عبد الملك بن سعيد ابن أبجر ، فجسَّ بطنه فقال : بك داء لا يبرأ . قال : ما هو ؟ قال : الدُّبَيْلة . قال : فتحوَّل الرجل ، فقال : الله الله ، الله ربي ، لا أشرك به شيئاً ، اللهمَّ إنِّي أتوجَّه إليك بنبيِّك محمَّد نبيّ الرَّحمة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم تسليماً ، يا محمَّد إنِّي أتوجَّه بك إلى ربِّك وربِّي يرحمني ممَّا بي . قال : فجسَّ بطنه ، فقال : قد برئت ما بك علَّة .

قلت : فهذا الدُّعاء ونحوه قد روي أنَّه دعا به السَّلف ، ونقل عن أحمد بن حنبل في منسك المروذي التَّوسُّل بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في الدُّعاء " (2) .

وقال الإمام محمَّد بن يوسف بن يعقوب ، أبو عبد الله ، بهاء الدِّين الجُنْدي اليمني (٧٣٢هـ) عن نفيسة بنت الْحسن بن زيد بن الْحسن بن عَليّ بن أبي طَالب : " ... وَلأَهل مصر بهَا اعْتِقَاد عَظِيم ، وَكَانَت وفاتها بِشَهْر رَمَضَان من سنة ثَمَان ومئتين ، وَأَرَادَ زَوجهَا أَن ينقلها إلى مَدِينَة يثرب ، فَتعلَّق بِهِ المصريون ، وَتَضَرَّعُوا إِلَيْهِ أَن يقبرها مَعَهم للتَّبرُّك ، فأجابهم ، ودفنها بِالدَّار الَّتِي كَانَت تسكنها عِنْد الْمشَاهد بَين الْقَاهِرَة ومصر ، وقبرها مَشْهُور يزار كثيراً ، ويُستجاب عِنْده الدُّعاء " (3) .

---

(1) انظر : مجموع الفتاوى (٢/ ١٥٠-١٥١) .

(2) انظر : قاعدة جليلة في التَّوسُّل والوسيلة (ص٢٠١) .

(3) انظر : السلوك في طبقات العلماء والملوك (١/ ١٦١) .

وقال الإمام أحمد بن عبد الوهَّاب بن محمَّد بن عبد الدَّائم القرشي التَّيمي البكري ، شهاب الدِّين النُويري (٧٣٣هـ) : " والله تعالى يُعِزُّ أنصاره ، ويوالي مباره ، بمحمَّد وآله " (١) .

وألَّف الإمام عمر بن أبي اليمن اللخمي الفاكهي المالكي (٧٣٤هـ) كتاباً بعنوان : " التُّحفة المختارة في الرَّدِّ على منكر الزِّيارة " .

وقال الإمام أبو حفص عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الإسكندري المالكي، تاج الدِّين الفاكهاني (٧٣٤هـ) : " نسأل اللهَّ العظيم أن يجعلنا من أهل الخير ، ولا يجعلَنا من أهل الشَّر ، بمنِّه وكرمه ، آمين ، بمحمَّد وآله أجمعين " (٢) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن محمَّد العبدري الفاسي المالكي الشَّهير بابن الحاج (٧٣٧هـ) : " ... فَإِذَا زَارَهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم –، فَإِنْ قَدَرَ أَنْ لَا يَجْلِسَ فَهُوَ بِهِ أَوْلَى ، فَإِنْ عَجزَ ، فَلَهُ أَنْ يَجْلِسَ بِالْأَدَبِ ، وَالِاحْتِرَامِ ، وَالتَّعْظِيمِ ، وَقَدْ لَا يَحْتَاجُ الزَّائِرُ فِي طَلَبِ حَوَائِجِهِ وَمَغْفِرَةِ ذُنُوبِهِ أَنْ يَذْكُرَهَا بِلِسَانِهِ ، بَلْ يُحْضِرُ ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ وَهُوَ حَاضِرٌ بَيْنَ يَدَيْهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم –؛ لأَنَّه – عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام – أَعْلَمُ مِنْهُ بِحَوَائِجِهِ وَمَصَالِحِهِ وَأَرْحَمُ بِهِ مِنْهُ لِنَفْسِهِ ، وَأَشْفَقُ عَلَيْهِ مِنْ أَقَارِبِهِ ، وَقَدْ قَالَ – عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام –: " إنَّما مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ الْفَرَاشِ تَقَعُونَ فِي النَّار وَأَنَا آخُذُ بِحُجُزِكُمْ عَنْهَا " .

أَوْ كَمَا قَالَ ، وَهَذَا فِي حَقِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي كُلِّ وَقْتٍ وَأَوَانٍ أَعْنِي فِي التَّوسُّل بِهِ وَطَلَبِ الْحَوَائِجِ بِجَاهِهِ عِنْدَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ زِيَارَتُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بِجِسْمِهِ ، فَلْيَنْوِهَا كُلَّ وَقْتٍ بِقَلْبِهِ ، وَلْيُحْضِرْ قَلْبَهُ أَنَّه حَاضِرٌ بَيْنَ يَدَيْهِ مُتَشَفِّعاً بِهِ إلى مَنْ مَنَّ بِهِ عَلَيْهِ ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَبُو محمَّد بْنُ السَّيِّدِ الْبَطَلْيُوسِيُّ – رَحِمَهُ الله تَعَالَى – فِي رُقْعَتِهِ الَّتِي أَرْسَلَهَا إلَيْهِ مِنْ أَبْيَاتٍ :

إلَيْك أَفِرُّ مِنْ زَلَلِي وَذَنْبِـــــــي ... وَأَنْتَ إذَا لَقِيت اللهَّ حَسْبِي
وَزَوْرَةُ قَبْرِك الْمَحْجُوجُ قِدَمــاً ... مُنَايَ وَبُغْيَتِي لَوْ شَاءَ رَبِّي
فَإِنْ أُحْرَمْ زِيَارَتَه بِجِسْمِي ... فَلَمْ أُحْرَمْ زِيَارَتَهُ بِقَلْبِـي
إلَيْك غَدَتْ رَسُـــــــولَ اللهَّ مِنِّي ... تَحِيَّـــــــــــــةُ مُؤْمِن دَنِفٍ مُحِبِّ

(١) انظر : نهاية الأرب في فنون الأدب (٥/ ١٣٩) .

(٢) انظر : رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام (٣/ ٢٣٨) .

اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا شَفَاعَتَهُ وَلَا عِنَايَتَهُ فِي الدُّنيا ، وَالْآخِرَةِ وَأَدْخِلْنَا بِفَضْلِك فِي زُمْرَةِ الْمُتَّبِعِينَ لَهُ بِإِحْسَانٍ إلى يَوْمِ الدِّين بِجَاهِهِ عِنْدَك ، فَإِنَّ جَاهَهُ عِنْدَك عَظِيمٌ ، ثمَّ يُسَلِّمُ " (١) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن محمَّد العبدري الفاسي المالكي الشَّهير بابن الحاج (٧٣٧هـ) : " قَالَ الْبَاجِيُّ – رَحِمَهُ الله –: وَذَكَرَ الْعُتْبِيُّ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ حُجْرَةِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : السَّلام عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهَّ ، سَمِعْتُ اللهَّ – تَعَالَى – يَقُولُ : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وَقَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَجِئْتُك مُسْتَغْفِراً مِنْ ذَنْبِي مُسْتَشْفِعاً بِكَ إلى رَبِّي، ثمَّ أَنْشَأَ الْأَعْرَابِيُّ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي الْأَرْضِ أَعْظُمُهُ فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكَمُ
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُـــــــهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ثُمَّ انْصَرَفَ . قَالَ الْعُتْبِيُّ (٢٢٨هـ) : فَغَلَبَتْنِي عَيْنَايَ فَــرَأَيْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي النَّوْمِ ، فَقَالَ لِي : يَا عُتْبِيُّ الْحَقْ الْأَعْرَابِيَّ فَبَشِّرْهُ أَنَّ اللهَّ قَدْ غَفَرَ لَهُ " (٢) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن محمَّد العبدري المالكي الشَّهير بابن الحاج (٧٣٧هـ) : " وَكَذَلِكَ يَدْعُو عِنْدَ هَذِهِ الْقُبُورِ عِنْدَ نَازِلَةٍ نَزَلَتْ بِهِ ، أَوْ بِالْمُسْلِمِينَ وَيَتَضَرَّعُ إلى اللهَّ تَعَالَى فِي زَوَالِهَا وَكَشْفِهَا عَنْهُ وَعَنْهُمْ ، وَهَذِهِ صِفَةُ زِيَارَةِ الْقُبُورِ عُمُوماً .

فَإِنْ كَانَ الْمَيِّتُ الْمُزَارُ مِمَّنْ تُرْجَى بَرَكَتُهُ فَيَتَوَسَّلُ إلى اللهَّ تَعَالَى بِهِ ، وَكَذَلِكَ يَتَوَسَّلُ الزَّائِرُ بِمَنْ يَرَاهُ الْمَيِّتُ مِمَّنْ تُرْجَى بَرَكَتُهُ إلى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بَلْ يَبْدَأُ بالتَّوسُّل إلى اللهَّ تَعَالَى بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، إذْ هُوَ الْعُمْدَةُ فِي التَّوسُّل ، وَالْأَصْلُ فِي هَذَا كُلِّهِ ، وَالْمُشَرِّعُ لَهُ فَيَتَوَسَّلُ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَبِمَنْ تَبِعَهُ بِإِحْسَانٍ إلى يَوْمِ الدِّين ، وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ – رَضِيَ الله عَنْهُ – " أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ – رَضِيَ الله عَنْهُ – كَانَ إذَا قُحِطُوا اسْتَسْقَى بالعبَّاس ، فَقَالَ : اللهمَّ إنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إلَيْك بِنَبِيِّك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إلَيْك بِعَمِّ نَبِيِّك فَاسْقِنَا فَيُسْقَوْنَ " انْتَهَى .

(١) انظر : المدخل (١/ ٢٦٤) .

(٢) انظر : المدخل (٣/ ٢٢٨) .

ثُمَّ يَتَوَسَّلُ بِأَهْلِ تِلْكَ الْمَقَابِرِ أَعْنِي بِالصَّالِحِينَ مِنْهُمْ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِ وَمَغْفِرَةِ ذُنُوبِهِ ، ثُمَّ يَدْعُو لِنَفْسِهِ وَلِوَالِدِيهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِأَقَارِبِهِ وَلِأَهْلِ تِلْكَ الْمَقَابِرِ وَلِأَمْوَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَلِأَحْيَائِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ إلى يَوْمِ الدِّين وَلِمَنْ غَابَ عَنْهُ مِنْ إِخْوَانِهِ وَيَجْأَرُ إلى اللهِ تَعَالَى بِالدُّعَاءِ عِنْدَهُمْ وَيُكْثِرُ التَّوَسُّلَ بِهِمْ إلى اللهِ تَعَالَى ؛ لأَنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اجْتَبَاهُمْ وَشَرَّفَهُمْ وَكَرَّمَهُمْ فَكَمَا نَفَعَ بِهِمْ فِي الدُّنيا فَفِي الْآخِرَةِ أَكْثَرُ ، فَمَنْ أَرَادَ حَاجَةً فَلْيَذْهَبْ إِلَيْهِمْ وَيَتَوَسَّلُ بِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ الْوَاسِطَةُ بَيْنَ اللهِ تَعَالَى وَخَلْقِهِ ، وَقَدْ تَقَرَّرَ فِي الشَّرعِ وَعُلِمَ مَا للهِ تَعَالَى بِهِمْ مِنَ الاِعْتِنَاءِ ، وَذَلِكَ كَثِيرٌ مَشْهُورٌ ، وَمَا زَالَ النَّاس مِنَ الْعُلَمَاءِ ، وَالْأَكَابِرِ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ مَشْرِقاً وَمَغْرِباً يَتَبَرَّكُونَ بِزِيَارَةِ قُبُورِهِمْ وَيَجِدُونَ بَرَكَةَ ذَلِكَ حِسّاً وَمَعْنًى ، وَقَدْ ذَكَرَ الشَّيخ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ النُّعْمَانِ – رَحِمَهُ الله – فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِسَفِينَةِ النَّجَاءِ لِأَهْلِ الاِلْتِجَاءِ فِي كَرَامَاتِ الشَّيخ أَبِي النَّجَاءِ فِي أَثْنَاءِ كَلَامِهِ عَلَى ذَلِكَ مَا هَذَا لَفْظُهُ : تَحَقَّقَ لِذَوِي الْبَصَائِرِ ، وَالاِعْتِبَارِ أَنَّ زِيَارَةَ قُبُورِ الصَّالحين مَحْبُوبَةٌ لِأَجْلِ التَّبَرُّك مَعَ الاِعْتِبَارِ ، فَإِنَّ بَرَكَةَ الصَّالحين جَارِيَةٌ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ كَمَا كَانَتْ فِي حَيَاتِهِمْ الجْلِيلُ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ – رَحِمَهُ الله تَعَالَى – فِي كِتَابِ آدَابِ السَّفَرِ مِنْ كِتَابِ الْإِحْيَاءِ لَهُ مَا هَذَا نَصُّهُ : الْقِسْمُ الثَّانِي : وَهُوَ أَنْ يُسَافِرَ لِأَجْلِ الْعِبَادَةِ أَمَّا لجِهَادٍ ، أَوْ حَجٍّ إلى أَنْ قَالَ : وَيَدْخُلُ فِي جُمْلَتِهِ زِيَارَةُ قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَقُبُورِ الصَّحابة ، وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ الْعُلَمَاءِ ، وَالْأَوْلِيَاءِ ، وَكُلُّ مَنْ يُتَبَرَّكُ بِمُشَاهَدَتِهِ فِي حَيَاتِهِ يُتَبَرَّكُ بِزِيَارَتِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ وَيَجُوزُ شَدُّ الرِّحَالِ لِهَذَا الْغَرَضِ ، وَلَا يَمْنَعُ مِنْ هَذَا قَوْلُهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم – " لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا لِثَلَاثِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِي ، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى " .

لِأَنَّ ذَلِكَ فِي الْمَسَاجِدِ ؛ لأَنَّهَا مُتَمَاثِلَةٌ بَعْدَ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ ، وَإِلَّا فَلَا فَرْقَ بَيْنَ زِيَارَةِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَالْأَوْلِيَاءِ ، وَالْعُلَمَاءِ فِي أَصْلِ الْفَضْلِ ، وَإِنْ كَانَ يَتَفَاوَتُ فِي الدَّرَجَاتِ تَفَاوُتاً عَظِيماً بِحَسَبِ اخْتِلَافِ دَرَجَاتِهِمْ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ " (١) .

وقال ابن الحاج أيضاً : " نسأل الله تعالى السَّلامة وحسن العاقبة ، بمحمَّد وآله " .

وقال ابن الحاج أيضاً : " أسأل الله تعالى السَّلامة بمحمَّد وآله " . وقال الإمام : " نسأل الله العصمة في القول والعمل ، بمحمَّد وآله " .

وقال ابن الحاج أيضاً : " والله سبحانه وتعالى المسئول في التَّجاوز والعفو عمَّا مضى والتَّدارك واللطف والإقالة ممَّا بقي ، بمحمَّد وآله " .

(١) انظر : المدخل (١/ ٢٥٤-٢٥٦) .

وقال ابن الحاج أيضاً : " نسأل الله الكريم من فضله أن يمنَّ علينا بما منَّ به عليهم ، فإنَّه أهل لذلك والقادر عليه ، بمحمَّد وآله صَلَّى الله عليه وعليهم وَسَلَّم " .

وقال ابن الحاج أيضاً : " أسأل الله الكريم أن لا يحرمنا ذلك بمنِّه آمين ، بمحمَّد وآله صَلَّى الله عليه وعليهم وَسَلَّم " .

وقال ابن الحاج أيضاً : " والله تعالى يوفِّقنا وإيَّاك لما فيه رضـــاه ، بمحمَّد وآله صَلَّى الله عليه وعليهم " .

وقال ابن الحاج أيضاً : " سلك الله بنا الطَّريق الأرشد ، أنَّه ولي ذلك والقادر عليه ، بمحمَّد وآله " .

وقال ابن الحاج أيضاً : " اللهمَّ لا تحرمنا ذلك ، فإنَّك وليّه والقادر عليه ، بمحمَّد وآله صَلَّى الله عليه وعليهم " .

وقال ابن الحاج أيضاً : " اللهمَّ لا تحرمنا من بركاتهم بمنِّك ، بمحمَّد وآله صَلَّى الله عليه وعليهم وَسَلَّم تسليماً كثيراً " .

وقال ابن الحاج أيضاً : " اللهمَّ مُنَّ علينا بذلك ، ولا تجعل حظَّنا منه الكلام ، بمحمَّد وآله " .

وقال ابن الحاج أيضاً : " أسأل الله تعالى أن لا يحرمنا ذلك ، بمحمَّد وآله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم " .

وقال ابن الحاج أيضاً : " اللهمَّ لا تحرمنا ذلك يا ربّ العالمين ، بمحمَّد وآله صَلَّى الله عليه وعليهم وَسَلَّم " .

وقال ابن الحاج أيضاً : " أسأل الله أن يمنَّ علينا بالاتباع وترك الابتداع ، بمحمَّد وآله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم " .

وقال ابن الحاج أيضاً : " أسأل الله أن لا يحرمنا ذلك بكرمه أنَّه ولي ذلك والقادر عليه ، بمحمَّد وآله صَلَّى الله عليه وعليهم وَسَلَّم " .

وقال ابن الحاج أيضاً : " اللهمَّ لا تحرمنا ذلك بمنِّك وكرمك إنَّك على كلِّ شيء قدير ، بمحمَّد وآله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم " .

وقال ابن الحاج أيضاً : " نسأل الله السَّلامة بمنِّه ، بمحمَّد وآله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم "

وقال ابن الحاج أيضاً : " نسأل الله أن لا يحرمنا من بركاتهم ورأيهم ونظرهم أنَّه ولي ذلك والقادر عليه ، بمحمَّد وآله صَلَّى الله عليه وعليهم وَسَلَّم " .

وقال ابن الحاج أيضاً : " نسأل الله تعالى أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه ، بمحمَّد وآله وصحبه صَلَّى الله عليه وعليهم وَسَلَّم " (١) .

وقال الإمام أبو القاسم ، محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن عبد الله ، ابن جزي الكلبي الغرناطي (٧٤١هـ) : " يَنْبَغِي لمن حج أَن يقْصد الْمَدِينَة فَيدْخل مَسْجِد النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَيصَلي فِيهِ وَيسلم على النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وعَلى ضجيعيه أبي بكر وَعمر رَضِي الله عَنْهُمَا ويتشفع بِهِ إِلى الله وَيُصلي بَين الْقَبْر والمنبر ويودع النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إِذا خرج من الْمَدِينَة " (٢) .

وقال الإمام يوسف بن عبد الرَّحمن بن يوسف ، أبو الحجاج ، جمال الدِّين ابن الزكي أبي محمَّد القضاعي الكلبي المزّي (٧٤٢هـ) : " وقال أبو عبد الله الأردبيلي : سمعت أبا بكر بن أبي الخصيب يقول : ذُكر صفوان بن سليم عند أحمد بن حنبل فقال : هذا رجل يستسقى بحديثه ، وينزل القطر من السَّماء بذكره " (٣) .

وقال الإمام عثمان بن علي بن محجن البارعي ، فخر الدِّين الزَّيلعي الحنفي (٧٤٣هـ) : " هَذَا مَا ظَهَرَ لِكَاتِبِهِ بَلَّغَهُ الله مَقَاصِدَهُ بمحمَّد وَآلِهِ " (٤) .

وقال الإمام شمس الدِّين محمَّد بن أحمد بن عبد الهادي بن يوسف الدِّمشقي الحنبلي (٧٤٤هـ) : " أعاذنا الله تَعَالَى من غوائل الْحَسَد وعصمنا من مخائل النَّكد بمحمَّد وَآله الطيِّبين الطَّاهرين وَالْحَمْد لله ربّ الْعَالمين " (٥) .

وقال الإمام تقي الدِّين أبو الفتح السُّبكي (٧٤٤هـ) :

فارج الْإِلَـــــه وَلَا تخف من غَيره ... تَجِد الْإِلَه لضيق صدرك قد شرح
وارغب إِلَيْهِ بالنَّبي الْمُصْطَفَـــى ... فِي كشف ضرك عل يأسو مَا انجرح
تالله مَا يَرْجُـــــــو نداه مخلص ... لسؤالـــه إِلَّا تهلل وانشرح
فَهُوَ النَّبي الْهَاشِمِي وَمن لَـــــهُ ... جاه علا وعلو قدر قد رجح

---

(١) انظر : المدخل (١/ ٢١) ، (١/ ٤٦) ، (١/ ٤٩) ، (١/ ٧٦) ، (١/ ١٩٦) ، (٢/ ١٣٠) ، (٢/ ١٤٤) ، (٢/ ١٦٤) ، (٣/ ١٢٢) ، (٣/ ١٣٢) ، ، (٣/ ١٣٨) ، (٣/ ١٥٢) ، (٣/ ١٨٣) ، (٣/ ٢٨٣) ، (٣/ ٢٩١) ، (٤/ ١٨) ، (٤/ ٢٧) ، (٤/ ٤٣) ، (٤/ ٥٧) ، (٤/ ١٥٤-١٥٥) .

(٢) انظر : القوانين الفقهية (ص٩٥) .

(٣) انظر : تهذيب الكمال في أسماء الرجال (١٣/ ١٨٦) .

(٤) انظر : تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ (٥/ ١٤٨) .

(٥) انظر : العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ص٣٦٤) .

وَهُوَ النَّعيم لمن توقى وَاتَّقَـــــــى وَهُوَ الْجَحِيم لمن تكبر واتقـــح

هُوَ وابل الدُّنيا إِذا شح الحيـــــا وَمُشَفَّع الْأُخْرَى إِذا عرق رشـــح (١)

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن علي بن همام أبو الفتح ، تقيّ الدِّين ، المعروف بابن الإِمَام (٧٤٥هـ) : " أحسن الله تفخيمه فِي خير وعافية بمحمَّد وَآله " (٢) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٧٤٨هـ) : " وقال مجالد ، عن الشَّعبي ، عن عبد الله بن جعفر ، قال : ما سألت علياً – رضي الله عنه – شيئاً بحقِّ جعفر إلَّا أعطانيه " (٣) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي في ترجمة سَلمان بْن ربيعة الباهليّ : " يقال: له صُحَبة ، وقد سمع من عُمَر . رَوَى عَنْهُ : أَبُو وائل ، والصُّبَيّ بْن مَعبّد ، وعمرو بْن ميمون . وكان بطلاً شجاعاً فاضلاً عابداً ، ولَّاه عُمَر قضاء الكوفة ، ثمَّ وُلِّيَ زمنَ عثمان غزو أرمينية فقُتِل ببَلَنْجَر ، وقيل : بل الَّذِي قُتِل بها أخوه عبد الرَّحمن ، وقيل : إنّ التُّرْك إذا قحطوا يستسقون بقبر سَلْمان ، وهو مدفون عندهم ، وقد جعلوا عظامه في تابوت " (٤) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٧٤٨هـ) : " وَنَفَعَ الْمُسْلِمِيْنَ بِبَرَكَتِهِ ، بمحمَّد وَآلِهِ وَعِتْرَتِهِ " (٥) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٧٤٨هـ) : " فَمَنْ وَقَفَ عِنْدَ الحُجْرَةِ المُقَدَّسَةِ ذَلِيْلاً ، مُسْلِماً ، مُصَلِيّاً عَلَى نَبِيِّهِ ، فَيَا طُوْبَى لَهُ ، فَقَدْ أَحْسَنَ الزِّيَارَةَ ، وَأَجْمَلَ فِي التَّذَلُّلِ وَالحُبِّ ، وَقَدْ أَتَى بِعِبَادَةٍ زَائِدَةٍ عَلَى مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ فِي أَرْضِهِ ، أَوْ فِي صَلاَتِهِ ، إِذِ الزَّائِرُ لَهُ أَجْرُ الزِّيَارَةِ ، وَأَجْرُ الصَّلاة عَلَيْهِ ، وَالمُصَلِّي عَلَيْهِ فِي سَائِرِ البِلاَدِ لَهُ أَجْرُ الصَّلاة فَقَطْ ، فَمَنْ صَلَّى عَلَيْهِ وَاحِدَةً، صَلَّى الله عَلَيْهِ عَشْراً ، وَلَكِنْ مَنْ زَارَهُ

---

(١) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٩/ ١٨١) .

(٢) انظر : سلاح المؤمن في الدُّعاء والذكر (ص٥٢٤) .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء (١/ ٢٠٨) .

(٤) انظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام (٢/ ١٨٧) ، سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٨٩) ، دار الحديث ، إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٥/ ٤٣٦) .

(٥) انظر : سير أعلام النبلاء (٢/ ٦٣٣) .

– صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِ – وَأَسَاءَ أَدَبَ الزِّيَارَةِ ، أَوْ سَجَدَ لِلْقَبْرِ ، أَوْ فَعَلَ مَا لاَ يُشْرَعُ ، فَهَذَا فَعَلَ حَسَناً وَسَيِّئاً ، فَيُعَلَّمُ بِرِفْقٍ ، وَاللهُ غَفُوْرٌ رَحِيْمٌ .

فَوَالله مَا يَحْصَلُ الانْزِعَاجُ لِمُسْلمٍ ، وَالصِّيَاحُ وَتَقْبِيْلُ الجُدْرَانِ ، وَكَثْرَةِ البُكَاءِ ، إِلَّا وَهُوَ مُحِبٌّ لله وَلِرَسُوْلِهِ ، فَحُبُّهُ المِعْيَارُ وَالفَارِقُ بَيْنَ أَهْلِ الجنَّة وَأَهْلِ النَّار ، فَزِيَارَةُ قَبْرِهِ مِنْ أَفَضْلِ القُرَبِ ، وَشَدُّ الرِّحَالِ إلى قُبُوْرِ الأَنْبِيَاءِ وَالأَوْلِيَاءِ ، لَئِنْ سَلَّمْنَا أَنَّه غَيْرُ مَأْذُوْنٍ فِيْهِ لِعُمُوْمِ قَوْلِهِ – صَلَوَاتُ اللهُ عَلَيْهِ –: " لاَ تَشُدُّوا الرِّحَالَ إِلَّا إلى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ " .

فَشَدُّ الرِّحَالِ إلى نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم مُسْتَلْزِمٌ لِشَدِّ الرَّحْلِ إلى مَسْجِدِهِ ، وَذَلِكَ مَشْرُوْعٌ بِلاَ نِزَاعٍ ، إِذْ لاَ وُصُوْلَ إلى حُجْرَتِهِ إِلَّا بَعْدَ الدُّخُوْلِ إلى مَسْجِدِهِ ، فَلْيَبْدَأْ بِتَحِيَّةِ المَسْجِدِ ، ثمَّ بِتَحِيَّةِ صَاحِبِ المَسْجِدِ – رَزَقَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ ذَلِكَ آمِيْنَ " (١) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٧٤٨هـ) : " قَالَ عَبْدُ الله بنُ أَحْمَدَ: رَأَيْتُ أَبِي يَأْخُذُ شَعرةً مِن شَعرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَيَضَعُهَا عَلَى فِيْهِ يُقَبِّلُهَا . وَأَحسِبُ أَنِّي رَأَيْتُهُ يَضَعُهَا عَلَى عَيْنِهِ ، وَيَغْمِسُهَا فِي المَاءِ وَيَشرَبُه يَسْتَشفِي بِهِ . ورَأَيْتُهُ أَخذَ قَصْعَةَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَغَسلهَا فِي حُبِّ المَاءِ ، ثمَّ شَرِبَ فِيْهَا ، وَرَأَيْتُهُ يَشْرَبُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ يَسْتَشفِي بِهِ ، وَيَمسحُ بِهِ يَدَيْهِ وَوَجهَه .

قُلْتُ : أَيْنَ المُتَنَطِّعُ المُنْكِرُ عَلَى أَحْمَدَ ، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ عَبْدَ الله سَأَلَ أَبَاهُ عَمَّنْ يَلمَسُ رُمَّانَةَ مِنْبَرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَيَمَسُّ الحُجْرَةَ النَّبَوِيَّةَ ، فَقَالَ : لاَ أَرَى بِذَلِكَ بَأْساً ، أَعَـــاذنَا اللهُ وَإِيَّاكُم مِنْ رَأْيِ الخَوَارِجِ وَمِنَ البِدَعِ " (٢) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي ، في ترجمة أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ : " أَبُو بَكْرٍ بنُ شَاذَانَ: حدَّثنا أَبُو عِيْسَى أَحْمَدُ بنُ يَعْقُوْبَ، حَدَّثَتْنِي فَاطِمَةُ بِنْتُ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ، قَالَتْ : وَقَعَ الحَرِيْقُ فِي بَيْتِ أَخِي صَالِحٍ، وَكَانَ قَدْ تَزَوَّجَ بِفَتِيَّةٍ ، فَحَمَلُوا إِلَيْهِ جِهَازاً شَبِيهاً بِأَرْبَعَةِ آلاَفِ دِيْنَار ، فَأَكَلَتْه النَّارُ، فَجَعَلَ صَالِحٌ يَقُوْلُ : مَا غَمَّنِي مَا ذَهَبَ إِلَّا ثَوْبٌ لأَبِي كَانَ يُصَلِّي فِيْهِ أَتَبَرَّكُ بِهِ وَأُصَلِّي فِيْهِ . قَالَتْ: فَطُفِئَ الحَرِيْقُ، وَدَخَلُوا، فَوَجَدُوا الثَّوْبَ عَلَى سَرِيرٍ قَدْ أَكلتِ النَّار مَا حَوْلَهُ وَسَلَّم " (٣) .

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٨٤– ٤٨٥) .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء (١١/ ٢١٢) .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٣٠) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي : " ... وَقَالَ : سَمِعْتُ أَبَا سَعِيْدٍ الأَشَجَّ ، وَخَرَجَ إِلَيْنَا فِي غدَاةٍ بَارِدَةٍ ، وَهُوَ يرتعدُ مِنَ البَرْدِ ، فَقَالَ : أَيَكُوْنُ عندَكُم مِثْلُ ذَا البَرْدِ ؟ فَقُلْتُ : مِثْلُ ذَا يَكُوْنُ فِي الخريفِ وَالرَّبِيْعِ ، وَرُبَّمَا نُمسِي وَالنَّهْرُ جَارٍ ، فنصبحُ وَنَحتَاجُ إلى الفَأْسِ فِي نَقْبِ الجَمَدِ . فَقَالَ لِي : مِنْ أَيِّ خُرَاسَان أَنْتَ ؟ قُلْتُ : مِنْ بُخَارَى . فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ : هُوَ مِنْ وَطَنِ محمَّد بنِ إِسْمَاعِيْلَ ، فَقَالَ لَهُ : إِذَا قَدِمَ عَلَيْك مَنْ يُتوسَّلُ بِهِ فَاعرفْ لَهُ حقَّهُ ، فَإِنَّهُ إِمَامٌ " (١) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي : " وَقَالَ محمَّد بن أحمد البلخي ورَّاق البخاري : سَمِعْتُ أَبَا سَعِيْدٍ الأَشَجَّ ، وَخَرَجَ إِلَيْنَا فِي غدَاةٍ بَارِدَةٍ ، وَهُوَ يرتعدُ مِنَ البَرْدِ ، فَقَالَ : أَيَكُوْنُ عندَكُم مِثْلُ ذَا البَرْدِ ؟ فَقُلْتُ : مِثْلُ ذَا يَكُوْنُ فِي الخريفِ وَالرَّبِيْعِ ، وَرُبَّمَا نُمسِي وَالنَّهْرُ جَارٍ ، فنصبحُ وَنَحتَاجُ إلى الفَأْسِ فِي نَقْبِ الجَمَدِ . فَقَالَ لِي : مِنْ أَيِّ خُرَاسَان أَنْتَ ؟ قُلْتُ : مِنْ بُخَارَى . فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ : هُوَ مِنْ وَطَنِ محمَّد بنِ إِسْمَاعِيْلَ ، فَقَالَ لَهُ : إِذَا قَدِمَ عَلَيْك مَنْ يُتوسَّلُ بِهِ فَاعرفْ لَهُ حقَّهُ ، فَإِنَّهُ إِمَامٌ " (٢) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي السَّرَّاجُ أَبُو الحَسَنِ محمَّد بنُ الحَسَنِ بنِ أَحْمَدَ : " حَدَّثَ أَبُو الحَسَنِ - رَحِمَهُ اللهُ - مِنْ أُصولٍ صحيحَةٍ، سَمِعْتُهُ يَقُوْلُ : رَأَيْتُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي المَنَامِ، فَتَبِعْتُهُ حَتَّى دَخَلَ، فَوَقَفَ عَلَى قَبْرِ يَحْيَى بنِ يَحْيَى ، وَتَقَدَّمَ وَصَفَّ خَلْفَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحابة ، وَصَلَّى عَلَيْهِ ، ثمَّ التَفَتَ فَقَالَ : هَذَا القَبْرُ أَمَانٌ لأَهْلِ هَذِهِ المَدِيْنَةِ " (٣) .

وقال شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي في ترجمة ابن فورك : " قَالَ عَبْدُ الغَافِرِ فِي (سِيَاق التَّارِيْخ) :الأُسْتَاذُ أَبُو بَكْرٍ قَبْرُهُ بِالحِيرَة يُسْتَسقَى بِهِ " (٤) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي ، في ترجمة أَبُو بَكْرٍ محمَّد بنُ إِبْرَاهِيْمَ بنِ أَحْمَدَ الأَرْدَسْتَانِيُّ : " قَالَ شِيْرَوَيْه : كَانَ ثِقَةً يُحْسِنُ هَذَا الشَّأْن ، سَمِعْتُ عِدَّةً يَقُوْلُوْنَ : مَا مِنْ رَجُلٍ لَهُ حَاجَةٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنيا وَالآخِرَة يَزُوْرُ قَبْره وَيدعُوهُ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ . قَالَ : وَجَرَّبْتُ أَنَا ذَلِكَ " (٥) .

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٣٠) .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٧٨) .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٦٢) .

(٤) انظر : سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢١٥) .

(٥) انظر : سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٢٨) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي ، في ترجمة ابْنُ زِيْرَكَ محمَّد بنُ عُثْمَانَ بنِ أَحْمَدَ القُوْمَسَانِيُّ : " وَقَبرُهُ يُزَار ، وَيُتَبَرَّكُ بِهِ " (١) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي ، في ترجمة أَبُي الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ حُمَيْدِ بنِ عَلِيٍّ الذُّهْلِيُّ : " وَكَانَ وَرِعاً ، تَقيّاً ، مُحْتَشِماً ، يُتَبَرَّك بِقَبرِهِ " (٢) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي في ترجمة صالح بن أحمد بن محمَّد أبو الفضل التَّميمي الهمذاني السمسار : " والدُّعاء عند قبره مُستجاب " (٣) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي : " قال أبو الرَّبيع بن سالم الحافظ : كان وقت وفاة أبي محمَّد بن عبيد الله قحط مضر ، فلمَّا وضع على شفير القبر توسَّلوا به إلى الله في إغاثتهم فسقوا في تلك الليلة مطراً وابلاً ، وما اختلف النَّاس إلى قبره مدَّة الأسبوع إلَّا في الوحل والطِّين " (٤) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي في ترجمة صالح بن يونس أَبُو شُعَيْب الواسطي الزَّاهد : " ... والدُّعاء عند قبره مُستجاب " (٥) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي في ترجمة القاسم بْن محمَّد بْن محمَّد بْن عَبْدُوَيْه ، أَبُو أَحْمَد الهَمَذَانيّ الصَّيْرفيّ السّرّاج المتوفَّى (٣٤٧هـ) : " وكان أحد الصَّالحين يُتبرَّك بقبره " (٦) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي في ترجمة أَحْمَد بْن عَلِيّ أَبُو بَكْر الهَمَذَاني الشَّافعي الفقيه، المعروف بابن لال : " والدُّعاء عند قبره مُسْتَجَاب " (٧) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي في ترجمة محمَّد بْن الحَسَن بْن فُورَك ، أبو بَكْر الإصبهانيّ الفقيه المتكلِّم : " قَالَ عَبْد الغافر بْن إسماعيل : قبرهُ بالحِيرة يُسْتَسْقى بِهِ " (١) .

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٣٤) .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٠١) .

(٣) انظر : تذكرة الحفاظ (٣/ ١٢٩) .

(٤) انظر : تذكرة الحفاظ (٤/ ١١١) .

(٥) انظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام (٦/ ٧٥٩) .

(٦) انظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام (٧/ ٨٥٦) .

(٧) انظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام (٨/ ٧٨٣) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي : " ... وسمعنا عليّ ابن صِيلا ، وأبي شاكر السّقلاطوني ، وتجنّي ، وابن يلدرك ، ومنوجهر ، وابن شاتيل . وكان لَهُ ابنٌ شيخٌ إذا جَلَسنا تبيَّنَ كأنَّه الأبُ ، وعَمِيَ على كبرٍ ، وبقيَ سبعين يوماً أعمى ، ثمَّ برئَ وعادَ بصرُهُ - يعني الابن - فسألنا الشَّيخ عن السبب فذكر لنا : أنَّه ذهب به إلى قبر الإمام أحمد ، وأنَّه دَعا وابتهلَ ، وقلتُ : يا إمام أحمد ، أسأَلُكَ إلّا شفعت فيه إلى ربِّك ، يا ربِّ شَفِّعه في وَلَدي ، وولدي يُؤمِّن ، ثمَّ مضينا . فلمّا كَانَ اللّيـــلُ استيقظ وقد أبصر " (٢) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي في ترجمة أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمُنْعِمِ بْنِ أَحْمَدَ الْمُعَمَّرُ رَكْنُ الدِّين أَبُو العبَّاس الْقَزْوِينيُّ الطَّاوُسِيُّ الصُّوفِيُّ : " أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمُنْعِمِ، غَيْرَ مَرَّةٍ ، أنا أَبُو جَعْفَرٍ الصَّيْدَلانِيُّ ، كِتَابَهُ ، أنا أَبُو عَلِيٍّ الْحَدَّادُ ، حُضُوراً ، أنا أَبُو نُعَيْمٍ الْحَافِظُ ، نا عَبْدُ اللهَّ بْنُ جَعْفَرٍ ، ثنا محمَّد بْنُ عَاصِمٍ ، نا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ عُبَيْدِ اللهَّ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ : أَنَّه كَانَ يَكْـــرَهُ مَسَّ قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم .

قُلْتُ : كَرِهَ ذَلِكَ لأَنَّه رَآهُ إِسَاءَةَ أَدَبٍ ، وَقَدْ سُئِلَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَنْ مَسِّ الْقَبْرِ النَّبَوِيِّ وَتَقْبِيلِهِ ، فَلَمْ يَرَ بِذَلِكَ بَأْساً ، رَوَاهُ عَنْهُ وَلَدُهُ عَبْدُ اللهَّ بْنُ أَحْمَدَ .

فَإِنْ قِيل : فَهَلا فَعَلَ ذَلِكَ الصَّحابة ؟ قِيلَ : لأَنَّهم عَايَنُوهُ حَيّاً وَتَمَلَّوْا بِهِ وَقَبَّلُوا يَدَهُ ، وَكَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وُضُوئِهِ وَاقْتَسَمُوا شَعْرَهُ الْمُطَهَّرَ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ ، وَكَانَ إِذَا تَنَخَّمَ لا تَكَادُ نُخَامَتُهُ تَقَعُ إلا فِي يَدِ رَجُلٍ فَيُدَلِّكُ بِهَا وَجْهَهُ ، وَنَحْنُ فلمَّا لَمْ يَصِحْ لَنَا مِثْلُ هَذَا النَّصِيبِ الأَوْفَرِ تَرَامَيْنَا عَلَى قَبْرِهِ بِالالْتِزَامِ وَالتَّبْجِيلِ وَالاسْتِلامِ وَالتَّقْبِيلِ ، أَلا تَرَى كَيْفَ فَعَلَ ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ ؟ كَانَ يُقَبِّلُ يَدَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَيَضَعُهَا عَلَى وَجْهِهِ وَيَقُولُ : يَدٌ مَسَّتْ يَدَ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم .

وَهَذِهِ الأُمُورُ لا يُحَرِّكُهَا مِنَ الْمُسْلِمِ إِلَّا فَرْطُ حُبِّهِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، إِذْ هُوَ مَأْمُورٌ بِأَنْ يُحِبَّ اللهَّ وَرَسُولَهُ أَشَدَّ مِنْ حُبِّهِ لِنَفْسِهِ ، وَوَلَدِهِ والنَّاس أَجْمَعِينَ، وَمِنْ أَمْوَالِهِ ، وَمِنَ الجنَّة وَحُورِهَا ، بَلْ خَلْقٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يُحِبُّونَ أَبَا بَكْرٍ ، وَعُمَرَ أَكْثَرَ مِنْ حُبِّ أَنْفُسِهِمْ .

---

(١) انظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام ،(٩/ ١٠٩) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٤) ، دار الحديث ، وانظر : طبقات الشافعية الكبرى (٤/ ١٣٠) .

(٢) انظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام (١٣/ ٧٦٨) .

حَكَى لَنَا جُنْدَارُ ، أَنَّه كَانَ بِجَبَلِ الْبِقَاعِ فَسَمِعَ رَجُلاً سَبَّ أَبَا بَكْرٍ فَسَلَّ سَيْفَهُ ، وَضَرَبَ عُنُقَهُ ، وَلَوْ كَانَ سَمِعَهُ يَسُبُّهُ ، أَوْ يَسُبُّ أَبَاهُ لما اسْتَبَاحَ دَمَهُ ، أَلا تَرَى الصَّحابة فِي فَرْطِ حُبِّهِمْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، قَالُوا : أَلا نَسْجُدُ لَكَ ؟ فَقَالَ : " لا " فَلَوْ أَذِنَ لَهُمْ لَسَجَدُوا لَهُ سَجُودَ إِجْلالٍ وَتَوْقِيرٍ ، لا سُجُودَ الْمُسْلِمِ لِقَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم عَلَى سَبِيلِ التَّعْظِيمِ وَالتَّبْجِيلِ لا يُكَفَّرُ بِهِ أَصْلاً ، بَلْ يَكُونُ عَاصِياً ، فَلْيَعْرِفْ أَنَّ هَذَا مَنْهِيٌّ عَنْهُ ، وَكَذَلِكَ الصَّلاة إلى الْقَبْرِ " (١) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي : " فالله يمتع ببقائه أهل المصرين ، ويجمع له ولمواليه خير الدَّارين ، بمحمَّد وأله " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري السّنجاري البخاري ، المعروف بابن الإكفاني (٧٤٩هـ) : " والله أسأل أن ينفع به ، بمحمَّد وآله " (٣) .

وقال الإمام أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري ، شهاب الدِّين (٧٤٩هـ) : " أدام الله أيَّام مولاي ، وجعلها موشحة بالخلود منسمة بالإقبال والسُّعود ما لاحت ذكاء ، وطلعت الجوزاء ، بمحمَّد وآله " (٤) .

وقال الإمام تقي الدِّين أحمد بن محمَّد بن علي الأدمـي (كان حياً قبل ٧٤٩ هـ) : " ويُبَاحُ التَّوسُّـل بالصُلَحَاء " (٥) .

وقال الإمام القاضي محمَّد السَّعدي المصري الأخنائي (٧٥٠هـ) كتاباً بعنوان : " المقالة المرضيَّة في الرَّدِّ على من ينكر الزِّيارة المحمَّديَّة " . وقد طُبع ضمن كتاب : " البراهين السَّاطعة في ردِّ بعض البدع الشَّائعة " لسلامه القضاعي العزامي .

وقال الإمام عمر بن علي بن عمر القزويني ، أبو حفص ، سراج الدِّين (٧٥٠هـ) : " وجعل أعمارهم أطول الأعمار ، بمحمَّد وآله الطِّيِّبين الطَّاهرين وصحبه الكرام المنتجبين " (١) .

---

(١) انظر : معجم الشيوخ الكبير ، الذَّهبي ، (١/ ٧٣-٧٤) .

(٢) انظر : العبر في خبر من غبر (٤/ ٢٠٠) .

(٣) انظر : نخب الذخائر في أحوال الجواهر (ص١) .

(٤) انظر : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (٧/ ١٥٥) .

(٥) انظر : كتاب المنور في راجح المحرر على مذهب الإمام المبجل والحبر المفضل أحمد بن محمَّد بن حنبل (ص١٩٠) .

وقال الإمام تقي اللدين علي بن عبد الكافي السُّبكي (٧٥٦هـ) : " اعلم أنَّه يجوز ويحسن التَّوسُّل والاستعانة والتَّشفُّع بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إلى ربِّه سبحانه وتعالى ، وجواز ذلك وحسنه من الأمور المعلومة لكل ذي دين ، المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين وسير السَّلف الصَّالحين والعلماء والعوام من المسلمين ، ولم ينكر أحد ذلك من أهل الأديان ، ولا سمع به في زمن من الأزمان ، حتى جاء ابن تيمية فتكلم في ذلك بكلام يُلبِّس فيه على الضعفاء الأغمار ، وابتدع ما لم يسبق إليه في سائر الأعصار " (٢) .

وقال الإمام تقي الدِّين علي بن عبد الكافي السُّبكي أيضاً : " وليس المراد نسبة النَّبي صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّم إلى الخلق والاستقلال بالأفعال ، هذا لا يقصده مسلم ، فصرفُ الكلام إليه ومنْعُهُ من باب التَّلبيسِ في الدِّين ، والتَّشويشِ على عوام الموحِّدين ، وإذْ قد تحرَّرت هذه الأنواع والأحوال في الطَّلب من النَّبي صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّم وظهر المعنى ، فلا عليك في تسميته توسُّلاً ، أو تشفعاً ، أو استغاثة ، أو تَجَوُّهاً – أي : توسّلاً بالجاه- ، أو تَوَجُّهاً ؛ لأنَّ المعنى في جميع ذلك سواء...

وأمَّا الاستغاثة : فهي طلب الغوث ، وتارة يطلب الغوث من خالقه وهو الله تعالى وحده ، كقوله تعالى : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ [الأنفال : ٩] ، وتارة يطلب ممَّن يصح إسناده إليه على سبيل الكسب ، ومن هذا النَّوع : الاستغاثة بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وفي هذين القسمين تعدّى الفعل تارة بنفسه كقوله تعالى : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ [الأنفال : ٩] ، ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ﴾ [القصص:١٥] ، وتارة بحرف الجر ، كما في كلام النُّحاة في المستغاث به ، وفي كتاب سيبويه رحمه الله تعالى : فاستغاث بهم ليشتروا له كليباً ، فيصحُّ أن يقال : استغثتُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، واسْتغيث بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بمعنى واحد ، وهو طلب الغوث منه بالدُّعاء ونحوه على النَّوعين السَّابقين في التَّوسُّل من غير فرقى، وذلك في حياته وبعد موته ، ويقول : استغثت الله وأستغيث بالله ، بمعنى : طلب خلق الغوث منه ، فالله تعالى مُسْتَغَاثٌ ، فالغوث منه خَلْقاً وإيجاداً ، والنَّبي صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّم مستغاثٌ والغوث منه تسبُّباً وكَسْباً...

وقد تكون الاستغاثة بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم على وجه آخر ، وهو أن يُقال : استغثتُ الله بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، كما تقول : سألت الله بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فيرجع إلى النَّوع الأوَّل من أنواع التَّوسُّل ،

---

(١) انظر : مشيخة القزويني (ص٧٩) .

(٢) انظر : شفاء السقام في زيارة خير الأنام (ص١٣٣) .

ويصحُّ قبل وجوده وبعد وجوده ، وقد يُحذفُ المفعول به ، ويقال : استغثت بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بهذا المعنى . فصار لفظ الاستغاثة بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم له معنيان :

أحدهما : أن يكون مستغاثاً ، والثَّاني : أن يكون مستغاثاً به ، والباء للاستعانة .

فقد ظهر جواز إطلاق الاستغاثة والتَّوسُّل جميعاً ، وهذا أمر لا يُشَكُّ فيه ، فإنَّ الاستغاثة في اللغة طلب الغوث ، وهذا جائزٌ لغةً وشرعاً من كلِّ من يقدر عليه ، بأي لفظ عبر عنه ، كما قالت أُم إسماعيل : " أغث إن كان عندك غواث " (١) .

وقال الإمام أبو الحسن تقي الدِّين علي بن عبد الكافي السُّبكي أيضاً : " أَمْتَعَنِي الله بِحَيَاتِهِ وَزَادَ فِي حَسَنَاتِهِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ، بمحمَّد وَآلِهِ " (٢) .

وقال الإمام أبو الحسن تقي الدِّين علي بن عبد الكافي السُّبكي أيضاً : " ... وَاَللهُ تَعَالَى يُلْهِمُنَا رُشْدَنَا ، بمحمَّد وَآلِهِ " (٣) .

وقال الإمام أبو الحسن تقي الدِّين علي بن عبد الكافي السُّبكي أيضاً : " وَاَللهُ الْمَسْئُولُ أَنْ يُوَفِّقَنَا لما يُرْضِيه ، بمحمَّد وَآلِهِ " (٤) .

وقال الإمام تقي الدِّين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السُّبكي وولده تاج الدِّين أبو نصر عبد الوهَّاب (٧٧١هـ) : " أسأل الله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم موجباً للفوز لديه وأن يعم النفع به ، بمحمَّد وآله وصحبه " (٥) .

وقال الإمام إبراهيم بن علي بن أحمد بن عبد الواحد ابن عبد المنعم الطَّرسوسي، نجم الدِّين الحنفي (٧٥٨هـ) : " رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنَّة مثواه ، بمحمَّد وآله آمين " (٦) .

---

(١) انظر : شفاء السقام في زيارة خير الأنام (ص١٤٦-١٤٧) .

(٢) انظر : فتاوى السُّبكي (١/ ٢٥٥) .

(٣) انظر : فتاوى السُّبكي (٢/ ٣٠٩) .

(٤) انظر : فتاوى السُّبكي (١/ ٣٠٠) .

(٥) انظر : الإبهاج في شرح المنهاج (٣/ ٢٧٤) .

(٦) انظر : تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك (ص١) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو محمَّد عبد الله بن يوسف بن محمَّد الزّ!يلعي (٧٦٢هـ) : " أحسن الله عَاقبَتهَا بمحمَّد وَآله وَصَحبه وَسَلَّم تَسْلِيماً دَائِماً أبداً إِلى يَوْم الدِّين " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن مفلح بن محمَّد بن مفرج ، أبو عبد الله ، شمس الدِّين المقدسي الرَّامينى ثمَّ الصَّالحي الحنبلي (٧٦٣هـ) : " وَيَجُوزُ التَّوسُّل بِصَالِحٍ ، وَقِيلَ : يُسْتَحَبُّ ، قَالَ أَحْمَدُ فِي مَنْسَكِهِ الَّذِي كَتَبَهُ لِلْمَرُّوذِيِّ : أَنَّه يَتَوَسَّلُ بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي دُعَائِهِ " (٢) .

وقال الإمام العلَّامة الفقيه أبو عبدالله شمس الدِّين محمَّد بن مفلح بن محمَّد المقدسي، ثمَّ الصالحي الراميني، شيخ الحنابلة أيضاً : " وَرَوَى ابْنُ السُّنِّيِّ فِي كِتَابِهِ عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ الله عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، قَالَ : " إذَا انْفَلَتَتْ دَابَّةُ أَحَدِكُمْ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ ، فَلْيَقُلْ : يَا عِبَادَ اللهَّ احْبِسُوا ، فَإِنَّ للهَّ فِي الْأَرْضِ حَاضِراً سَيَحْبِسُهُ " . قَالَ عَبْدُ اللهَّ بْنُ إمَامِنَا أَحْمَدَ : سَمِعْت أَبِي يَقُولُ : حَجَجْت خَمْسَ حِجَجٍ مِنْهَا اثْنَتَيْنِ رَاكِباً وَثَلَاثاً مَاشِياً فضللت الطَّريق في حجّة وكنت ماشياً فَجَعَلْت أَقُولُ : يَا عِبَادَ اللهَّ دُلُّونَا عَلَى الطَّرِيقِ ، فَلَمْ أَزَلْ أَقُـــولُ ذَلِكَ حَتَّى وَقَعْت عَلَى الطَّرِيقِ ، أَوْ كَمَا قَالَ أَبِي " (٣) .

وقال الإمام محمَّد بن مفلح بن محمَّد بن مفرج ، أبو عبد الله، شمس الدِّين المقدسي الرَّامينى ثمَّ الصَّالحي الحنبلي أيضاً : " وَيَجُوزُ التَّوسُّل بِصَالِحٍ ، وَقِيلَ : يُسْتَحَبُّ ، قَالَ أَحْمَدُ فِي مَنْسَكِهِ الَّذِي كَتَبَهُ لِلْمَرُّوذِيِّ : أَنَّه يَتَوَسَّلُ بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي دُعَائِهِ ، وَجَزَمَ بِهِ فِي الْمُسْتَوْعِبِ وَغَيْرِهِ ، وَجَعَلَهَا شَيْخُنَا كَمَسْأَلَةِ الْيَمِينِ بِهِ ، قَالَ : والتَّوسُّل بِالْإِيمَانِ بِهِ وَطَاعَتِهِ وَمحَبَّتِهِ ، والصَّلاة والسَّلام عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَبِدُعَائِهِ وَشَفَاعَتِهِ ، وَنَحْوِهِ مِمَّا هُوَ مِنْ فِعْلِهِ وَأَفْعَالِ الْعِبَادِ الْمَأْمُورِ بِهَا فِي حَقِّهِ مَشْرُوعٌ ، فِي قَوْله تَعَالَى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة : ٣٥] . وَقَالَ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ : فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلام : " أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهَّ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ " : الِاسْتِعَاذَةُ لَا تَكُونُ بِمَخْلُوقٍ ، قَالَ إبْرَاهِيمُ الْحَرْبِيُّ : الدُّعاء عِنْدَ قَبْرِ مَعْرُوفٍ التِّرْيَاقُ الْمُجَرَّبُ . وَقَالَ

---

(١) انظر : تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٤٧) .

(٢) انظر : كتاب الفروع ومعه تصحيح الفروع لعلاء الدِّين علي بن سليمان المرداوي (٣/ ٢٢٩) .

(٣) انظر : الآداب الشرعية (١/ ٤٥٧-٤٥٨) .

شَيْخُنَا : قَصْدُهُ لِلدُّعَاءِ عِنْدَهُ رَجَاءَ الْإِجَابَةِ بِدْعَةٌ لَا قُرْبَةٌ بِاتِّفَاقِ الْأَئِمَّةِ ، وَقَالَ أَيْضًا: يحرم بلا نزاع بين الأئمَّة " (١) .

وقال الإمام صلاح الدِّين خليل بن أيبك بن عبد الله الصَّفدي (٧٦٤هـ) : " ... وأقوال الشَّافعي الْقَدِيمَة كلهَا مَذْهَب مَالك رَضِي الله عَنهُ ، وَقيل : أَنَّه قَالَ إِنَّمَا رجعت إلى أقوالي الجديدة ، لِأَنِّي لما دخلت مصر بَلغنِي أَنَّ بالمغرب قلنسوة من قلانس مَالك ، يَسْتَسْقِي بهَا الْغَيْث ، فَخفت أَن يتمادى الزَّمَان ويعتقد فِيهِ مَا أعتقد فِي الْمَسِيح ، فأظهرت خِلَافه ليعلم النَّاس أَنَّه أَمَام مُجْتَهد يخطىء ويصيب ، وَهَذَا مقصد صَالح رَضِي الله عَنهُ " (٢) .

وقال الإمام صلاح الدِّين خليل بن أيبك بن عبد الله الصَّفدي : " قَالَ الشَّيخ شمس الدِّين الذَّهبي وَمن خطِّه نقلت : حدَّثني الإِمَام محمَّد بن منتاب أَنَّ عز الدِّين يُوسُف الْموصِلِي كتب إِلَيْهِ وَأَرَانِي كِتَابه ، قَالَ : كَانَ لنا رَفِيق يشْهد مَعنا فِي سوق الطَّعَام ، يُقَال لَهُ : الشَّمْس بن الحشيشي ، كَانَ يسبُّ أَبَا بكر وَعمر رضى الله عَنْهُمَا ، ويبالغ ، فلمَّا ورد شَأْن تَغْيِير الْخطْبَة إِذْ ترفض القان خربندا افترى وَسَب ، فَقلت : يَا شمس قَبِيح عَلَيْك أَن تسبَّ وَقد شبت ، مَالك وَلَهُم ، وَقد درجوا من سبع ماية سنة ، وَالله يَقُول : " تِلْكَ أمة قد خلت " فَكَانَ جَوَابه : وَالله إِنَّ أَبَا بكر وَعمر وَعُثْمَان فِي النَّار . قَالَ ذَلِك فِي مَلأ من النَّاس ، فَقَامَ شعر جَسَدِي ، فَرفعت يَدي إِلى السَّماء ، وَقلت : اللهمَّ يَا قاهر فَوق عباده ، يَا من لَا يخفى عَلَيْهِ شَيْء ، أَسأَلك بنبيك إِن كَانَ هَذَا الْكَلْب على الْحق فَأنْزل بِي آيَة ، وَإِن كَانَ ظَالِماً ، فَأنْزل بِهِ مَا يعلم هَؤُلَاءِ الْجَمَاعَة أَنَّه على الْبَاطِل فِي الْحَال ، فورمت عَيناهُ حَتَّى كَادَت تخرج من وَجهه ، واسودَّ جِسْمه حَتَّى بَقِي كالقبر ، وانتفخ وَخرج من حلقه شَيْء يصرع الطُّيُور ، فَحمل إِلى بَيته ، فَمَا جَاوز ثَلَاثَة أَيَّام حَتَّى مَاتَ ، وَلم يتَمَكَّن أحد من غسله مِمَّا يجْرِي من جِسْمه وَعَيْنَيْهِ ، وَدفن . وَقَالَ ابْن منتاب : جَاءَ إِلى بَغْدَاد أَصْحَابنَا وَحَدثُوا بِهَذِهِ الْوَاقِعَة ، وَهِي صَحِيحَة ، وَتُوفِّي سنة عشر وَسبع ماية " (٣) .

وقال الإمام صلاح الدِّين خليل بن أيبك الصَّفدي : " لا زال جابراً بقبوله وإقباله، ساتراً بخلاله الكريمة ما خفي عن المملوك من إخلاله بمحمَّد وآله إن شاء الله تعالى " (٤) .

---

(١) انظر : كتاب الفروع ومعه تصحيح الفروع لعلاء الدِّين علي بن سليمان المرداوي (٣/ ٢٢٩) .

(٢) انظر : الوافي بالوفيات (٢/ ١٢٥) .

(٣) انظر : الوافي بالوفيات (٣/ ١٨-١٩) .

(٤) انظر : أعيان العصر وأعوان النصر (٤/ ٦٦٩) .

وقال الإمام محمَّد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرَّحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقَّب بصلاح الدِّين (٧٦٤هـ) في ترجمة يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور بن المعمر بن عبد السَّلام، جمال الدِّين الشَّيخ العلَّامة الزَّاهد الضَّرير، أبو زكريَّا الصّرصري البغدادي الحنبلي اللغوي الأديب النَّاظم : " وقال أيضاً يمدح سيِّدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم :

فاق البسيطة عزة ومهابـــــــــة     فسما وعز من البريَّة جـــــــاره

يحمي النَّزيـل وكيف لا يحمي وقد     حفت بجاه المصطفـــــــى أقطاره (١)

وقال الإمام شمس الدِّين أبو المحاسن محمَّد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدِّمشقي الشَّافعي (٧٦٥هـ) : " فالله تعالى يُبقيه ويمتع الاسلام ويديم النَّفع به الأنام ، بجاه المصطفى سيِّدنا محمَّد عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام " (٢) .

قلت : وقد قامت الأيدي الأثيمة بشطب هذا الكلام للإمام الحسيني الدِّمشقي من نسخة " ذيل تذكرة الحفَّظ " للإمام شمس الدِّين أبو المحاسن محمَّد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدِّمشقي الشَّافعي ، دار الكتب العلميَّة ، الطَّبعة : الأولى ، (١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م) ، وذلك من نسخة " ذيل التَّذكرة " الموجودة ضمن المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ... فتنبَّهوا لصنيع هذه الفئة الدَّخيلة على تراثنا الذي لم يسلم منهم لا في القديم ولا في الحديث ...مع أنَّ كلام الإمام الحسيني موجود في " ذيل تذكرة الحفَّاظ " الموجودة في المكتبة الشَّاملة ، والتي أُضيف إليها : " لحظ الالحاظ بذيل طبقات الحفَّاظ " ، لابن فهد المكي ، و" ذيل طبقات الحفَّـــاظ " للذَّهبي للسُّيوطي ... ودائماً : إذا كنت كَذوباً فكـــن ذَكُوْراً ...

وقال الإمام خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي ، أبو البقاء (المتوفى: بعد ٧٦٧هـ) : " ... وها أنا أقف موقف الخجل والتَّقصير ، وأسأل الله العلي الكبير ، بجاه سيِّدنا ومولانا محمَّد رسوله البشير النَّذير ، أن يجعله حجاً مبروراً ، وسعياً مباركاً مشكوراً ، وعملاً صالحاً متقبَّلاً مذخوراً " (٣) .

وقال الإمام أبو محمَّد عفيف الدِّين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (٧٦٨هـ) : " اللهمَّ إنا نسألك التَّوفيق ، ونعوذ بك من الخذلان والتَّعويق ، بجاه نبيِّك الكريم ، عليه أفضل الصَّلاة والتَّسليم " (١) .

---

(١) انظر : فوات الوفيات (٤/ ٣٠١-٣٠٢) .

(٢) انظر : ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي (ص٣١٥) .

(٣) انظر : تاج المفرق في تحلية علماء المشرق (ص١٤٣) .

وقال الإمام : أبو محمَّد عفيف الدِّين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي :

ووفق لما ترضى بجاه محمَّد    وواصل له أزكى الصَّلاة مديماً [2] .

وقال الإمام أبو محمَّد عفيف الدِّين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (٧٦٨هـ) :

قصور وحور لا تطاق صفاتها    وكلّ نعيم ما له العقل يعقل

إلهي بجاه المصطفى لا حرمتنا    نعيماً بها يا نعم مولى مؤمل

وصل على تاج العلى سيِّد الورى    رسول كريم لا يساويه مرسل [3]

وقال الإمام أبو محمَّد عفيف الدِّين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي : " نسأل الله الكريم الاستقامة على الدِّين القويم ، بجاه نبيِّه عليه أفضل الصَّلوات والتَّسليم " [4] .

وقال الإمام أبو محمَّد عفيف الدِّين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي : " وأسأله أن يتقبل ما ذكرت من دعائه ، وأن يغفر لنا جميع الذُّنوب ، ويبلغنا من الخيرات كلَّ مطلوب ، بجاه نبيِّه المصطفى المكرَّم صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّم " [5] .

وقال الإمام أبو محمَّد عفيف الدِّين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (٧٦٨هـ) :

إلهي بجاه المصطفى سيِّد الورى    وملجأهم من كلِّ ما منه يهرب

وتاج العلي بدر الهدى معدن النَّدى    طراز جمال الكون أبهج مذهب

أنلني منائي منك يا غاية المنى    لا ضحى ولي شغل بحبك مذهب [6]

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن علي الفيومي ثمَّ الحموي ، أبو العبَّاس (٧٧٠هـ) : " وَنَسْأَلُ اللهَّ حُسْنَ الْعَاقِبَةِ فِي الدُّنيا وَالْآخِرَةِ ، وَأَنْ يَنْفَعَ بِهِ طَالِبَهُ وَالنَّاظِرَ فِيهِ ، وَأَنْ يُعَامِلَنَا بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، بمحمَّد وَآلِهِ الْأَطْهَارِ وَأَصْحَابِهِ الْأَبْرَارِ " [7] .

---

[1] انظر : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (٢/ ١٧٥) .

[2] انظر : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (٢/ ٦٨) .

[3] انظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (٢/ ٣٢٢) .

[4] انظر : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (٣/ ٧٧) .

[5] انظر : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (٤/ ٢٤١) .

[6] انظر : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (٢٤٢/٤) .

[7] انظر : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٧١٢) .

وقال الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) : "

فاسأل إلهك بالنَّبي محمَّد متوسِّلاً تظفر بِكُلِّ أَمَان [١]

وفي كتابه معجم الشيوخ ذكر الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) قصيدة الإمام الأديب جمال الدِّين بن نُباتة الفارقي (٧٦٨هـ) المسماة بالقصيدة اللامية ، وهي في ديوانه ، وذكر أنَّه سمعها منه ، وفيها :

يا خاتم الرُّسل لي في المذنبين غدًا على شفاعتك الغرَّاء تعويل
صلَّى عليك الذي أعطاك منزلةً شفيعها في مقام الحشر مقبول
أنت المَلاذُ لنا دنيا وآخِرةً فباب قصدك في الدارين مأهول [٢]

(٢)

وقال الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) في ترجمة الإمام محمَّد بن عبد اللَّطِيف بن يحيى بن عَليّ بن تَمام السُّبكي الْفَقِيه الُمحدث الأديب المتفنن تَقِيّ الدِّين أَبُو الْفَتْح : " وَمن شعر الشَّيخ تَقِيّ الدِّين أَبُو الْفَتْح :

فارج الْإِلَه وَلَا تخف من غَيره تَجِد الْإِلَـه لضيق صدرك قد شرح
وارغب إِلَيْهِ بالنَّبي الُمصْطَفى فِي كشف ضرك عل يأسو مَا انجرح
تالله مَا يَرْجُو نداه مخلص لسؤاله إِلَّا تهلل وانشرح
فَهُوَ النَّبي الْهَاشِمِي وَمن لَـهُ جاه علا وعلو قدر قد رجح
وَهُوَ النَّعيم لمن توقَّى وَاتَّقى وَهُوَ الجَحِيم لمن تكبر واتقح
هُوَ وابل الدُّنيا إِذا شح الحيا وَمُشَفَّع الْأُخْرَى إِذا عرق رشح [٣]

(٣)

---

[١] انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٣٨٢) .

[٢] انظر : معجم الشيوخ (ص٤٦٢) .

[٣] انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٩/ ١٨١) .

وقال الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) في ترجمة الإمام ابن دقيق العيد ، من كلامه : " ... أعد لَهَا جاه الشَّفِيع المشفّع ... " (١) .

وقال الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) في ترجمة محمَّد بن عبد اللَّطِيف بن يحيى بن عَليّ بن تَمام السُّبكي الْفَقِيه الُمحدث الأديب المتفنن تَقِيّ الدِّين أَبُو الْفَتْح (٧٤٤هـ) :

وارغب إِلَيْهِ بالنَّبي الُمصْطَفى ... فِي كشف ضرك عل يأسو مَا انجرح
تالله مَا يَرْجُو نداه مخلص ... لسؤاله إِلَّا تهلل وانشرح
فَهُوَ النَّبي الْهَاشِمِي وَمن لَهُ ... جاه علا وعلو قدر قد رجح (٢)

(٢)

وقال الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) في ترجمة عُثْمَان بن عبد الرَّحمن بن مُوسَى بن أبي نصر الْكرْدِي الشّهرزوري : " ... فدفنوه بِطرف مَقَابِر الصُّوفِيَّة ـ وقبره على الطَّرِيق فِي طرفها الغربي ظَاهر يُزار ويتبرَّك بِهِ ، قيل : والدُّعاء عِنْد قَبره مُستجاب " (٣) .

وقال الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) في ترجمة أَحْمد بن على بن أَحْمد بن محمَّد بن الْفرج بن لال أَبُو بكر الهمذاني : " والدُّعاء عِنْد قَبره مُستجاب " (٤) .

وقال الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) ، في ترجمة محمَّد بن الْحسن بن فورك الْأُسْتَاذ أَبُو بكر الْأَنْصَارِيّ الْأَصْبَهَانِيّ : " ... ودعي إِلى مَدِينَة غزنة وَجَرت لَهُ بهَا مناظرات ، ولَمَّا عَاد مِنْهَا سم فِي الطَّرِيق ، فَتوفي سنة سِتّ وَأَرْبَعمِائَة حميداً شَهِيداً ، وَنقل إِلى نيسابور وَدفن بِالْحيرَةِ وقبره ظَاهر ، قَالَ عبد الغافر : يُستسقى بِهِ ويُستجاب الدُّعاء عِنْده " (٥) .

وقال الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) في ترجمة حسان بن محمَّد بن أَحْمد بن هَارُون بن حسان بن عبد الله بن عبد الرَّحمن ابْن عَنْبَسَة بن سعيد بن الْعَاصِ القرشي الأموي الإِمَام الجَلِيل أحد

---

(١) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٩/ ٢٢١) .

(٢) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٩/ ١٨١) .

(٣) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٧٧١هـ) ، (٨/ ٣٢٨) .

(٤) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٢٠) .

(٥) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٤/ ١٣٠) .

أَئِمَّة الدُّنيا أَبُو الْوَلِيد النَّيسابوري : " ... قَالَ وَسمعت أَبَا الْحسن عبد الله بن محمَّد الْفَقِيه يَقُول مَا وَقعت فِي ورطة قطّ وَلَا وَقع لي أَمر مُهِمّ فقصدت قبر أَبى الْوَلِيد وتوسَّلت بِهِ إِلى الله تَعَالَى إِلَّا اسْتَجَابَ الله لي " (١) .

وقال الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) : " أَنْشَدَنَا الإِمَامُ الْبَارِعُ جَمَالُ الدِّين أَبُو بَكْرِ محمَّد بْنُ محمَّد بْنِ محمَّد بْنِ حَسَنِ بْنِ نُبَاتَةَ الْمِصْرِيُّ الأَصْلِ ثمَّ الدِّمشقي :

يَا خَــــاتَمَ الرُّسْلِ لِي فِي الْمُذْنِبِينَ ... غَداً عَلَــى شَفَاعَتِكَ الْغَرَّاءِ تَعْوِيلُ
إِنْ كَانَ كعبٌ بِمَا قَدْ قَالَ ضَيْفَكَ ... فِي دَارِ النَّعِيمِ فَلِي بِالْبَابِ تَطْفِيلُ
وَأَيْنَ كَابْنِ زهيرٍ لِــــي شَذَا كَلِمٍ ... رَبِيعُهَا بِغَمَــامِ الْقُرْبِ مَطْلُولُ
صَلَّى عَلَيْكَ الَّذِي أَعْطَــاكَ مَنْزِلَةً ... شَفِيعُهَا فِي مَقَـــامِ الْحَشْرِ مَقْبُولُ
أَنْتَ الْمَلاذُ لَنَا دُنْيَــــــا وَآخِرَةً ... فَبَـابُ قَصْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ مَأْهُولُ (٢)

(٢)

وقال الإمام أحمد بن علي بن عبد الكافي ، أبو حامد ، بهاء الدِّين السُّبكي (٧٧٣هـ) : " وأنا أسأل الله تعالى وأتضرَّع إليه ، وأتوسَّل إليه بمحمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فإنه أكرم خلقه عليه ، أن يسكنه وإيَّاى وسائر ذريته فى الجنَّة مكاناً مرفوعاً " (٣) .

وقال الإمام أحمد بن علي بن عبد الكافي ، أبو حامد ، بهاء الدِّين السُّبكي (٧٧٣هـ) :

بجاه رسول الله قد نلت كلّ ما ... أتى وسيأتى دائمــــاً بأمان
فصلّى عليه الله ما ذرّ شـــــارق ... وَسَلَّم مــــا دامت له الملوان (٤)

(٤)

وقال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمَّ الدِّمشقي (٧٧٤هـ) : " وَقَدْ رُوِّينَا أَنَّ عُمَرَ عَسَّ الْمَدِينَةَ ذات ليلة عَامِ الرَّمَادَةِ فَلَمْ يَجِدْ أَحَداً يَضْحَكُ ، وَلَا يَتَحَدَّثُ النَّاس فِي مَنَازِلِهِمْ عَلَى الْعَادَةِ ، وَلَمْ ير سَائِلاً يَسْأَلُ ، فَسَأَلَ عَنْ سَبَبٍ ذَلِكَ فَقِيلَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ السُّؤَّالَ سَأَلُوا فَلَمْ يُعْطَوْا فَقَطَعُوا السُّؤَالَ ،

(١) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٢٢٨) .

(٢) انظر : معجم الشيوخ (ص٤٦٢) .

(٣) انظر : عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (١/ ٣٠) .

(٤) انظر : عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (١/ ٢٧٢) .

والنَّاس فِي هَمٍّ وَضِيقٍ فَهُمْ لَا يَتَحَدَّثُونَ وَلَا يَضْحَكُونَ . فَكَتَبَ عُمَرُ إلى أَبِي مُوسَى بِالْبَصْرَةِ أَنْ يَا غَوْثَاهُ لِأُمَّةِ محمَّد . وَكَتَبَ إلى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بِمِصْرَ أَنْ يَا غَوْثَاهُ لِأُمَّةِ محمَّد . فَبَعَثَ إِلَيْهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِقَافِلَةٍ عَظِيمَةٍ تَحْمِلُ الْبُرَّ وَسَائِرَ الْأَطْعِمَاتِ ، وَوَصَلَتْ مِيرَةُ عَمْرٍو فِي الْبَحْرِ إلى جُدَّةَ وَمِنْ جُدَّةَ إلى مَكَّةَ . وَهَذَا الْأَثَرُ جَيِّدُ الْإِسْنَادِ ، لَكِنَّ ذِكْرَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فِي عَامِ الرَّمَادَةِ مُشْكِلٌ ، فَإِنَّ مِصْرَ لَمْ تَكُنْ فُتِحَتْ فِي سَنَةِ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ عَامُ الرَّمَادَةِ بَعْدَ سَنَةِ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ ، أَوْ يَكُونَ ذِكْرُ عمرو بن العاص في عام الرَّمادة وهم ، وَاللهُ أَعْلَمُ " (١) .

وقال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمَّ الدِّمشقي (٧٧٤هـ) : " وَقَالَ يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ ، عَنْ محمَّد بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِي خَلْدَةَ خَالِدِ بْنِ دِينَارٍ حدَّثنا أَبُو الْعَالِيَةِ ، قَالَ : لما افْتَتَحْنَا تُسْتَرَ وَجَدْنَا فِي مَالِ بَيْتِ الْهُرْمُزَانِ سَرِيراً ، عَلَيْهِ رَجُلٌ مَيِّتٌ ، عِنْدَ رَأْسِهِ مُصْحَفٌ ، فَأَخَذْنَا الْمُصْحَفَ فَحَمَلْنَاهُ إلى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَدَعَا لَهُ كَعْباً فَنَسَخَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ ، فَأَنَا أَوَّلُ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ قَرَأَهُ ، قَرَأْتُهُ مِثْلَ مَا أَقْرَأُ الْقُرْآنَ هَذَا . فَقُلْتُ لِأَبِي الْعَالِيَةِ (٩٠هـ) : مَا كَانَ فِيهِ ؟ قَالَ : سِيَرُكُمْ وَأُمُورُكُمْ وَلُحُونُ كَلَامِكُمْ وَمَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدُ . قُلْتُ : فَمَا صَنَعْتُمْ بِالرَّجُلِ ؟ قَالَ : حَفَرْنَا بِالنَّهَارِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ قَبْراً مُتَفَرِّقَةً ، فلمَّا كَانَ بِاللَّيْلِ دَفَنَّاهُ وَسَوَّيْنَا الْقُبُورَ كُلَّهَا ؛ لِنُعَمِّيَهُ عَلَى النَّاس فَلَا يَنْبِشُونَهُ . قُلْتُ : فَمَا يَرْجُونَ مِنْهُ ؟ قَالَ : كَانَتِ السَّماء إِذَا حُبِسَتْ عَنْهُمْ بَرَزُوا بِسَرِيرِهِ فَيُمْطَرُونَ . قُلْتُ : مَنْ كُنْتُمْ تَظُنُّونَ الرَّجُلَ ؟ قَالَ : رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ دَانْيَالُ . قُلْتُ : مُنْذُ كَمْ وَجَدْتُمُوهُ قَدْ مَاتَ ؟ قَالَ : مُنْذُ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ . قُلْتُ : مَا تَغَيَّرَ مِنْهُ شَيْءٌ ؟ قَالَ : لَا إِلَّا شَعَرَاتٌ مِنْ قَفَاهُ ؛ إِنَّ لُحُومَ الْأَنْبِيَاءِ لَا تُبْلِيهَا الْأَرْضُ وَلَا تَأْكُلُهَا السِّبَاعُ . وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إلى أَبِي الْعَالِيَةِ ، وَلَكِنْ إِنْ كَانَ تَارِيخُ وَفَاتِهِ مَحْفُوظاً مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ ، فَلَيْسَ بِنَبِيٍّ بَلْ هُوَ رَجُلٌ صَالِحٌ ؛ لِأَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم نَبِيٌّ، بِنَصِّ الْحَدِيثِ الَّذِي فِي الْبُخَارِيِّ وَالْفَتْرَةُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمَا أَرْبَعُمِائَةِ سَنَةٍ ، وَقِيلَ: سِتُّمِائَةٍ . وَقِيلَ : سِتُّمِائَةٍ وَعِشْرُونَ سَنَةً . وَقَدْ يَكُونُ تَارِيخُ وَفَاتِهِ مِنْ ثَمَانِمِائَةِ سَنَةٍ ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ وَقْتِ دَانْيَالَ إِنْ كَانَ كَوْنُهُ دَانْيَالَ هُوَ الْمُطَابِقَ لما فِي نَفْسِ الْأَمْرِ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ يَكُونُ رَجُلاً آخَرَ ؛ أَمَّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَوِ الصَّالحين ، وَلَكِنْ قَرُبَتِ الظُّنُونُ أَنَّه دَانْيَالُ ، لِأَنَّ دَانْيَالَ كَانَ قَدْ أَخَذَهُ مَلِكُ الْفُرْسِ ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ مَسْجُوناً ، كَمَا تَقَدَّمَ " (٢) .

وقال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمَّ الدِّمشقي (٧٧٤هـ) ، في ترجمة سَعْدُ بْنُ على ابن محمَّد بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ أَبُو الْقَاسِمِ الزَّنْجَانِيُّ (٤٧١هـ) : " رَحَلَ إلى الْآفَاقِ ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَ إِمَاماً

(١) انظر : البداية والنهاية (٧/ ٩٠) .

(٢) انظر : البداية والنهاية (٢/ ٣٧٦-٣٧٧) .

حَافِظاً مُتَعَبِّداً ، ثمَّ انْقَطَعَ فِي آخِرِ عُمْرِهِ بِمَكَّةَ ، وَكَانَ النَّاس يَتَبَرَّكُونَ بِهِ . قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ (٥٩٧هـ) : وَيُقَبِّلُونَ يَدَهُ أَكْثَرَ مِمَّا يُقَبِّلُونَ الحجر الأسود " (١) .

وقال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمَّ الدِّمشقي ، في ترجمة محمَّد بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، أَبُو شُجَاعٍ، الْمُلَقَّبُ ظَهِيرَ الدِّينِ، الرُّوذْرَاوِرِيُّ الْأَصْلِ الْأَهْوَازِيُّ (٤٨٨هـ) : " وَكَانَ كَثِيرَ التَّوَاضُعِ مَعَ النَّاس ، خَاصَّتِهِمْ وَعَامَّتِهِمْ ، ثمَّ عُزِلَ عَنِ الْوَزَارَةِ فَسَارَ إلى الْحَجِّ وَجَاوَرَ بِالْمَدِينَةِ ثمَّ مَرِضَ ، فلمَّا ثَقُلَ فِي الْمَرَضِ جَاءَ إلى الْحُجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهَّ ، قَالَ الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤] ، وَهَا أَنَا قَدْ جِئْتُكَ أَسْتَغْفِرُ اللهَّ مِنْ ذُنُوبِي وَأَرْجُو شَفَاعَتَكَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، ثمَّ مَاتَ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ رَحِمَهُ الله ، ودفن في البقيع " (٢) .

وقال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمَّ الدِّمشقي (٧٧٤هـ) : " ثمَّ ظَهَرَتْ عِنْدَنَا بِالْحَرَّةِ وَرَاءَ قُرَيْظَةَ عَلَى طَرِيقِ السُّوَارِقِيَّةِ بِالْمَقَاعِدِ مَسِيرَةً مِنَ الصُّبْحِ إلى الظُّهْرِ نَارٌ عَظِيمَةٌ تَنْفَجِرُ مِنَ الْأَرْضِ ، فَارْتَاعَ لَهَا النَّاس رَوْعَةً عَظِيمَةً ، ثمَّ ظَهَرَ لَهَا دُخَانٌ عَظِيمٌ فِي السَّماء يَنْعَقِدُ حَتَّى يَبْقَى كَالسَّحَابِ الأبيض ، فيصل إلى قَبْلِ مَغِيبِ الشَّمْسِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، ثمَّ ظَهَرَتِ النَّار لَهَا أَلْسُنٌ تَصْعَدُ فِي الهواء إلى السَّماء حمراء كأنها القلعة ، وَعَظُمَتْ وَفَزِعَ النَّاس إلى الْمَسْجِدِ النَّبوي وَإِلَى الْحُجْرَةِ الشَّرِيفَةِ ، وَاسْتَجَارَ النَّاس بِهَا وَأَحَاطُوا بِالْحُجْرَةِ وكشفوا رؤوسهم وَأَقَرُّوا بِذُنُوبِهِمْ وَابْتَهَلُوا إلى اللهَّ تَعَالَى وَاسْتَجَارُوا بِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام ، وَأَتَى النَّاس إلى الْمَسْجِدِ مِنْ كُلِّ فَجٍّ وَمِنَ النَّخْلِ ، وَخَرَجَ النِّسَاءُ مِنَ الْبُيُوتِ وَالصِّبْيَانُ ، وَاجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ وَأَخْلَصُوا إلى اللهَّ " (٣) .

وقال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمَّ الدِّمشقي (٧٧٤هـ) في ترجمة ابن تيمية : " ... تَقَدَّمَ فِي الصَّلاة عَلَيْهِ أولاً الشَّيخ محمَّد بْنُ تَمَّامٍ ، ثمَّ صُلِّيَ عَلَيْهِ بالجامع الأموي عقيب صلاة الظُّهر ، وقد تضاعف اجتماع النَّاس على ما تقدَّم ذكره ، ثمَّ تزايد الجمع إلى أن ضاقت الرِّحاب والأزقَّة والأسواق بأهلها ومن فيها ، ثمَّ حمل بعد أن يصلِّي عليه على الرُّؤوس والأصابع ، وخرج النعش به من باب البريد واشتدَّ الزِّحام وعلت الأصوات بالبكاء والنَّحيب والتَّرحُّم عليه والثَّناء والدُّعاء له ، وألقى النَّاس على نعشه مناديلهم

---

(١) انظر : البداية والنهاية (١٢/ ١٢٠) .

(٢) انظر : البداية والنهاية (١٢/ ١٨٥) .

(٣) انظر : البداية والنهاية (١٣/ ٢٢٢) .

وعمائمهم وثيابهم ، وذهبت النّعال من أرجل النَّاس وقباقيبهم ومناديل وعمائم لا يلتفتون إليها لشغلهم بالنَّظر إلى الجنازة ، وصار النَّعش على الرُّؤوس تارة يتقدَّم وتارة يتأخَّر ، وتارة يقف حتى تمر النَّاس ، وَخَرَجَ النَّاس مِنَ الْجَامِعِ مِنْ أَبْوَابِهِ كُلِّهَا وهي شديدة الزِّحام ، كلّ باب أشدّ زحمة من الآخر ، ثمَّ خرج النَّاس من أبواب البلد جميعها من شدَّة الزِّحام فيها ، لكن كان معظم الزِّحام مِنَ الْأَبْوَابِ الْأَرْبَعَةِ : بَابِ الْفَرَجِ الَّذِي أُخْرِجَتْ مِنْهُ الْجِنَازَةُ ، وَبَابِ الْفَرَادِيسِ ، وَبَابِ النَّصْرِ ، وَبَابِ الجابية .

وعظم الأمر بسوق الخيل وتضاعف الخلق وكثر النَّاس ، ووضعت الجنازة هناك وَتَقَدَّمَ لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ هُنَاكَ أَخُوهُ زَيْنُ الدِّين عبد الرَّحمن ، فلمّا قضيت الصَّلاة حمل إلى مَقْبَرَةِ الصُّوفِيَّةِ فَدُفِنَ إلى جَانِبِ أَخِيهِ شَرَفِ الدِّين عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُمَا الله ، وَكَانَ دفنه قبل العصر بيسير ، وذلك من كثرة من يأتي ويصلي عليه من أهل البساتين وأهل الغوطة وأهل القرى وغيرهم ، وأغلق النَّاس حَوَانِيتَهُمْ وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنِ الْحُضُورِ إلَّا من هو عاجز عن الحضور ، مع الترحم والدُّعاء له ، وأنَّه لو قدر ما تخلف ، وحضر نساء كثيرات بحيث حزرن بخمسة عشر ألف امرأة ، غير اللاتي كن على الأسطحة وغيرهن ، الجميع يترحمن ويبكين عليه فما قيل .

وأمَّا الرِّجال فحرزوا بستين ألفاً إلى مِائَةِ أَلْفٍ إلى أكثر من ذلك إلى مائتي ألف وشرب جماع الْمَاءَ الَّذِي فَضَلَ مِنْ غُسْلِهِ ، وَاقْتَسَمَ جَمَاعَةٌ بقية السدر الذي غسل به ، ودفع في الْخَيْطَ الَّذِي كَانَ فِيهِ الزِّئْبَقُ الَّذِي كَانَ في عنقه بسبب القمل مائة وخمسون درهماً ، وَقِيلَ إِنَّ الطَّاقِيَّةَ الَّتِي كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ دفع فيها خمسمائة درهماً .

وحصل في الجنازة ضجيج وبكاء كثير ، وتضرُّع ، وختمت له ختمات كثيرة بالصَّالحيَّة وبالبلد ، وَتَرَدَّدَ النَّاس إلى قَبْرِهِ أَيَّاماً كَثِيرَةً لَيْلاً ونهاراً يبيتون عنده ويصبحون ... " (١) .

فما رأيكم يا من تدَّعون السَّلفيَّة بصنيع أتباع ابن تيمية الذي نقله تلميذه ابن كثير بتقرير ومن غير نكير ؟!!! فهل تكفِّرون أتباع ابن تيمية على ما صنعوا من التَّبرُّك به أثناء تشييع جنازته ؟!!! أم أنَّ هذا الصَّنيع عندكم حتمٌ لازم بحقِّ من نعتُّموه بشيخ الإسلام مع أنَّه ( شرخ الإسلام ) لا شيخه ... أفيدونا ...

وقال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمَّ الدِّمشقي : " أجزل الله ثوابه ، وأحسن مآبه بمحمَّد وآله والصحابة آمين " (١) .

---

(١) انظر : البداية والنهاية (١٤/ ١٥٦-١٥٧) ، وللأسف فقد تمَّ حذف هذه الفقرة من نسخة البداية والنهاية الموجودة ضمن المكتبة الشاملة ، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م .

وقال الإمام ابن كثير القرشي البصري ثمَّ الدِّمشقي ، في حديثه عن النَّار التي ظهرت في الحجاز : " ... وَهَذِهِ النَّار فِي أَرْضٍ ذَاتِ حَجَرٍ لَا شَجَرَ فِيهَا وَلَا نَبْتَ ، وَهِيَ تَأْكُلُ بَعْضُهَا بَعْضاً إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ ، وَهِيَ تُحْرِقُ الْحِجَارَةَ وَتُذِيبُهَا ، حَتَّى تَعُودَ كَالطِّينِ الْمَبْلُولِ ، ثمَّ يَضْرِبُهُ الْهَوَاءُ حَتَّى يَعُودَ كَخَبَثِ الْحَدِيدِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الْكِيرِ ، فَاللَّهُ يَجْعَلُهَا عِبْرَةً لِلْمُسْلِمِينَ وَرَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، بمحمَّد وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ " (٢) .

أثبت الإمام ابن كثير في البداية والنِّهاية أنَّ الإمام ابن تيمية قال : " لا يُستغاث إلَّا بالله ، لا يُستغاث بالنَّبي استغاثة بمعنى العبارة ، وَلَكِنْ يُتَوَسَّلُ بِهِ وَيُتَشَفَّعُ بِهِ إلى اللهَّ " (٣) .

وقال الإمام عبد القادر بن محمَّد بن نصر الله القرشي ، أبو محمَّد ، محيي الدِّين الحنفي (٧٧٥هـ) : " ... وأسأل الله الْعَظِيم بجاه رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إتْمامه في خير وعافية " .

وقال أيضاً : " ... رزقنا الله مَا رزقه بجاه محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم " (٤) .

وقال الإمام خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدِّين الجندي المالكي المصري (٧٧٦هـ) : " أسألك بجاه النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم عيشة سويَّة ، وميتة نقيَّة " (٥) .

وقال الإمام خليل بن إسحاق بن موسى ، ضياء الدِّين الجندي المالكي المصري (٧٧٦هـ) : " ونسأل الله العظيم بجاه النَّبي الكريم أن يعصمنا منها، وأن يميتنا على الإسلام وهو راض عنَّا " (٦) .

وقال الإمام محمَّد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل ، الغرناطي الأندلسي ، أبو عبد الله ، الشَّهير بلسان الدِّين ابن الخطيب (٧٧٦هـ) ، في ترجمة علي بن أحمد بن خلف بن محمَّد بن الباذش الأنصاري : " ... ودفن بمقبرة باب البيرة ، وازدحم النَّاس على نعشه ، وكانت جنازته حافلة ، وتفجّع النَّاس على قبره . وقبره مشهور ، يتبرّك به النَّاس " (٧) .

---

(١) انظر : طبقات الشافعيين (ص٩٤) .

(٢) انظر : البداية والنهاية (١٣/ ٢٢٤-٢٢٥) .

(٣) انظر البداية والنهاية ( ١٤/ ٥١٢ ) .

(٤) انظر : الجواهر المضية في طبقات الحنفية (١/ ٣٥٣) (٢/ ٤٢) .

(٥) انظر : التوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب (٨/ ٦٢٠) .

(٦) انظر : التوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب (٨/ ٢١٥) .

(٧) انظر : الإحاطة في أخبار غرناطة (٤/ ٧٨) .

وقال الإمام لسان الدِّين بن الخطيب ، محمَّد بن عبد الله (٧٧٦هـ) : " اللهمَّ الإعانة على التَّمام بجاه سيِّد الأنام ، عليه أفضل الصَّلاة وأزكى السَّلام " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن عبد الرَّحمن بن عمر بن محمَّد بن عبد الله ، أبو حامد ، جمال الدِّين الحبيشي الوَصَابي الشَّافعي (٧٨٦هـ) :

بجاه رَسُول الله نسْأَل فاكفنا   عَلَيْهِ صَلَاة الله نوفي بهَا النَّظما (٢)

وقال الإمام علي بن محمَّد بن أحمد بن موسى ابن مسعود ، أبو الحسن ابن ذي الوزارتين ، الخزاعي (٧٨٩هـ) : " وأسأله متوسِّلاً بهذا الرَّسول الكريم عليه أن يصلِّي عليه في كلِّ وقت ويسلّم عليه وعلى آله وأصحابه" (٣) .

وقال الإمام سعد الدِّين التفتازاني الشَّافعي (٧٩١هـ) : " ... ولهذا ينتفع بزيارة القبور والاستعانة بنفوس الأخيار من الأموات في استنزال الخيرات واستدفاع الملمَّات ، فإنَّ للنَّفس بعد المفارقة تعلُّقاً ما بالبدن وبالتُّربة التي دفنت فيها ، فإذا زار الحيُّ تلك التُّربة ، وتوجَّهت تلقاء نفس الميِّت حصل بين النَّفسين ملاقاة وإفاضات ..." (٤) .

وقال الإمام إبراهيم بن علي بن محمَّد ، ابن فرحون ، برهان الدِّين اليعمري (٧٩٩هـ) : " وأخبرني جمال الدِّين : عبد الله بن محمَّد بن علي بن أحمد بن حديدة الأنصاري المحدث : أحد الصُّوفيَّة بخانقاه سعيد السّعيداء في سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ، قال : رحلنا مع شيخنا تاج الدِّين الفاكهاني (٧٣٤هـ) إلى دمشق فقصد زيارة نعل سيِّدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم التي بدار الحديث الأشرفيَّة بدمشق ، وكنت معه ، فلمَّا رأى النَّعل المكرَّمة حسر عن رأسه وجعل يقبله ويمرِّغ وجهه عليه ودموعه تسيل ، وأنشد :

فلو قيل للمجنون ليلى ووصلهـا   تريد أم الدُّنيا وما في طوايـاها
لقال غبار من تراب نعالهـا   أحبُّ إلى نفسي وأشفى لبلواها (٥)

---

(١) انظر : الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة (١/ ٢٥) .

(٢) انظر : نشر طيّ التعريف في فضل حملة العلم الشَّريف والرد على ماقتهم السخيف (ص٩٠) .

(٣) انظر : تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية (ص٧٩٨) .

(٤) انظر : شرح المقاصد في علم الكلام (٢/ ٤٣) .

(٥) انظر : الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (٢/ ٨١) .

وقال الإمام ابن الملقِّن سراج الدِّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشَّافعي المصري (٨٠٤هـ) : " نفع الله بالجميع بمحمَّد وآله ، وجعلهم مقرَّبين من رضوانه ، مبعدين من سخطه وحرمانه ، نافعين لكاتبهم وسامعهم نفعاً شاملاً في الحال والمآل ... " (١) .

وقال الإمام ابن الملقِّن سراج الدِّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشَّافعي المصري أيضاً : " أسأَلُ الله الْكَرِيم إِتْمَامه مصوناً عَاجلاً ، عَلَى أحسن الْوُجُوه ، وأبركها ، وأعمِّها ، وأنفعها ، وأدومها ، بمحمَّد وَآله " (٢) .

وقال الإمام ابن الملقن سراج الدِّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشَّافعي المصري أيضاً : " جعل الله ذَلِكَ خَالِصاً لوجهه ، بمحمَّد وَآله " (٣) .

وقال الإمام ابن الملقن سراج الدِّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشَّافعي المصري أيضاً : " ... أسأَلُ الله الْكَرِيم إِتْمَامه مصوناً عَاجلاً ، عَلَى أحسن الْوُجُوه ، وأبركها ، وأعمِّها ، وأنفعها ، وأدومها ، بمحمَّد وَآله " (٤) .

وقال الإمام ابن الملقِّن سراج الدِّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشَّافعي المصري أيضاً في ترجمة يحيى بن معاذ الرَّازي الواعظ أبو زكريَّا (٢٥٨هـ) : " أحد الأوتاد ، وكان أوحد وقته في فنه . مات سنة ثمان وخمسين ومائتين ، وقبره بنيسابور يُستسقى به ، ويُتبرّك بزيارته " (٥) .

وقال الإمام ابن الملقِّن سراج الدِّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشَّافعي المصري أيضاً : " أسأل الله الكريم إتمامه والنَّفع به بمحمَّد وآله " (٦) .

وقال الإمام ابن الملقِّن سراج الدِّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشَّافعي المصري أيضاً : " أدام الله النَّفْع بِعُلُومِهِ بمحمَّد وَآله آمين " (٧) .

---

(١) انظر : خلاصة البدر المُنير (١/ ٥) .

(٢) انظر : البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير (١/ ٣٤٤) .

(٣) انظر : البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير (٢/ ١٨٥) .

(٤) انظر : البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير (١/ ٣٤٤) .

(٥) انظر : طبقات الأولياء (ص٣٢١) .

(٦) انظر : الإعلام بفوائد عمدة الأحكام (١/ ١٣٢) .

(٧) انظر : غاية السول في خصائص الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم (ص٦٧) .

وقال الإمام أبو الفضل زين الدِّين عبد الرَّحيم بن الحسين بن عبد الرَّحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (٨٠٦هـ) ، في كلامه على حديث : " أُدْنُنِي مِنْ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ " : " ... وَفِيهِ اسْتِحْبَابُ مَعْرِفَةِ قُبُورِ الصَّالحين لِزِيَارَتِهَا وَالْقِيَامِ بِحَقِّهَا ، وَقَدْ ذَكَرَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لِقَبْرِ السَّيِّدِ مُوسَى – عَلَيْهِ السَّلام – عَلَامَةً مَوْجُودَةً فِي قَبْرٍ مَشْهُورٍ عِنْدَ النَّاس الْآنَ بِأَنَّهُ قَبْرُهُ وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمَوْضِعَ الْمَذْكُورَ هُوَ الَّذِي أَشَارَ إلَيْهِ النَّبي – عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام – ، وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ حِكَايَاتٌ وَمَنَامَاتٌ . وَقَالَ الْحَافِظُ الضِّيَاءُ : حدَّثني الشَّيخ سَالِمٌ التَّلُّ ، قَالَ : مَا رَأَيت اسْتِجْابَةَ الدُّعاء أَسْرَعَ مِنْهَا عِنْدَ هَذَا الْقَبْرِ ، وَحَدَّثَنِي الشَّيخ عَبْدُ اللهَّ بْنُ يُونُسَ الْمَعْرُوفُ بِالْأَرْمَنِيِّ أَنَّه زَارَ هَذَا الْقَبْرَ وأَنَّه نَامَ فَرَأَى فِي مَنَامِهِ قُبَّةً عِنْدَهُ وَفِيهَا شَخْصٌ أَسْمَرُ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ : أَنْتَ مُوسَى كَلِيمُ اللهَّ أَوْ قَالَ نَبِيُّ اللهَّ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، فَقُلْت : قُلْ لِي شَيْئاً فَأَوْمَى إلَيَّ بِأَرْبَعِ أَصَابِعَ وَوَصَفَ طُولَهُنَّ ، فَانْتَبَهْت فَلَمْ أَدْرِ مَا قَالَ ، فَأَخْبَرْت الشَّيخ ذَيَّالَ بِذَلِكَ ، فَقَالَ : يُولَدُ لَك أَرْبَعَةُ أَوْلَادٍ ، فَقُلْت : أَنَا قَدْ تَزَوَّجْت امْرَأَةً فَلَمْ أَقْرَبِهَا ، فَقَالَ : تَكُونُ غَيْرَ هَذِهِ فَتَزَوَّجْت أُخْرَى فَوَلَدَتْ لِي أَرْبَعَةَ أَوْلَادٍ " (١) .

وقال الإمام كمال الدِّين ، محمَّد بن موسى بن عيسى بن علي الدَّمِيري أبو البقاء الشَّافعي (٨٠٨هـ) : " نسأل الله تعالى الثبات عند الممات ، بمحمَّد وآله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم " (٢) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن محمَّد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد ، ولي الدِّين الحضرمي الإشبيلي (٨٠٨هـ) : " ... نسأله سبحانه وتعالى من فيض فضله العميم ، ونتوسَّل إليه بجاه نبيِّه الكريم ، أن يرزقنا إيماناً دائماً ، وقلباً خاشعاً ، وعلماً نافعاً ، ويقيناً صادقاً ، وديناً قيماً ، والعافية من كلِّ بليَّة ، وتمام العافية ، ودوام العافية ، والشُّكر على العافية ... " (٣) .

وقال الإمام محمَّد بن موسى بن عيسى بن علي الدَّميري ، أبو البقاء ، كمال الدِّين الشَّافعي (٨٠٨هـ) : " وكان رجل من عباد الله الصَّالحين الموحِّدين يصحب إبراهيم بن أدهم رضي الله تعالى عنه ، فقال له : علمني اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى ، فقال : قل هذه الكلمات صباحاً ومساء ، فإنَّه ما دعا بهنَّ خائف ، إلَّا أمن ، ولا سائل إلَّا أعطاه الله مسألته ، وهي هذه الكلمات : يا من له وجه لا يبلى ، ونور لا

---

(١) انظر : طرح التثريب في شرح التقريب (٣/ ٣٠٣) .

(٢) انظر : النجم الوهاج في شرح المنهاج (٣/ ١٢) .

(٣) انظر : ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (٦/ ٤٩) .

يطفى ، واسم لا ينسى ، وباب لا يغلق ، وستر لا يهتك ، وملك لا يفنى ، أسألك وأتوسَّل إليك بجاه محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أن تقضي حاجتي وتعطيني مسألتي " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن موسى بن عيسى بن علي الدّميري ، أبو البقاء ، كمال الدِّين الشَّافعي أيضاً : " ... نصره الله نصراً عزيزاً ، وفتح له فتحاً مبيناً ، بمحمَّد وآله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم والحمد لله وحده " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن موسى بن عيسى بن علي الدَّميري ، أبو البقاء ، كمال الدِّين الشَّافعي أيضاً : " ... فنسأل الله التَّوفيق والهداية والأمانة على الإيمان به وبرسوله ، والاعتقاد الحسن في أوليائه وأصفيائه ، بمحمَّد وآله " (٣) .

وقال الإمام محمَّد بن موسى بن عيسى بن علي الدَّميري ، أبو البقاء ، كمال الدِّين الشَّافعي أيضاً : " ... أسألك وأتوسَّل إليك بجاه محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أن تقضي حاجتي وتعطيني مسألتي ، بمحمَّد وآله " (٤) .

.

وقال الإمام محمَّد بن موسى بن عيسى بن علي الدَّميري ، أبو البقاء ، كمال الدِّين الشَّافعي أيضاً : " نسأل الله تعالى السَّلامة ، وحسن الخاتمة ، بجاه سيِّدنا محمَّد وآله " (٥) .

وقال الإمام أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب ، أبو العبَّاس القسنطيني ، ابن قنفذ (٨١٠هـ) : " وَمن توسَّل إِلَيْهِ بمحمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم نجاه ونفعه " (٦) .

وقال الإمام علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن ابن وهاس الخزرجي الزَّبيدي ، أبو الحسن موفَّق الدِّين (٨١٢هـ) : " خلَّد الله ملكه ، وأبقى عدله وزاد كلّ يوم دولته بمحمَّد وآله" (٧) .

وقال الإمام علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن ابن وهاس الخزرجي الزَّبيدي ، أبو الحسن موفق الدِّين أيضاً : " ... وفي هذه الواقعة يقول القسم بن علي بن هُتَيْملٍ يمدح السُّلطان الملك المظفَّر : ...

---

(١) انظر : حياة الحيوان الكبرى (١/ ٥٩) .

(٢) انظر : حياة الحيوان الكبرى (١/ ١٥١) .

(٣) انظر : حياة الحيوان الكبرى (١/ ١٥١) .

(٤) انظر : حياة الحيوان الكبرى (١/ ٣١٧) .

(٥) انظر : حياة الحيوان الكبرى (١/ ٣١٧) .

(٦) انظر : وسيلة الإسلام بالنَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام (ص٣١) .

(٧) انظر : العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية (٢/ ٢٠٥) .

| | |
|---|---|
| أحييتهُ بالعفو ثمَّ لقيتـــــــــــهُ | ببشاشةٍ وسكينةٍ ووقـــــــــار |
| ووهبتهُ دمهُ بجـــــــاه محمَّد | ورضى عليّ وجعفر الطيـــــــار |
| لو أن غيرك يا مظفر صـــــــادهُ | لكساهُ ثوبي ذلة وصغـــــــار (١) |

وقال الإمام أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثمَّ القاهري (٨٢١هـ) : " وأمَّا الكتب التي تكتب إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بعد وفاته ، فقد جرت عادة الأمَّة من الملوك وغيرهم بكتابة الرِّسائل إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بعد وفاته بالسَّلام والتَّحيّة والتَّوسُّل والتشفّع به إلى الله تعالى في المقاصد الدّنيويَّة والأخرويَّة ، وتسييرها إلى تربته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم . وأكثر النَّاس معاطاة لذلك أهل المغرب لبعد بلادهم ، ونزوح أقطارهم " (٢) .

وقال الإمام أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثمَّ القاهري أيضاً : " ... تقبَّلها الله تعالى من المملوك ومن كلِّ داع مخلص ، ببقاء مولانا ملك الأمراء ، أو بدوام أيَّام مولانا ملك الأمراء ، وخلود سعادته ، ومزيد تأييده ، وعلوّ درجاته في الدُّنيا والآخرة ، بمحمَّد وآله " .

وقال القلقشندي أيضاً : " ... وهو من أكرم فريق ، بمحمَّد وآله " .

وقال القلقشندي أيضاً : " والله تعالى يكمّل توفيقه ، ويسهّل إلى نجح المقاصد طريقه ، بمحمَّد وآله "

وقال القلقشندي أيضاً : " أدام الله تعالى النَّفع به وببركته ، وأشركنا والمسلمين في صالح أدعيته ، بمحمَّد وآله وصحبه وعترته " .

وقال القلقشندي أيضاً : " أشكر الله وأحمد ، بمحمَّد وآله " (٣) .

وقال الإمام الفقيه تقي الدِّين أبي بكر الحصني الدِّمشقي الشَّافعي (٨٢٩هـ ) : " ... والمراد أنَّ الاستغاثة بالنَّبي ، واللواذ بقبره مع الاستغاثة به كثير على اختلاف الحاجات ، وقد عقد الأئمَّة لذلك باباً ، وقالوا : إنَّ استغاثة من لاذ بقبره ، وشكى إليه فقره وضرَّه ، تُوجب كشف ذلك الضرِّ بإذن الله تعالى" (٤) .

وقال الإمام محمَّد بن أحمد بن علي ، تقي الدِّين ، أبو الطيِّب المكِّي الحسني الفاسي (٨٣٢هـ) : " فالله تعالى يثيبه ويحسن إليه ويجزيه خيراً بمحمَّد وآله أجمعين " (١) .

---

(١) انظر : العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية (١/ ١٧٣) .

(٢) انظر : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (٦/ ٤٥٨) .

(٣) انظر : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (٨/ ١٧٨) ، (١١/ ٣٠٢) ، (١٢/ ٣٦١) ، (١٤/ ٣٦٧) ، (١٤/ ٣٧٢) بالترتيب .

(٤) انظر : دفع شبه من شبه وتمرد (ص٨٩) .

وقال الإمام محمَّد بن أحمد بن علي ، تقي الدِّين ، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي أيضاً : " وأسأل الله أن يوفِّقني في ذلك للسَّداد ، وأن يسعفني ومن أصلح فيه خللاً نيل المراد ، بمحمَّد سيِّد المرسلين وآله وصحبه الآكرمين " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن أحمد بن علي، تقي الدِّين ، أبو الطيِّب المكي الحسني الفاسي أيضاً : " ... ونسأل الله أن يسعفه بمطلوبه بمحمَّد سيِّد المرسلين وأله وصحبة الصَّفوة الأكرمين " (٣) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير ابن الجزري ، محمَّد بن محمَّد بن يوسف ( ٨٣٣هـ) في ترجمة الإمام عبد الله بن المبارك : " ... وتوفِّي في شهر رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة ، وقبره بـ هيت (٤) معروف يُزار ، زرته ، وتبرَّكت به " (٥) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير ابن الجزري ، محمَّد بن محمَّد بن يوسف ( ٨٣٣هـ) في ترجمة الإمام الشَّافعي : " وقبره بقرافة مصر مشهور ، والدُّعاء عنده مستجاب ، ولمَّا زرته قلت :

زرتُ الإمام الشَّافعي لأنَّ ذلك نافعـــــي

لأنال منه شفاعــــــة أكرم به من شافع (٦)

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير ابن الجزري ، محمَّد بن محمَّد بن يوسف (٨٣٣هـ) ، في ترجمة إسماعيل بن محمَّد بن عبد الله التّستري (٧٤٨هـ) : " ... شيخ القرَّاء ، العلَّامة الأوحد ، الأستاذ ، المقرئ ، النَّحوي ، الأصولي ، الشَّافعي ، برع في القراءات ، والأصول ، والعربيَّة ، وكان شيخ القراءات بالمدرسة الفاضليَّة ، مشهوراً بحُسن القراءة ، وجودة الأداء ، انتفع به جماعة ، قرأ القراءات وأجادها على الشّطنوفي والصَّايغ وجماعة ، وأخذ العربيَّة عن جماعة ، وصحب القونوي ، وأخذ عنه العربيَّة والأصول وغير ذلك ، وكان والده من كبار الأولياء مدفون بـ تستر (٧) ينعت بالشَّيخ تاج الدِّين البناكتي ، يُزار ويتبرَّك به " (١) .

---

(١) انظر : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام (١/ ٤٥١) .

(٢) انظر : ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد (١/ ٣٣) .

(٣) انظر : ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد (١/ ٦٩) .

(٤) بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار ذات نخل كثير وخيرات واسعة، وهي مجاورة للبرّية . انظر : معجم البلدان (٥/ ٤٢١) .

(٥) انظر : غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٤٤٦) .

(٦) انظر : غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٩٦-٩٧) .

(٧) أعظم مدينة بخوزستان اليوم . انظر : معجم البلدان (٢/ ٢٩) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير ابن الجزري ، محمَّد بن محمَّد بن يوسف أيضاً ، في ترجمة الإمام الشَّاطبي (٥٩٠هـ) : " ... ودفن بـ القرافة بين مصر والقاهرة بمقبرة القاضي الفاضل عبد الرَّحيم البيساني ، وقبره مشهور معروف يقصد للزِّيارة ، وقد زرته مرَّات وعرض عليَّ بعض أصحابي الشَّاطبيَّة عند قبره ، ورأيت بركة الدُّعاء عند قبره بالإجابة – رحمه الله ورضي عنه " (٢) .

وقال الإمام ابن حجّة الحموي ، تقي الدِّين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (٨٣٧هـ) : " ... وأعاد علينا من بركاته في الدُّنيا والآخرة ، بمحمَّد وآله " (٣) .

وقال الإمام محمَّد بن عبد الله أبي بكر بن محمَّد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدِّمشقي الشَّافعي ، شمس الدِّين ، الشَّهير بابن ناصر الدِّين (٨٤٢هـ) : " وابتدأت من ذَلِك بالمحمَّدين تبرُّكاً باسم سيِّد المُرْسلين صلوَات الله وَسَلَامه عَلَيْهِم أَجْمَعِينَ " (٤) .

وقال الإمام محمَّد بن عبد الله أبي بكر بن محمَّد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدِّمشقي الشَّافعي ، شمس الدِّين ، الشَّهير بابن ناصر الدِّين أيضاً : " فرغ مِنْهَا كِتَابَة بعد أَن تشرَّف بهَا مطالعة ، متوسِّلاً بِمن ألفت فِيهِ صلوَات الله وَسَلَامه عَلَيْهِ إِلى الله تَعَالَى أَن يغْفر ذنُوبه " (٥) .

وقال الإمام شمس الدِّين محمَّد بن عمار بن محمَّد بن أحمد المصري المالكي المعروف بابن عمَّار (٨٤٤هـ) : " ... كما أنشدني بلفظه بالثَّغر المحروس الإسكندرية عام واحد وتسعين وسبعمائة شيخنا الرّحلة والمعمّر بهاء الدِّين عبد الله المخزومي الدّماميني من قصيدة يمدح فيها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ويشكو له من ظَلَمَه مطلعها :

فؤاد لأطلال المحصَّب شـــــــائقٌ ونفس لها منه شهيد وســـــــــــائق

إلى أن قال :

وقمت بجــــــاه القبر يسمعني الذي له نسب في ذروة المجد شـــــاهق

---

(١) انظر : غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ١٦٨) .

(٢) انظر : غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٢٣) .

(٣) انظر : خزانة الأدب وغاية الأرب (١/ ٢٢٧) .

(٤) انظر : الرد الوافر (ص٢٥) .

(٥) انظر : سلوة الكئيب بوفاة الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم (ص٢٠٩) .

وقلت أغثني يا أماني فإننـــــــــــي بنصرك قلبي في البرية واثـــــــــقُ
وقد ذهب الأعداء إلَّا بها لـــــــــه وباطلها في جنب حقك زاهـــــــــقُ
جعلتك قصدي والمهيمن حــــاكمٌ وأنت شفيـــــــــــع الخلق والله رازقُ
وقلت لخصمي إذ تجردت شاكياً تأنَّى فقد حقت لدينا الحقائـــــــــــقُ
تأنَّى فهذا منزلٌ منزلٌ فيــه حاكمٌ عن الله عن جبريل بالحق ناطقُ
شكوت ولا شك بانك نــــاصرٌ ولا شك بين النَّاس أني صادقُ
ومن يك بالباب المعظـــــــــــم لائذٌ يدور عليه من حلاه المنــــــــاطــق (١)

(١)

وقال الإمام أحمد بن علي بن عبد القادر ، أبو العبَّاس الحسيني العبيدي ، تقي الدِّين المقريزي (٨٤٥هـ) : " ... تم ذلك على يد جامعه ومنشئه أحمد بن عبد القادر بن محمَّد المقريزى الشَّافعي – غفر الله ذنبه وستر عيبه بجاه سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه " (٢) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن محمَّد بن عَليّ بن أبي بكر بن عَليّ بن محمَّد بن أبي بكر ابْن عبد الله بن عمر بن عبد الرَّحمن بن عبد الله أَبُو محمَّد النَّاشِرِيّ (٨٤٨هـ) :

بجاه عريض الجاه والعالي الشان محمَّد المُخْتَار من آل عدنان (٣)

وقال الإمام شمس الدِّين محمَّد بن كميل المنصوري الشَّافعي (٨٤٨هـ) :

يا سيِّدي يا رسولَ الله خُذ بِيَدي فأنتَ قَصْدي وأنتَ السُّــؤلُ والأرَبُ
يا صاحبَ النَّجدةِ العُظمَى لِمُعْتَلِقٍ بِجــاهِه ولذاكَ اليـــومِ أرتَقِـبُ (٤)

(٤)

وقال الإمام أبو بكر بن أحمد بن محمَّد بن عمر بن قاضي شهبة (٨٥١هـ) في ترجمة أحمد بن علي بن أحمد بن بلال أبو بكر الهمداني : " والدُّعاء عند قبره مستجاب " (١) .

---

(١) انظر : مفتاح السعيدية في شرح الألفية الحديثية (ص٤٦٩) .

(٢) انظر : رسائل المقريزي (ص٢٥١) .

(٣) انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٤/ ١٤٠) .

(٤) انظر : المجموعة النبهانية ، ، (١/ ٤٨٤) .

وقال الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) : " ... بخير بمحمَّد وآله وصحبه وصلى الله على سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه وَسَلَّم " (٢) .

وقال الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشَّافعي أيضاً في شرحه لحديث الشَّفاعة : " فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ اسْتَغَاثُوا بِآدَمَ ، ثمَّ بِمُوسَى ، ثمَّ بمحمَّد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم " : " وَفِيهِ : أَنَّ النَّاس يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَسْتَصْحِبُونَ حَالَهُمْ فِي الدُّنيا مِنَ التَّوسُّل إلى اللهَّ تَعَالَى فِي حَوَائِجِهِمْ بِأَنْبِيَائِهِمْ " (٣) . وهذا صريح منه بأنَّ الاستغاثة هي نوع من أنواع التَّوسُّل...

وقال الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشَّافعي أيضاً : " ... وَفِيهِ اسْتِعْمَالُ آثَارِ الصَّالحين وَلِبَاسُ ملابسهم على جِهَة التَّبرُّك والتَّيمُّن بهَا " (٤) .

وذكر الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني أيضاً ، في ترجمة هَارُون بن عِيسَى بن مُوسَى الْأَزْرَقِيّ زين الدِّين أَبُو محمَّد ، من شعره :

رَجَوْت الله فِي عسري ويُسري … يفرّج كربتي ويشدّ أزري

بجاه محمَّد ويفكّ أسري … ويعتقني وشيبي من جحيم (٥)

وقال الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني أيضاً : " ... وأحدث من يومئذ عقب صلاة الصُّبح التَّوسُّل بجاه النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، أمر القاضي الشَّافعي بذلك المؤذِّنين ففعلوه " (٦) .

وقال الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني أيضاً : " وقال الحاكم سمعت أبا علي النَّيسابوري ، يقول : كنت في غمٍّ شديد ، فرأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في المنام ، كأنَّه يقول لي : صِرْ إلى قبر يحيى بن يحيى ، واستغفر ، وسلْ تقض حاجتك ، فأصبحت ، ففعلت ذلك ، فقُضيت حاجتي " (٧) .

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني أيضاً : " أَحْسَنَ الله عَاقِبَتَهَا بمحمَّد وَآلِهِ " (١) .

---

(١) انظر : طبقات الشافعية (١/ ١٥٥) .

(٢) انظر : العجاب في بيان الأسباب (٢/ ٩٢١) .

(٣) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١/ ٤٤١) .

(٤) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٠/ ٣٣٠) .

(٥)انظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١ ٨٥٢هـ) .

(٦) انظر : إنباء الغمر بأبناء العمر (١/ ٢٦٠) .

(٧) انظر : تهذيب التهذيب (١١/ ٢٩٩) .

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني أيضاً : " ونسأل الله حسن الخاتمة بمحمَّد وآله " (٢) .

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني أيضاً : " وكبت أعداءه بمحمَّد وآله " (٣) .

وقال الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني أيضاً : " أبقاه الله تعالى ، وأدام النَّفع بعلومه بمحمَّد وآله آمين " (٤) .

وقال الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني أيضاً : " وقال الحاكم في تاريخ نيسابور ... وسمعت أبا بكر محمَّد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى يقول : خرجنا مع إمام أهل الحديث أبي بكر بن خزيمة وعديله أبي علي الثَّقفي مع جماعة من مشائخنا وهم إذ ذاك متوافرون إلى زيارة قبر علي بن موسى الرّضي بطوس . قال فرأيت من تعظيمه يعني بن خزيمة لتلك البقعة وتواضعه لها وتضرُّعه عندها ما تحيّرنا " (٥) .

قلت : وقد قامت الأيدي العابثة الأثيمة المجرمة الضَّالَّة المضلَّة بشطب الفقرة السَّابقة من كتاب " تهذيب التَّهذيب " الموجود في المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ... وقد عُدتُ للنُّسخة الورقيَّة من كتاب " تهذيب التَّهذيب " لابن حجر العسقلاني ، نشر : مطبعة دائرة المعارف النظامية ، الهند ، الطبعة : الأولى ، (١٣٢٦هـ) النُّسخة الورقيَّة ، وفيها النَّص السَّابق ، وقد نقلت عنها النَّصَّ السَّابق الذي فُقد من النُّسخة الموجودة في الشَّاملة ، وهذا يُثبت بلا مِرية أنَّ في الأمر إنَّ ، ولكنَّ ... وأنَّ الحذف مقصودٌ ، وأنَّه أمر دبِّر بليل ... وهذه هي أخلاق من يدَّعون السَّلفيَّة ...غشٌّ ، وكذبٌ ، وتدليسٌ ، وعبثٌ بكتب أهل العلم ...فإلى الله تعالى وحده المشتكى من أخلاق هذه الشِّرذمة القليلون الذين ما فتئوا يعبثون بكتب علماء الأمَّة وجهابيذها وأساطينها ... كما تمَّ شطبه من نسخة تاريخ نيسابور الموجودة في المكتبة الشَّاملة ... فتأمَّل يا رعاك الله ...

وقال الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني مخاطباً الحبيب المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم شعراً :

فاشفع لمادِحك الذي بِكَ يتَّقي   أهـــوالَ يوم الدِّين والتَّعذيب

---

(١) انظر : بُلُوغُ اَلْمَرَامِ مِنْ أَدِلَّةِ اَلْأَحْكَامِ (ص٦٠٧) .

(٢) انظر : نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار (٢/ ١٢٤) .

(٣) انظر : نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار (٢/ ١٣٠) .

(٤) انظر : التمييز في تلخيص تخريج أحاديث شرح الوجيز المشهور بـ التلخيص الحبير (ص٩١) .

(٥) انظر : تهذيب التهذيب (٧/ ٣٨٧-٣٨٨) .

فلأحمـــــدَ بنِ عليٍّ الأثَريِّ في ... مَأهُـولِ مَدحِك نَظْمُ كلِّ غريبِ
قد صحَّ أن ضَــناه زاد، وذنبُه ... أصلُ السِّقَام وأنتَ خيرُ طبيبِ
صلَّى عليـك وَسَلَّم اللهُ الذي ... أصل السّقام وأنت خير طبيب

وقال أيضاً :

يا سيِّدي يا رســولَ الله قد شَرُفَـتْ ... قصائدي بمديــحٍ فيك قد رُصِـــفا
مدحتُك اليوم أرجو الفضل منك غدًا ... من الشَّفاعة فالْحَـظْني بهـــا طرفـــا
ببــابِ جــودِك عبدٌ مذنِــبٌ كَلِفٌ ... يا أحسنَ النَّاس وجـهاً مشرقاً وقفـــا
بكُم توسَّلَ يرجو العفــوَ عن زلـلٍ ... مِن خَـــوفه جَفْنُه الهـــامي لقد ذَرَفـا

وقال أيضاً :

يا سيِّد الرُّسْل الذي فاق الورى ... بأْساً سمَا كلَّ الوُجودِ وَجُـــودا
هذي ضراعةُ مُذنِبٍ مُتمسِّــكٍ ... بولائــــكم مِن يومِ كان وليـــــدا
يرجـو بك المحيا السعيد وبعثه ... بعد المات إلى النعـــــيم شهودا
صلَّى عليــك وَسَلَّم اللهُ الذي ... أحيـــا بك الإيمـــان والتوحيدا

وقال أيضاً :

نبـــيَّ الله يا خيــــرَ البرايا ... بجـــاهك أتَّقي فصلَ القضـــاء
وأرجو يا كريــــم العفــو عما ... جنَــتْه يدايَ يا ربَّ الحِبَـــــاء
فقل يـــــا أحمدُ بنَ عليٍّ اذْهَبْ ... إلى دار النعيـــــــم بلا شقــاءِ
عليك ســلامُ ربِّ النَّــاس يتلو ... صلاةً في الصبـــــاح وفي المساء

وقال أيضاً :

وكم مُذنبٍ وَافَاه يطلب نجـدةً ... تُنَجِّيه في الأُخرى فأنجَى وأنْجَدَا
أيا خيرَ خلقِ الله دعــوةُ مذنبٍ ... تَخَوَّفَ مِن نار الجحيم تَوَقُّـــدا
له سندٌ عـــالٍ بمدحِك نَيِّـرٌ ... وبابُك أمسى منه أسْنَى وأَسْنـدا
وأنت لذي جنَّبْتَنا طـــارقَ الرَّدَى ... وأنت الذي عرَّفْتَنا طـــرق الهُدَى (١)

---

(١) انظر : ديوان الحافظ ابن حجر العسقلاني (ص١٠)،(ص١٦)،(ص٢٠)،(ص٢٦)،(ص٢٩) بالترتيب .

وقال الإمام شهاب الدِّين محمَّد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح : " حكي أنَّ غلماناً من أهل البحرين خرجوا يلعبون بالصّوالجة وأسقف البحرين قاعد ، فوقعت الكرة على صدره ، فأخذها ، فجعلوا يطلبونها منه فأبى ، فقال غلام منهم : سألتك بحقِّ محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إلَّا رددتها علينا ، فأبى لعنه الله وسبَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فأقبلوا عليه بصوالجهم ، فما زالوا يخبطوا حتى مات لعنة الله عليه ، فرفع ذلك إلى عمر رضي الله تعالى عنه ، فو الله ما فرح بفتح ولا غنيمة كفرحته بقتل الغلمان لذلك الأسقف ، وقال : الآن عزَّ الإسلام ، إنَّ أطفالاً صغاراً شُتم نبيُّهم فغضبوا له وانتصروا ، وأهدر دم الأسقف " (١) .

وقال الإمام شهاب الدِّين محمَّد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح : " ولَمَّا حججت وزرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، تطفَّلت على جنابه المعظم وامتدحته بأبيات مطولة ، وأنشدتها بين يديه بالحجرة الشَّريفة تجاه الصّندوق الشَّريف وأنا مكشوف الرَّأس ، وأبكي من جملتها :

يا سيِّد السَّادات جئتك قاصداً ... أرجو رضاك وأحتمي بحماكا
والله يا خير الخلائق إنَّ لي ... قلباً مشوقاً لا يروم سواكا
ووحقِّ جاهك إنَّني بك مغرم ... والله يعلم إنَّني أهواكا
أنت الذي لولاك ما خلق امرؤ ... كلّا ولا خلق الورى لولاكا
أنت الذي من نورك البدر اكتسى ... والشَّمس مشرقة بنور بهاكا
أنت الذي لَمَّا رفعت إلى السَّما ... بك قد سمت وتزيَّنت لسراكا
أنت الذي ناداك ربُّك مرحباً ... ولقد دعاك لقربه وحباكا
أنت الذي فينا سألت شفاعة ... ناداك ربُّك لم تكن لسواكا
أنت الذي لَمَّا توسَّل آدم ... من ذنبه بك فاز وهو أباك
وبك الخليل دعا فعادت ناره ... برداً وقد خمدت بنور سناكا
ودعاك أيُّوب لضرّ مسَّه ... فأزيل عنه الضّر حين دعاكا
وبك المسيح أتى بشيراً مخبراً ... بصفات حسنك مادحاً لعلاكا
وكذاك موسى لم يزل متوسِّلاً ... بك في القيامة مرتج لنداكا
والأنبياء وكلّ خلق في الورى ... والرُّسل والأملاك تحت لواكا

---

(١) انظر : المستطرف في كل فن مستطرف (ص٤٧١) .

لك معجزات أعجزت كلَّ الــورى | وفضائل جلَّت فليــس تحاكى
نطق الذِّراع بسُمِّه لك معلنـــــاً | والضَّبُّ قد لبَّاك حين أتاكـــا
والذِّئب جاءك والغزالــــــة قد أتت | بك تستجير وتحتمي بحماكا
وكذا الوحوش أتت إليك وسلَّمت | وشكا البعير إليك حين رآكا
ودعوت أشجاراً أتتك مطيعـــــة | وسعت إليك مجيبة لنداكــــــا
والماء فاض براحتيك وسبّحت | صمّ الحصى بالفضل في يمناكا
وعليك ظلَّلت الغمامة في الورى | والجذع حنَّ إلى كريم لقاكا
وكذاك لا أثر لمشيك في الثَّرى | والصَّخر قد غاصت به قدماكا
وشفيت ذا العاهات من أمراضه | وملأت كلَّ الأرض من جدواكا
ورددت عين قتادة بعد العمى | وابن الحصين شفيته بشفاكا
وكذا حبيب وابن عفرا عندما | جرحاً شفيتهما بلمس يداكا
وعلي من رمد به داويته | في خيبر فشفي بطيب لماكا
وسألت ربَّك في ابن جابر بعدما | قد مات أحياه وقد أرضاكا
ومسست شاة لأمّ معبد بعدما | نشفت فدرَّت من شفا رقياكا
ودعوت عام المحل ربَّك معلناً | فانهلّ قطر السّحب عند دعاكا
ودعوت كلَّ الخلق فانقادوا إلى | دعواك طوعاً سامعين نداكا
وخفضت دين الكفر يا علم الهدى | ورفعت دينك فاستقام هناكا
أعداك عادوا في القَليْب بجهلهم | صرعى وقد حرموا الرِّضا بجفاكا
في يوم بدر قد أتتك ملائك | من عند ربِّك قاتلت أعداكا
والفتح جاءك يوم فتحك مكة | والنصر في الأحزاب قد وافاكا
هود ويونس من بهاك تجمَّلا | وجمال يوسف من ضياء سناكا
قد فقت يا طه جميع الأنبيا | نوراً فسبحان الذي سوّاكا
والله يا ياسين مثلك لم يكن | في العالمين وحقّ من نبّاكا
عن وصفك الشُّعراء يا مدَّثر | عجزوا وكلُّوا عن صفات علاكا

إنجيل عيسى قد أتى بك مخبراً وأتى الكتاب لنا بمدح حلاكا
ماذا يقول المادحون وما عسى أن يجمع الكتّاب من معناكا
والله لو أنَّ البحار مدادهم والعشب أقلام جعلن لذاكا
لم تقدر الثَّقلان تجمع ذرَّة أبداً وما اسطاعوا له إدراكا
لي فيك قلب مغرم يا سيِّدي وحشاشة محشوّة بهواكا
فإذا سكتّ ففيك صمتي كلّه وإذا نطقت فمادح علياكا
وإذا سمعت فعنك قولا طيباً وإذا نظرت فلا أرى إلّاكا
يا مالكي كن شافعي من فاقتي إنّي فقير في الورى لغناكا
يا أكرم الثَّقلين يا كنز الورى جد لي بجودك وارضني برضاكا
أنا طامع في الجود منك ولم يكن لابن الخطيب من الأنام سواكا
فعساك تشفع فيه عند حسابه فلقد غدا مستمسكاً بعراكا
ولأنت أكرم شافع ومشفَّع ومن التجا لحماك نال وفاكا
فاجعل قراي شفاعة لي في غد فعسى أُرى في الحشر تحت لواكا
صلّى عليك الله يا خير الورى ما حنَّ مشتاقٌ إلى مثواكا
وعلى صحـــــابتك الكرام جميعهم والتَّـــــــابعين وكلّ من والاكا (١)

وجاء في كتاب " المعيار المعرب " لأبي العبَّاس أحمد بن يحي الونشريسي المالكي (٨٥٤هـ) ما نصّه : " وسئل بعض القرويين عمَّن نذر زيارة قبر رجل صالح أو حي ، فأجاب : يلزمه ما نذر وإن أعمل فيه المطي . ابن عبد البر : كلّ عبادة أو زيارة أو رباط أو غير ذلك من الطَّاعة غير الصَّلاة فيلزمه الإتيان إليه ، وحديث : " لا تُعْمَل المطي " مخصوص بالصَّلاة ، وأمَّا زيارة الأحياء من الإخوان والمشيخة ونذر ذلك والرّباط ونحوه فلا خلاف في ذلك ، والسنَّة تهدي إليه من زيارة الأخ في الله والرّباط في الأماكن التي يرابط بها ، وتوقَّف بعض النَّاس في زيارة القبور وءاثار الصَّالحين ، ولا يتوقَّف في ذلك لأنَّه من العبادات غير الصَّلاة ، ولأنَّه من باب الزِّيارة والتَّذكير لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " زوروا القبور فإنَّها تذكِّركم الموت " (٢) ، وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يأتي حراء

(١) انظر : المستطرف في كل فن مستطرف (ص٢٣٧-٢٣٨) .

(٢) أخرجه ابن ماجه (١/ ٥٠٠ برقم ١٥٦٩) ، بلفظ : " زُورُوا الْقُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الْآخِرَةَ " .

وهو بمكَّة ويأتي قباء وهو بالمدينة ، والخير في اتِّباعه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم واقتفاء آثاره قولاً وفعلاً لا سيَّما فيمن ظهرت الطَّاعة فيه " (١) .

وقد تضمَّن كلام الإمام الوانشريسي أنَّ التَّبرُّك بزيارة القبور قد قام عليه عمل المسلمين ، بعكس ما يراه من يدَّعون السَّلفيَّة الذي خالفوا مجموع الأمَّة التي لم يرَ علماؤها مانعاً يمنع من التَّوسُّل بالأنبياء والصَّالحين ...

وقال الإمام أبو محمَّد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدِّين العيني (٨٥٥هـ) : " وَقَالَ شَيخنَا زين الدِّين : وأمَّا قَول الشَّافعي : وَمهما قبل من الْبَيْت فَحسن ، فَإِنَّهُ لم يرد بالْحسنِ مَشْرُوعيَّة ذَلِك ، بل أَرَادَ إِبَاحَة ذَلِك ، والمباح من جملَة الْحسن ، كَمَا ذكره الأصوليون . قلت : فِيهِ نظر لَا يخفى ، وَقَالَ أَيْضاً : وأمَّا تَقْبِيل الْأَمَاكِن الشَّرِيفَة على قصد التَّبرُّك ، وَكَذَلِكَ تَقْبِيل أَيدي الصَّالحين وأرجلهم فَهُوَ حسن مَحْمُود بِاعْتِبَار الْقَصْد وَالنِّيَّة ، وَقد سَأَلَ أَبُو هُرَيْرَة الْحسن ، رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ ، أَن يكْشف لَهُ الْمَكَان الَّذِي قبله ، رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وَهُوَ سرته ، فَقبله تبركاً بآثاره وَذريته ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وَقد كَانَ ثَابت الْبنانِيّ لَا يدع يَد أنس ، رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ ، حَتَّى يقبلهَا ، وَيَقُول : يَد مست يَد رَسُول الله ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وَقَالَ أَيْضاً : وَأَخْبرنِي الْحَافِظ أَبُو سعيد ابْن العلائي ، قَالَ : رَأَيْت فِي كَلَام أَحْمد بن حَنْبَل فِي جُزْء قديم عَلَيْهِ خطّ ابْن نَاصِر وَغَيره من الْحفاظ ، أَنَّ الإِمَام أَحْمد سُئِلَ عَن تَقْبِيل قبر النَّبِي ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وتقبيل منبره ، فَقَالَ : لَا بَأْس بذلك ، قَالَ : فأريناه للشَّيْخ تَقِيّ الدِّين بن تَيْمِية فَصَارَ يتعجب من ذَلِك ، وَيَقُول : عجبت أَحْمد عِنْدِي جليل يَقُوله ؟ هَذَا كَلَامه أَو معنى كَلَامه ؟ وَقَالَ : وَأي عجب فِي ذَلِك وَقد روينَا عَن الإِمَام أَحْمد أَنَّه غسل قَمِيصاً للشَّافِعِيّ وَشرب المَاء الَّذِي غسله بِهِ ، وَإِذا كَانَ هَذَا تَعْظِيمه لأهل الْعلم فَكيف بمقادير الصَّحابة ؟ وَكَيف بآثار الْأَنْبِيَاء ، عَلَيْهِم الصَّلاة والسَّلام ؟ وَلَقَد أحسن مَجْنُون ليلى حَيْثُ يَقُول :

أَمرُّ على الدِّيـــــار ديار ليلى أقبـــِّـل ذَا الْجِدَار وَذَا الْجِدَارا
وَمَا حبُّ الدِّيار شغفن قلبِي وَلَكِن حبُّ من سكن الدِّيارا

وَقَالَ الُمحب الطَّبري (٦٩٤هـ) : وَيُمكن أَن يستنبط من تَقْبِيل الْحجر واستلام الْأَركان جَوَاز تَقْبِيل مَا فِي تقبيله تَعْظِيم الله تَعَالَى ، فَإِنَّهُ إِن لم يرد فِيهِ خبر بالندب لم يرد بِالْكَرَاهَةِ . قَالَ : وَقد رَأَيْت فِي بعض تعاليق جدي محمَّد بن أبي بكر ، عَن الإِمَام أبي عبد الله محمَّد بن أبي الصَّيف (٦٠٩هـ) : أَن بَعضهم كَانَ إِذا رأى الُمصَاحِف

(١) انظر : المعيار المعرب (٢/ ٨١-٨٢) .

قبلهَا، وَإِذا رأى أَجزَاء الحَدِيث قبلهَا ، وَإِذا رأى قُبُور الصَّالحين قبلهَا ، قَالَ : وَلَا يبعد هَذَا ، وَالله أعلم فِي كل مَا فِيهِ تَعْظِيم لله تَعَالَى " (١) .

وقال الإمام أبو محمَّد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدِّين العينى (٨٥٥هـ) : " فنسأل الله العظيم متوسِّلين بنبيِّه الكريم أن يحرسنا من شرِّ كلِّ ذي شرّ وحسد ، ومن عداوة كلّ ذي حقد ونكد " (٢) .

وقال الإمام كمال الدِّين محمَّد بن عبد الواحد السِّيواسي المعروف بابن الهمام (٨٦١هـ) : " الْمَقْصِدُ الثَّالِثُ : فِي زِيَارَةِ قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : قَالَ مَشَايِخُنَا رَحِمَهُمْ الله تَعَالَى: مِنْ أَفْضَلِ الْمَنْدُوبَاتِ وَفِي مَنَاسِكِ الْفَارِسِيِّ وَشَرْحِ الْمُخْتَارِ : أَنَّهَا قَرِيبَةٌ مِنْ الْوُجُوبِ لِمَنْ لَهُ سِعَةٌ ... ثمَّ يَقُولُ فِي مَوْقِفِهِ : السَّلام عَلَيْك يَا رَسُولَ اللهَّ ، السَّلام عَلَيْك يَا خَيْرَ خَلْقِ اللهَّ ، السَّلام عَلَيْك يَا خِيرَةِ اللهَّ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ ، السَّلام عَلَيْك يَا حَبِيبَ اللهَّ ، السَّلام عَلَيْك يَا سيِّد وَلَدِ آدَمَ ، السَّلام عَلَيْك أَيُّها النَّبي وَرَحْمَةُ اللهَّ وَبَرَكَاتُهُ يَا رَسُولَ اللهَّ ، إنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّك عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَشْهَدُ أَنَّك يَا رَسُولَ اللهَّ قَدْ بَلَّغْت الرِّسَالَةَ وَأَدَّيْت الْأَمَانَةَ وَنَصَحْت الأمَّة وَكَشَفْت الْغُمَّةَ، فَجَزَاك الله عَنَّا خَيْرًا، جازَاك الله عَنَّا أَفْضَلَ مَا جَازَى نَبِيّاً عَنْ أُمَّتِهِ ... وَيَسْأَلُ اللهَّ تَعَالَى حَاجَتَهُ مُتَوَسِّلاً إلى اللهَّ بِحَضْرَةِ نَبِيِّهِ – عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام –. وَأَعْظَمُ الْمَسَائِلِ وَأَهَمُّهَا سُؤَالُ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ وَالرِّضْوَانِ وَالْمَغْفِرَةِ ، ثمَّ يَسْأَلُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم الشَّفاعة فَيَقُولُ : يَا رَسُولَ اللهَّ أَسْأَلُك الشَّفاعة ، يَا رَسُولَ اللهَّ أَسْأَلُك الشَّفاعة وَأَتَوَسَّلُ بِك إلى اللهَّ فِي أَنْ أَمُوتَ مُسْلِماً عَلَى مِلَّتِك وَسُنَّتِك ، وَيَذْكُرُ كُلَّ مَا كَانَ مِنْ قَبِيلِ الِاسْتِعْطَافِ وَالرِّفْقِ بِهِ ... " (٣) .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن محمَّد ، أبو الفضل تقي الدِّين ابن فهد الهاشمي العلويّ الأصفوني ثمَّ المكيّ الشَّافعي (٨٧١هـ) : " فالله تعالى يُبقيه ويمتع الإسلام ويديم النَّفع به الأنام بجاه المصطفى سيِّدنا محمَّد عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام " (٤) .

---

(١) انظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٩/ ٢٤١) .

(٢) انظر : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (ص٢٠٨) .

(٣) انظر : فتح القدير (٣/ ١٧٩–١٨١) .

(٤) انظر : لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ (ص٢٠٥) .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن محمَّد ، أبو الفضل تقي الدِّين ابن فهد الهاشمي العلويّ الأصفوني ثمَّ المكِّيّ الشَّافعي : " ونعمة شاملة وأفراح بلا كدر كاملة بمحمَّد وآله " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن محمَّد ، أبو الفضل تقي الدِّين ابن فهد الهاشمي العلويّ الأصفوني ثمَّ المكيّ الشَّافعي : " تغمَّده الله تعالى برحمته وأسكنه فسيح جنَّته بمحمَّد وآله " (٢) .

وقال الإمام يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظَّاهري الحنفي ، أبو المحاسن ، جمال الدِّين (٨٧٤هـ) : " ولَّما كثر فساد المماليك الأجلاب عمل بعض الظُّرفاء بلّيقا ، ذكر فيه أفعال الأجلاب ومساوئهم ، واستطرد إلى أن قال في آخره :

فالله بجاه سيِّد عدنان عوّض لنا منك بإحسان (٣)

وقال الإمام يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظَّاهري الحنفي ، أبو المحاسن ، جمال الدِّين أيضاً : " عامله الله بعدله وألحق به من بقي من ذريَّته ليستريح كلّ أحد من هذه السُّلالة الملعونة ، بمحمَّد وآله " (٤) .

وقال الإمام يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظَّاهري الحنفي، أبو المحاسن ، جمال الدِّين أيضاً : " أدام الله نعمته ورحم سلفه بمحمَّد وآله وصحبه وَسَلَّم " .

وقال أيضاً : " نسأل الله تعالى حسن الخاتمة بمحمَّد وآله " .

وقال أيضاً : " أحسن الله عاقبته بمحمَّد وآله " .

وقال أيضاً : " أحسن الله عاقبته بمحمَّد وآله " (٥) .

وقال الإمام يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظَّاهري الحنفي ، أبو المحاسن ، جمال الدِّين : " فالله تعالى يحسن العاقبة بمحمَّد وآله " (٦) .

---

(١) انظر : لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ (ص٢٠٩) .

(٢) انظر : لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ (ص٢٢٠) .

(٣) انظر : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (١٦/ ١٦١) .

(٤) انظر : المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي (٧/ ٤٢٨) .

(٥) انظر : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (١/ ٤٥١) ، (١١/ ١٠٣) ، (١٥/ ٢٥٥) ، (١٦/ ٥٦) بالترتيب .

(٦) انظر : حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور (٢/ ٣٢٩) .

وقال الإمام أحمد بن إبراهيم بن محمَّد بن خليل ، موفَّق الدِّين ، أبو ذر سبط ابن العجمي (٨٨٤هـ) : " لطف الله تعالى به وبلَّغه إلى مأموله وعفا عنه وعن فروعه وأصوله بجاه مصطفاه ورسوله صَلَّى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه الكرام " .

وقال أحمد بن إبراهيم بن محمَّد بن خليل ، موفق الدِّين ، أبو ذر سبط ابن العجمي أيضاً :

سألتك الله بالمختـــــار سيِّدنا ... محمَّد ذي التُّقى والطُّهر والحسب
أن لا ترينـــــــــــا سرَّ حمنا ... ولا تعاملنا بالمقت والغضب
بجـــــــاه هذا النَّبي السيَّد السَّند ... الهادي الشَّفيع الرَّفيـع القدر والرُّتب (١)

وقال الإمام أحمد بن إبراهيم بن محمَّد بن خليل ، موفق الدِّين ، أبو ذر سبط ابن العجمي ، في ترجمة السُّلطان نور الدِّين الشَّهيد (٥٧٨هـ) : " قيل إنَّ الدُّعاء عند قبره مُستجاب " (٢) .

وقال الإمام إبراهيم بن عمر بن حسن الرّباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (٨٨٥هـ) : " جعل الفردوس مقرّه ومأواه بمحمَّد وآله " (٣) .

وفي ذكره لمجموعة من الفوائد قال الإمام علاء الدِّين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الصَّالحي الحنبلي (٨٨٥هـ) : " ... وَمِنْهَا : يَجُوزُ التَّوسُّل بِالرَّجُلِ الصَّالح ، عَلَى الصَّحيح مِنْ الْمَذْهَبِ ، وَقِيلَ : يُسْتَحَبُّ . قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : الْمَرُّوذِيُّ يَتَوَسَّلُ بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي دُعَائِهِ ، وَجَزَمَ بِهِ فِي الْمُسْتَوْعِبِ وَغَيْرِهِ ، وَجَعَلَهُ الشَّيخ تَقِيُّ الدِّين كَمَسْأَلَةِ الْيَمِينِ بِهِ ، قَالَ : والتَّوسُّل بِالْإِيمَانِ بِهِ وَطَاعَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ والصَّلاة والسَّلام عَلَيْهِ ، وَبِدُعَائِهِ وَشَفَاعَتِهِ ، وَنَحْوِهِ مِمَّا هُوَ مِنْ فِعْلِهِ أَوْ أَفْعَالِ الْعِبَادِ الْمَأْمُورِ بِهَا فِي حَقِّهِ : مَشْرُوعٌ إجْمَاعاً ، وَهُوَ مِنْ الْوَسِيلَةِ الْمَأْمُورِ بِهَا فِي قَوْله تَعَالَى : ﴿ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة : ٣٥] " (٤) .

---

(١) انظر : كنوز الذهب في تاريخ حلب (١/ ٤٥) ، (٢/ ١٠٨) ، بالترتيب .

(٢) انظر : كنوز الذهب في تاريخ حلب (١/ ٢٧٩).

(٣) انظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢/ ٣٨٤) .

(٤) انظر : الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٢/ ٤٥٦) .

وقال الإمام أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشّرجي ، زين الدِّين الزَّبيدي (٨٩٣هـ) : " والمسؤول من الله تعالى أن ينفع بذلك ويجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يصلح المقاصد والأعمال بجاه سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه أجمعين " (١) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن عبد السَّلام الصفُّوري (٨٩٤هـ) : " فنسأل اللهمَّ بجاه هذا النَّبي الكريم ، وبما كان بينك وبينه ليلة الحلوة والحلوة ، والتَّقريب والتَّعظيم ، أن تغفر لنا كل ذنب عظيم ، وتنظر إلينا بعين رحمتك يا رحيم ، وارزقنا شفاعته بفضلك وعلمك ورضاك يا أرحم الرَّاحمين ، يا رب العالمين ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وَسَلَّم " (٢) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي (٩٠٢هـ) في ترجمة الإمام إبراهيم بن محمَّد بن إبراهيم بن أحمد بن محمَّد بن محمَّد البرهان أبو إسحاق بن الشَّمس الخجندي المدني الحنفي (٨٩٧هـ) : " وسمعته ينشد ممَّا قاله وهو بالقاهرة لمَّا بلغه ما وقع من الحريق بالمسجد النَّبوي :

قلت بمصر جـاءنا خبر   وقد جرى بطيبة أمر مهول

خافت النَّار إلها فانتحت   تتشفع لائذة بالرَّســـول (٣)

وقال الإمام شهاب الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن أحمد بن محمَّد بن عيسى البرنسي الفاسي ، المعروف بـ زرُّوق (٨٩٩هـ) : " وأن ينفع به الخاصَّ والعام، بجاه محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام " (٤) .

وقال الإمام إبراهيم بن محمَّد بن محمود بن بدر ، برهان الدِّين ، أبو إسحاق الحلبي القبيباتي الشَّافعي النَّاجي (٩٠٠هـ) : " وبالله نستعين وعليه نتوكَّل ، وإليه بنبيّنا أشرف مرسل نتوسَّل في سلوك السَّبيل الأعدل ، والطَّريق الأمثل ، فهو سبحانه ذو الجلال الأكمل " (٥) .

---

(١) انظر : التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصَّحيح (ص١٥) .

(٢) انظر : نزهة المجالس ومنتخب النفائس (٢/ ١٢٦) .

(٣) انظر : التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (١/ ٨٣) .

(٤) انظر : شرح زروق على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني (١/ ١٠) .

(٥) انظر : عجَالة الإملاءِ المتَيسرةِ من التذنيب عَلى ما وقَع للحَافِظ المنذِري مِنَ الوَهْم وغيره في كِتابه الترغيب والترهيب (١/ ١٤٤) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي (٩٠٢هـ) في ترجمة عَليّ بن أَحْمد بن أبي بكر بن أَحْمد أَبُو الْحسن الْآدَمِيّ ثمَّ الْمصْرِيّ الشَّافعي (٧٦٦هـ) : " وَيُقَال : أَن الدُّعاء عِنْد قَبره مستجاب " (١) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي (٩٠٢هـ) في ترجمة محمَّد بن محمَّد بن عبد الله بن إبراهيم الشمس بن الشَّمس المسوفي الأصل المدني المالكي (٨٨٥هـ) أنَّه أنشد بحضرة السَّخاوي قصيدة مطلعها :

بجـــــاه النَّبي الْمُصْطَفـــى أتوسَّل ... إِلَى الله فِيمَـــــــــا أَبْتَغِـــي وأؤمِّل
وأقصد بَــــاب الْهَـــــــاشِمِي محمَّد ... وَفِي كلِّ حــــاجاتي عَلَيْهِ أعول
حللت حمى من لَا يُضــام نزيله ... فَعَنْهُ مدى مَـــــا دمت لَا أتحوَّل
أَقُول حَبِيبِي يَـــــــا محمَّد سيِّدي ... ملاذي عيــــــاذي من بِهِ أتوسَّل
عَسى نفحـــــــة يَا سيِّد الْخَلق أهتدي ... بهَا من ضلالي إِنَّنِــــي متعطِّـــــــل (٢)

(٢)

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي (٩٠٢هـ) ، في ترجمة محمَّد بن محمَّد بن إِسْمَاعِيل المغربي الأندلسي ثمَّ القاهري الْمَالِكِي وَيُعرف بالرَّاعي : " ... أنْشد قبيل مَوته بِشَهْر فِي حَال صِحَّته بعض أَصْحَابه من نظمه :

أفكر فِي موتِـــــي وَبعد فَضِيحَتِي ... فيحزن قلبي من عَظِيم خطيئتـــــي
وتبكي دَماً عَيْني وَحقَّ لَهَا البكا ... على سوء أفعــــــالي وَقلَّة حيلتـــي
وَقد ذَابَتْ أكبــــادي عناء وحسرة ... على بعد أوطـــاني وفقد محبتـــــي
فَمَالِي إِلَّا الله أرجــــــــوه دَائِماً ... وَلَا سِيمَا عِنْد اقتراب منيَّتـــــــــي
فأَسَأَل رَبِّي فِي وفاتـــــي مُؤمنـــــاً ... بجاه رَسُول الله خير الْبَرِيَّــــــــة (٣)

(٣)

(١) انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٥/ ١٦٤) .

(٢) انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٩/ ١١٥) .

(٣) انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٩/ ٢٠٤) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد السَّخاوي (٩٠٢هـ) : " وذكر الديلمي أنَّ علي بن موسى المذكور لما دخل نيسابور وهو في عمارته على بغلة شهباء ، خرج علماء البلد في طلبه : يحيى بن يحيى ، وإسحاق ابن راهويه ، وأحمد بن حرب ، ومحمَّد بن رافع ، فتعلَّقوا بلجامه ، فقال له إسحاق : بحقِّ آبائك الطَّاهرين حدَّثنا بحديث سمعته من أبيك ؟ فقال : حدَّثنا العبد الصَّالح أبي موسى بن جعفر ، وذكره " (١) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي (٩٠٢هـ) ، في ترجمة علي بن ناصر بن محمَّد بن أحمد النُّور أبو الحسن البلبيسي ثمَّ المكي الشَّافعي (ت: بعد ٩١٦هـ) : " سَائِلاً الله بجاه أَحْمد أَن يصلح الشَّأْن " (٢) .

وذكر الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي ، في ترجمة عبد الرَّحمن بن محمَّد بن عَليّ بن أبي بكر بن عَليّ بن محمَّد بن أبي بكر ابْن عبد الله بن عمر بن عبد الرَّحمن بن عبد الله أَبُو محمَّد النَّاشِرِيّ ، من شعره :

بجاه عريض الجاه والعالي الشان محمَّد الُمخْتَار من آل عدنان

وقال السَّخاوي أيضاً في ترجمة محمَّد بن محمَّد بن عبد الله بن إِبْرَاهِيم الشَّمْس بن الشَّمْس المسوفي الأَصْل الْمدنِي الْمَالِكِي : " وَمن نظمه مِمَّا كتبه إلى أَبيه بِخَطِّهِ وأنشده بحضرتي من لَفظه :

بجاه النَّبي الُمصْطَفى أتوسل ... إِلَى الله فِيمَا أَبْتَغِي وأؤمل
وأقصد بَاب الْهَاشِمِي محمَّد ... وَفِي كل حاجاتي عَلَيْهِ أعول
حللت حمى من لَا يضام نزيله ... فَعَنْهُ مدى مَا دمت لَا أتحول
أَقُول حَبِيبِي يَا محمَّد سيِّدي ... ملاذي عياذي من بِهِ أتوسل
عَسى نفحة يَا سيِّد الْخلق أهتدي ... بهَا من ضلالي إِنَّنِي متعطل

وقال السَّخاوي في ترجمة فَاطِمَة المدعوة ستيتة وَرُبمَا يُقَال لَهَا نَاجِية ابْنة القَاضِي كَمَال الدِّين مَحْمُود ابْن ابْن شيراين الْحَنَفِي : " قَالَه وَكتبه السَّخاوي محمَّد بن عبد الرَّحمن راجياً السّتْر والغفران متوسِّلاً بِسَيِّد ولد عدنان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم تَسْلِيماً كثيراً ، ثمَّ كتبت إلى سَائِلَة أَيْضاً بقولهَا :

أَنْتُم وَمن لَاذَ بكم فِي الورى ... بِحَقِّ ربٍّ بالخفايا عليم

(١) انظر : المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة (ص٢٢٩) ،

(٢) انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٦/ ٤٧) .

بجاه من أسرى بِهِ فِي الدُّجـى وَكَانَ للْمولى كليـــم نديم
مُحَمَّد المُخْتَـــــــار من هَاشم سيِّد سَادَات النّقـــا والحطيم (١)

(١)

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي أيضاً : " ... ومنهم : الشَّيخ زين الدِّين عبد الرَّحمن بن أحمد بن محمَّد بن أحمد البكري القاضي . فأنشدني مِنْ لفظه بحضرة الممدَّح عند عوده للقضاء قوله :

رعاهُ اللهَّ ما غَنَّت حمـــــــامٌ على عُودٍ بشَجوٍ مُستطــــــــابِ
وقلَّدَ حاسديه طــــــوقَ ذُلٍّ وصَيَّرهم بقلبٍ فـــــــي انقلابِ
بجـــــاهِ محمَّد خيرِ البرايا وأفضلِ مَنْ مَشَى فوق التُّـــرابِ
صلاةُ اللهَّ يتلوهــــــا سلامٌ عليه وآلِه ثمَّ الصِّحـــــابِ (٢)

(٢)

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي (٩٠٢هـ) أيضاً : " وأمَّا الصَّلاة في الأحوال كلِّها ومن تشفَّع بجاهه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وتوسل بالصلاة عليه بلغ مراده وأنجح قصده ، وقد أفردوا ذلك بالتَّصنيف ، ومن ذلك حديث عثمان بن حنيف الماضي ، وغيره ، وهذه من المعجزات الباقية على ممرِّ الدهور والأعوام ، وتعاقب العصور والأيام ، ولو قيل : إنَّ إجابات المتوسِّلين بجاهه عقب توسُّلهم يتضمَّن معجزات كثيرة بعدد توسُّلاتهم ، لكان أحسن ، فلا يطمع حينئذ في عدِّ معجزاته حاصر ، فإنَّه لو بلغ ما بلغ منها حاسر قاصر ، وقد انتدب لها بعض العلماء الأعلام فبلغ ألفاً ، وايم الله أنَّه لو أنعم النَّظر زاد منها آلافا تلفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم تسليماً كثيراً " (٣) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي أيضاً : " فاللهَّ تعالى يُبقيه ليُنتفع به ، بمحمَّد وآله " (٤) .

---

(١) انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٤/ ١٤٠) ، (٩/ ١١٥) ، (١٢/ ١٠٩-١١٠) بالترتيب .

(٢) انظر : الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر (١/ ٤٦٣) .

(٣) انظر : القَولُ البَدِيعُ في الصَّلاة عَلَى الحَبِيبِ الشَّفِيعِ (ص٢٤٠-٢٤١) .

(٤) انظر : الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر (١/ ٢٨٦) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي (٩٠٢هـ) أيضاً : " أدام اللهَّ به النَّفع بمحمَّد وآله " (١) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي أيضاً : " ... وروينا في جزء " تمثال النعال " لابن عساكر ؛ أن مثالَّ النعال الشَّريف إذا امسكته الحامل بيمينها وقد اشتد عليها الطلق تيسر أمرها بحول الله وقوته " (٢) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي أيضاً : " سيِّدنا محمَّد سيِّد الْأَنَامِ كُلِّهِمْ ، وَوَسِيلَتِنَا وَسَنَدِنَا وَذُخْرِنَا فِي الشَّدَائِدِ وَالنَّوَازِلِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم تَسْلِيماً كَثِيراً آمِينَ ، آمِينَ ، آمِينَ " (٣) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي أيضاً في ترجمة محمَّد بن محمَّد النّصاري الزّنوري المغربي الْمَالِكِي : " ثمَّ استوطن الْمَدِينَة منشداً قَوْله :

ببابكم حطَّ الْفَقِير رِحَالَه    وَمَا خَابَ عبد أمكُم متوسلاً " (٤)

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي أيضاً : " قَالَه وَكتبه السَّخاوي محمَّد بن عبد الرَّحمن راجياً السّتْر والغفران ، متوسِّلاً بِسَيِّد ولد عدنان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم تَسْلِيماً كثيراً " (٥) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي أيضاً : " ويبوئه من الفردوس الْأَعْلَى أَعلَى درجاته بمحمَّد وَآله وَأَصْحَابه وأزواجه وذرياته " (٦) .

وقال الإمام الحسين بن صديق بن الأهدل (٩٠٣هـ) :

يا مليح الوجه يا خير الورى    أنت بعد الله نعم المعتمد

---

(١) انظر : الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر (٢/ ٨٩٣) .

(٢) انظر : ذكره الحافظ السَّخاوي في الأجوبة المرضية فيما سئل السَّخاوي عنه من الأحاديث النبوية (١/ ٣٨٤) .

(٣) انظر : فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي (٤/ ٤٠٥) .

(٤) انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (١٠/ ٤٢) .

(٥) انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (١٢/ ١٠٩).

(٦) انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٨/ ٢٤) .

ربّ جنِّبنا بجـــاه المصطفى     كلَّ كدٍّ وبلاء ونكـــــد (١)

وقال الإمام عبد الوهَّاب بن عبد الرَّحمن البريهي السّكسكي اليمني (٩٠٤هـ) : " قُم فَاسْتَفْتَحَ بَاب الْفرج ... بمحمَّد الْبَدْر البهج " . وقال أيضاً : " نفع الله بهما وَأعَاد على الْجَمِيع من بركتهما بمحمَّد وَآله آمين " (٢) .

وقال الإمام علي بن يوسف بن علي بن أحمد، علاء الدِّين الدِّمشقي العاتكي الشَّافعي الشَّهير بالبصروي (٩٠٥هـ) : " اللهمَّ قرِّب الْفرج بمحمَّد وَصَحبه " (٣) .

وقال الإمام يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن ابن عبد الهادي الصَّالحي ، جمال الدِّين ، ابن المِبْرَد الحنبلي (٩٠٩هـ) : " نسأل الله التوفيقَ والهدايةَ والإماتة على الإيمان بالله وبرسوله، والإعتقاد الحسن في أوليائه وأصفيائه بمحمَّد وآله " (٤) .

وقال الإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السَّمهودي (٩١١هـ) : " ... وعن إسماعيل التيميّ ، قال : كان أبن المنكدر يصيبه الصمات ، فكان يقوم فيضع خده على قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فعوتب في ذلك ، فقال : أنَّه يستشفي بقبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم " (٥) .

وقال الإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشَّافعي ، نور الدِّين أبو الحسن السَّمهودي (٩١١هـ) أيضاً : " الفصل الثالث في توسّل الزائر وتشفُّعه به صَلَّى الله تعالى عليه وَسَلَّم إلى ربه تعالى ، واستقباله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في سلامه وتوسّله ودعائه : اعلم أنَّ الاستغاثة والتشفُّع بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وبجاهه وبركته إلى ربِّه تعالى من فعل الأنبياء والمرسلين ، وسير السَّلف الصَّالحين ، واقع في كلِّ حال ، قبل خلقه صَلَّى الله تعالى عليه وَسَلَّم وبعد خلقه ، في حياته الدنيوية ومدَّة البرزخ وعرصات القيامة " . وقال أيضاً : " وقد يكون التَّوسُّل به صَلَّى الله تعالى عليه وَسَلَّم بطلب ذلك الأمر منه ، بمعنى أنَّه صَلَّى الله تعالى عليه وَسَلَّم قادر على التسبب فيه

(١) انظر : معجم أعلام شعراء المدح النبوي (ص١٢٨) .

(٢) انظر : طبقات صلحاء اليمن ، المعروف بتاريخ البريهي (ص١١٣) ، (ص٢٤٨) .

(٣) انظر : تاريخ البصروي (ص١٥٧) .

(٤) انظر : صب الخمول على من وصل أذاه إلى الصَّالحين من أولياء الله (مطبوع ضمن مجموع رسائل ابن عبد الهادي) (ص١٠٠) .

(٥) انظر : خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (١/ ٤٥٨) .

بسؤاله وشفاعته إلى ربِّه فيعود إلى طلب دعائه وإن اختلفت العبارة . ومنه قول القائل له : أسألك مرافقتك في الجنَّة الحديث ، ولا يقصد به إلَّا كونه صَلَّى الله تعالى عليه وَسَلَّم سبباً وشافعاً " (١) .

وقال الإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السَّمهودي (٩١١هـ) أيضاً : " ... وفي كتاب العلل والسؤالات لعبد الله ابن أحمد بن حنبل : سألت أبي عن الرَّجل يمسّ منبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يتبرَّك بمسَّه وتقبيله ويفعل بالقبر مثل ذلك رجاء ثواب الله تعالى ، فقال : لا بأس به . قال العزّ بن جماعة : وهذا يُبطل ما نقل عن النَّووي من الإجماع . وقال السُّبكي : عدم المسح بالقبر ليس ممَّا قام الإجماع عليه ، وأستدلَّ في ذلك بما رواه يحيي بن الحسن عن عمر بن خالد عن أبي نباتة عن كثير بن يزيد عن المطلب بن عبد الله بن حنطب ، قال : أقبل مروان بن الحكم فإذا رجل ملتزم القبر ، فأخذ مروان برقبته ، قال : هل تدري ما تصنع ؟ فأقبل عليه ، فقال : نعم ، إني لم آت الحجر ولم آت اللبن ، وإنَّما جئت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وذكر الحديث الآتي من رواية أحمد ، لكن لم يصرِّح فيه برفعه في نسخة يحيي التي وقعت للسُّبكي ، وصرَّح برفعه في غيرها ، ثمَّ قال المطلب : وذلك الرَّجل أبو أيُّوب الأنصاري . قال السُّبكي : وعمر بن خالد لم أعرفه ، وأبو نباتة ومن فوقه ثقات ، فإن صحَّ هذا الإسناد لم يكره مسّ جدار القبر . قلت : رواه أحمد بسند حسن ، ولفظه : أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر ، فأخذ مروان برقبته ثمَّ قال : هل تدري ما تصنع ؟ فأقبل عليه ، فقال : نعم ، أني لم آت الحجر ، إنَّما جئت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ولم آت الحجر ، سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يقول : " لا تبكوا على الدِّين إذا وليه أهله ، ولكن أبكوا على الدِّين إذا وليه غير أهله " (٢) .

وذكر الإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشَّافعي ، نور الدِّين أبو الحسن السَّمهودي ، (٩١١هـ) ، أيضاً أخبار النَّار التي أضاءت لها أعناق الإبل في بصرى الشَّام ، فقال : " ، فتلك النَّار نعمة في صورة نقمة ، ولهذا وجلت منها القلوب وأشفقت ، وأيقن النَّاس أنَّ العذاب قد أحاط بهم . قال القاضي سنان : وطلعت إلى الأمير– وكان عز الدِّين منيف بن شيحة – وقلت له : قد أحاط بنا العذاب ، ارجع إلى الله ، فأعتق كلَّ مماليكه ، وردَّ على النَّاس مظالمهم – زاد القاشاني : وأبطل المكس – ثمَّ هبط الأمير للنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وبات في المسجد ليلة الجمعة وليلة السَّبت ، ومعه جميع أهل المدينة حتى النِّساء والصِّغار ، ولم يبق أحد في النَّخل إلَّا جاء إلى الحرم الشَّريف ، وبات النَّاس يتضرَّعون ويبكون ، وأحاطوا بالحجرة الشَّريفة كاشفين رؤوسهم ، مقرِّين

---

(١) انظر : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى (٤/ ١٩٣) ، (٤/ ١٩٥-١٩٦) ، بالترتيب .

(٢) انظر : خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (١/ ٤٥٦-٤٥٧) .

بذنوبهم ، مبتهلين ، مستجيرين بنبيهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم . قال القطب : ولمَّا عاين أمير المدينة ذلك أقلع عن المخالفة ، واعتبر ، ورجع عمَّا كان عليه من المظالم وانزجر ، وأظهر التَّوبة والإنابة ، وأعتق جميع مماليكه ، وشرع في ردِّ المظالم ، وعزم أهل المدينة على الإقلاع عن الإصرار وارتكاب الأوزار ، وفزعوا إلى التَّضرُّع والاستغفار ، وهبط أميرهم من القلعة مع قاضيهم الشَّريف سنان وأعيان البلد ، والتجؤوا إلى الحجرة الشَّريفة ، وباتوا بالمسجد الشَّريف بأجمعهم حتى النِّساء والأطفـال ؛ فصرف الله تعالى عنهم تلك النَّار العظيمة ذات الشِّمال ، ونجوا من الأوجال ..." (١) .

وقال الإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشَّافعي ، نور الدِّين أبو الحسن السَّمهودي أيضاً : " وتقدَّم أيضاً أنَّ بلالاً رضي الله تعالى عنه لما قدم من الشَّام لزيارة النَّبي صَلَّى الله تعالى عليه وَسَلَّم أتى القبر ، فجعل يبكي عنده ، ويمرِّغ وجهه عليه ، وإسناده جيد كما سبق .

وفي تحفة ابن عساكر من طريق طاهر بن يحيى الحسيني ، قال : حدَّثني أبي ، عن جدي ، عن جعفر بن محمَّد ، عن أبيه ، عن علي رضي الله تعالى عنه ، قال : لَمَّا رمس رسول الله صَلَّى الله تعالى عليه وَسَلَّم جاءت فاطمة رضي الله تعالى عنها ، فوقفت على قبره صَلَّى الله تعالى عليه وَسَلَّم ، وأخذت قبضة من تراب القبر ووضعت على عينيها وبكت ، وأنشأت تقول :

ماذا على من شمَّ تربة أحمد    أن لا يشمَّ مدى الزَّمان غواليا
صُبَّت عليّ مصائب لو أنَّها    صُبَّت على الأيام عُدنَ لياليـا (٢)

ولم ينكر عليها أحد من الصَّحابة صنيعها ...

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي (٩١١هـ) في ترجمة الإمام شمس الدِّين محمَّد بن أبي بكر بن عمر بن عمران بن نجيب الأنصاري السَّعدي الدّنجاوي (٩٠٣هـ) : " ومن نظمه وإنشاده عندي في الإملاء :

وإنَّ الفقير القادري لعـــــــــاجز    عن المدح في عليـــــاه إذ يتقصد
وقـاه إله العرش من كلِّ محنـــــــة    وما أضمرت يومـــاً عداه وحسد
بجاه رســـــــول الله أحمد مرسل    بأمداحه جـــــاء الكتاب الممجَّد

---

(١) انظر : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى (١/ ١١٦-١١٧) .

(٢) انظر : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى (٤/ ٢١٧-٢١٨) .

عليه مع الآل الكرام وصحبـــــــــه صلاة على طـــول المدى تتجدَّد [1]

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي أيضاً : " أعادنا الله إلى الإنْتِفَاع مِنْهَا كَمَا كُنَّا قَرِيباً بمحمَّد وَآله " [2] .

وقال أيضاً : " وأسال الله تعالى أن يقبضنا إلى رحمته قبل وقوع فتنة المائة التَّاسعة !! بجاه محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وصحبه أجمعين ، آمين" [3] .

وقال أيضاً في ترجمة إِبْرَاهِيم بن محمَّد بن إِبْرَاهِيم بن عَليّ بن محمَّد التنوخي (٧٢٦هـ) : " وَألقى الله عَلَيْهِ من الْقبُول والتَّعظيم مَا لم يعْهَد مثله ؛ وَكَانَ صادعاً بِالْحَقِّ ، غيوراً على الدِّين ، كثير الْخُشُوع ، ساعياً فِي حوائج النَّاس ... مولده فِي حُدُود سنة سبع وَسبعين وسِتمِائَة ، وَمَات يَوْم السَّبت سَابع الْمحرم سنة سِتّ وَعشْرين وَسَبْعمائة ، وقبره بِبَاب البيرة من غرناطة ، يَستسقي النَّاس بِهِ " [4] .

وقال أيضاً : " وأسال الله تعالى أن يقبضنا إلى رحمته قبل وقوع فتنة المائة التاسعة !! بجاه محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وصحبه أجمعين ، آمين " [5] .

وقال أيضاً : " أحسن الله عقباها بمحمَّد وآله آمين " [6] .

وقال أيضاً : " وَالْحَمْدُ للهَّ الَّذِي جَعَلَنَا مِنْ حُمَاةِ السُّنَّة بمحمَّد وَآلِهِ " [7] .

وقال أيضاً : " أَحْسَنَ الله خِتَامَهَا بمحمَّد وَآلِهِ أَجْمَعِينَ" [8] .

وقال أيضاً : " ... طالباً ممَّن نظر فيه دعوة خالصة في وقت استجابةٍ أن ينفعنا بهذا القرآن العظيم بجاه نبيِّه عليه أفضل الصَّلاة وأزكى التَّسليم " [9] .

---

(١) انظر : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (١/ ٥٧٧) .

(٢) انظر : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (١/ ٣٢٧) .

(٣) انظر : تاريخ الخلفاء (ص٣٦٩) .

(٤) انظر : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (١/ ٤٢٥) .

(٥) انظر : تاريخ الخلفاء (ص٣٦٩) .

(٦) انظر : الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (ص٢٢٦) .

(٧) انظر : الحاوي للفتاوي (٢/ ٥٥) .

(٨) انظر : الحاوي للفتاوي (٢/ ٣٠٧) .

(٩) انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (١/ ٦١).

وقال أيضاً : " اخلع علينا بُرد حزن ، حتى أقوم على ساق سبق توبة تكابد الحزن إلى يوم ألقاك بجاه مَنْ أنزلت عليه هذا الكتاب الشَّافع المشفّع ، الماحل المصدّق ، صَلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وَسَلَّم " (١) .

وقال أيضاً : " فلا تُزِغْ قلوبنا بعد إذْ هَدَيْتَنَا على صراطك القويم ، بجاه سيِّدنا ومولانا الفاتح الخاتم منقذنا من العذاب الأليم " (٢) .

وقال أيضاً: " عصمنا الله منها بجاه نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم " (٣) .

وقال أيضاً : " اللهمَّ اغفر لنا ولا تؤاخذنا بجاه نبينا وشفيعنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم " (٤) .

وقال أيضاً : " ... جعل الله لنا منها أوْفَر نصيب بجاه النَّبي الحبيب " (٥) .

وقال أيضاً : " أَثَابَكُمْ رَبُّكُمْ جَنَّاتِهِ كَرَماً ... بِجَاهِ خَيْرِ الْبَرَايَا أَشْرَفِ الرُّسُلِ " (٦) .

وقال أيضاً :

وَنِلْتَ جَنَّةَ عَدْنٍ يَوْمَ مَبْعَثِنَا ... بِجَاهِ خَيْرِ الْأَنَامِ الطَّاهِرِ النَّسَبِ " (٧)

وقال أيضاً :

أَثَابَكُمْ رَبُّكُمْ جَنَّاتِهِ كَرَماً ... بِجَاهِ خَيْرِ الْوَرَى الْمَبْعُوثِ مِنْ مُضَرِ " (٨)

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي :

أَثَابَكَ الله جَنَّاتِ النَّعِيم بِمَــا ... أَبَنْتَ مَنْ غُرَرٍ يُشْرِقْنَ كَالــدُّرَرِ

بِجَاهِ خَيْرِ الْوَرَى الْهَادِي لِأُمَّتِــهِ ... مِنَ الضَّلَالِ وَحَامِيهِمْ مِنَ الضَّرَرِ (٩)

(٩)

---

(١) انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (١/ ٣٨٧) .

(٢) انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (١/ ٣٩٠) .

(٣) انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (٢/ ١٥٦) .

(٤) انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (٢/ ٣٩٥) .

(٥) انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (٢/ ٤٢٩) .

(٦) انظر : الحاوي للفتاوي (١/ ١٢٩) .

(٧) انظر : الحاوي للفتاوي (١/ ٤٥٠) .

(٨) انظر : الحاوي للفتاوي (١/ ٤٥١) .

(٩) انظر : الحاوي للفتاوي (٢/ ٤٠٩) .

وقال أيضاً : " ... اللهمَّ إنا نستودعكها فأحْيِنا عليها ، وأَمِتْنا عليها ، وثبِّتْنا عند الحاجة إليها بجاه كلامك ونبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم " (١) .

وقال أيضاً : " فلا تؤاخذنا بذنوبنا ، وعامِلْنا بفضلك وكرامتك بجاه أكرم الخلق عندك ، وخيرتك صَلَّى الله عليه وعلى آله وَسَلَّم " (٢) .

وقال أيضاً : " ولا تؤاخذنا بأفعالنا ، لأنا علمنا أنك عفوٌّ تحبُّ العفو ، فاعْف عنا بجاهِ سيِّدنا ومولانا ومنقذنا من الهول العظيم صَلَّى اللهَ عليه وعلى آله أفضل صلاة وأزكى تسليم " (٣) .

وقال أيضاً : " وَاللهَّ أَسْأَلُ أَنْ يُعِينَ عَلَى إِكْمَالِهِ بمحمَّد وَآلِهِ " (٤) .

وقال أيضاَ : " ويا منجّي الهلْكَى بعد أن يئسوا ، أنقذْنا من هذا الوحل العظيم بجاه نبيِّك الكريم ، عليه أفضل صلاةٍ وأزكى تسليم " (٥) .

وقال أيضاً : " نسأله سبحانه السلامة والعافيةَ في ديننا ودنيانا ، بجاه نبينا وحبيبنا " (٦) .

وقال أيضاً : " ... ويا مَنْ رآني على الخطايا فلم يفْضَحْني ، أَقِلْ عثرتي بِجَاهِ نبيِّك الكريم عليك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم " (٧) .

وقال أيضاً : " فقيِّضْ لي مَنْ يشفع عندك ، أقسم عليك بجاهِ نبيِّك الكريم ، واسمك العظيم " (٨) .

وقال أيضاً : " اللهمَّ إني لم أسْتح منك ، وبارزتُ بالعظائم ، لكن رجائي فيك قويٌّ ، وتوسلتُ إليك بجاهِ النَّبي الأميّ صَلَّى الله عليه وعلى آله وَسَلَّم " (٩) .

---

(١) انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (٢/ ٤٨٥) .

(٢) انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (٢/ ٤٩٦) .

(٣) انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (٢/ ٥٧٠).

(٤) انظر : الإتقان في علوم القرآن (٤/ ٢٤٤) .

(٥) انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (٢/ ٦٣١) .

(٦) انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (٣/ ٣٧) .

(٧) انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السيوطي ، (٣/ ٣٤٩) .

(٨) انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (٣/ ٣٧١) .

(٩) انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (٣/ ٤١٤) .

وقال أيضاً : " لكنا نرجو من كرم الكريم العفْوَ عن اللئيم بجاهِ نبيه الكريم " (١) .

وقال أيضاً : " فهَبْ لي توبةً منك باقية ، واصرف أزمةَ الشهوات عني ، وامْح زينتها من قلبي بزينة الإيمان بجاه سيِّد الثقلين عليه أفضل صلاة وأزكى تسليم" (٢) .

وقال أيضاً : " ... أن يجعله نافعاً ولا يذهب ضَبعاً لَبْعاً ، وأن يعصمنا والناظر فيه ، ومَنْ دعا لنا من شرور أنفسنا ، ومِنْ سيئات أعمالنا بجاهِ سيِّدنا ومولانا محمَّد صَلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وَسَلَّم تسليما ما دامت أشهراً وجُمعاً ... تمَّ الكتابُ المباركُ الميمون المُسَمَّى بمعترك الأقران ، في إعجاز القرآن للإمام الحافظ السيوطي نفعنا الله به وبعلومه وسائرِ العلماء بجاهِ المفضَّل على أهل الأرض والسَّماء سيِّدنا ونبينا ومولانا محمَّد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم –، على يَدِ كاتبه لنفسه ثمَّ لمن شاء المولى بعده الحاج أحمد بن محمَّد المستغانمي منشأ ، الجزائري وطناً ، أصلح الله أحوالَه وسدَّد أقوالَه وأفعاله وَعقبه إلى يوم القيامة بجاه المدفون في تهامة ، لثمانية وعشرين يوماً مضت من شهر الله المعظم ذي القعدة عام (١١٠٦ هـ) " (٣) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السيوطي كما نقله العلَّامة النَّبهاني في " شواهد الحق" :

يا أكرمَ الرُّسْل يا من في إشــــارته ... حَوْزُ المُـــــنَى وبلوغُ القصـــد مِن أَمَمِ
ومن غدا في الورى توشيحُ مِلَّــتِه ... يزهو على الزَّاهِرَيْن الرَّوضِ والنُّجُـــمِ
تَعَطُّفاً لِمُحِـــبٍّ فيـــك ليــس له ... تَعَـــطُّفٌ عنــك معدود مِن الخَـــدَمِ
يا صاحبَ العَلَمِ الهادي لِقــاصده ... حسنَ البيان أَجِرْني في حِمَى العَلَـــمِ
فمطلَبي أنتَ أَوْلَى في النَّجــاح له ... وأنت أَدْرَى به يا مُسْبِغَ النِّعَـــمِ
من كان فيما عرى تجريد مقصده ... له رأى منـك حبلاً غير مُنفَصِـــــم
ومَن يَلُذْ بحِمَـاه وهـــو مَلْجَؤُنا ... فلا اعتراض بما يخشاه مِن نِقَـــــم
عليه منَّا صـــــــلاةٌ ما لها عددٌ ... تفصيـلُ مُجْمَلهــــــا يربو على الدِّم (٤)

(٤)

(١) انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (٣/ ٤١٩) .

(٢) انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (٣/ ٤٢٥) .

(٣) انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (٣/ ٥٢٣) .

(٤) انظر : شواهد الحق في الاستغاثة بسيِّد الخلق (ص٢٩٩) .

وقال الإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشَّافعي ، نور الدِّين أبو الحسن السَّمهودي ، في كتابه " وفاء الوفا " : " خاتمة : في نبذ مما وقع لمن استغاث بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّم أو طلب منه شيئاً عند قبره ، فأعطى مطلوبه ونال مرغوبه ، ممَّا ذكره الإمام محمَّد بن موسى بن النُّعمان في كتـــــابه : " مصباح الظَّلام في المستغيثين بخير الأنام " .

فمن ذلك ما قال : إتَّفق الجماعة من علماء سلف هذه الأمَّة من أئمَّة المحدّثين والصُّوفيَّة والعلماء بالله المحقِّقين ، قال محمَّد بن المنكدر : أودع رجل أبى ثمانين ديناراً وخرج للجهاد ، وقال لأبي : إن احتجت أنفقها إلى أن أعود ، وأصاب النَّاس جهد من الغلاء ، فأنفق أبي الدَّنانير ، فقدم الرَّجل وطلب ماله ، فقال له أبي : عُد إليَّ غداً ، وبات في المسجد يلوذ بقبر النَّبي صَلَّى الله تعالى عليه وَسَلَّم مرَّة وبمنبره مرَّة ، حتى كاد أن يصبح ، يستغيث بقبر النَّبي صَلَّى الله تعالى عليه وَسَلَّم ، فبينما هو كذلك وإذا بشخص في الظَّلام يقول : دونكها يا أبا محمَّد ، فمدَّ أبي يده فإذا هو بصرَّة فيها ثمانون ديناراً ، فلمَّا أصبح جاء الرَّجل فدفعها إليه .

وقال الإمام أبو بكر بن المقرئ : كنت أنا والطَّبراني وأبو الشَّيخ في حرم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، وكنَّا على حالة ، وأثَّر فينا الجُوع ، وواصلنا ذلك اليوم ، فلمَّا كان وقت العشاء حضرت قبر النَّبي صَلَّى الله تعالى عليه وَسَلَّم ، فقلت : يا رسول الله الجوع ، وانصرفت ، فقال لي أبو القاسم : اجلس ، فإمَّا أن يكون الرِّزق أو الموت ، قال أبو بكر : فقمت أنا وأبو الشَّيخ والطبراني جالس ينظر في شيء ، فحضر بالباب علوي ، فدقَّ ففتحنا له ، فإذا معه غلامان مع كلِّ واحد زنبيل فيه شيء كثير ، فجلسنا وأكلنا وظننَّا أنَّ الباقي يأخذه الغلام ، فولَّى وترك عندنا الباقي ، فلمَّا فرغنا من الطَّعام ، قال العلوي : يا قوم أشكوتم إلى رسول الله صَلَّى الله تعالى عليه وَسَلَّم ؟ فإنِّي رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في المنام فأمرني أن أحمل بشيء إليكم .

وقال ابن الجلَّاد : دخلت مدينة النَّبي صَلَّى الله تعالى عليه وَسَلَّم وبي فاقة ، فتقدَّمت إلى القبر وقلت : ضيفك ، فغفوت فرأيت النَّبي صَلَّى الله تعالى عليه وَسَلَّم ، فأعطاني رغيفاً ، فأكلت نصفه ، وانتبهت وبيدي النِّصف الآخر .

وقال أبو الخير الأقطع : دخلت مدينة النَّبي صَلَّى الله تعالى عليه وَسَلَّم وأنا بفاقة ، فأقمت خمسة أيَّام ما ذقت ذواقاً ، فتقدَّمت إلى القبر ، وسلَّمت على النَّبي صَلَّى الله تعالى عليه وَسَلَّم وعلى أبي بكر وعمر ، وقلت : أنا ضيفك يا رسول الله ، وتنحَّيت ونمت خلف القبر ، فرأيت في المنام النَّبي صَلَّى الله تعالى عليه وَسَلَّم وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله وعلي بن أبي طالب بين يديه ، فحرَّكني عليّ وقال : قُم ، قد جاء رسول الله صَلَّى الله

تعالى عليه وَسَلَّم ، فقمت إليه وقبّلت بين عينيه ، فدفع إليَّ رغيفاً ، فأكلت نصفه ، وانتبهت فإذا في يدي نصف رغيف .

وقال أبو عبد الله محمَّد بن أبي زرعة الصُّوفي : سافرت مع أبي ومع أبي عبد الله بن خفيف إلى مكَّة ، فأصابتنا فاقة شديدة ، فدخلنا مدينة الرَّسول صَلَّى الله تعالى عليه وَسَلَّم ، وبتنا طاوين ، وكنت دون البلوغ ، فكنت أجئ إلى أبي غير دفعة ، وأقول : أنا جائع ، فأتى أبي الحظيرة ، وقال : يا رسول الله أنا ضيفك الليلة ، وجلس على المراقبة ، فلمّا كان بعد ساعة رفع رأسه وكان يبكي ساعة ويضحك ساعة، فسئل عنه ، فقال : رأيت رسول الله صَلَّى الله تعالى عليه وَسَلَّم فوضع في يدي دراهم ، وفتح يده ، فإذا فيها دراهم ، وبارك الله فيها إلى أن رجعنا إلى شيراز ، وكنَّا ننفق منها .

وقال أحمد بن محمَّد الصوفي : تهتُ في البادية ثلاثة أشهر ، فانسلخ جلدي ، فدخلت المدينة ، وجئت إلى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فسلَّمت عليه وعلى صاحبيه ثمَّ نمت فرأيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في النَّوم ، فقال لي : يا أحمد ، جئت ؟ قلت : نعم ، وأنا جائع وأنا في ضيافتك ، قال : افتح كفَّيك ، ففتحتهما فملأهما دراهم ، فانتبهت وهما مملوءتان ، وقمت فاشتريت خبزاً حواريَّاً وفالوذجاً ، وأكلت ، وقمت للوقت ودخلت البادية .

وذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخه بسنده إلى أبي القاسم ثابت بن أحمد البغدادي ، قال : أنَّه رأى رجلاً بمدينة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أذَّن للصُّبح عند قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فقال فيه : الصَّلاة خير من النَّوم ، فجاءه خادم من خدم المسجد فلطمه حين سمع ذلك ، فبكى الرَّجل ، وقال : يا رسول الله في حضرتك يفعل بي هذا الفعل ؟ ففلج الخادم ، وحمل إلى داره فمكث ثلاثة أيَّام ومات .

قلت : والواقعة التي نقلها ابن النُّعمان عن أبي بكر المقرئ رواها ابن الجوزي في كتابه " الوفاء " بإسناده إلى أبي بكر المقري ، وبقية الوقائع المذكورة ذكرها غيره أيضاً .

ومن ذلك : ما ذكر ابن النُّعمان أنَّه سمعه ممَّن وقع له أو عنه بواسطة ، فقال : سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن سعيد ، يقول : كنت بمدينة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ومعي ثلاثة من الفقراء ، فأصابتنا فاقة ، فجئت إلى النَّبي صَلَّى الله عليه وسلم، ، فقلت : يا رسول الله ليس لنا شيء ، ويكفينا ثلاثة أمداد من أي شيء كان ، فتلقَّاني رجل فدفع إليّ ثلاثة أمداد من التَّمر الطيِّب .

وسمعت الشَّريف أبا محمَّد عبد السَّلام بن عبد الرَّحمن الحسيني الفاسي يقول : أقمت بمدينة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ثلاثة أيام لم أستطعم فيها ، فأتيت عند منبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فركعت ركعتين ، وقلت : يا

جدِّي جُعتُ وأتمنَّى عليك ثردة ، ثمَّ غلبتني عيني فنمت ، فبينا أنا نائم وإذا برجل يوقظني ، فانتبهت فرأيت معه قدحاً من خشب وفيه ثريد وسمن ولحم وأفاويه ، فقال لي : كُلْ ، فقلت له : من أين هذا ؟ فقال : إنَّ صغاري لهم ثلاثة أيام يتمنَّون هذا الطَّعام ، فلمَّا كان اليوم فتح الله لي بشيء عملت به هذا ، ثمَّ نمت فرأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في النَّوم وهو يقول : إنَّ أحد إخوانك تمنَّى على هذا الطَّعام فأطعمه منه .

وسمعت الشَّيخ أبا عبد الله محمَّد بن أبي الأمان ، يقول : كنت بمدينة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم خلف محراب فاطمة رضي الله تعالى عنها ، وكان الشَّريف مكثر القاسمي قائماً خلف المحراب المذكور ، فانتبه فجاء إلى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وعاد علينا متبسماً ، فقال له شمس الدِّين صواب خادم الضَّريح النَّبوي : فيم تبسَّمت ؟ فقال : كانت بي فاقة ، فخرجت من بيتي فأتيت بيت فاطمة رضي الله تعالى عنها ، فاستغثت بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وقلت : إنِّي جائع ، فنمت فرأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فأعطـــاني قدح لبن فشربت حتى رويت ، وهذا هو فبصق اللبن من فيه في كفِّي ، وشاهدناه من فيْه .

وسمعت عبد الله بن الحسن الدِّمياطي ، يقول : حكى لي الشَّيخ الصَّالح عبد القادر التِّنيسي بثغر دمياط ، قال : كنت أمشي على قاعدة الفقير ، فدخلت إلى مدينة النَّبي صَلَّى الله تعالى عليه وَسَلَّم ، وسلَّمت على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وشكوت له ضرري من الجوع ، واشتهيت عليه الطَّعام من البر واللحم والتَّمر ، وتقدَّمت بعد الزِّيارة للرَّوضة فصلَّيت فيها ، وبتُّ فيها ، فإذا شخص يوقظني من النَّوم ، فانتبهت ومضيت معه ، وكان شابَّاً جميلاً خَلقاً وخُلقاً ، فقدَّم إليَّ جفنة تريد وعليها شاة وأطباق من أنواع التَّمر صيحاني وغيره وخبزاً كثيراً من جملته خبز أقراص سويق النّبق ، فأكلت فملأ لي جرابي لحماً وخبزاً وتمراً ، وقال : كنت نائماً بعد صلاة الضُّحى فرأيت النَّبي صَلَّى الله تعالى عليه وَسَلَّم في المنام وأمرني أن أفعل لك هذا ، ودلَّني عليك ، وعرَّفني مكانك بالرَّوضة ، وقال لي : إنَّك اشتهيت هذا وأردته .

وسمعت صديقي علي بن إبراهيم البوصيري ، يقول : سمعت عبد السَّلام بن أبي القاسم الصقلِّي ، يقول : حدَّثني رجل ثقة نسي اسمه ، قال : كنت بمدينة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ولم يكن لي شيء ، فضعفت ، فأتيت إلى الحجرة وقلت : يا سيِّد الأوَّلين والآخرين ، أنا رجل من أهل مصر ولي خمسة أشهر في جوارك ، وقد ضعفت ، فقلت : أسأل الله وأسألك يا رسول الله أن يسخِّر لي من يشبعني أو يخرجني ، ثمَّ دعوت عند الحجرة بدعوات ، وجلست عند المنبر فإذا برجل قد دخل الحجرة فوقف يتكلَّم بكلام ، ويقول : يا جدَّاه يا جدَّاه ، ثمَّ جاء إليَّ وقبض على يدي وقال لي : قُم ، فقمت وصحبته ، فخرج بي من باب جبريل ، وعدا إلى البقيع وخرج منه فإذا

بخيمة مضروبة وجارية وعبد ، فقال لهما : قوما فاصنعا لضيفكما عيشه ، فقام العبد وجمع الحطب وأوقد النَّار ، وقامت الجارية وطحنت وصنعت ملة ، وشاغلني بالحديث حتى أتت الجارية بالملة فقسمها نصفين وأتت الجارية بعكّة فيها سمن فصبَّ على الملة ، وأتت بتمر صيحاني فصنعها جيِّداً ، وقال لي : كُل ، فأكلت شيئاً قليلاً ، فصدرت ، فقال لي : كُل ، فأكلت ، ثمَّ قال لي : كُل ، فقلت : يا سيِّدي لي أشهر لم آكل فيها حنطة ، ولا أريد شيئاً ، فأخذ النِّصف الثَّاني وضمّ ما فضل منِّي من الملة وأتى بمزود وصاعين من تمر فوضعهما في المزود ، وقال لي : ما اسمك ؟ فقلت : فلان ، فقال : بالله عليك لا تعد تشكو إلى جدِّي فإنَّه يعزُّ عليه ذلك ، ومن السَّاعة متى جعت يأتيك رزقك حتى يسبب الله لك من يخرجك ، وقال للغلام : خذه وأوصله إلى حجرة جدِّي ، فغدوت مع الغلام إلى البقيع ، فقلت له : ارجع قد وصلت ، فقال : يا سيِّدي والله الأحد ما أقدر أفارقك حتى أوصلك إلى الحجرة لئلَّا يُعلم النَّبي صَلَّى الله تعالى عليه وَسَلَّم سيِّدي بذلك ، فأوصلني إلى الحجرة ، وودَّعني ورجع ، فمكثت آكل من الذي أعطاني أربعة أيَّام ، ثمَّ جعت بعد ذلك ، فإذا بالغلام قد أتاني بطعام ، ثمَّ لم أزل كذلك كلَّما جعت أتاني بطعام حتى سبَّب الله لي جماعة خرجت معهم إلى ينبع .

وروى ابن النُّعمان أيضاً بسنده إلى أبي العبَّاس بن نفيس المقرئ الضَّرير قال : جُعتُ بالمدينة ثلاثة أيَّام ، فجئت إلى القبر ، وقلت : يا رسول الله ، جُعتُ ، ثمَّ نمت ضعيفاً ، فركضتني جارية برجلها ، فقمت إليها ، فقالت : أعزم ، فقمت معها إلى دارها ، فقدَّمت إليَّ خبز برّ وتمراً وسمناً ، وقالت : كُل يا أبا العبَّاس ، قد أمرني بهذا جدي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ومتى جعت فأت إلينا .

قال أبو سليمان داود في مصنَّفه في الزِّيارة بعد روايته لذلك كله : أنَّه قد وقع في كثير مما ذكر وأمثاله أنَّ الذي يأمره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في ذلك إنَّما يكون من الذُّريَّة الشَّريفة ، لا سيَّما إذا كان المتناول طعاماً ؛ لأنَّ من تمام جميل أخلاق الكرام إذا سئلوا القرى البداءة بأنفسهم ، ثمَّ بمن يكون منهم ، فاقتضى خلقه الكريم أن إعطاء سائل القرى يكون منه ومن ذريَّته الكريمة .

قلت : والحكايات في هذا الباب كثيرة ، بل وقع لي شيء منها : أني كنت بالمسجد النَّبوي عند قدوم الحاج المصري للزِّيارة ، وفي يدي مفتاح الخلوة التي فيها كتبي بالمسجد : فمرَّ بي بعض علماء المصريين ممَّن كان يقرأ على بعض مشايخي ، فسلَّمت عليه ، فسألني أن أمشي معه إلى الرَّوضة الشَّريفة وأقف معه بين يدي النَّبي صَلَّى الله تعالى عليه وَسَلَّم ، ففعلت ، ثمَّ رجعت فلم أجد المفتاح ، وتطلبته في الأماكن التي مشيت إليها فلم أجده ، وشقَّ عليَّ ذهابه في ذلك الوقت الضيق مع حاجتي إليه ، فجئت إلى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وقلت : يا

سيِّدي  يا رسول الله، ذهب مفتاح الخلوة ، وأنا محتاج إليه وأريده من بابك ، ثمَّ  رجعت فرأيت شخصاً قاصداً الخلوة ، فظننته بعض من أعرفه ، فمشيت إليه، فلم أجده إيَّاه ، ووجدت صغيراً لا أعرفه بقرب الخلوة بيده المفتاح ، فقلت له : من أين لك هذا ؟ فقال : وجدته عند الوجه الشَّريف ، فأخذته منه .

ومن هذا النَّوع ما اتَّفق لي في سكناي تلك الخلوة في ابتداء الأمر وغير ذلك ممَّا يطول ذكره .

وأنشدت مرَّة بين يديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في قضية أوذيت فيها قصيدة أولها :

يضام بحيكم يا عرب رامـــه   نزيل أنتم صرتم مرامـــه

بحقكـــــــم وذاك أجل حقّ   له انتصروا فأنتم من تهامـه

وهي طويلة تزيد على ستين بيتاً ، ومنها :

له حرم به كرم مفـــــــــــــاض   لساكنه فقد حاز الكرامـــــــــــه

به قد صـــــــار عندكم نزيلاً   ويرجو نصركم فيها أضامـــــــه

جواركم عدت فيه الأعـادي   عليه إذ رأوا منه الإقامـــــــــــة

بحضرتكم فلا يبغي انتقــــالاً   ولكن قد أطال لها التزامـــــــــه

وكــــــادوه بها لم يخف عنكم   ليقصوا عن عراصكم خيامـــــه

فأنجز لي رسول الله نصري   لتهنأ لي بذا الحرم الإقامـــــــــه

ويكبت من عداتي شـامتوهم   وتعظم في قلوبهم النَّدامــــــــــة

فقد أمَّلت جــاهك يا ملاذي   لذا ولكلِّ هول في القيامـــــــــة

وحاشا أن تخيب لي رجــــــاء   وأنت الغـــــوث من عرب برامه

كريم إن أضيم له نزيـــــــــــــل   فنصر الله يقدمه أمامــــــــــــــه

ومن عاداتـــــــــه نصري وجبري   وعادة مثله أبداً مدامــــــــــــه

فرأيت عقب ذلك مناماً يؤذن بالنَّصر العظيم ، ثمَّ رأيته في اليقظة ، ولله الحمد والمنَّة .

وقال الفقيه أبو محمَّد الإشبيلي في مؤلَّفه في فضل الحج : أنَّه نزل برجل من أهل غرناطة علَّة عجز عنها الأطبَّاء وأيسوا من برتها ، فكتب عنه الوزير أبو عبد الله محمَّد بن أبي الخصال كتاباً إلى النَّبي صَلَّى الله تعالى عليه وَسَلَّم يسأله فيه الشِّفاء لدائه والبرء ممَّا نزل به ، وضمَّنه شعراً ، وهو:

كتاب وقيذ من زمانـــــــــة مستشف   بقبر رسول الله أحمد يستشفــــــــــــي

لقد قدم قد قيّد الدَّهر خطوهـا فلم يستطع إلَّا الإشــــارة بالكف
ولَّما رأى الزوَّار يبتدرونــــــــــــه وقد عاقه عن ظعنه عائــــق الضَّعف
بكى أسفاً واستودع الرَّكب إذ غدا حيـــــة صدق تفعــم الركب بالعرف
فيا خاتم الرُّسل الشَّفيع لربـــــــِّــــه دعـــاء مهيض خـاشع القلب والطَّرف
عتيقك عبد الله ناداك ضارعـــــــــــاً وقد أخلص النَّجوى وأيقـــن بالعطف
رجاك لضرٍّ أعجز النَّاس كشفه ليصدر داعيه بها جـــــــاء من كشف
لرجل رمى فيها الزمان فقصرت خطـــــاه عن الصَّف المقدم في الزَّحف
وإنِّي لأرجو أن تعــــود سوّيــة بقدرة من يحيي العظام ومن يشفـــي
فأنت الذي نرجـــــــــــو حيَّاً وميتاً لصرف خطـوب لا تريم إلى صرف
عليك سلام الله عدة خلقـــــــــــــه وما يقتضيه من مزيـــــد ومن ضعف

قال : فما هو إلَّا أن وصل الرَّكب إلى المدينة ، وقرئ على قبر النَّبي صَلَّى الله تعالى عليه وَسَلَّم هذا الشِّعر ، وبرأ الرَّجل في مكانه ، فلمَّا قدم الذي استودعه إيَّاه وجده كأنَّه لم يصبه ضرٌّ قط " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن أحمد الغزال الدِّمشقي ، بدر الدِّين ، الشَّهير بسبط المارديني (٩١٢هـ) : " أدام الله بهجته ، وحرس للأنام مهجته بمحمَّد وآله " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن قاسم بن محمَّد بن ، أبو عبد الله ، شمس الدِّين الغزي ، ويعرف بابن قاسم وبابن الغرابيلي (٩١٨هـ) : " ... ونسأل الله الكريم المنَّان الموتَ على الإسلام والإيمان بجاه سيِّد المرسلين ، وخاتم النَّبيِّين " (٣) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن محمَّد بن علي بن غازي العثماني المكناسي (٩١٩هـ) : " عرفنا الله خيره وبركته بجاه سيِّدنا محمَّد النَّبي الأمين سيِّد المرسلين وإمام المتَّقين وقائد الغرِّ المحجَّلين ، صَلَّى الله وَسَلَّم عَلَى آله وصحبه الطيِّبين الطَّاهرين المنتخبين ، والحمد لله ربِّ العالمين " (٤) .

---

(١) انظر : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى (٤/ ٢٠٠- ٢٠٥ باختصار ) .

(٢) انظر : شرح الفصول المهمة في مواريث الأمَّة (٢/ ٧٨٧) .

(٣) انظر : فتح القريب المجيب في شرح ألفاظ التقريب (ص٣٥٠) .

(٤) انظر : شفاء الغليل في حل مقفل خليل (٢/ ١١٧٣) .

وقال الإمام زين الدِّين عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدِّين خليل بن شاهين الظَّاهري الملطيّ ثمَّ القاهري الحنفيّ (٩٢٠هـ) : " ... رحمه الله ، وتغمَّده الله بالرَّحمة والرِّضوان ، وأسكنه فسيح الجنان ، بجاه سيِّدنا محمَّد آمين " (١) .

وقال الإمام إبراهيم بن موسى بن أبي بكر ابن الشَّيخ علي الطرابلسي ، الحنفي (٩٢٢هـ) : " نسأل الله الثَّبات على الدِّين والموت على الإسلام ، بجاه النَّبي محمَّد عليه أفضل الصَّلاة وأتم السَّلام وعلى آله وأصحابه الأئمَّة العظام البرره الكرام والحمد لله على التمام " (٢) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري ، أبو العبَّاس ، شهاب الدِّين (٩٢٣هـ) : " وعن الحسن البصري قال: وقف حاتم الأصمّ على قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فقال : يا ربّ ، إنا زرنا قبر نبيَّك فلا تردَّنا خائبين ، فنُودي : يا هذا ، ما أذنَّا لك في زيارة قبر حبيبنا إلَّا وقد قبلناك ، فارجع أنت ومن معك من الزوَّار مغفوراً لكم " (٣) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري (٩٢٣هـ) : " ... وينبغى للزَّائر أن يكثر من الدُّعاء والتَّضرُّع والاستغاثة والتَّشفُّع والتَّوسُّل به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فجديرٌ بمن استشفع به أن يشفِّعه الله تعالى فيه .

واعلم أنَّ الاستغاثة هي طلب الغوث ، فالمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث منه ، فلا فرق بين أن يعبر بلفظ : الاستغاثة أو التَّوسُّل أو التَّشفع أو التَّجوّه أو التَّوجُّه ، لأنَّهما من الجاه والوجاهة ، ومعناه : علوّ القدر والمنزلة .

وقد يتوسَّل بصاحب الجاه إلى من هو أعلى منه ، ثمَّ إنَّ كلا من الاستغاثة والتَّوسُّل والتَّشفع والتَّوجُّه بالنَّبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- كما ذكره في " تحقيق النُّصرة " و " مصباح الظَّلام " - واقع في كلِّ حال ، قبل خلقه وبعد خلقه ، في مدَّة حياته في الدُّنيا وبعد موته في مدَّة البرزخ ، وبعد البعث في عرصات القيامة (٤) .

---

(١) انظر : نيل الأمل في ذيل الدول (٥/ ٩) .

(٢) انظر : الإسعاف في أحكام الأوقاف (ص١٤٥) .

(٣) انظر : المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (١٢/ ٢٠٠) .

(٤) انظر : المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٣/ ٦٠٤-٦٠٥) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري ، أبو العبَّاس ، شهاب الدِّين (٩٢٣هـ) : " وأمَّا التَّوسُّل به – صَلَّى اللهُ عَليْه وَسَلَّم– بعد موته في البرزخ فهو أكثر من أن يحصى أو يدرك باستقصاء وفى كتاب " مصبـــاح الظَّلام في المستغيثين بخير الأنام " للشَّيخ أبى عبد الله بن النُّعمان طرف من ذلك .

ولقد كان حصل لي داء أعيا دواؤه الأطبَّاء ، وأقمت به سنين، فاستغثت به– صَلَّى الله عليه وسلَّم– ليلة الثَّامن والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة بمكَّة زادها الله شرفاً ، ومنَّ عليّ بالعود في عافية بلا محنة ، فبينا أنا نائم إذ جاء رجل معه قرطاس يكتب فيه: هذا دواء لداء أحمد بن القسطلاني من الحضرة الشَّريفة بعد الإذن الشَّريف النَّبوي ، ثمَّ استيقظت فلم أجد بي – والله – شيئاً ممَّا كنت أجده ، وحصل الشِّفاء ببركة النَّبي – صَلَّى اللهُ عَليْه وَسَلَّم– .

ووقع لي أيضاً في سنة خمس وثمانين وثمانمائة في طريق مكة ، بعد رجوعي من الزِّيارة الشَّريفة لقصد مصر ، أن صرعت خادمتنا غزال الحبشية ، واستمر بها أياماً ، فاستشفعت به – صَلَّى اللهُ عَليْه وَسَلَّم– في ذلك ، فأتاني آت في منامي ، ومعه الجني الصارع لها ، فقال : لقد أرسله لك النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فعاتبته وحلفته أن لا يعود إليها ، ثمَّ استيقظت وليس بها قلبة كأنَّما نشطت من عقال ، ولا زالت في عافية من ذلك حتى فارقتها بمكَّة سنة أربع وتسعين وثمانمائة ، والحمد لله ربّ العالمين " (١) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري ، أبو العبَّاس ، شهاب الدِّين (٩٢٣هـ) أثناء حديثه عن زيارة قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " ... ويجدِّد التَّوبة في حضرته الكريمة ، ويسأل الله بجاهه أن يجعلها توبة نصوحاً ، ويكثر من الصَّلاة والسَّلام على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بحضرته الشَّريفة حيث يسمعه ويردّ عليه " (٢) .

وقال الإمام زكريا بن محمَّد بن أحمد بن زكريَّا الأنصاري ، زين الدِّين أبو يحيى السّنيكي (٩٢٦هـ) : " تغمَّده الله برحمته ورضوانه ، وَأَسْكَنَهُ فسيح جنانه ، بمحمَّد وَآله وعترته وَأَصْحَابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم آمين " (٣) .

---

(١) انظر : المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٣/ ٦٠٦-٦٠٧) .

(٢) انظر : المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٣/ ٥٩٨) .

(٣) انظر : الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة (ص٦٣) .

وقال الإمام زكريَّا بن محمَّد بن أحمد بن زكريَّا الأنصاري ، زين الدِّين أبو يحيى السّنيكي أيضاً : " تَغَمَّدَهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ وَنَفَعَنَا وَالْمُسْلِمِينَ بِبَرَكَتِهِ بمحمَّد وَآلِهِ " (١) .

وقال الإمام زكريا بن محمَّد بن أحمد بن زكريَّا الأنصاري ، زين الدِّين أبو يحيى السنيكي أيضاً : " وَأَحَلَّ كُلًّا مِنْهُمَا أَعْلَى الْفِرْدَوْسِ وَالرِّضْوَانِ بمحمَّد وَآلِهِ الْكِرَامِ" (٢) .

وقال الإمام زكريا بن محمَّد بن أحمد بن زكريَّا الأنصاري ، زين الدِّين أبو يحيى السنيكي أيضاً : " ... ثمَّ وَقَفَ مُسْتَدْبِرَ الْقِبْلَةِ ، مُسْتَقْبِلَ رَأْسِ الْقَبْرِ الشَّرِيف ، وَيَبْعُدُ مِنْهُ نَحْوَ أَرْبَعَةِ أَذْرُعٍ ، نَاظِراً لِأَسْفَلَ مَا يَسْتَقْبِلُهُ فَارِغَ الْقَلْبِ مِنْ علق الدُّنيا ، ويسلم بلا رفع صوت وَأَقَلُّهُ : السَّلام عَلَيْك يَا رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ثمَّ يَتَأَخَّرُ صَوْبَ يَمِينِهِ قَدْرَ ذِرَاعٍ فَيُسَلِّمُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ ، ثمَّ يَتَأَخَّرُ قَدْرَ ذراع فيسلم عَلَى عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا ، ثمَّ يَرْجِعُ إلى مَوْقِفِهِ الأَوَّل قُبَالَةَ وَجْهِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَيَتَوَسَّلُ بِهِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ وَيَسْتَشْفِعُ بِهِ إلى رَبِّهِ ... " (٣) .

وقال الإمام زكريا بن محمَّد بن أحمد بن زكريَّا الأنصاري ، زين الدِّين أبو يحيى السنيكي (٩٢٦هـ) أيضاً : " متَّع الله بوجوده الأنام ، وحرسه بعينه التي لا تنام ، بجاه سيِّدنا محمَّد أشرف الأنام ، وآله وصحبه البررة الكرام " (٤) .

وقال الإمام محمَّد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشَّافعي ، الشَّهير بـ " بَحْرَق " (٩٣٠هـ) : " متوسِّلاً إلى الله تعالى بصاحب الحضرة النّبويَّة خير الأنام عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام " (٥) .

وقال الإمام أبو جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي (٩٣٨هـ) : " ... لطف الله بِهِ ونفع الجَمِيع بجاه سيِّدنا ومولانا محمَّد الشَّفِيع صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم تَسْلِيماً كثيراً " (٦) .

---

(١) انظر : الغرر البهية في شرح البهجة الوردية (١/ ٢) .

(٢) انظر : الغرر البهية في شرح البهجة الوردية (٥/ ٣٣٤) .

(٣) انظر : فتح الوهَّاب بشرح منهج الطلاب (هو شرح للمؤلف على كتابه هو منهج الطلاب الذي اختصره المؤلف من منهاج الطالبين للنووي) (١/ ١٧٦) .

(٤) انظر : المقصد لتلخيص ما في المرشد (ص٨) ، مطبوع بهامش منار الهدى في بيان الوقف والابتدا (١١٠٠هـ) .

(٥) انظر : حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النَّبي المختار (ص٥٠) .

(٦) انظر : ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي أشي (ص١٣٧) .

وقال الإمام أبو جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي : " ... وتجعلنا من المتبعين لآثارهم بجاه أكْرم الْخلق عَلَيْهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وعَلى آله وَصَحبه وَسَلَّم تَسْلِيماً " (١) .

وقال الإمام أبو جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي : " ... ولطف بِالْجَمِيعِ بجاه سيِّدنا ومولانا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وعَلى آله وَصَحبه وَسَلَّم تَسْلِيماً " (٢) .

وقال الإمام علي بن خلف المنوفي المالكي المصري أبو الحسن المالكي (٩٣٩هـ) : " ... والله سبحانه وتعالى المسؤول أن يوفقنا للإقبال على امتثال مأموراته ، والإحجام عن ارتكاب محظوراته ، ويلهمنا ما يقرب من أجره وثوابه ، ويباعدنا من سخطه وعقابه بمحمَّد وآله وصحبه وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد النَّبي الأمِّي ، وعلى آله وأصحابه وَسَلَّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدِّين " (٣) .

وقال الإمام محمَّد بن يوسف الصَّالحي الشَّامي (٩٤٢هـ) : " اللهمَّ إنَّا نسألك ، ونتوجَّه إليك بنبيِّك محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أن تحسن عاقبتنا في الأمور كلّها " (٤) .

وقال الإمام محمَّد بن يوسف الصَّالحي الشَّامي ( ٩٤٢هـ) أيضاً : " جماع أبواب التَّوسُّل به – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم –

الباب الأوَّل : في مشروعية التَّوسُّل به– صَلَّى الله عليه وسلم– إلى الله تبارك وتعالى : قال الإمام السُّبكي– رحمه الله تعالى– : أعلم أنَّ الاستعانة والتَّشفُّع بالنَّبي– صَلَّى الله عليه وسلم– وبجاهه وبركته إلى ربِّه تبارك وتعالى من فعل الأنبياء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وسير السَّلف الصَّالحين واقع في كلِّ حال ، قبل خلقه وبعد خلقه ، في مدة حياته الدُّنيويَّة ، ومدَّة البرزخ ، وبعد البعث وعرصات القيامة ، وذلك ممَّا قام الإجماع عليه وتواترت به الأخبار ، وإذا جاز السُّؤال بالأعمال كما في حديث الغار الصَّحيح ، وهي مخلوقة ، فالسُّؤال بالنَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم – أولى ، وفي العادة أنَّ من له عند شخص قدر يتوسَّل به إليه في غيبته ، فإنَّه يجيب إكراماً للمتوسّل به ، وقد يكون ذكر المحبوب أو المعظّم سبباً للإجابة ، ولا فرق في هذا بين التَّعبير بالتَّوسُّل ، أو الاستعانة ، أو

---

(١) انظر : ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي أشي (ص٢٠٥) .

(٢) انظر : ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي أشي (ص٣١٧) .

(٣) انظر : كفاية الطالب الرباني لرسالة أبي زيد القيرواني (٢/ ٦٧٨) .

(٤) انظر : سبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد (١٢/ ٤٠٨) .

لتشفع أو السُّجود ، ومعناه : التَّوجُّه بذي الحاجة ، وقد يتوجّه بمن له جاه إلى من هو أعلى منه ، وكيف لا يتشفع ويتوسَّل بمن له المقام المحمود والجاه عند مولاه ، بل يجوز التَّوسُّل بسائر الصَّالحين ، كما قاله السُّبكي " (١) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن عبد الرَّحمن الطَّرابلسي المغربي ، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي (٩٥٤هـ) : " ... وَسُئِلَ الشَّيخ عِمَادُ الدِّين بْنُ الْعَطَّارِ (٧٢٤هـ) ، تِلْمِيذُ النَّوَوِيِّ - رَحِمَهُمَا الله : هَلْ تَجُوزُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ وَإِهْدَاءُ الثَّوَابِ إلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَقَدْ أَمَرَنَا الله بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَحَثَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم عَلَى ذَلِكَ وَأَمَرَنَا بِسُؤَالِ الْوَسِيلَةِ وَالسُّؤَالِ بِجَاهِهِ " (٢) .

وجاء في فتاوى الإمام شهاب الدِّين أحمد بن حمزة الأنصاري الرَّملي الشَّافعي (٩٥٧هـ) : " (سُئِلَ) عَمَّا يَقَعُ مِنْ الْعَامَّةِ مِنْ قَوْلِهِمْ عِنْدَ الشَّدَائِدِ : يَا شَيْخُ فُلَانٌ ، يَا رَسُولَ اللهَّ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ الِاسْتِغَاثَةِ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْعُلَمَاءِ والصَّالحين ، فَهَلْ ذَلِكَ جَائِزٌ أَمْ لَا ؟ وَهَلْ لِلرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ والصَّالحين وَالْمَشَايِخِ إغَاثَةٌ بَعْدَ مَوْتِهِمْ ، وَمَاذَا يُرَجِّحُ ذَلِكَ ؟

(فَأَجَابَ) بِأَنَّ الِاسْتِغَاثَةَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْعُلَمَاءِ والصَّالحين جَائِزَةٌ ، وَلِلرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ والصَّالحين إغَاثَةٌ بَعْدَ مَوْتِهِمْ ؛ لِأَنَّ مُعْجِزَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ لَا تَنْقَطِعُ بِمَوْتِهِمْ . أَمَّا الْأَنْبِيَاءُ فَلِأَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ ، كَمَا وَرَدَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ ، وَتَكُونُ الْإِغَاثَةُ مِنْهُمْ مُعْجِزَةً لَهُمْ . وَالشُّهَدَاءُ أَيْضاً أَحْيَاءٌ شُوهِدُوا نَهَاراً جِهَاراً يُقَاتِلُونَ الْكُفَّارَ.

وَأَمَّا الْأَوْلِيَاءُ فَهِيَ كَرَامَةٌ لَهُمْ فَإِنَّ أَهْلَ الْحَقِّ عَلَى أَنَّه يَقَعُ مِنْ الْأَوْلِيَاءِ بِقَصْدٍ وَبِغَيْرِ قَصْدٍ أُمُورٌ خَارِقَةٌ لِلْعَادَةِ ، يُجْرِيهَا الله تَعَالَى بِسَبَبِهِمْ ، وَالدَّلِيلُ عَلَى جَوَازِهَا : أَنَّهَا أُمُورٌ مُمْكِنَةٌ ، لَا يَلْزَمُ مِنْ جَوَازِ وُقُوعِهَا مُحَالٌ ، وَكُلُّ مَا هَذَا شَأْنُهُ فَهُوَ جَائِزُ الْوُقُوعِ ، وَعَلَى الْوُقُوعِ : قِصَّةُ مَرْيَمَ وَرِزْقُهَا الْآتِي مِنْ عِنْدِ اللهَّ عَلَى مَا نَطَقَ بِهِ التَّنْزِيلُ ، وَقِصَّةُ أَبِي بَكْرٍ ، وَأَضْيَافِهِ كَمَا فِي الصَّحيح ... " (٣) .

---

(١) انظر : سبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد (١٢/ ٤٠٣) .

(٢) انظر : مواهب الجليل في شرح مختصر خليل ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن عبد الرَّحمن الطرابلسي المغربي ، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة: الثالثة ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .

(٣) انظر : فتاوى الرملي (٤/ ٣٨٢) .

وقال الإمام موسى بن أحمد بن موسى بن سالم بن عيسى بن سالم الحجَّاوي المقدسي، ثمَّ الصَّالحي ، شرف الدِّين ، أبو النَّجا (٩٦٨هـ) : " ولا بأس بالتَّوسُّل بالصالحين " (١) .

وقال الإمام طاش كبري زادة (٩٦٨هـ) عن الشَّيخ العارف بالله قره جه أحمد : " ... أتى بلاد الرُّوم وتوطَّن في موضع قريب من اقحصار ، وقبره هناك مشهور يُتبرك به ويُزار ، ويُستجاب عنده الدُّعاء ، ويستشفي به المريض ، وذلك مشهور في بلادنا عند الخواص والعوام ، قدَّس الله سرَّه " (٢) .

وقال الإمام طاش كبري زادة (٩٦٨هـ) : " ... اللهمَّ ارحمه وارحم والدي كما ربَّياني صغيراً ، واجمع بيني وبينهما في مستقرِّ رحمتك ، بحرمة نبيِّك محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم " .

وقال أيضاً : " وارحم والديَّ كما ربَّياني صغيراً ، واجمع بيني وبين والدي بلطفك ، إنَّك مولى الإجابة ، في مستقرِّ رحمتك يا رحمن يا رحيم بحرمة نبيِّك الكريم " (٣) .

وقال الإمام زين الدِّين بن إبراهيم بن محمد ، المعروف بابن نُجيم المصري (٩٧٠هـ) : " وَأَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُتَوَسِّلاً إلَيْهِ بِمَنْ صَلَاتُهُ عَلَيْهِ تَتَوَالَى أَنْ يُلْهِمَنِي الصَّوَابَ " (٤) .

وقال الإمام زين الدِّين بن إبراهيم بن محمَّد ، المعروف بابن نجيم المصري (٩٧٠هـ) : " ... قَالَ الرَّمْلِيُّ أَمَّا النِّسَاءُ إذَا أَرَدْنَ زِيَارَةَ الْقُبُورِ إنْ كَانَ ذَلِكَ لِتَجْدِيدِ الْحُزْنِ وَالْبُكَاءِ وَالنَّدْبِ عَلَى مَا جَرَتْ بِهِ عَادَتُهُنَّ فَلَا تَجُوزُ لَهُنَّ الزِّيَارَةُ ، وَعَلَيْهِ حُمِلَ الْحَدِيثُ " لَعَنَ الله زَائِرَاتِ الْقُبُورِ " ، وَإِنْ كَانَ لِلاعْتِبَارِ وَالتَّرَحُّمِ والتَّبرُّك بِزِيَارَةِ قُبُورِ الصَّالحين فَلَا بَأْسَ إذَا كُنَّ عَجَائِزَ وَيُكْرَهُ إذَا كُنَّ شَوَابَّ كَحُضُورِ الْجَمَاعَةِ فِي الْمَسَاجِدِ " (٥) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السَّعدي الأنصاري ، شهاب الدِّين شيخ الإسلام ، أبو العبَّاس (٩٧٣هـ) داعياً : " ... ختم الله لنا ولمن رأى في هذا الكتاب بالسَّعادة والخير ورفعنا وإياهم في الجنَّة إلى

---

(١) انظر : الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل(١/ ٢٠٨) .

(٢) انظر : الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية (١/ ١٢) .

(٣) انظر : الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية (١/ ٢٣٣) ، (١/ ٣١٤) ، بالترتيب .

(٤) انظر : البحر الرائق شرح كنز الدقائق (١/ ٣) ، وفي آخره : تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري ، وبالحاشية وبالحاشية : منحة الخالق لابن عابدين .

(٥) انظر : البحر الرائق شرح كنز الدقائق (٢/ ٢١٠) ، وفي آخره : تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري ، وبالحاشية : منحة الخالق لابن عابدين .

المقام الأسنى ، بجاه سيِّد الأوَّلين والآخرين ، من له علينا وعليهم الفضل والمنَّة ، ومن له في الآخرة المقام المحمود في الجنَّة ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وشرِّف ومجِّد وكرِّم وعظِّم " (١) .

وذكر الإمام أحمد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السَّعدي الأنصاري ، شهاب الدِّين شيخ الإسلام ، أبو العبَّاس (٩٧٣هـ) في كتابه " الصَّواعق " ، بيتين للإمام الشَّافعي يتوسَّل بهما بآل بيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وهما :

آل النَّبي ذريــــــــــــــعتي وهم إِلَيْهِ وسيــــــــــــــلتي

أَرْجُو بهم أعْطـــــــــــــى غَدا بيدي الْيَمين صحيــــــــــفتي (٢)

وقال أيضاً : " أَثَابَكُمْ الله الجنَّة وَفَسَّحَ فِي مُدَّتِكُمْ بِبَلَدِهِ الْحَرَامِ وَبَلَّغَكُمْ جَمِيعَ الْمَرَامِ بِجَاهِ محمَّد عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام " (٣) .

وقال أيضاً : " سائلاً من ذي الجلال والإكرام بجاه من جعلت هذا خدمة لجنابه الرَّفيع : أن يتقبَّله منِّي بفضله ، ويجعله متكفّلاً لي بجميع ما أؤمّله من جوده الوسيع " (٤) .

وقال أيضاً : " لَا زِلْتُمْ مَصَابِيحَ الظَّلَامِ وَهُدَاةَ الْأَنَامِ بمحمَّد وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَفْضَلُ الصَّلاة والسَّلام " (٥) .

وقال الإمام علاء الدِّين علي بن حسام الدِّين ابن قاضي خان القادري الشَّاذلي الهندي البرهانفوري ثمَّ المدني فالمكي الشَّهير بالمتَّقي الهندي (٩٧٥هـ) : " إذا شجاك شيطان أو سلطان فقل : يا من يكفي من كلِّ أحد ، يا أحدَ من لا أحد له ، يا سنَد من لا سند له ، انقطع الرَّجاء إلَّا منك ، فقِنِى ممَّا أنا فيه ، وأعنِّي على ما أنا عليه ، ممَّا قد نزل بي ، بجاه وجهك الكريم ، وبحقِّ محمَّد عليك آمين " . الدَّيلمي عن عمر وعلي معاً " (٦) .

---

(١) انظر : تحفة الزوار إلى قبر النَّبي المختار (ص٢١٠) .

(٢) انظر : الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة (٢/ ٥٢٤-٥٢٥) .

(٣) انظر : الفتاوى الفقهية الكبرى (٣/ ٨٤) .

(٤) انظر : الدر المنضود في الصَّلاة والسَّلام على صاحب المقام المحمود (ص٣٤) .

(٥) انظر : الفتاوى الفقهية الكبرى (٤/ ٢٠١) .

(٦) انظر : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (٢/ ١٢٠) .

وقال الإمام شمس الدِّين ، محمَّد بن أحمد الخطيب الشربيني الشَّافعي (٩٧٧هـ) : " ... فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ، اللهمَّ بجاه محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أنّ تجعلنا ووالدينا وأحبابنا من أهله " (١) .

وقال أيضاً : " لا زال ملحوظاً بعين العناية الإلهية ، موفقاً لسائر الآراء الخيرية محفوظ الجناب ، مقصود الأعتاب ، مسروراً بسائر الأنجال بجاه خاتم رسل ذي الجلال " (٢) .

وقال أيضاً : " متوسلاً إليه بسيد الأنام عليه الصَّلاة والسَّلام ، وبالتَّوبة الممحِّصة للآثام " .

وقال أيضاً : " جمعني الله وإياهم والمسلمين في مستقرِّ رحمته بمحمَّد وآله وصحابته " .

وقال أيضاً : " جعلنا الله تعالى من الفائزين بها بمحمَّد وآله ، وفعل ذلك بوالدينا وأحبابنا" .

وقال أيضاً : " جعلنا الله تعالى وأحبابنا معهم بمحمَّد وآله " .

وقال أيضاً : " نسأل الله الكريم الفتَّاح أن يوفِّقنا للعمل الصَّالح ، وأن يفعل ذلك بأهلينا وذريَّتنا ومحبِّينا بمحمَّد وآله " .

وقال الإمام شمس الدِّين ، محمَّد بن أحمد الخطيب الشَّربيني الشَّافعي : " خَاتِمَةٌ : سُئِلَ الشَّيخ عِزُّ الدِّين هَلْ يُكْرَهُ أَنْ يَسْأَلَ اللهَّ بِعَظِيمٍ مِنْ خَلْقِهِ كَالنَّبِيِّ وَالْمَلَكِ وَالْوَلِيِّ ؟ فَأَجَاب : بِأَنَّهُ جَاءَ عَنْ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أنَّه عَلَّمَ بَعْضَ النَّاس : اللهمَّ إِنِّي أُقْسِمُ عَلَيْكَ بِنَبِيِّكَ محمَّد نَبِيِّ الرَّحْمَةِ إلَخْ ، فَإِنْ صَحَّ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَقْصُوراً عَلَيْهِ – عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام – لأنَّه سيِّد وَلَدِ آدَمَ ، وَلَا يُقْسَمُ عَلَى اللهَّ بِغَيْرِهِ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ ؛ لأنَّهم لَيْسُوا فِي دَرَجَتِهِ ، وَيَكُونُ هَذَا مِنْ خَوَاصِّهِ . اهـ. وَالْمَشْهُورُ أَنَّه لَا يُكْرَهُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ " .

وقال أيضاً : " فَأَسْأَلُ اللهَّ الْكَرِيمَ الَّذِي بِهِ الضُّرُّ وَالنَّفْعُ، وَمِنْهُ الْإِعْطَاءُ وَالْمَنْعُ ، أَنْ يَجْعَلَهُ لِوَجْهِهِ خَالِصاً ، وَأَنْ يَتَدَارَكَنِي بِأَلْطَافِهِ إذَا الظِّلُّ أَضْحَى فِي الْقِيَامَةِ قَالِصاً ، وَأَنْ يُخَفِّفَ عَنِّي كُلَّ تَعَبٍ وَمُؤْنَةٍ ، وَأَنْ يَمُدَّنِي بِحُسْنِ الْمُعُونَةِ ، وَأَنْ يَرْحَمَ ضَعْفِي كَمَا عَلِمَهُ، وَأَنْ يَحْشُرَنِي فِي زُمْرَةِ مَنْ رَحِمَهُ ، أَنَا وَوَالِدَيَّ ، وَأَوْلَادِي ، وَأَقَارِبِي ، وَمَشَايِخِي ، وَأَحْبَابِي ، وَأَحِبَّائِي ، وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ بمحمَّد وَآلِهِ وَصَحَابَتِهِ أَجْمَعِينَ " (٣) .

---

(١) انظر : السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (٢/ ٥٧٢) .

(٢) انظر : السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (٤/ ٦١٩) ، (٤/ ٦١٨) ، (١/ ٣) ، (٢/ ١٩٢) ، (٣/ ١٠٢) ، (٣/ ١٢٥) بالترتيب .

(٣) انظر : مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (١/ ٣٩٥) ، (٦/ ٥٢٤) .

وقال الإمام عبد الباسط بن موسى بن محمَّد بن إسماعيل العلموي ثمَّ الموقت الدِّمشقي الشَّافعي (٩٨١هـ) : " علَّقه مختصراً لنفسه ، ثمَّ لمن شاء الله من بعده ، المفتقر إلى رحمة ربِّه القوي ، عبد الباسط بن موسى العلموي ، ثمَّ الموقت الواعظ بالجامع الأموي ، لطف الله به بجاه النَّبي المصطفوي " (١) .

وقال الإمام أحمد بن قاسم العبادي (٩٩٢هـ) : " طَيَّبَ الله ثَرَاهُ ، وَجَعَلَ الجنَّة مَثْوَاهُ ، بِجَاهِ سيِّدنا محمَّد خَيْرِ أَنْبِيَاهُ " (٢) .

وقال الإمام شمس الدِّين محمَّد بن أبي العبَّاس أحمد بن حمزة شهاب الدِّين الرملي (١٠٠٤هـ) : " ... وَالله أسأَل وبنبيِّه أتوسَّل أَن يَجعله خَالِصاً لوجهه الْكَرِيم ، مُوجباً للفوز بجنَّات النَّعيم " (٣) .

وقال الإمام شمس الدِّين محمَّد بن أبي العبَّاس أحمد بن حمزة شهاب الدِّين الرَّملي : " ... شَيْخُ الْإِسْلَامِ بِلَا نِزَاعٍ وَبَرَكَةُ الْأَنَامِ بِلَا دِفَاعٍ الْقُطْبُ الرَّبَّانِيُّ وَالْعَالِمُ الصَّمَدَانِيُّ مُحْيِي الدِّين النَّوَوِيُّ ، تَغَمَّدَهُ الله بِرَحْمَتِهِ ، وَنَفَعَنَا وَالْمُسْلِمِينَ بِبَرَكَتِهِ بِجَاهِ محمَّد وَآلِهِ وَعِتْرَتِهِ ... " (٤) .

وقال الإمام تقي الدِّين بن عبد القادر التَّميمي الدَّاري الغزي ( ١٠١٠هـ) في ترجمة تغري برمش ، سيف الدِّين الجلالي ، النَّاصري ثمَّ المؤيّدي (٨٥٢هـ) : " وقد مدحه محمَّد بن حسن بن علي النّواجي ، بقصيدة فريدة ، منها :

ويا رَبِّ فاحْرُسْهُ بجَاهِ محمَّد وأَيِّدْهُ بالْمَأْمُونِ من حادِثِ الدَّهْرِ (٥)

وقال الإمام تقي الدِّين بن عبد القادر التَّميمي الدَّاري الغزّي ( ١٠١٠هـ) ناقلاً كلام الإمام أبو حنيفة في وصيَّته للقاضي أبي يوسف : " ... وأكثر من زيارة القبور والمشايخ والمواضع المباركة . واقبل من العامَّة ما يقصون عليك من رؤياهم للنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ورؤيا الصَّـــالحين في المنازل ، والمساجد ، والمقابر ... " (٦) .

---

(١) انظر : العقد التليد في اختصار الدر النضيد (المعيد في أدب المفيد والمستفيد) (ص٢٨٨) .

(٢) انظر : حاشية الإمام أحمد بن قاسم العبادي على تحفة المحتاج في شرح المنهاج (١٠/ ٤٢٩) .

(٣) انظر : غاية البيان شرح زبد ابن رسلان (١/ ٢) ، (٥/ ٤٨١) .

(٤) انظر : نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج (١/ ١٠) .

(٥) انظر : الطبقات السنية في تراجم الحنفية (ص٢٠٠) .

(٦) انظر : الطبقات السنية في تراجم الحنفية (ص٥٣) .

وقال الإمام أبو السعد زين الدِّين منصور بن أبي النَّصر بن محمَّد الطَّبَلاوي ، سبط ناصر الدِّين محمَّد بن سالم (١٠١٤هـ) : " وَالله الُموفق للصَّوَاب والسَّداد ، وَنَرْجُو من كرمه وفضله تبييض وُجُوهنَا يَوْم الْمعَاد ، وَأَن يُؤمن فزعنا يَوْم التناد بجاه محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أفضل الْعباد والعُبّاد " (١) .

وقال الإمام علي بن سلطان محمَّد ، أبو الحسن نور الدِّين الملا الهروي القاري (١٠١٤هـ) : " وَقِيلَ : أَنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كَانَ يَسْتَشْفِعُ بِهِ عِنْدَ الْجَدْبِ فَتَمْطُرُ السَّماء ، فَأَمَرَتْ عَائِشَةُ – رَضِيَ الله عَنْهَا – بِكَشْفِ قَبْرِهِ مُبَالَغَةً فِي الِاسْتِشْفَاعِ بِهِ ، فَلَا يَبْقَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّماء حِجَابٌ " (٢) .

وقال الإمام علي بن سلطان محمَّد ، أبو الحسن نور الدِّين الملا الهروي القاري : " قَالَ شَيْخُ مَشَايِخِنَا عَلَّامَةُ الْعُلَماءِ الْمُتَبَحِّرِينَ شَمْسُ الدِّين محمَّد الْجَزَرِيُّ فِي مُقَدِّمَةِ شَرْحِهِ لِلْمَصَابِيحِ الْمُسَمَّى بِتَصْحِيحِ الْمَصَابِيحِ : إِنِّي زُرْتُ قَبْرَهُ بِنَيْسَابُورَ ، وَقَرَأْتُ بَعْضَ صَحِيحِهِ عَلَى سَبِيلِ التَّيَمُّنِ ، والتَّبَرُّك عِنْدَ قَبْرِهِ ، وَرَأَيْتُ آثَارَ الْبَرَكَةِ ، وَرَجَاءَ الْإِجَابَةِ فِي تُرْبَتِهِ " (٣) .

وأَلَّف الإمام نور الدِّين علي بن إبراهيم الحلبي الشَّافعي (١٠٢٢هـ) كتاباً سمَّاه : " بغية ذوي الأحلام بأخبار مَن فُرِّجَ كربُه برؤية المصطفى عليه الصَّلاة والسَّلام في المنام " ، مخطوطة في دار الكتب المصريَّة تحت رقم : (٣/ ٣٦)(٣٣٣٥) ، (٦٣ مجاميع) .

وقال الإمام زين الدِّين محمَّد المدعو بعبد الرَّؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدَّادي ثمَّ المناوي القاهري (١٠٣١هـ) : " والله أسأل أن ينفع بها ويرحم مؤلفها بالدرجات العلى في الجنان بجاه سيِّدي ولد عدنان " (٤) .

وقال الإمام زين الدِّين محمَّد المدعو بعبد الرَّؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدَّادي ثمَّ المناوي القاهري أيضاً : " ... قال عبد الحق في العاقبة : فيندب لولي الميت أن يقصد به قبور الصَّالحين ، ومدافن أهل الخير ، فيدفنه معهم وينزله بإزائهم ويسكنه في جوارهم تبركاً وتوسلاً " (٥) .

---

(١) انظر : كتاب الشمعة المضية بنشر قراءات السبعة المرضية (٢/ ٦٧٩) .

(٢) انظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٣٨٣٩) .

(٣) انظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ١٩) .

(٤) انظر : التوقيف على مهمات التعاريف (ص١٣) .

(٥) انظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير (١/ ٢٢٩) .

وقال الإمام زين الدِّين محمَّد المدعو بعبد الرَّؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدَّادي ثمَّ المناوي القاهري (١٠٣١هـ) أيضاً : " قال ابن عبد السَّلام : ينبغي كون هذا مقصوراً على النَّبي ، لأنَّه سيِّد ولد آدم ، وأن لا يقسم على الله بغيره من الأنبياء والملائكة والأولياء ، لأنَّهم ليسوا في درجته ، وأن يكون مما خصَّ به تنبيهاً على علو رتبته وسمو مرتبته . قال السُّبكي : ويحسن التَّوسُّل والاستعانة والتشفع بالنَّبي إلى ربه ، ولم ينكر ذلك أحد من السَّلف ولا من الخلف ، حتى جاء ابن تيمية فأنكر ذلك ، وعدل عن الصراط المستقيم ، وابتدع ما لم يقله عالم قبله ، وصار بين أهل الإسلام مثلة " (١) .

وقال الإمام زين الدِّين محمَّد المدعو بعبد الرَّؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدَّادي ثمَّ المناوي القاهري أيضاً : " كان أصحاب أرسطو كلَّما أشكل عليهم بحث غامض ذهبوا إلى قبره وبحثوا فيه عنده فيفتح لهم وسره أن نفس الزَّائر والمزور شبيهان بمرآتين صقيلتين وضعتا بحيث ينعكس الشُّعاع من إحداهما إلى الأخرى ، فكلَّما حصل في نفس الزَّائر الحي من المعارف والعلوم والأخلاق الفاضلة من الخضوع لله والرِّضى بقضائه ينعكس معه نور ذلك الإنسان الميت ، وكلَّما حصل في نفس الميت من العلوم المشرقة ينعكس منها نور إلى روح هذا الزَّائر الحي " (٢) .

وقال الإمام زين الدِّين محمَّد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثمَّ المناوي القاهري أيضاً : " أدام الله على ارجائها أَحْكَامه وَنشر على هام الْخَافِقين اعلامه حَافِظاً لَهُ وَلَا نجاله الْكِرَام لَا سِيمَا توفيقه الْبَدْر التَّمام بجاه محمَّد خَاتم الرُّسُل الْكِرَام " (٣) .

وقال الإمام زين الدِّين محمَّد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثمَّ المناوي القاهري أيضاً : " فإذا وقف إنسان على قبر إنسان قوي النَّفس ، كامل الجوهر ، شديد التَّأثير ، حصل بين النَّفسين ملاقاة روحانيَّة ، وبهذا الطريق تصير تلك الزِّيارة سبباً لحصول المنفعة الكبرى ، والبهجة العُظمى لروح الزَّائر والمزور ، ويحصل لهما من السَّلام والردِّ غـــاية السُّرور ، وهذا هو السَّبب الأصلي في مشروعيَّة الزِّيارة .

---

(١) انظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير (٢/ ١٣٤) .

(٢) انظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير (٥/ ٤٨٧) .

(٣) انظر : التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٥١٠) .

وفي العاقبة لعبد الحق عن الفخر التَّبريزي : أنَّه كان يشكل عليه مسائل فيطيل الفكر فيها ويبذل الجهد في حلِّها ، فلا تنجلي حتى يذهب لقبر شيخه التَّاج التَّبريزي ، ويجلس بين يديه كما كان في حياته ، ويفكِّر فيها ، فتنجلي سريعاً ، قال : جرَّبت ذلك مراراً " (١) .

وقال الإمام أبو العبَّاس أحمد بابا بن أحمد بن عمر بن محمَّد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى التكروري ، التنبكتي (١٠٣٦هـ) : " ختم الله تعالى له بالحسنى بجاه سيِّد الأولين والآخرين " (٢) .

وقال الإمام أبو المواهب بن محمَّد بن علي البكري الصديقي المصري الشَّافعي (١٠٣٧هـ) :

بجاه رَسُول الله أفضل مُرْسل ... ترى الْأسد فِي الغابات من خَوفه صرعى
عَلَيْهِ صَلَاة الله ثمَّ سَلَامـــــــه ... وَأَصْحَابه والآل أجمعهم جمعــــا (٣)

(٣)

وقال الإمام محي الدِّين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العَيْدَرُوس (١٠٣٨هـ) : " كَانَ الشَّريف الْحُسَيْن ينظر اليّ ثمَّ يُشِير بِيَدِهِ إلى سيِّدي الشَّيخ وَيَقُول القطب أَنْت الْأَكْمَل القطب أَنْت الْأَكْمَل يكررها ليحقق مَا كَانَ قَالَه لي فِي الْمَنَام فِي حَالَة ذُهُوله ، وَمن شعره ... هَذِه الْوَسِيلَة الْعَظِيمَة وَهِي :

يَا رَسُول الله عوناً ومدد ... أَنْتُم الْوَالِد وَالْعَبْد ولـــد
يَا رَسُول الله فِي جاهك مَا ... يبلغ القاصد أَقْصَى مَا قصد
يَا رَسُول الله مَا لي عتد ... غير حبّك وَيَا نعـــــم العتد
يَا رَسُول الله قوم أودى ... فلكم قومت بِالـــــدِّينِ أود
يَا رَسُول الله هَل من نظرة ... تصلح الْقلب سَرِيعا والجســـد
يَا رَسُول الله هَل من جذبة ... تجذب العَبْد إلى النَّهـــج الجدد
يَا رَسُول الله هَل من عطفة ... تعطف العَبْد إلى طرق الرشد
يَا رَسُول الله هَل من نفحة ... مِنْك تَأتي وَمن الْفَرد الصَّمد
يَا رَسُول الله كن لي شافعاً ... أَنْت وَالله شَفِيــــــــع لَا ترد

---

(١) انظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير (٥/ ٤٨٧) .

(٢) انظر : نيل الابتهاج بتطريز الديباج (٢/ ١٠٨) .

(٣) انظر : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (١/ ١٤٧) .

يَا رَسُول الله هَل تسمعني | أَي وربِّي تسمع القــــــوْل مقد
أَنا بِاللهِّ وبالوجـــــه الَّذِي | قَالَ ذُو الْعَرْش لَـهُ أَسجـد فَسجدَ
سيد الرُّسُل ختــــام الْأَنْبِيَاء | صَــاحب السَّجْدَة وَالْقَوْل الْأسد
أصل مبدأ الْكَـــــوْن بل غَايَته | حجَّة الله علــــــى كل أحد
رَحْمَــــــة الله الَّتِي عَم بهَا | كل مَخْلــــــُوق على بر الْأَبَد
صفـــــوة الله من الْخلق مَعًا | فَهُوَ الْجَوْهَر والخـــلق زبد
الَّذِي قد خصّـــــه الله بِمَا | يعجز الْعد فَلَا يُحْصــــى عدد
كلَّما فِي الْأَنْبِيَاء من شرف ضم | فِيهِ بعد أَن كَـــــانَ بدد
وَلَقَد زيد عَلَيْهِــــم شرفاً | واختصاصات بمعناها انْفَــرد
من ليَوْم الْجمــــع إِلَّا أَحْمد | يَوْم لَا وَالِد يُغنــــي عَن ولد
ينقذ النَّاس بسجدات لَـــــهُ | من هموم وكروب وشــــدد
يَا مجلي الكرب السُّــود أغث | مَا رآك الكـــــرب إِلَّا وشرد
يَا مليح الْوَجْه يَا خير الــــورى | أَنْت بعد الله نعم الْمُعْتَمـــــد
يَا عَظِيم الجــــاه وَالْفضل وَيَا | أكْرم الْخلق إِلَيْــــك الْمُسْتَند
مدحتي نَحْـــــوك قد أَهْدَيْتهَا | فاجرني بِقبُــــول ومدد
واسأل الرَّحْمن لي من فَضله | الْعَفو والغفران والرزق الرغد
رب جنبنا بجاه الْمُصْطَفـــى | كل كد وبلاء ونكـــــد
وأقض حاجاتي واصلح عَمَلي | وَاخْتِمْ الْعُمر بِخَير إِن نفــد
وكذاك الْآل وَالْأَصْحَاب من | قد دنا مِنْهُم إِلَيْنَا وابتعـــد
وَصَلَاة الله مَعَ تَسْلِيمـــــه | لرَسُول الله من غير أمـــد
وكذاك الْآل وَالْأَصْحَـــاب من | قَامَ للدّين بنصر واجتهـــد (١)

وقال الإمام محي الدِّين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العَيْدَرُوس (١٠٣٨هـ) :

(١) انظر : النور السافر عن أخبار القرن العاشر (ص٢٨-٢٩) .

يَا رب وَاخْتِمْ لي بِخَير إنَّني    متوسِّل بالمصطفى خير الورى (١)

وقال الإمام محي الدِّين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العَيْدَرُوس (١٠٣٨هـ) : " فِي فجر يَوْم الْأَحَد شهر ربيع الآخر سنة ثَلَاثِينَ وَتِسْعمِائَة توفّي الشَّيخ إمَام شيخ الْإِسْلَام العلَّامة ذُو التَّصانيف المفيدة والفتاوي السَّديدة الْمجمع على جلالته وتحرِّيه وورعه اقضى قَضَاهُ الْمُسلمين أوحد عباد الله الصَّالحين صفي الدِّين أَبُو السرُور القَاضِي أَحْمد بن عمر بن محمَّد بن عبد الرَّحمن بن القَاضِي يُوسُف بن محمَّد بن عَليّ بن محمَّد بن حسان بن الْملك سيف بن ذِي يزن المدحجي السيفي الْمرَادِي شهَاب الدِّين الشَّهير بالمزجد بميم مَضْمُومَة ثمَّ زاء مَفْتُوحَة ثمَّ جِيم مُشَدّدَة مَفْتُوحَة ودال مُهْملَة آخر الْحُرُوف الشَّافعي الزبيدِيّ ... قال :

وثق بِجَمِيع مَا فِيهِ فَانِـــــــي    منحت الْعلم فِيـــــهِ مستفيده
إلهي اجْعَلْهُ لي ذخراً وضاعف    ثوابي من عطاياك الحميده
وجد بقبوله وَاجعَل جزائــــــي    رضاك وجنَّة الْخلـد المشيده
بجاه محمَّد خير البرايــــا    وتنقذهم عَن الكرب الشَّديده
وصلِّ مُسلِّما أبداً عَلَيْـــــــهِ    وَعمّ جَمِيع عترتــــه السَّعيده (٢)

(٢)

وقال الإمام محي الدِّين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العَيْدَرُوس (١٠٣٨هـ) نقلاً عن الإمام محمَّد بن أبي الحسن البكري الصِّدِّيقي الشَّافعي المصري (٩٩٣هـ) في لاميته الشهيرة :

ما أرســل الرَّحمن أو يرســـلُ    من رحمــة تصعــد أو تنـزلُ
في ملكـــوت الله أو مُلكـــــه    من كلِّ ما يختصّ أو يشــمل
إلَّا وطـــه المصـــطفى عبـــدُه    نبيُّـــه مُختــاره المُرسَــل
واســــطةٌ فيـــها وأصلٌ لها    يعـــلم هـــذا كلُّ مَن يعقِــل
فلُذْ به في كلِّ مـــا ترتجي    فهــو شفيـــــعٌ دائماً يُقبَــل
وعُــذْ به مِن كل ما تختـــشي    فإنّــه المَأمَــنُ والمَعْقِــل
وحُــطَّ أحمــالَ الرجـا عنده    فإنّـه المرجِــعُ والمَوئِـل

(١) انظر : النور السافر عن أخبار القرن العاشر (ص١٥) .

(٢) انظر : النور السافر عن أخبار القرن العاشر (ص١٢٧-١٢٨) .

ونـــــــادِهِ إنْ أزْمـــــــةٌ أَنْشَبَـتْ أظفـــارَها واستحكم المُعضِل
يا أكـــرمَ الخـــلقِ على ربِّـهِ يا خيرَ مَن فيـــــهم به يُسْـــــأَل
قد مسَّني الكـــربُ وكم مـرَّةٍ فرَّجْـــــتَ كرباً بعضُـــه يُذهِـــــل
ولن ترى أعجــــــــزَ منِّي فمـا لِشِـدَّةٍ أقـــــوى ولا أحمـــــلُ
فبالذي خصَّـك بين الورى برتبـةٍ عنها العُـــــــلَى تَنـــــــزلُ
عَجِّــــلْ بإذهـاب الذي أشتكـــــي فإن توقَّفْـتَ فمَـــن أسـأَلُ
فحيلتي ضاقت وصبري انقضى ولست أدري ما الذي أفعــــــل
فأنت بــــــابُ الله أيُّ امـرئٍ أتـاه مِن غيـــرك لا يدخـــــل
صلَّى الله عليك ما صـــــــافحَتْ زهرَ الرَّوابي نسمـة شَـمأَلُ
مُسَـلِّماً ما فاح عطرُ الحمى وضــــاع منه النَّـــدُّ والمَنْدَلُ
والآلِ والأصحــــــــاب ما غرَّدَتْ ســـاجعةٌ أُمْلُودُهـــا مُخْضـــــلُ (١)

وقال الإمام أبو محمَّد عبد الواحد بن أحمد بن علي ابن عاشر الأنصاري، المعروف بابن عاشر (١٠٤٠هـ) : " ... بجاه سيِّد الأنام " (٢) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد بن أحمد بن يحيى ، أبو العبَّاس المقري التِّلمساني (١٠٤١هـ) : " ... والله يسمح لنا ولهما بجاه النَّبي " (٣) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد بن أحمد بن يحيى، أبو العبَّاس المقري التلمساني أيضاً : " نسأل الله بجاه هذا النَّبي الشَّرف القدْر العظيم المزية أن يعتقنا من النَّار ويجيرنا في الدُّنيا والآخرة من كل مصيبة ورزية " (٤) .

(١) انظر : النور السافر عن أخبار القرن العاشر (ص٣٧٤) .

(٢) انظر : المرشد المعين على الضروري من علوم الدِّين (٢/ ٣٠٠) .

(٣) انظر : أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض (١/ ٢٢٤) .

(٤) انظر : أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض (٢/ ٢٥٢) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد بن أحمد بن يحيى، أبو العبَّاس المقري التِّلمساني أيضاً : " ونسأل الله تعالى حسن الختام ، وأن يدفع عن قلوبنا القتام ، بجاه سيِّدنا ومولانا محمَّد المصطفى خير الأنام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم الذي جعلنا مديحه مسك الختام " (١) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد بن أحمد بن يحيى، أبو العبَّاس المقري التلمساني أيضاً : " ... نسأله سبحانه أن ييسِّر علينا كرم الله وجهه مرام ، ويتغمَّد بالعفو ما ارتكبناه من إصرار وإجرام ، بجاه أشرف الخلق ، ووسيلتهم إلى الحقِّ ، سيِّدنا محمَّد بن عبد الله بن عبد المطَّلب ابن هاشم ، عليه من الله أفضل صلوات " (٢) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد بن أحمد بن يحيى، أبو العبَّاس المقري التِّلمساني أيضاً ناقلاً عن الفقيه أبي زكريَّا يحيى بن منصور التُّونسي :

والله أسأل رحمـــة لجميعنا ودخولنا فيمن حباه وشرَّفـه
متوسِّلين بأحمد خير الورى صَلَّى عليه الله ما نطقت شفه (٣)

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد المقري التلمساني أيضاً : " على أنني أقول : اللهمَّ يسِّر لي ما فيه الخيرة لي بالمشارق أو بالمغارب ، وجد لي من فضلك حيث حللت بجميع ما فيه رضاك من المآرب ، بجاه نبيِّنا وشفيعنا المبعوث رحمة للأحمر والأسود والأعاجم والأعارب ، عليه أفضل صلاة وأزكى سلام ، وعلى آله وأصحابه الأعلام " (٤) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد المقري التِّلمساني أيضاً : " ... نعوذ بالله من شرّ أنفسنا ومن شرّ كلِّ ذي شرّ، بجاه نبينا عليه أزكى صلوات الله وأفضل سلامه " (٥) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد المقري التِّلمساني أيضاً :

والله نرجو أن يتيح الختما بالخير كي نعطى القبول حتما
بجاه خير العالمين أحمدا صَلَّى عليه الله ما طال المدى (١)

---

(١) انظر : أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض (٢/ ٣٩٢) .

(٢) انظر : أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض (٣/ ١٩) .

(٣) انظر : أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض (٣/ ٣٠١) .

(٤) انظر : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدِّين بن الخطيب (١/ ٣٢) .

(٥) انظر : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدِّين بن الخطيب (١/ ٦٠٣) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد المقري التِّلمساني أيضاً :

ألبسه الله البرود الصَّافيه   من منّه وعفوه والعـــــافيه

بجـــاه سيِّد البرايا طرّا   ملجإ من إلى الكروب اضطرّا (٢)

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد المقري التلمساني أيضاً : "

فالله يجزيـــــــه الجزاء الأوفى   في يوم تبدي الأنبياء الخوفا

وخطّ هذا المقّريّ من وجـــل   مرتجياً من ربِّه عزَّ وجـــلّ

كشف كروبٍ عقد صبرٍ حلّت   منه وغفران ذنــوبٍ جلّت

بجــــــاه طه الهاشميّ أحمدا   عليه أزكى صلواتٍ سرمدا (٣)

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد المقري التِّلمساني أيضاً :

وخطّ هذا المقّريّ عن عجل   مؤمّلاً من ربه عزّ وجـــلّ

غفران ما جنى من الذُّنوب   والصّفح عن معرَّة العيوب

بجاه خير العـــالمين أحمدا   صَلَّى عليــه الله دأباً سرمدا (٤)

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد المقري التِّلمساني أيضاً : " وأن يحرسه من غير الليل والنَّهار ، ويجعله وارث الأعمار ، بجاه نبيِّنا محمَّد المختار " (٥) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد المقري التِّلمساني أيضاً :

يا أحمد المقّريّ دامت   بشراك تصحبها الرِّعـــايه

بجاه خير العباد طرّاً   والآل والصحب والنّقايه (٦)

---

(١) انظر : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدِّين بن الخطيب (٢/ ٤٢٦) .

(٢) انظر : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدِّين بن الخطيب (٢/ ٤٣٢) .

(٣) انظر : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدِّين بن الخطيب (٢/ ٤٣٤) .

(٤) انظر : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدِّين بن الخطيب (٢/ ٤٣٩) .

(٥) انظر : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدِّين بن الخطيب (٢/ ٤٥٧) .

(٦) انظر : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدِّين بن الخطيب (٢/ ٤٨٢) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد المقري التلمساني : " أثابه الله تعالى بهذه الشهادة بجاه نبينا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وشرف وكرم ومجد وعظم " (١) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد المقري التِّلمساني أيضاً :

فما لي إلاّ الله أرجـوه دائماً ولا سيما عند اقتراب منيّتي
فنسأل ربِّي في وفاتي مؤمناً بجاه رسول الله خير البريَّة (٢)

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد المقري التلمساني أيضاً : " ... عند نزول طاغية النصارى بمرج غرناطة أعادها الله تعالى للإسلام بجاه النَّبي عليه أفضل الصَّلاة وأزكى السَّلام " (٣) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد المقري التِّلمساني أيضاً : " قال حاشد البغدادي في صاعد اللغوي ، وكان صاعد ينشدهما ويبكي ويقول : ما هجيت بشيء أشدّ عليَّ منهما :

أقبل هديت أبا العلاء نصيحتي بقبولها وبواجب الشُّـكر
لا تهجـــــونَّ أسنّ منك فربَّما تهجو أباك وأنت لا تدري

نعوذ بالله من لسان الشعراء ، وأنواع البلاء ، بجاه نبينا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم " (٤) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد المقري التِّلمساني أيضاً في ترجمة الحاج أبو العبَّاس أحمد ابن عاشر الصَّالح (٧٦٥هـ) : " والنَّاس يشدُّون الرِّحال إليه من أقطار المغرب ، نفعنا الله تعالى به ، وأعاد علينا من بركاته ، بجاه نبيِّنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم " (٥) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد المقري التِّلمساني أيضاً : " والله سبحانه وتعالى ينفع به ، بجاه سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وعلى آله وصحبه وتابعيه وحزبه " (٦) .

---

(١) انظر : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدِّين بن الخطيب (٢/ ٦٢٦) .

(٢) انظر : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدِّين بن الخطيب (٢/ ٦٩٦) .

(٣) انظر : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدِّين بن الخطيب (٢/ ٧٠٤) ، وانظر : أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض التلمساني ، (٣/ ٣١٩) .

(٤) انظر : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدِّين بن الخطيب (٣/ ٩٧) .

(٥) انظر : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدِّين بن الخطيب (٥/ ٣٥٥) .

(٦) انظر : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدِّين بن الخطيب ، (٥/ ٦٠٥) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد المقري التِّلمساني أيضاً : " وفي علم الله تعالى ما لا نعلم ، والتَّسليم لأحكام الأقدار أسلم ، والله تعالى يختم لنا بالحسنى بجاه نبيّه ومصطفاه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم " (١) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد المقري التِّلمساني أيضاً : " اللهمَّ يسِّر لي ما فيه الخيرة لي بالمشارق أو بالمغارب ، وجُد لي من فضلك حيث حللت بجميع ما فيه رضاك من المآرب ، بجاه نبيِّنا وشفيعنا " .

وقال أيضاً : " نعوذ بالله من شرِّ أنفسنا ومن شرِّ كلّ ذي شرّ ، بجاه نبيِّنا عليه أزكى صلوات الله وأفضل سلامه " .

وقال أيضاً : " وأنا أسأل الله تعالى أن يجعل هذه المصيبة خاتمة ، ولا يريه بعدها إلاّ دولة قائمة ونعمة دائمة ، وأن يحرسه من غير الليل والنَّهار ، ويجعله وارث الأعمار " .

وقال أيضاً : " بجاه نبيِّنا محمَّد المختار ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وعلى آله وصحبه الأطهار ، بمنّه وكرمه " .

وقال أيضاً : " أثابه الله تعالى بهذه الشَّهادة ، بجاه نبيِّنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وشرف وكرم ومجد وعظم " .

وقال أيضاً : " نعوذ بالله من لسان الشعراء ، وأنواع البلاء ، بجاه نبينا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم .

وقال أيضاً : " نفعنا الله تعالى به ، وأعاد علينا من بركاته ، بجاه نبينا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم " (٢) .

وقال ...........: " ولا بأس بالتَّوسُّل بالصَّالحين ونصه في منسكه الذي كتبه للمروذي أنَّه يتوسَّل بالنَّبي ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في دعائه ، وجزم به في " المستوعب " ، وغيره " (٣) .

وقال أيضاً : " وَقَالَ السَّامِرِيُّ ، وَصَاحِبُ التَّلْخِيصِ : لَا بَأْسَ بالتَّوسُّل فِي الِاسْتِسْقَاءِ بِالشُّيُوخِ وَالْعُلَمَاءِ الْمُتَّقِينَ ، وَقَالَ فِي الْمُذْهَبِ : يَجُوزُ أَنْ يُسْتَشْفَعُ إلى اللهَّ بِرَجُلٍ صَالِحٍ ، وَقِيلَ : يُسْتَحَبُّ قَالَ أَحْمَدُ فِي مَنْسَكِهِ الَّذِي كَتَبَهُ لِلْمَرُّوذِيِّ أَنَّه يَتَوَسَّلُ بالنَّبي فِي دُعَائِهِ وَجَزَمَ بِهِ فِي الْمُسْتَوْعِبِ وَغَيْرِهِ " (٤) .

---

(١) انظر : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدِّين بن الخطيب (٧/ ١٣٥) .

(٢) انظر : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدِّين بن الخطيب (١/ ٣٢) ، (١/ ٦٠٣) ، (٢/ ٤٥٧) ، (٢/ ٦٢٦) ، (٣/ ٩٧) ، (٥/ ٣٥٥) بالترتيب .

(٣) انظر : كشاف القناع عن متن الإقناع (٢/ ٧٣) .

(٤) انظر : كشاف القناع عن متن الإقناع (٢/ ٦٨) .

وقال أيضاً : " " فَائِدَةٌ " يُرْوَى عَنْ الْعُتْبِيِّ (٢٢٨هـ) ، قَالَ : كُنْتُ جَالِساً عِنْدَ قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : السَّلام عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِّ ، سَمِعْتُ اللهَّ يَقُولُ : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤ ] ، وَقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَغْفِراً مِنْ ذُنُوبِي ، مُسْتَشْفِعاً بِكَ إلى رَبِّي ، ثمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظُمُهُ فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكَمُ
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ثُمَّ انْصَرَفَ الْأَعْرَابِيُّ ، فَحَمَلَتْنِي عَيْنَيَّ ، فَرَأَيْتُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي النَّوْمِ ، فَقَالَ : يَا عُتْبِيُّ الْحَقْ الْأَعْرَابِيَّ ، فَبَشِّرْهُ أَنَّ اللهَّ تَعَالَى قَدْ غَفَرَ لَهُ " (١) .

وقال أيضاً : " (وَ) أُبِيحَ (التَّوَسُّلُ بِالصَّالِحِينَ) رَجَاءَ الْإِجَابَةِ وَاسْتَسْقَى عُمَرُ بالعبَّاس ، وَمُعَاوِيَةُ بِيَزِيدَ بْنِ الْأَسْوَدِ. وَاسْتَسْقَى بِهِ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ مَرَّةً أُخْرَى ذَكَرَهُ الْمُوَفَّقُ " (٢) .

قال الإمام محمَّد بن علَّان الصدِّيقي الشَّافعي (١٠٥٧هـ) : " لأنَّ التَّوسُّل به سيرة السَّلف الصَّالح الأنبياء والأولياء وغيرهم " (٣) .

وألَّف الإمام محمَّد بن علي بن علَّان الصدِّيقي المكي (١٠٥٧هـ) أيضاً كتاباً بعنوان : " المبرد المبكي في ردِّ الصَّارم المنكي " .

وقال الإمام مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (١٠٦٧هـ) : " ... ويحمي أعراضنا عن ناره ، الموقدة بحرمة أمين وحيه " (٤) .

وقال الإمام حسن بن عمار بن علي الشرنبلالي المصري الحنفي (١٠٦٩هـ) : " نسأل الله من فضله العفو والعافية ، بجاه سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم " (٥) .

---

(١) انظر : كشاف القناع عن متن الإقناع (٢/ ٥١٦) .

(٢) انظر : دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات (١/ ٣٣٥) .

(٣) انظر : الفتوحات الربَّانية على الأذكار النواوية (٥/ ٣٥-٣٦) .

(٤) انظر : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (٢/ ٢٠٥٤) .

(٥) انظر : مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح ، حسن بن عمار بن علي الشرنبلالي المصري الحنفي ، (١/ ٢٠٦) .

وقال أيضاً : " روى سعيد بن منصور وسمرة ابن حبيب وحكيم بن عمير قالوا : إذا سُوِّي على الميت قبره وانصرف النَّاس ، كانوا يستحبُّون أن يقال للميت عند قبره : يا فلان ، قل لا إله إلَّا الله ، ثلاث مرات ، يا فلان : قل ربِّي الله وديني الإسلام ، ونبيي محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، اللهمَّ أنِّي أتوسَّل إليك بحبيبك المصطفى أن ترحم فاقتي بالموت على الإسلام والإيمان ، وأن تشفِّع فينا نبيَّك عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام ... " (١) .

وقال أيضاً : " ... وصلَّى الله على سيِّدنا ومولانا محمَّد خاتم الأنبياء وعلى آله وصحبه وذريَّته ومن والاه ، ونسأل الله سبحانه متوسِّلين إليه بالنَّبي المصطفى الرَّحيم أن يجعله وشرحه ومختصره هذا عملاً خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به " (٢) .

وقال أيضاً : " وفَّقنا الله تعالى بفضله ، ومنَّ علينا بالعود على أحسن حال إليه ، بجاه سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم " (٣) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد بن عمر الخفاجي (١٠٦٩هـ) : " وأنا الآن منتِظرٌ لألطاف رَبّى ، وهو في كلِّ الأمورِ حسْبى ، أن يُعيدني لجوارِه ، واجتْلاء نُورِ حَبِيبه ومخُتارِه ، به إليه مُتوسّلاً ، وفي نَيْل رجائي مُتوكّلاً لا مُتأكّلاً " (٤) .

وقال أيضاً : " جمع الله لنا خَيْري الدُّنيا والآخرة ، بجاه المصطفى الأمين ، آمين " (٥) .

وقال أيضاً : " اللهمَّ كما يسَّرت هذا الإتمام يسر لنا حسن الاختتام ، بجاه نبيك عليه أفضل صلاة وسلام وعلى آله وصحبه الكرام " (٦) .

وقال أيضاً : " جعلنا الله ممَّن يُدعى لتلك الأبواب من غير حساب ولا عقاب بجاه سيِّدنا ونبيِّنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وعلى جميع الأهل والأصحاب " (٧) .

---

(١) انظر : مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح (١/ ٢١٢) .

(٢) انظر : مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح (ص٢٦٩) .

(٣) انظر : مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح (١/ ٢٨٢) .

(٤) انظر : ريحانة الألبّا وزهرة الحياة الدُّنيا (ص٣٨١) .

(٥) انظر : ريحانة الألبّا وزهرة الحياة الدُّنيا (ص٤٤٨) .

(٦) انظر : حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، المُسَمَّاة : عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي (٦/ ٤٠٤) .

(٧) انظر : حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي ، المُسَمَّاة : عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي (٧/ ٢٣٠) .

وقال أيضاً : " اللهمَّ اجعلنا ممَّن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، بجاه أكرم الرُّسل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله وصحبه أجمعين " (١) .

وقال أيضاً : " اللهمَّ إني أسألك بجاه محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم زكاة نفسي وتقواها فأنت وليها ومولاها " (٢) .

وقال الشَّيخ العلَّامة محمَّد أحمد الخطيب الشّوبري الشَّافعي (١٠٦٩هـ) في الجواب على سؤال ورد إليه عن كرامات الأولياء والاستغاثة بهم بعد الوفاة : " ... ويجوز التَّوسُّل بهم - يعنى الأولياء - إلى الله تعالى والاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والعلماء والصَّالحين بعد موتهم ؛ لأنَّ معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء لا فارق بينهما إلَّا التحدِّي ، أمَّا الأنبياء فلأنَّهم أحياء في قبورهم يصلُّون ويحجُّون ، كما وردت به الأخبار الصَّحيحة ، فتكون الإغاثة بهم معجزة لهم ، والشُّهداء أحياء أيضاً عند ربِّهم بالنصِّ القرآني ، وشوهدوا جهاراً يقاتلون الكفَّار ، أمَّا الأولياء فهي كرامة لهم ، فإنَّ أهل الحق على أنَّه يقع للأولياء بقصد وبغير قصد أمور خارقة للعادة يجريها الله تعالى بسببهم ، والدَّليل على جوازها : أنَّها أمور ممكنة ، لا يلزم من جوازها ووقوعها محال أصلاً ، وكلُّ ما هذا شأنُه فهو ممكن الوقوع " (٣) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن أحمد ميارة الفاسي المالكي (١٠٧٢هـ) : " ... نتوسَّل إليك بجاه أحبِّ الخلق " (٤) .

وقال أيضاً : " ... أبقى الله وجوده كهفاً للإسلام ، وجلاءً لغياهب الظَّلام ، وأعانه على ما هو بصدد من إخماد الكفرة ونصرة الإسلام ، وكبت أعدائه بجاه سيِّدنا محمَّد عليه أفضل الصَّلاة وأزكى السَّلام " (٥) .

وقال أيضاً : " فَاسْأَلُ النَّفْعَ بِهِ على الدَّوَامْ مِنْ رَبِّنَا بِجَاهِ سيِّد الأَنامِ " (٦) .

---

(١) انظر : حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي ، المُسَمَّاة : عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي (٧/ ٤٥٤) .

(٢) انظر : حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي ، المُسَمَّاة : عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي (٧/ ٣٦٦) .

(٣) انظر : سعادة الدارين في الردِّ على الفرقتين الوهابية ومقلدة الظاهرية (١/ ٢٢٨-٢٢٩) .

(٤) انظر : كتاب الدر الثمين والمورد المعين (٢/ ٣٠٢) .

(٥) انظر : الدر الثمين والمورد المعين (شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين) (ص٨) .

(٦) انظر : الدر الثمين والمورد المعين (شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين) (ص٥٩٩) .

وقال أيضاً : " ... ثمَّ طلب من الله تعالى النَّفع بهذا النَّظم على الدَّوام والاستمرار متوسِّلاً في نيل ذلك بجاه أي بقدر سيِّد الأنام ... اللهمَّ إنَّا نتوسَّل إليك بجاه أحبِّ الخلق إليك ، وأعظمهم قدراً عندك ، سيِّدنا ونبيِّنا محمَّد وبجاه جميع الأنبياء والرُّسل وأهل بدر وبجميع الأولياء والصدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين أن لا تدع لنا ذنباً إلَّا غفرته ولا همَّاً إلَّا فرَّجته ... " (١) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن محمَّد بن سليمان المدعو بشيخي زاده ، يعرف بداماد أفندي (١٠٧٨هـ) : " أَصْلَحَهُمْ الله تَعَالَى وَإِيَّانَا بِجَاهِ نَبِيِّهِ " (٢) .

وجاء في حاشية أبي الضياء نور الدِّين بن علي الشّبراملسي الأقهري (١٠٨٧هـ) : "... حَرَسَهَا الله تَعَالَى مِنْ كُلِّ سُوءٍ بِجَاهِ محمَّد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم – " ، وقال : وَأَسْأَلُهُ الْإِعَانَةَ عَلَى الْإِتْمَامِ بِجَاهِ محمَّد سيِّد الْأَنَامِ وَمِصْبَاحِ الظَّلَامِ " (٣) .

وقال الإمام محمَّد بن علي بن محمَّد الحِصْني المعروف بعلاء الدِّين الحصكفي الحنفي (١٠٨٨هـ) : " فنسأل الله تعالى التَّوفيق والقبول ، بجاه الرَّسول " (٤) .

وقال الإمام عبد الحي بن أحمد بن محمَّد ابن العماد العَكري الحنبلي ، أبو الفلاح (١٠٨٩هـ) في ترجمة الحافظ تقي الدِّين عبد الرَّحيم بن الشَّيخ محب الدِّين محمَّد الأوجافي المصري الشَّافعي (٩١٠هـ) : " وقال في مرضه الذي مات فيه :

لَّما مرضت من الذُّنوب وثقلها    وأيست من طبِّ الطَّبيب النَّافع
علَّقت أطماعي برحمة سيِّدي    وأتيته متوسِّلاً بالشَّافعي (٥)

وقال الإمام عبد الحي بن أحمد بن محمَّد ابن العماد العَكري الحنبلي ، أبو الفلاح (١٠٨٩هـ) ، عن علي بن حميد أبو الحسن الذّهلي : " ... وقبره يُزار ويُتبرَّك به " (٦) .

---

(١) انظر : الدر الثمين والمورد المعين (شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين) (ص٦٠٠) .

(٢) انظر : مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر (١/ ٥٠١) .

(٣) انظر : نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج (٥/ ٣٢٣) .

(٤) انظر : الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار (١/ ١٦) .

(٥) انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١٠/ ٦٧) .

(٦) انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٥/ ٢٢٤) .

وقال الإمام عبد الحي بن أحمد بن محمَّد ابن العماد العَكري الحنبلي ، أبو الفلاح في ترجمة تقي الدِّين أبو بكر بن محمَّد بن محمَّد بن عبد الله بن أبي بكر بن أبي بكر البلاطنسي الشَّافعي الحافظ ، شيخ مشايخ الإسلام : " قال الشَّيخ يونس العيثاوي – وهو تلميذه – : هو من بيت صلاح وعلم ، سمعت مدحه بذلك من السيِّد كمال الدِّين بن حمزة ، ودخل دمشق في طلب العلم ، وأخذ عن علمائها المشار إليهم ، ثمَّ استوطنها ، ولم يتناول من أوقافها شيئاً ، وكان يجلس في البادرائيَّة ، وأرسل إليه بأموال ووظائف فلم يقبل .

وكان عالماً ، عاملاً ، ورعاً ، كاملاً ، له مهابة في قلوب الفقهاء والحكَّام ، يرجع إليه في المشكلات ، لا يتردَّد إلى أحد لغناه ، وله همَّة مع الطَّلبة ، ونصيحة واعتناء بالعلم ، أمَّاراً بالمعروف ، نهَّاء عن المنكر ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، لا يداهن في الحقّ ، له حالة مع الله تعالى ، يستغاث بدعائه ، ويتبرك بلحظه ، قائماً بنصرة الشَّريعة ، حاملاً لواء الإسلام ، مجدَّاً في العبادة ، مجانباً للرِّياء ، لا يحب أن يمدحه أحد ، يختم القرآن في كلِّ يوم جمعة ، ويختم في شهر رمضان كلَّ ليلة ختمتين " (١) .

وقال الإمام عبد الحي بن أحمد بن محمَّد ابن العماد العكري الحنبلي الدِّمشقي : " وأهل بغداد يستسقون بقبره ويسمُّونه ترياقاً مجرَّباً ، قال مرَّة لتلميذه السَّري السَّقطي : إذا كانت لك إلى الله حاجة فأقسم عليه بي " (٢) .

وقال الإمام عبد الحي بن أحمد بن محمَّد ابن العماد العَكري الحنبلي ، أبو الفلاح أيضاً ، في ترجمة السيِّد أحمد البخاري العارف بالله تعالى الشَّريف الحسيني : " ... وتوفِّي بقسطنطينية ، ودُفن عند مسجده ، وقبره يُزار ويُتبرّك به " (٣) .

وقال الإمام عبد الحي بن أحمد بن محمَّد ابن العماد العَكري الحنبلي ، أبو الفلاح : " قال الشَّيخ يونس العيثاوي– وهو تلميذه – : هو من بيت صلاح وعلم ، سمعت مدحه بذلك من السيِّد كمال الدِّين بن حمزة ، ودخل دمشق في طلب العلم ، وأخذ عن علمائها المشار إليهم ، ثمَّ استوطنها ، ولم يتناول من أوقافها شيئاً . وكان يجلس في البادرائية . وأرسل إليه بأموال ووظائف فلم يقبل .

---

(١) انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١٠/ ٢٩٨) .

(٢) انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١/ ٣٥٣) .

(٣) انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١٠/ ١٥٢) .

وفي حوادث سنة ست وثلاثين وتسعمائة ، قال الإمام ابن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ) : " ... وفيها تقي الدِّين أبو بكر بن محمَّد بن محمَّد بن عبد الله بن أبي بكر بن أبي بكر البلاطنسي الشَّافعي الحافظ ، شيخ مشايخ الإسلام ، العلَّامة المحقّق ، الناقد المجتهد . وكان عالماً ، عاملاً ، ورعاً ، كاملاً ، له مهابة في قلوب الفقهاء والحكّام ، يرجع إليه في المشكلات ، لا يتردد إلى أحد لغناه ، وله همّة مع الطلبة ، ونصيحة واعتناء بالعلم ، أمَّاراً بالمعروف ، نهَّاء عن المنكر ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، لا يُداهن في الحقّ ، له حالة مع الله تعالى ، يُستغاث بدعائه ، ويُتبرك بلحظه ... " (١) .

وقال الإمام عبد الحي بن أحمد العكري الدِّمشقي ، في ترجمة صبح بن أحمد الحافظ أبو الفضل التَّميمي الأحنفي الهمذاني السّمسار (٣٨٤هـ) : " ... والدُّعاء عند قبره مستجاب " .

وقال أيضاً في ترجمة أبي بكر أحمد بن علي بن أحمد الهمذاني (٣٩٨هـ) : " والدُّعاء عند قبره مستجاب " .

وقال أيضاً في ترجمة الملك العادل أبو القسم محمود بن زنكي (٥٩٧هـ) : " وروى أن الدُّعاء عند قبره مستجاب " .

وقال أيضاً في ترجمة سيف الدِّين أبو الحسن علي بن يوسف بن أبي الفوارس القيمري (٦٥٣هـ) : " والدُّعاء عند قبره مستجاب " .

وقال أيضاً في ترجمة الشَّيخ أبو بكر بن داود الصالحي (٨٠٦هـ) : " والدُّعاء عند قبره مستجاب " (٢) .

وقال الإمام عبد الحي بن أحمد بن محمَّد ابن العماد العَكري الحنبلي ، أبو الفلاح في ترجمة علي بن حميد أبو الحسن الذّهلي إمام جامع همذان : " وقبره يزار ويتبرك به " (٣) .

وقال الإمام عبد الحي بن أحمد بن محمَّد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح : " وإلى ذلك أشار الشَّيخ العارف الصّدّيق أبو محمَّد ، المقرئ المعروف والده بالمدوّخ في " وسيلته الجامعة " ، فقال :

بجاه عديّ ذلك ابن مسـافر    به تسكن الأمـــــواج في لجج البحر
وإن قلته للّيث لم يخط خطوة    ولا الشّبر من قاع ولا البعض من شبر (٤)

---

(١) انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١٠/ ٢٩٨) .

(٢) انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٣/ ١٠٩) (٣/ ١٥٠) ، (٤/ ٢٧٨) ، (٥/ ٢٦٠) ، (٧/ ٥٧) .

(٣) انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٥/ ٢٢٤) .

(٤) انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٦/ ٣٠٠) .

وقال الإمام عبد الحي بن أحمد بن محمَّد ابن العماد العَكري الحنبلي ، أبو الفلاح في ترجمة أحمد البخاري العارف بالله تعالى الشَّريف الحسيني : " وتوفي بقسطنطينية ، ودفن عند مسجده ، وقبره يُزار ويُتبرّك به " (١) .

وقال الإمام عبد القادر بن عمر بن بايزيد بن أحمد البغدادي (١٠٩٣هـ) : " ... وَيسر لَهُ النَّصْر المتين ، وَسَهل لَهُ الْفَتْح الْمُبين ، بجاه حَبِيبه وَرَسُوله محمَّد الأمين آمين " (٢) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله الخرشي المالكي الخرشي (١١٠١هـ) : " ... نَتَوَسَّلُ إلَيْك بِجَاهِ الْحَبِيبِ أَنْ تُبَلِّغَ الْمَقَاصِدَ عَنْ قَرِيبٍ فَإِنَّك قَرِيبٌ مُجِيبٌ " (٣) .

وقال الإمام الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي ، نور الدِّين اليوسي (١١٠٢هـ) : " نسأل الله سبحانه أن يكمل ذلك لنا وله ولسائر الأحباب بالفوز يوم الحشر والرضوان الأكبر ، بجاه نبيّه المصطفى المبعوث إلى الأسود والأحمر ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وعلى آله وصحبه المجلين في كل مفخر " (٤) .

وقال الإمام محمَّد أمين بن فضل الله بن محب الدِّين بن محمَّد المحبي في حديثه عن موسى القلبيبي الأزهري : " فمما اخترته من شعره المعسول ، هذه القطعة من موشح قاله في التَّوسُّل بجاه الرَّسول :

الرَّسولُ الْمُقْتَفى مِمَّن مَضَى مَهْبِطُ الأسْرارْ
الصِّراطُ الْمُسْتقِيمُ الْمُرْتضَى صاحبُ المِقْدارْ
شاهرُ السَّيفِ القويمِ الْمُنْتَضَى مَاحِقُ الأغْيارْ
كالِئُ الإسلامِ حتى أن سَمَا كاسِرُ الأرْجاسْ
شافعُ الخَلْقِ إذا اشْتدَّ الظَّمَا صافِعُ الوَسْواسْ
قد توسَّلْتُ به أرْجُو الفَرَجْ فامْحُ آثامِي
وأزِلّ عنِّي عَنائِي والحَرَجْ واجْلُ إجْرامِي
وبلُطْفٍ منك بَرِّدْ مَا وَهَجْ واشْفِ أسْقامِي (١)

(١)

(١) انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١٠/ ١٥٢) .

(٢) انظر : خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (١/ ٥) .

(٣) انظر : شرح مختصر خليل للخرشي (١/ ٥٨) .

(٤) انظر : المحاضرات في اللغة والأدب (ص١٩) .

وقال الإمام محمَّد أمين بن فضل الله بن محب الدِّين بن محمَّد المحبي الحموي الأصل ، الدِّمشقي (١١١١هـ) : " ... وَنقل فِي شَرحه على الجَوْهَرَة – يعني اللقاني – ، قَالَ : لَيْسَ للشَّدائد والغموم مِمَّا جرَّبه المعتنون مثل التَّوسُّل بِهِ صَلَّى الله تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّم !!! وَمِمَّا جرب فِي ذَلِك قصيدتي المقلبة بكشف الكروب بملاحات الحبيب والتَّوسُّل بالمحبوب الَّتِي أنشأتها بِإِشَارَة وَردت على لِسَان الخاطر الرحماني عِنْد نزُول بعض الملمَّات ، فَانْكَشَفَتْ بِإِذن خَالق الأَرْض وَالسَّمَوَات وَكَاشف الْمُهِمَّات لَا إِلَه غَيره وَلَا خير إِلَّا خَيره ، وَهِي :

يَا أكْرم الْخلق قد ضَاقَتْ بِي السُّبل ... ودق عظمي وَغَابَتْ عني الْحِيَل
وَلم أجد من عَزِيز أستجير بِهِ ... سوى رَحِيم بِهِ تستشفع الرُّسُل
مشمر السَّاق يحمي من يلوذ بِهِ ... يَوْم الْبَلَاء إِذا مَا لم يكن بَلل
غوث المحاويج إِن مَحل أَلمَّ بهم ... كَهْف الضِّعَاف إِذا مَا عَمها الوجل
مُؤَمل البائس الْمَتْرُوك نصرته ... مكرم حِين يَعْلُو سره الخجل
كنز الْفَقِير وَعز الْجُود من خضعت ... لَهُ الْمُلُوك وَمن تحيا بِهِ الْمحل
من لِلْيَتَامَى بِمَال يَوْم أزمتهم ... وللأرامل ستر سابغ خضل
لَيْث الْكَتَائِب يَوْم الْحَرْب إِن حميت ... وطيسها واستحد الْبيض والأسل
من ترتجي فِي مقَام الهول نصرته ... وَمن بِهِ تكشف الغماء والغلل
مُحَمَّد ابْن عبد الله ملجاؤنا ... يَوْم التنادي إِذا مَا عمنَا الوهل
الفاتح الْخَاتم الميمون طَائِره ... بَحر الْعَطاء وكنز نَفعه شَمل
الله أكبر جَاءَ النَّصْر وانكشفت ... عَنَّا الغموم وَولي الضّيق وَالْمحل
عزمة من رَسُول الله صَادِقَة ... وهمّة يمتطها الحازم البطل
أغث أغث سيِّد الكونين قد نزلت ... بِنَا الرَّزايا وَغَابَ الْخلّ والأخل
ولاح شيبي وَولي الْعُمر مُنْهَزِماً ... بعسكر الذَّنب لَا يلوى بِهِ عجل
كن للمعنى مغيثاً عِنْد وحدته ... وَكن شَفِيعاً لَهُ إِن زلت النَّعْل
فجملة القَوْل أَنِّي مذنب وَجِلٌ ... وَأَنت غوث لمن ضَاقَتْ بِهِ السُّبل
صلَّى عَلَيْك إلهي دَائِماً أبداً ... مَا إِن تعاقبت الضَّحواء وَالْأَصل

(١) انظر : نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة (١/ ٢٠٤).

وآلك الغرّ والصَّحب الْكِــــــرَام كَــذَا   مُسلما والسَّلام الطّيب الحفــــــــل (١)

وذكر الإمام محمَّد أمين بن فضل الله بن محب الدِّين بن محمَّد المحبي الحموي الأصل ، الدِّمشقي (١١١١هـ) ، شعراً من شعر أَبُي الْمَوَاهِب محمَّد بن عَليّ الْبكْرِيّ الصديقي الْمصْرِيّ الشَّافعي (١٠٣٧هـ) في خلاصة الأثر ، منه :

ويحفظ رب الْعَالمين كريمكم   لكم رَبنَا الرَّحمن من فَضلـــــــــه يرْعَى

بجاه رَسُول الله أفضل مُرْسل   ترى الْأسد فِي الغابات من خَوفه صرعى (٢)

وقال الإمام محمَّد أمين بن فضل الله بن محب الدِّين بن محمَّد المحبي الحموي الأصل، الدِّمشقي (١١١١هـ) في ترجمة محمَّد بن عبد الْحَلِيم الْمَعْرُوف بالبورسوى وبالاسيري مفتى السَّلطنة وَرَئِيس علمائها (١٠٩٣هـ) ، أنَّ والد المحبي أرسل لصاحب التَّرجمة برسالة ، جاء فيها : " ... جعل الله تَعَالَى مُجمل سعادته غَنِيا عَن الافصاح ، وجياد أَوْصَافه الْحَسَنَة متبارية في ميدان المداح ، بجاه سيِّدنا محمَّد الذى علا على الْبراق ، وتشرفت بِهِ الْآفَاق ، وَآله الْكِرَام وَأَصْحَابه الفخام ... " (٣) .

وقال الإمام محمَّد أمين بن فضل الله بن محب الدِّين بن محمَّد المحبي الحموي الأصل ، الدِّمشقي (١١١١هـ) نقلاً عن الإمام محمَّد بن محمَّد شمس الدِّين القدسي الشَّافعي الدِّمشقي الْمَعْرُوف في بِلَاده بِابْن خصيب وبالسيد الصادي وفى دمشق بالسيد القدسي (١٠٠٨هـ) في أحد كتاباته : " ... أمدَّ الله تَعَالَى أطناب دولته السَّعيدة ، وأدام صولته الشَّديدة ، بمحمَّد وَآله وَمن سلك على منواله ... " (٤) .

وقال الإمام محمَّد أمين بن فضل الله بن محب الدِّين بن محمَّد المحبي الحموي الأصل، الدِّمشقي (١١١١هـ) في ترجمة السَّيِّد عبد الله بن سيف الله السَّيِّد الشَّريف الْمَعْرُوف بِابْن سعدى القسطنطينى وذكر قصيدة لأبيه ، وفيها : "

هَذَا زمَــــــــــــــان عَجِيب   مَا فِيهِ خلّ مصافي

وَالْفضل قد صَار ذَنباً   وللرَّواج منــــــــــــافي

عَسى الإله قَرِيبـــــاً   يمنُّ بالإسعــــــــــــاف

(١) انظر : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (١/ ٨) .

(٢) انظر : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (١/ ١٤٧) .

(٣) انظر : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٣/ ٤٨٤) .

(٤) انظر : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٤/ ١٥٨) .

بجاه خير البرايـــــا      والآل أهل العفاف " [١]

وقال الإمام محمَّد أمين بن فضل الله بن محب الدِّين بن محمَّد المحبي الحموي الأصل، الدِّمشقي (١١١١هـ) : " متضرِّعاً لإله يسمع وَيرى ، أَن يخلد ذكر الدَّولة المنصوريَّة على صفحات الأيام ، ويربط أطناب معدلتها بِأَوْتَادِ الخلود والدوام ، إِلى قيام السَّاعَة وَسَاعَة الْقيام ، بمحمَّد وَآله وعترته الطاهرين وَصَحبه المنتخبين " [٢] .

وقال الإمام عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (١١١١هـ) داعياً : " ... أسأَل الله أَن يرزقه مِنْهُ مسحة قبُول بجاه جدِّه الرَّسول وعَلى آله وَصَحبه وَسَلَّم " [٣] .

وقال الإمام عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (١١١١هـ) : " ... ثمَّ  قرئَ المرسوم السُّلطاني ، وَفِيه غَايَة التَّعْظِيم والإجلال ، وَنشر محَاسِن لمولانا الشَّريف سعد أعزَّه الله بجاه جده الأمين ... " [٤] .

وقال الإمام عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكِّي (١١١١هـ) : " ... ثمَّ  استعفوا مَوْلَانَا الشَّريف سعد من الثُّلُث وَأعْطِي عشْرين ألف ريال فَسلمت لمولانا الشَّريف أعزَّه الله بجـــاه النَّبي والآل ... " [٥] .

وقال الإمام محمَّد أمين بن فضل الله بن محب الدِّين بن محمَّد المحبي (١١١١هـ) : " ... فالله يمدُّ أطناب دولته السَّعيدة ، ويديم صولته الشَّديدة ، بمحمَّد وآله ، ومن سلك على منواله " [٦] .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن أحمد بن عبد الغني الدّمياطيّ، شهاب الدِّين الشَّهير بالبناء (١١١٧هـ) : " وأتوجَّه للمولى تعالى أن يقبل هذا العمل ، وأن يكرمني بخدمة كتابه الكريم وحفاظه المكرمين ، بجاه سيِّد المرسلين عليه أفضل الصَّلاة وأزكى التَّسليم ، والحمد لله ربّ العالمين " [٧] .

---

[١] انظر : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٤/ ٢٤٦) .

[٢] انظر : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٤/ ٢٩٣) .

[٣] انظر : سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (١/ ٧١) .

[٤] انظر : سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (٤/ ٤٩٠) .

[٥] انظر : سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (٤/ ٥٢٣) .

[٦] انظر : نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة (١/ ٩١) .

[٧] انظر : إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (ص٣) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن أحمد بن عبد الغني الدّمياطيّ ، شهاب الدِّين الشَّهير بالبناء (١١١٧هـ) : " وأرجو من الله تعالى متوسّلاً إليه برسوله سيِّدنا محمَّد صَلَّى الله تعالى عليه وَسَلَّم وعلى آله وصحبه عموم النَّفع به ، وأن يسهِّله على كلِّ طالب" (١) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن أحمد بن عبد الغني الدّمياطيّ، شهاب الدِّين الشَّهير بالبناء (١١١٧هـ) : " ... وأستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ، مستعيناً به متوسّلاً إليه في ذلك بنبيِّه سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وأسأله أن يُسبل علينا ستره الجميل ..." (٢) .

وقال الإمام علي بن أحمد بن محمَّد معصوم الحسني الحسيني ، الشَّهير بابن معصوم (١١١٩هـ) : " رجع إلى شعر الشَّيخ عبد الرَّحمن صاحب التَّرجمة فمنه أيضاً مادحاً السيِّد ثقبه ومهنئاً له بعافية ابنه السيِّد قتادة ومتشكراً من إنعام أنعمه عليه :

فلا زال في عزِّ السَّعادة مالكـــــاً ... زمام العلا والدَّهر من جملة الجند

بجاه النَّبي الطّهر مستنصراً وبالا ... ئمَّة أعني من ختـــــامهم المهدي

عليهم صلاة الله ّ ثمَّ سلامـــــــه ... يدومـان ما هزَّ الصّـا عذب الرند (٣)

(٣)

وقال الإمام صدر الدِّين المدني ، علي بن أحمد بن محمَّد معصوم الحسني الحسيني ، المعروف بعلي خان بن ميرزا أحمد ، الشَّهير بابن معصوم (١١١٩هـ) : " ... فالله تعالى يبقيك محروساً بجناب مأنوس القباب ، متلفِّعاً من الجلالة بأشرف جلباب ، مستقرَّاً على كراسي الملك ، وأعداؤك في الهلك ، بجاه جدِّك عليه السَّلام ، وآله البررة الكرام ، وصحبه الخيرة الأعلام " (٤) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن عبد الباقي بن يوسف الزُّرقاني المصري الأزهري (١١٢٢هـ) : " وَأَسْأَلُهُ الْإِعَانَةَ عَلَى التَّمَامِ خَالِصاً لِوَجْهِهِ بِجَاهِ أَفْضَلِ الْأَنَامِ " (٥) .

---

(١) انظر : إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (ص٦) .

(٢) انظر : إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (ص٦١٩) .

(٣) انظر : سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر (ص٨٧) .

(٤) انظر : سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر (ص٤١) .

(٥) انظر : شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (٣/ ٣٧٨) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن عبد الباقي بن يوسف الزُّرقاني المصري الأزهري (١١٢٢هـ) أيضاً : " ... وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ مُتَوَسِّلاً إِلَيْكَ بِأَشْرَفِ رُسُلِكَ ، أَنْ تَجْعَلَهُ خَالِصاً لِوَجْهِكَ ، وَأَنْ تَنْفَعَ بِهِ ، وَأَنْ تَجْعَلَهُ سَبَباً لِلْفَوْزِ بِرِضَاكَ وَلِقَائِكَ وَلِقَاءِ حَبِيبِكَ محمَّد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ..." (١) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدِّين بن محمَّد الزُّرقاني المالكي (١١٢٢هـ) أيضاً : " والله أسأل من فضله متوسِّلاً إليه بأشرف رسله أن يجعله لوجهه خالصاً " (٢) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدِّين بن محمَّد الزُّرقاني المالكي ( ١١٢٢هـ) أيضاً : " وينبغي للزَّائر أن يكثر من الدُّعاء والتَّضرُّع والاستغاثة والتَّشفُّع والتَّوسُّل به ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فجدير " أي : حقيق " بمن استشفع به أن يشفِّعه الله تعالى فيه " ، ونحو هذا في منسك العلَّامة خليل ، وزاد وليتوسَّل به - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ويسأل الله تعالى بجاهه في التَّوسُّل به ؛ إذ هو محطّ جبال الأوزار وأثقال الذُّنوب ؛ لأنَّ بركة شفاعته وعظمها عند ربِّه لا يتعاظمها ذنب ، ومن اعتقد خلاف ذلك فهو المحروم الذي طمس الله بصيرته وأضل سريرته ، ألم يسمع قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤ ] ، انتهى .

ولعلَّ مراده التَّعريض بابن تيمية ، " واعلم أنَّ الاستغاثة هي طلب الغوث " الإعانة والنَّصر ، " فالمستغيثُ يطلبُ من المُستغاث به أن يحصل له الغوث منه ، فلا فرق بين أن يعبّر بلفظ الاستغاثة أو التَّوسُّل أو التَّشفُّع أو التَّجوّه - بجيم قبل الواو ، " أو التَّوجُّه " بتقديم الواو على الجيم ؛ لأنَّهما من الجاه والوجاهة ، ومعناه : علوّ القدر والمنزلة " الرُّتبة .

" وقد يتوسّل بصاحب الجاه إلى من هو أعلى منه " ، كالتَّوسُّل بالمصطفى إلى الله ، ثمَّ إنَّ كلًّا من الاستغاثة والتَّوسُّل والتَّشفُّع والتَّوجُّه بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، كما ذكره في " تحقيق النُّصرة " و " مصباح الظَّلام في المستغيثين بخير الأنام " واقع في كلِّ حال قبل خلقه ، وبعد خلقه في مدَّة حياته في الدُّنيا ، وبعد موته في مدَّة البرزخ ، وبعد البعث في عرصات القيامة " جمع عرصة ، كلّ موضع لا بناء فيه " فأمَّا الحالة الأولى " قبل خلقه " فحسبك ما قدَّمته في المقصد الأوَّل من استشفاع آدم به - عليه الصَّلاة والسَّلام - لَمَّا خرج من الجنَّة ، وقول

(١) انظر : شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (٤/ ٦٩٥) .

(٢) انظر : شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (١٢/ ٤٣٧) .

الله تعالى له : يا آدم ، لو تشفَّعت إلينا بمحمَّد في أهل السَّماوات والأض لشفعناك " ، أي : لقبلنا شفاعتك . وفي حديث عمر بن الخطاب عند الحاكم والبيهقي وغيرهما : " وإنَّ " للتَّعليل " سألتني بحقِّه غفرت لك " ما وقع منك " ويرحم الله ابن جابر حيث قال :

به قد أجاب الله آدم إذ دعـــــــــا ونجَّى في بطن السَّفينة نوح

وما ضرت النَّار الخليـــــــــل لنوره ومن أجلـــــــــه نال الفداء ذبيح

" وصحَّ أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، قال : " لَمَّا اقترف آدم الخطيئة قال : يا ربّ ، أسألك بحقِّ محمَّد لما غفرت لي ، قال الله تعالى : يا آدم ، وكيف عرفت محمَّداً ولم أخلقه ، قال : يا ربّ ، إنَّك لَمَّا خلقتني بيدك ، ونفخت فيَّ من روحك ، رفعت رأسي ، فرأيت قوائم العرش مكتوباً عليها : لا إله إلَّا الله محمَّد رسول الله ، فعرفت أنَّك لا تضيف إلى اسمك إلّا أحبّ الخلق إليك ، فقال الله تعالى : صدقت يا آدم ، إنَّه لأحبُّ الخلق إليَّ ، وإذ سألتني بحقِّه فقد غفرت لك ، ولولا محمَّد ما خلقتك " ذكره الطَّبري ، وزاد فيه : " وهو آخر الأنبياء من ذريَّتك " .

نجي – بضم النون وشد الجيم ، " وأمَّا التَّوسُّل به بعد خلقه مدَّة حياته ، فمن ذلك الاستغاثة به – عليه الصَّلاة والسَّلام – عند القحط وعدم الأمطار ، وكذلك الاستغاثة به من الجوع ، ونحو ذلك ممَّا ذكرته في مقصد المعجزات ومقصد العبادات في الاستسقاء ، ومن ذلك : استغاثة ذوي العاهات به ، وحسبك : " كافيك على طريق الإجمال " ما رواه النَّسائي والتِّرمذي " والحاكم ، وقال على شرطهما ، " عن عثمان بن حنيف ... " (١) .

وقال الإمام إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (١١٢٧هـ) : " آمين آمين آمين بجاه النَّبي الأمين " (٢) .

وقال الإمام إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء : " نسأل الله تعالى أن يعصمنا من الزَّلل في مسالك الدِّين ، ويوصلنا إلى رضاه في كلِّ قول وعمل وهو المعين ، آمين بجاه النَّبي الأمين" (٣) .

---

(١) انظر : شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (١٢/ ٢١٩-٢٢٢).

(٢) انظر : روح البيان ١/ ١٤٣) .

(٣) انظر : روح البيان (٣/ ٣٥٥) .

وقال الإمام إسماعيل حقّي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (١١٢٧هـ) : " واجعل رقيمي هذا سبباً لبياض الوجه كما تبيِّض وجوه أوليائك ، وامح مسوَّدات صحائف أعمالي بجاه حبيبك محمَّد أحبّ أنبيائك" (١) .

وقال الإمام إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء أيضاً : " نسأل الله سبحانه أن يختمنا على أفضل الأعمال الذي هو التَّوحيد وذكر رب العرش المجيد ، ويجعلنا فى جنَّات تجرى من تحتها الأنهار ، ويشرّفنا برؤية جماله المنير في الليل والنَّهار ، آمين بجاه النَّبي الأمين " (٢) .

وقال الإمام إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء أيضاً : " نسأل الله تعالى أن يبعثنا آمنين بجاه النَّبي الأمين " (٣) .

وقال الإمام إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء أيضاً : " نسأل الله سبحانه أن يعصمنا من الزَّلل ويحفظنا من الخلل ، ويجعلنا في القبر والقيامة من الآمنين ، ويبشّرنا عند الموت برحمة منه وفضل مبين ، بجاه النَّبي الأمين والأنبياء المرسلين والملائكة المقرَّبين " (٤) .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن أحمد البديري الحسيني ، الدمياطيّ الأشعري الشَّافعي ، أبو حامد (١١٤٠هـ) : " منحني الله تعالى به فوق منتهى الأماني بمحمَّد وآله وصحبه ذوي التَّهاني وبدور التَّداني " (٥) .

وقال الإمام محمَّد بن عيسى بن محمود بن كنان الحنبلي (١١٥٣هـ) : " ... ونسألـــه القبول بجاه الرَّسول " (٦) .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن مصطفى بن عثمان ، أبو سعيد الخادمي الحنفي (١١٥٦هـ) : " وَيَجُوزُ التَّوسُّل إلى اللهَّ تَعَالَى وَالِاسْتِغَاثَةُ بِالْأَنْبِيَاءِ والصَّالحين بَعْدَ مَوْتِهِمْ ، لِأَنَّ الْمُعْجِزَةَ وَالْكَرَامَةَ لَا تَنْقَطِعُ بِمَوْتِهِمْ . وَعَنْ الرَّمْلِيِّ أَيْضاً : بِعَدَمِ انْقِطَاعِ الْكَرَامَةِ بِالْمَوْتِ . وَعَنْ إمَامِ الْحَرَمَيْنِ : وَلَا يُنْكِرُ الْكَرَامَةَ وَلَوْ بَعْدَ الْمَوْتِ إلَّا رَافِضِيٌّ . وَعَنْ

---

(١) انظر : روح البيان (٤/ ٣).

(٢) انظر : روح البيان (٧/ ١٠٢) .

(٣) انظر : روح البيان (٩/ ١٠٥) .

(٤) انظر : روح البيان (٩/ ٢٠٦) .

(٥) انظر : الجواهر الغوالي في ذكر الأسانيد العوالي ، مخطوط .

(٦) انظر : يوميات شامية ( الحوادث اليومية من تاريخ أحد عشر وألف ومية ) ، (ص٤٦) ، (ص١٢٠) .

الْأُجْهُورِيِّ : الْوَلِيُّ فِي الدُّنيا كَالسَّيْفِ فِي غِمْدِهِ فَإِذَا مَاتَ تَجَرَّدَ مِنْهُ فَيَكُونُ أَقْوَى فِي التَّصَرُّفِ ، كَذَا نُقِلَ عَنْ نُورِ الْهِدَايَةِ لِأَبِي عَلِيٍّ السِّنْجِيِّ " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن مصطفى بن عثمان ، أبو سعيد الخادمي الحنفي (١١٥٦هـ) أيضاً : " قَالَ فِي الْحِصْنِ الْحَصِينِ – يقصد الإمام الحافظ ابن الجزري الشَّافعي (٨٣٣هـ) عِنْدَ تَعْدَادِ آدَابِ الدُّعاء : وَأَنْ يَسْأَلَ اللهَّ تَعَالَى بِأَسْمَائِهِ الْعِظَامِ وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى ، وَيَتَوَسَّلَ إلى اللهَّ تَعَالَى بِأَنْبِيَائِهِ والصَّالحين " (٢) .

وقال الإمام إسماعيل بن محمَّد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدِّمشقي ، أبو الفداء (١١٦٢هـ) : " وممَّا يناسب إيراده هنا ما نسب لبعضهم :

قرُبَ الرَّحيل إلى ديار الآخـــــرة … فاجعل إلهي خير عمري آخـــــره
فلئن رحمت فأنت أكرم راحم … وبحار جودك يا إلهي زاخـرة
آنس مبيتي في القبـور ووحدتي … وارحم عظامي حين تبقى ناخـــرة
فأنا المسكين الذي أيَّامـه … ولَّت بأوزار غدت متواتــرة
يا ربّ فارحمني بجاه المصطفى … كنز الوجود وذي الهبات الباهــرة
وبخير خلقـــــــك لم أزل متوسِّلاً … ذي المعجزات وذي العلوم الفاخرة (٣)

(٣)

وقال الإمام إسماعيل بن محمَّد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدِّمشقي ، أبو الفداء (١١٦٢هـ) أيضاً : " وضع الله عنَّا سيئات أعمالنا بأفضاله الجاري ، وختمها بالصَّالحات ، بجاه محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم سيِّد السَّادات " (٤) .

وقال الإمام إسماعيل بن محمَّد العجلوني الجراحي الشَّافعي (١١٦٢هـ) : "... انتهى ما في الموضوعات للقاري ، وضع الله عنَّا سيِّئات أعمالنا بأفضاله الجاري ، وختمها بالصَّالحات ، بجاه محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم سيِّد السَّادات ... " (١) .

---

(١) انظر : بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية (١/ ٢٠٣) .

(٢) انظر : بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية (٣/ ١٠٧) .

(٣) انظر : كشف الخفاء ومزيل الإلباس (٢/ ٤٨) .

(٤) انظر : كشف الخفاء ومزيل الإلباس (٢/ ٥١٥) .

وقال الإمام حسين بن محمَّد المحلي الشَّافعي المصري (١١٧٠هـ) : " وهذا آخر ما أردناه ، جعله الله من الأعمال المقبولة ، المنتفع بها على الدَّوام ، بجاه سيِّدنا محمَّد أشرف الأنام ، وعلى آله وأصحابه أفضل الصَّلاة والسَّلام " (٢) .

وقال الإمام أحمد بن علي بن عمر بن صالح المنيني (١١٧٢هـ) :

لذ بجاه الذي أجار الغزاله ... وله بالبهاء تعنو الغزاله
لا ترد غير منهل من حماه ... فأياديه بالنَّدى هطَّاله
لاح بدراً للعالمين منيراً ... وله الله قد أتمَّ كماله
لاذت الأنبيا به يوم هول ... دهش النَّاس مذ رأوا أهواله
لطفت ذاته فشفَّت بنور ... ظلّ يمحو إن قام يمشي ظلاله
لمن العيس في الهجير ترامت ... تتفيّا ظلّ العقيق وضاله
لك يا خير مرسل تتهـــــادى ... في سراها أعطافها الميَّالـــــه (٣)

وقال الإمام أبو الحسن علي بن خليفة بن رزق الله بن عبد الواحد بن علي المساكني (١١٧٢هـ) : " ... وَالله أسأَل أَن يخْتم لنا وَلَك بِالْحُسْنَى إِذْ بلغت الرُّوح التَّراقي ، وَأَن يجمعنا وَإِيَّاك ومشايخنا فِي أَعلَى المراقي ، بجاه أفضل من علم وَعلم صَلَّى الله عَلَيْهِ وعَلى آله وَصَحبه وَسَلَّم " (٤) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن مكرم الصَّعيدي العدوي (١١٨٩هـ) : " قَوْلُهُ : " بمحمَّد وَآلِهِ " مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ حَالٌ تَنَازَعَ فِيهَا الْأَفْعَـــالُ الْمُتَقَدِّمَةُ ، أَيْ : رَحِمَهُ الله إلَخْ فِي حَـــالِ كَوْنِنَا مُتَوَسِّلِينَ بمحمَّد وَآلِـــهِ " (٥) .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن الحسيني الزَّبيدي الشَّهير بمرتضى (١٢٠٥هـ) : " ... وأمَّا صفوان ابن سليم ، فهو : أبو عبد الله ، وقيل : أبو الحرث القرشى الزُّهرى الفقيه ، وأبوه سليم مولى حميد بن عبد الرَّحمن بن عوف ،

---

(١) انظر : كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على السُّنَّة النَّاس (٢/ ٤١٩) .

(٢) انظر : مزيد النعمة لجمع أقوال الأئمة (ص٢٩٩) .

(٣) انظر : معجم أعلام شعراء المدح النبوي (ص٧٥) .

(٤) انظر : فهرسة علي بن خليفة المساكني (ص٥٨) .

(٥) انظر : حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني (١/ ٥) .

قال ابن سعد : ثقة كثير الحديث عابد ، وقال يحيى بن سعيد : هو رجل يُستسقى بحديثه ، وينزل المطر من السَّماء بذكره ... " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن الحسيني الزَّبيدي الشَّهير بمرتضى (١٢٠٥هـ) أيضاً : " ... وقال أحمد بن حنبل هو يُستسقى بحديثه وينزل القطر من السَّماء بذكره ..." (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد الحسيني الزَّبيدي الشَّهير بمرتضى أيضاً : " قال محمود بن محمَّد ، حدَّثنا الميمون ، حدَّثنا سريج بن يونس ، حدَّثنا إسماعيل بن مجالد ، عن أبيه ، عن الشَّعبي ، قال : حضرت عائشة رضي الله عنها ، فقالت : إنِّي قد أحدثت بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حدثاً ، ولا أدري ما حالي عنده ، فلا تدفنوني معه ، فإنِّي أكره أن أجاور رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ولا أدري ما حالي عنده ، ثمَّ دعت بخرقة من قميص رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فقالت : ضعوا هذه على صدري وادفنوها معي لعلِّي أنجو بها من عذاب القبر" (٣) .

قلت : لقد قامت الأيدي الأثيمة المجرمة عدوَّة الحق وأهله بإزالة ما نقلناه هنا من كلام نفيس ، من نسخة " إتحاف السَّادة المتَّقين بشرح إحياء علوم الدِّين " الموجودة في ( المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ، لأنَّه لا يتوافق مع عقائدهم ومذهبهم ومنهجهم ... فهذه هي السَّلفيَّة في ثوبها الحقيقي : غشٌّ ، تدليسٌ ، كذبٌ ، مراوغةٌ ، عبثٌ ، فجورٌ ... ولذلك فإنِّي أدعو الجميع إلى عدم الاطمئنان إلى المكتبة الشَّاملة ، ولا بدَّ لطالب الحقِّ من العودة إلى الكتب الورقيَّة ذات الطَّبعات القديمة ، فإنَّ من يدَّعون السَّلفيَّة ما فتئوا يعبثون ويعبثون بكتب التُّراث ...

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى ، الزَّبيدي (١٢٠٥هـ) أيضاً : " وآثارُها جَليلةٌ كَثيرةٌ لَا يَسَعُها هَذَا الْمُخْتَصَرُ، وَالله يَرُدُّها دارَ إِسلامٍ، بمحمَّد وآلِهِ عليهمُ السَّلام " (٤) .

---

(١) انظر : اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدِّين (٥/ ٢٠٠) .

(٢) انظر : اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدِّين (٧/ ٤٥١) .

(٣) انظر : إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدِّين (١٠/ ٣٣٣) .

(٤) انظر : تاج العروس من جواهر القاموس (١٩/ ٥١١) .

وقال الإمام محمَّد خليل بن علي بن محمَّد بن محمَّد مراد الحسيني ، أبو الفضل (١٢٠٦هـ) : " ... وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وزاده فضلاً وشرفاً ورفعة لديه كثيراً ما يذكر لأصحابه أخبار من مضى من الأمم ليسلكوا بذلك الطَّريقة المثلى والطريق الأتم ، فنتوجَّه اللهمَّ إليك به إذ هو الوسيلة العظمى لمن استمسك بسببه " (١) .

وألَّف الإمام سليمان بن عبد الوهَّاب (١٢٠٨هـ) كتاباً سمَّاه : " فصل الخطاب في الردِّ على محمَّد بن عبد الوهَّاب " ، ردَّ فيه على أخيه محمَّد بن عبد الوهَّاب ، وهذا أوَّل كتاب ألف في الرَّدِّ على الوهَّابيَّة .

وقال الإمام أبو عبد الله الطَّالب محمَّد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي (١٢١٩هـ) : " اللهمَّ يا من نفع البعض بالبعض انفعنا بهم بجاه من له جاه عندك يا ربّ العالمين ، آمين " (٢) .

وقال الإمام سليمان بن محمَّد بن عمر البُجَيْرَمِيّ المصري الشَّافعي (١٢٢١هـ) أيضاً : " وَحِكْمَةُ تَوَسُّلِهِ بِهِ دُونَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم مَعَ أَنَّه أَعْظَمُ وَسِيلَةً حَيّاً وَمَيِّتاً الْإِشَارَةُ إلى رِفْعَةِ قَرَابَةِ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَقُرْبِهِمْ مِنْ اللهَّ ... "(٣) .

وقال الإمام سليمان بن محمَّد بن عمر البجيرمي الشَّافعي (١٢٢١هـ) : " قال عبد الله بن المبارك : قدمتُ المدينة في عام شديد القحط ، فخرج النَّاس يستسقون وخرجت معهم ، إذ أقبل علينا غلام أسود عليه قطعتا خيش قد اتَّزر بإحداهما ووضع الأخرى على عاتقه ، فجلس إلى جنبي فسمعته يقول : إلهي اختلفت الوجوه بكثرة الذُّنوب والمساوئ ، وقد حبست عنَّا غيث السَّماء لتؤدِّب عبادك ، فأسألك يا حليماً ذا أناة ، يا من لا يعرف عباده منه إلَّا الجميل أن تسقيهم السَّاعة ، فلم يزل يقول السَّاعة السَّاعة حتى اكتست السَّماء بالغمام ، وأقبل المطر من كلِّ مكان . قال ابن المبارك : فجئت إلى الفضيل رضي الله عنه ، فقال لي : أراك كئيباً ، فقلت : قد سبقنا إليه غيرُنا وتولَّاه دوننا ؛ وقصصت عليه القصَّة ، فصاح الفضيل وخرّ مغشيّاً عليه ... قوله : ( وإنَّا نتوسَّل الخ ) وحكمة توسله به دون النَّبي مع أنَّه أعظم وسيلة حيَّاً وميتاً الإشارة إلى رفعة قرابة رسول الله وقُربهم من الله " (٤) .

(١) انظر : سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر (١/ ٢) ، ، وانظر في سلك الدرر أيضاً : (١/ ١١٣) ، (١/ ١١٥) ، (٢/ ٢٨) ، (٢/ ٧٤) ، (٢/ ١٨٧) ، (٢/ ١٩٨) ، (٣/ ١٠٥) ، (٣/ ١٠٦) ، (٣/ ٢٤٥) ، (٣/ ٢٧٥) ، (٤/ ٧٤) .

(٢) انظر : فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور (ص١٢٨) .

(٣) انظر : تحفة الحبيب على شرح الخطيب "حاشية البجيرمي على الخطيب " (٢/ ٢٤٣) .

(٤) انظر : تحفة الحبيب على شرح الخطيب (البجيرمي على الخطيب) (٢/ ٤٨٠-٤٨١) .

وألَّف الإمام السيِّد علوي بن أحمد الحداد (١٢٢٢هـ) كتاباً في الموضوع سمَّاه : " السَّيف الباتر لعنق المنكر على الأكابر " .

وقال الإمام أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصُّوفي (١٢٢٤هـ) : " جعلنا الله تعالى من أهل ذاك المقام، بجاه سيِّد الأنام ، عليه أفضل الصَّلاة وأزكى السَّلام " (١) .

وقال الإمام أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصُّوفي (١٢٢٤هـ) أيضاً : " نسأل الله سبحانه أن يكسوه جلباب القبول ، ويُبلغ به كلّ مَن طالعه ، أو حصّله القصدَ والمأمول ، بجاه سيِّد الأوَّلين والآخرين ، سيِّدنا ومولانا محمَّد ، خاتم النَّبيين وإمام المرسلين " (٢) .

وقال الإمام أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصُّوفي (١٢٢٤هـ) أيضاً : " نسأل الله سبحانه أن يكسوه جلباب القبول ، ويُبلغ به كلّ مَن طالعه ، أو حصَّله القصدَ والمأمول ، بجاه سيِّد الأولين والآخرين ، سيِّدنا ومولانا محمَّد ، خاتم النَّبيين وإمام المرسلين " (٣) .

وألَّف الإمام محمَّد عطاء الله بن محمَّد بن إسحاق شيخ الإسلام الرُّومي (١٢٢٦هـ) كتاباً بعنوان : " شرح الرِّسالة الرَّديَّة على طائفة الوهَّابيَّة " .

وقال الإمام محمود بن سعيد مقديش الملقَّب بأبي الثَّناء الصَّفاقسي (١٢٢٨هـ) : " ... شيخنا وشيخ شيوخنا الحاج النَّاسك الأبر أبو الثَّناء محمود بن سعيد مقديش الصَّفاقسي أصلاً ووطناً وقراراً المالكي مذهباً ، الأشعري اعتقاداً ، أسبل الله علينا وعليه جلابيب ستره بجاه سيِّدنا محمَّد نبيِّه وعبده ... " (٤) .

وقال الإمام محمود بن سعيد مقديش الملقب بأبي الثناء الصفاقسي (١٢٢٨هـ) أيضاً : " وأنشد الأريب الأديب الشَّيخ أبو إسحاق الحاج الأبر إبراهيم الخرّاط ، أبقى الله مهجته وأحسن عاقبته في هذه الواقعة ما كتب على ضريح الحاج الأبر أبي الثّناء محمود بن عمر ، أحد الشُّهداء يومئذ – رحمه الله تعالى – هذه الأبيات :

هذا الضّريـــــــــــــح المشتهر　　　فيه الشَّهيـــــــــــــد ابن عمر

محمود البرّ الـــــــــــــذي　　　طـــــــــــــاف وحجَّ واعتمر

(١) انظر : البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (١/ ١٧) .

(٢) انظر : البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٧/ ٣٧٩) .

(٣) انظر : البحر المديد (٨/ ٥٦٤) .

(٤) انظر : نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار (١/ ٦٢٧) .

| | |
|---|---|
| ومــــــــــات في معترك الك | فّار من غير مفـــــر |
| وأربعـــــــــــون جاهدوا | معه فمــــــــــاتوا عن أثر |
| يا ربَّنا انفعنـــــــــا بهم | بجـــــاه سيِّد البشـــــــــر |
| تاريخه في رابـــــــــــــع | من قرن ثــــــــالث عشر (١) |

وقال الإمام محمود بن سعيد مقديش الملقب بأبي الثناء الصفاقسي (١٢٢٨هـ) أيضاً : " ... والله تعالى ينصر مولانا السُّلطان وعساكر الإسلام ويحمي الجميع من طوارق الحدَثان ، وألزم الكفرة الذلَّة والهوان ، بجاه نبيِّنا محمَّد عليه أفضل الصَّلاة وأزكى السَّلام " (٢) .

وجاء في حاشية الطَّحطاوي (١٢٣١هـ) على مراقي الفلاح : " قوله ( فيتوسَّل إليه بصاحبيه ) ذكر بعض العارفين أنَّ الأدب في التَّوسُّل : أن يتوسَّل بالصَّاحبين إلى الرَّسول الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ثمَّ به إلى حضرة الحقّ جلَّ جلاله وتعاظمت أسماؤه ، فإنَّ مراعاة لواسطة عليها مدار قضاء الحاجات ... " (٣) .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن أحمد بن عبد القادر بن عبد العزيز السَّنباوي الأزهري ، المعروف بالأمير (١٢٣٢هـ) : " غَفَرَ اللهُ تَعَالَى ذَنْبَ مُؤَلِّفِهِ وَمَشَايِخِهِ وَوَالِدَيْهِ ، وَلِمَنْ قَرَأَهُ وَتَأَمَّلَهُ، وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلِكَاتِبِهِ ، بِجَاهِ سيِّد الْمُرْسَلِينَ " (٤) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن حسن الجبرتي المؤرِّخ (١٢٣٧هـ) : " ... ثمَّ رأيت في " الفتوحات الإلهيَّة في نفع أرواح الذَّوات الإنسانيَّة " وهو كتاب نحو كراس لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري ما نصّه : إذا أراد الشَّيخ أن يأخذ العهد على المُريد ، فليتطهَّر وليأمره بالتَّطهُّر من الحدث والخبث ليتهيَّأ لقبول ما يلقيه إليه من الشُّروط في الطَّريق ، ويتوجَّه إلى الله تعالى ويسأله القبول لهما ، ويتوسَّل إليه في ذلك بمحمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، لأنَّه الواسطة بينه وبين خلفه ... " (٥) .

(١) انظر : نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار (٢/ ٢٢٨).

(٢) انظر : نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار (٢/ ٢٢٩) .

(٣) انظر : حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح (١/ ٣٦٠) .

(٤) انظر : ثمر الثمام شرح (غاية الإحكام في آداب الفهم والإفهام) (ص٧١) .(

(٥) انظر : تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار (١/ ٣٤٤) .

وقال الإمام أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد الخلوتي ، الشَّهير بالصَّاوي المالكي (١٢٤١هـ) : " وَمِنْ خَصَائِصِهَا – أَيْ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ – وُجُوبُ زِيَارَتِهَا كَمَا فِي حَدِيثِ الطَّبَرَانِيِّ ، وَحَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ زِيَارَتُهَا ، فَالرِّحْلَةُ إلَيْهَا مَأْمُورٌ بِهَا وَاجِبَةٌ ، أَيْ : مُتَأَكِّدَةٌ عَلَى الْمُسْلِمِ الْمُسْتَطِيعِ لَهُ سَبِيلاً ... وَالْأَفْضَلُ فِي الزِّيَارَةِ الْقُرْبُ مِنْ الْقَبْرِ الشَّرِيف ، بِحَيْثُ يَكُونُ النَّبي يَسْمَعُ قَوْلَهُ عَلَى حَسَبِ الْعَادَةِ ، وَيَلْزَمُ فِي تِلْكَ الْحَضْرَةِ الْأَدَبُ الظَّاهري وَالْبَاطِنِيُّ لِيَظْفَرَ بِالْمُنَى ... ثمَّ يَتَوَسَّلُ بِهِ فِي جَمِيعِ مَطْلُوبَاتِهِ ، ثمَّ يَنْتَقِلُ قُبَالَةَ قَبْرِ أَبِي بَكْرٍ ... ثمَّ يَتوَسَّلُ بِهِ إلى رَسُولِ اللهِّ ، ثمَّ يَنْتَقِلُ قُبَالَةَ قَبْرِ عُمَرَ و ثمَّ يَتَوَسَّلُ بِهِ إلى رَسُـــولِ اللهِّ . ثمَّ يَخْرُجُ إلى الْبَقِيعِ فَيُسَلِّمُ عَلَى أَهْلِـــهِ هَكَذَا ، وَيَتَوَسَّلُ بِهِمْ إلى رَسُولِ اللهِّ ... " (١) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد الخلوتي، الشَّهير بالصَّاوي المالكي (١٢٤١هـ) أيضاً : ... ثمَّ يَأْتِي قُبَالَةَ الْقَبْرِ الشَّرِيف ، وَيَقُولُ : " السَّلام عَلَيْك يَا سيِّدي يَا رَسُولَ اللهِّ ، السَّلام عَلَيْك يَا سيِّدي يَا حَبِيبَ اللهِّ ، السَّلام عَلَيْك يَا سيِّدي يَا أَشْرَفَ رُسُلِ اللهِّ ... ثمَّ يَتَوَسَّلُ بِهِ فِي جَمِيعِ مَطْلُوبَاتِهِ . ثمَّ يَنْتَقِلُ قُبَالَةَ قَبْرِ أَبِي بَكْرٍ وَيَقُولُ : " السَّلام عَلَيْك يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِّ ، ... ثمَّ يَتَوَسَّلُ بِهِ إلى رَسُولِ اللهِّ . ثمَّ يَنْتَقِلُ قُبَالَةَ قَبْرِ عُمَرَ ، وَيَقُولُ : " السَّلام عَلَيْك يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهِّ ، السَّلام عَلَيْك يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ الْفَارُوقَ ، أَشْهَدُ أَنَّك جَاهَدْت فِي اللهِّ حَقَّ جِهَادِهِ ... ثمَّ يَتَوَسَّلُ بِهِ إلى رَسُولِ اللهِّ . ثمَّ يَخْرُجُ إلى الْبَقِيعِ فَيُسَلِّمُ عَلَى أَهْلِهِ هَكَذَا ، وَيَتَوَسَّلُ بِهِمْ إلى رَسُولِ اللهِّ ... " (٢) .

وقال الإمام أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد الخلوتي ، الشَّهير بالصَّاوي المالكي (١٢٤١هـ) أيضاً : " ... نَعُوذُ بِاَللهِّ ، وَنَتَوَسَّلُ بِنَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَنْ يُجِيرَنَا مِنْ النَّار " (٣) .

وقال الإمام أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد الخلوتي، الشَّهير بالصَّاوي المالكي (١٢٤١هـ) أيضاً : " وَنَسْأَلُ اللهَّ أَنْ يُفَرِّجَ كُرَبَ آلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا وَالْمُؤْمِنِينَ أَنَّه لَطِيفٌ كَرِيمٌ حَلِيمٌ بِجَاهِ جَدِّهِمْ سيِّد الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاة وَأَتَمَّ التَّسْلِيمِ " (١) .

---

(١) انظر : بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير (٢/ ٧١-٧٢) .

(٢) انظر : بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير (الشرح الصغير هو شرح الشَّيخ الدردير لكتابه المسمى أقرب المسالك لِمَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ) (٢/ ٧٢) .

(٣) انظر : بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير (الشرح الصغير هو شرح الشَّيخ الدردير لكتابه المسمى أقرب المسالك لِمَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ) (٤/ ٧٨٢) .

وقال الإمام مصطفى بن سعد بن عبده السُّيوطي شهرة ، الرّحيبانى مولداً ثمَّ الدِّمشقي الحنبلي (١٢٤٣هـ) : " وَلَا بَأْسَ بِلَمْسِ قَبْرٍ بِيَدٍ لَا سِيَّمَا مَنْ تُرْجَى بَرَكَتُهُ " (٢) .

وقال الإمام مصطفى بن سعد بن عبده السُّيوطي شهرة ، الرحيبانى مولداً ثمَّ الدِّمشقي الحنبلي (١٢٤٣هـ) : " (وَكَذَا) أُبِيحَ (تَوَسُّلٌ بِصَالِحِينَ) عَلَى الصَّحِيحِ مِنْ الْمَذْهَبِ ، قَالَهُ فِي " الْإِنْصَافِ ". (وَقِيلَ : يُسَنُّ) ، قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مَنْسَكِهِ الَّذِي كَتَبَهُ لِلْمَرُّوذِيِّ : يُتَوَسَّلُ بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي دُعَائِهِ " (٣) .

وألَّف الإمام القاضي إسماعيل التَّميمي التُّونسي (١٢٤٨هـ) كتاباً سمَّاه : " المنح الإلهيَّة في طمس الضَّلالة الوهَّابيَّة ، مخطوط بدار الكتب الوطنيَّة في تونس رقم (٢٧٨٥) ، ومصوَّرتها في معهد المخطوطات العربيَّة ، القاهرة ، وقد طُبع .

وفي تعليقه على حديث : " اللهمَّ إِنِّي أَسأَلك وأتوجه إِلَيْك بنبيِّك محمَّد نَبِي الرَّحْمَة ، يَا محمَّد : إِنِّي أتوجَّه بك إلى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِه لتُقضى لي ، اللهمَّ فشفعِّه فِيَّ " ، قال الإمام الشَّوكاني (١٢٥٠هـ) : " ... وَفِي الحَدِيث دَلِيل على جَوَاز التَّوسُّل برَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إلى الله عزَّ وَجلَّ مَعَ اعْتِقَاد أَنَّ الْفَاعِل هُوَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وأنَّه الْمُعْطِي الْمَانِع ، مَا شَاءَ كَانَ وَمَا يَشَأْ لم يكن " (٤) .

وقال الإمام محمَّد بن علي الشَّوكاني (١٢٥٠هـ) في نهاية أبواب الهدايا والضَّحايا من كتابه : " نيل الأوطار " : " وإلى هنا انتهى النِّصف الأوَّل من " نيل الأوطار شرح منتقي الأخبار بمعونة العزيز الغفَّار " ، وصلى الله على نبيه المختار وآله الأخيار . بك اللهمَّ أستعين على نيل الأوطار من أسرار منتقي الأخبار متوسِّلاً إليك بنبيِّك المختار " (٥) .

قلت : وكعادتها ... قامت الأيدي المتمسلفة بشطب كلام الإمام الشَّوكاني السَّالف ، لأنَّه يتعارض مع منهجهم وفكرهم حيث لا طاقة ولا قدرة لهم على محاربة فكر مجموع الأمَّة إلَّا بالغش والكذب والتَّدليس

---

(١) انظر : بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير (الشرح الصغير هو شرح الشَّيخ الدردير لكتابه المسمى أقرب المسالك لِمَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ) ، (٤/ ٨١٣) .

(٢) انظر : مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى (١/ ٩٣٤) .

(٣) انظر : مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى (١/ ٨١٧) .

(٤) انظر : تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيِّد المرسلين (١/ ٢١٢) .

(٥) انظر : نيل الأوطار من أحاديث سيِّد الأخبار شرح منتقى الأخبار (٥/ ٢٣٥) .

والتَّزوير وتغيير الحقائق.... وقد عُدت إلى طبعتين تضمَّنتا كلام الإمام الشَّوكاني الذي ذكرت ، وهما : طبعة دار الجيل ، بيروت ، (١٩٧٣م) ، وطبعة إدارة الطِّباعة المنيريَّة ، أمَّا النُّسخة الموجودة في المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ، فقد عبث فيها اللصوص العابثون المتمسلفون وشطبوا كلام الشَّوكاني الذي هو كلام مجموع الأمَّة التي لم يجد علماؤها ما يمنع من التَّوسُّل ، والنُّسخة الموجودة في الشَّاملة هي من تحقيق : عصام الدِّين الصَّبابطي ، دار الحديث ، مصر ، الطَّبعة : الأولى ، (١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م) ، ولم أستطع الحصول على هذه النُّسخة لأتأكَّد من مصدر التَّزوير : أهو من دار الحديث أم من القائمين على المكتبة الشَّامله ... فمرحى ثمَّ مرحى لمن تخصَّصوا بتزوير الحقائق وقَلْبِهَا ، وهم هم على مدار الزَّمان ، وكأنَّهم : " تواصوا به " ، لكن للحقِّ رجالٌ استعملهم الله تعالى لكشف تزويرهم وتدميرهم لكتب التُّراث الذي ما فتئوا يحاربونه ويناصبونه العداء ....

وقال الإمام محمَّد بن علي الشَّوكاني (١٢٥٠هـ) أيضاً : " التَّوسُّل به صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّم يكون في حياته وبعد موته ، وفي حضرته ، ولا يخفاك أنَّه قد ثبت التَّوسُّل به صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّم في حياته ، وثبت التَّوسُّل بغيره بعد موته بإجماع الصَّحابة إجماعاً سكوتياً لعدم إنكار أحد منهم على عمر رضي الله عنه في توسُّله بالعبَّاس ، رضي الله عنه . وعندي أنَّه لا وجه لتخصيص جواز التَّوسُّل بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، كما زعمه الشَّيخ عز الدِّين بن عبد السَّلام لأمرين : الأوَّل : ما عرفناك به من إجماع الصَّحابة ، رضي الله عنهم . والثَّاني أنَّ التَّوسُّل إلى الله بأهل الفضل والعلم ، هو في التَّحقيق توسُّل بأعمالهم الصَّالحة ، ومزاياهم الفاضلة ، إذ لا يكون فاضلاً إلَّا بأعماله . وقال : ويتوسَّل إلى الله بأنبيائه والصَّالحين " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن علي بن محمَّد بن عبد الله الشَّوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) أيضاً : " ومنه الدُّعاء الوارد إذا تفلَّت القرآن ، عزاه السُّيوطي في أذكاره إلى الدَّيلمي في مسند الفردوس ، وابن حبَّان : " اللهمَّ إنِّي أسألك بمحمَّد نبيِّك ، وإبراهيم خليلك ، وموسى نجيّك ، وعيسى روحك وكلمتك ... " الحديث " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن علي بن محمَّد بن عبد الله الشَّوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) أيضاً : " وأحسن الختام بجاه محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم صلاة وسلاماً يدومان بدوام الملك العلَّام " (٣) .

---

(١) انظر : الدر النضيد في إخلاص كلمة التَّوحيد (ص١٩-٢٠) .

(٢) انظر : الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني (١/ ٢٨٧) .

(٣) انظر : الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني (٦/ ٢٩٤٩) .

وقال الإمام محمَّد بن علي بن محمَّد بن عبد الله الشَّوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) أيضاً : " وفَّقنا الله تعالى إلى سلوك سبيل السَّلام وأصلح لنا النيَّات، وأحسن الختام بجاه محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم صلاة وسلاماً يدومان بدوام الملك العلَّام " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن علي بن محمَّد بن عبد الله الشَّوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) أيضاً في ترجمة السَّيِّد علي بن إبراهيم بن محمَّد بن إسماعيل بن صَلَاح الْأَمِير :

فَعَسَى ربِّى بجاه الْمُصْطَفى يُذهب الدَّاء فتزول الْغصَص (٢)

وقال الإمام محمَّد بن علي بن محمَّد بن عبد الله الشَّوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) أيضاً : " وَلَا زَالَت الْعِنَايَة الربانية لَهُ مُلَاحظَة والكلاية الصمدانية عَلَيْهِ حافظة آمين بجاه سيِّد الْمُرْسلين " (٣) .

وقال الإمام محمَّد بن علي بن محمَّد بن عبد الله الشَّوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) أيضاً ناقلاً عن الشَّريف غَالب بن مساعد : " ... وعزيزنا الإِمَام ابْن الإِمَام أَمِير الْمُؤمنِينَ الْمَنْصُور بِاللهَّ رب الْعَالمين أدام الله لَهُ الإقبال وبلَّغه بجاه جده الآمال " (٤) .

وقال الإمام محمَّد بن علي بن محمَّد بن عبد الله الشَّوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) أيضاً ناقلاً عن يُوسُف باشا أمير المدينة المنوَّرة : " دمَّرهم الله وخذلهم بجاه محمَّد خير الْبَرِيَّة " (٥) .

وقال الإمام محمَّد بن علي بن محمَّد بن عبد الله الشَّوكاني اليمني أيضاً ناقلاً عن يُوسُف باشا أمير المدينة المنوَّرة : " ودمتم سَالِمين بجاه محمَّد الأمين آمين " (٦) .

وقال الإمام ابن عابدين ، محمَّد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدِّمشقي الحنفي (١٢٥٢هـ) : " ... دَامَ فِي عِزٍّ وَإِنْعَامٍ ، وَمَجْدٍ وَاحْتِرَامٍ ، بِجَاهِ مَنْ هُوَ لِلْأَنْبِيَاءِ خِتَامٌ ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ السَّادَةِ الْكِرَامِ ، عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ الصَّلاة والسَّلام " (٧) .

---

(١) انظر : الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني (٦/ ٢٩٦٩) .

(٢) انظر : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (١/ ٤٢٢) .

(٣) انظر : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٢/ ١٥).

(٤) انظر : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٢/ ١٨) .

(٥) انظر : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٢/ ٣٥٩) .

(٦) انظر : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٢/ ٣٦٤) .

(٧) انظر : رد المحتار على الدر المختار (٤/ ١١٩) .

وقال الإمام ابن عابدين ، محمَّد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدِّمشقي الحنفي (١٢٥٢هـ) أيضاً : " وَكَذَا يَقُولُ أَسِيرُ الذُّنُوبِ جَامِعُ هَذِهِ الْأَوْرَاقِ رَاجِياً مِنْ مَوْلَاهُ الْكَرِيمِ ، مُتَوَسِّلاً بِنَبِيِّهِ الْعَظِيمِ وَبِكُلِّ ذِي جَاهٍ عِنْدَهُ تَعَالَى أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِ كَرَماً وَفَضْلاً بِقَبُولِ هَذَا السَّعْيِ وَالنَّفْعِ بِهِ لِلْعِبَادِ ، فِي عَامَّةِ الْبِلَادِ " (١) .

وقال الإمام ابن عابدين ، محمَّد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدِّمشقي الحنفي (١٢٥٢هـ) أيضاً : " ... مَوْلَانَا عَبْدُ الْحَمِيدِ أَفَنْدِي كَجّه جى زَادَهْ الْقَاضِي سَابِقاً بِدِمَشْقَ الشَّام ، دَامَ فِي عِزٍّ وَإِنْعَامٍ ، وَمَجْدٍ وَاحْتِرَامٍ ، بِجَاهِ مَنْ هُوَ لِلْأَنْبِيَاءِ خِتَامٌ ... " (٢) .

وجاء في تنقيح الفتاوى الحامدية للإمام ابن عابدين (١٢٥٢هـ) أيضاً : " وَفِي هَذِهِ السُّنَّة – أَعْنِي سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ وَأَلْفٍ – جَاءَ مِنْ الْجَرَادِ شَيْءٌ كَثِيرٌ بِدِمَشْقَ ، وَقَدْ قَتَلَ أَهْلُ دِمَشْقَ شَيْئاً كَثِيراً مِنْهُ فِي السُّنَّة الْمَذْكُورَةِ ، اللهمَّ : اُقْتُلْ كِبَارَهَا ، وَأَمِتْ صِغَارَهَا ، وَأَفْسِدْ بِيضَهَا ، وَادْفَعْ شَرَّهَا عَنْ أَرْزَاقِ الْمُسْلِمِينَ ، بِجَاهِ النَّبي الأمين وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ ... " (٣) .

وقال الإمام ابن عابدين ، محمَّد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدِّمشقي (١٢٥٢هـ) أيضاً : " ... يَقُولُ أَسِيرُ الذُّنُوبِ ، جَامِعُ هَذِهِ الْأَوْرَاقِ رَاجِياً مِنْ مَوْلَاهُ الْكَرِيمِ ، مُتَوَسِّلاً بِنَبِيِّهِ الْعَظِيمِ ، وَبِكُلِّ ذِي جَاهٍ عِنْدَهُ تَعَالَى ، أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِ كَرَماً وَفَضْلاً بِقَبُولِ هَذَا السَّعْيِ وَالنَّفْعِ بِهِ لِلْعِبَادِ ، فِي عَامَّةِ الْبِلَادِ ، وَبُلُوغِ الْمَرَامِ ، بِحُسْنِ الْخِتَامِ ، وَالِاخْتِتَامِ ، آمِينَ " (٤) .

وقال الإمام ابن عابدين ، محمَّد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدِّمشقي الحنفي (١٢٥٢هـ) أيضاً : " وَفِي هَذِهِ السُّنَّة أَعْنِي سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ وَأَلْفٍ جَاءَ مِنْ الْجَرَادِ شَيْءٌ كَثِيرٌ بِدِمَشْقَ وَقَدْ قَتَلَ أَهْلُ دِمَشْقَ شَيْئاً كَثِيراً مِنْهُ فِي السُّنَّة الْمَذْكُورَةِ اللَّهُمَّ: اُقْتُلْ كِبَارَهَا وَأَمِتْ صِغَارَهَا وَأَفْسِدْ بِيضَهَا وَادْفَعْ شَرَّهَا عَنْ أَرْزَاقِ الْمُسْلِمِينَ بِجَاهِ النَّبي الأمين وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ " (٥) .

---

(١) انظر : رد المحتار على الدر المختار (١/ ٧٨) .

(٢) انظر : رد المحتار على الدر المختار (٤/ ١١٩) .

(٣) انظر : تنقيح الفتاوى الحامدية (٧/ ٤١٧) .

(٤) انظر : رد المحتار على الدر المختار (١/ ٧٨) .

(٥) انظر : العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية (٢/ ٣٢٩) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الشّرواني (١٢٥٣هـ) : " وكتب إليّ الشَّيخ الفقيه العالم الفاضل اللوذعي عبد الله بن عثمان بن جامع الحنبلي ببلدة كلكتة أبياتاً ، وهي هذه :

عسى المولى المهيمن ذو العطايا يلمّ الشَّعث أنا كالفقاع

ويجمعنا بمن نهوى قريبـــــاً فإنَّ القلب آذن بانصداع

بجاه المصطفى طـــــــــه وآل وصحب قد قفوهـــــم باتِّباع (١)

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الشرواني (١٢٥٣هـ) أيضاً ناقلاً عن السيِّد الجليل المولوي ذو المقام السَّامي غلامي علي آزاد البلجرامي رحمه الله تعالى :

سقى الإله محلاً أنت ساكنـــــــه ما أورق الغصن والوسمى يرويه

بجاه خير الورى يا ربّ أهد لــــه منَّا صلاة مدى الأيَّام ترضيـه (٢)

وألَّف الإمام محمَّد عابد بن أحمد بن عليّ السندي الأنصاري المدني الحنفي (١٢٥٧هـ) كتاباً سمَّاه : " جواز الاستغاثة والتَّوسُّل ، وهي رسالة مخطوطة في خزانة الرِّباط ، أوَّل المجموعة (١١٤٣) كتاني .

وقال الإمام علي بن عبد السَّلام بن علي ، أبو الحسن التُّسُولي المالكي (١٢٥٨هـ) : " ويجعله لنا ولهم سلَّماً لجنَّات نعيم ، بجاه أشرف خلقه سيِّدنا محمَّد عليه أفضل الصَّلاة وأزكى التَّسليم " (٣) .

وقال الإمام علي بن عبد السَّلام بن علي ، أبو الحسن التُّسُولي المالكي (١٢٥٨هـ) أيضاً : " ... فنطلب من سيِّدنا- نصره الله- أنّ يلتزم لنا بفضله من هذه البيعة القبول ، مستشفعين بجاه جدِّه الرَّسول- صَلَّى الله عليه وعلى آله الطيِّبين وصحابته المنتخبين ، وآخر دعوانا أنّ الحمد لله ربّ العالمين " (٤) .

وقال الإمام علي بن عبد السَّلام بن علي، أبو الحسن التُّسُولي (١٢٥٨هـ) أيضاً : " ... وَأَن يَجعله خَالِصا لوجهه الْكَرِيم مُوجبا للخلود مَعَ الْأَحِبَّة وَالْمُسْلِمين فِي جنَّة النَّعيم بجاه عين الرَّحْمَة الْوَاسِطَة فِي كل نعمه سيِّدنا محمَّد الْمُصْطَفى الْكَرِيم " (٥) .

---

(١) انظر : نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن (ص١٤٢) .

(٢) انظر : نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن (ص١٣٦) .

(٣) انظر : أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد (ص٣٢٩) .

(٤) انظر : أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد (ص٣٤١) .

(٥) انظر : البهجة في شرح التحفة (شرح تحفة الحكام) (٢/ ٧٠٦) .

وألَّف الإمام إبراهـيم بن عبد القادر الطَّرابلسي الرِّياحي التونسي المالكي (١٢٦٦هـ) كتاباً بعنوان : " الرَّدُّ على الوهَّابيَّة " .

وقال الإمام شهاب الدِّين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (١٢٧٠هـ) : " اللهمَّ اجعلنا سعداء الدَّارين بحرمة سيِّد الثَّقلين صَلَّى الله تعالى عليه وَسَلَّم " (١) .

وقال الإمام شهاب الدِّين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (١٢٧٠هـ) : " وهذا الذي ذكرته إنَّما هو لدفع الحرج عن النَّاس والفرار من دعوى تضليلهم- كما يزعمه البعض- في التَّوسُّل بجاه عريض الجاه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لا للميل إلى أنَّ الدُّعاء كذلك أفضل من استعمال الأدعية المأثورة التي جاء بها الكتاب وصدحت بها ألسِنَةُ السُّنَّة ، فإنَّه لا يستريب منصفٌ في أنَّ ما علمه الله تعالى ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ودرج عليه الصَّحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم وتلقَّاه من بعدهم بالقبول أفضل وأجمع وأنفع وأسلم ، فقد قيل ما قيل إن حقاً وإن كذباً «بقي هاهنا أمران» الأوَّل : أنَّ التَّوسُّل بجاه غير النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لا بأس به أيضاً إن كان المتوسَّل بجاهه ممَّا علم أنَّ له جاهاً عند الله تعالى كالمقطوع بصلاحه وولايته ... " (٢) .

وقال الإمام الآلوسي (١٢٧٠هـ) : " ... وبعد هذا كلِّه أنا لا أرى بأساً في التَّوسُّل إلى الله تعالى بجاه النَّبي صَلَّى الله عليه و سلم عند الله تعالى حيَّاً وميتاً ، ويراد من الجاه معنى يرجع إلى صفة من صفاته تعالى ، مثل : أن يُراد به المحبَّة التامَّة المستدعية عدم ردِّه ، وقبول شفاعته ، فيكون معنى قول القائل : إلهى أتوسَّل بجاه نبيِّك صَلَّى الله عليه وسلم أن تقضى لي حاجتي : إلهى اجعل محبَّتك له وسيلة في قضاء حاجتي ، ولا فرق بين هذا وقولك : إلهي أتوسَّل برحمتك أن تفعل كذا ، إذ معناه أيضاً : إلهي اجعل رحمتك وسيلة في فعل كذا ، بل لا أرى بأساً أيضاً بالإقسام على الله تعالى بجاهه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بهذا المعنى ، والكلام في الحرمة كالكلام في الجاه ... " (٣) .

وقال شيخ الإسلام أحمد عارف حكمت بك بن السيِّد إبراهيم عصمت بك بن إسماعيل رائف باشا الحسيني الحنفي (١٢٧٥هـ) في تقريظ له : " فأيِّد اللهمَّ هذا السُّلطان الرَّحيم الحليم الأفخم ، والملك الكريم

---

(١) انظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/ ٨٥) .

(٢) انظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٣/ ٢٩٧) .

(٣) انظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٦/ ١٢٨) .

السَّليم الأكرم ، بالفتح المبين ، والنَّصر على الأعداء والمشركين ، بجاه سيِّد المرسلين ، وخاتم النَّبيين ، عليه وعلى آله وصحبه أفضل صلاة وأكمل تسليم " (١) .

وألَّف الإمام أحمد سعيد الفاروقي السَّرهـندي النَّقشبندي (١٢٧٧هـ) كتاباً سمَّاه : " الحقُّ المبين في الرَّدِّ على الوهـَّابيِّين " .

وقال الإمام نصر أبو الوفاء ابن الشَّيخ نصر يونس الوفائي الهوريني الأحمدي الأزهري الأشعري الحنفي الشَّافعي (١٢٩١هـ) : " ونسأل الله حسن الختام بجاه سيِّد الكائنات عليه وعلى آله وصحابته وأتباعهم أتمّ الصَّلاة والسَّلام ، آمين " (٢) .

وقال الإمام نصر أبو الوفاء ابن الشَّيخ نصر يونس الوفائي الهوريني الأحمدي الأزهري الأشعري الحنفي الشَّافعي (١٢٩١هـ) : " نفعنا الله به وبعلومه، وأعاد علينا من أنوار وأسرار منطوقه ومفهومه بجاه نبيِّه النَّبي الأعظم أبى القاسم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حقَّ قَدْرِه ومقدارِه، فهو الفاتح الخاتم" (٣) .

وقال الإمام نصر أبو الوفاء ابن الشَّيخ نصر يونس الوفائي الهوريني الأحمدي الأزهري الأشعري الحنفي الشَّافعي (١٢٩١هـ) : " ولا ريب أنَّ هذا المؤلَّف من الآلآء على كلِّ مصنف ، فاض العَذَارَى الحسان ، ولاسيَّما من مخدَّرات اللسان ، جامع أشتاته ومرجع رفاته ، لا زال فينا وهو نصر لدولة فرائده الجوهريَّة ، ذابّ جموع المعتنين عنها بأقلامه السّمْهرية ، بجاه المصطفى وآله الكرام عليهم أكمل الصَّلاة والسَّلام " (٤) .

وقال الإمام نصر أبو الوفاء ابن الشَّيخ نصر يونس الوفائي الهوريني الأحمدي الأزهري الأشعري الحنفي الشَّافعي (١٢٩١هـ) : " فأبقى الله مؤلفَه أبا الوفا، وأدامه ممر الجديدين مجتنى ثمر الصّفا، ولا برح متمكِّناً من الآداب تمكُّنَ من حَسُن له فيها مبتدأ وخبر، وزاد بيانه سحراً حتى يقال هذه ثغور الغوانى إِذا نَظم، وهذه نجوم الدَّرارى إِذا نَثَر، بجاه خير الأنام، خاتم رسل الله عليه أفضل الصَّلاة وأتمّ السَّلام" (٥) .

(١) انظر : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (ص١٤٦) .

(٢) انظر : المَطَالِعُ النَّصرية للمَطَابعِ المصريَّةِ في الأصُول الخَطيَّةِ (ص٤٢٩) .

(٣) انظر : المَطَالِعُ النَّصرية للمَطَابعِ المصريَّةِ في الأصُول الخَطيَّةِ (ص٤٣٤) .

(٤) انظر : المَطَالِعُ النَّصرية للمَطَابعِ المصريَّةِ في الأصُول الخَطيَّةِ (ص٤٣٧) .

(٥) انظر : المَطَالِعُ النَّصرية للمَطَابعِ المصريَّةِ في الأصُول الخَطيَّةِ (ص٤٤٣) .

وقال الإمام عبد الغني الغنيمي الحنفي (١٢٩٨هـ) ، داعياً : "وصلِّ وَسَلِّم على سيِّدنا محمَّد ، فإنَّه أقرب من يُتوسَّل به إليك ، والمأمول منك القبول " [١] .

وقال الإمام محمَّد بن أحمد بن محمَّد عليش ، أبو عبد الله المالكي (١٢٩٩هـ) : " فَلَعَلَّ اللهَّ بِأَنْفَاسِكُمْ يُلْهِمُ لِطَرِيقِ الصَّوَابِ بِجَاهِ النَّبِي الْأَوَّابِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم " [٢] .

وقال الإمام محمَّد بن أحمد بن محمَّد عليش ، أبو عبد الله المالكي (١٢٩٩هـ) : " وَاَللهَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَتَوَلَّى هُدَانَا وَإِيَّاهُ بِجَاهِ خَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم – " [٣] .

وقال الإمام محمَّد بن أحمد بن محمَّد عليش ، أبو عبد الله المالكي (١٢٩٩هـ) : " اللهمَّ أَرِنَا الْحَقَّ فَنَتْبَعَهُ وَالْبَاطِلَ بَاطِلاً فَنَجْتَنِبَهُ وَنَسْأَلُك بِجَاهِ سيِّدنا وَمَوْلَانَا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَنْ تَمُنَّ عَلَيْنَا بِحُسْنِ الْخِتَامِ " [٤] .

وقال الإمام محمَّد بن أحمد بن محمَّد عليش ، أبو عبد الله المالكي (١٢٩٩هـ) : " وَنَسْأَلُ اللهَّ تَعَالَى التَّوْفِيقَ لِلصَّوَابِ ، وَأَنْ يَسْلُكَ بِنَا الزُّلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ، بِجَاهِ سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَعَلَى آلِهِ وَالْأَصْحَابِ " [٥] .

وألَّف الإمام داود بن سليمان النَّقشبندي البغدادي الحنفي (١٢٩٩هـ) كتاباً في الرَّدِّ على مُدَّعي السَّلفيَّة سمَّاه : " صلح الإخوان في الرَّدِّ على من قال على المسلمين بالشِّرك والكُفران " . وألَّف كتاباً ثانياً سمَّاه : " التُّحفة الوهبيَّة في الرَّدِّ على الوهَّابيَّة " .

وقال الإمام عبد الحميد المكي الشّرواني (١٣٠١هـ) : " خَاتِمَةٌ : سُئِلَ الشَّيخ عِزُّ الدِّين : هَلْ يُكْرَهُ أَنْ يَسْأَلَ اللهَّ بِعَظِيمٍ مِنْ خَلْقِهِ كَالنَّبِيِّ وَالْمَلَكِ وَالْوَلِيِّ ، فَأَجَابَ : بِأَنَّهُ جَاءَ عَنْ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَنَّه عَلَّمَ بَعْضَ النَّاس : اللهمَّ إنِّي أُقْسِمُ عَلَيْك بِنَبِيِّك محمَّد نَبِيِّ الرَّحْمَةِ إلَخْ ، فَإِنْ صَحَّ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَقْصُوراً عَلَيْهِ – عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام – لأَنَّه سيِّد وَلَدِ آدَمَ وَلَا يُقْسِمُ عَلَى اللهَّ بِغَيْرِهِ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ ، لأنَّهم لَيْسُوا فِي دَرَجَتِهِ ، وَيَكُونُ هَذَا مِنْ خَوَاصِّهِ اهـ . وَالْمَشْهُورُ أَنَّه لَا يُكْرَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ مُغْنِي وَفِي ع ش بَعْدَ ذِكْرِ كَلَامِ الشَّيخ عِزّ

---

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية (ص١٤٤) .

(٢) انظر : فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك (١/ ١٠٩) .

(٣) انظر : فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك (٢/ ٢٩٨) .

(٤) انظر : فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك (٢/ ٣١٤) .

(٥) انظر : منح الجليل شرح مختصر خليل (٧/ ٤١٦) .

الدِّين مَا نَصُّهُ : فَإِنْ قُلْت : هَذَا قَدْ يُعَارِضُ مَا فِي الْبَهْجَةِ وَشَرْحِهَا لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ : وَالْأَفْضَلُ اسْتِسْقَاؤُهُمْ بِالْأَتْقِيَاءِ ، لِأَنَّ دُعَاءَهُمْ أَرْجَى لِلْإِجَابَةِ إلَخْ . قُلْت : لَا تَعَارُضَ لِجَوَازِ أَنَّ مَا ذَكَرَهُ الْعِزُّ مَفْرُوضٌ فِيمَا لَوْ سَأَلَ بِذَلِكَ عَلَى صُورَةِ الْإِلْزَامِ ، كَمَا يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ : اللهمَّ إنِّي أُقْسِمُ عَلَيْك إلَخْ . وَمَا فِي الْبَهْجَةِ وَشَرْحِهَا مُصَوَّرٌ بِمَا إذَا وَرَدَ عَلَى صُورَةِ الِاسْتِشْفَاعِ وَالسُّؤَالِ مِثْلَ : أَسْأَلُك بِبَرَكَةِ فُلَانٍ أَوْ بِحُرْمَتِهِ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ " (١) .

وقال الإمام عبد الحميد الشرواني (١٣٠١هـ) : " ... وأسأله تعالى الإعانة على الإتمام بجاه محمَّد سيِّد الأنام وهو حسبي ونعم الوكيل ... " (٢) .

وألَّف الإمام السيد أحمد بن زيني دحلان ، مفتي مكَّة الشَّافعي (١٣٠٤هـ) كتاباً سمَّاه : " الدُّرر السَّنيَّة في الرَّدّ على الوهَّابيَّة " ، مطبوع .

وقال الإمام أبو الطيِّب محمَّد صدِّيق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (١٣٠٧هـ) : " فجزاه الله عنَّا وعن سائر المسلمين جزاء حسنًا، وأفاض علينا من أنواره ، وكسانا من حلل أسراره ، وسقانا من حُمَيَّا شرابه ، وحشرنا في زمرة أحبابه ، بجاه سيِّد أصفيائه ، وخاتم أنبيائه – صَلَّى الله عليه ، وعليهم وَسَلَّم ، وشرف وكرم وعظم " (٣) .

وقال الإمام أبو الطيِّب محمَّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (١٣٠٧هـ) أيضاً : " وفى التَّنْزِيل وقنا عَذَاب السَّمُوم يُرِيد النَّار أجارنا الله مِنْهَا بجاه محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَآله " (٤) .

وقال الإمام أبو الطيب محمَّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (١٣٠٧هـ) أيضاً : " فنزَّهْتُ عيونَ أملي في روضةٍ ذاتِ أنوار ، وعلمت – وهي من رياض الجنَّة – أنِّي لا أدخل بعدَها النَّار ، وأنا الآن منتظر لألطاف ربِّي ، وهو في كلِّ الأمور حسبي ، أن يعدني لجواره ، واجتلاء نور حبيبه ومختاره ، به إليه متوسِّلاً ، وفي نيل رجائي متوكِّلاً " (٥) .

---

(١) انظر : حواشي الشرواني على تحفة المحتاج بشرح المنهاج (٢/ ١٠٨) .

(٢) انظر : حواشي الشرواني على تحفة المحتاج بشرح المنهاج (٦/ ٣٨١) .

(٣) انظر : التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول (ص١٦٩) .

(٤) انظر : يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النَّار وأصحاب النَّار (ص١٢٤) .

(٥) انظر : التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول (ص٥٤١) .

وقال الإمام أبو الطيِّب محمَّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (١٣٠٧هـ) أيضاً : " وفى التَّنْزيل : ﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور:٢٧] ، يُرِيد : النَّار ، أجارنا الله مِنْهَا بجاه محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَآله " (١) .

وقال الإمام أبو الطيِّب محمَّد صدِّيق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (١٣٠٧هـ)

أيضاً : " ... صانها الله وإيَّانا عن كلِّ رزيَّة وبليَّة ، بجاه نبيِّه المصطفى خير البريِّة صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه كلّ بكرة وعشيَّة " (٢) .

وقال أبو الطيِّب محمَّد صدِّيق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (١٣٠٧هـ) أيضاً : " ... صانها الله وإيَّانا عن كلِّ رزيَّة وبليَّة ، بجاه نبيَّه المصطفى خير البريَّة صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه كل بكرة وعشيَّة " (٣) .

وقال الإمام أبو الطيِّب محمَّد صدِّيق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (١٣٠٧هـ) أيضاً : " ... صانها الله وأهلها عن كلِّ رزيَّة وبليَّة ، بجاه عريض الجاه سيِّدنا محمَّد خير البريَّة ، صَلَّى الله عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين " (٤) .

وقال الإمام أبو الطيب محمَّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (١٣٠٧هـ) أيضاً : " صانها الله وأهليها عن كلِّ نازلة وبليَّة ، بجاه محمَّد خير البريَّة، وصلى الله تعالى وَسَلَّم عليه وعلى آله وصحبه أولي الشِّيم الرَّضيَّة " (٥) .

---

(١) انظر : يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النَّار وأصحاب النَّار (ص١٢٤) .

(٢) انظر : نيل المرام من تفسير آيات الأحكام (ص٧) .

(٣) انظر : أبجد العلوم (ص٧٣٠) .

(٤) انظر : التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول (ص٥٢٤) .

(٥) انظر : البلغة إلى أصول اللغة (ص٢٥٣) .

وقال الإمام أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمَّد شطا الدِّمياطي (١٣١٠هـ) : " ... وقد نظم بعضهم أسماءهم متوسِّلاً بهم ، فقال : يا ربَّنا بالقاسم ابن محمَّد فبزينب فرقية فبفاطمة فبأمِّ كلثوم فبعد الله ثمَّ بحقِّ إبراهيم نجي ناظمه " (١) .

وقال الإمام أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمَّد شطا الدّمياطي أيضاً : " ... رزقنا الله الإخلاص والنَّجاة حين لا مناص ، وجعلنا من عباده الصَّالحين ، بجاه سيِّدنا محمَّد أفضل الخلق أجمعين " (٢) .

وقال الإمام أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمَّد شطا الدِّمياطي أيضاً : " ... بل يقصد أنَّه مفتقر له عليه الصَّلاة والسَّلام ، وأنَّه يتوسَّل به إلى ربِّه في نيل مطلوبه ، لأنَّه الواسطة العظمى في إيصال النِّعم إلينا " (٣) .

وقال الإمام أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمَّد شطا الدِّمياطي أيضاً : " ... وأرجو الله الكريم المنَّان بجاه سيِّدنا محمَّد سيِّد ولد عدنان أن يرزقنا رضاه، وأن يصحِّح منَّا ما أفسدناه " (٤) .

وقال الإمام أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمَّد شطا الدِّمياطي أيضاً : " ... رزقنا الله التقوى والاستقامة، وأعاذنا من موجبات الندامة، بجاه سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم المظلَّل بالغمامة " (٥) .

وقال الإمام أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمَّد شطا الدِّمياطي أيضاً : " ... وفَّقنا الله للعمل بما فيه ، وأعاذنا من العجز والكسل عن مواظبته ، بجاه سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وآله وصحبه " (٦) .

وقال الإمام أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمَّد شطا الدِّمياطي أيضاً : " ... نسأل الله أن يمُنَّ علينا بالشَّهادة ، ويمنحنا الحسنى وزيادة ، ويرزقنا التَّقوى والاستقامة ، بجاه سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم المظلَّل بالغمامة " (٧) .

---

(١) انظر : إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية على فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين) (١/ ٣٦).

(٢) انظر : إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (١/ ١٥٢) .

(٣) انظر : إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (١/ ٢٠٠) .

(٤) انظر : إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (١/ ٣١٣) .

(٥) انظر : إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (٢/ ٧٨) .

(٦) انظر : إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (٢/ ١٠٧) .

(٧) انظر : إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (٢/ ١٦٤) .

وقال الإمام أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمَّد شطا الدِّمياطي أيضاً : " وأتضرَّع إلى الله سبحانه وتعالى وأسأله من فضله العميم، متوسِّلاً بنبيِّه الكريم، أن ينفع بها كما نفع بأصلها الخاصّ والعام، ويقبلها بفضله كما أنعم بالاتمام، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم وسبباً للفوز بجنَّات النَّعيم " (١) .

وقال الإمام أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمَّد شطا الدمياطي أيضاً : " ... اللهمَّ بجاه سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم اهدنا لأحسن الأخلاق ، فإنَّه لا يهدي لأحسنها إلَّا أنت " (٢) .

وقال الإمام أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمَّد شطا الدِّمياطي أيضاً : " ... ثبَّتنا الله على الإيمان ، ورزقنا التَّمتُّع بالنَّظر إلى وجهه الكريم في الجنان ، بجاه سيِّدنا محمَّد سيِّد ولد عدنان" (٣) .

وقال الإمام أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمَّد شطا الدِّمياطي أيضاً : " ... يا رحمن ارحمنا ، واجعلنا من الرَّاحمين ، بجاه سيِّدنا محمَّد سيِّد الأوَّلين والآخرين " (٤) .

وقال الإمام أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمَّد شطا الدمياطي (١٣١٠هـ) أيضاً : " وأرجو من الكريم الوهَّاب ، متوسِّلاً بسيِّدنا محمَّد سيِّد الاحباب أن يعين على التَّمام والكمال ، ويمن علينا بجزيل الإفضال " (٥) .

.

وقال الإمام أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمَّد شطا الدِّمياطي (١٣١٠هـ) أيضاً : " ... يا أرحم الرَّاحمين ، اقض حوائجنا الدنيويَّة ، والأخرويَّة ، ووفِّقنا لإصلاح النيَّة ، بجاه سيِّدنا محمَّد خير البريَّة ، وأهل بيته ذوي النُّفوس الزَّكيَّة " (٦) .

وقال الإمام محمَّد بن أحمد بن عبدالله متولي (١٣١٣هـ) : " و توسُّلا بمحمَّد المجتبي لمناجاة حضرة قدسه ، وتوجُّهاً بأحمد المنتقي من هذا العالم جنه وإنسه ، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلي آله وأصحابه الذين لم يرغبوا بأنفسهم عن نفسه " (١) .

---

(١) انظر : إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية على فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين) (٢/ ٤٢٢) .

(٢) انظر : إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (٣/ ١٨٣) .

(٣) انظر : إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (٤/ ١٦٠) ،.

(٤) انظر : إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (٤/ ٣٨٧) .

(٥) انظر : إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية على فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين) (٤/ ٣٩٢) .

(٦) انظر : إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (٤/ ٣٩٢) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن خالد بن محمَّد النَّاصري الدِّرعي الجعفري السّلّاوي (١٣١٥هـ) : " وَفِي سنة إِحْدَى وَسِتِّينَ وَخَمْسمِائة توفّي الشَّيخ أَبُو شُعَيْب أَيُّوب بن سعيد الصّنهاجي الملقَّب بِسَارِيَة ... كنت زرت ضريح هَذَا الشَّيخ سنة ثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ وَألف ومدحته بقصيدة سلكت فِيهَا مَسْلَك الأدباء من النّسَب وَغَيره وأنشدتها عِنْد ضريحه فَرَأَيْت لَهَا بركَة وَالْحَمْد لله فَأَحْبَبْت أَن أذكرها هُنَا وَهِي هَذِه ...

سقى ضريحك غيث مَا يزَال بِـــهِ ... بُسْتَان أنسك وَهُوَ مُورق الفنـــن

بجـــاه أفضل خلق الله كلِّهم ... محمَّد ذِي المزايـــا الغرّ والمنن

عَلَيْهِ أزكـــى صَلَاة الله مَا تليت ... صُحف وَمَا نسج القريض ذُو لسن

والآل والصَّحب والأزواج قاطبـــة ... وَمن قفا نهجهم فِي كلّ مَا زمـــن (٢)

وقال الإمام شهاب الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن خالد بن محمَّد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي (١٣١٥هـ) : " فنطلب من سيِّدنا نَصره الله أَن يلْتَزم لنا بفضله من هَذِه الْبيعَة الْقبُول مستشفعين بجاه جده الرَّسول صَلَّى الله عَلَيْهِ وعَلى آله الطيِّبين وصحابته المنتخبين ، وَآخر دعوانا أَن الْحَمد لله ربّ الْعَالمين " (٣) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن خالد بن محمَّد النَّاصري الدّرعي الجعفري السّلاوي (١٣١٥هـ) : " ... فنطلب من سيِّدنا نَصره الله أَن يلْتَزم لنا بفضله من هَذِه الْبيعَة الْقبُول ، مستشفعين بجاه جدِّه الرَّسول صَلَّى الله عَلَيْهِ وعَلى آله الطيِّبين وصحابته المنتخبين ، وَآخر دعوانا أَن الْحَمد لله ربِّ الْعَالمين " (٤) .

وألَّف الإمام محمَّد النافلاتي الحنفي مفتي القدس الشَّريف ( كان حيّاً سنة ١٣١٥هـ) كتاباً سمَّاه : " التَّحريرات الرَّائقة " ، مطبوع .

وقال الإمام محمَّد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليماً ، التّناري بلداً (١٣١٦هـ) : " اللهمَّ أجرنا وَأجر والدينا من النَّار بجاه النَّبي الْمُخْتَار وأدخلنا الجنَّة مَعَ الْأَبْرَار بِفَضْلِك وكرمك يَا عَزِيز يَا غفَّار " (٥) .

---

(١) انظر : إتحاف الأنام وإسعاف الأفهام في وقف حمزة وهشام ، محمَّد بن أحمد بن عبدالله متولي ، (ص١) ، مخطوط بمكتبة الملك عبدالله بن عبدالعزيز الجامعية (٣٥٥) .

(٢) انظر : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (٢/ ٢٠٨-٢٠٩) .

(٣) انظر : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (٣/ ٢٩) .

(٤) انظر : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (٣/ ٢٩) .

(٥) انظر : نهاية الزين في إرشاد المبتدئين (ص٧٧) .

وألَّف الإمام عبد الله القدومي الحنبلي النابلسي ، عالم الحنابلة بالحجاز والشَّام (١٣٣١هـ) رسالة في الرَّدِّ على محمَّد بن عبد الوهَّاب ، ردّ عليه في مسئلة الزِّيارة ومسئلة التَّوسُّل بالأنبياء والصَّالحين ، وقد ذكر ذلك في رسالته " الرِّحلة الحجازيَّة والرِّياض الأنسيَّة في الحوادث والمسائل " ، طبع .

وألَّف الإمام محمَّد بن محمَّد مصطفى المشرفي الإغريسي (١٣٣٤هـ) كتاباً سمَّاه : " إظهار العقوق في الرَّدِّ على منع التَّوسُّل إلى الله تعالى بالنَّبي والولي الصَّدوق " ، طبع بمصر سنة (١٣٣٠هـ ، ١٩١١م) .

وقال الإمام عبد الرزَّاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدِّمشقي (١٣٣٥هـ) أيضاً : " ... رحمهم الله أجمعين، وجمعني بهم في مستقر رحمته بجاه سيِّد المرسلين " (١) .

وقال الإمام عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدِّمشقي أيضاً : " نسأل الله حسن الأحوال ، بجاه سيِّدنا محمَّد والصحب والآل " (٢) .

وقال الإمام عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدِّمشقي أيضاً : " نفعنا الله به في الدَّارين بجاه محمَّد سيِّد الكونين " (٣) .

وقال الإمام عبد الرزَّاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدِّمشقي أيضاً : " نفعنا الله ببركاته وعلومه الربَّانية بجاه محمَّد وآله " (٤) .

وقال الإمام عبد الرزَّاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدِّمشقي أيضاً في ترجمة السيِّد مرتضى الزَّبيدي ، من أشعاره : "

ويرجو المرتضى منكم قبولاً عسى يعطى الرِّضى عند القرار
بجاه المصطفــى خير البرايا إمــــــام المرسلين المستجار (٥)

وقال الإمام عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدِّمشقي أيضاً في ترجمة الشَّيخ الإمام العالم الأديب أحمد بن علي اليافي (١٢٢١هـ) ... ذكر هذه القصيدة :

(١) انظر : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (ص١٦١٦) .

(٢) انظر : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (ص٦٨٣) .

(٣) انظر : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (ص٩١٥) .

(٤) انظر : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (ص١٣٠٢) .

(٥) انظر : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (ص١٥١٣) .

فلا زلت للوراد كعبة قصدهـــــم تطوف وتسعى فيك بالبيض والصفر

بجاه النَّبي المختار والآل ذي التقى عليهم صلاة الله مـــــا غرد القمري (١)

وقال الإمام عبد الرزَّاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدِّمشقي أيضاً : " وفَّقه الله لمحاسن ما به أمر، آمين، بجاه طه الأمين " (٢) .

وقال الإمام عبد الرزَّاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدِّمشقي أيضاً في ترجمة الشَّيخ السيِّد أحمد بن السيِّد علي بن السيِّد محمَّد الشَّهير بالحلواني (١٣٠٧هـ) : " جمعنا الله وإيَّاه في الفردوس بجاه سيِّدنا محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام " (٣) .

وقال الإمام عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدِّمشقي (١٣٣٥هـ) أيضاً : " ... فأيد اللهمَّ هذا السلطان الرحيم الحليم الأفخم ، والملك الكريم السليم الأكرم ، بالفتح المبين ، والنصر على الأعداء والمشركين ، بجاه سيِّد المرسلين ، وخاتم النبيين ، عليه وعلى آله وصحبه أفضل صلاة وأكمل تسليم " (٤) .

وقال الإمام عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدِّمشقي (١٣٣٥هـ) أيضاً ، في ترجمة الشَّيخ إبراهيم أبو إسحق برهان الدِّين الدِّمشقي : " ... ودفن بالمغارة المعروفة بمغارة الشَّيخ إبراهيم في سفح جبل قاسيون في صالحيَّة دمشق ، يُزار ويُتبرَّك به ، والمشهور أنَّ الدُّعاء عند قبره مُستجاب ، ولأهل دمشق اعتقاد بزيارته " (٥) .

وألَّف الإمام مختار بن أحمد المؤيد العظمي (١٣٤٠هـ) كتاباً بعنوان : " جلاء الأوهام عن مذاهب الأئمَّة العظام والتَّوسُّل بجاه خير الأنام عليه الصَّلاة والسَّلام " ، و قد ردَّ فيه على كتاب ابن تيمية المسمَّى : "رفع الملام ... " .

---

(١) انظر : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (١/ ١٩٦) .

(٢) انظر : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (ص١٦١٥) .

(٣) انظر : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ص٢٥٥) .

(٤) انظر : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (ص١٤٦) .

(٥) انظر : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (١/ ٣٣) .

وقال الإمام أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمَّد بن أبي الثناء الألوسي (١٣٤٢هـ) : " أعاذنا الله تعالى من غوائل الحسد ، وعصمنا من مخائل النَّكد ، بمحمَّد وآله الطَّاهرين " (١) .

وألَّف الإمام مصطفى الكريمي ابن الشَّيخ ابراهيم السّيامي كتاباً بعنوان : " رسالة السنيِّين في الرَّدِّ على المبتدعين الوهَّابيِّين والمستوهبين ، طبع في مطبعة المعاهد سنة (١٣٤٥) هجريَّة .

وألَّف الإمام محمَّد حسن صاحب السَّرهـندي ، المجددي (١٣٤٦هـ) كتاباً سمَّاه : " الأصول الأربعة في ترديد الوهَّابيَّة " ، مطبوع .

وألَّف الإمام المفتي مصطفى بن أحمد الشَّطِّي الحنبلي الدِّمشقي (١٣٤٨هـ) كتاباً بعنـــوان : " النُّقول الشَّرعيَّة " .

وجاء في " دليل الحيران على مورد الظمآن " لأبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن سليمان المارغني التُّونسي المالكي (١٣٤٩هـ) :

عسى برشدهم به أن أرشدا   من ظلم الذَّنب إلى نور الهدى
بجـــاه سيِّد الورى الشَّفيع   محمَّد ذي المحتد الرَّفيـــع (٢)

وجاء في " دليل الحيران على مورد الظمآن " لأبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن سليمان المارغني التَّونسي المالكي (١٣٤٩هـ) أيضاً : " ... ثمَّ توسَّل بجاه سيِّد الورى الشَّفيع الذي يحتاج إلى شفاعته عند الله جميع الكبراء سيِّدنا، ومولانا محمَّد رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم ، والجاه المنزلة، والورى الخلق " (٣) .

وجاء في " دليل الحيران على مورد الظمآن " لأبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن سليمان المارغني التُّونسي المالكي أيضاً :

بجاه سيِّد الورى المؤمل   محمَّد ذي الشَّرف المؤثل
صلَّى الإلـــــــــه ربّنا عليـه   ما حنَّ شوقاً دنف إليـــــــه (٤)

(٤)

---

(١) انظر : غاية الأماني في الرد على النبهاني (٢/ ٢٥٤) .

(٢) انظر : دليل الحيران على مورد الظمآن (ص٣٤١) .

(٣) انظر : دليل الحيران على مورد الظمآن (ص٣٤٢) .

(٤) انظر : دليل الحيران على مورد الظمآن (ص٤٤٥) .

وقال الإمام يوسف بن إسماعيل بن يوسف النَّبْهَاني (١٣٥٠هـ) : " وأسأل الله العظيم ربّ العرش الكريم أن يجعل هذا الكتاب من أفضل الحسنات الجاري نفعها في الحياة وبعد المات، بجاه نبيّه سيِّد الرُّسل الكرام، عليه وعليهم الصَّلاة والسَّلام " (١) .

وقال الإمام يوسف بن إسماعيل بن يوسف النَّبْهَاني : " ... يصاحبنا في الدُّنيا ، ويلازمنا في البرزخ ، ولا يفارقنا يوم الدِّين ؛ بجاه خير الوسائل إليه ، وأقرب المقرَّبين لديه ، حبيبه الأكرم، ورسوله الأعظم : سيِّدنا محمَّد سيِّد المرسلين صَلَّى الله عليه وعليهم ، وعلى الهم وأصحابهم الكرام" (٢) .

وللإمام يوسف بن إسماعيل بن يوسف النَّبْهَاني كتاب في الموضوع سمَّاه : " شواهد الحقّ في التَّوسُّل بسيد الخلق " .

وقال الإمام كامل بن حسين بن محمَّد بن مصطفى البالي الحلبي ، الشَّهير بالغزي (١٣٥١هـ) وهو يتحدث عن مسجد سيتا : " داخل باب الفرج على يسرة الدَّاخل منه وهو مسجد عامر له منارة جميلة الصّنعة جداً ... مكتوب على دائر موقف المؤذن تحت الدَّرابزون (أنشأ هذه المنارة المباركة فقير عفو الله راجي رحمة الله مستجير من عذاب القبر والنَّار ، متوسِّلاً بسيِّد المرسلين أن يمنَّ عليه بالتَّوبة قبل الموت ويثبته على كلمة التَّوحيد والإيمان في الدُّنيا والآخرة تحت رحمة الله محمَّد بن عبد الله القاري ، وذلك في اليوم التَّاسع من شهر شعبان المعظم قدره سنة (٧٥١) من الهجرة النَّبويَّة على صاحبها أفضل التَّحيَّة) ، ومكتوب على زنار هذه المنارة الأوَّل (أنشأ هذه المنارة المباركة العبد الفقير إلى مولاه القدير ، المقرُّ بالعجز والتَّقصير محمَّد بن عبد الله متوسِّلاً بسيِّد المرسلين وشفيع المذنبين أن يكون خالصة لوجهه الكريم ، وسبباً للفوز بجنَّات النعيم " (٣) .

وقال الإمام كامل بن حسين بن محمَّد بن مصطفى البالي الحلبي، الشَّهير بالغزي (١٣٥١هـ) : " ودام اقتداره بمحمَّد وآله " .

وقال أيضاً : " خلَّد الله مُلكه ، وأعزَّ أنصاره بمحمَّد وآله " .

وقال أيضاً : " أعزَّ الله أنصاره ، وضاعف اقتداره بمحمَّد وآله " .

---

(١) انظر : وسائل الوصول إلى شمائل الرَّسول صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّم (ص٣٦) .

(٢) انظر : وسائل الوصول إلى شمائل الرَّسول صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّم (ص٣٩٦) .

(٣) انظر : نهر الذهب في تاريخ حلب (٢/ ١٦٢) .

وقال أيضاً : " خلَّد الله مُلكه، وأدام اقتداره بمحمَّد وآله " (١) .

وألَّف الإمام مفتي الدِّيار المصريَّة محمَّد بخيت المطيعي الحنفي (١٣٥٤هـ) كتاباً بعنوان التَّوسُّل ...

وقال مفتي الدِّيار المصريّة محمَّد بخيت المطيعي الحنفي في تقريظه لكتاب فهرس الفهارس : " ... أحسن الجزاء ، وأدام النَّفع به وحفظه من الأسواء ، بجاه من هو للأنبياء ختام ، عليه الصَّلاة والسَّلام " (٢) .

وكتب شيخ الجماعة بالرّباط ، العلَّامة الدرَّاكة الأكبر ،صاحب التآليف العديدة التي قاربت المائة أبو عبد الله محمَّد المكي البطاوري (١٣٥٥هـ) في تقريظه لكتاب فهرس الفهارس : " بجاه سرِّ الوجود، وقبلة السُّجود ، عليه الصَّلاة والسَّلام " (٣) .

وقال الإمام أبو الفيض عبد الستار بن عبد الوهَّاب البكري الصدِّيقي المكي الحنفي (١٣٥٥هـ) : " ... تجاوز الله عنه وعافاه ، وتلقَّاه برحمته إذا توفاه ، آمين ، بجاه سيِّد المرسلين صَلَّى الله وَسَلَّم عليه وعلى عترته وصحبه أجمعين " .

وقال أيضاً : " ... طوَّل الله لنا في عمره بجاه سيِّدنا محمَّد خير الأنام صَلَّى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وَسَلَّم " .

وقال أيضاً : " ... أدام الله وجودهما ، وعمّ النَّفع بهما المسلمين بجاه سيِّد المرسلين " .

وقال أيضاً : " ... وأحسن ختامنا بالإيمان بجاه محمَّد وآله " .

وقال أيضاً : " ... حفظه الله وأدام به النَّفع للمسلمين آمين، بجاه سيِّد المرسلين " .

وقال أيضاً : " ... تجاوز الله عنه وعافاه ، وتلقَّاه برحمته إذا توفَّاه ، آمين، بجاه سيِّد المرسلين صَلَّى الله وَسَلَّم عليه وعلى عترته وصحبه أجمعين " (٤) .

وقال الإمام الحسن بن محمَّد بن الغَسَّال الطَّنجي (١٣٥٨هـ) : " ولا زالت الخلافة فيه وفي عقبه إلى يوم القيامة بجاه جدِّه عليه الصَّلوات والسَّلام" (١) .

---

(١) انظر : ر الذهب في تاريخ حلب (٢/ ١٩) ، (٢/ ٨٠) ، (٢/ ٢٨٤) ، (٣/ ١٨٤) .

(٢) انظر : فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات (٢/ ١١٧٢) .

(٣) انظر : فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات (٢/ ١١٧٣) .

(٤) انظر : فيض الملك الوهَّاب المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي (١/ ١٠٥) ، (١/ ١٥٨) ، (١/ ٢١٠) ، (١/١٠٨٨) ، (١/ ١٤١٧) ، (٢/ ٢٠٧٢) .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (١٣٦٠هـ) ، في ترجمة الشَّيخ أبو زيد عبد الرَّحمن بن عبد الله الهزميري (٧٠٦هـ) : " والدُّعاء عند قبره مستجاب " (٢) .

وقال الإمام مصطفى وهيب بن إبراهيم البارودي (١٣٦٢هـ) :

بجاه المصطفى خير البرايا وآل ذكرهم أبداً حميد (٣)

وألَّف الإمام عبد القادر بن محمَّد سليم الكيلاني الاسكندراني (١٣٦٢هـ) كتاباً بعنوان : " إثبات الواسطة التي نفتها الوهَّابيَّة " .

وقال الإمام العلَّامة ، المحدّث ، المُسنِد ، المؤرخ ، الشَّيخ عبدالله بن محمَّد الغازي المكي الحنفي ، (١٣٦٥هـ) : " نسأل الحقَّ سبحانه وتعالى متوسلين بالمصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أن يكون التَّوفيق لنا رائداً في كلِّ زمان ، آمين " (٤) .

وقال الإمام العلَّامة ، المحدّث ، المُسنِد ، المؤرخ ، الشَّيخ عبدالله بن محمَّد الغازي المكي الحنفي : " هذا ولنرفع أَكُفَّ الابتهال والضَّراعة، متوسِّلين بجاه صاحب الشَّفاعة، قائلين: اللهمَّ أدم النَّصر والتَّمكين " (٥) .

وقال الإمام العلَّامة ، المحدّث ، المُسنِد ، المؤرِّخ ، الشَّيخ عبدالله بن محمَّد الغازي المكي الحنفي : " هذا ولنرفع أَكُفَّ الابتهال والإنابة، لسامع الدُّعاء ومسرع الإجابة، متوسِّلين بسيِّدنا محمَّد صاحب المقام الأسنى، وبأسمائه المقدَّسة الحُسنى " (٦) .

وألَّف الإمام يوسف الدّجوي (١٣٦٥هـ) رسالة : " الأجوبة المُفحمة في التَّوسُّل " .

وألَّف الإمام مصطفى الحمامي المصري (١٣٦٨هـ) كتاباً سمَّاه : " غوث العباد ببيان الرَّشاد " .

وقال الإمام محمَّد زاهد الكوثري (١٣٧١هـ) : " إنِّي أرى أن أتحدَّث هنا عن مسألة التَّوسُّل التي هي وسيلة دعاتهم إلى رميهم الأمَّة المحمديَّة بالإشراك ، وكنت لا أحبُّ طرْقَ هذا البحث لكثرة ما أثاروا حوله من جدل

---

(١) انظر : الرحلة التتويجية لعاصمة البلاد الإنجليزية (ص٦٢) .

(٢) انظر : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (١/ ٢٨٨) .

(٣) انظر : معجم أعلام شعراء المدح النبوي (ص٤٢٢) .

(٤) انظر : إفادة الأنام بذ كر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقه المسمى : بإتمام الكلام (٤/ ٣٥٧) .

(٥) انظر : إفادة الأنام بذ كر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقه المسمى : بإتمام الكلام (٤/ ٥٢٤) .

(٦) انظر : إفادة الأنام بذ كر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقه المسمى : بإتمام الكلام (٤/ ٥٣٠) .

عقيم مع ظهور الحجَّة واستبانة المحجَّة ، وليس قصد أوَّل من أثار هذه الفتنة سوى استباحة أموال المسلمين ليؤسس حكمه بأموالهم على دمائهم باسم أنَّهم مشركون ، وأنَّى يكون للحشويَّة صدق الدَّعوة إلى التَّوحيد ؟! . وهم في إنكارهم التَّوسُّل محجوجون بالكتاب والسُّنَّة والعمل المتوارث والمعقول ... وعلى التَّوسُّل بالأنبياء والصَّالحين أحياء وأمواتاً جرت الأمَّة طبقة فطبقة " (١) .

وللإمام الكوثري رسالة سمَّاها : " محقُ التَّقوُّل في مسألة التَّوسُّل " .

وألَّف الإمام أحمد حمدي الصَّابوني الحلبي (١٣٧٤هـ) رسالة في الرَّد على الوهَّابيَّة .

وألَّف الإمام ابراهيم بن عثمان السّمنودي المصري – من أهل هذا العصر– " نصرة الامام السُّبكي بردِّ الصَّارم المنكي " .

وألَّف الإمام محمَّد بن إبراهيم الأحمدي الظَّواهري الشَّافعي ، شيخ الجامع الأزهر (١٩٤٤م) كتاباً سمَّاه : " يهـوداً لا حنابلة " ، .

وألَّف الإمام سلامة العزامي القضاعي الشَّافعي المصري (١٣٧٦هـ) كتاباً سمَّاه : " فرقان القرءان " ، وله كتاب آخر بعنوان : " رسالة في تأييد مذهـب الصُّوفيَّة والرَّدّ على المعترضين " ، وهو مطبوع . وكتاب : " البراهين السَّاطعة في ردِّ البدع الشَّائعة " .

وألَّف الإمام توفيق سوقية الدِّمشقي كتاباً بعنوان : " تبيين الحقّ والصَّواب بالرَّد على أتباع ابن عبد الوهَّاب " .

وألَّف الإمام أحمد بن صدِّيق الغُماري كتاباً بعنوان : " إحياء المقبور من أدلَّة استحباب بناء المساجد والقباب على القبور " .

وقال الإمام محمَّد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمَّد الحسني الإدريسي ، المعروف بعبد الحي الكتاني (١٣٨٢هـ) : " وأسأله متوسِّلاً بهذا الرَّسول الكريم عليه أن يصلي عليه في كلِّ وقت ويسلِّم عليه وعلى آله وأصحابه " (٢) .

وألَّف الإمام محمَّد العربي التبَّاني (١٣٩٠هـ) كتاب : " براءة الأشعريِّين من عقائد المخالفين " .

---

(١) انظر : مقالات الكوثري (ص٤٠٩) .

(٢) انظر : التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية (٢/ ١٢٠) .

وقال الإمام محمَّد عميم الإحسان المجددي البركتي (١٣٩٥هـ) : " اللهمَّ أجرنا من النَّار يَا مجير يَا غفار اللهمَّ أَنْت السَّلام ومنك السَّلام أدخلنا دَارك دَار السَّلامَة بِحرْمَة سيِّدنا محمَّد عَلَيْهِ وعَلى آله وصحبة الصَّلاة والسَّلام " (١) .

وقال الإمام محمَّد عميم الإحسان المجددي البركتي (١٣٩٥هـ) أيضاً : " وَالله تَعَالَى المسؤول مِنْهُ الْقبُول بِحرْمَة سيِّدنا ومولانا محمَّد الرَّسول صَلَّى الله تَعَالَى عَلَيْهِ وعَلى آله وَأَصْحَابه وَأَتْبَاعه أَجْمَعِينَ وَالْحَمْد لله رب الْعَالمين " (٢) .

وقال الإمام عبد القادر بن ملّا حويش السيِّد محمود آل غازي العاني (١٣٩٨هـ) : " ومنها المغفور له الشَّيخ أمين الجندي الحمصي المتوفَّى في شوَّال سنة (١٢٥٧هـ) تغمَّده الله برحمته ، إذ كان مبتلى بداء عضال أعيا الأطباء فنظم قصيدته المشهورة ، واستغاث فيها إليه تعالى ، وتوسَّل بجاه رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فشفاه الله وكان مطلعها :

توسَّلت بالمختار أرجى الوسائل نبي لمثلي خير كاف وكافل (٣)

وقال الإمام حسن بن محمَّد المشاط المالكي (١٣٩٩هـ) : " بجاه أفضل الورى محمَّد ... صَلَّى عليه الله طول الأبد " (٤) .

وقال الإمام عبد السَّلام بن عبد القادر بن محمَّد بن عبد القادر بن الطالب بن محمَّد -فتحا- ابن سودة (١٤٠٠هـ) : " أنزل الله تعالى الرِّفق واللطف بجاه النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام " (٥) .

وقال الإمام عبد السَّلام بن عبد القادر بن محمَّد بن عبد القادر بن الطَّالب بن محمَّد ابن سودة (١٤٠٠هـ) : " ... راجين من الله نيل مرغوبهم ، وتأليف كلمتهم ، وأن يكون في ضمن ذلك صلاح المسلمين ، بجاه سيِّدنا ومولانا محمَّد خاتم النَّبيئين " .

وقال أيضاً : " ... أنزل الله تعالى الرَّفق واللطف بجاه النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام " (١) .

---

(١) انظر : قواعد الفقه (ص٢٥٦).

(٢) انظر : قواعد الفقه (ص٥٦٤) .

(٣) انظر : بيان المعاني (٢/ ٥٥٢) .

(٤) انظر : إنارة الدجى في مغازي خير الورى صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّم (ص٥٨) .

(٥) انظر : إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع (١/ ٨٩) .

وجاء في " الفتاوى الهنديَّة " ، كتاب المناسك : " خَاتِمَةٌ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ النَّبِي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم -) قَالَ مَشَايِخُنَا رَحِمَهُمْ الله تَعَالَى : أَنَّهَا أَفْضَلُ الْمَنْدُوبَاتِ ، وَفِي مَنَاسِكِ الْفَارِسِيِّ وَشَرْحِ الْمُخْتَارِ : أَنَّهَا قَرِيبَةٌ مِنْ الْوُجُوبِ لِمَنْ لَهُ سَعَةٌ ... ثمَّ يَقِفُ عِنْدَ رَأْسِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كَالْأَوَّلِ ، وَيَقُولُ : اللهمَّ إنَّكَ قُلْتَ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] . وَقَدْ جِئْنَاكَ سَامِعِينَ قَوْلَكَ طَائِعِينَ أَمْرَك مُسْتَشْفِعِينَ بِنَبِيِّكَ إلَيْكَ ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [الحشر : ١٠] ، الْآيَةُ ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة : ٢٠١] الْآيَةُ ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الصافات : ١٨٠] " (٢) .

وقال الإمام محمَّد عبد الله عنان المؤرِّخ المصري (١٤٠٦هـ) : " مع أنِّي صغير السِّن حين دخولنا هذه الدِّيار عمَّرها الله تعالى بالإسلام وأهله بجاه النَّبي المختار ، فقد أطلعني الله تعالى على دين الإسلام بواسطة والدي رحمة الله عليه وأنا ابن ستَّة أعوام وأقل " (٣) .

وألَّف الإمام محمَّد حسنين مخلوف مفتي الدِّيار المصريَّة (١٤١٠هـ) رسالة في حكم التَّوسُّل بالأنبياء والأولياء .

وقال الشَّيخ علي بن مصطفى الطَّنطاوي (١٤٢٠هـ) : " ... وأشهد أنْ طالما أنقذ الشَّيخ يحيى ناساً من الثوَّار وغيرهم من أيدي الفرنسيين ، نجّاهم - بعون الله ثمَّ بجاه الشَّيخ بدر الدِّين وبسعيه هو - من القتل " (٤) .

وقال الدُّكتور إحسان عبَّاس (١٤٢٤هـ) : " وغدا التَّوسُّل إلى الرَّسول وإرسال القصائد إلى الرَّوضة الشَّريفة موضوعاً واسعاً من موضوعات الشِّعر الأندلسي يميِّز العصور التَّالية . وقد شارك ابن أبي الخصال في هذا الموضوع أيضاً ، فله رسالة يحمل فيها " بعث الإيمان ووفد الرَّحمن " تحياته إلى الرَّسول ويقول : " فهل أنتم للأمانة مؤدُّون ، ولأخيكم بالدُّعاء له في تلك المواقف ممدُّون ، وبلسان ضميره متكلِّمون ، وبتحيَّته على خاتم

---

(١) انظر : إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع (١/ ٧٣) .

(٢) انظر : الفتاوى الهندية (٦٥-٢٦٦١/ ٢) .

(٣) انظر : دولة الإسلام في الأندلس (٥/ ٤٠٣) .

(٤) انظر : ذكريات علي بن مصطفى الطنطاوي(٦/ ٣٨١) .

الرُّسل (صلَّى اللهُ علَيْهِ وَسَلَّم) مسلِّمون ، ولتربته عنه بشفاهكم مصافحون ؟ " ثمَّ يشفع ذلك كلّه بثلاث مقطعات توسُّليَّة يشكو فيها ثقل ذنوبه ، ويتشفَّع بجاه الرَّسول الكريم ... " [١] .

وقال الإمام محمَّد إبراهيم محمَّد سالم (١٤٣٠هـ) :

فيا ربّ يا منَّان عمّ بنفعـــــــــــه جميع الورى واقبل دعائى تفضُّلا

بجاه رســــــــــول شقَّ جبريل صدره وأودع فيه الذِّكر والعلم موئـــــلا [٢]

[٢]

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد عبد القادر بن محمَّد بن المختار بن أحمد العالم القبلوي الجزائري المالكي الشَّهير بالشَّيخ باي بلعالم (١٤٣٠هـ) :

يا ربّ يا ربّ بجاه أحمد ارزق لشيخنا تمام المقصد [٣]

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد عبد القادر بن محمَّد بن المختار بن أحمد العالم القبلوي الجزائري المالكي الشَّهير بالشَّيخ باي بلعالم (١٤٣٠هـ) أيضاً : " والله ينفعنا وإيَّاه بما قرأنا ، ويرزقنا العمل وإيَّاه بما علَّمنا ، بجاه سيِّدنا ومولانا محمَّد خاتم النَّبيئين وإمام المرسلين والحمد لله ربّ العالمين " [٤] .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد عبد القادر بن محمَّد بن المختار بن أحمد العالم القبلوي الجزائري المالكي الشَّهير بالشيخ باي بلعالم (١٤٣٠هـ) أيضاً : " ولمَّا مات السيِّد عبد الله بن الشَّيخ سيِّدي عبد الرَّحمن التلاني مع السيِّد عمر بن عبد الرَّحمن التّنلاني المهداوي بطريق أولف رثاهما السيد عبد الرَّحمن بن إدريس بن عمر التنلاني فقال :

ويبق لنا الشَّيخ الفقيه محمَّداً صحيحاً معافى واسع الرَّحب والصَّدر

ويحفظه حياً وبعد وفاته وينجيه من هول القيامة والقبر

وبارك في أولاده وفي علمه وفي رزقه وزاده الطُّول في العمر

بجاه إمام الرُّسل والنَّاس كلّهم محمَّد المرجو للحشر والنَّشر

---

[١] انظر : تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) (ص١٦٩-١٧٠) .

[٢] انظر : فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات (١/ ٨١٣) .

[٣] انظر : الدرة السنية منظومة في علم الفرائض (مطبوع مع الكوكب الزهري نظم مختصر الأخضري) ، (ص٣٦) .

[٤] انظر : الغصن الداني في ترجمة وحياة الشَّيخ عبد الرَّحمن التنلاني(ص٣٨) .

عليه صلاة الله ما قال قـــــــائل صدوقاً لربي دائـم الحمد والشكر (١)

وقال الإمام محمَّد سيِّد طنطاوي (١٤٣١هـ) : " ورحم الله ابن كثير فقد قال عند تفسيره لهذه الآية : وقوله : ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء : ٦٤] يرشد – تعالى – العصاة والمذنبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلى الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فيستغفروا الله عنده ، ويسألوه أن يستغفر لهم ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم ، ولهذا قال : ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾ .

وقد جاء عن الإمام العتبى أنَّه قال : كنت جالساً عند قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فجاء أعرابيٌّ ، فقال : السَّلام عليك يا رسول الله !! سمعت الله يقول : ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء : ٦٤ ] : وقد جئتك مستغفراً لذنبي ، مستشفعاً بك عند ربي . ثمَّ أنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال العتبى : ثمَّ انصرف الأعرابىُّ ، فرأيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في النَّوم ، فقال : يا عتبي ، الحق الأعرابى فبشِّره أنَّ الله قد غفر له " (٢) .

قال الإمام محمَّد سعيد رمضان البوطي : " وإذا علمت أن التَّبرُّك بالشَّيء إنَّما هو طلب الخير بواسطته ووسيلته ، علمت أنَّ التَّوسُّل بآثار النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أمر مندوب إليه ومشروع ، فضلاً عن التَّوسُّل بذاته الشَّريفة ، وليس ثمَّة فرق بين أن يكون ذلك في حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أو بعد وفاته ، فآثار النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وفضلاته لا تتَّصف بالحياة مطلقاً ، سواء تعلَّق التَّبرُّك والتَّوسُّل بها في حياته أو بعد وفاته ، ولقد توسَّل الصَّحابة بشعراته من بعد وفاته ، كما ثبت ذلك في صحيح البخاري في باب شيب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم .

(١) انظر : الغصن الداني في ترجمة وحياة الشَّيخ عبد الرَّحمن التنلاني (ص٧٦) .

(٢) انظر : التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٣/ ٢٠١) .

ومع ذلك فقد ضلَّ أقوام لم تشعر أفئدتهم بمحبة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وراحوا يستنكرون التَّوسُّل بذاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بعد وفاته ، بحجَّة أنَّ تأثير النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قد انقطع بوفاته ، فالتَّوسُّل به إنَّما هو توسّل لا بشيء تأثير له البتَّة . وهذه حجَّة تدلُّ على جهل عجيب جداً ، فهل ثبت لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم تأثير ذاتي في الأشياء في حال حياته حتى نبحث عن مصير هذا التَّأثير بعد وفاته ؟ إنَّ أحداً من المسلمين لا يستطيع أن ينسب أي تأثير ذاتي في الأشياء لغير الواحد الأحد ، ومن اعتقد خلاف ذلك يكفر بإجماع المسلمين كلهم... فمناط التَّبرُّك والتَّوسُّل به أو بآثاره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ليس هو إسناد أي تأثير إليه ، وإنَّما المناط كونه أفضل الخلائق عند الله على الإطلاق ، وكونه رحمة من الله للعباد ، فهو التَّوسُّل بقربه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إلى ربه وبرحمته الكبرى للخلق ، وبهذا المعنى توسَّل الأعمى به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في أن يردَّ عليه بصره ، فردَّه الله عليه ، وبهذا المعنى كان الصَّحابة يتوسَّلون بآثاره وفضلاته دون أن يجدوا منه أي إنكار . وقد مرَّ بيان استحباب الاستشفاع بأهل الصلاح والتقوى وأهل بيت النبوة في الاستسقاء وغيره ، وأنَّ ذلك ممَّا أجمع عليه جمهور الأئمة والفقهاء بما فيهم الشوكاني ، وابن قدامة ، والصنعاني ، وغيرهم . والفرق بعد هذا بين حياته وموته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم خلط عجيب وغريب في البحث لا مسوغ له " (١) .

وجاء في " الموسوعة الفقهيَّة الكويتيَّة " : " التَّوسُّل بالنَّبي عَلَى مَعْنَى الإْيمَانِ بِهِ وَمَحَبَّتِهِ : لاَ خِلاَفَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فِي التَّوسُّل بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم عَلَى مَعْنَى الإْيمَانِ بِهِ وَمَحَبَّتِهِ ، وَذَلِكَ كَأَنْ يَقُول : أَسْأَلُك بِنَبِيِّك محمَّد ، وَيُرِيدُ : إِنِّي أَسْأَلُك بِإِيمَانِي بِهِ وَبِمَحَبَّتِهِ ، وَأَتَوَسَّل إِلَيْك بِإِيمَانِي بِهِ وَمَحَبَّتِهِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ .

قَال ابْنُ تَيْمِيَّةَ : مَنْ أَرَادَ هَذَا الْمَعْنَى فَهُوَ مُصِيبٌ فِي ذَلِكَ بِلاَ نِزَاعٍ ، وَإِذَا حُمِل عَلَى هَذَا الْمَعْنَى كَلاَمُ مَنْ تَوَسَّل بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بَعْدَ مَمَاتِهِ مِنَ السَّلف - كَمَا نُقِل عَنْ بَعْضِ الصَّحابة وَالتَّابِعِينَ . وَعَنِ الإْمَامِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ - كَانَ هَذَا حَسَناً . وَحِينَئِذٍ فَلاَ يَكُونُ فِي الْمَسْأَلَةِ نِزَاعٌ ، وَلَكِنَّ كَثِيراً مِنَ الْعَوَامّ يُطْلِقُونَ هَذَا اللَّفْظَ وَلاَ يُرِيدُونَ هَذَا الْمَعْنَى ، فَهَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ مَنْ أَنْكَرَ . وَهَذَا كَمَا أَنَّ الصَّحابة كَانُوا يُرِيدُونَ بالتَّوسُّل بِهِ التَّوسُّل بِدُعَائِهِ وَشَفَاعَتِهِ ، وَهَذَا جَائِزٌ بِلاَ نِزَاع ، ثمَّ إِنَّ أَكْثَر النَّاس فِي زَمَانِنَا لاَ يُرِيدُونَ هَذَا الْمَعْنَى بِهَذَا اللَّفْظِ .

وَقَال الأْلُوسِيُّ : أَنَا لاَ أَرَى بَأْساً فِي التَّوسُّل إلى اللهَّ تَعَالَى بِجَاهِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم عِنْدَ اللهَّ تَعَالَى حَيّاً وَمَيِّتاً ، وَيُرَادُ مِنَ الجاهِ مَعْنًى يَرْجِعُ إلى صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ تَعَالَى ، مِثْل أَنْ يُرَادَ بِهِ الْمَحَبَّةُ التَّامَّةُ الْمُسْتَدْعِيَةُ عَدَمَ رَدِّهِ وَقَبُول شَفَاعَتِهِ ، فَيَكُونُ مَعْنَى قَوْل الْقَائِل : إِلَهِي أَتَوَسَّل بِجَاهِ نَبِيِّك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَنْ تَقْضِيَ لِي حَاجَتِي .

---

(١) انظر : فقه السيرة (ص٣٢٦) .

إِلَهِي اجْعَل مَحَبَّتَك لَهُ وَسِيلَةً فِي قَضَاءِ حَاجَتِي ، وَلاَ فَرْقَ بَيْنَ هَذَا وَقَوْلِك : إِلَهِي أَتَوَسَّل بِرَحْمَتِك أَنْ تَفْعَل كَذَا ، إِذْ مَعْنَاهُ أَيْضاً إِلَهِي اجْعَل رَحْمَتَك وَسِيلَةً فِي فِعْل كَذَا ، وَالْكَلاَمُ فِي الْحُرْمَةِ (أَيِ الْمَنْزِلَةِ - وَالْمُرَادُ حُرْمَةُ النَّبِيِّ) كَالْكَلاَمِ فِي الْجَاهِ .

التَّوَسُّل بالنَّبي بَعْدَ وَفَاتِهِ : اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي مَشْرُوعِيَّةِ التَّوَسُّل بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بَعْدَ وَفَاتِهِ ، كَقَوْل الْقَائِل : اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُك بِنَبِيِّك أَوْ بِجَاهِ نَبِيِّك أَوْ بِحَقِّ نَبِيِّك ، عَلَى أَقْوَالٍ :

الْقَوْل الأَوَّل : ذَهَبَ جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ (الْمَالِكِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ وَمُتَأَخِّرُو الْحَنَفِيَّةِ وَهُوَ الْمَذْهَبُ عِنْدَ الْحَنَابِلَةِ) إلى جَوَازِ هَذَا النَّوْعِ مِنَ التَّوَسُّل سَوَاءٌ فِي حَيَاةِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَوْ بَعْدَ وَفَاتِهِ قَال الْقَسْطَلاَّنِيُّ : وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ مَالِكاً لما سَأَلَهُ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ الْعَبَّاسِيُّ - ثَانِي خُلَفَاء بَنِي العبَّاس - يَا أَبَا عَبْدِ اللهَّ أَأَسْتَقْبِل رَسُول اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَأَدْعُو أَمْ أَسْتَقْبِل الْقِبْلَةَ وَأَدْعُو؟

فَقَال لَهُ مَالِكٌ : وَلِمَ تَصْرِفُ وَجْهَك عَنْهُ وَهُوَ وَسِيلَتُك وَوَسِيلَةُ أَبِيك آدَمَ عَلَيْهِ السَّلام إلى اللهَّ عَزَّ وَجل يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ بَل اسْتَقْبِلْهُ وَاسْتَشْفِعْ بِهِ فَيُشَفِّعُهُ الله .

وَقَدْ رَوَى هَذِهِ القِصَّة أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ فِهْرٍ فِي كِتَابِهِ " فَضَائِل مَالِكٍ " بِإِسْنَادٍ لاَ بَأْسَ بِهِ ، وَأَخْرَجَهَا الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي الشِّفَاءِ مِنْ طَرِيقِهِ عَنْ شُيُوخٍ عِدَّةٍ مِنْ ثِقَاتِ مَشَايِخِهِ .

وَقَال النَّوَوِيُّ فِي بَيَانِ آدَابِ زِيَارَةِ قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : ثمَّ يَرْجِعُ الزَّائِرُ إلى مَوْقِفٍ قُبَالَةَ وَجْهِ رَسُول اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَيَتَوَسَّل بِهِ وَيَسْتَشْفِعُ بِهِ إلى رَبِّهِ ، وَمِنْ أَحْسَنِ مَا يَقُول الزَّائِرُ مَا حَكَاهُ الْمَاوَرْدِيُّ وَالْقَاضِي أَبُو الطَّيِّبِ وَسَائِرُ أَصْحَابِنَا عَنِ الْعُتْبِيِّ (٢٢٨هـ) ، مُسْتَحْسِنِينَ لَهُ ، قَال : كُنْت جَالِساً عِنْدَ قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فَجَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَال : السَّلام عَلَيْك يَا رَسُول اللهَّ : سَمِعْتُ اللهَّ تَعَالَى يَقُول : ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾[النساء : ٦٤ ] ، وَقَدْ جِئْتُك مُسْتَغْفِراً مِنْ ذَنْبِي مُسْتَشْفِعاً بك إلى رَبِّي ، ثمَّ أَنْشَأَ يَقُول :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظُمُهُ وَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالأَكَمُ
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

وَقَال الْعِزُّ بْنُ عَبْدِ السَّلام : يَنْبَغِي كَوْنُ هَذَا مَقْصُوراً عَلَى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لأَنَّه سيِّد وَلَدِ آدَمَ ، وَأَنْ لاَ يُقْسَمَ عَلَى اللهَّ بِغَيْرِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالْمَلاَئِكَةِ الأَوْلِيَاءِ ؛ لأَنَّهم لَيْسُوا فِي دَرَجَتِهِ ، وَأَنْ يَكُونَ مِمَّا خُصَّ بِهِ تَنْبِيهاً عَلَى عُلُوِّ رُتْبَتِهِ .

وَقَال السُّبكي : وَيَحْسُنُ التَّوسُّل وَالِاسْتِغَاثَةُ وَالتَّشَفُّعُ بالنَّبي إلى رَبِّهِ .

وَفِي إِعَانَةِ الطَّالِبِينَ:... وَقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَغْفِراً مِنْ ذَنْبِيَ مُسْتَشْفِعاً بك إلى رَبِّي .

مَا تَقَدَّمَ أَقْوَال الْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ .

وَأَمَّا الْحَنَابِلَةُ : فَقَدْ قَال ابْنُ قُدَامَةَ فِي الْمُغْنِي بَعْدَ أَنْ نَقَل قِصَّةَ الْعُتْبِيِّ (٢٢٨هـ) ، مَعَ الأَعْرَابِيِّ : وَيُسْتَحَبُّ لِمَنْ دَخَل الْمَسْجِدَ أَنْ يُقَدِّمَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى ... إلى أَنْ قَال : ثمَّ تَأْتِيَ الْقَبْرَ فَتَقُول... وَقَدْ أَتَيْتُك مُسْتَغْفِراً مِنْ ذُنُوبِي مُسْتَشْفِعاً بك إلى رَبِّي ... وَمِثْلُهُ فِي الشَّرْحِ الْكَبِيرِ .

وَأَمَّا الْحَنَفِيَّةُ : فَقَدْ صَرَّحَ مُتَأَخِّرُوهُمْ أَيْضاً بِجَوَازِ التَّوسُّل بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم . قَال الْكَمَال بْنُ الْهُمَامِ فِي فَتْحِ الْقَدِيرِ : ثمَّ يَقُول فِي مَوْقِفِهِ : السَّلام عَلَيْك يَا رَسُول اللهِّ ... وَيَسْأَل اللهَّ تَعَالَى حَاجَتَهُ مُتَوَسِّلاً إلى اللهَّ بِحَضْرَةِ نَبيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام .

وَقَال صَاحِبُ الِاخْتِيَارِ فِيمَا يُقَال عِنْدَ زِيَارَةِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : ... جِئْنَاكَ مِنْ بِلَادٍ شَاسِعَةٍ ... وَالِاسْتِشْفَاعُ بك إلى رَبِّنَا... ثمَّ يَقُول : مُسْتَشْفِعِينَ بِنَبِيِّك إِلَيْك .

وَمِثْلُهُ فِي مَرَاقِي الْفَلَاحِ وَالطَّحَاوِيُّ عَلَى الدُّرِّ الْمُخْتَارِ وَالْفَتَاوَى الْهِنْدِيَّةِ .

وَنَصُّ هَؤُلَاءِ : عِنْدَ زِيَارَةِ قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم اللَّهُمَّ... وَقَدْ جِئْنَاكَ سَامِعِينَ قَوْلَك طَائِعِينَ أَمْرَك مُسْتَشْفِعِينَ بِنَبِيِّك إِلَيْكَ .

وَقَال الشَّوْكَانِيُّ : وَيَتَوَسَّل إلى اللهَّ بِأَنْبِيَائِهِ والصَّالحين ، وَقَدِ اسْتَدَلُّوا لما ذَهَبُوا إِلَيْهِ بِمَا يَأْتِي :

(أ) قَوْله تَعَالَى : ﴿ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة : ٣٥] .

(ب) حَدِيثُ الأَعْمَى الْمُتَقَدِّمِ ، وَفِيهِ : اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّك محمَّد نَبِيِّ الرَّحْمَةِ .

فَقَدْ تَوَجَّهَ الأَعْمَى فِي دُعَائِهِ بالنَّبي عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام ، أَيْ : بِذَاتِهِ .

(ج) قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي الدُّعاء لِفَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ : اغْفِرْ لأِمِّي فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ ، وَوَسِّعْ عَلَيْهَا مُدْخَلَهَا بِحَقِّ نَبِيِّك وَالأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي فَإِنَّك أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .

(د) تَوَسُّل آدَمَ بِنَبِيِّنَا محمَّد عَلَيْهِمَا الصَّلاة والسَّلام : رَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي " دَلَائِل النُّبُوَّةِ " وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، قَال : قَال رَسُول اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لما اقْتَرَفَ آدَمُ الْخَطِيئَةَ ، قَال : يَا رَبِّ أَسْأَلُك بِحَقِّ محمَّد لما غَفَرْتَ لِي ، فَقَال الله تَعَالَى : يَا آدَمُ كَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّداً وَلَمْ أَخْلُقْهُ ؟

قَال : يَا رَبِّ إِنَّكَ لما خَلَقْتنِي رَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ عَلَى قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوباً لاَ إِلَهَ إِلَّا الله محمَّد رَسُول اللهِّ ، فَعَلِمْتُ أَنَّك لَمْ تُضِفْ إلى اسْمِك إِلَّا أَحَبَّ الخَلْقِ إِلَيْك ، فَقَال الله تَعَالَى : صَدَقْتَ يَا آدَمُ ، أَنَّه لأَحَبُّ الخَلْقِ إِلَيَّ ، وَإِذْ سَأَلْتنِي بِحَقِّهِ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ ، وَلَوْلاَ محمَّد مَا خَلَقْتُك .

(هـ) حَدِيثُ الرَّجُل الَّذِي كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ الله عَنْهُ: رَوَى الطَّبَرَانِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ أَنَّ رَجُلاً كَانَ يَخْتَلِفُ إلى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ الله عَنْهُ فِي زَمَنِ خِلاَفَتِهِ ، فَكَانَ لاَ يَلْتَفِتُ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ فِي حَاجَتِهِ ، فَشَكَا ذَلِكَ لِعُثْمَانِ بْنِ حُنَيْفٍ ، فَقَال لَهُ : ائتِ المِيضَأَةَ فَتَوَضَّأَ ، ثمَّ ائتِ المَسْجِدَ فَصَل ، ثمَّ قُل : اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُك وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْك بِنَبِيِّك محمَّد نَبِيِّ الرَّحْمَةِ يَا محمَّد إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِك إلى رَبِّك فَيَقْضِي لِي حَاجَتِي ، وَتَذْكُرُ حَاجَتَكَ، فَانْطَلَقَ الرَّجُل فَصَنَعَ ذَلِكَ ثمَّ أَتَى بَابَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ الله عَنْهُ ، فَجَاءَ الْبَوَّابُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ ، فَأَدْخَلَهُ عَلَى عُثْمَانَ رَضِيَ الله عَنْهُ فَأَجْلَسَهُ مَعَهُ ، وَقَال لَهُ : أُذْكُرْ حَاجَتَك، فَذَكَرَ حَاجَتَهُ فَقَضَاهَا لَهُ ، ثمَّ قَال : مَا لَكَ مِنْ حَاجَةٍ فَاذْكُرْهَا ثمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ فَلَقِيَ ابْنَ حُنَيْفٍ ، فَقَال لَهُ : جَزَاكَ الله خَيْراً مَا كَانَ يَنْظُرُ لِحَاجَتِي حَتَّى كَلَّمْتَهُ لِي ، فَقَال ابْنُ حُنَيْفٍ ، وَاللهِّ مَا كَلَّمْتُهُ وَلَكِنْ شَهِدْتُ رَسُول اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَأَتَاهُ ضَرِيرٌ فَشَكَا إِلَيْهِ ذَهَابَ بَصَرِهِ . إلى آخِرِ حَدِيثِ الأَعْمَى المُتَقَدِّم .

قَال المباركفوري : قَال الشَّيخ عَبْدُ الْغَنِيِّ فِي إِنْجَاحِ الْحَاجَةِ: ذَكَرَ شَيْخُنَا عَابِدٌ السِّنْدِيُّ فِي رِسَالَتِهِ وَالحَدِيثُ - حَدِيثُ الأَعْمَى - يَدُل عَلَى جَوَازِ التَّوسُّل وَالاِسْتِشْفَاعِ بِذَاتِهِ المُكَرَّمِ فِي حَيَاتِهِ ، وأَمَّا بَعْدَ مَمَاتِهِ فَقَدْ رَوَى الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ أَنَّ رَجُلاً كَانَ يَخْتَلِفُ إلى عُثْمَانَ... إلى آخِرِ الحَدِيثِ .

وَقَال الشَّوْكَانِيُّ فِي تُحْفَةِ الذَّاكِرِينَ : وَفِي الحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ التَّوسُّل بِرَسُول اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إلى اللهِّ عَزَّ وَجَل مَعَ اعْتِقَادِ أَنَّ الْفَاعِل هُوَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأَنَّه المُعْطِي المَانِعُ ، مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ " (١) .

وجاء في " الموسوعة الفقهيَّة الكويتيَّة " أيضاً : " أَنْوَاعُ الاِسْتِغَاثَةِ بِالخَلْقِ :

وَالاِسْتِغَاثَةُ بِالخَلْقِ - فِيمَا لاَ يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ - تَكُونُ عَلَى أَرْبَعِ صُوَرٍ :

أَوَّلُهَا : أَنْ يَسْأَل اللهَّ بِالمُتَوَسَّل بِهِ تَفْرِيجَ الْكُرْبَةِ ، وَلاَ يَسْأَل المُتَوَسَّل بِهِ شَيْئاً ، كَقَوْل الْقَائِل : اللهمَّ بِجَاهِ رَسُولِكَ فَرِّجْ كُرْبَتِي . وَهُوَ عَلَى هَذَا سَائِلٌ للهَِّ وَحْدَهُ ، وَمُسْتَغِيثٌ بِهِ ، وَلَيْسَ مُسْتَغِيثاً بِالمُتَوَسَّل بِهِ .

وَقَدِ إتَّفق الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الصُّورَةَ لَيْسَتْ شِرْكاً ، لأَنَّهَا اسْتِغَاثَةٌ بِاللهَِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَلَيْسَتِ اسْتِغَاثَةً بِالمُتَوَسَّل بِهِ ؛ وَلَكِنَّهُمُ اخْتَلَفُوا فِي المَسْأَلَةِ مِنْ حَيْثُ الحِل وَالحُرْمَةِ عَلَى ثَلاَثَةِ أَقْوَالٍ :

---

(١) انظر : الموسوعة الفقهية الكويتية (١٤/ ١٥٦-١٦٠) .

الْقَوْل الأَوَّل : جَوَازُ التَّوسُّل بِالأَنْبِيَاءِ والصَّالحين حَال حَيَاتِهِمْ وَبَعْدَ مَمَاتِهِمْ . قَال بِهِ مَالِكٌ ، والسُّبكي ، وَالْكَرْمَانِيُّ ، وَالنَّوَوِيُّ ، وَالْقَسطَلاَّنِيُّ ، وَالسَّمْهُودِيُّ ، وَابْنُ الْحَاجِّ ، وَابْنُ الْجَزَرِيِّ .

وَاسْتَدَل الْقَائِلُونَ بِجَوَازِ الِاسْتِغَاثَةِ بِالأَنْبِيَاءِ والصَّالحين بِأَدِلَّةٍ كَثِيرَةٍ ، مِنْهَا مَا وَرَدَ مِنَ الأَدْعِيَةِ الْمَأْثُورَةِ عَنِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، مِثْل : أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ ، وَبِحَقِّ مَمْشَايَ هَذَا إِلَيْكَ .

وَمِنْهَا مَا قَالَهُ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي الدُّعاء لِفَاطِمَةَ بِنْتِ أُسْدٍ اغْفِرْ لأُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتِ أُسْدٍ ، وَوَسِّعْ عَلَيْهَا مُدْخلَهَا ، بِحَقِّ نَبِيِّك وَالأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي ، فَإِنَّك أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .

وَمِنَ الأَدِلَّةِ حَدِيثُ رَسُول اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي .

وَمَا وَرَدَ مِنْ حَدِيثِ الْمِعْرَاجِ أَنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم مَرَّ عَلَى مُوسَى وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ والصَّلاة تَسْتَدْعِي حَيَاةَ الْبَدَنِ .

وَعَنْ ابْنِ عبَّاس رَضِيَ الله عَنْهُمَا عِنْدَ قَوْله تَعَالَى : ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة : ٨٩] ، أَنَّه قَال : كَانَ أَهْل خَيْبَرَ تُقَاتِل غَطَفَانَ ، كُلَّمَا الْتَقَتَا هَزَمَتْ غَطَفَانُ الْيَهُودَ، فَدَعَتِ الْيَهُودُ بِهَذَا الدُّعاء : اللهمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِحَقِّ الَّذِي وَعَدْتَنَا أَنْ تُخْرِجَهُ لَنَا إِلَّا نَصَرْتَنَا عَلَيْهِمْ . فَكَانُوا إِذَا الْتَقَوْا دَعَوْا بِهَذَا الدُّعاء فَتَهْزِمُ الْيَهُودُ غَطَفَانَ .

وقَوْله تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] . وَهَذَا تَفْخِيمٌ لِلرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَتَعْظِيمُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لاَ يَنْقَطِعُ بِمَوْتِهِ .

وَيَسْتَدِلُّونَ بِحَدِيثِ الأَعْمَى الْمُتَوَسِّل بِرَسُول اللهَّ فِي رَدِّ بَصرِهِ ...

الصُّورَةُ الثَّانِيَةُ : اسْتِغَاثَةٌ بِاَللهَّ وَاسْتِغَاثَةٌ بِالشَّفِيعِ أَنْ يَدْعُوَ اللهَّ لَهُ : وَهُوَ أَنْ يَسْأَل اللهَّ ، وَيَسْأَل الْمُتَوَسَّل بِهِ أَنْ يَدْعُوَ لَهُ ، كَمَا كَانَ يَفْعَل الصَّحابة ، وَيَسْتَغِيثُونَ وَيَتَوَسَّلُونَ بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي الِاسْتِسْقَاءِ ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ بِعَمِّهِ العبَّاس ، وَيَزِيدَ بْنِ الأَسْوَدِ الْجُرَشِيِّ رَضِيَ الله عَنْهُمَا ، فَهُوَ اسْتِغَاثَةٌ بِاَللهَّ ، وَاسْتِغَاثَةٌ بِالشَّفِيعِ أَنْ يَسْأَل اللهَّ لَهُ. فَهُوَ مُتَوَسِّلٌ بِدُعَائِهِ وَشَفَاعَتِهِ ، وَهَذَا مَشْرُوعٌ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ فِي حَيَاةِ الشَّفِيعِ ، وَلاَ يُعْلَمُ فِيهِ خِلاَفٌ . فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَنَّه قَال : أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْل الجنَّة ، كُل ضَعِيفٍ مُسْتَضْعَفٍ ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِّ لأَبَرَّهُ قَال الْعُلَمَاءُ : مَعْنَاهُ لَوْ حَلَفَ عَلَى اللهَّ لَيَفْعَلَنَّ كَذَا لأَوْقَعَ مَطْلُوبَهُ ، فَيَبَرُّ بِقَسَمِهِ إِكْرَاماً لَهُ ، لِعِظَمِ

مَنْزِلَتِهِ عِنْدَهُ . فَدَل ذَلِكَ عَلَى أَنَّ بَعْضَ النَّاس خَصَّهُ الله بِإِجَابَةِ الدَّعْوَةِ ، فَلاَ بَأْسَ أَنْ يُسْأَل فَيَدْعُوَ لِلْمُسْتَغِيثِ ، وَقَدْ وَرَدَ هَذَا فِي آثَارٍ كَثِيرَةٍ عَنِ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَالصَّحَابَةِ .

الصُّورَةُ الثَّالِثَةُ : اسْتِغَاثَةٌ فِي سُؤَال اللهَّ :

وَهِيَ أَنْ يَسْتَغِيثَ الإِنْسَانُ بِغَيْرِهِ فِي سُؤَال اللهَّ لَهُ تَفْرِيجَ الْكَرْبِ ، وَلاَ يَسْأَل اللهَّ هُوَ لِنَفْسِهِ . وَهَذَا جَائِزٌ لاَ يُعْلَمُ فِيهِ خِلاَفٌ .

وَمِنْهُ قَوْل النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : وَهَل تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ ، أَيْ : بِدُعَائِهِمْ ، وَصَلاَتِهِمْ ، وَاسْتِغْفَارِهِمْ.

وَمِنْ هَذَا أَنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كَانَ يَسْتَفْتِحُ بِصَعَالِيكِ الْمُهَاجِرِينَ . أَيْ : يَسْتَنْصِرُ بِهِمْ . فَالاِسْتِنْصَارُ وَالاِسْتِرْزَاقُ يَكُونُ بِالْمُؤْمِنِينَ بِدُعَائِهِمْ ، مَعَ أَنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَفْضَل مِنْهُمْ . لَكِنَّ دُعَاءَهُمْ وَصَلاَتَهُمْ مِنْ جُمْلَةِ الأَسْبَابِ ، وَيَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ لِلْمُسْتَنْصِرِ بِهِ وَالْمُسْتَرْزِقِ بِهِ مَزِيَّةٌ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ النَّاس . وَمِنْهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهَّ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهَّ لأَبَرَّهُ . مِنْهُمْ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ .

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي حَدِيثِ أُوَيْسٍ الْقَرَنِيِّ : فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يُسْتَغْفَرَ لَكَ فَافْعَل . وَقَوْل الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لِعُمَرَ لما وَدَّعَهُ لِلْعُمْرَةِ : لاَ تَنْسَنَا مِنْ دُعَائِكَ .

الصُّورَةُ الرَّابِعَةُ : أَنْ يَسْأَل الْمُسْتَغَاث بِهِ مَا لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ ، وَلاَ يَسْأَل اللهَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، كَأَنْ يَسْتَغِيثَ بِهِ أَنْ يُفَرِّجَ الْكَرْبَ عَنْهُ ، أَوْ يَأْتِيَ لَهُ بِالرِّزْقِ . فَهَذَا غَيْرُ جائِزٍ وَقَدْ عَدَّهُ الْعُلَمَاءُ مِنَ الشِّرك ، " لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٦-١٠٧] .

وَفِي الصَّحيح عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ الله عَنْهُ قَال : شُجَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يَوْمَ أُحُدٍ وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ ، فَقَال : كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ ؟ فَنَزَلَتْ ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران:١٢٨] ، فَإِذَا نَفَى الله تَعَالَى عَنْ نَبِيِّهِ مَا لاَ قُدْرَةَ لَهُ عَلَيْهِ مِنْ جَلْبِ نَفْعٍ أَوْ دَفْعِ ضُرٍّ ، فَغَيْرُهُ أَوْلَى " (١) .

وقالت دائرة الإفتاء الأردنيَّة ، في جواب سؤال : " ما حكم التَّوسُّل بجاه النَّبي محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ؟ الجواب : الحمد لله ، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا رسول الله ...

---

(١) انظر : الموسوعة الفقهية الكويتية (٤/ ٢٤-٢٨) .

التَّوسُّل بجاه النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم جائز في مذهبنا ومذهب جمهور أهل العلم من الحنفيَّة والمالكيَّة والحنابلة في المعتمد من كتبهم ، وذلك لأنَّ مقام النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم العظيم ومنزلته الرَّفيعة عند الله عزَّ وجلَّ ثابتة في الكتاب والسُّنَّة ، ومن توسَّل بأمر ثابت فلا حرج عليه لعموم قوله عزَّ وجلَّ : ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة : ٣٥ ] ، خاصَّة وقد ورد في ذلك حديث خاصّ ، وهو حديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه حين علمه النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم هذا الدُّعاء : " اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ محمَّد نَبِيِّ الرَّحْمَةِ " رواه التِّرمذي (رقم/ ٣٥٧٨) ، وقال : حسن صحيح . يقول الإمام النَّووي رحمه الله – في معرض حديثه عن آداب زيارة قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم –: " ثمَّ يرجع إلى موقفه الأوَّل قبالة وجه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فيتوسَّل به في حقِّ نفسه ، ويتشفَّع به إلى ربِّه سبحانه وتعالى " انتهى . " الأذكار " (ص/ ٢٠٥) . ويقول الكمال ابن الهمام رحمه الله : " يسأل الله تعالى حاجته متوسِّلاً إلى الله بحضرة نبيه عليه الصَّلاة والسَّلام " انتهى . " فتح القدير " (٣/ ١٨١) ، وفي " حاشية العدوي " (١/ ٥) : " وجعلنا من المتَّبعين له في أقواله وأفعاله ، بمحمَّد وآله وصحبه وعترته آمين " . ويقول البهوتي رحمه الله : " ولا بأس بالتَّوسُّل بالصَّالحين ، ونصّه – يعني الإمام أحمد – في منسكه الذي كتبه للمروذي أنَّه يتوسَّل بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في دعائه ، وجزم به في " المستوعب " ، وغيره " انتهى " كشَّاف القناع " (٢/ ٧٣) . وعلى كلِّ حال : فالمسألة من مسائل الفروع التي لا يجوز الإنكار فيها وإحداث الشِّقاق والنِّزاع ، وهذا ابن تيمية رحمه الله – وهو من القائلين بمنع التَّوسُّل بالجاه – يقول : " وإن كان في العلماء مَن سوَّغه ، فقد ثبت عن غير واحد من العلماء أنَّه نهى عنه ، فتكون مسألة نزاع ، فيُرد ما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله ، ويُبدي كلُّ واحد حجَّته كما في سائر مسائل النِّزاع ، وليس هذا من مسائل العقوبات بإجماع المسلمين ، بل المعاقب على ذلك معتد جاهل ظالم " انتهى . " مجمـــوع الفتاوى " (١/ ٢٨٥-٢٨٦) ، والله أعـــلم " [١] .

وجاء في فتاوى المجلس الإسلامي للإفتاء / بيت المقدس

حكم التَّوسُّل بالصّالحين :

---

[١] انظر : فتاوى لجنة الإفتاء في المملكة الأردنية الهاشمية ، رقم الفتوى : (٥٧٩ ) بتاريخ : ٠٤-٠٤-٢٠١٠ .

الحمد لله رب العالمين والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد : ذهب جمهور الفقهاء إلى جواز التَّوسُّل بالصَّالحين ، وهو القول المعتمد في المذاهب الأربعة ، بل إنّ الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب في رسائله إلى أهل القصيم لم ينكر مشروعية التَّوسُّل بالصَّالحين ، وأبلغ من انتصر لهذا القول الإمام الشَّوكاني السَّلفي ، وإليك نصوص أقوالهم :

نصوص علماء الحنفية : جاء في حاشية الطَّحطاوي على مراقي الفلاح (ص ٣٦٠ ط) مكتبة البابي الحلبي / القاهرة سنة (١٣١٨هـ) : قوله فيتوسَّل إليه بصاحبيه . ذكر بعض العارفين أنَّ الأدب في التَّوسُّل أن يتوسَّل بالصَّاحبين إلى الرَّسول الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ثمَّ به إلى حضرة الحقّ جلَّ جلاله وتعاظمت أسماؤه ، فإنَّ مراعاة الواسطة عليها مدار قضاء الحاجات " .

وجاء في تنقيح الفتاوى الحامديَّة لابن عابدين (ت:١٢٥٢هـ) (٧/ ٤١٧) في ذكر حال بعض الجراد الذي غزا البلاد !! : وَادْفَعْ شَرَّهَا عَنْ أَرْزَاقِ الْمُسْلِمِينَ بِجَاهِ النَّبي الأمين وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين .

وقال ابن عابدين في " حاشية رد المحتار على الدر المختار " (١/ ٨٤) :

" يقول أسير الذُّنوب جامع هذه الأوراق راجياً من مولاه الكريم، متوسِّلاً بنبيه العظيم وبكلِّ ذي جاه عنده تعالى أن يمنَّ عليه كرماً وفضلاً بقبول هذا السَّعي والنفع له للعباد ، في عامة البلاد ، وبلوغ المرام ، بحسن الختام ، والاختتام ، آمين " .

قال خليل أحمد سهارنبوري ( ١٣٤٩ هـ) في كتابه " المهند على المفند " (ص ٨٦-٨٧) ، وهو من كبار علماء أحناف ديوبند بالهند ، في جواب هذا السُّؤال : هل للرَّجل أن يتوسَّل في دعوته بالنَّبي والصَّالحين والصدِّيقين والشُّهداء والأولياء ؟

"عندنا وعند مشايخنا يجوز التَّوسُّل بهم في حياتهم وبعد وفاتهم بأن يقول : " اللهمَّ إنِّي أتوسَّل إليك بفلان أن تجيب دعوتي وتقضي حاجتي " ، كما صرَّح به الشَّاه محمَّد إسحاق الدِّهلوي والمهاجر المكي ، ورشيد أحمد الكنكومي . انتهى .

- قال الإمام محمَّد زاهد الكوثري في كتاب " مقالات الكوثري " : ( ص ٤١٠ ) : وعلى التَّوسُّل بالأنبياء والصَّالحين أحياء وأمواتا جرت الأمَّة طبقة فطبقة " اهـ

نصوص علماء المالكيَّة : جاء في " الشَّرح الصَّغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك " ، للعلَّامة أبي البركات أحمد بن محمَّد بن أحمد الدَّردير ، وبهامشه حاشية العلَّامة الشَّيخ أحمد بن محمَّد الصَّاوي المالكي ، (

٢\٧٢) : " ....ثمّ ينتقل قبالة قبر أبي بكر ويقول : " السَّلام عليك يا خليفة رسول الله ، السَّلام عليك يا صدِّيق رسول الله ، أشهد أنَّك جاهدت في الله حقَّ جهاده ، جزاك الله عن أمَّة محمَّد خيراً ، رضي الله عنك وأرضاك وجعل الجنَّة متقلَّبك ومثواك ، ورضي الله عن كلِّ الصَّحابة أجمعين ، ثمَّ يتوسَّل به إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ثمَّ ينتقل قبالة قبر أمير المؤمنين عمر ويقول : " السَّلام عليك يا صاحب رسول الله ، السَّلام عليك يا أمير المؤمنين عمر الفاروق ، أشهد أنَّك جاهدت في الله حقَّ جهاده ، جزاك الله عن أمَّة محمَّد خيراً ، رضي الله عنك وأرضاك وجعل الجنَّة متقلَّبك ومثواك ، ورضي الله عن كلِّ الصَّحابة أجمعين ، ثمَّ يتوسَّل به إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم .

ثمّ يأتي إلى البقيع فيسلِّم على أهله هكذا ، ويتوسَّل بهم إلى رسول الله ، فلتحفظ تلك الآداب ، فإنَّ من فعلها مع الشَّوق وفراغ القلب من الأغيار بلغ كلَّ ما يتمنَّى إن شاء الله تعالى " .

نصوص علماء الشَّافعيَّة : جاء في " مغني المحتاج " (١/ ١٨٤) : " سئل الشَّيخ عز الدِّين : هل يكره أن يسأل الله بعظيم من خلقه كالنَّبي والملك والولي ؟ فأجاب : بأنَّه جاء عن النَّبي ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ) أنَّه علَّم بعض النَّاس : اللهمَّ إنِّي أقسم عليك بنبيِّك محمَّد نبي الرَّحمة ... الخ. فإن صحَّ فينبغي أن يكون مقصوراً عليه عليه الصَّلاة والسَّلام ، لأنَّه سيِّد ولد آدم ، ولا يقسم على الله بغيره من الأنبياء والملائكة ، لأنَّهم ليسوا في درجته ، ويكون هذا من خواصِّه، والمشهور أنَّه لا يكره شيء من ذلك " .

قال الإمام النَّووي قال في كتاب " الأذكار " : باب الأذكار في الاستسقاء ، (ص ١٦٠) : " أنَّه يستحب إذا كان فيهم رجل مشهور بالصَّلاح أن يستسقوا به فيقولون : اللهمَّ إنَّا نستسقي ونستشفع إليك بعبدك فلان ، كما روى البخاري أنَّ عمر رضي الله عنه استسقى بعبَّاس رضى الله عنه ، وقال : جاء الاستسقاء بأهل الخير والصَّلاح عن معاوية رضى الله عنه وغيره " .

نصوص علماء الحنابلة : جاء في الفروع ، ابنُ مُفْلح في " الفروع " (٣/ ٢٢٩ ) : " ويَجُوزُ التَّوسُّل بصالحٍ ، وقيْلَ يُسْتحبُّ " .

وجاء في " الإنْصاف" للمرداوي (٢/ ٤٥٦) : " يَجُوز التَّوسُّل بالرَّجل الصَّالح ، على الصَّحيح من المَذْهَب . وقيل يُسْتَحب . قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مَنْسَكِهِ الَّذِي كَتَبَهُ لِلْمَرُّوذِيِّ : يَتَوَسَّلُ بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي دُعَائِهِ وَجَزَمَ بِهِ فِي الْمُسْتَوْعِبِ وَغَيْرِهِ " .

وجاء في كشاف القناع للإمام البُهوتي (١/ ٥٤٦) : " ولا بأس بالتَّوسُّل بالصَّالحين " .

وجاء في "منتهى الإرادات" مع شَرْحِهِ للإمَام الُبهوتي (٥٨/٢) : " وأُبيْحَ التَّوسُّل بالصَالحيْن " .

وجاء في "غاية الُمنْتَهى" مع شرْحه للإمَام الرحيْبَاني (٣١٦/٢) : " وكذا أبيْحَ توسُّلٌ بصالحيْن " .

وجاء في المغني (ج٢ : ص٤٣٩) : " ويُستحب أن يستسقى بمن ظهر صلاحه ؛ لأنَّه أقرب إلى إجابة الدُّعاء ، فإنَّ عمر رضي الله عنه استسقى بالعبَّاس عم النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم . قال ابن عمر : استسقى عمر عام الرَّمادة بالعبَّاس ، فقال : اللهمَّ إنَّ هذا عمُّ نبيِّك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم نتوجَّه إليك به فاسقنا . فما برحوا حتى سقاهم الله عزَّ وجلَّ " .

وجاء في كتاب مناقب الإمام أحمد ابن الجوزي (ص ٢٩٧) : عن عبد الله بن موسى أنَّه قال : خرجت أنا وأبي في ليلة مظلمة نزور أحمد فاشتدَّت الظُّلمة ، فقال أبي : يا بني تعال حتى نتوسَّل إلى الله تعالى بهذا العبد الصَّالح حتى يضاء لنا الطَّريق ، فمنذ ثلاثين سنة ما توسَّلت به إلَّا قضيت حاجتي ، فدعا أبي وأمَّنت على دعائه ، فأضاءت السَّماء كأنَّها ليلة مقمرة حتى وصلنا إليه . اهـ

رأي الشَّوكاني السَّلفي رحمه الله تعالى : وقال : " ويتوسَّل إلى الله بأنبيائه والصَّالحين " . أقول : ومن التَّوسُّل بالأنبياء : وذكر قصَّة الأعمى ، وأمَّا التَّوسُّل بالصَّالحين ، حديث استسقاء سيِّدنا عمر بسيدنا العبَّاس رضي الله عنهما . انظر : كتاب تحفة الذاكرين (ص٣٧) .

وينقل رضي الله عنه إجماع الصَّحابة على جواز التَّوسُّل ثمَّ يقول : " وأمَّا التَّوسُّل إلى الله سبحانه وتعالى بأحد من خلقه في مطلب يطلبه من ربِّه ، فقد قال عزُّ الدِّين بن عبد السَّلام : أنَّه لا يجوز التَّوسُّل إلى الله تعالى إلَّا بالنَّبي صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّم وعندي – أي عند الشَّوكاني – أنَّه لا وجه لتخصيص جواز التَّوسُّل بالنَّبي صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّم لأمرين : الأوَّل : ما عرَّفناك به من إجماع الصَّحابة رضي الله عنهم . والثَّاني : أنَّ التَّوسُّل إلى الله تعالى بأهل الفضل والعلم هو في التَّحقيق توسُّل بأعمالهم الصَّالحة ومزاياهم الفاضلة ، إذ لا يكون الفاضل فاضلاً إلَّا بأعماله " .

رأي الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب : حيث في رسالته الموجهة لأهل القصيم الاستنكار الشَّديد على من نسب إليه تكفير المتوسِّل بالصَّالحين ، وقال : إنَّ سليمان بن سحيم افترى عليَّ أموراً لم أقلها ، ولم يأت أكثرها على بالي ، فمنها : أنِّي أكفِّر من توسَّل بالصَّالحين ، وأنِّي أكفِّر البوصيري لقوله : يا أكرم الخلق ، وأنِّي أحرق " دلائل الخيرات " ، وجوابي عن هذه المسائل : أنِّي أقول سبحانك هذا بهتان عظيم . وجاء أيضاً تأييد قوله هذا في رسالة أخرى له بعثها إلى أهل المجمعة يقول فيها : إذا تبيَّن هذا فالمسائل التي شنَّع بها ، منها ما هو من البهتان الظَّاهر ،

وهو قوله : أنِّي أكفِّر من توسَّل بالصَّالحين ، وأني أكفِّر البوصيري ، إلى آخر ما قال ، ثمَّ قال : وجوابي فيها أنِّي أقول : سبحانك هذا بهتان عظيم (١) .

وقال في موضع آخر : " فكون بعضهم يرخِّص بالتَّوسُّل بالصَّالحين ، وبعضهم يخصُّه بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وأكثر العلماء ينهى عن ذلك ويكرهه ، فهذه المسألة من مسائل الفقه !!! وإن كان الصَّواب عندنا قول الجمهور من أنَّه مكروه ، فلا ننكر على من فعله ، ولا إنكار في مسائل الاجتهاد ، ولكن إنكارنا على من دعا لمخلوق أعظم ممَّا يدعو الله تعالى ويقصد القبر يتضرَّع عند ضريح الشَّيخ عبد القادر أو غيره ، يطلب فيه تفريج الكُربات ، وإغاثة اللهفات ، وإعطاء الرَّغبات ، فأين هذا ممَّن يدعو الله مخلصاً له الدِّين ، لا يدعو مع الله أحداً ، ولكن يقول في دعائه : أسألك بنبيِّك أو بالمرسلين أو بعبادك الصَّالحين، أو يقصد قبراً معروفاً أو غيره يدعو عنده ، لكن لا يدعو إلَّا الله مخلصاً له الدِّين ، فأين هذا ممَّا نحن فيه .( انتهى من فتاوى الشَّيخ الإمام محمَّد بن عبد الوهَّاب في مجموعة المؤلفات القسم الثَّالث ص٦٨ التي نشرتها جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية في أسبوع الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب ) .

وهذا يدلُّ على جواز التَّوسُّل عنده وغاية ما يرى أنَّه مكروه في رأيه ، والمكروه ليس بحرام فضلاً عن أن يكون بدعة أو شركاً .

وخلاصة القول : أنَّ التَّوسُّل بالصَّالحين هو قول جمهور العلماء ، وهو من المسائل الفقهيَّة الفرعيَّة التي لا ينبغي إنكارها ولا التَّشنيع على فاعلها ، كما يقوم به بعض المتسرِّعين بالتَّفسيق والتَّضليل ، والله تعالى اعلم (٢) .

قلت : أمَّا الزَّعم بأنَّهلا يكفِّرون المتوسِّلين إلى الله تعالى بالأنبياء والصالحين ... فهذه مغالطة مكشوفة ، فالقوم ما فتئوا يكفِّرون الأمَّة برمَّتها ... ومن ضمنهم المتوسلين ... وقد برهنت لى ذلك في كتابي :" تَكْفِيْرُ الوَهَّابِيَّةِ لِعُمُوْمِ الأُمَّةِ المُحَمَّدِيَّة" ...

وجاء في فتاوى دائرة الإفتاء المصريَّة :

حكم التَّوسُّل بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وبأولياء الله الصالحين

اطَّلعنا على الطَّلب المقيَّد (برقم ٥٥١ لسنة ٢٠١٠م) المتضمِّن : ما حكم التَّوسُّل والوسيلة بسيِّدنا رسول الله – صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّم – وأولياء الله الصَّالحين ؟

---

(١) انظر الرسالة الأولى والحادية عشرة من رسائل الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب القسم الخامس ١٢ وص٦٤ .

(٢) المجلس الإسلامي للإفتاء / بيت المقدس ، الإثنين ١٢ صفر ١٤٣٥هـ الموافق ١٦/ ١٢/ ٢٠١٣م .

الـجـــواب : التَّوسُّل بالنَّبي – صَلَّى الله تعالى عليه وآله وسلم– ممَّا أجمعت عليه مذاهب الأئمَّة الأربعة المتبوعين ، ومع ذلك فإنَّ بعض النَّاس يُكَفِّر من يتوسَّل بالنَّبي – صَلَّى الله تعالى عليه وآله وَسَلَّم – وبغيره .

وإسناد الفعل تارة يكون لكاسبه ؛ كفَعَلَ فُلَانٌ كذا ، وتارة يكون لخالقه ؛ كفَعَلَ اللهُ تعالى كذا ، والكلّ حقيقة في اللسان العربي ، وقد جاء ذلك في القرآن الكريم : ﴿ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ﴾ [البقرة : ٢١٣] ، ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ﴾ [الكهف : ١٧] ، ومع هذا فقد قال سبحانه : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى : ٥٢] ، وهو كثير معروف .

فإن منع بعض النَّاس الإسناد على وجه الاكتساب فهم غير عقلاء ، وإن ادَّعَوا أنَّ الواقع في كلام النَّاس هو الإسناد للخالق لا للكاسب ، فهي دعوى كاذبة لم يقم عليها برهان ، وقد استباح بها بعضهم دماء المسلمين جهلاً وضلالاً ، ومَن منع الإسناد على وجه الكسب سقطت مخاطبته ، وانقطع الكلام معه .

فمثلاً : الغوث مِن الله تعالى خلق وإيجاد ، ومِن النَّبي – صَلَّى الله تعالى عليه وآله وَسَلَّم – تسبُّب وكسب ، هذا على فرض أننا طلبنا الغوث منه – صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّم – ، مع أنَّنا لم نفعل ذلك ، ولو فعلنا لصحَّ على طريق التسبُّب والاكتساب بطلب الدُّعاء منه صَلَّى الله تعالى عليه وآله وَسَلَّم ، وقد قالت أمُّ إسماعيل عندما سمعت الصَّوت : " أغِث إن كان عندك غِواثٌ " كما في البخاري ؛ فأسندَته إليه على سبيل الكسب .

فكيف يجوز مع هذا تكفير المسلمين واستباحة دمائهم وأموالهم بالتَّوسُّل والاستغاثة . وقد جاء في الحديث الصَّحيح : " أيُّما امرئٍ قال لأخيه : يا كافِرُ فقد باءَ بها أحدُهما : إن كان كما قال ، وإلّا رَجَعَت عليه " ، رواه مسلم ، وقد قال الله تعالى : ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء : ٩٤] ، فإذا كان هذا في رجل لم يكن منه إلَّا مجرَّد السَّلام الذي هو تحيَّة المسلمين ، فكيف بمَن يَتَجاسَرُ على خيار الأمَّة المحمَّديَّة ؛ ويكفِّرهم بالتَّوسُّل بالأنبياء والصَّالحين بشُبَهٍ أوهى مِن بيت العنكبوت ، ومن المقرَّر : أنَّ اليقين لا يزول بالشَّك ، وأنَّه يُؤَوَّل للمسلم مِن وَجهٍ إلى سبعين وجهاً ، كما نصَّ عليه النَّووي وغيره من العلماء .

فهل يأخذ هؤلاء بظواهر العبارات أم بالمقصود منها ؟ فإن كان التَّعويل عندهم على الظَّواهر ، كان قول القائل : " أنبَتَ الرَّبيعُ البَقلَ " و" أرواني الماءُ " و" أشبَعَني الخُبزُ " ... شِركاً وكفراً ، وإن كانت العبرة بالمقاصد والتَّعويل على ما في القلوب التي تعتقد أنَّه لا خالق إلَّا الله ، وأن الإسناد لغيره إنَّما هو لكونه كاسباً له أو سبباً فيه

لا لكونه خالقاً ؛ لم يكن شيء مِن ذلك كله كفراً ولا شركاً ، ولكنَّ القوم متخبِّطون ، خصوصاً في التَّفرقة بين الحيِّ والميِّت على نحو ما يقولون ، كأنَّ الحي يصحّ أن يكون شريكاً لله دون الميِّت ، أو كأنَّ الأرواح تستمدُّ قوَّتها وسلطانها من الأشباح لا العكس .

قال ابن القيِّم في كتاب " الرُّوح " : إنَّ للرُّوح المطلقة مِن أسر البدن وعلائقه وعوائقه في التَّصرُّف والقوَّة والنَّفاذ والهمَّة وسرعة الصُّعود إلى الله تعالى والتعلُّق به سبحانه وتعالى ؛ ما ليس للرُّوح المهِينة المحبوسة في علائق البدن وعوائقه ؛ بسبب انغماسها في شهواتها . فإذا كان هذا في عالم الحياة الأرضيَّة وهي محبوسة في بدنها ، فكيف إذا تجرَّدت عنه وفارقته ، واجتمعت فيها قواها ، وكانت في أصل نشأتها روحاً عالية زكيَّة كبيرة ذات همَّة عالية ؟! فهذه لها بعد مفارقة البدن شأن آخر وفعل آخر . وقد تواردت الرُّؤى في أصناف بني آدم على فِعل الأرواح بعد الموت أفعالاً لا تقدر على مثلها حال اتِّصالها بالبدن ؛ في هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد ، والفيالق بالعدد القليل جداً ، ونحو ذلك ، وقد رئي النَّبي – صَلَّى الله تعالى عليه وآله وَسَلَّم – ومعه أبو بكر وعمر – رضي الله عنه – في النَّوم قد هزمت أرواحهم عساكر الكفر والظُّلم ، فإذا بجيوشهم مغلوبة مكسورة مع كثرة عددهم وضعف المؤمنين وقلَّتهم . هذا ما قاله ابن القيِّم .

وقال الشَّوكاني : " قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بعض فتاواه ما لفظه : " والاستغاثة – بمعنى أن يطلب من الرَّسول صَلَّى الله تعالى عليه وآله وَسَلَّم ما هو اللائق بمنصبه – لا ينازع فيه مسلم ، ومَن نازع في هذا المعنى فهو : إمَّا كافر ، وإمَّا مخطئ ضال " . قال الشَّوكاني : " وأمَّا التَّشفُّع بالمخلوق فلا خلاف بين المسلمين أنَّه يجوز طلب الشَّفاعة مِن المخلوقين فيما يقدرون عليه من أمور الدُّنيا " ، ثمَّ قال الشَّوكاني : وفي سنن أبي داود أنَّ رجلاً قال للنَّبي – صَلَّى الله تعالى عليه وآله وَسَلَّم – : " إنَّا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك ، فقال : أنَّه لا يُستَشفَعُ باللهِ على أحَدٍ مِن خَلقِه ؛ شأنُ اللهِ أعظَمُ مِن ذلكَ " ، فأقرَّه على قوله : " نستشفع على الله بك " ، إلى أن قال الشَّوكاني : وأمَّا التَّوسُّل إلى الله سبحانه بأحد مِن خلقه في مطلب يطلبه العبد مِن ربِّه ؛ فقد قال الشَّيخ عزُّ الدِّين بن عبد السَّلام : أنَّه لا يجوز التَّوسُّل إلى الله تعالى إلَّا بالنَّبي – صَلَّى الله تعالى عليه وآله وَسَلَّم – إن صحَّ الحديث فيه . ولعلَّه يشير إلى الحديث الذي أخرجه النَّسائي والتِّرمذي وابن ماجه وغيرهم : " أنَّ أعمى أتى النَّبي –صلى الله تعالى عليه وآله وَسَلَّم – فقال : يا رسول الله، إني أُصِبتُ في بَصَرِي ، فادعُ اللهَ لي ، فقال له النَّبي – صَلَّى الله تعالى عليه وآله وَسَلَّم – : تَوَضَّأ وصَلِّ رَكعَتَين ثمَّ قُل : اللهمَّ إني أسأَلُكَ وَأتَوَجَّه إليكَ بنبيِّكَ محمَّد ، يا محمَّد ، إنِّي أستَشفِعُ بكَ في رَدِّ بَصَرِي ، اللهمَّ شَفِّع النَّبي فِيَّ ، وقال : فإن كان لكَ حاجةٌ فمِثلُ ذلكَ ، فرَدَّ اللهُ

تعالى بصرَه " . ثمَّ قال الشَّوكاني : وعندي أنَّه لا وجه لتخصيص جواز التَّوسُّل بالنَّبي – صَلَّى الله تعالى عليه وآله وَسَلَّم – كما زعمه الشَّيخ عزُّ الدِّين بن عبد السَّلام ؛ لأمرين :

الأوَّل : ما عَرَّفناكَ به مِن إجماع الصَّحابة رضي الله عنهم .

والثَّاني : أنَّ التَّوسُّل إلى الله بأهل الفضل والعلم هو – في التَّحقيق – توسُّل بأعمالهم الصَّالحة ومزاياهم الفاضلة ؛ إذ لا يكون الفاضل فاضلاً إلَّا بأعماله ؛ فإذا قال القائل : اللهمَّ إني أتوسَّل إليك بالعالم الفلاني ؛ فهو باعتبار ما قام به من العلم ، وقد ثبت في الصَّحيحين وغيرهما أنَّ النَّبي – صَلَّى الله تعالى عليه وآله وَسَلَّم – حكى عن الثَّلاثة الذين دخلوا الغار فانطبقت عليهم الصَّخرة : أنَّ كل واحد منهم توسَّل إلى الله بأعظم عمل عمله ؛ فارتفعت الصَّخرة ، فلو كان التَّوسُّل بالأعمال الفاضلة غير جائز أو كان شركاً كما يزعمه المتشدِّدون في هذا الباب ، كابن عبد السَّلام ومَن قال بقوله مِن أتباعه ؛ لم تحصل الإجابة مِن الله لهم ، ولا سكت النَّبي – صَلَّى الله تعالى عليه وآله وَسَلَّم – عن إنكار ما فعلوه بعد حكايته عنهم . ثمَّ قال الشَّوكاني : وبهذا تعلم أنَّ ما يورده المانعون من التَّوسُّل إلى الله بالأنبياء والصُّلحاء من نحو قوله تعالى : ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر : ٣] ، ونحو قوله تعالى : ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ [الجن : ١٨] ، ونحو قوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ﴾ [الرعد : ١٤] ؛ ليس بوارد ، بل هو من الاستدلال على محل النزاع بما هو أجنبي عنه ؛ فإنَّ قولهم : ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر : ٣] ، مصرح بأنهم عبدوهم لذلك ، والمتوسِّل بالعالِم مثلاً لم يعبده ، بل عَلِم أنَّه له مزيةً عند الله بحمله العلم ، فتوسَّل به لذلك ، وكذلك قوله تعالى : ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ [الجن : ١٨ ] ؛ فإنه نهيٌ عن أن يُدعى مع الله غيرُه؛ كأن يقول: يا الله، يا فلان، والمتوسل بالعالم مثلاً لم يدع إلا الله ، وإنَّما وقع منه التَّوسُّل إليه بعمل صالح عمله بعض عباده ، كما توسَّل الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة بصالح أعمالهم ، وكذلك قوله : ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾[الرعد : ١٤] ؛ فإن هؤلاء دعَوا مَن لا يستجيب لهم ، ولم يدعوا ربهم الذي يستجيب لهم ، والمتوسل بالعالم مثلاً لم يدع إلا الله ، ولم يدع غيره دونه ، ولا دعا غيرَه معه .

فإذا عرفت هذا لم يَخفَ عليكَ دَفعُ ما يُورِده المانعون للتوسُّل من الأدلة الخارجة عن محلِّ النزاع ... إلى أن قال : والمتوسِّل بنبي من الأنبياء أو عالِمٍ من العلماء ؛ لا يعتقد أنَّ لِمن توسَّل به مشاركة لله جلَّ جلاله في أمر . ومن اعتقد هذا لعبد من العباد – سواء كان نبيّاً أو غير نبي – فهو في ضلال مبين . وهكذا الاستدلال على منع التَّوسُّل بقوله تعالى : ﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ ﴾ [آل عمران : ١٢٨] ، ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا ﴾

[الأعراف: ١٨٨] ؛ فإنَّ هاتين الآيتين مصرِّحتان بأنه ليس لرسول الله – صَلَّى الله تعالى عليه وآله وَسَلَّم – من أمر الله شيء ، وأنَّه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، فكيف يملك لغيره ، وليس فيهما منعُ التَّوسُّل به أو بغيره من الأنبياء والأولياء أو العلماء . وقد جعل الله لرسوله – صَلَّى الله تعالى عليه وآله وَسَلَّم – المقامَ المحمود ، مقام الشَّفاعة العظمى ، وأرشد الخلق إلى أن يسألوه ذلك ويطلبوه منه ، وقال له : " سَل تُعطَه واشفَع تُشَفَّع " رواه البخاري... إلى أن قال : وهكذا الاستدلال على منع التَّوسُّل بقوله صَلَّى الله تعالى عليه وآله وَسَلَّم لما نزل قوله تعالى : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء : ٢١٤] : " يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِّ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِّ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِّ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِّ شَيْئًا " رواه البخاري [١] ؛ فإنَّ هذا ليس فيه إلا التصريح بأنه صَلَّى الله تعالى عليه وآله وَسَلَّم لا يستطيع نَفعَ مَن أراد الله تعالى ضرَّه ، ولا ضرَّ مَن أراد الله نَفعَه، وأنَّه لا يملك لأحد مِن قرابته – فضلا عن غيرهم – شيئاً مِن الله تعالى . وهذا معلوم لكل مسلم ، وليس فيه ألّا يتوسل به إلى الله ؛ فإن ذلك هو طلب الأمر ممن له الأمر ، وإنَّما أراد الطالب أن يقدم بين يدَي طلبه ما يكون سببا للإجابة ممن هو المتفرِّد بالعطاء والمنع . انتهى النقل عن الشوكاني

هذا وقد ذكر ابن قدامة الحنبلي في مُغنِيه – الذي هو مِن أجَلِّ كتب الحنابلة أو أجلِّها على الإطلاق – في صفة زيارته صَلَّى الله تعالى عليه وآله وَسَلَّم : " تأتي القبرَ فتُوَلِّي ظَهرَك القبلةَ ، وتستقبل وَسَطَه ، وتقول : السَّلام عليك أيُّها النَّبي ورحمة الله وبركاته ، السَّلام عليك يا نبيَّ الله وخِيرَته مِن خلقه ... إلى أن قال : اللهمَّ اجزِ عنَّا نبيَّنا أفضل ما جازيتَ به أحداً من النَّبيِّين والمرسلين ، وابعثه المقام المحمود الذي وعدته يغبطه به الأوَّلون والآخرون ... إلى أن قال: اللهمَّ إنَّك قلتَ وقولُك الحقُّ : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وقد أتيتُكَ مستغفراً مِن ذنوبي مستشفعاً بك إلى ربِّي" . انتهى النَّقل عن ابن قدامة .

---

[١] أخرجه البخاري (٤/ ٦ برقم ٢٧٥٣) .

ولا بُعدَ في استغفاره صَلَّى الله تعالى عليه وآله وَسَلَّم بعد موته ؛ فقد ورد في الحديث الصَّحيح : " تُعرَضُ عَلَيَّ أعمالُكم ؛ فما رأيتُ مِن خَيرٍ حَمِدتُ اللهَ عليه ، وما رأيتُ مِن شَرٍّ استَغفَرتُ اللهَ لكم " . رواه البزَّار (١) ، وقد أطال المناوي وغيرُه في تصحيح هذا الحديث . فأنت تراه أثبتَ استغفارَه لنا بعد وفاته بنصِّ الحديث .

فهذا كلام الحنابلة الأول المتَّبعين لمذهب الإمام أحمد ، المتمسِّكين بسنة النَّبي صَلَّى الله تعالى عليه وآله وَسَلَّم ومحبَّته كسائر علماء المذاهب .

وقد ثبت التَّوسُّل به صَلَّى الله تعالى عليه وآله وَسَلَّم قبل وجوده ، وبعد وجوده في الدُّنيا ، وبعد موته في مدَّة البرزخ ، وبعد البعث في عَرَصات القيامة :

أمَّا التَّوسُّل به قبل وجوده ، فيدلُّ له ما أخرجه الحاكم وصحَّحه ولم يتعقبه الذَّهبي في كتابه الذي تعقَّب به الحاكم في مستدركه ، وقد صحَّ عن مالك أيضاً على ما رواه القاضي عياض في " الشِّفاء " : " أن آدم لما اقترف الخطيئة توسَّل إلى الله بمحمَّد – صلَّى الله تعالى عليه وآله وَسَلَّم – ، فقال له : مِن أين عَرَفتَ محمَّداً ولم أخلُقه ؟ فقال : وَجَدتُ اسمَه مَكتُوباً بجَنبِ اسمِكَ ؛ فعَلِمتُ أنَّه أحَبُّ الخَلقِ إليكَ ، فقال الله : أنَّه لَأحَبُّ الخَلقِ إليَّ ، وإذ تَوَسَّلتَ به فقد غَفَرتُ لكَ " (٢) .

وقال مالك للمنصور وقد سأله : يا أبا عبد الله ، أأستقبلُ القبلةَ وأدعو أم استقبلُ النَّبي صَلَّى الله تعالى عليه وآله وَسَلَّم ؟ ولِمَ تَصرِفُ وَجهَكَ عنه وهو وَسِيلَتُكَ إلى الله ، ووسيلةُ أبيك آدمَ " . يشير إلى الحديث الماضي .

وقال المفسِّرون في قوله تعالى : ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البقرة : ٨٩ ] : إنّ قُرَيظة والنَّضِير كانوا إذا حاربوا مشركي العرب استنصروا عليهم بالنَّبي المبعوث في آخر الزَّمان فينتصرون

---

(١) أخرجه البزار (١/ ٣٠٧ برقم ١٩٢٥) .

(٢) ونص الحديث هو : " لَمَّا اقْتَرَفَ آدَمُ الْخَطِيئَةَ قَالَ: يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَا غَفَرْتَ لِي ، فَقَالَ اللَّهُ: يَا آدَمُ ، وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا وَلَمْ أَخْلُقْهُ ؟ قَالَ: يَا رَبِّ ، لِأَنَّكَ لَمَّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ رَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ عَلَى قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِلَى اسْمِكَ إِلَّا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ ، فَقَالَ اللَّهُ: صَدَقْتَ يَا آدَمُ ، إِنَّهُ لَأُحِبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ ادْعُنِي بِحَقِّهِ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ [ص:٧٢٣] وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ " (أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٧٢٢ برقم ٤٢٨٧ ، وقال : " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَهُوَ أَوَّلُ حَدِيثٍ ذَكَرْتُهُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ فِي هَذَا الْكِتَابِ " ، ولم يتعقبه الذهبي في التلخيص بشيء .

ويأبى مدَّعو السَّلفية إلا العبث ... فقد جاء في طبعة المستدرك على الصحيحين ، التي حقَّقها : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ ، ١٩٩٠م ، جاء ما يلي : " [التعليق – من تلخيص الذهبي] ٤٢٢٨ – **بل موضوع** " . فتبّاً لهم ...

عليهم . فأنت تراهم سألوا الله به قبل وجوده . ولو ذهبنا نستقصي الأدلَّة على جواز التَّوسُّل به – صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّم – لطال المقام ، وفيما ذكرنا غُنية لِمَن كان له قلب أو ألقى السَّمع وهو شهيد .

ومن طيَّات ما سبق ترى أنَّ التَّوسُّل بالصالحين من أولياءَ وعلماء لا يخرج عن المعنى المذكور ، والفهم المسطور . فمن شاء اتَّخذ إلى ذلك سبيلاً وأتبع سبباً ، وإن أبى فلا أقلَّ من أن يكفي النَّاس شرَّه ، ويمنع عن عموم المسلمين سوءَ ظنِّه وقوله ، والله سبحانه وتعالى أعلم " [1] .

فمن خلال ما تقدَّم علمنا يقيناً أنَّ الأمَّة كلُّها تقول بالتَّوسُّل ، وقد سارت على ذلك قروناً عديدة ، ولم يؤثر عن أحد من السَّلف أو من الخلف قبل ظهور ابن تيمية أنَّه منع التَّوسُّل بذوات الأموات من الأنبياء والصَّالحين [2] .

فالحقُّ في هذا الباب : أنَّه لم يخالف في التَّوسُّل إلَّا شرذمة قليلة تمرَّدت على الدِّين وعلى العباد والبلاد ، شرذمة قليلة أصمَّت آذانها عن كلمة الحقِّ ، وعميت عيونها عن مشاهدته مع وضوحه كالشَّمس في رابعة النَّهار ، وهم بإنكارهم التَّوسُّل يرمون أئمَّة المذاهب وأساطين العلم وجهابيذه طيلة القرون السَّابقة وكذا القرون اللاحقة بالشِّرك والكفر والابتداع ، مع أنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، قال : " لَا يَجْمَعُ الله أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ أَبَداً ، وَيَدُ اللهَّ عَلَى الْجَمَاعَةِ هَكَذَا ، فَاتَّبِعُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ ، فَإِنَّهُ مَنْ شَذَّ شَذَّ فِي النَّار " [3] . . . .

وفيما يلي سردٌ لأسماء من نقلنا عنهم التَّوسُّل ، ناقلين مقرِّين معتقدين به من غير نكير ، أو قائلين به ، أو عاملين به ... فمن الذين نقلنا عنهم القول بالتَّوسُّل واعتقاده من غير نكير :

أبو عبيدة عامر بن الجرَّاح (١٨هـ) ، عَبْدَ الله بْنَ الزُّبَيْرِ (٧٣هـ) ، عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (٨٠هـ) ، عبد الملك بن حَبِيب بن حبيب بن سليمان بن هارون السّلمي الإلبيري القرطبي ، أبو مروان (٢٣٨هـ) ، أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشَّيباني (٢٤١هـ) ، سفيان بن عيينة (١٩٨هـ) ، عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ (٨٦هـ) ، أبو محمَّد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروري الدِّينوري (٢٧٦هـ) ، أبو بكر عبد الله بن محمَّد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدُّنيا (٢٨١هـ) ، وقال الإمام أبو بكر أحمد

---

[1] الرقم المسلسل : ٣٨٥١ / دار الافتاء المصرية ، تاريخ الإجابة : ٠٩/ ١٢/ ٢٠١٠

[2] انظر في هذه المسألة : مقال التَّوسُّل للإمام الدجوي في مجلة الأزهر ، الجزء الخامس ، المجلد الثاني ، جمادى الأولى ، سنة ١٣٥٠هـ .

[3] أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ١٩٠ برقم ٣٩٦) ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (١/ ١١٨ برقم ١٥٤) ، الحكيم الترمذي في نوادر الأصول في أحاديث الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم (١/ ٤٢٢) .

بن مروان الدَّينوري المالكي (٣٣٣هـ) ، محمَّد بن حبَّان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ ، التَّميمي ، أبو حاتم ، الدَّارمي ، البُستي (٣٥٤هـ) ، أبو الليث نصر بن محمَّد بن أحمد بن إبراهيم السَّمرقندي (٣٧٣هـ) ، أبو بكر محمَّد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (٣٨٠هـ) ، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النُّعمان بن دينار البغدادي الدَّارقطني (٣٨٥هـ) ، أبو حيَّان التَّوحيدي ، علي بن محمَّد بن العبَّاس (٤٠٠هـ) ، أبو عبد الله الحاكم محمَّد بن عبد الله بن محمَّد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبّي الطّهماني النَّيسابوري المعروف بابن البيع (٤٠٥هـ) ، منصور بن الحسين الرَّازي ، أبو سعد الآبى (٤٢١هـ) ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (٤٣٠هـ) ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمَّد بن عبد البر بن عاصم النِّمري القرطبي (٤٦٣هـ) ، أبو معين الدِّين ناصر خسرو الحكيم القبادياني المروزي (٤٨١هـ) ، أبو القاسم الحسين بن محمَّد المعروف بالرَّاغب الأصفهانى (٥٠٢هـ) ، أبو حامد محمَّد بن محمَّد الغزالي الطُّوسي (٥٠٥هـ) ، شيرويه بن شهردار بن شيرو يه بن فناخسرو ، أبو شجاع الدَّيلميّ الهمذاني (٥٠٩هـ) ، محمَّد بن محمَّد بن هبة الله العلوي الحسيني أبو جعفر الأفطسي الطَّرابلسي (المتوفى: بعد ٥١٥هـ) ، أبو محمَّد القاسم بن علي الحريري (٥١٦هـ) ، أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمَّد بن محمَّد (٥٢٦هـ) ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ) ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (٥٧٨هـ) ، عبد الحق بن عبد الرَّحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد إبراهيم الأزدي ، الأندلسي الأشبيلي ، المعروف بابن الخرَّاط (٥٨١هـ) ، جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي (٥٩٧هـ) ، عماد الدِّين الكاتب الأصبهاني ، محمَّد بن محمَّد صفي الدِّين بن نفيس الدِّين حامد ، أبو عبد الله (٥٩٧هـ) ، علي بن أبي بكر بن علي الهروي ، أبو الحسن (٦١١هـ) ، شَرَفُ الدِّين ، عَلِيُّ بنُ المُفَضَّلِ بنِ عَلِيِّ بنِ مُفَرِّجِ بنِ حَاتِمِ بنِ حَسَنِ بنِ جَعْفَرٍ المَقْدِسِيّ (٦١١هـ) ، ابن جبير ، محمَّد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي ، أبو الحسين (٦١٤هـ) ، موفق الدِّين أبو محمَّد بن عبد الرَّحمن ، ابن الشَّيخ أبي الحرم مكّي بن عثمان الشَّارعي الشَّافعي (٦١٥هـ) ، موفق الدِّين أبو محمَّد بن عبد الرَّحمن ، ابن الشَّيخ أبي الحرم مكّي بن عثمان الشارعي الشَّافعي (٦١٥هـ) ، نصير الدِّين محمَّد بن عبد الله السَّامري الحنبلي (٦١٦هـ) ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (٦١٦هـ) ، أبو محمَّد جلال الدِّين عبد الله بن نجم بن شاس بن نزار الجذامي السَّعدي المالكي (٦١٦هـ) ، أبو محمَّد موفق الدِّين عبد الله بن أحمد بن محمَّد ، الشَّهير بابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ) ، عبد الكريم بن محمَّد بن عبد الكريم ، أبو

القاسم الرَّافعي القزويني (٦٢٣هـ) ، شهاب الدِّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرُّومي الحموي (٦٢٦هـ) ، علي بن محمَّد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي ، أبو الحسن ابن القطَّان (٦٢٨هـ) ، محمَّد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع ، أبو بكر ، معين الدِّين ، ابن نقطة الحنبلي البغدادي (٦٢٩هـ) ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمَّد بن محمَّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشَّيباني الجزري ، عز الدِّين ابن الأثير (٦٣٠هـ) ، سليمان بن موسى الكلاعي ، أبو الرَّبيع (٦٣٤هـ) ، أبو عبد الله محمَّد بن سعيد ابن الدّبيثي (٦٣٧هـ) ، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإِربلي ، المعروف بابن المستوفي (٦٣٧هـ) ، عثمان بن عبد الرَّحمن، أبو عمرو ، تقي الدِّين المعروف بابن الصَّلاح (٦٤٣هـ) ، محمَّد بن ناماور بن عبد الملك الخونجى، أبو عبد الله ، أفضل الدِّين (٦٤٦هـ) ، عبد الْعَظِيم بن عبد القوى بن عبد الله بن سَلامَة الْحَافِظ زكى الدِّين أَبُو محمَّد المنذرى القيرواني ثمَّ المصرى الشَّافعي (٦٥٦هـ) ، ابن الأبار ، محمَّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (٦٥٨هـ) ، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي ، كمال الدِّين ابن العديم (٦٦٠هـ) ، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدِّين ، أبو العبَّاس ابن أبي أصيبعة (٦٦٨هـ) ، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدِّين القرطبي (٦٧١هـ) ، ابن الحداد محمَّد بن منصور بن حبيش (المتوفى: بعد ٦٧٣هـ) ، أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيى بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) ، أبو العبَّاس شمس الدِّين أحمد بن محمَّد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلِّكان البرمكي الإربلي (٦٨١هـ) ، عفيف الدِّين اليافعي الشَّافعي (٦٨٣هـ) ، أبو العبَّاس ، أحمد بن عبد الله بن محمَّد ، محب الدِّين الطَّبري (٦٩٤هـ) ، محب الدِّين أحمد بن عبد الله الطَّبري (٦٩٤هـ) ، شرف الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن سعيد البوصيري (٦٩٦هـ) ، محمَّد بن مكرم بن على ، أبو الفضل ، جمال الدِّين ابن منظور الأنصاري الرّويفعى الإفريقى (٧١١هـ) ، سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطُّوفي الصّرصري ، أبو الرَّبيع ، نجم الدِّين الطُّوفي (٧١٦هـ) ، الإمام عماد الدِّين بن العطَّار (٧٢٤هـ) ، الشَّمْس كَمَال الدِّين الزملكاني محمَّد بن عَليّ بن عبد الْوَاحِد الشَّيخ الإِمَام العلَّامة الْمُفْتِي قَاضِي الْقُضَاة ذُو الْفُنُون جمال الْإِسْلَام كَمَال الدِّين أَبُو الْمَعَالِي ابْن الزملكاني الْأَنْصَارِيّ السّماكي الدِّمشقي كَبِير الشَّافِعِيَّة (٧٢٧هـ) ، محمَّد بن يوسف بن يعقوب ، أبو عبد الله ، بهاء الدِّين الجُنْدي اليمني (٧٣٢هـ) ، أحمد بن عبد الوهَّاب بن محمَّد بن عبد الدَّائم القرشي التَّيمي البكري، شهاب الدِّين النويري (٧٣٣هـ) ، أبو حفص عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الإسكندري المالكي، تاج الدِّين الفاكهاني (٧٣٤هـ) ، أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن محمَّد العبدري الفاسي المالكي الشَّهير بابن الحاج (٧٣٧هـ) ، أبو القاسم ، محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن عبد الله ، ابن جزي الكلبي الغرناطي (٧٤١هـ) ، يوسف بن عبد الرَّحمن بن يوسف ،

أبو الحجَّاج ، جمال الدِّين ابن الزَّكي أبي محمَّد القضاعي الكلبي المزِّي (٧٤٢هـ) ، عثمان بن علي بن محجن البارعي ، فخر الدِّين الزَّيلعي الحنفي (٧٤٣هـ) ، شمس الدِّين محمَّد بن أحمد بن عبد الهادي بن يوسف الدِّمشقي الحنبلي (٧٤٤هـ) ، تقي الدِّين أبو الفتح السُّبكي (٧٤٤هـ) ، محمَّد بن محمَّد بن علي بن همام أبو الفتح ، تقيّ الدِّين ، المعروف بابن الإِمَام (٧٤٥هـ) ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٧٤٨هـ) ، محمَّد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري السّنجاري البخاري ، المعروف بابن الإكفاني (٧٤٩هـ) ، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري ، شهاب الدِّين (٧٤٩هـ) ، تقي الدِّين أحمد بن محمَّد بن علي الأدمي (كان حياً قبل ٧٤٩هـ) ، عمر بن علي بن عمر القزويني ، أبو حفص ، سراج الدِّين (٧٥٠هـ) ، تقي اللدين علي بن عبد الكافي السُّبكي (٧٥٦هـ) ، إبراهيم بن علي بن أحمد بن عبد الواحد ابن عبد المنعم الطرسوسي، نجم الدِّين الحنفي (٧٥٨هـ) ، جمال الدِّين أبو محمَّد عبد الله بن يوسف بن محمَّد الزَّيلعي (٧٦٢هـ) ، محمَّد بن مفلح بن محمَّد بن مفرج ، أبو عبد الله ، شمس الدِّين المقدسي الرَّامينى ثمَّ الصَّالحي الحنبلي (٧٦٣هـ) ، صلاح الدِّين خليل بن أيبك بن عبد الله الصَّفدي (٧٦٤هـ) ، محمَّد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرَّحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقَّب بصلاح الدِّين (٧٦٤هـ) ، شمس الدِّين أبو المحاسن محمَّد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدِّمشقي الشَّافعي (٧٦٥هـ) ، خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي ، أبو البقاء (المتوفى: بعد ٧٦٧هـ) ، الإمام أبو محمَّد عفيف الدِّين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (٧٦٨هـ) ، أحمد بن محمَّد بن علي الفيومي ثمَّ الحموي ، أبو العبَّاس (٧٧٠هـ) ، تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) ، أحمد بن علي بن عبد الكافي ، أبو حامد ، بهاء الدِّين السُّبكي (٧٧٣هـ) ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمَّ الدِّمشقي (٧٧٤هـ) ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمَّ الدِّمشقي (٧٧٤هـ) ، عبد القادر بن محمَّد بن نصر الله القرشي ، أبو محمَّد ، محيي الدِّين الحنفي (٧٧٥هـ) ، خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدِّين الجندي المالكي المصري (٧٧٦هـ) ، محمَّد بن عبد الله بن سعيد السّلماني اللوشي الأصل ، الغرناطي الأندلسي ، أبو عبد الله ، الشَّهير بلسان الدِّين ابن الخطيب (٧٧٦هـ) ، محمَّد بن عبد الرَّحمن بن عمر بن محمَّد بن عبد الله ، أبو حامد ، جمال الدِّين الحبيشي الوَصَابي الشَّافعي (٧٨٦هـ) ، علي بن محمَّد بن أحمد بن موسى ابن مسعود ، أبو الحسن ابن ذي الوزارتين ، الخزاعي (٧٨٩هـ) ، سعد الدِّين التَّفتازاني الشَّافعي (٧٩١هـ) ، إبراهيم بن علي بن محمَّد ، ابن فرحون ، برهان الدِّين اليعمري (٧٩٩هـ) ، ابن الملقن سراج الدِّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشَّافعي المصري (٨٠٤هـ) ، أبو الفضل زين الدِّين عبد الرَّحيم بن الحسين بن عبد الرَّحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (٨٠٦هـ) ،

كمال الدِّين ، محمَّد بن موسى بن عيسى بن علي الدَّمِيري أبو البقاء الشَّافعي (٨٠٨هـ) ، عبد الرَّحمن بن محمَّد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد ، ولي الدِّين الحضرمي الإشبيلي (٨٠٨هـ) ، أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب ، أبو العبَّاس القسنطيني ، ابن قنفذ (٨١٠هـ) ، علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن ابن وهاس الخزرجي الزَّبيدي ، أبو الحسن موفَّق الدِّين (٨١٢هـ) ، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثمَّ القاهري (٨٢١هـ) ، تقي الدِّين أبي بكر الحصني الدِّمشقي الشَّافعي (٨٢٩هـ) ، محمَّد بن أحمد بن علي ، تقي الدِّين ، أبو الطيِّب المكي الحسني الفاسي (٨٣٢هـ) ، شمس الدِّين أبو الخير ابن الجزري ، محمَّد بن محمَّد بن يوسف ( ٨٣٣هـ) ، ابن حجة الحموي ، تقي الدِّين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (٨٣٧هـ) ، محمَّد بن عبد الله أبي بكر بن محمَّد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدِّمشقي الشَّافعي ، شمس الدِّين ، الشَّهير بابن ناصر الدِّين (٨٤٢هـ) ، شمس الدِّين محمَّد بن عمار بن محمَّد بن أحمد المصري المالكي المعروف بابن عمَّار (٨٤٤هـ) ، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العبَّاس الحسيني العبيدي ، تقي الدِّين المقريزي (٨٤٥هـ) ، عبد الرَّحمن بن محمَّد بن عَليّ بن أبي بكر بن عَليّ بن محمَّد بن أبي بكر ابْن عبد الله بن عمر بن عبد الرَّحمن بن عبد الله أَبُو محمَّد النَّاشِرِيّ (٨٤٨هـ) ، شمس الدِّين محمَّد بن كميل المنصوري الشَّافعي (٨٤٨هـ) ، أبو بكر بن أحمد بن محمَّد بن عمر بن قاضي شهبة (٨٥١هـ) ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشَّافعي (٨٥٢هـ) ، شهاب الدِّين محمَّد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (٨٥٢هـ) ، لأبي العبَّاس أحمد بن يحي الوانشريسي المالكي (٨٥٤هـ) ، أبو محمَّد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدِّين العيني (٨٥٥هـ) ، كمال الدِّين محمَّد بن عبد الواحد السّيواسي المعروف بابن الهمام (٨٦١هـ) ، محمَّد بن محمَّد بن محمَّد ، أبو الفضل تقي الدِّين ابن فهد الهاشمي العلويّ الأصفوني ثمَّ المكِّيّ الشَّافعي (٨٧١هـ) ، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظَّاهري الحنفي ، أبو المحاسن ، جمال الدِّين (٨٧٤هـ) ، أحمد بن إبراهيم بن محمَّد بن خليل ، موفق الدِّين ، أبو ذر سبط ابن العجمي (٨٨٤هـ) ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (٨٨٥هـ) ، علاء الدِّين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الصالحي الحنبلي (٨٨٥هـ) ، أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشّرجي، زين الدِّين الزَّبيدي (٨٩٣هـ) ، عبد الرَّحمن بن عبد السَّلام الصفوري (٨٩٤هـ) ، شهاب الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن أحمد بن محمَّد بن عيسى البرنسي الفاسي، المعروف بـ زروق (٨٩٩هـ) ، إبراهيم بن محمَّد بن محمود بن بدر ، برهان الدِّين ، أبو إسحاق الحلبي القبيباتي الشَّافعي النَّاجي (٩٠٠هـ) ، شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي (٩٠٢هـ) ، الحسين بن صديق بن الأهدل (٩٠٣هـ) ، عبد الوهَّاب بن عبد الرَّحمن البريهي السَّكسكي اليمني

(٩٠٤هـ) ، علي بن يوسف بن علي بن أحمد، علاء الدِّين الدِّمشقي العاتكي الشَّافعي الشَّهير بالبصروي (٩٠٥هـ) ، يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن ابن عبد الهادي الصَّالحي ، جمال الدِّين ، ابن المِبْرَد الحنبلي (٩٠٩هـ) ، السُّيوطي (٩١١هـ) ، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السَّمهودي (٩١١هـ) ، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشَّافعي ، نور الدِّين أبو الحسن السَّمهودي (٩١١هـ) ، محمَّد بن محمَّد بن أحمد الغزال الدِّمشقي ، بدر الدِّين ، الشَّهير بسبط المارديني (٩١٢هـ) ، محمَّد بن قاسم بن محمَّد بن ، أبو عبد الله ، شمس الدِّين الغزّي ، ويعرف بابن قاسم وبابن الغرابيلي (٩١٨هـ) ، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن محمَّد بن علي بن غازي العثماني المكناسي (٩١٩هـ) ، زين الدِّين عبد الباسط بن أبي الصَّفاء غرس الدِّين خليل بن شاهين الظَّاهري الملطيّ ثمَّ القاهري الحنفيّ (٩٢٠هـ) ، إبراهيم بن موسى بن أبي بكر ابن الشَّيخ علي الطَّرابلسي ، الحنفي (٩٢٢هـ) ، أحمد بن محمَّد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري (٩٢٣هـ) ، زكريا بن محمَّد بن أحمد بن زكريا الأنصاري ، زين الدِّين أبو يحيى السّنيكي (٩٢٦هـ) ، محمَّد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشَّافعي ، الشَّهير بـ " بَحْرَق " (٩٣٠هـ) ، أبو جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي (٩٣٨هـ) ، علي بن خلف المنوفي المالكي المصري أبو الحسن المالكي (٩٣٩هـ) ، محمَّد بن يوسف الصَّالحي الشَّامي (٩٤٢هـ) ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن عبد الرَّحمن الطرابلسي المغربي ، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي (٩٥٤هـ) ، شهاب الدِّين أحمد بن حمزة الأنصاري الرملي الشَّافعي (٩٥٧هـ) ، موسى بن أحمد بن موسى بن سالم بن عيسى بن سالم الحجَّاوي المقدسي ، ثمَّ الصَّالحي ، شرف الدِّين ، أبو النَّجا (٩٦٨هـ) ، طاش كبري زادة ( ٩٦٨هـ) ، زين الدِّين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (٩٧٠هـ) ، أحمد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السَّعدي الأنصاري ، شهاب الدِّين شيخ الإسلام ، أبو العبَّاس (٩٧٣هـ) ، علاء الدِّين علي بن حسام الدِّين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثمَّ المدني فالمكي الشَّهير بالمتَّقي الهندي (٩٧٥هـ) ، شمس الدِّين ، محمَّد بن أحمد الخطيب الشَّربيني الشَّافعي (٩٧٧هـ) ، عبد الباسط بن موسى بن محمَّد بن إسماعيل العلموي ثمَّ الموقت الدِّمشقي الشَّافعي (٩٨١هـ) ، أحمد بن قاسم العبادي (٩٩٢هـ) ، شمس الدِّين محمَّد بن أبي العبَّاس أحمد بن حمزة شهاب الدِّين الرَّملي (١٠٠٤هـ) ، تقي الدِّين بن عبد القادر التَّميمي الدَّاري الغزي (١٠١٠هـ) ، أبو السعد زين الدِّين منصور بن أبي النَّصر بن محمَّد الطَّبَلاوي ، سبط ناصر الدِّين محمَّد بن سالم (١٠١٤هـ) ، علي بن سلطان محمَّد ، أبو الحسن نور الدِّين الملا الهروي القاري (١٠١٤هـ) ، زين الدِّين محمَّد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدَّادي ثمَّ المناوي القاهري (١٠٣١هـ) ، أبو العبَّاس أحمد بابا بن أحمد بن عمر بن محمَّد أقيت بن عمر

بن علي بن يحيى التّكروري ، التّنبكتي (١٠٣٦هـ) ، أبو المواهب بن محمَّد بن علي البكري الصدِّيقي المصري الشَّافعي (١٠٣٧هـ) ، محي الدِّين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العَيْدَرُوس (١٠٣٨هـ) ، أبو محمَّد عبد الواحد بن أحمد بن علي ابن عاشر الأنصاري ، المعروف بابن عاشر (١٠٤٠هـ) ، شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد بن أحمد بن يحيى ، أبو العبَّاس المقري التِّلمساني (١٠٤١هـ) ، منصور بن يونس بن صلاح الدِّين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي (١٠٥١هـ) ، محمَّد بن علان الصدِّيقي الشَّافعي (١٠٥٧هـ) ، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (١٠٦٧هـ) ، حسن بن عمار بن علي الشَّرنبلالي المصري الحنفي (١٠٦٩هـ) ، شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد بن عمر الخفاجي (١٠٦٩هـ) ، محمَّد أحمد الخطيب الشوبري الشَّافعي (١٠٦٩هـ) ، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد ميَّارة الفاسي (١٠٧٢هـ) ، عبد الرَّحمن بن محمَّد بن سليمان المدعو بشيخي زاده ، يعرف بداماد أفندي (١٠٧٨هـ) ، محمَّد بن علي بن محمَّد الحِصْني المعروف بعلاء الدِّين الحصكفي الحنفي (١٠٨٨هـ) ، عبد الحي بن أحمد بن محمَّد ابن العماد العَكري الحنبلي ، أبو الفلاح (١٠٨٩هـ) ، عبد القادر بن عمر بن بايزيد بن أحمد البغدادي (١٠٩٣هـ) ، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله الخرشي المالكي الخرشي (١١٠١هـ) ، الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي ، نور الدِّين اليوسي (١١٠٢هـ) ، محمَّد أمين بن فضل الله بن محب الدِّين بن محمَّد المحبي (١١١١هـ) ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (١١١١هـ) ، أحمد بن محمَّد بن أحمد بن عبد الغني الدِّمياطيّ ، شهاب الدِّين الشَّهير بالبنَّاء (١١١٧هـ) ، علي بن أحمد بن محمَّد معصوم الحسني الحسيني ، الشَّهير بابن معصوم (١١١٩هـ) ، محمَّد بن عبد الباقي بن يوسف الزُّرقاني المصري الأزهري (١١٢٢هـ) ، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (١١٢٧هـ) ، محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن أحمد البديري الحسيني ، الدِّمياطيّ الأشعري الشَّافعي ، أبو حامد (١١٤٠هـ) ، محمَّد بن عيسى بن محمود بن كنان الحنبلي (١١٥٣هـ) ، محمَّد بن محمَّد بن مصطفى بن عثمان ، أبو سعيد الخادمي الحنفي (١١٥٦هـ) ، إسماعيل بن محمَّد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدِّمشقي ، أبو الفداء (١١٦٢هـ) ، حسين بن محمَّد المحلي الشَّافعي المصري (١١٧٠هـ) ، أحمد بن علي بن عمر بن صالح المنيني (١١٧٢هـ) ، أبو الحسن علي بن خليفة بن رزق الله بن عبد الواحد بن علي المساكني (١١٧٢هـ) ، أبو الحسن علي بن أحمد بن مكرم الصَّعيدي العدوي (١١٨٩هـ) ، سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري ، المعروف بالجمل (١٢٠٤هـ) ، محمَّد بن محمَّد بن الحسيني الزبيدي الشَّهير بمرتضى (١٢٠٥هـ) ، محمَّد خليل بن علي بن محمَّد بن محمَّد مراد الحسيني ، أبو الفضل (١٢٠٦هـ) ، أبو عبد الله الطَّالب محمَّد بن أبي بكر الصدِّيق البرتلي الولاتي (١٢١٩هـ) ، سليمان بن محمَّد بن عمر البجيرمي الشَّافعي

(١٢٢١هـ) ، أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصُّوفي (١٢٢٤هـ) ، محمود بن سعيد مقديش الملقَّب بأبي الثَّناء الصَّفاقسي (١٢٢٨هـ) ، أحمد بن محمَّد بن إسماعيل الطَّحطاوي الحنفي (١٢٣١هـ) ، محمَّد بن محمَّد بن أحمد بن عبد القادر بن عبد العزيز السَّنَباوي الأزهري ، المعروف بالأمير (١٢٣٢هـ) ، عبد الرَّحمن بن حسن الجبرتي المؤرِّخ (١٢٣٧هـ) ، أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد الخلوتي ، الشَّهير بالصَّاوي المالكي (١٢٤١هـ) ، مصطفى بن سعد بن عبده السيوطي شهرة ، الرّحيبانى مولداً ثمَّ الدِّمشقي الحنبلي (١٢٤٣هـ) ، محمَّد بن علي بن محمَّد بن عبد الله الشوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) ، محمَّد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدِّمشقي الحنفي (١٢٥٢هـ) ، أحمد بن محمَّد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الشّرواني (١٢٥٣هـ) ، علي بن عبد السَّلام بن علي ، أبو الحسن التُّسُولي المالكي (١٢٥٨هـ) ، شهاب الدِّين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (١٢٧٠هـ) ، نصر أبو الوفاء ابن الشَّيخ نصر يونس الوفائي الهوريني الأحمدي الأزهري الأشعري الحنفي الشَّافعي (١٢٩١هـ) ، عبد الغني الغنيمي الحنفي (١٢٩٨هـ) ، محمَّد بن أحمد بن محمَّد عليش ، أبو عبد الله المالكي (١٢٩٩هـ) ، عبد الحميد المكي الشّرواني (١٣٠١هـ) ، أبو الطيب محمَّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (١٣٠٧هـ) ، أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمَّد شطا الدِّمياطي (١٣١٠هـ) ، محمَّد بن أحمد بن عبدالله متولي (١٣١٣هـ) ، شهاب الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن خالد بن محمَّد الناصري الدّرعي الجعفري السّلَّاوي (١٣١٥هـ) ، محمَّد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليماً ، التناري بلداً (١٣١٦هـ) ، عبد الرزَّاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدِّمشقي (١٣٣٥هـ) ، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمَّد بن أبي الثَّناء الألوسي (١٣٤٢هـ) ، أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن سليمان المارغني التُّونسي المالكي (١٣٤٩هـ) ، يوسف بن إسماعيل بن يوسف النَّبْهاني (١٣٥٠هـ) ، كامل بن حسين بن محمَّد بن مصطفى البالي الحلبي ، الشَّهير بالغزي (١٣٥١هـ) ، محمَّد بخيت المطيعي الحنفي (١٣٥٤هـ) ، أبو عبد الله محمَّد المكي البطاوري (١٣٥٥هـ) ، أبو الفيض عبد الستار بن عبد الوهَّاب البكري الصدِّيقي المكي الحنفي (١٣٥٥هـ) ، الحسن بن محمَّد بن الغَسَّال الطَّنجي (١٣٥٨هـ) ، محمَّد بن محمَّد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (١٣٦٠هـ) ، مصطفى وهيب بن إبراهيم البارودي (١٣٦٢هـ) ، عبدالله بن محمَّد الغازي المكي الحنفي ، (١٣٦٥هـ) ، محمَّد زاهد الكوثري (١٣٧١هـ) ، محمَّد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمَّد الحسني الإدريسي ، المعروف بعبد الحي الكتَّاني (١٣٨٢هـ) ، محمَّد عميم الإحسان المجدِّدي البركتي (١٣٩٥هـ) ، عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (١٣٩٨هـ) ، حسن بن محمَّد المشاط المالكي (١٣٩٩هـ) ، عبد السَّلام بن عبد القادر بن محمَّد بن عبد القادر بن الطَّالب بن محمَّد ابن سودة (١٤٠٠هـ) ، محمَّد عبد الله عنان المؤرِّخ المصري

(١٤٠٦هـ) ، علي بن مصطفى الطَّنطاوي (١٤٢٠هـ) ، إحسان عبَّاس (١٤٢٤هـ) ، محمَّد إبراهيم محمَّد سالم (١٤٣٠هـ) ، أبو عبد الله محمَّد عبد القادر بن محمَّد بن المختار بن أحمد العالم القبلوي الجزائري المالكي الشَّهير بالشيخ باي بلعالم (١٤٣٠هـ) ، محمَّد سيِّد طنطاوي (١٤٣١هـ) ، محمَّد سعيد رمضان البوطي (٢٠١٣م) ، بالإضافة إلى أغلب دور الإفتاء في العالمين : العربي والإسلامي ...

# الفَصْلُ السَّادِسُ

## أَدِلَّةُ المَانِعِيْن لِلتَّوَسُّل وَمُنَاقَشَتُهَا

إنَّ النَّاظر في الأدلَّة القرآنيَّة التي يستدلُّ بها مدَّعو السَّلفيَّة في منعهم التَّوسُّل بالأنبياء والصَّالحين ، يجد أنَّها تدور حول عدَّة آيات في كتاب الله تعالى ، منها :

١-قوله تعالى : ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر : ٣] .

٢- وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦] .

٣- وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن : ١٨] .

٤- وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف : ٥ ] .

٥- وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأعراف : ١٩٤] .

٦- وقولــه تعالى : ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت : ١٧] .

وقبل الجواب عن استدلالهم بهذه الآيات ونظائرها على عدم جواز التَّوسُّل ، وأنَّه شركٌ وكفرٌ يُخرج الإنسان من ربقة التَّكليف ، فإنَّني سأنقل ما قاله الإمام سليمان بن عبد الوهَّاب في الرَّدِّ على أخيه محمَّد بن عبدالوهَّاب ، قال : " فإنَّ اليوم ابتلي النَّاس بمن ينتسب إلى الكتاب والسُّنَّة ويستنبط من علومها ولا يبالي من خالفه ، واذا طلبت منه أن يعرض كلامه على أهل العلم لم يفعل ، بل يوجب على النَّاس الأخذ بقوله وبمفهومه ، ومن خالفه فهو عنده كافر ، هذا وهو لم تكن فيه خصلة واحدة من خصال أهل الاجتهاد ولا والله عُشر واحدة ، ومع هذا راج كلامه على كثير من الجهَّال ، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون .

الأمَّة كلُّها تصيح بلسان واحد ، ومع هذا لا يرد لهم في كلمة ، بل كلُّهم كفَّار أو جهَّال ، اللهمَّ اهدِ الضَّال ، وردّه إلى الحقِّ ، فنقول : : قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ﴾ [آل عمران:١٩] ، وقال تعالى :

﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ﴾ [التوبة:٥] ، وفي الآية الاخرى: ﴿فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ﴾ [التوبة:١١] .

قال ابن عبَّاس: « حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة » . وقال أيضاً: « لا تكونوا كالخوارج تؤولوا آيات القرآن في أهل القبلة ، وإنَّما نزلت في أهل الكتاب والمشركين ، فجهلوا علمها فسفكوا بها الدِّماء وانتهكوا الأموال ، وشهدوا على أهل السُّنَّة بالضَّلالة » . وكان ابن عمر يرى الخوارج شرار الخلق ، قال : أنَّهم «عمدوا في آيات نزلت في الكفَّار فجعلوها في المسلمين ... » رواه البخاري عنه (١) ، فحينئذ ذكر الله عزَّ وجلَّ : ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران:١٩] ، وقد قال النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم في حديث جبريل في الصَّحيحين : «الاسلام أن تشهد أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّداً رسول الله » ...

وقال ابن القيِّم : « أجمع المسلمون على أنَّ الكافر إذا قال لا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّداً رسول الله ، فقد دخل في الإسلام » .

وكذلك أجمع المسلمون « أنَّ المرتد إذا كانت ردَّته بالشِّرك فإنَّ توبته بالشَّهادتين » ...

إذا فهمتم ما تقدَّم ، فإنَّكم الآن تكفِّرون من شهد أن لا إله الَّا الله وحده ، وأنَّ محمَّداً عبده ورسوله ، وأقام الصَّلاة ، وأتى الزَّكاة ، وصام رمضان ، وحجَّ البيت مؤمناً بالله وملائكته وكتبه ورسله ، ملتزماً لجميع شعائر الاسلام وتجعلونهم كفَّاراً ، وبلادهم بلاد حرب . فنحن نسألكم : من إمامكم في ذلك ، وممَّن أخذتم هذا المذهب ، فإن قلتم : كفَّرناهم لأنَّهم مشركون بالله ... لكن أهل العلم قالوا في تفسير أشرك بالله أي ادَّعى أنَّ لله شريكاً كقول المشركين هؤلاء شركاؤنا ... هذه التَّفاصيل التي تفصِّلون من عندكم ، أنَّ من فعل كذا فهو مشرك ، وتخرجونه من الإسلام ، من أين لكم هذا التَّفصيل ، استنبطتم ذلك بمفاهيمكم ، فقد تقدَّم لكم من إجماع الأمَّة أنَّه لا يجوز لمثلكم الاستنباط ... فبيِّنوا لنا من أين... "(٢) .

وعلى كلِّ حال ، فإنَّ الآيات التي استدلَّ بها دَّعو السَّلفيَّة على منع التَّوسُّل إلى الله تعالى بالأنبياء والأولياء كلُّها جاءت في سياق الكلام عن المشركين ، فقد صرَّحت بعبادتهم لأصنامهم من دون الله تعالى ، فكيف راق

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٩/ ١٦) ، بَابُ قَتْلِ الخَوَارِجِ وَالْمُلْحِدِينَ بَعْدَ إِقَامَةِ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ .

(٢) انظر : الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية ، (ص٤ فما بعدها) ، مطبعة الفتوح الأدبية ، ميدان الأزهر ، ط٢ .

لِمُدَّعي السَّلفيَّة أن يطبِّقوها على المتوسِّلين إلى الله تعالى بالأنبياء والأولياء والصَّالحين ...؟!!! وهم يعبدون ويوحِّدون الله الواحد الأحد، الفرد الصَّمد، الذي لم يلد ولم يُولد ولم يكن له كُفُواً أحد ؟!!!

ففي تفسير الآية الأولى، وهي قوله تعالى: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، قال الإمام أبو الحجَّاج مجاهد بن جبر التَّابعي المكِّي القرشي المخزومي (١٠٤هـ): " أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحمن، قَالَ: نا إِبْرَاهِيمُ، قَال: نا آدَمُ، قَالَ: نا وَرْقَاءُ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، قَالَ: " هَذَا قَوْلُ قُرَيْشٍ تَقُولُهُ لِلأَوْثَانِ، وَمَنْ قَبْلَهُمْ يَقُولُونَهُ: لِلْمَلائِكَةِ، وَلِعِيسَى وَلِعُزَيْرٍ " " (١).

وقال الإمام محمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطَّبري (٣١٠هـ): " وَقَوْلُهُ: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِّ أَوْلِيَاءَ يَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَيَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِّ، يَقُولونَ لَهُمْ: مَا نَعْبُدُكُمْ أَيُّها الآلِهَةُ إِلَّا لِتُقَرِّبُونَا إلى اللهِّ زُلْفَى، قُرْبَةً وَمَنْزِلَةً، وَتَشْفَعُوا لَنَا عِنْدَهُ فِي حَاجَاتِنَا؛ وَهِيَ فِيمَا ذُكِرَ فِي قِرَاءَةِ أُبَيٍّ: " مَا نَعْبُدُكُمْ "، وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللهِّ: " قَالُوا مَا نَعْبُدُهُمْ "، وإِنَّما حَسَنٌ ذَلِكَ لِأَنَّ الْحِكَايَةَ إِذَا كَانَتْ بِالْقَوْلِ مُضْمَراً كَانَ أَوْ ظَاهِراً، جُعِلَ الْغَائِبَ أَحْيَاناً كَالْمُخَاطَبِ، وَيُتْرَكُ أُخْرَى كَالْغَائِبِ، وَقَدْ بَيَّنْتُ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ فِيمَا مَضَى

حَدَّثَنَا محمَّد بْنُ الْحُسَيْنِ، قَالَ: ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ، قَالَ: ثنا أَسْبَاطٌ، عَنِ السُّدِّيِّ، قَالَ: " هِيَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللهِّ: " قَالُوا مَا نَعْبُدُهُمْ "، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ.

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ: حدَّثنا محمَّد بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: ثنا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: ثنا عِيسَى، وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: ثنا الْحَسَنُ، قَالَ: ثنا وَرْقَاءُ، جَمِيعاً عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، قَالَ: قُرَيْشٌ تَقُولُهُ لِلأَوْثَانِ، وَمَنْ قَبْلَهُمْ يَقُولُهُ لِلْمَلَائِكَةِ وَلِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَلِعُزَيْرٍ.

حَدَّثَنَا بِشْرٌ، قَالَ: ثنا يَزِيدُ، قَالَ: ثنا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، قَالُوا: مَا نَعْبُدُ هَؤُلَاءِ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا، إِلَّا لِيَشْفَعُوا لَنَا عِنْدَ اللهِّ.

(١) انظر: تفسير مجاهد (ص٥٧٧).

حَدَّثَنَا محمَّد ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطٌ ، عَنِ السُّدِّيِّ ، فِي قَوْلِهِ : ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر : ٣ ] .

حَدَّثَنِي عَلِيٌّ ، قَالَ : ثنا أَبُو صَالِحٍ ، قَالَ : ثنا مُعَاوِيَةُ ، عَنْ عَلِيٍّ ، عَنِ ابْنِ عبَّاس ، فِي قَوْلِهِ : ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر : ٣ ] ، وَقَوْلُهُ : ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْ﴾ [الأنعام : ١٠٧] . يَقُولُ سُبْحَانَهُ : لَوْ شِئْتُ لَجَمَعْتُهُمْ عَلَى الْهُدَى أَجْمَعِينَ .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر : ٣ ] ، قَالَ : " قَالُوا هُمْ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ ، وَهُمُ الَّذِينَ يُقَرِّبُونَنَا إِلى اللهَّ زُلْفَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْأَوْثَانِ ، وَالزُّلْفَى : الْقُرْبُ " (١) .

وقال الإمام إبراهيم بن السَّري بن سهل ، أبو إسحاق الزَّجَّاج (٣١١هـ) : " فإن قال قائل : فالذي أنْكَرَ عَليهِمْ هو التَّوسُّل بغير عبادَةِ اللهَّ إلى اللهَّ ، لأنَّهم قالوا : ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر : ٣ ] ، فالفرق بين المتوسلين إلى اللهَّ بمحبَّةِ أنبيائه وملائكته وصالحي عبادِه أنَّهم يتوسلون بهم مُوحِّدين اللهَّ عزَّ وجلَّ ، لا يجعلون له شريكاً في العبادة ، والكفَّار يتوَسلُونَ بعبادة غير اللهَّ ، فجعلوا الكفر وسيلَتَهُمْ " (٢) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن محمَّد بن محمَّد بن حبيب البصري البغدادي ، الشَّهير بالماوردي (٤٥٠هـ) : ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر : ٣ ] ، قال كفَّار قريش هذه لأوثانهم ، وقال من قبلهم ذلك لمن عبدوه من الملائكة وعزير وعيسى ، أي : عبادتنا لهم ليقرِّبونا إلى الله زلفى ، وفيه ثلاثة أوجه : أحدها : أنَّ الزُّلفى الشَّفاعة في هذا الموضع ، قاله قتادة . الثَّاني : أنَّها المنزلة ، قاله السدِّي . الثَّالث : أنَّها القرب ، قاله ابن زيد " (٣) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن محمَّد بن علي الواحدي ، النَّيسابوري ، الشَّافعي (٤٦٨هـ) : ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر : ٣ ] ، يعني : الآلهة والأصنام ، يقولون : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ

---

(١) انظر : تفسير الطَّبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) (٢٠/ ١٥٦-١٥٨) .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤٦) .

(٣) انظر : تفسير الماوردي (النكت والعيون) (٥/ ١١٤) .

أَوۡلِيَآءَ﴾ [الزمر : ٣ ] ، إلَّا ليشفعوا لنا إلى الله ، وذلك التقريب هو الشَّفاعة في قول المفسِّرين ، والزُّلفى القربى ، وهو اسم أقيم مقام المصدر ، كأنَّه قال : ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر : ٣ ] ، تقريباً " (١) .

وفي تفسير الآية الثَّانية ، وهي قوله تعالى : ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس : ١٠٦ ] ، قال الإمام محمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطَّبري (٣١٠هـ) : " الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس : ١٠٦ ] ، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : وَلَا تَدْعُ يَا محمَّد مِنْ دُونِ مَعْبُودِكَ ، وَخَالِقِكَ شَيْئاً لَا يَنْفَعُكَ فِي الدُّنيا ، وَلَا فِي الْآخِرَةِ ، وَلَا يَضُرُّكَ فِي دِينٍ وَلَا دُنْيَا ، يَعْنِي بِذَلِكَ الْآلِهَةَ وَالْأَصْنَامَ ، يَقُولُ : لَا تَعْبُدْهَا رَاجِياً نَفْعَهَا أَوْ خَائِفاً ضُرَّهَا، فَإِنَّهَا لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ ، فَإِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ فَدَعَوْتَهَا مِنْ دُونِ اللهِّ ﴿ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس : ١٠٦] ، يَقُولُ : مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِاللهِّ ، الظَّالِمِي أَنْفُسِهِمْ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس : ١٠٧] ، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ : وَإِنْ يُصِبْكَ اللهُ يَا محمَّد بِشِدَّةٍ أَوْ بَلَاءٍ ، فَلَا كَاشِفَ لِذَلِكَ إِلَّا رَبُّكَ الَّذِي أَصَابَكَ بِهِ دُونَ مَا يَعْبُدُهُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ . ﴿ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ ﴾ [يونس : ١٠٧] ، يَقُولُ : وَإِنْ يُرِدْكَ رَبُّكَ بِرَخَاءٍ ، أَوْ نِعْمَةٍ ، وَعَافِيَةٍ، وَسُرُورٍ ، ﴿ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ﴾ [يونس : ١٠٧] ، يَقُولُ : فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ ، وَلَا يَرُدَّكَ عَنْهُ ، وَلَا يُحْرِمُكَهُ ؛ لأنَّه الَّذِي بِيَدِهِ السَّرَّاءُ وَالضَّرَّاءُ دُونَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ وَدُونَ مَا سِوَاهُ . ﴿يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [يونس : ١٠٧] ، يَقُولُ : يُصِيبُ رَبُّكَ يَا محمَّد بِالرَّخَاءِ وَالْبَلَاءِ ، وَالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُرِيدُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَهُوَ الْغَفُورُ لِذُنُوبِ مَنْ تَابَ وَأَنَابَ مِنْ عِبَادِهِ ، مِنْ كُفْرِهِ وَشِرْكِهِ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ وَطَاعَتِهِ ، الرَّحِيمُ بِمَنْ آمَنَ بِهِ مِنْهُمْ وَأَطَاعَهُ أَنْ يُعَذِّبَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ " (٢) .

---

(١) انظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٣/ ٥٧٠) .

(٢) انظر : تفسير الطَّبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) (١٢/ ٣-٤-٣٠٥) .

وقال الإمام أبو محمَّد عبد الرَّحمن بن محمَّد بن إدريس بن المنذر التَّميمي ، الحنظلي ، الرَّازي ابن أبي حاتم (٣٢٧هـ) : " قوْلُهُ : " وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَنْفَعُكَ ولا يضرك " ، حدَّثنا حَجَّاجُ بْنُ حَمْزَةَ ، ثنا شَبَابَةُ ، ثنا وَرْقَاءُ ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : مَا لا يَنْفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا ، قَالَ : الأَوْثَانُ " (١) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن محمَّد بن علي الواحدي ، النَّيسابوري ، الشَّافعي (٤٦٨هـ) : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ﴾ [يونس : ١٠٦ ] ، إن دعوته ، وَلا يَضُرُّكَ إن تركت عبادته ، ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ [يونس : ١٠٧] ، قال ابن عبَّاس : يريد بمرض وفقر . ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [يونس : ١٠٧] ، لا مزيل لما أصابك من ضر إلَّا هو ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾ [يونس : ١٠٧] ، أي : وإن يرد بك خيراً ﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧] ، لا مانع لما تفضَّل به عليك من رخاء ونعمة يُصِيبُ بِهِ بكلِّ واحد ممَّا ذكر ﴿ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس : ١٠٧] (٢) .

وقال الإمام أبو المظفَّر، منصور بن محمَّد بن عبد الجبَّار ابن أحمد المروزى السَّمعاني التَّميمي الحنفي ثمَّ الشَّافعي (٤٨٩هـ) : " قَوْله تَعَالَى : ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس : ١٠٦] ، الدُّعاء يكون بمعنيين : أَحدهمَا : بِمَعْنى النِّداء ، كَقَوْلِك : يَا زيد ، وَيَا عَمْرو ، وَالْآخر : بِمَعْنى الطَّلب .

وَقَوله : ﴿مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس : ١٠٦] ، مَعْنَاهُ : لَا ينفعك إِن دَعوته ، وَلَا يَضرُّك إِن تركت دعاءه . وَقَوله : ﴿ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس : ١٠٦] ، يَعْنِي : مِمَّن وضع الدُّعاء فِي غير مَوْضِعه .

قَوْله تَعَالَى : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [يونس : ١٠٧] ، مَعْنَاهُ : إِن يصبك الله بضرٍّ ، والضُّرُّ: هُوَ الْخَوْف وَالْمَرَض والجوع وَنَحْوه .

وَقَوله : ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾ [يونس: ١٠٧] ، أَي : لَا كاشف لذَلِك الضُّر إِلَّا الله .

وَقَوله : ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾ [يونس : ١٠٧] ، أَي : يصبك بِخَير ، وَالْخَيْر : هُوَ الخصب وَالسَّعَة والعافية وَنَحْوه .

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٦/ ١٩٩٢) .

(٢) انظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٢/ ٥٦١) .

وَقَوله : ﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦ﴾ [يونس : ١٠٧] ، أَي : لَا مَانع لفضله " (١) .

وقال الإمام أبو محمَّد عبد الحق بن غالب بن عبد الرَّحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (٥٤٢هـ) : وقوله : ﴿وَلَا تَدۡعُ﴾ [يونس : ١٠٦] ، معناه : قيل لي : وَلا تَدْعُ ، فهو عطف على أَقِمْ ، وهذا الأمر والمخاطبة للنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إذا كانت هكذا فأحرى أن يتحرَّز من ذلك غيره ، وما لا ينفع ولا يضر هو الأصنام والأوثان ، والظَّالم الذي يضع الشَّيء في غير موضعه ، وقوله : ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس : ١٠٧] ، مقصد هذه الآية أنَّ الحول والقوَّة لله ، ويبيِّن ذلك للنَّاس بما يحسُّونه من أنفسهم ، و" الضر " لفظ جامع لكل ما يكرهه الإنسان كان ذلك في ماله أو في بدنه ، وهذه الآية مظهرة فساد حال الأصنام ، لكن كلّ مميز أدنى ميز يعرف يقيناً أنَّها لا تكشف ضرّاً ولا تجلب نفعاً . وقوله : ﴿وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ﴾ [يونس : ١٠٧] ، لفظ تامّ العموم ، وخصص النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم الفقه بالذِّكر في قوله : " مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ " (٢) ، وهو على جهة التَّشريف للفقه ، وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس : ١٠٧] ، ترجية وبسط ووعد ما " (٣) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التَّيمي الرَّازي الملقَّب بفخر الدِّين الرَّازي خطيب الرّي (٦٠٦هـ) : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ﴾ [يونس : ١٠٦] ، وَالْمُمْكِنُ لِذَاتِهِ مَعْدُومٌ بِالنَّظَرِ إلى ذَاتِهِ وَمَوْجُودٌ بِإِيجَادِ الْحَقِّ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَمَا سوى الحق فلا وجود له إلَّا إيجاد الْحَقِّ ، وَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ فَلَا نَافِعَ إِلَّا الْحَقُّ وَلَا ضَارَّ إِلَّا الْحَقُّ ، فَكُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ ، فَلَا حُكْمَ إِلَّا للهَّ وَلَا رُجُوعَ فِي الدَّارَيْنِ إِلَّا إلى اللهَّ .

ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ الْآيَةِ : ﴿فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس : ١٠٦] ، يَعْنِي : لَوِ اشْتَغَلْتَ بِطَلَبِ الْمَنْفَعَةِ وَالْمَضَرَّةِ مِنْ غَيْرِ اللهَّ فَأَنْتَ مِنَ الظَّالِمِينَ ، لِأَنَّ الظُّلْمَ عِبَارَةٌ عَنْ وَضْعِ الشَّيءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، فَإِذَا كَانَ مَا سِوَى

---

(١) انظر : تفسير القرآن ، السمعاني (٢/ ٤٠٩) .

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٢٥ برقم ٧١) ، مسلم (٢/ ٧١٩ برقم ١٠٣٧) .

(٣) انظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ١٤٦) .

الْحَقِّ مَعْزُولاً عَنِ التَّصَرُّفِ ، كَـــانَتْ إِضَافَةُ التَّصَرُّفِ إلى مَا سِوَى الحَقِّ وَضْعاً لِلشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، فَيَكُونُ ظُلْماً .

فَإِنْ قِيلَ : فَطَلَبُ الشِّبَعِ مِنَ الْأَكْلِ وَالرِّيِّ مِنَ الشُّرْبِ هَلْ يَقْدَحُ فِي ذَلِكَ الْإِخْلَاصِ ؟

قُلْنَا : لَا لِأَنَّ وُجُودَ الْخُبْزِ وَصِفَاتَهُ كُلَّهَا بِإِيجَادِ اللهِ وَتَكْوِينِهِ ، وَطَلَبُ الِانْتِفَاعِ بِشَيْءٍ خَلَقَهُ اللهُ لِلِانْتِفَاعِ بِهِ لَا يَكُونُ مُنَافِياً لِلرُّجُوعِ بِالْكُلِّيَّةِ إلى اللهِ ، إِلَّا أَنَّ شَرْطَ هَذَا الْإِخْلَاصِ أَنْ لَا يَقَعَ بَصَرُ عَقْلِهِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْمَوْجُودَاتِ إِلَّا وَيُشَاهِدُ بِعَيْنِ عَقْلِهِ أَنَّهَا مَعْدُومَةٌ بِذَوَاتِهَا وَمَوْجُودَةٌ بِإِيجَادِ الحق وهالكة بِأَنْفُسِهَا وَبَاقِيَةٌ بِإِبْقَاءِ الْحَقِّ ، فَحِينَئِذٍ يَرَى مَا سِوَى الْحَقِّ عَدَماً مَحْضاً بِحَسَبِ أَنْفُسِهَا وَيَرَى نُورَ وُجُودِهِ وَفَيْضَ إِحْسَانِهِ عَالِياً عَلَى الْكُلِّ ... قَالَ الْمُفَسِّرُونَ : أَنَّه تَعَالَى لما بَيَّنَ فِي الْآيَةِ الْأُولَى فِي صِفَةِ الْأَصْنَامِ أَنَّهَا لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ ، بَيَّنَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهَا لَا تَقْدِرُ أَيْضاً عَلَى دَفْعِ الضَّرَرِ الْوَاصِلِ مِنَ الْغَيْرِ ، وَعَلَى الْخَيْرِ الْوَاصِلِ مِنَ الْغَيْرِ . قَالَ ابْنُ عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس : ١٠٧] ، يَعْنِي بِمَرَضٍ وَفَقْرٍ فَلَا دَافِعَ لَهُ إِلَّا هُوَ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس : ١٠٧] ، فَقَالَ الْوَاحِدِيُّ : هُوَ مِنَ الْمَقْلُوبِ مَعْنَاهُ وَإِنْ يُرِدْ بِكَ الْخَيْرَ وَلَكِنَّهُ لما تَعَلَّقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِالْآخَرِ جَازَ إِبْدَالُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِالْآخَرِ ، وَأَقُولُ التَّقْدِيمُ فِي اللَّفْظِ يَدُلُّ عَلَى زِيَادَةِ الْعِنَايَةِ ، فَقَوْلُهُ : ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾ [يونس : ١٠٧ ] وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَقْصُودَ هُوَ الْإِنْسَانُ وَسَائِرُ الْخَيْرَاتِ مَخْلُوقَةٌ لِأَجْلِهِ ، فَهَذِهِ الدَّقِيقَةُ لَا تُسْتَفَادُ إلا من هذا التركيب " (١) .

وقال الأستاذ سيِّد قطب إبراهيم حسين الشَّاربي (١٣٨٥هـ) : ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس : ١٠٦] ...

لا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرُّك من هؤلاء الشُّركاء والشُّفعاء ، الذين يدعوهم المشركون لجلب النَّفع ودفع الضُّر . فإن فعلت فإنك إذن من هؤلاء المشركين ! فميزان الله لا يحابي وعدله لا يلين ...

---

(١) انظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (١٧/ ٣٠٩-٣١٠) .

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يونس: ١٠٧] .. فالضرُّ نتيجة لازمة لسنَّة الله الجارية حين يتعرَّض الإنسان لأسبابه ، والخير كذلك ...

فإن مسَّك الله بضرٍّ عن طريق جريان سنَّته فلن يكشفه عنك إنسان ، إنَّما يُكشف باتباع سنته ، وترك الأسباب المؤدِّية إلى الضرِّ إن كانت معلومة ، أو الالتجاء إلى الله ليهديك إلى تركها إن كانت مجهولة . وإن أراد بك الخير ثمرة لعملك وفق سنَّته ، فلن يردَّ هذا الفضل عنك أحدٌ من خلقه . فهذا الفضل يصيب من عباده من يتَّصلون بأسبابه وفق مشيئته العامَّة وسنَّته الماضية . ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧] ، الذي يغفر ما مضى متى وقعت التوبة ، ويرحم عبـــاده فيكفر عنهم سيِّئاتهم بتوبتهم وعملهم الصَّالح وعودتهم إلى الصِّراط المستقيم " (١) .

وفي تفسير الآية الثَّالثة ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن : ١٨] ، قال الإمام أبو محمَّد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (٢٨٣هـ) : " قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن : ١٨ ] ، قال : أي : لا تدعوا مع الله شريكاً ، أي ليس لأحد معي شريك في شيء يمنع عبادي من ذكري ، كذلك ما كان لله تعالى فهو على هذه الجهة ، ليس لأحد فيه سبيل المنع والزَّجر " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطَّبري (٣١٠هـ) : " الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا * وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن : ١٨-١٩] : يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم :﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن : ١] ، ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ﴾ [الجن : ١٨] أيُّها النَّاس ﴿مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن : ١٨] ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ فِيهَا شَيْئاً ، وَلَكِنْ أَفْرِدُوا لَهُ التَّوحيد ، وَأَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ . وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ ، ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ :

حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ : ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن : ١٨] ، كَانَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى إِذَا دَخَلُوا كَنَائِسَهُمْ وَبِيَعَهُمْ أَشْرَكُوا بِاللهِّ ، فَأَمَرَ الله نَبِيَّهُ أَنْ يُوَحِّدَ اللهَّ وَحْدَهُ

(١) انظر : في ظلال القرآن (٣/ ١٨٢٥-١٨٢٦) .

٢) انظر : تفسير التستري (ص١٧٩) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا مِهْرَانُ ، عَنْ سُفْيَانَ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ ، عَنْ مَحْمُودٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن : ١٨] ، قَالَ : قَالَتِ الْجِنُّ لِنَبِيِّ اللهِ : كَيْفَ لَنَا نَأْتِي الْمَسْجِدَ ، وَنَحْنُ نَاءُونَ عَنْكَ ، وَكَيْفَ نَشْهَدُ مَعَكَ الصَّلاة وَنَحْنُ نَاءُونَ عَنْكَ ؟ فَنَزَلَتْ :﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن : ١٨] .

حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثنا ابْنُ ثَوْرٍ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن : ١٨] ، قَالَ : كَانَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى إِذَا دَخَلُوا كَنَائِسَهُمْ وَبِيَعَهُمْ أَشْرَكُوا بِاللهِ ، فَأَمَرَ الله نَبِيَّهُ أَنْ يُخْلِصَ لَهُ الدَّعْوَةَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا مِهْرَانُ ، عَنْ سُفْيَانَ ، عَنْ خُصَيْفٍ ، عَنْ عِكْرِمَةَ ، ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن : ١٨] ، قَالَ : الْمَسَاجِدُ كُلُّهَا " (١) .

وقال الإمام أبو الليث نصر بن محمَّد بن أحمد بن إبراهيم السَّمرقندي (٣٧٣هـ) : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن : ١٨] ، قال الحسن : يعني : الصَّلاة لله تعالى ، وقال قتادة : كانت اليهود والنَّصارى يدخلون كنائسهم ، ويشركون بالله تعالى . فأمر الله تعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أن يخلص الدَّعوة له إذا دخل المسجد . وقال القتبي : قوله : ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن : ١٨] ، يعني : السُّجود لله . ويقال : هي المساجد بعينها ، يعني : بُنيت المساجد ، ليعبدوا الله تعالى فيها . ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن : ١٨] ، يعني : لا تعبدوا أحداً غير الله تعالى " (٢) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن إبراهيم الثعلبي ، أبو إسحاق (٤٢٧هـ) : " وَأَنَّ الْمساجِدَ للهِ " ، قال سعيد بن جبير : قالت الجنُّ لنبيِّ الله كيف لنا أن نأتي المسجد ونشهد معك الصَّلاة ونحن ناؤون عنك ؟ فنزلت : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن : ١٨] .

قال قتادة : كانت اليهود والنَّصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله ، فأمر الله سبحانه نبيَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم والمؤمنين أن يخلصوا له الدَّعوة إذا دخلوا المساجد ، وأراد بها المساجد كلّها .

وقال الحسن : أراد بها البقاع كلّها ، وذلك أنَّ الأرض جعلت للنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم مسجداً ، وكان المسلمون بعد نزول هذه الآية إذا دخل أحدهم المسجد ، قال : أشهد أن لا إله إلّا الله والسَّلام على رسول الله .

---

(١) انظر : تفسير الطَّبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) (٢٣/ ٣٤٠-٣٤١) .

(٢) انظر : بحر العلوم (٣/ ٤٨٣) .

وقال سعيد بن جبير وطلق بن حبيب : أراد بالمساجد الأعضاء التي يسجد عليها العبد ، وهي سبعة : القدمان ، والرُّكبتان ، واليدان ، والوجه . وسمعت محمَّد بن الحسن السّلمي يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت أبو القيِّم البزَّاز يقول : قال ابن عطاء : مساجدك أعضاؤك التي أمرت أن تسجد عليها لا تذلّلها لغير خالقها " (١) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن محمَّد بن علي الواحدي ، النَّيسابوري ، الشَّافعي (٤٦٨هـ) : ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن : ١٨] ، يعني : المواضع التي بنيت للصَّلاة وذكر الله ﴿ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن : ١٨] ، قال قتادة : كانت اليهود والنَّصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم ، أشركوا بالله ، فأمر الله أن يخلص المسلمون له الدَّعوة إذا دخلوا مساجدهم .

وقال سعيد بن جبير : المساجد الأعضاء التي يسجد عليها العبد . وهذا القول اختيار ابن الأنباري ، قال : يقول : هذه الأعضاء التي يقع السُّجود عليها مخلوقة لله ، فلا يسجدوا عليها لغيره . وقال الحسن : أراد البقاع كلها . يعني : أن الأرض كلّها مواضع للسُّجود ، وجعلت مسجداً لهذه الأمَّة ، يقول : الأرض كلّها مخلوقة لله ، فلا يسجدوا عليها لغير خالقها " (٢) .

وقال الإمام أبو المظفَّر ، منصور بن محمَّد بن عبد الجبَّار ابن أحمد المروزى السَّمعاني التَّميمي الحنفي ثمَّ الشَّافعي (٤٨٩هـ) : " قَوْله تَعَالَى : ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن : ١٨] ، إتَّفق الْقُرَّاء على فتح الْألف فِي هَذِه الْآيَة ، وَعلَّة النَّصب أَنَّ مَعْنَاهُ : وَلِأَن الْمُسَاجِد لله ، ثمَّ حذفت اللَّام فانتصب الْألف . وَقيل : انتصبت لِأَنَّ مَعْنَاهُ : أوحى إِلَيّ أَن الْمُسَاجِد لله . وَسبب نزُول هَذِه الْآيَة أَنَّ الْجِنّ قَالُوا للنَّبِي : نَحن نودُّ أَن نصلي مَعَك ، فَكيف نَفْعل وَنحن ناءون عَنْك ؟ فَأنْزل الله تَعَالَى قَوْله : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن : ١٨] ، وَمَعْنَاهُ : أَنكُمْ إِن صليتم فمقصودكم حَاصِل من عبَادَة الله تَعَالَى ، فَلَا تُشْرِكُوا بِهِ أحداً ، وَهُوَ معنى قَوْله : ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن : ١٨] ، وَيُقَال : هُوَ ابْتِدَاء كَلَام . وَالْمعْنَى : أَن الْيَهُود وَالنَّصَارَى يشركُونَ فِي البيع والصوامع ، وَكَذَلِكَ الْمُشْركُونَ فِي عبَادَة الْأَصْنَام، فَأَنْتم أَيُّها الْمُؤمنُونَ اعلموا أَن الصَّلَوَات وَالسُّجُود والمساجد كلهَا لله ، فَلَا

---

(١) انظر : الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٠/ ٥٤) .

(٢) انظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٤/ ٣٦٧-٣٦٨) .

تُشْرِكُوا مَعَه أحداً . وَفِي الْمَسَاجِد أَقْوَال : أَحدهَا : أَنَّهَا بِمَعْنى السُّجُود ، وَهِي جمع مَسْجِد . يُقَال : سجدت سجوداً ومسجداً ، وَالْمعْنَى : أَنَّ السُّجُود لله ، يَعْنِي : هُوَ الْمُسْتَحق للسُّجُود .

وَالْقَوْل الثَّانِي : أَنَّ الْمَسَاجِد ، هِيَ : الْمَوَاضِع المبنيَّة للصَّلَاة المهيأة لَهَا ، وَهِي جمع مَسْجِد ، وَمعنى قَوْله : ﴿لِلَّهِ﴾ [الجن : ١٨ ] ، نفي الْملك عَنْهَا ، أَو مَعْنَاهُ : الْأَمر بإخلاص الْعِبَادَة فِيهَا لله .

وَالْقَوْل الثَّالِث : أَنَّ الْمَسَاجِد ، هِيَ : الْأَعْضَاء الَّتِي يسْجد عَلَيْهَا الْإِنْسَان من جَبهته وَيَديه وركبتيه وقدميه ، وَالْمعْنَى : أَنَّه لَا يَنْبَغِي أَن يسْجد على هَذِه الْأَعْضَاء إِلَّا لله " (١) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي (٥٩٧هـ) : " قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن : ١٨] ، فيها أربعة أقوال : أحدها : أنَّها المساجد التي هي بيوت للصَّلوات ، قاله ابن عبَّاس . قال قتادة : كانت اليهود والنَّصارى إذا دخلوا كنائسهم وبِيَعَهُم أشركوا ، فأمر الله عزَّ وجلَّ المسلمين أن يخلصوا له إذا دخلوا مساجدهم . والثَّاني : الأعضاء التي يسجد عليها العبد ، قاله سعيد بن جبير ، وابن الأنباري ، وذكره الفرَّاء . فيكون المعنى ، لا تسجدوا عليها لغيره . والثَّالث : أنَّ المراد بالمساجد ها هنا : البقاع كلُّها ، قاله الحسن . فيكون المعنى : أنَّ الأرض كلّها مواضع للسُّجود ، فلا تسجدوا عليها لغير خالقها . والرَّابع : أنَّ المساجد : السُّجود ، فإنها جمع مسجد . يقال : سجدت سجوداً ، ومَسْجِداً ، كما يقال : ضربت في الأرض ضرباً ، ومَضْرِباً ، ثمَّ يجمع ، فيقال : المسَاجِد ، والمضارِب . قال ابن قتيبة : فعلى هذا يكون واحدها : مَسْجَداً ، بفتح الجيم . والمعنى : أَخْلِصُوا له ، ولا تسجدوا لغيره " (٢) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التَّيمي الرَّازي الملقَّب بفخر الدِّين الرَّازي خطيب الرّي (٦٠٦هـ) : ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن : ١٨] ، وَفِيهِ مَسَائِلُ :

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى : التَّقْدِيرُ : قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّ الْمَسَاجِدَ للهِ ، وَمَذْهَبُ الْخَلِيلِ أَنَّ التَّقْدِيرَ : وَلِأَنَّ الْمَسَاجِدَ للهِ فَلَا تَدْعُوا ، فعلى هذا اللام متعلقة ، بلا تَدْعُوا ، أَيْ : فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً فِي الْمَسَاجِدِ لأَنَّهَا للهِ خَاصَّةً ، وَنَظِيرُهُ

---

(١) انظر : تفسير القرآن ، السمعاني (٦/ ٧٠) .

(٢) انظر : زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٣٤٩) .

قَوْلُهُ : ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ﴾ [المؤمنون : ٥٢ ] ، عَلَى مَعْنَى ، وَلِأَنَّ هَذِهِ ﴿أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون : ٥٢ ] ، أَيْ : لِأَجْلِ هَذَا الْمَعْنَى فَاعْبُدُونِ

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ : اخْتَلَفُوا فِي الْمَسَاجِدِ عَلَى وُجُوهٍ أَحَدُهَا : وَهُوَ قَوْلُ الْأَكْثَرِينَ : أَنَّهَا الْمَوَاضِعُ الَّتِي بُنِيَتْ لِلصَّلَاةِ وَذِكْرِ اللهِ وَيَدْخُلُ فِيهَا الْكَنَائِسُ وَالْبِيَعُ وَمَسَاجِدُ الْمُسْلِمِينَ ، وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يُشْرِكُونَ فِي صَلَاتِهِمْ فِي الْبِيَعِ وَالْكَنَائِسِ ، فَأَمَرَ الله الْمُسْلِمِينَ بِالْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ وَثَانِيهَا : قَالَ الْحَسَنُ : أَرَادَ بِالْمَسَاجِدِ الْبِقَاعَ كُلَّهَا ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام : " جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِداً " ، كَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ : الْأَرْضُ كُلُّهَا مَخْلُوقَةٌ للهِ تَعَالَى فَلَا تَسْجُدُوا عَلَيْهَا لِغَيْرِ خَالِقِهَا . وَثَالِثُهَا : رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ أَيْضاً أَنَّه قَالَ : الْمَسَاجِدُ هِيَ الصَّلَوَاتُ فَالْمَسَاجِدُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ جَمْعُ مَسْجَدٍ بِفَتْحِ الْجِيمِ ، وَالْمَسْجَدُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى السُّجُودِ . وَرَابِعُهَا : قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ : الْمَسَاجِدُ الْأَعْضَاءُ الَّتِي يَسْجُدُ الْعَبْدُ عَلَيْهَا ، وَهِيَ سَبْعَةٌ : الْقَدَمَانِ ، وَالرُّكْبَتَانِ ، وَالْيَدَانِ ، وَالْوَجْهُ ، وَهَذَا الْقَوْلُ اخْتِيَارُ ابْنِ الْأَنْبَارِيِّ ، قَالَ : لِأَنَّ هَذِهِ الْأَعْضَاءَ هِيَ الَّتِي يَقَعُ السُّجُودُ عَلَيْهَا وَهِيَ مَخْلُوقَةٌ لله تعالى ، فلا ينبغي أن يسجد الْعَاقِلُ عَلَيْهَا لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى ، وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ مَعْنَى الْمَسَاجِدِ مَوَاضِعُ السُّجُودِ مِنَ الْجَسَدِ وَاحِدُهَا مَسْجَدٌ بِفَتْحِ الْجِيمِ . وَخَامِسُهَا : قَالَ عَطَاءٌ عَنِ ابْنِ عبَّاس رَضِيَ الله عَنْهُمَا : يُرِيدُ بِالْمَسَاجِدِ مَكَّةَ بِجَمِيعِ مَا فِيهَا مِنَ الْمَسَاجِدِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ مَكَّةَ قِبْلَةُ الدُّنيا وَكُلُّ أَحدٍ يَسْجُدُ إِلَيْهَا " (١) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرْح الأنصاري الخزرجي شمس الدِّين القرطبي (٦٧١هـ) : ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴾ [الجن : ١٨ ] : فِيهِ سِتُّ مَسَائِلَ :

الْأُولَى : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ ﴾ [الجن : ١٨] ، أَنَّ بِالْفَتْحِ ، قِيلَ : هُوَ مَرْدُودٌ إلى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ [الجن : ١] ، أَيْ : قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّ الْمَسَاجِدَ للهِ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : أَيْ : وَلِأَنَّ الْمَسَاجِدَ للهِ . وَالْمُرَادُ الْبُيُوتُ الَّتِي تَبْنِيهَا أَهْلُ الْمِلَلِ لِلْعِبَادَةِ . وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ : قَالَتِ الْجِنُّ كَيْفَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَ الْمَسَاجِدَ وَنَشْهَدَ مَعَكَ الصَّلاة وَنَحْنُ نَاءُونَ عَنْكَ ؟ فَنَزَلَتْ : ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن : ١٨] ، أَيْ : بُنِيَتْ لِذِكْرِ اللهِ وَطَاعَتِهِ . وَقَالَ الْحَسَنُ : أَرَادَ بِهَا كُلَّ الْبِقَاعِ ، لِأَنَّ الْأَرْضَ كُلَّهَا مَسْجِدٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، يَقُولُ : أَيْنَمَا كُنْتُمْ فَصَلُّوا ، فَأَيْنَمَا صَلَّيْتُمْ فَهُوَ مَسْجِدٌ . وَفِي الصَّحيح : " وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً " (٢) . وَقَالَ سعيد بن المسيب وطلق ابن حَبِيبٍ

---

(١) انظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (٣٠/ ٦٧٣-٦٧٤) .

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٧٤ برقم ٣٣٥) ، مسلم (١/ ٣٧٠ برقم ٥٢١) .

: أَرَادَ بِالْمَسَاجِدِ الْأَعْضَاءَ الَّتِي يَسْجُدُ عَلَيْهَا الْعَبْدُ ، وَهِيَ الْقَدَمَانِ ، وَالرُّكْبَتَانِ ، وَالْيَدَانِ ، وَالْوَجْهُ ، يَقُولُ : هَذِهِ الْأَعْضَاءُ أَنْعَمَ الله بِهَا عَلَيْكَ ، فَلَا تَسْجُدْ لِغَيْرِهِ بِهَا ، فَتَجْحَدَ نِعْمَةَ اللهَّ . قَالَ عَطَاءٌ : مَسَاجِدُكَ : أَعْضَاؤُكَ الَّتِي أُمِرْتَ أَنْ تَسْجُدَ عَلَيْهَا لَا تُذَلِّلْهَا لِغَيْرِ خَالِقِهَا . وَفِي الصَّحِيح عَنِ ابْنِ عبَّاس عَنِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، قَالَ : " أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمَ : الْجَبْهَةِ – وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلى أَنْفِهِ– وَالْيَدَيْنِ ، وَالرُّكْبَتَيْنِ ، وَأَطْرَافِ الْقَدَمَيْنِ " (١) . وَقَالَ العبَّاس : قَالَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : إِذَا سَجَدَ الْعَبْدُ سَجَدَ مَعَهُ سَبْعَةُ آرَابٍ (٢) . وَقِيلَ : الْمَسَاجِدُ هِيَ الصَّلَوَاتُ ، أَيْ : لِأَنَّ السُّجُودَ للهَّ . قَالَهُ الْحَسَنُ أَيْضاً . فَإِنْ جَعَلْتَ الْمَسَاجِدَ الْمَوَاضِعَ فَوَاحِدُهَا مَسْجِدٌ بِكَسْرِ الْجِيمِ ، وَيُقَالُ بِالْفَتْحِ ، حَكَاهُ الْفَرَّاءُ . وَإِنْ جَعَلْتَهَا الْأَعْضَاءَ فَوَاحِدُهَا مَسْجَدٌ بِفَتْحِ الْجِيمِ . وَقِيلَ : هُوَ جَمْعُ مَسْجَدٍ وَهُوَ السُّجُودُ ، يُقَالُ : سَجَدْتُ سُجُوداً وَمَسْجَداً ، كَمَا تَقُولُ : ضَرَبْتُ فِي الْأَرْضِ ضَرْباً وَمَضْرَباً بِالْفَتْحِ : إِذَا سِرْتُ فِي ابْتِغَاءِ الرِّزْقِ . وَقَالَ ابْنُ عبَّاس : الْمَسَاجِدُ هُنَا مَكَّةُ الَّتِي هِيَ الْقِبْلَةُ ، وَسُمِّيَتْ مَكَّةَ الْمَسَاجِدِ ، لِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَسْجُدُ إِلَيْهَا . وَالْقَوْلُ الأَوَّل أَظْهَرُ هَذِهِ الْأَقْوَالِ إِنْ شَاءَ الله ، وَهُوَ مَرْوِيٌّ عَنِ ابْنِ عبَّاس رَحِمَهُ الله .

الثَّانِيَةُ : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿لِلَّهِ﴾ [الجن : ١٨] ، إِضَافَةُ تَشْرِيفٍ وَتَكْرِيمٍ ، ثمَّ خَصَّ بِالذِّكْرِ مِنْهَا الْبَيْتَ الْعَتِيقَ ، فَقَالَ : ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ [الحج : ٢٦ ] . وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام : " لَا تُعْمَلُ الْمَطِيُّ إِلَّا إِلى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ " (٣) . الْحَدِيث

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٦٢ برقم ٨١٢) ، مسلم (١١/ ٣٥٤ برقم ٤٩) .

(٢) آرَابٍ : واحدها إرب، بالكسر والسكون ، وهي الأعضاء .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣٩/ ٢٦٧ برقم ٢٣٨٤٨) ، قال الأرنؤوط في تخريجه : " إسناده صحيح على وهمٍ فيه، سيأتي التنبيه عليه.

وهو عند مالك في "الموطأ" ١/ ١٠٨-١٠٩ ضمن حديث مطوَّل، ومن طريقه أخرجه يعقوب بن سفيان في "المعرفة والتاريخ" ٢/ ٢٩٤، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٥٨١) و (٥٩٠) ، وابن حبان (٢٧٧٢) ، وابن الأثير في "أسد الغابة" ١/ ٢٣٧، والضياء المقدسي في "فضائل بيت المقدس" (٣) .

قال ابن عبد البر في "الاستيعاب" ٢/ ٣٩-٤٠ : هذا الحديث لا يوجد هكذا إلا في "الموطأ" لبصرة بن أبي بصرة، وإنما الحديث لأبي هريرة: فلقيتُ أبا بصرة ... فذكر من قال ذلك عن أبي هريرة، ثم قال: وأظنُّ الوهم جاء فيه من يزيد بن الهاد، والله أعلم.

وقال في "التمهيد" ٢٣/ ٣٨: وأظن الوهم فيه جاء من قِبَل مالك أو من قِبَل يزيد بن الهاد، والله أعلم.

وتعقَّبه ابن الأثير في "أسد الغابة" فقال: قول أبي عمر: لا يوجد هكذا إلا في "الموطأ"، وهم منه، فإنه قد رواه الواقدي عن عبد الله بن جعفر، عن ابن الهاد، مثل رواية مالك: عن بصرة بن أبي بصرة، فبان بهذا أن الوهم من ابن الهاد أو من محمد بن إبراهيم، فإن أبا سلمة قد روى عنه غير محمد، فقال: عن أبي بصرة، والله أعلم.

خَرَّجَهُ الْأَئِمَّةُ . وَقَدْ مَضَى الْكَلَامُ فِيهِ . وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام : " صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ " (١) . قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ : وَقَدْ رُوِيَ مِنْ طَرِيقٍ لَا بَأْسَ بِهَا أَنَّ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَالَ : " صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ، فَإِنَّ صَلَاةً فِيهِ خَيْرٌ مِنْ مِائَةِ صَلَاةٍ فِي مَسْجِدِي هَذَا " . وَلَوْ صَحَّ هَذَا لَكَـــانَ نَصّاً . قُلْتُ : هُوَ صَحِيحٌ بِنَقْلِ الْعَدْلِ عَنِ الْعَدْلِ حَسْبَ مَا بَيَّنَّاهُ فِي سُورَةِ " إِبْرَاهِيمَ " .

الثَّالِثَةُ : الْمَسَاجِدُ وَإِنْ كَانَتْ للهِ مِلْكاً وَتَشْرِيفاً فَإِنَّهَا قَدْ تُنْسَبُ إِلى غَيْرِهِ تَعْرِيفاً ، فَيُقَالُ : مَسْجِدُ فُلَانٍ . وَفِي صَحِيحِ الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم سَابَقَ بَيْنَ الْخَيْلِ الَّتِي أُضْمِرَتْ مِنَ الْحَفْيَاءِ ، وَأَمَدُهَا ثَنِيَّةَ الْوَدَاعِ ،

---

قلنا: ومما يؤيد أن الوهم فيه من ابن الهاد وليس من مالك أنه قد رواه جماعة عن ابن الهاد كما هو عند المصنف.

فقد أخرجه الحميدي (٩٤٤) ، ويعقوب بن سفيان ٢/ ٢٩٤، والفاكهي في "أخبار مكة" (١٢٠٣) من طريق عبد العزيز بن أبي حازم، ويعقوب بن سفيان ٢/ ٢٩٤، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٥٨٠) و (٥٨٩) من طريق الليث، والنسائي ٣/ ١١٣-١١٤ من طريق بكر بن مُضَر، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (١٠٠١) من طريق عبد العزيز بن محمد، ويعقوب بن سفيان ٢/ ٢٩٤،

والطحاوي (٥٨٣) و (٥٩١) من طريق نافع بن يزيد، وأبو نعيم في "معرفة الصحابة" (١٢١٠) من طريق الواقدي، عن عبد الله بن جعفر، ستتهم عن يزيد بن عبد الله بن الهاد، به. وقرن نافعُ بنُ يزيد بابن الهاد عمارةَ بنَ غَزِيَّة.

وأخرجه الطحاوي (٥٨٦) من طريق يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: لقيت أبا بصرة ... فذكره.

وأخرجه البخاري في "التاريخ الكبير" ٣/ ١٢٣-١٢٤، ويعقوب بن سفيان ٢/ ٢٩٤-٢٩٥، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (١٠٠٢) ، وأبو يعلى (٦٥٥٨) ، والطحاوي (٥٨٢) و (٥٨٤) و (٥٨٥) ، والطبراني في "الكبير" (٢١٥٧) (٢١٥٨) و (٢١٥٩) ، وفي "الأوسط" (٨٥٧) ، وابن عبد البر في "التمهيد" ٢٣/ ٤٧ من طريق زيد بن أسلم، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة، فذكره. إلا أن بعضهم سمَّى الصحابي حميل بن بصرة، وبعضهم سماه جميل بن بصرة، وبعضهم ذكر كنيته أبا بصرة مع ذكر اسمه.

وأخرجه عبد الرزاق (٩١٦٢) عن ابن جريج قال: حُدثت عن بصرة بن أبي بصرة، فذكر مرفوعه.

وأخرج البزار (٤٢٧- كشف الأستار) من طريق زيد بن أسلم، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، قال: أتيت من الطور، فلقيني حُميل بن بصرة ... ولفظ مرفوعه: "صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد " .

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ١٥٨ برقم ١٦٠٥) ، قال الأرنؤوط : " صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن من أجل عبد الرحمن بن أبي الزناد، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح غيرَ سليمان بن داود- وهو الهاشمي- فمن رجال أصحاب السنن، وهو ثقة. أبو عبد الله القراظ: اسمه دينار.

وأخرجه أبو يعلى (٧٧٤) من طريق سليمان بن داود الهاشمي، بهذا الإسناد.

وأخرجه البزار (٤٢٦- كشف الأستار) من طريق شعبة، عن موسى بن عُبيدة الربَذي، عن عمر بن الحكم، عن سعد. وهذا إسناد ضعيف لضعف موسى الربذي " .

وَسَابَقَ بَيْنَ الْخَيْلِ الَّتِي لَمْ تُضْمَرْ مِنَ الثنية إلى مسجد بَنِي زُرَيْقٍ . وَتَكُونُ هَذِهِ الْإِضَافَةُ بِحُكْمِ الْمَحَلِّيَّةِ كَأَنَّهَا فِي قِبْلَتِهِمْ ، وَقَدْ تَكُونُ بِتَحْبِيسِهِمْ ، وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الأمَّة فِي تَحْبِيسِ الْمَسَاجِدِ وَالْقَنَاطِرِ وَالْمَقَابِرِ وَإِنِ اخْتَلَفُوا فِي تَحْبِيسِ غَيْرِ ذَلِكَ .

الرَّابِعَةُ : مَعَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ للهِ لَا يُذْكَرُ فِيهَا إِلَّا الله فَإِنَّهُ تَجُوزُ الْقِسْمَةُ فِيهَا لِلْأَمْوَالِ . وَيَجُوزُ وَضْعُ الصَّدَقَاتِ فِيهَا عَلَى رَسْمِ الِاشْتِرَاكِ بَيْنَ الْمَسَاكِينِ وَكُلُّ مَنْ جَاءَ أَكَلَ . وَيَجُوزُ حَبْسُ الْغَرِيمِ فِيهَا ، وَرَبْطُ الْأَسِيرِ وَالنَّوْمُ فِيهَا ، وَسُكْنَى الْمَرِيضِ فِيهَا ، وَفَتْحُ الْبَابِ لِلْجَارِ إِلَيْهَا ، وَإِنْشَادُ الشِّعْرِ فِيهَا إِذَا عَرِيَ عَنِ الْبَاطِلِ . وَقَدْ مَضَى هَذَا كُلُّهُ مُبَيَّناً فِي سُورَةِ" بَرَاءَةَ" . وَ" النُّورِ " وَغَيْرِهِمَا .

الْخَامِسَةُ : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن : ١٨] ، هَذَا تَوْبِيخٌ لِلْمُشْرِكِينَ فِي دُعَائِهِمْ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ . وَقَالَ مُجَاهِدٌ : كَانَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى إِذَا دَخَلُوا كَنَائِسَهُمْ وَبِيَعَهُمْ أَشْرَكُوا بِاللهِ ، فَأَمَرَ الله نَبِيَّهُ وَالْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُخْلِصُوا للهِ الدَّعْوَةَ إِذَا دَخَلُوا الْمَسَاجِدَ كُلَّهَا . يَقُولُ : فَلَا تُشْرِكُوا فِيهَا صَنَماً وَغَيْرَهُ مِمَّا يُعْبَدُ . وَقِيلَ : الْمَعْنَى أَفْرِدُوا الْمَسَاجِدَ لِذِكْرِ اللهِ ، وَلَا تَتَّخِذُوهَا هُزُواً وَمَتْجَراً وَمَجْلِساً ، وَلَا طُرُقاً ، وَلَا تَجْعَلُوا لِغَيْرِ اللهِ فِيهَا نَصِيباً . وَفِي الصَّحِيحِ : " مَنْ نَشَدَ ضَالَّةً فِي الْمَسْجِدِ فَقُولُوا لَا رَدَّهَا الله عَلَيْكَ ، فَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهَذَا " (١) . وَقَدْ مَضَى فِي سُورَةِ" النُّورِ " مَا فِيهِ كِفَايَةٌ مِنْ أَحْكَامِ الْمَسَاجِدِ وَالْحَمْدُ للهِ .

السَّادِسَةُ : رَوَى الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عبَّاس عَنِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَدَّمَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى . وَقَالَ : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن : ١٨] ، اللهمَّ أَنَا عَبْدُكَ وَزَائِرُكَ وَعَلَى كُلِّ مَزُورٍ حَقٌّ وَأَنْتَ خَيْرُ مَزُورٍ فَأَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ أَنْ تَفُكَّ رَقَبَتِي مِنَ النَّار ، فَإِذَا خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ قَدَّمَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى ، وَقَالَ

(١) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة (١/ ٣١) ، ورواه بغير هذا اللفظ : الأزرقي في أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار (٢/ ٦٧) ، الفاكهي في أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه (٢/ ١١٥ برقم ١٢٦٥) ، ابن ماجه (١/ ٢٥٢ برقم ٧٦٧) ، أبو داود (١/ ١٢٨ برقم ٤٧٣) ، البزار في المسند (٣/ ٣٦٦ برقم ١١٦٧) ، النسائي في السنن الكبرى (٩/ ٧٧ برقم ٩٩٣٢) ، ابن خزيمة في الصحيح (٢/ ٢٧٣ برقم ١٣٠٢) ، أبو عوانة في المستخرج (١/ ٣٣٩ برقم ١٢١٢) ، ابن حبان في الصحيح (٤/ ٥٢٩ برقم ١٦٥١) ، الطبراني في الدعاء (١/ ٣٩٦ برقم ١٣٣٢) ، الأوسط (٣/ ٩٧ برقم ٢٦٠٥) ، الكبير (٢/ ١٠٣ برقم ١٤٥٤) ، البيهقي في الكبرى (٢/ ٦٢٦ برقم ٤٣٤٣) ، معرفة السنن والآثار (١٤/ ٢٢٢ برقم ١٩٧٣٥) ، السنن الصغير (٤/ ١٢٦ برقم ٣٢٣٥) ...

: " اللهمَّ صُبَّ عَلَيَّ الخَيْرَ صَبّاً وَلَا تَنْزِعْ عَنِّي صَالِحَ مَا أَعْطَيْتَنِي أَبَداً وَلَا تَجْعَلْ مَعِيشَتِي كَدّاً ، وَاجْعَلْ لي في الأرض جداً ، أي : غنى "(١) .

فبناء على أقوال المفسِّرين للآية الكريمة نرى أنَّها تضمنت توبيخاً وتبكيتاً للمشركين في دعواهم مع الله غيره في المسجد الحرام ... ولا سبيل لقياس توسُّل المؤمنين بدعاء الكافرين عند البيت الحرام ، فالمؤمنون آمنوا بالله تعالى ربّاً ، وآمنوا بأنَّه النَّافع الضَّارُّ ، الخالق الرَّازق ، المحيي المميت ، والمشركون اتَّخذوا من يدعونهم من أوثانهم وأصنامهم آلهة من دون الله تعـــالى ، فدعوهم استقلالاً من دون الله تعالى ...

وفي تفسير الآية الرَّابعة ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الأحقاف : ٥ ] ، قال الإمام محمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطَّبري (٣١٠هـ) : " القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الأحقاف : ٥ ] .

يقول تعالى ذكره : وأيّ عبد أضلّ من عبد يدعو من دون الله آلهة لا تستجيب له إلى يوم القيامة : يقول : لا تُجيب دعاءه أبداً ، لأنَّها حجر أو خشب أو نحو ذلك .

وقوله : ﴿ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الأحقاف : ٥ ] ، يقول تعالى ذكره : وآلهتهم التي يدعونهم عن دعائهم إيَّاهم في غفلة ، لأنَّها لا تسمع ولا تنطق ، ولا تعقل . وإنَّما عنى بوصفها بالغفلة ، تمثيلها بالإنسان السَّاهي عما يقال له ، إذ كانت لا تفهم ممَّا يقال لها شيئاً ، كما لا يفهم الغافل عن الشَّيء ما غفل عنه . وإنَّما هذا توبيخ من الله لهؤلاء المشركين لسوء رأيهم ، وقُبح اختيارهم في عبادتهم ، من لا يعقل شيئاً ولا يفهم ، وتركهم عبادة من جميع ما بهم من نعمته ، ومن به استغاثتهم عندما ينزل بهم من الحوائج والمصائب .

وقيل : من لا يستجيب له ، فأخرج ذكر الآلهة وهي جماد مخرج ذكر بني آدم ، ومن له الاختيار والتَّمييز ، إذ كانت قد مثلتها عبدتها بالملوك والأمراء التي تخدم في خدمتهم إيَّاها ، فأجرى الكلام في ذلك على نحو ما كان جارياً فيه عندهم " (٢) .

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) (١٩/ ٢٠-٢٢) .

(٢) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢/ ٩٥-٩٦) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن محمَّد بن علي الواحدي ، النَّيسابوري ، الشَّافعي (٤٦٨هـ) : " ثمَّ ذكر ضلالتهم ، فقال : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الأحقاف : ٥ ] ، يعني : الأصنام لا تجيب عابديها إلى شيء يسألونه ، ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ، يعني : أبداً ما دامت الدُّنيا ، ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ ، لأنَّها جماد لا تسمع . ثمَّ إذا قامت القيامة ، صارت الآلهة أعداء لمن عبدها في الدُّنيا ، وهو قوله : ﴿ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأحقاف:٦] ، وهذا كقوله : ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم : ٨٢ ] ، وذلك أنَّهم يتبرَّءون من عابديهم ، كقوله : ﴿ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ [القصص : ٦٣] (١) .

وقال الإمام أبو القاسم محمود بن عمر الزَّمخشري الخوارزمي (٥٣٨هـ) : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ [الأحقاف : ٥] ، معنى الاستفهام فيه إنكار أن يكون في الضَّلال كلّهم أبلغ ضلالاً من عبدة الأصنام ، حيث يتركون دعاء السَّميع المجيب القادر على تحصيل كلّ بغية ومرام ، ويدعون من دونه جماداً لا يستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة أحد منهم ما دامت الدُّنيا وإلى أن تقوم القيامة ، وإذا قامت القيامة وحشر النَّاس : كانوا لهم أعداء ، وكانوا عليهم ضدَّاً ، فليسوا في الدَّارين إلَّا على نكد ومضرَّة ، لا تتولاهم في الدُّنيا بالاستجابة ؛ وفي الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم . وإنَّما قيل : ﴿مِن﴾ ﴿ وَهُمْ ﴾ ، لأنَّه أسند إليهم ما يسند إلى أولى العلم من الاستجابة والغفلة ، ولأنَّهم كانوا يصفونهم بالتَّمييز جهلاً وغباوة . ويجوز أن يريد : كلّ معبود من دون الله من الجن والإنس والأوثان ، فغلب غير الأوثان عليها " (٢) .

وقال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمَّ الدِّمشقي (٧٧٤هـ) : " وَقَوْلُهُ : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الأحقاف : ٥ ] ، أَيْ : لَا أَضَلَّ مِمَّنْ يَدْعُو أَصْنَاماً ، وَيَطْلُبُ مِنْهَا مَا لَا تَسْتَطِيعُهُ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَهِيَ غَافِلَةٌ عَمَّا يَقُولُ ، لَا تَسْمَعُ وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَبْطِشُ ؛ لأنَّها جَمَادٌ حجَارة صُمّ " (٣) .

---

(١) انظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٤/ ١٠٣) .

(٢) انظر : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (٤/ ٢٩٩) .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٧/ ٢٧٥) .

وقال الإمام أبو السُّعود العمادي محمَّد بن محمَّد بن مصطفى (٩٨٢هـ) : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف : ٥ ] ، إنكارٌ ونفيٌ لأنْ يكونَ أحدٌ يُساوي المُشركينَ في الضَّلالِ ، وإنْ كانَ سبكُ التَّركيبِ لنفي الأضلِ منهم من غيرِ تعرُّضٍ لنفي المُساوِي ، كما مرَّ غيرَ مرَّة ، أي : هُم أضلُّ من كلِّ ضالَ حيثُ تركُوا عبادةَ خالقِهم السميعِ القادرِ المجيبِ الخبيرِ إلى عبادةِ مصنُوعِهم العارِي عن السمعِ والقدرةِ والاستجابةِ . ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ، غايةٌ لنفي الاستجابةِ ، ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ ، الضَّميرُ الأوَّل لمفعول ويدعو الثَّاني لفاعلِه ، والجمعُ فيهما باعتبارِ معنى مَنْ ، كما أنَّ الإفرادَ فيما سبقَ باعتبارِ لفظِها ﴿غَٰفِلُونَ﴾ ، لكونِهم جماداتٍ ، وضمائرُ العقلاءِ لإجرائِهم إيَّاها مجرى العُقلاءِ ، ووصفِها بما ذُكر منْ تركِ الاستجابةِ والغفلةِ مع ظهورِ حالِها للتهكم بِهَا وبعبدَتها ، كقولِه تعالى : إِن تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُواْ دُعاءكُمْ الآيَةَ " (١) .

وفي تفسير الآية الخامسة وهي قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأعراف : ١٩٤] ، قال الإمام محمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطَّبري (٣١٠هـ) : " الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأعراف : ١٩٤] : يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ مُوَبِّخُهُمْ عَلَى عِبَادَتِهِمْ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ مِنَ الْأَصْنَامِ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ ، ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ، وتَعْبُدُونَهَا شِرْكاً مِنْكُمْ وَكُفْراً بِاللهِّ ، ﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ ، يَقُولُ : هُمْ أَمْلَاكٌ لِرَبِّكُمْ ، كَمَا أَنْتُمْ لَهُ مَمَالِيكُ . فَإِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَنَّهَا تَضُرُّ وَتَنْفَعُ وأَنَّهَا تَسْتَوْجِبُ مِنْكُمُ الْعِبَادَةَ لِنَفْعِهَا إِيَّاكُمْ ، ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ﴾ لِدُعَائِكُمْ إِذَا دَعَوْتُمُوهُمْ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ لأنَّهَا لَا تَسْمَعُ دُعَاءَكُمْ ، فَأَيْقِنُوا بِأَنَّهَا لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ ؛ لِأَنَّ الضُّرَّ وَالنَّفْعَ إِنَّمَا يَكُونَانِ مِمَّنْ إِذَا سُئِلَ سَمِعَ مَسْأَلَةَ سَائِلٍ وَأَعْطَى وَأَفْضَلَ ، وَمَنْ إِذَا شُكِيَ إِلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ سَمِعَ فَضَرَّ مَنِ اسْتَحَقَّ الْعُقُوبَةَ وَنَفَعَ مَنْ لَا يَسْتَوْجِبُ الضُّرَّ " (٢) .

---

(١) انظر : تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) (٨/ ٧٨) .

(٢) انظر : تفسير الطَّبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) (١٠/ ٦٣٥) .

وقال الإمام محيي السُّنَّة أبو محمَّد الحسين بن مسعود بن محمَّد بن الفراء البغوي الشَّافعي (٥١٠هـ) : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف : ١٩٤] ، يَعْنِي الْأَصْنَامَ ، ﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ ، يُرِيدُ أَنَّهَا مَمْلُوكَةٌ أَمْثَالُكُمْ . وَقِيلَ : ﴿أَمْثَالُكُمْ﴾ فِي التَّسْخِيرِ ، أَيْ : أَنَّهم مُسَخَّرُونَ مُذَلَّلُونَ لما أُرِيدَ مِنْهُمْ . قَالَ مُقَاتِلٌ : قَوْلُهُ : ﴿ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ ، أَرَادَ بِهِ الْمَلَائِكَةَ ، وَالْخِطَابُ مَعَ قَوْمٍ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ . وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ . ﴿فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ، أَنَّهَا آلِهَةٌ . قَالَ ابْنُ عَبَّاس : فَاعْبُدُوهُمْ هَلْ يُثِيبُونَكُمْ أَوْ يجازونكم إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَنَّ لَكُمْ عِنْدَهَا مَنْفَعَةً " (١) .

وقال الإمام أبو محمَّد عبد الحق بن غالب بن عبد الرَّحمن بن تمَّام بن عطيَّة الأندلسي المحاربي (٥٤٢هـ) : " قرأ جمهور النَّاس : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأعراف : ١٩٤] ، بتثقيل ﴿إِنَّ﴾ ورفع ﴿عِبَادٌ﴾ وهي مخاطبة للكفَّار في تحقير شأن أصنامهم عندهم ، أي : إنَّ هذه الأصنام مخلوقة محدثة ، إذ هي أجسام وأجرام فهي متعبدة ، أي : متملكة ، وقال مقاتل : إنَّ المراد بهذه الآية طائفة من العرب من خزاعة كانت تعبد الملائكة فأعلمهم الله أنَّهم عباد أمثالهم لا آلهة . وقرأ سعيد بن جبير ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤] ، بتخفيف النون من ﴿إِنَّ﴾ على أن تكون بمعنى ما وبنصب قوله : ﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ ، والمعنى بهذه القراءة : تحقير شأن الأصنام ونفي مماثلتهم للبشر ، بل هم أقلُّ وأحقر إذ هي جمادات لا تفهم ولا تعقل ، وسيبويه يرى أنَّ ﴿إِنَّ ﴾ إذا كانت بمعنى " ما " فإنَّها تضعف عن رتبة " ما " فيبقى الخبر مرفوعاً ، وتكون هي داخلة على الابتداء والخبر لا ينصبه ، فكان الوجه عنده في هذه القراءة : " إنَّ الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم " وأبو العبَّاس المبرد يجيز أن تعمل عمل " ما " في نصب الخبر ، وزعم الكسائي أنَّ " إنَّ " بمعنى " ما " لا تجيء إلَّا وبعدها إلَّا كقوله تعالى : ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾ [الملك : ٢٠ ] ، ثمَّ بين تعالى الحجَّة بقوله : ﴿ فَٱدْعُوهُمْ﴾ [الأعراف : ١٩٤] ، أي : فاختبروا فإن لم يستجيبوا فهم كما وصفنا " (٢) .

---

(١) انظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (٢/ ٢٥٩) .

(٢) انظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٤٨٨-٤٨٩) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدِّين القرطبي (٦٧١هـ) : " قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ ﴾ [الأعراف : ١٩٤] ، حاجّهم في عبادة الأصنام . ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ﴾ : تعبدون . وقيل : تدعونها آلهة . ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ، أي : من غير الله . وسميت الأوثان عباداً لأنَّها مملوكة لله مسخرة . الحسن : المعنى أنَّ الأصنام مخلوقة أمثالكم . ولَمَّا اعتقد المشركون أنَّ الأصنام تضر وتنفع أجراها مجرى النَّاس ، فقال : ﴿ فَٱدۡعُوهُمۡ ﴾ ، ولم يقل فادعوهن . وقال : ﴿ عِبَادٌ ﴾ ، وقال : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾ ، ولم يقل إنَّ التي . ومعنى : ﴿ فَٱدۡعُوهُمۡ ﴾ ، أي : فاطلبوا منهم النَّفع والضُّر . ﴿فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الاعراف:١٩٤] أنَّ عبادة الأصنام تنفع . قال ابن عبَّاس : معنى فادعوهم فاعبدوهم " (١) .

وقال الإمام ناصر الدِّين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمَّد الشِّيرازي البيضاوي (٦٨٥هـ) : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الأعراف : ١٩٤] . ﴿عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ﴾ ، من حيث أنَّها مملوكة مسخرة . ﴿فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الأعراف : ١٩٤] ، أنَّهم آلهة ، ويحتمل أنَّهم لما نحتوها بصور الأناسي ، قال لهم : إنَّ قصارى أمرهم أن يكونوا أحياء عقلاء أمثالكم فلا يستحقُّون عبادتكم كما لا يستحقَّ بعضكم عبادة بعض " (٢) .

وقال الإمام أبو حيان محمَّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيَّان أثير الدِّين الأندلسي (٧٤٥هـ) : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الأعراف : ١٩٤] . هَذِهِ الْجُمْلَةِ عَلَى سَبِيلِ التَّوْكِيدِ لما قَبْلَهَا فِي انْتِفَاءِ كَوْنِ هَذِهِ الْأَصْنَامِ قَادِرَةً عَلَى شَيْءٍ مِنْ نَفْعٍ أَوْ ضَرٍّ ، أَي : الَّذِينَ تَدْعُونَهُمْ وَتُسَمُّونَهُمْ آلِهَةً مِنْ دُونِ اللهَّ الَّذِي أَوْجَدَهَا وَأَوْجَدَكُمْ هُمْ عِبَادٌ ، وَسَمَّى الْأَصْنَامَ عِبَاداً وَإِنْ كَانَتْ جَمَادَاتٍ ، لأنَّهم كَانُوا يَعْتَقِدُونَ فِيهَا أَنَّهَا تَضُرُّ وَتَنْفَعُ ، فَاقْتَضَى ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ عَاقِلَةً وأَمْثَالُكُمْ . قَالَ الْحَسَنُ : فِي كَوْنهَا مَمْلُوكَةً للهَّ ، وَقَالَ التَّبْرِيزِيُّ : فِي كَوْنهَا مَخْلُوقَةً ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ : الْمُرَادُ طَائِفَةٌ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ خُزَاعَةَ كَانَتْ تَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ ، فَأَعْلَمَهُمْ تَعَالَى أَنَّهم عِبَادٌ أَمْثَالُهُمْ لَا آلِهَةٌ . انْتَهَى ، فَعَلَى هَذَا جَاءَ الْإِخْبَارُ إِخْبَاراً عَنِ الْعُقَلَاءِ .

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٣٤٢) .

(٢) انظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٤٦) .

وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ : ﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ ، اسْتِهْزَاءٌ بِهِمْ ، أَيْ : قُصَارَى أَمْرِهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَحْيَاءَ عُقَلَاءَ ، فَإِنْ ثَبَتَ ذَلِكَ فَمِنْهُمْ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ لَا تَفَاضُلَ بَيْنَكُمْ "(١) .

وقال الإمام محمَّد متولي الشَّعراوي (١٤١٨هـ) : ﴿تَدْعُونَ﴾ [الأعراف : ١٩٤] ، لها معنيان ، المعنى الأوَّل : يعني أنكم قد تتَّخذونهم آلهة وتعبدونهم ، والمعنى الثَّاني : هو أن يقال : " تدعونه " ، أي : تطلب منه شيئاً . والمعنيان يجيئان في هذه الآية : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ﴾ [الأعراف : ١٩٤] .

وعنْدَما يسمع الإنسان كلمة ﴿عِبَادٌ﴾ ، يفهم أنَّها من الجنس المتعقل الحي ، فكيف تكون الأصنام عباداً ؟ وأقول : نحن هنا نأخذها على شهرة اللفظ ، أمَّا إذا أردنا تحقيق اللفظ وتعقيده ، فالبناء مأخوذ من التَّذلُّل والخضوع ، ألم يقل موسى لفرعون : ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء : ٢٢ ] ، أي : أذللتهم . وفي الآية التي نحن بصدد خواطرنا عنها تكون الأصنام عباداً أمثالهم في أنَّهم يُذلون ؛ لأنَّ السَّيل إذا نزل أو هبَّت الرِّيح نجد هذه الأصنام قد وقعت وتكسَّرت رقابها ، فيهرع المشركون ليأتوا بمن يعيد ترميم هذه الآلهة !! إذن فأنتم أيُّها المشركون ؛ لأنَّكم مخلوقون بالله قد تملكون قدرة ، وقوة تستطيعون بها إن جاء لكم ضرٌّ أن تدفعوا الضُّر عنكم ، أمَّا الأصنام فليست لها أدنى قدرة إن جاءها من يحطمها ، أو يكسرها ، أو يقبلها ، فهي أضعف منكم . وبذلك تكون كلمة ﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأعراف : ١٩٤] ، لوناً من الترقي . وعلى فرض أنَّهم عباد أمثالكم ، فالعبد من الأحياء حينما يأتي شيء يستذله ، قد يستطيع أن يدفع عن نفسه بعض الشَّيء إلَّا إن كان الشَّيء قوياً فوق طاقته . فالمراد والمقصود : أنَّهم عباد أمثالكم ، أي : مذلَّلون ومسخرون ولا يستطيعون دفع شيء عن أنفسهم . وأنت إذا ما نظرت إلى هذه المسألة وأخذت معنى عباد على معناها الإطلاقي ، فأنت تعلم أنَّ العبد هو كل مسخر مذلل من العباد .

لكن هناك مذلل ومسخر فيما لا اختيار له فيه ، وآخر مذلل ومسخر فيما له فيه اختيار أيضاً ، والفرق بين الاثنين : أنَّ الكافر فيما له اختيار ؛ أمَّا أن يؤمن وأمَّا أن لا يؤمن ويختار الكفر ، بل إنَّ الإنسان المؤمن له الاختيار في أن يطيع أو يعصي . ولكن هناك أشياء أخرى تجري على الإنسان لا اختيار له فيها ، كأن يمرض ولا يقدر أن يقول : لا لن أمرض ، أو قد يأتيه الموت فلا يقدر أن يقول : لن أموت . وقد يهلك ماله أو تحترق داره فلا

---

(١) انظر : البحر المحيط في التفسير (٥/ ٢٤٩) .

يستطيع دفع القدر ، وكلّ هذه أمور قهرية يكون الإنسان فيها مذللاً مسخراً ، والكافر والمؤمن في هذه الأمور سواء .

والمؤمن يتميَّز بأنَّه يتبع منهج الله فيما له فيه اختيار ، وهذه فائدة الإيمان ، وبذلك يخرج المؤمن عن الاختيار المخلوق لله ، إلى مراد الله منه في الحكم ، ويستوي بكلِّ شيء مسخر لله ، ولذلك نقول للذين يكفرون : كفرتم وتأبَّيتم بما خلق فيكم من الاختيار عن الإيمان بالله .

وقد جعلها الله لكم بقوله : ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف : ٢٩] .

وما دام الواحد منكم أيُّها الكافرون يتأبَّى ويستكبر على حكم الله ، إذن فللواحد منكم أيُّها الكافرون رياضة على التَّمرُّد ، فلماذا لا تقول للمرض لن أستسلم لك . ولن يستطيع أحد الكافرين ذلك ، لأنَّه إنَّما يكفر بما له حقّ ممنوح من الله في منطقة الاختيار ، أمَّا في غير ذلك فالكلُّ عباد مذللون ...

وقول الحقِّ تبارك وتعالى : ﴿ فَٱدْعُوهُمْ ﴾ [الأعراف : ١٩] ، أي : اطلبوا منهم أن يلبُّوا لكم أي طلب ، وهم لن يستجيبوا لكم ؛ لأنَّهم لا يقدرون أبداً . وفي هذا القول لون من التَّحدِّي ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ﴾ [الأعراف : ١٩٤] ، لكنَّهم لن يستجيبوا ، فليست لهم قدرة لأن يخرجوا على أمر ربِّنا ويقولوا سنعطيكم ما تطلبون ، لأنَّ طاقتهم وطبيعتهم لا تقدر أن تستجيب " (١) .

وفي تفسير الآية السَّادسة ، وهي قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت : ١٧] .

قال الإمام محمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطَّبري (٣١٠هـ) : يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ مُخْبِراً عَنْ قِيلِ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ لِقَوْمِهِ : إِنَّما تَعْبُدُونَ أَيُّها الْقَوْمُ مِنْ دُونِ اللهَّ أَوْثَاناً ، يَعْنِي مَثْلاً كَمَا : حدَّثنا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ : ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا﴾ [العنكبوت : ١٧] ، أَصْنَاماً ". وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت : ١٧] ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَعْنَاهُ : وَتَصْنَعُونَ كَذِباً . ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ : حدَّثنا عَلِيٌّ ، قَالَ : ثنا أَبُو صَالِحٍ ، قَالَ : ثني مُعَاوِيَةُ ، عَنْ عَلِيٍّ ، عَنِ ابْنِ عبَّاس ، فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ ، يَقُولُ : تَصْنَعُونَ كَذِباً . ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ : حدَّثني محمَّد بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثني أَبِي ،

---

(١) انظر : تفسير الشعراوي (الخواطر) (٨/ ٤٥٢٣-٤٥٢٥) .

قَالَ : ثني عَمِّي ، قَالَ : ثني أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ ابْنِ عبَّاس ، ﴿وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ﴾ ، يَقُولُ : وَتَقُولُونَ إِفْكاً . وَقَالَ آخَرُونَ : وَتَقُولُونَ كَذِباً . حدَّثني محمَّد بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عِيسَى ، وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : ثنا الْحَسَنُ ، قَالَ : ثنا وَرْقَاءُ ، جَمِيعاً ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، ﴿وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ﴾ ، يَقُولُ : تَقُولُونَ كَذِباً . وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ : وَتَنْحِتُونَ إِفكاً . ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ : حدَّثنا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثني حَجَّاجٌ ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ عَطَاءٍ الْخُرَاسَانِيِّ ، عَنِ ابْنِ عبَّاس ، قَوْلُهُ : ﴿ وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ﴾ ، قَالَ : تَنْحِتُونَ ، تُصَوِّرُونَ إِفكاً . حدَّثنا بِشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، ﴿وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ﴾ ، أَيْ : تَصْنَعُونَ أَصْنَاماً . حدَّثني يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ ، فِي قَوْلِهِ : ﴿وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ﴾ ، الْأَوْثَانُ الَّتِي يَنْحِتُونَهَا بِأَيْدِيهِمْ . وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ : مَعْنَاهُ : وَتَصْنَعُونَ كَذِباً . وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَى الْخَلْقِ فِيمَا مَضَى ، بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ . فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذَنْ : إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَاناً ، وَتَصْنَعُونَ كَذِباً وَبَاطِلاً . وإِنَّما فِي قَوْلِهِ : ﴿إِفۡكًا﴾ ، مَرْدُودٌ عَلَى إِنَّما ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ : إِنَّما تَفْعَلُونَ كَذَا ، وإِنَّما تَفْعَلُونَ كَذَا . وَقَرَأَ جَمِيعُ قُرَّاءِ الْأَمْصَارِ : ﴿وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ﴾ ، بِتَخْفِيفِ الْخَاءِ مِنْ قَوْلِهِ : ﴿وَتَخۡلُقُونَ﴾ وَضَمِّ اللَّامِ مِنَ الْخَلْقِ . وَذُكِرَ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحمن السُّلَمِيِّ أَنَّه قَرَأَ : «وَتُخَلِّقُونَ إِفْكًا» بِفَتْحِ الْخَاءِ ، وَتَشْدِيدِ اللَّامِ مِنَ التَّخْلِيقِ . وَالصَّوَابُ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا مَا عَلَيْهِ قُرَّاءُ الْأَمْصَارِ ، لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنَ الْقُرَّاءِ عَلَيْهِ " (١) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن محمَّد بن علي الواحدي ، النَّيسابوري ، الشَّافعي (٤٦٨هـ) : ﴿إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا﴾ [العنكبوت : ١٧] ، قال ابن عبَّاس : يريد الأصنام التي تتَّخذ من الحجارة والخشب .

﴿وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ﴾ ، قال السدِّي : تقولون كذباً . يعني زعمهم أنَّها آلهة ، ثمَّ ذكر عجز الآلهة عن رزق عابديها ، فقال : ﴿إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا﴾ [العنكبوت : ١٧] ، لا يقدرون أن يرزقوكم ، ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ﴾ [العنكبوت : ١٧] ، فاطلبوا الرِّزق منِّي ، فأنا القادر على ذلك " (٢) .

---

(١) انظر : تفسير الطَّبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) (١٨/ ٣٧٣-٣٧٥) .

(٢) انظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٣/ ٤١٦) .

وقال الإمام أبو المظفَّر ، منصور بن محمَّد بن عبد الجبَّار ابن أحمد المروزى السَّمعاني التَّميمي الحنفي ثمَّ الشَّافعي (٤٨٩هـ) : قَوْله تَعَالَى : ﴿إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا﴾ [العنكبوت : ١٧] ، أَي : أصناماً .

وَقَوله : ﴿وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ﴾ ، أَي : وتصنعون كذباً ، وَقَالَ قَتَادَة : ﴿وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ﴾ ؛ أَي : أصناماً . وسمى الْأَصْنَام إفكاً لأَنَّهم سَمُّوهَا آلِهَة . فَإِن قيل : قد قَالَ : ﴿وَتَخۡلُقُونَ﴾ ، وَقَالَ فِي مَوضِع آخر : ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر : ٣] ، أَي : لَا خَالق غير الله ، فَكيف وَجه التَّوْفِيق بَين الْآيَتَيْنِ ؟ وَالْجَوَاب عَنهُ : أَنَّ الْخلق بِمَعْنى التَّقْدِير هَاهُنَا ، قَالَ الشَّاعِر :

ولأنت تفرى مَا خلقت وَبَعض الْقَوْم يخلق ثمَّ لَا يفرى

وَيُقَال : ﴿وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ﴾ ، أَي : تنحتون الْأَصْنَام بِأَيْدِيكُمْ وتعبدونها . وَحكى أَنَّ بنى حنيفَة اتَّخذُوا صنماً من الخيس – وَهُوَ التَّمْر مَعَ السَّمن – ثمَّ أَنَّه أَصَابَتْهُم مجاعَة فأكلوه ، قَالَ الشَّاعِر :

أكلت حنيفَـة رَبَّهَا زمن التَّفحُّم والمجاعة

لم يحذروا من رَبِّهم سوء العواقب والتباعة

قَوْله تَعَالَى : ﴿إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ﴾ [العنكبوت : ١٧] ، أَي : فَاطْلُبُوا عِنْد الله الرزق " (١) .

وقال الإمام محيي السُّنَّة أبو محمَّد الحسين بن مسعود بن محمَّد بن الفرَّاء البغوي الشَّافعي (٥١٠هـ) : ﴿إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا﴾ [العنكبوت : ١٧] ، أَصْنَاماً ، ﴿ وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ﴾ ، تقولون كذباً ، قال مقاتل : تصنعون أصناماً بأيديكم فَتُسَمُّونَهَا آلِهَةً ، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا﴾ [العنكبوت : ١٧] ، لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَرْزُقُوكُمْ ، ﴿فَٱبۡتَغُواْ﴾ ، فَاطْلُبُوا ، ﴿عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [العنكبوت : ١٧] " (٢) .

وقال الإمام أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزَّمخشري جار الله (٥٣٨هـ) : " ... والمعنى : أنَّهم آثروا على عبادة الله سبحانه عبادة آلهة لا عجز أبين من عجزهم ، لا يقدرون على شيء من أفعال الله ولا من أفعال

(١) انظر : تفسير القرآن (٤/ ١٧٣) .

(٢) انظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (٣/ ٥٥٣) .

العباد ، حيث لا يفتعلون شيئاً وهم يفتعلون ، لأنَّ عبدتهم يصنعونهم بالنَّحت والتَّصوير ، وَلا يَمْلِكُونَ ، أي : لا يستطيعون لأنفسهم دفع ضرر عنها أو جلب نفع إليها وهم يستطيعون ، وإذا عجزوا عن الافتعال ودفع الضَّرر وجلب النَّفع التي يقدر عليها العباد كانوا عن الموت والحياة والنُّشور التي لا يقدر عليها إلَّا الله أعجز " (١) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التَّيمي الرَّازي الملقَّب بفخر الدِّين الرَّازي خطيب الرّي (٦٠٦هـ) : " ذَكَرَ بُطْلَانَ مَذْهَبِهِمْ بِأَبْلَغِ الْوُجُوهِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَعْبُودَ إِنَّمَا يُعْبَدُ لِأَحَدِ أُمُورٍ ، أَمَّا لِكَوْنِهِ مُسْتَحِقّاً لِلْعِبَادَةِ بِذَاتِهِ كَالْعَبْدِ يَخْدُمُ سَيِّدَهُ الَّذِي اشْتَرَاهُ سَوَاءٌ أَطْعَمَهُ مِنَ الْجُوعِ أَوْ مَنَعَهُ مِنَ الْهُجُوعِ ، وأَمَّا لِكَوْنِهِ نَافِعاً فِي الْحَالِ كَمَنْ يَخْدُمُ غَيْرَهُ لِخَيْرٍ يُوصِّلُهُ إِلَيْهِ كَالْمُسْتَخْدِمِ بِأُجْرَةٍ ، وأَمَّا لِكَوْنِهِ نَافِعاً فِي الْمُسْتَقْبَلِ كَمَنْ يَخْدُمُ غَيْرَهُ مُتَوَقِّعاً مِنْهُ أَمْراً فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، وأَمَّا لِكَوْنِهِ خَائِفاً مِنْهُ . فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثاناً إِشَارَةً إِلى أَنَّهَا لَا تَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ لِذَاتِهَا لِكَوْنِهَا أَوْثَاناً لَا شَرَفَ لَهَا .

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[العنكبوت : ١٧] .

إِشَارَةٌ إلى عَدَمِ الْمَنْفَعَةِ فِي الْحَالِ وَفِي الْمَآلِ ، وَهَذَا لِأَنَّ النَّفْعَ ، أَمَّا فِي الْوُجُودِ ، وأَمَّا فِي الْبَقَاءِ لَكِنْ لَيْسَ مِنْهُمْ نَفْعٌ فِي الْوُجُودِ ، لِأَنَّ وَجُودَهُمْ مِنْكُمْ حَيْثُ تَخْلُقُونَهَا وَتَنْحِتُونَهَا ، وَلَا نَفْعَ فِي الْبَقَاءِ لِأَنَّ ذَلِكَ بِالرِّزْقِ ، وَلَيْسَ مِنْهُمْ ذَلِكَ ، ثمَّ بَيَّنَ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ حَاصِلٌ مِنَ اللهِ ، فَقَالَ : ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ ، فَقَوْلُهُ : ﴿ٱللَّهِ﴾ ، إِشَارَةٌ إلى اسْتِحْقَاقِ عُبُودِيَّتِهِ لِذَاتِهِ . وَقَوْلُهُ : الرِّزْقَ إِشَارَةٌ إلى حُصُولِ النَّفْعِ مِنْهُ عَاجِلاً وَآجِلاً " (٢) .

والنَّاظر المدقِّق في الآيات السَّابقة وفيما قاله أهل العلم في تفسيرها ، يجد أنَّها نزلت في المشركين عبَّاد الأصنام الذين جعلوا أصنامهم آلهة آمنوا بها وعبدوها وقرَّبوا لها القرابين ، وبالتَّالي فمن الظُّلم والإجحاف أن نطبِّقها على المتوسِّلين من المؤمنين الموحِّدين ، فإنزالهم لها على المؤمنين هو تماماً كصنيع الخوارج في السَّابق حيث

(١) انظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٢٦٣) .

(٢) انظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (٢٥/ ٣٨-٣٩) .

الآيات التي نزلت في المشركين فجعلوها في المؤمنين . فقد روى البخاري وغيره عن ابن عمر أنَّه قال عن الخوارج : " أنَّهم انْطَلَقُوا إلى آيَاتٍ نَزَلَتْ فِي الكُفَّارِ ، فَجَعَلُوهَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ " (١) .

فالآيات السَّابقة لا علاقة لها بالمؤمنين الموحِّدين البتة ، لأنَّ الأصل في إيمانهم بالله تعالى أن لا تشوبه شائبة ، فهم وإن توسَّلوا إلى الله تعالى بنبيٍّ أو وليٍّ ... يؤمنون :

أوَّلاً : أنَّ التَّوسُّل هو أحد طرق الدُّعاء ، وباب من أبواب التَّوجُّه إلى الله سبحانه وتعالى ، فالمقصود الأصلي الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى ، والمتوسَّل به إنَّما هو واسطة ووسيلة للتَّقرُّب إلى الله سبحانه وتعالى ، ومن اعتقد غير ذلك فقد أشرك .

ثانياً : أنَّ المتوسِّل ما توسَّل بهذه الواسطة إلَّا لمحبَّته لها ، واعتقاده أنَّ الله سبحانه وتعالى يحبُّها ، ولو ظهر خلاف ذلك لكان أبعد النَّاس عنها وأشد النَّاس كراهة لها .

ثالثاً : أنَّ المتوسِّل لو اعتقد أنَّ من توسَّل به إلى الله ينفع ويضر بنفسه مثل الله أو دونه فقد أشرك .

رابعاً : أنَّ التَّوسُّل ليس أمراً لازماً أو ضروريَّاً ، وليست الإجابة متوقِّفة عليه ، بل الأصل دعاء الله تعالى مطلقاً ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ١٨٦] ، وكما قال تعالى :﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء : ١١٠ ] " (٢) .

وعليه ، فيجب أن لا يغيب عن أذهاننا أنَّ الله تعالى هو وحده المسؤول ، لا فاعل في الوجود إلَّا هو ، ولا خالق ولا رازق سواه ، وإنَّما يسأله المؤمنون بوسيلة محبوبة لديه ، من دعاء صالح ، أو عمل صالح ، أو جاه نبي ... فإنَّ للأنبياء والأولياء عند الله تعالى قدرٌ عليٌّ ، ومرتبة رفيعة ، وجاه عظيم ، لا يزول بالانتقال من دار الدُّنيا إلى دار البرزخ ، ولذلك فإنَّ البون واسع بين من يدعو اللات أو هُبل ... وبين من يدعو الله تعالى وحده بوسيلة محبَّبة لديه من نبي أو ولي ، لأنَّه سبحانه وتعالى الضارُّ النَّافع ، والمقدِّم والمؤخِّر ، ربُّ كلّ شيء ومليكة ، لا إله إلَّا هو ، ولا ربَّ سواه ... فالآيات السَّابقة كلُّها نزلت في الكفرة والمشركين الذين اتَّخذوا من دون الله تعالى آلهة أشركوهم مع الله تعالى ، في الوقت الذي لم نجد فيه مؤمناً عبد نبيَّاً أو وليَّاً أو دعاه استقلالاً من دون الله تعالى . فدعاء المشركين لأصنامهم التي عبدوها من دون الله تعالى دعاء تعبُّد وخضوع وخنوع وتذلُّل واعتقاد الضرِّ

(١) انظر : صحيح البخاري (٩/ ١٦) .

(٢) انظر : مفاهيم يجب أن تصحح (ص١١٦) .

والنَّفع فيهم ومن جهتهم ، وتوسُّل المؤمنين دعاء إلى الله تعالى بتقديم وسيلة محبَّبة لديه نتوسَّل إليه بها ، لا يعتقد المتوسِّل فيها النَّفع والضُّر لنفسها فضلاً عن غيرها . ولذلك فمن الإجحاف والظُّلم الشَّنيع أن نعمِّم ما يصدر عن بعض الجهلة فنجعله حُكماً يعمُّ جميع الموحِّدين ، عالمين ومتعلِّمين ، وجهَّال وأمِّيِّين ، كما فعل مدَّعو السَّلفيَّة الذين كفَّروا أمَّة محمَّد !!! علماء وغير علماء ، ولم يستثنوا من التَّكفير إلَّا من كان على منهجهم وشاكلتهم ، – كما ستجد في هذا الكتاب – بل أنَّهم بتكفيرهم كلَّ من نادى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بـ (يا محمَّد) كفَّروا الإمام ابن تيمية ، لأنَّه أورد الأثر الذي رواه غير واحد من العلماء بسندهم عَنْ عَبْدِ الرَّحمن بْنِ سَعْدٍ ، قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ فَخَدِرَتْ رِجْلُهُ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحمن مَا لِرَجْلِكَ ؟ قَالَ : اجْتَمَعَ عَصَبُهَا مِنْ هَاهُنَا ، قَالَ : قُلْتُ : ادْعُ أَحَبَّ النَّاس إِلَيْكَ ، قَالَ : يَا محمَّد ، فَبَسَطَهَا " [1] .

والأثر ذكره الإمام تقي الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمَّد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدِّمشقي (٧٢٨هـ) في كتابه [2] ، ولم يعقِّب عليه بشيء ، بل إنَّ مجرَّد ذكره له في كتاب سمَّاه بـ ( الكلم الطيِّب) هو استحسان له ، فهل يستحسن الإمام ابن تيمية الكفر ؟!! وما حكم من استحسن الكفر ؟!!! نبِّئوني بعلم إن كنتم صادقين ...

ولذلك وجدنا من يدَّعون السَّلفيَّة في حيص بيص أمام هذه المعضلة التي أقضَّت مضاجعهم ، وما كان منهم إلَّا أن استجابوا لشياطين الإنس والجن فعمدوا إلى شطبها من أصلها ، حيث شطبوا (ياء النِّداء) من الرِّواية ، وذلك في كتاب " الأدب المفرد " الذي حقَّقه : سمير بن أمين الزّهيري ، مكتبة المعارف للنَّشر والتَّوزيع ، الرّياض ، (الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م) " ، كما تمَّ شطبها من نسخة " الكلم الطيِّب " الموجودة في المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ، والتي حقَّقها السيد الجميلي ، وكذا حذفت من نسخة " الوابل الصيِّب من الكلم الطيِّب " ، لمحمد بن أبي بكر بن أيُّوب بن سعد شمس الدِّين ابن قيِّم الجوزيَّة ، (ص٢٠٤) ، تحقيق : محمَّد عبد الرَّحمن عوض دار الكتاب العربي ، بيروت ، (الطبعة : الأولى ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م) ، وكذا تمَّ حذفها من نسخة

---

[1] انظر : الطبقات الكبير ، محمَّد بن سعد (٤/ ١٤٤ برقم ٥١٢١) ، مسند ابن الجعد (ص٣٦٩ برقم ٢٥٣٩) ، الأدب المفرد (ص٤٤١ برقم ٨٦٤) ، غريب الحديث ، إبراهيم بن إسحاق الحربي(٢/ ٦٧٣)، عمل اليوم والليلة سلوك النَّبي مع ربه عزَّ وجلَّ ومعاشرته مع العباد (ص١٤٢ برقم ١٧٢) ...

[2] الكلم الطيب ، (ص٩٦) ، تحقيق : الدكتور السيد الجميلي ، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٧٨م .

عمل اليوم والليلة سلوك النَّبي مع ربِّه عزَّ وجلَّ ومعاشرته مع العباد ، لأحمد بن محمَّد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط بن عبد الله بن إبراهيم بن بُدَيْح ، الدِّيْنَوَريُّ ، المعروف بـ ابن السُّنِّي ، (ص١٤١) ، تحقيق : كوثر البرني ، دار القبلة للثَّقافة الإسلاميّة ومؤسسة علوم القرآن ، جدَّة ، بيروت ... انظر تلاعبهم وعبثهم المتقدِّم في المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ...

## الفَصْلُ السَّابعُ

## تَكْفِيْرُ مُدَّعِي السَّلفيَّة للمُتَوَسِّلِيْن

لقد تمادى مدَّعو السَّلفيَّة في تكفيرهم لعموم الأمَّة المحمَّديَّة ... ومن تكفيرهم لعموم الأمَّة : تكفيرهم المتوسِّلين إلى الله تعالى بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وكذا بالأولياء والصَّالحين ، فتراهم يكفِّرون كلَّ من قال : اللهمَّ إني أتوسَّل إليك وأسألك بجاه أو بحقِّ حبيبك محمَّد أن تقبل توبتي وحوبتي ... فهذا عندهم كافر حلال الدَّم ، يستحقُّ القتل ، وقد طبَّقه ابن عبد الوهَّاب وترجمه عمليَّاً هو ومن معه من أتباعه الرِّعاع الهمج ، فاستحلُّوا دماء المسلمين ، فقتلوا عشرات الآلاف من الموحِّدين ، وأُريقت دماؤهم في أطهر البقاع : أرض الحرمين الشَّريفين وغيرها من بلاد المسلمين ، وقد أرَّخ وسطَّر تلك الجرائم مؤرِّخهم : عثمان بن عبدالله بن بشر النَّجدي الحنبلي ، في كتابه : " عنوان المجد في تاريخ نجد " ، وذكر فيه ما يندى له الجبين ، وتبكي منه العيون ، وتقشعرُّ له الجلود والأبدان ، وتشمئزُّ منه النُّفوس ، وترتعد له القلوب ، تلكم الجرائم الشَّنيعة ، والأعمال الفظيعة التي ارتكبت باسم المحافظة على التَّوحيد الذي لا يعرفون منه إلَّا اسمه ، وما زال هذا ديدنهم ودينهم في كلِّ أرض وطأتها أقدامهم ، فكفَّروا عموم الأمَّة المحمَّديَّة ، وأراقوا دماء المؤمنين الموحِّدين ، وَسَبَوا نسائهم ، وسلبوا أموالهم ، وخرَّبوا ديارهم ...

لقد بعثوا من جديد ما دفنه العلماء في القرن الثَّامن من المسائل التي خالف فيها من نعتوه بشيخ الإسلام عموم الأمَّة المحمَّدية ، بعد أن أقاموا عليه الحجَّة والبرهان ، وأودعوه السِّجن إلى أن مات فيه ، ومن ضمن تلك المسائل التي خالف فيها ابن تيمية عموم الأمَّة : مسألة التَّوسُّل إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين ...

فقد أنكر ابن تيمية التَّوسُّل إلى الله تعالى بالأنبياء وكذا بعباد الله الصَّالحين ، وجاء بما لم يسبقه إليه أحد من العالمين ، ولم يرعوي لما ساقه علماء الأمَّة من أدلَّة ناصعة دامغة لجواز التَّوسُّل بهم صلوات الله وسلامه عليهم ، ومن ضمن ما أنكر : استشهادهم واستدلالهم على التَّوسُّل إلى الله تعالى بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] ...

قال تقي الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (٧٢٨هـ) : " وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَأَوَّلُ قَوْله تَعَالَى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا

رَّحِيــمًا﴾ [النساء : ٦٤] ، وَيَقُولُونَ : إذَا طَلَبْنَا مِنْهُ الِاسْتِغْفَارَ بَعْدَ مَوْتِهِ كُنَّا بِمَنْزِلَةِ الَّذِينَ طَلَبُوا الِاسْتِغْفَارَ مِنْ الصَّحابة ، وَيُخَالِفُونَ بِذَلِكَ إجْمَاعَ الصَّحابة وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانِ وَسَائِرَ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّ أَحداً مِنْهُمْ لَمْ يَطْلُبْ مِنْ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بَعْدَ مَوْتِهِ أَنْ يَشْفَعَ لَهُ ، وَلَا سَأَلَهُ شَيْئاً ، وَلَا ذَكَرَ ذَلِكَ أَحَدٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ فِي كُتُبِهِمْ " (١) .

فابن تيمية يزعم أنَّ من استشهد بالآية على التَّوسُّل مخالف للجمهور ، مع أنَّ الجمهور – كما رأيت في هذا الكتاب – استدلَّ بالآية على التَّوسُّل ، وأنَّهم ذكروا الآية الكريمة عند زيارتهم لسيِّدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في مختلف الأعصار ، فدعوى ابن تيمية داحضة وباطلة ، وهذا هو ديدنه في كلِّ شيء أراد تمريره على الرّعاع الهمج من أتباعه ، فإنه يلصق ما قاله بالسَّلف الصَّالح زوراً وعدواناً ...

وقال ابن تيمية : " وأَمَّا الزِّيَارَةُ الْبِدْعِيَّةُ فَهِيَ الَّتِي يُقْصَدُ بِهَا أَنْ يُطْلَبَ مِنْ الْمَيِّتِ الْحَوَائِجُ أَوْ يُطْلَبَ مِنْهُ الدُّعاء وَالشَّفَاعَةُ أَوْ يُقْصَدُ الدُّعاء عِنْدَ قَبْرِهِ لِظَنِّ الْقَاصِدِ أَنَّ ذَلِكَ أجوب لِلدُّعَاءِ . فَالزِّيَارَةُ عَلَى هَذِهِ الْوُجُوهِ كُلِّهَا مُبْتَدَعَةٌ لَمْ يَشْرَعْهَا النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وَلَا فَعَلَهَا الصَّحابة لَا عِنْدَ قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وَلَا عِنْدَ غَيْرِهِ وَهِيَ مِنْ جِنْسِ الشِّرك وَأَسْبَابِ الشِّرك " (٢) .

وقال أيضاً : " وأَمَّا الزِّيارة المبتدعة التي هي من جنس زيادة المشركين فمقصودهم بها طلب الحوائج من الميِّت أو الغائب " (٣) .

وقال أيضاً : " وَلِهَذَا لما ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ الدُّعاء فِي الِاسْتِسْقَاءِ وَغَيْرِهِ ذَكَرُوا الصَّلاة عَلَيْهِ لَمْ يَذْكُرُوا فِيمَا شَرَعَ لِلْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْحَالِ التَّوسُّل بِهِ ، كَمَا لَمْ يَذْكُرْ أَحَدٌ مِنْ الْعُلَمَاءِ دُعَاءَ غَيْرِ اللهِّ وَالِاسْتِعَانَةَ الْمُطْلَقَةَ بِغَيْرِهِ فِي حَالٍ مِنْ الْأَحْوَالِ " (٤) .

هذا ما قاله ابن تيمية ، وهو فيما قال يُنكر أن يكون أحد من العلماء قال بالتَّوسُّل في حال من الأحوال ، وقد تناقض مع نفسه في هذه المسألة ، فقال في موضع آخر من مجموع الفتاوى : " وَلِذَلِكَ قَالَ أَحْمَدُ فِي مَنْسِكِهِ الَّذِي كَتَبَهُ للمروذي صَاحِبِهِ : أَنَّه يُتَوَسَّلُ بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي دُعَائِهِ ؛ وَلَكِنْ غَيْرُ أَحْمَدَ قَالَ : إنَّ هَذَا

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١/ ١٥٩) ، قاعدة جليلة في التَّوسُّل والوسيلة (ص٢٤) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (١/ ١٦٦) ، قاعدة جليلة في التَّوسُّل والوسيلة (ص٣٤-٣٥) .

(٣) انظر : الرد على المنطقيين (ص٥٣٦) .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى (١/ ٣٤٦) ، قاعدة جليلة في التَّوسُّل والوسيلة (ص٣٠٩) .

إِقْسَامٌ عَلَى اللهَّ بِهِ وَلَا يُقْسَمُ عَلَى اللهَّ بِمَخْلُوقٍ ، وَأَحْمَدُ فِي إِحْدَى الرِّوَايَتَيْنِ قَدْ جَوَّزَ الْقَسَمَ بِهِ فَلِذَلِكَ جَوَّزَ التَّوسُّل بِهِ " (١) .

ومع ما نقله عن الإمام أحمد من تجويزه للتوسُّل فقد زعم ابن تيمية أنَّ التَّوسُّل بالأنبياء والصَّالحين بعد موتهم عند قبورهم من أعظم أنواع الشِّرك !!! فقال : " فَهَذِهِ الْأَنْوَاعُ مِنْ خِطَابِ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ والصَّالحين بَعْدَ مَوْتِهِمْ عِنْدَ قُبُورِهِمْ وَفِي مَغِيبِهِمْ وَخِطَابِ تَمَاثِيلِهِمْ ، هُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ الشِّرك الْمَوْجُودِ فِي الْمُشْرِكِينَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ ، وَفِي مُبْتَدِعَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ أَحْدَثُوا مِنْ الشِّرك وَالْعِبَادَاتِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ الله تَعَالَى " (٢) .

فابن تيمية الذي سُجن بإجماع من حضر من علماء الأمَّة بسبب شذوذه وطاماته وأوابده التي ما سبقه إليها أحدٌ من العالمين ، ومات في السُّجن ... يَعتبر ويُصرِّح بأنَّ التَّوسُّل إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين من أعظم أنواع الشِّرك ، وأنَّه – أي التَّوسُّل – من العبادات المستحدثة المبتدعة التي لم يأذن بها الله ...

وهو بهذا يجعل المتوسِّلين بل يجعل عموم الأمَّة من أولئك المشركين الذين استحدثوا وابتدعوا من العبادات التي لم يأذن بها الله تعالى ... وكلامه هذا يصبُّ في مصبِّ : " رمتني بدائها وانسلَّت " ، لأنَّ ابن تيمية هو من قال وابتدع في العقيدة !!! أقوالاً لا ولم يأذن بها الله تعالى ، بل هي من الطامات العقديَّة التي هي من بنات أفكاره ، أخذ بعضها من سموم الفلاسفة وتبنَّاها ، وتابعه عليها من يدَّعون السَّلفيَّة في أيامنا هذه ، وقد ذكر طاماته العقدية وغير العقدية غير واحد من العلماء ، ومن ذلك :

قال الإمام أبو الحسن تقي الدِّين علي بن عبد الكافي السُّبكي (٧٥٦هـ) : " ... وَهَذَا الرَّجُلُ كُنْت رَدَدْت عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ فِي إنْكَارِهِ السَّفَرَ لِزِيَارَةِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَفِي إنْكَارِهِ وُقُوعَ الطَّلَاقِ إذَا حُلِفَ بِهِ ، ثمَّ ظَهَرَ لِي مِنْ حَالِهِ مَا يَقْتَضِي أَنَّه لَيْسَ مِمَّنْ يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي نَقْلٍ يَنْفَرِدُ بِهِ لِمُسَارَعَتِهِ إلى النَّقْلِ لِفَهْمِهِ ، كَمَا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ ، وَلَا فِي بَحْثٍ يُنْشِئُهُ لِخَلْطِهِ الْمَقْصُودَ بِغَيْرِهِ وَخُرُوجِهِ عَنْ الْحَدِّ جِدّاً ، وَهُوَ كَانَ مُكْثِراً مِنْ الْحِفْظِ ، وَلَمْ يَتَهَذَّبْ بِشَيْخٍ ، وَلَمْ يُرْتَضْ فِي الْعُلُومِ ، بَلْ يَأْخُذُهَا بِذِهْنِهِ مَعَ جَسَارَتِهِ وَاتِّسَاعِ خَيَالٍ وَشَغَبٍ كَثِيرٍ ، ثمَّ بَلَغَنِي مِنْ حَالِهِ مَا يَقْتَضِي الْإِعْرَاضَ عَنْ النَّظَرِ فِي كَلَامِهِ جُمْلَةً .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١/ ١٤٠) ، الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٢/ ٤٢٢) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (١/ ١٥٩) ، قاعدة جليلة في التَّوسُّل والوسيلة (ص٢٥) .

وَكَانَ النَّاس فِي حَيَاتِهِ اُبْتُلُوا بِالْكَلَامِ مَعَهُ لِلرَّدِّ عَلَيْهِ ، وَحُبِسَ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ وَوُلَاةِ الْأُمُورِ عَلَى ذَلِكَ ثمَّ مَاتَ " (١) .

وجاء في الفتاوى الحديثيَّة للإمام أحمد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السَّعدي الأنصاري ، شهاب الدِّين شيخ الإسلام ، أبو العبَّاس (٩٧٤هـ) : " وَسُئِلَ نفع الله بِهِ بِمَا لَفظه : لِابْنِ تَيْمِية اعْتِرَاض على متأخري الصُّوفِيَّة ، وَله خوارق فِي الْفِقْه وَالْأُصُول فَمَا مُحَصل ذَلِك ؟ فَأجَاب بقوله : ابْن تَيْمِية عبد خذله الله وأضلَّه وأعماه وأصمه وأذلَّه ، وَبِذَلِك صرح الْأَئِمَّة الَّذين بيَّنوا فَسَاد أَحْوَاله وَكذب أَقْوَاله ، وَمن أَرَادَ ذَلِك فَعَلَيهِ بمطالعة كَلَام الإِمَام الْمُجْتَهد الْمُتَّفق على إِمَامَته وجلالته وبلوغه مرتبَة الِاجْتِهَاد أبي الْحسن السُّبكي ، وَولده التَّاج ، والشَّيخ الإِمَام الْعِزّ بن جمَاعَة وَأهل عصرهم ، وَغَيرهم من الشَّافِعِيَّة ، والمالكية ، وَالْحَنَفِيَّة ، وَلم يقصر اعتراضه على متأخري الصُّوفِيَّة بل اعْترض على مثل عمر بن الْخطاب وَعلي بن أبي طَالب رَضِي الله عَنْهُمَا كَمَا يَأْتِي . وَالْحَاصِل أنْ لَا يُقَام لكَلَامه وزن ، بل يَرْمِي فِي كلّ وَعْر وحَزَن ، ويعتقد فِيهِ أَنَّه مُبْتَدعٌ ضالٌّ ومُضِلٌّ جَاهِلٌ غال عَامله الله بعدله ، وأجازنا من مثل طَرِيقَته وعقيدته وَفعله آمين .

وَحَاصِل مَا أُشير إِلَيْهِ فِي السُّؤَال أَنَّه قَالَ فِي بعض كَلَامه : إِنَّ فِي كتب الصُّوفِيَّة مَا هُوَ مَبْنِيّ على أصُول الفلاسفة الْمُخَالفين لدين الْمُسلمين فيتلقى ذَلِك بِالْقبُولِ مَنْ يطالع فِيهَا من غير أَنْ يعرف حَقِيقَتهَا ، كدعوى أحدهم أَنَّه مُطلَّع على اللَّوْح الْمَحْفُوظ ، فَإِنَّهُ عِنْد الفلاسفة كَابْن سينا وَأَتْبَاعه النَّفس الفلكية ، وَيَزْعُم أَن نفوس الْبشر تتصل بِالنَّفسِ الفلكية ، أَو بِالْعقلِ الفعَّال يقظة أَو مناماً ، وهم يدّعون أَن مَا يحصل من المكاشفة يقظة أَو مناماً هُوَ بِسَبَب اتصالها بِالنَّفسِ الفلكية عِنْدهم ، وَهِي سَبَب حُدُوث الْحَوَادِث فِي الْعَالم فَإِذا اتَّصلت بهَا نفس الْبشر استنقش فِيهَا مَا كَانَ فِي النَّفس الفلكية ، وَهَذِه الْأُمُور لم يذكرهَا قدماء الفلاسفة وإِنَّما ذكرهَا ابْن سينا ، وَمن يتلَقَّى عَنهُ ، وَيُوجد من ذَلِك فِي بعض كَلَام أبي حَامِد ، وَكَلَام ابْن عَرَبِيّ ، وَابْن سبعين وأمثال هَؤُلَاءِ تكلمُوا فِي التَّصوُّف ، والحقيقة على قَاعِدَة الفلاسفة لَا على أصُول الْمُسلمين ، وَلَقَد خَرجُوا بذلك إلى الْإِلْحَاد كإلحاد الشِّيعَة ، والإسماعيليَّة ، والقرامطة ، والباطنيَّة ، بِخِلَاف عُبَّاد أهل السُّنَّة والْحَدِيث ومتصوفتهم ، كالفُضَيْل وَسَائِر رجال الرسَالَة ، وَهَؤُلَاء أعظم النَّاس إنكاراً لطرق مَنْ هم خيرٌ من الفلاسفة كالمعتزلة والكرَّاميَّة فَكيف بالفلاسفة .

---

(١) انظر : فتاوى السُّبكي (٢/ ٢١٠) .

وَأهل التَّصوُّف ثَلَاثَة أَصْنَاف : قوم على مَذْهَب أهل الحَدِيث وَالسُّنَّة كهؤلاء الْمَذْكُورين ، وَقوم على طَرِيقَة بعض أهل الْكَلَام من الكرامية وَغَيرهم ، وَقوم خَرجُوا إلى طَرِيق الفلسفة مثل مَسْلك من سَلَك رسائل إخْوَان الصَّفَا ، وَقطعَة تُوجد فِي كَلَام أبي حَيَّان التوحيدي ، وأَمَّا ابْن عَرَبِيّ وَابْن سبعين وَنَحْوهمَا فَجَاءُوا بِقطع فلسفيَّة غيروا عبارتها وأخرجوها فِي قالب التَّصوُّف ، وَابْن سينا تكلم فِي آخر الإرشادات على مقَام العارفين بِحَسب مَا يَلِيق بِحَالِهِ ، وَكَذَا مُعظم من لم يعرف الحَقَائِق الإيمانيَّة . وَالْغَزالِيّ ذكر شَيْئاً من ذَلِك فِي بعض كتبه لَا سِيمَا فِي الْكتاب المضْنُون بِهِ على غير أَهله ، ومشكاة الْأَنْوَار وَنَحْو ذَلِك ، حَتَّى ادّعى صَاحبه أَبُو بكر بن الْعَرَبِيّ ، فَقَالَ : شَيخنَا دخل فِي نظر الفلاسفة ، وَأَرَادَ أَن يخرج مِنْهُم فَمَا قدر ، لَكِن أَبُو حَامِد يكفِّر الفلاسفة فِي غير مَوضِع وبَيَّن فَسَاد طريقتهم ، وأنَّهَا لَا تحصِّل الْمَقْصُود واشتغل فِي آخر عمره بالبخاري وَمَات على ذَلِك ، وَقيل أَنَّه رَجَعَ عَن تِلْكَ الْكتب ، وَمِنْهُم مَنْ يَقُول أَنَّهَا مكذوبة عَلَيْهِ ، وَكثر كَلَام النَّاس فِيهَا لأَجلهَا ، كالمازري ، والطَّرطوشي ، وَابْن الجَوْزِيّ ، وَابْن عقيل ، وَغَيرهم . انْتهى حَاصِل كَلَام ابْن تَيْمِية .

وَهُوَ يُنَاسب مَا كَانَ عَلَيْهِ من سوء الإعتقاد حَتَّى فِي أَكَابِر الصَّحابة ومنْ بعدهمْ إلى أهل عصره ، وَرُبمَا أَدَّاهُ اعْتِقَاده ذَلِك إلى تَبْدِيع كثير مِنْهُم . وَمن جملَة مَنْ تتبَّعه الْوَلِيّ القطب الْعَارِف أَبُو الحسن الشَّاذلي نفعنا الله بِعُلُومِهِ ومعارفه فِي حزبه الْكَبِير وحزب الْبَحْر وَقطعَة من كَلَامه ، كَمَا تتبَّع ابنَ عَرَبِيّ ، وابنَ الفارض ، وابنَ سبعين ، وتتبع أَيْضاً الحلاَّج الْحُسَيْن بن مَنْصُور ، وَلَا زَالَ يتتبع الأكابر حَتَّى تمالأ عَلَيْهِ أهل عصره ففسَّقوه ، وبدّعوة بل كَفَّره كثير مِنْهُم ، وَقد كتب إِلَيْهِ بعض أجلاء أهل عصره علماً وَمَعْرِفَة سنة خمس وَسَبْعمائة مِنْ فلَان إلى الشَّيخ الْكَبِير الْعَالم إِمَام أهل عصره بِزَعْمِهِ ، أَمَّا بعد فَإنَّا أَحْبَبْنَاك فِي الله زَمَاناً ، وأعرضنا عَمَّا يُقَال فِيك إِعْرَاض الفَضْل إحساناً ، إلى أَن ظهر لنا خلاف مُوجبَات الْمحبَّة بِحكم مَا يَقْتَضِيهِ الْعقل والحس ، وَهل يَشُكُّ فِي اللَّيْل عَاقل إِذا غربت الشَّمْس ، وَأَنَّك أظهرتَ أَنَّك قَائِم بِالْأَمر بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْي عَن الْمُنكر ، وَالله أعلم بقصدك ونيتك ، ولكنَّ الْإِخْلَاص مَعَ الْعَمَل ينْتج ظُهُور الْقبُول ، وَمَا رَأينَا آل أَمرك إِلَّا إلى هتك الأستار والأعراض ، بِاتِّبَاع من لَا يوثق بقوله مِنْ أهل الْأَهْوَاء والأغراض ، فَهُوَ سَائِر زُمانِه يَسُبُّ الْأَوْصَاف والذَّوات ، وَلم يقنع بِسَبِّ الْأَحْيَاء ، حَتَّى حكم بتكفير الْأَمْوَات وَلم يكْفِه التَّعرُّض على من تَأَخّر من صالحي السَّلف، حَتَّى تعدى إلى الصَّدْر الأَوَّل ، وَمن لَهُ أَعلَى الْمَرَاتِب فِي الْفضل فيا وَيْح مَنْ هَؤُلَاءِ خُصماؤه يَوْم الْقِيَامَة ، وهيهات أنْ لَا يَنَالهُ غضب ، وأَنيَّ لَهُ بالسلامة ، وكنتُ مِمَّن سَمعه وَهُوَ على مِنْبَر جَامع الْجَبَل بالصالحية ، وَقد ذكر عمر بن الْخطاب رَضِي الله عَنهُ فَقَالَ : إِنَّ عمر لَهُ غلطات وبَليَّات وأيَّ بليات !!!

وَأخْبر عَنهُ بعض السَّلف أَنَّه ذكر عَليّ بن أبي طَالب رَضِي الله عَنهُ فِي مجْلِس آخر فَقَالَ : إِنَّ علياً أَخطَأ فِي أَكثر من ثَلَاثمِائَة مَكَان ، فيا لَيْت شعري من أَيْن يحصل لَك الصَّوَاب ؟ إِذا أَخطَأ عليّ بزعمك كرم الله وَجهه وَعمر بن الْخطاب . والآن قد بلغ هَذَا الْحَال إِلى منتهاه ، وَالْأَمر إِلى مُقْتَضَاهُ ، ولاينفعني إِلَّا الْقيام فِي أَمرك وَدفع شرِّك ، لِأَنَّك قد أفرطْتَ فِي الغيُّ ، وَوصل أذاك إِلى كل ميت وَحي ، وتلزمني الْغيرَة شرعاً لله وَلِرَسُولِهِ ، وَيلْزم ذَلِك جَمِيع الْمُؤمنِينَ وَسَائِر عباد الله الْمُسلمين بِحكم مَا يَقُوله الْعلمَاء ، وهم أهل الشَّرع وأرباب السَّيْف الَّذين بهم الوصْل وَالْقطع ، إِلى أَن يحصل مِنْك الكَّفُ عَن أَعْرَاض الصَّالحين رَضِي الله عَنْهُم أَجْمَعِينَ اه.

واعْلم أَنَّه خَالف النَّاس فِي مسَائِل نبه عَلَيْهَا التَّاج السُّبكي وَغَيره . فمَّما خرق فِيهِ الْإِجْمَاع قَوْله فِي : عليَّ الطَّلَاق أَنَّه لَا يَقع عَلَيْهِ بل عَلَيْهِ كَفَّارَة يَمِين ، وَلم يقل بِالْكَفَّارَةِ أحد من الْمُسلمين قبله ، وَأَنَّ طَلَاق الْحَائِض لَا يَقع ، وَكَذَا الطَّلَاق فِي طُهْر جَامع فِيهِ ، وَأَنَّ الصَّلاة إِذا تركت عمداً لَا يجب قَضَاؤُهَا وَأَنَّ الْحَائِض يُبَاح لَهَا بِالطّوافِ بِالْبَيْتِ وَلَا كَفَّارَة عَلَيْهَا وأن الحائض تطوف في البيت من غير كفارة وهو مباح لها (١) ، وَأَنَّ الطَّلَاق الثَّلَاث يُردُّ إِلى وَاحِدَة ، وَكَانَ هُوَ قبل ادّعائه ذَلِك نقل أجماع الْمُسلمين على خِلَافه ، وَأَنَّ المكوس حَلَال لمن أقطعها ، وأنَّها إِذا أخذت من التجَّار أجزأتهم عَن الزَّكَاة وَإِن لم تكن باسم الزَّكَاة وَلَا رسمها ، وَأَنَّ الْمَائِعَات لَا تنجس بِمَوْت حَيَوَان فِيهَا كالفأرة ، وَأَنَّ الْجنب يصلى تطوّعه بِاللَّيْلِ وَلَا يُؤَخِّرهُ إِلى أَن يغْتَسل قبل الْفجْر ، وإِنْ كَانَ بِالْبَلَدِ ، وَأَنَّ شَرط الْوَاقِف غير مُعْتَبَر ، بل لَو وقف على الشَّافِعِيَّة صرف إِلى الْحَنَفِيَّة وَبِالْعَكْسِ ، وعَلى الْقُضَاة صُرِف إِلى الصُّوفِيَّة ، فِي أَمْثَال ذَلِك من مسَائِل الْأُصُول مَسْأَلَة الْحسن والقُبْح الْتزم كل مَا يرد عَلَيْهَا ، وَإِنَّ مُخَالف الْإِجْمَاع لَا يكفر وَلَا يفسق ، وَأَنَّ رَبنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُول الظَّالِمُونَ والجاحدون علوّاً كَبِيرا مَحَلُّ الْحَوَادِث تَعَالَى الله عَن ذَلِك وتقدس ، وأَنَّه مُركَّبٌ تفْتَقر ذَاته افتقار الْكل للجزء تَعَالَى الله عَن ذَلِك وتقدس ، وَأَن الْقُرْآن مُحدث فِي ذَات الله تَعَالَى الله عَن ذَلِك، وَأَن الْعَالم قديم بالنوع، وَلم يزل مَعَ الله مخلوقاً دَائِما فَجعله مُوجبا بِالذَّاتِ لَا فَاعِلاً بِالِاخْتِيَارِ تَعَالَى الله عَن ذَلِك ، وَقَوله بِالْجِسْمِّية والجهة والانتقال ، وأَنَّه بقَدَر الْعَرْش لَا أَصْغَرَ وَلَا أكبر تَعَالَى الله عَن هَذَا الافتراء الشنيع الْقَبِيح ، وَالْكفْر البواح الصَّرِيح ، وخذل مُتَّبعيه وشتت شَمْل معتقديه، وَقَالَ : إِنَّ النَّار تفنى ، وَأَنَّ الْأَنْبِيَاء غير معصومين ، وَأَن رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لَا جاه لَهُ وَلَا

(١) انظر : الفتاوى الكبرى ، ابن تيمية الحراني ، (٥/ ٣٢٠) ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٧م ...

يتوسل بِهِ ، وأنَّ إنْشَاء السّفر إِلَيْهِ بِسَبَب الزِّيَارَة مَعْصِيّة لَا تُقصر الصَّلاة فِيهِ ، وسيحرم ذَلِك يَوْم الْحَاجة ماسَّة إلى شَفَاعَته ، وَأَنَّ التَّوْرَاة وَالْإِنْجِيل لم تبدل ألفاظها وإنَّما بدلت معانيها " (١) .

وبسبب متابعة الجهَّال والعوام له ، سارع علماء عصره إلى الرَّدِّ عليه وإبطال دعاويه ، ومحاججته ومناظرته ، فألجموه الحجَّة ، وأقاموا عليه المحجَّة ، ومن هؤلاء الصِّيد الأفذاذ الأساطين : الإمام تقي الدِّين علي ابن عبد الكافي السُّبكي (٧٥٦هـ) ، فقد قال ما نصّه : " أمَّا بعد ، فإنَّه لَّما أحدث ابن تيمية ما أحدث في أصول العقائد ، ونقض من دعائم الإسلام الأركان والمعاقد ، بعد أن كان مستتراً بتبعيَّة الكتاب والسُّنَّة ، مظهراً أنَّه داعٍ إلى الحقّ هادٍ إلى الجنَّة ، فخرج عن الاتباع إلى الابتداع ، وشذَّ عن جماعة المسلمين بمخالفة الإجماع ، وقال بما يقتضي الجسميَّة والتَّركيب في الذَّات المقدَّس ، وأنَّ الافتقار إلى الجزء ليس بمحال ، وقال بحلول الحوادث بذات الله تعالى ، وأنَّ القرآن مُحدَث تكلم الله به بعد أن لم يكن ، وأنَّه يتكلَّم ويسكت ، ويحدث في ذاته الإرادات بحسب المخلوقات ، وتعدَّى في ذلك إلى استلزام قِدَم العالم ، والتزامه بالقول بأنه لا أول للمخلوقات ، فقال بحوادثٍ لا أوَّل لها ، فأثبت الصفة القديمة حادثة ، والمخلوق الحادث قديماً ، ولم يجمع أحد هذين القولين في ملَّة من الملل ولا نِحلة من النحل ، فلم يدخل في فرقة من الفرق الثَّلاث والسَّبعين التي افترقت عليها الأمَّة ، ولا وقفت به مع أُمَّة من الأُمم هِمَّة ، وكل ذلك وإن كان كُفراً شنيعاً مما تَقِلُّ جملته بالنِّسبة لما أحدث في الفروع ، فإنَّ متلقِّي الأصول عنه وفاهم ذلك منه هم الأقلُّون ، والدَّاعي إليه من أصحابه هم الأرذلون ، وإذا حُوقِقوا في ذلك أنكروه ، وفرُّوا منه كما يفرُّون من المكروه ... " (٢) .

وقال عنه الإمام صلاح الدِّين خليل بن أيبك الصَّفدي (٧٦٤هـ) : " انفرد بمسائل غريبة ، ورجَّح فيها أقوالاً ضعيفة عند الجمهورُ معيبة . كاد منها يقع في هُوَّة ، ويسلم منها لما عنده من النيّة المرجوَّة ، والله يعلم قصده ، وما يترجَّح من الأدلَّة عنده ، وما دمَّر عليه شيء كمسألة الزِّيارة ، ولا شنّ عليه مثلها إغارة ، دخل منها إلى القلعة مُعتقَلا ، وجفاه صاحبه وقلا ، وما خرج منها إلَّا على الآلة الحدبا ، ولا درج منها إلَّا إلى البقعة الحدبا " (٣) .

---

(١) انظر : الفتاوى الحديثية (ص١٥٦-١٥٩) .

(٢) انظر : الدرّة المضية في الردِّ على ابن تيمية (ص٩٩-١٠٠) .

(٣) انظر : أعيان العصر وأعوان النصر (١/ ٢٣٥) .

وقال الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) : " واتَّفق الشَّيخ نصر المنبجي كَانَ قد تقدَّم فِي الدَّولة لاعتقاد بيبرس الجاشنكير فِيهِ ، فَبَلغهُ أَنَّ ابْن تَيْمِية يَقع فِي ابْن الْعَرَبِيّ لأَنَّه كَانَ يعْتَقد أَنَّه مُسْتَقِيم ، وَأَنَّ الَّذِي ينْسب إِلَيْهِ من الِاتِّحَاد أَو الْإِلْحَاد من قُصُور فهم من يُنكر عَلَيْهِ ، فَأرْسل يُنكر عَلَيْهِ ، وَكتب إِلَيْهِ كتاباً طَوِيلاً ، وَنسبه وَأَصْحَابه إِلى الِاتِّحَاد الَّذِي هُوَ حَقِيقَة الْإِلْحَاد ، فَعظم ذَلِك عَلَيْهِم وأعانه عَلَيْهِ قوم آخَرُونَ ضبطوا عَلَيْهِ كَلِمَات فِي العقائد مُغيرَة وَقعت مِنْهُ فِي مواعيده وفتاويه ، فَذكرُوا أَنَّه ذكر حَدِيث النُّزُول فَنزل عَن الْمِنْبَر دَرَجَتَيْنِ ، فَقَالَ : كنزولي هَذَا فنسب إِلى التَّجسيم . وردِّه على من توسَّل بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَو اسْتَغَاثَ ، فأشخص من دمشق فِي رَمَضَان سنة خمس وَسَبْعمِائة ، فَجرى عَلَيْهِ مَا جرى وَحبس مرَاراً ، فَأَقَامَ على ذَلِك نَحْو أَربع سِنِين أَو أَكثر وَهُوَ مَعَ ذَلِك يشغل ويفتي إِلى أَن اتَّفق أَنَّ الشَّيخ نصراً قَامَ على الشَّيخ كريم الدِّين الآملي شيخ خانقاه سعيد السُّعَدَاء ، فَأَخْرجهُ من الخانقاه ، وعَلى شمس الدِّين الْجَزرِي ، فَأَخْرجهُ من تدريس الشَّريفيَّة ، فَيُقَال : أَنَّ الآملي دخل الْخلْوَة بِمصْر أَرْبَعِينَ يَوْماً فَلم يخرج حَتَّى زَالَت دولة بيبرس ، وخمل ذكر نصر ، وَأطلق ابْن تَيْمِية إِلى الشَّام ، وافترق النَّاس فِيهِ شيعاً ، فَمنهمْ من نسبه إِلى التَّجسيم لما ذكر فِي العقيدة الحموية والواسطية وَغَيرهمَا من ذَلِك ، كَقَوْلِه : أَنَّ الْيَد ، والقدم ، والسَّاق ، وَالْوَجْه صِفَات حَقِيقِيَّة لله ، وأَنَّه مستوٍ على الْعَرْش بِذَاتِهِ ، فَقيل لَهُ : يلْزم من ذَلِك التحيُّز والانقسام ، فَقَالَ : أَنا لَا أسلم أَنَّ التَّحيُّز والانقسام من خَواص الْأَجْسَام ، فألزم بِأَنَّهُ يَقُول بتحيُّز فِي ذَات الله .

وَمِنْهُم من ينْسبهُ إِلى الزَّندقة لقَوْله : أَنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لَا يُستغاث بِهِ ، وَأَنَّ فِي ذَلِك تنقيصاً ومنعاً من تَعْظِيم النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم . وَكَانَ أَشدّ النَّاس عَلَيْهِ فِي ذَلِك النُّور الْبكْرِيّ ، فَإِنَّهُ لما عقد لَهُ الْمجْلس بِسَبَب ذَلِك ، قَالَ بعض الْحَاضِرين يُعَزّر ، فَقَالَ الْبكْرِيّ : لَا معنى لهَذَا القَوْل ، فَإِنَّهُ إِن كَانَ تنقيصاً يقتل ، وَإِن لم يكن تنقيصاً لَا يُعَزّر .

وَمِنْهُم من ينْسبهُ إِلى النِّفَاق لقَوْله لقَوْله فِي عَليّ مَا تقدَّم ، وَلقَوْله : أَنَّه كَانَ مخذولاً حَيْثُ مَا توجه ، وأَنَّه حاول الْخلَافَة مرَاراً فَلم ينلها ، وإِنَّما قَاتل للرِّئاسة لَا للدِّيانة . وَلقَوْله : أَنَّه كَانَ يحب الرِّئَاسَة ، وَأَن عُثْمَان كَانَ يحب المَال . وَلقَوْله : أَبُو بكر أسلم شَيخاً يدْرِي مَا يَقُول ، وَعليٌّ أسلم صَبيّاً ، وَالصَّبِيُّ لَا يَصحُّ إِسْلَامه على قَول ... " (١) .

(١) انظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١/ ١٨٠-١٨٢) .

وقال الإمام محمَّد بخيت المطيـعي الحنفي (١٣٥٤هـ) مفتي الدِّيار المصريَّة : " ولمَّا أن تظاهر قومٌ في هذا العصر بتقليد ابن تيمية في عقائده الكاسدة ، وتعضيد أقواله الفاسدة ، وبثِّها بين العامَّة والخاصَّة ، واستعانوا على ذلك بطبع كتابه المسمَّى بـ " الواسطيَّة " ونشره ، وقد اشتمل هذا الكتاب على كثيرٍ ممَّا ابتدعه ابن تيمية مخالفاً في ذلك الكتاب والسُّنَّة وجماعة المسلمين ، فأَيقظوا فتنةً كانت نائمة " (١) .

وقال الشَّيخ عبد الرَّحمن خليفة بن فتح الباب الحناوي (١٣٦٤هـ) : " هذه المسائل التي يثيرها اليوم جماعة أنصار السُّنَّة أثيرت قديماً ، وفرغ العلماء من الرَّدِّ عليها ، وهم مُقلِّدون فيها لابن القيِّم وشيخه تقي الدِّين ابن تيمية وطوائف من الحنابلة ، والعجب لهؤلاء يقلِّدون نفراً من العلماء انفردوا بمقالات وآراء وافقوا فيها الحشويَّة والكراميَّة ، وخالفوا فيها جميع المسلمين سلفاً وخلفاً ... " (٢) .

وقال الإمام عبد ربّه بن سليمان بن محمَّد بن سليمان القليوبي الأزهري ( كان حيّاً في عام ١٣٧٧هـ) : " قد عرفت ممَّا قدَّمنا لك أنَّ ابن تيمية هو الذي جمع شتات أقوال الخوارج وغيرهم من الملحدين ودونها رسائل ، وتلقَّاها عنه تلاميذه الذين فُتنوا بحبِّه لنشأتهم على ذلك واستعدادهم له ، ووسعوا فيها الضَّلالات " (٣) .

ومن المعلوم أنَّ ابن تيمية استتابه العلماء مرَّات عديدة ، وكان في كلِّ مرة ينقضُ توبته ، ويتنكَّرُ لعهوده ومواثيقه التي قطعها على نفسه أمام العلماء ، حتى حُكم عليه بالحبس بسبب أقواله الشَّاذَّة ، وهذه إحدى صور استتابته منقولة من خط يده كما هي مسجَّلة في كتاب " نجم المهتدي " ، وعليها توقيع العلماء ونصُّها : " الحمد لله ، الذي أعتقده أنَّ في القرءان معنى قائم بذات الله وهو صفة من صفات ذاته القديمة الأزليَّة وهو غير مخلوق ، وليس بحرف ولا صوت ، وليس هو حالاً في مخلوق أصلاً ولا ورق ولا حبر ولا غير ذلك ، والذي أعتقده في قوله : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه : ٥ ] ، أنَّه على ما قال الجماعة الحاضرون وليس على حقيقته وظاهره ، ولا أعلم كُنه المراد به ، بل لا يعلم ذلك إلَّا الله ، والقول في النُّزول كالقول في الاستواء ، أقول فيه ما أقول فيه لا أعرف كُنه المراد به ، بل لا يعلم ذلك إلَّا الله ، وليس على حقيقته وظاهره كما قال الجماعة الحاضرون ، وكلُّ ما يخالف هذا الاعتقاد فهو باطل ، وكلُّ ما في خطِّي أو لفظي ممَّا يخالف ذلك فهو باطل ، وكلُّ ما في ذلك ممَّا فيه

---

(١) انظر : تطهير الفؤاد من دنس الاعتقاد (ص١٣) .

(٢) انظر : المشبهة والمجسمة (ص١٢-١٣) .

(٣) انظر : فيض الوهَّاب في بيان أهل الحق ومن ضلَّ عن الصواب (١/ ١٤٩) .

إضلال الخلق أو نسبة ما لا يليق بالله إليه فأنا بريء منه ، فقد تبرأت منه وتائب إلى الله من كلِّ ما يخالفه . كتبه أحمد بن تيمية ، وذلك يوم الخميس سادس شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعمائة .

وكلُّ ما كتبته وقلته في هذه الورقـــة فأنا مختار في ذلك غير مُكره . كتبه أحمد بن تيمية حسبنا الله ونعم الوكيل " .

وبأعلى ذلك بخطِّ قاضي القضاة بدر الدِّين بن جماعة ما صورته : اعترف عندي بكلِّ ما كتبه بخطِّه في التَّاريخ المذكور . كتبه محمَّد بن إبراهيم الشَّافعي ، وبحاشية الخط : اعترف بكلِّ ما كتب بخطِّه ، كتبه عبد الغني بن محمَّد الحنبلي .

وبآخر خطّ ابن تيمية رسوم شهادات هذه صورتها : كتب المذكور بخطِّه أعلاه بحضوري واعترف بمضمونه ، كتبه أحمد بن الرّفعة .

صورة خطّ آخر : أقرَّ بذلك ، كتبه عبد العزيز النّمراوي .

صورة خطّ آخر : أقرَّ بذلك كلّه بتاريخه ، علي بن محمَّد بن خطَّاب الباجي الشَّافعي

صورة خطّ آخر : جرى ذلك بحضوري في تاريخه ، كتبه الحسن بن أحمد بن محمَّد الحسيني .

وبالحاشية أيضاً ما مثاله : كتب المذكور أعلاه بخطِّه واعترف به ، كتبه عبد الله بن جماعة .

مثال خطّ آخر : أقرَّ بذلك وكتبه بحضوري محمَّد بن عثمان البوريجبي " (١) .

وقد ذكر هذه الاستتابة الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني ( ٨٥٢هـ) في كتابه : " الدُّرر الكامنة " ، فقال : " فَأخْرج فِي ربيع الأوَّل فِي الثَّالِث وَعشْرين مِنْهُ وأحضر إلى القلعة ، وَوَقع الْبَحْث مَعَ بعض الْفُقَهَاء ، فكتب عَلَيْهِ محْضر بِأَنَّهُ قَالَ : أَنا أشعري ، ثمَّ وجد خطه بِمَا نَصه : الَّذِي اعْتقد أَن الْقُرْآن معنى قَائِم بِذَات الله ، وَهُوَ صفة من صِفَات ذَاته الْقَدِيمَة ، وَهُوَ غير مَخْلُوق ، وَلَيْسَ بِحرف وَلَا صَوت ، وَأَنَّ قَوْله : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] ، لَيْسَ على ظَاهره ، وَلَا أعلم كُنه الْمُرَاد بِهِ ، بل لَا يُعلمهُ إِلَّا الله ، وَالْقَوْل فِي النُّزُول كالقول فِي الاسْتوَاء . وَكتبه أَحْمد بن تَيْمِية ، ثمَّ أشهدوا عَلَيْهِ أَنَّه تَابَ مِمَّا يُنَافِي ذَلِك

---

(١) انظر : بيان زغل العلم والطلب (ص/ ١٧- ١٨) .

مُخْتَاراً وَذَلِكَ فِي خَامِس عشرى ربيع الأَوَّل سنة (٧٠٧هـ) ، وَشهد عَلَيْهِ بذلك جمع جم من الْعلمَاء وَغَيرهم ، وَسكن الْحَال ، وَأَفْرج عَنهُ " (١) .

وبسبب مقالات ابن تيمية التي خالف فيها الأمَّة ، شنَّع عليه العلماء حتى حكم البعض بتكفيره ، ورفض الكثيرون نعته بشيخ الإسلام ، حتى قال الإمام محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن محمَّد الْعَلَاء أَبُو عبد الله البُخَارِيّ العجمي الْحَنَفِيّ (٨٤١هـ) : " أنَّ من أطلق على ابن تيمية شيخ الإسلام فهو بهذا الإطلاق كافر " (٢) . والمعنى : أنَّ من اطَّلع على أقواله واعتقاداته وطامَّاته ، ومع ذلك وصفه بهذا اللقب فهو كافر ...

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني : " وَالْحَاصِل أَنَّهم الزموا بن تيميه بِتَحْرِيم شدِّ الرَّحل إِلَى زِيَارَةِ قَبْرِ سيِّدنا رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَأَنْكَرْنَا صُورَةَ ذَلِكَ وَفِي شَرْحِ ذَلِكَ مِنَ الطَّرَفَيْنِ طُولٌ وَهِيَ مِنْ ابشع الْمَسَائِل المنقوله عَن بن تَيْمِيَةَ " (٣) .

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني : " قَوْلُهُ كَانَ الله وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ تَقَدَّمَ فِي بَدْءِ الْخَلْقِ بِلَفْظِ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ وَفِي رِوَايَةِ أَبِي مُعَاوِيَةَ كَانَ الله قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ بِمَعْنَى كَانَ الله وَلَا شَيْءَ مَعَهُ وَهِيَ أَصْرَحُ فِي الرَّدِّ عَلَى مَنْ أَثْبَتَ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا مِنْ رِوَايَةِ الْبَابِ وَهِيَ مِنْ مُسْتَشْنَعِ الْمَسَائِلِ الْمَنْسُوبَةِ لِابْنِ تَيْمِيَّةَ " (٤) .

وقال الإمام الزَّبيدي : " قال التَّقي السُّبكي : وكتاب العرش من أقبح كتبه – يقصد ابن تيمية –ولَّما وقف عليه الشَّيخ أبو حيَّان مازال يلعنه حتى مات بعد أن كان يعظِّمه " (٥) .

ومن أراد الاستزاده في هذا الموضوع ، فعليه بكتاب " التَّوفيق الرَّبَّاني في الرَّدِّ على ابن تيمية الحرَّاني " ، لمجموعة من العلماء . أمَّا عن المسائل التي نسبها لابن تيمية العلماء الذين نقلنا عنهم ، فقد استوعبتها وغيرها في مصنَّف ضخم ، ذكرت فيها أغلب الطَّامات التي قالها ابن تيمية وخالف فيها عموم الأمَّة المحمَّديَّة ...

---

(١) انظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١/ ١٧٢) .

(٢) انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٩/ ٢٩٢)

(٣) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣/ ٦٦) .

(٤) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣/ ٤١٠) .

(٥) انظر : اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدِّين (٢/ ١٠٥) .

فالمهم فيما نحن بصدد بيانه وتوضيحه : أنَّ ابن تيمية يعتقد ببدعيَّة التَّوسُّل ، فيقول : " ... المرتبة الثَّالثة : أن يسأل صـــاحب القبر أن يسأل الله له ، وهذا بدعة باتِّفاق أئمَّة المسلمين ، وقد أخبر الله عن إخوة يوسف أنَّهم خرُّوا له سجداً ، وكذلك سجد له أبواه ، وهذا السُّجود ليس مشروعاً لنا ، فلا يجوز لأحـــد أن يسجد لأحد " (١) .

ويستمرُّ ابن تيمية في تدليسه ، فيزعم أنَّ التَّوسُّل لم يقل به أحد من السَّلف ، ولم يفعله أحد من الصَّحابة ، ويعتبر زيارة القبور زيارة بدعيَّة شركيَّة ، فيقول : " وأمَّا الزِّيَارَةُ الْبِدْعِيَّةُ : وَهِيَ زِيَارَةُ أَهْلِ الشِّرك مِنْ جِنْسِ زِيَارَةِ النَّصَارَى الَّذِينَ يَقْصِدُونَ دُعَاءَ الْمَيِّتِ ، وَالِاسْتِعَانَةَ بِهِ ، وَطَلَبَ الْحَوَائِجِ عِنْدَهُ ، فَيُصَلُّونَ عِنْدَ قَبْرِهِ ، وَيَدْعُونَ بِهِ ، فَهَذَا وَنَحْوُهُ لَمْ يَفْعَلْهُ أَحَدٌ مِنْ الصَّحابة ، وَلَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وَلَا اسْتَحَبَّهُ أَحَدٌ مِنْ سَلَفِ الأمَّة وَأَئِمَّتِهَا " (٢) .

ولنا في الرَّدِّ على كلامه وقفات :

**الوِقْفَةُ الأُوْلَى :** أمَّا عن تلبيسه وزعمه بأنَّ زيارة القبر الشَّريف والدُّعاء والتَّوسُّل بصاحبه إلى الله تعالى زيارة بدعيَّة شركيَّة من جنس زيارة النَّصارى ، فيردُّه ما قدَّمناه في هذا الكتاب من زيارة السَّلف والخلف على حدٍّ سواء ... ونضيف لما تقدَّم ذكره ما ذكره الإمام العيني عن الشَّعبي ، أنَّه قال : حضرت عائشة رضي الله عنها ، فقالت : إنِّي قد أحدثت بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حدثاً ، ولا أدري ما حالي عنده ، فلا تدفنوني معه ، فإنِّي أكره أن أجاور رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ولا أدري ما حالي عنده ، ثمَّ دعت بخرقة من قميص رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فقالت : ضعوا هذه على صدري وادفنوها معي لعلِّي أنجو بها من عذاب القبر" (٣) .

فالسيِّدة عائشة رضي الله عنها طلبت ممَّن حضر أن يُدرجوا في كفنها خرقة من قميص صاحب القبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم تبرُّكاً منها بقميصه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وهذا منها توسُّل إلى الله تعالى بقطعة من قميص حبيبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فكيف بصاحب القبر ؟!!!...

---

(١) انظر : تلخيص كتاب الاستغاثة (١/ ١٤٦) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٢٧) .

(٣) انظر : إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدِّين (١٠/ ٣٣٣) .

وروى الخطيب البغدادي بسنده عن الإمام الشَّافعي أنَّه قال : " إنِّي لأتبرَّك بأبي حنيفة ، وأجيء إلى قبره في كلِّ يوم ، يَعْنِي زائراً ، فإذا عرضت لي حاجة صلَّيت ركعتين ، وجئت إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده ، فما تبعد عني حتى تقضى " (١) .

وقد ذكرنا في هذا الكتاب الكثير من توسُّلات السَّلف الصَّالح التي من شأنها أن تُبكِّت دعاوى من يزعمون ويدَّعون السَّلفيَّة ...

ثم إنَّ زعم ابن تيمية واعتباره زيارة القبور زيارة بدعيَّة شركيَّة ، أمرٌ لا نستغربه منه ، لأنَّه سبق له أن اعتبر زيارة قبر الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم معصية لا تقصر فيها الصَّلاة ، وقد ردَّ عليه في هذه المسألة أغلب علماء عصره ، وكذا من جاء بعده ، وكان قوله هذا سبباً في دخوله السِّجن ، وبقي فيه حتى الوفاة ...

والغريب بابن تيمية أنَّه يمنع حتى أهل المدينة المنوَّرة من زيارته ، ويصرِّح بأنَّ من سُنَّة وعمل أهل المدينة أنَّهم لا يزورون القبر الشَّريف على صاحبه أفضل الصَّلاة وأزكى السَّلام ، ويزعم مفترياً على السَّلف أنَّهم متَّفقون على ذلك ، وفي ذلك يقول ابن تيمية : " أَنَّه لَوْ كَانَ قَبْرُ نَبِيِّنَا يُزَارُ كَمَا تُزَارُ الْقُبُورُ ، لَكَانَ أَهْلُ مَدِينَتِهِ أَحَقَّ النَّاس بِذَلِكَ ، كَمَا أَنَّ أَهْلَ كُلِّ مَدِينَةٍ أَحَقُّ بِزِيَارَةِ مَنْ عِنْدَهُمْ مِنْ الصَّالحين ، فلمَّا إتَّفق السَّلف وَأَئِمَّةُ الدِّين عَلَى أَنَّ أَهْلَ مَدِينَتِهِ لَا يَزُورُونَ قَبْرَهُ بَلْ وَلَا يَقِفُونَ عِنْدَهُ لِلسَّلَامِ إذَا دَخَلُوا الْمَسْجِدَ وَخَرَجُوا ، وَإِنْ لَمْ يُسَمَّى هَذَا زِيَارَةً بَلْ يُكْرَهُ لَهُمْ ذَلِكَ عِنْدَ غَيْرِ السَّفَرِ ، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ مَالِكٌ ، وَبَيَّنَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ الْبِدَعِ الَّتِي لَمْ يَكُنْ صَدْرُ هَذِهِ الأمَّة يَفْعَلُونَهُ : عُلِمَ أَنَّ مَنْ جَعَلَ زِيَارَةَ قَبْرِهِ مَشْرُوعَةً كَزِيَارَةِ قَبْرِ غَيْرِهِ فَقَدْ خَالَفَ إجْمَاعَ الْمُسْلِمِينَ " (٢) .

هذا ما قاله ابن تيمية ، وهو كلام خطير لا يقوله إلَّا من كان في قلبه شيء من سيِّد ولد آدم عليه الصَّلاة والسَّلام ، مع أنَّ علماء الأمَّة أجمعوا على استحباب زيارة قبره الشَّريف بأبي هو وأُمِّي ، قال القاضي عياض : " وَزِيَارَةُ قَبْرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ الْمُسْلِمِينَ مُجْمَعٌ عَلَيْهَا ، وَفَضِيلَةٌ مُرَغَّبٌ فيها " (٣) .

وقال الإمام عبد الملك بن محمَّد بن إبراهيم النَّيسابوري الخركوشي ، أبو سعد (٤٠٧هـ) : " ثمَّ إنَّ بلالاً رضي الله عنه رأى في منامه النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وهو يقول : ما هذه الجفوة يا بلال ؟ أمَّا آن لك أن تزورني يا بلال ؟ قال : فانتبه حزيناً ، وجاء خائفاً ، فركب راحلته وقصد المدينة ، فأتى قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

(١) انظر : تاريخ بغداد (١/ ٤٤٥) ، وانظر : مناقب أبي حنيفة (ص٤٥٣) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (٢٧/ ٢٤٣) .

(٣) انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ١٩٤) .

وَسَلَّم ، فجعل يبكي عنده ويمرِّغ وجهه عليه . وأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما فجعل يضمُّهما ويقبِّلهما ، فقالا : يا بلال نشتهي أن نسمع أذانك الذي كنت تؤذن به لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في السَّحر ، ففعل ، وعلا سطح المسجد فوقف موقفه الذي كان يقف فيه ، فلمَّا أن قال : الله أكبر الله أكبر ارتَّجت المدينة ، فلمَّا أن قال : أشهد أن لا إله إلَّا الله ازدادت رجَّتها ، فلمَّا أن قال : أشهد أنَّ محمداً رسول الله ، خرجن العواتق من خدورهنَّ ، وقالوا : بُعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم .

قال : فما رؤي يوماً أكثر باكياً ولا باكية بالمدينة بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم من ذلك اليوم " (١) .

والأثر صحَّحه غير واحد من العلماء ، منهم : الذَّهبي ، والسّمهودي ، والشَّوكاني ، والصَّالحي ، والزُّرقاني ... (٢)

ومن الأدلَّة على استحباب زيارة قبره الشَّريف صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " من زار قبري وجبت له شفاعتي " . والحديث حسن (٣) .

وتشجيعاً من ابن تيمية لأتباعة كي يهجروا القبر الشَّريف فقد أرشدهم وأفتاهم بأنَّ السَّلام على الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في الصَّلاة يُغنِيْ عن الإتيان إلى القبر للسَّلام عليه ، لأنَّ إتيانه بعد الصَّلاة مرَّة بعد مرَّة يُعتبر ذريعة لاتخاذه عيداً ووثناً يُعبد من دون الله تعالى ، وفي ذلك يقول ابن تيمية : " وأَمَّا إِتْيَانُ الْقَبْرِ لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ ،

---

(١) انظر : شرف المصطفى (٣/ ١٩٦) ، تاريخ دمشق (٧/ ١٣٧) .

(٢) انظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام (٥/ ٧٧٣) ، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (١/ ٣٥٥) ، نيل الأوطار (٥/ ١١٤) ، سبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد (١٢/ ٣٥٩) ، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٥/ ٧١) ، بالترتيب .

(٣) قال الأستاذ المحقق محمود سعيد ممدوح : أخرجه الدارقطني في سننه (٢ / ٢٧٨) ، والدولابي في الكنى والأسماء (٢ / ٦٤) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣ / ٤٩٠) ، والخطيب في تلخيص المتشابه في الرسم (١ / ٥٨١) ، وابن الدبيثي في الذيل على التَّاريخ (٢ / ١٧٠) ، وابن النجار في تاريخ المدينة (ص ١٤٢) ، والعقيلي في الضعفاء (٤ / ١٧٠) ، وابن عدي في الكامل (٦ / ٢٣٥٠) ، والسُّبكي في شفاء السقام (ص ٢ – ١٤) . جميعهم من طرق عن موسى بن هلال العبدي ، عن عبيد الله بن عمر وعبد الله بن عمر كلاهما عن نافع عن ابن عمر به مرفوعاً . وهذا الإسناد حسن سواء قال موسى بن هلال عن عبيد الله بن عمر أو عن أخيه عبد الله بن عمر أو عنهما . وقد صحَّحه عبد الحق الإشبيلي ، وصححه أو حسنه السُّبكي في شفاء السقام ، والسيوطي في مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا ، وآخرون ممَّن تأخروا عنه . وقد أعلَّ هذا الحديث بعللٍ لا يصح منها شيء لكن لا بد من ذكرها ثمَّ الجواب عليها بدون تكلف إن شاء الله تعالى ... انظر : رفع المنارة لتخريج أحاديث التَّوسُّل والزيارة ، محمود سعيد ممدوح ، (ص٢٨٠) ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة .

فَقَدْ اسْتَغْنَوْا عَنْهُ بِالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي الصَّلاة وَعِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ وَالْخُرُوجِ مِنْهُ ، وَفِي إتْيَانِهِ بَعْد الصَّلاة مَرَّةً بَعْد مَرَّةٍ ذَرِيعَةً إلى أَنْ يُتَّخَذَ عِيداً وَوَثَناً " (١) .

ويحضرني في هذا المقام ما قاله أحد طلابي من المتمسلفة ، حيث قال : " من فَضْلِ الله عليه أنَّه اعتمر ولم يزُرْ قبر محمَّد " . نعم قبر محمَّد ، ولم يقل : صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، في الوقت الذي لا ينطقون فيه اسم ابن تيمية إلَّا وينعتونه بشيخ الإسلام ... – مع أنَّ مُصطلح " شيخ الإسلام بدعة بناء على مقرَّراتهم ومنطلقاتهم ، حيث لم يُنعت به أحد من أهل قرون الخيريَّة – فإلى الله المشتكى من قوم حُدثـاء الأسنان ، سفهاء الأحـلام ، يقولون من خير قـول البـريَّة ، يقتـلون أهل الإسلام ويدعون أهـل الأوثان ، غزيرو اللحيـة ، مقصِّرين الثِّيـاب ، محلِّقيـن الرُّؤوس ، يُحسنون القـيل ويسيئون الفعـل ، يدعون إلى كتاب الله وليسوا مـنه في شيء ...

**الوِقْفَةُ الثَّانِيَة :** أنَّ ابن تيمية ومعه من يدَّعون السَّلفيَّة ما فتئوا يبدِّعون عموم الأمَّة المحمَّديَّة ، حتى صار التَّبديع سَنَنَاً وطريقاً لهم في كلامهم مع غيرهم ، مع أنَّهم لم يدركوا معنى البدعة أو أنَّهم يَغضُّونَ الطَّرفَ عن المعنى الصَّحيح للبدعة احتراماً لرأي شيخ إسلامهم الذي علَّمهم ...

فقد بيَّن علماء السَّلف والخلف على حدٍّ سواء معنى البدعة ، وأنَّها تنقسم إلى قسمين : بدعة محمودة ، وهي ما وافق الشَّرع ، وبدعة مذمومة ، وهي ما خالف الشَّرع ...

قال الإمام أبو محمَّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظَّاهري (٤٥٦هـ) : " والبدعة كلّ ما قيل أو فعل ممَّا ليس له أصل فيما نسب إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وهو في الدِّين كل ما لم يأت في القرآن ولا عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إلا أنَّ منها ما يؤجر عليه صاحبه ويعذر بما قصد إليه من الخير ، ومنها ما يؤجر عليه صاحبه ويكون حسناً ، وهو ما كان أصله الإباحة ، كما روي عن عمر رضي الله عنه : " نعمت البدعة هذه " ، وهو ما كان فعل خير جاء النَّص بعموم استحبابه ، وإن لم يقرر عمله في النَّص . ومنها ما يكون مذموماً ، ولا يعذر صاحبه وهو ما قامت به الحجَّة على فساده فتمادى عليه القائل به " (٢) .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤١٧) .

(٢) انظر : الإحكام في أصول الأحكام (١/ ٤٧) .

قال الإمام أبو القاسم شهاب الدِّين عبد الرَّحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي المعروف بأبي شامة (٦٦٥هـ) : " عن حَرْمَلَة ابْن يحيى : سَمِعت الشَّافعي رَحمَه الله تَعَالَى يَقُول : الْبِدْعَة بدعتان : بِدعَة محمودة ، وبدعة مذمومة ، فَمَا وَافق السُّنَّة فَهُوَ مَحْمُود ، وَمَا خَالف السُّنَّة فَهُوَ مَذْمُوم " (١) .

وقال الإمام مجد الدِّين أبو السَّعادات المبارك بن محمَّد بن محمَّد ابن عبد الكريم الشَّيباني الجزري ابن الأثير (٦٠٦هـ) : " الْبِدْعَةُ بِدْعَتَان :

بِدْعَةُ هُدًى ، وَبِدْعَةُ ضَلَالٍ ، فَمَا كَانَ فِي خِلَافِ مَا أَمَرَ الله بِهِ ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَهُوَ فِي حَيِّزِ الذَّمِّ وَالْإِنْكَارِ ، وَمَا كَانَ وَاقِعاً تَحْتَ عُموم مَا نَدب الله إِلَيْهِ وحَضَّ عَلَيْهِ الله أَوْ رَسُولُهُ فَهُوَ فِي حَيِّزِ الْمَدْحِ ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مِثَالٌ مَوْجُودٌ كنَوْع مِنَ الجُود وَالسَّخَاءِ وفعْل الْمَعْرُوفِ فَهُوَ مِنَ الْأَفْعَالِ الْمَحْمُودَةِ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي خِلَافِ مَا وَردَ الشَّرع بِهِ ؛ لِأَنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَدْ جَعل لَهُ فِي ذَلِكَ ثَوَاباً فَقَالَ : " مَنْ سَنّ سُنة حسَنة كَانَ لَهُ أجْرها وأجرُ مَنْ عَمِل بِهَا " ، وَقَالَ فِي ضِدّه " وَمَنْ سَنَّ سُنة سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وزْرُها وَوِزْرُ مَنْ عَمِل بِهَا " (٢) ، وَذَلِكَ إِذَا كَانَ فِي خِلَافِ مَا أَمَرَ الله بِهِ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم . وَمِنْ هَذَا النَّوْعِ قولُ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُ : نِعْمَت الْبِدْعَةُ هَذِهِ . لما كَانَتْ مِنْ أَفْعَالِ الْخَيْرِ وَدَاخِلَةً فِي حَيِّزِ الْمَدْحِ سَمَّاهَا بِدْعَةً ومدَحها ؛ لِأَنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لَمْ يَسَنَّها لَهُمْ ، وإِنَّما صَلَّاهَا لَيالِيَ ثمَّ تَركَها وَلَمْ يُحافِظْ عَلَيْهَا ، وَلَا جَمع النَّاس لَهَا ، وَلَا كَانَتْ فِي زَمَنِ أَبِي بَكْرٍ ، وإِنَّما عُمَرُ رَضِيَ الله عَنْهُ جَمَعَ النَّاس عَلَيْهَا ونَدَبهم إِلَيْهَا ، فَبِهَذَا سَمَّاهَا بِدْعَةً ، وَهِيَ عَلَى الْحَقِيقَةِ سُنَّة، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " عَلَيْكُمْ بسُنَّتي وسنَّة الْخُلَفَاءِ الراشِدين مِنْ بعْدي " ، وَقَوْلِهِ : " اقتدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ " ، وعَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ يُحمل الْحَدِيثُ الْآخَرُ : " كُلُّ مُحْدَثة بدعةٌ " ، إِنَّما يُرِيدُ مَا خَالَفَ أُصُولَ الشَّرِيعَةِ وَلَمْ يُوَافِقِ السُّنَّة " (٣) .

وقال الإمام أبو محمَّد عز الدِّين عبد العزيز بن عبد السَّلام بن أبي القاسم بن الحسن السّلمي ، الملقَّب بسلطان العلماء (٦٦٠هـ) : " الْبِدْعَةُ فِعْلُ مَا لَمْ يُعْهَدْ فِي عَصْرِ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم . وَهِيَ مُنْقَسِمَةٌ إلى : بِدْعَةٌ وَاجِبَةٌ ، وَبِدْعَةٌ مُحَرَّمَةٌ ، وَبِدْعَةٌ مَنْدُوبَةٌ ، وَبِدْعَةٌ مَكْرُوهَةٌ ، وَبِدْعَةٌ مُبَاحَةٌ ، وَالطَّرِيقُ فِي مَعْرِفَةِ ذَلِكَ أَنْ

---

(١) انظر : الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص٢٢) .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢/ ٧٤ برقم ١٨٤) ، مسند الشاميين (٣/ ٤٠٧ برقم ٢٥٦٠) ، البيهقي في شعب الإيمان (٩/ ٢٣٩ برقم ٦٦٠٩) .

(٣) انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٠٦-١٠٧) .

تُعْرَضَ الْبِدْعَةُ عَلَى قَوَاعِدِ الشَّرِيعَةِ : فَإِنْ دَخَلَتْ فِي قَوَاعِدِ الْإِيجَابِ فَهِيَ وَاجِبَةٌ ، وَإِنْ دَخَلَتْ فِي قَوَاعِدِ التَّحْرِيمِ فَهِيَ مُحَرَّمَةٌ ، وَإِنْ دَخَلَتْ فِي قَوَاعِدِ الْمَنْدُوبِ فَهِيَ مَنْدُوبَةٌ ، وَإِنْ دَخَلَتْ فِي قَوَاعِدِ الْمَكْرُوهِ فَهِيَ مَكْرُوهَةٌ ، وَإِنْ دَخَلَتْ فِي قَوَاعِدِ الْمُبَاحِ فَهِيَ مُبَاحَةٌ ، وَلِلْبِدَعِ الْوَاجِبَةِ أَمْثِلَةٌ .

أَحَدُهَا : الِاشْتِغَالُ بِعِلْمِ النَّحْوِ الَّذِي يُفْهَمُ بِهِ كَلَامُ اللَّهِ وَكَلَامُ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وَذَلِكَ وَاجِبٌ لِأَنَّ حِفْظَ الشَّرِيعَةِ وَاجِبٌ وَلَا يَتَأَتَّى حِفْظُهَا إلَّا بِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ ، وَمَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ .

الْمِثَالُ الثَّانِي : حِفْظُ غَرِيبِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ اللُّغَةِ .

الْمِثَالُ الثَّالِثُ : تَدْوِينُ أُصُولِ الْفِقْهِ .

الْمِثَالُ الرَّابِعُ : الْكَلَامُ فِي الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ لِتَمْيِيزِ الصَّحِيحِ مِنْ السَّقِيمِ ، وَقَدْ دَلَّتْ قَوَاعِدُ الشَّرِيعَةِ عَلَى أَنَّ حِفْظَ الشَّرِيعَةِ فَرْضُ كِفَايَةٍ فِيمَا زَادَ عَلَى الْقَدْرِ الْمُتَعَيَّنِ ، وَلَا يَتَأَتَّى حِفْظُ الشَّرِيعَةِ إلَّا بِمَا ذَكَرْنَاهُ .

وَلِلْبِدَعِ الْمُحَرَّمَةِ أَمْثِلَةٌ . مِنْهَا : مَذْهَبُ الْقَدَرِيَّةِ ، وَمِنْهَا مَذْهَبُ الْجَبْرِيَّةِ ، وَمِنْهَا مَذْهَبُ الْمُرْجِئَةِ ، وَمِنْهَا مَذْهَبُ الْمُجَسِّمَةِ ، وَالرَّدُّ عَلَى هَؤُلَاءِ مِنْ الْبِدَعِ الْوَاجِبَةِ . وَلِلْبِدَعِ الْمَنْدُوبَةِ أَمْثِلَةٌ . مِنْهَا : إحْدَاثُ الرُّبُطِ وَالْمَدَارِسِ وَبِنَاءِ الْقَنَاطِرِ ، وَمِنْهَا كُلُّ إحْسَانٍ لَمْ يُعْهَدْ فِي الْعَصْرِ الْأَوَّلِ ، وَمِنْهَا : صَلَاةُ التَّرَاوِيحِ ، وَمِنْهَا الْكَلَامُ فِي دَقَائِقِ التَّصَوُّفِ ، وَمِنْهَا الْكَلَامُ فِي الْجَدَلِ فِي جَمْعِ الْمَحَافِلِ لِلِاسْتِدْلَالِ عَلَى الْمَسَائِلِ إذَا قُصِدَ بِذَلِكَ وَجْهُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ .

وَلِلْبِدَعِ الْمَكْرُوهَةِ أَمْثِلَةٌ . مِنْهَا : زَخْرَفَةُ الْمَسَاجِدِ ، وَمِنْهَا تَزْوِيقُ الْمَصَاحِفِ ، وأَمَّا تَلْحِينُ الْقُرْآنِ بِحَيْثُ تَتَغَيَّرُ أَلْفَاظُهُ عَنْ الْوَضْعِ الْعَرَبِيِّ ، فَالْأَصَحُّ أَنَّه مِنْ الْبِدَعِ الْمُحَرَّمَةِ .

وَلِلْبِدَعِ الْمُبَاحَةِ أَمْثِلَةٌ . مِنْهَا : الْمُصَافَحَةُ عَقِيبَ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ ، وَمِنْهَا التَّوَسُّعُ فِي اللَّذِيذِ مِنْ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَسَاكِنِ ، وَلُبْسِ الطَّيَالِسَةِ ، وَتَوْسِيعِ الْأَكْمَامِ . وَقَدْ يُخْتَلَفُ فِي بَعْضِ ذَلِكَ ، فَيَجْعَلُهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مِنْ الْبِدَعِ الْمَكْرُوهَةِ ، وَيَجْعَلُهُ آخَرُونَ مِنْ السُّنَنِ الْمَفْعُولَةِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَمَا بَعْدَهُ ، وَذَلِكَ كَالِاسْتِعَاذَةِ فِي الصَّلاة وَالْبَسْمَلَةِ " (١) .

والغريب في الأمر أنَّ ابن تيمية تناقض مع نفسه في تعريف البدعة ، فأيَّد وأقرَّ ما قاله الشَّافعي في تعريف البدعة من غير نكير ، فقال : " ... وَمِنْ هُنَا يُعْرَفُ ضَلَالُ مَنْ ابْتَدَعَ طَرِيقاً أَوْ اعْتِقَاداً زَعَمَ أَنَّ الْإِيمَانَ لَا يَتِمُّ إلَّا بِهِ ، مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّ الرَّسول لَمْ يَذْكُرْهُ ، وَمَا خَالَفَ النُّصُوصَ فَهُوَ بِدْعَةٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ ، وَمَا لَمْ يُعْلَمْ أَنَّه خَالَفَهَا فَقَدْ لَا يُسَمَّى بِدْعَةً ، قَالَ الشَّافعي – رَحِمَهُ الله –: الْبِدْعَةُ بِدْعَتَانِ : بِدْعَةٌ خَالَفَتْ كِتَاباً وَسُنَّةً وَإِجْمَاعاً وَأَثَراً عَنْ

---

(١) انظر : قواعد الأحكام في مصالح الأنام (٢/ ٢٠٤–٢٠٥) .

بَعْضِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَهَذِهِ بِدْعَةُ ضَلَالَةٍ . وَبِدْعَةٌ لَمْ تُخَالِفْ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ ، فَهَذِهِ قَدْ تَكُونُ حَسَنَةً لِقَوْلِ عُمَرَ : نِعْمَتْ الْبِدْعَةُ هَذِهِ . هَذَا الْكَلَامُ أَوْ نَحْوُهُ رَوَاهُ البيهقي بِإِسْنَادِهِ الصَّحيح فِي الْمَدْخَلِ " (١) .

وعلى كلِّ حال فهذا ما قاله أساطين العلم في تعريف البدعة ... ولو دقَّقنا في التَّعريف لرأينا أنَّ ابن تيمية هو المبتدع بِدَعاً تصطدم مع مُحكم الكتاب وصحيح السُّنَّة ... فهو من ابتدع : القول بحوادث لا أوَّل لها ، وقال بالقِدَم النَّوعي للعالم ، وقال بأنَّ الله تعالى جسم ، وقال بالحدِّ لله تعالى ، وقال بأنَّ الله تعالى بقدر العرش لا أكبر منه ولا أصغر ، وقال بتقسيم التَّوحيد إلى ثلاثة أقسام حتى غدا التَّوحيد تعديداً ، وقال بأنَّ القرءان محدثٌ في ذاته تعالى ، وقال بأنَّ إنشاء السَّفر لزيارة نبيِّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم معصية لا تُقصر فيها الصَّلاة ، وقال بأنَّ نبيّنا عليه الصَّلاة والسَّلام ليس له جاه ، ولا يتوسَّل به أحد ، و و و و و ...

وتمادى القومُ في غيِّهم وضلالهم فاعتبروا التَّوسُّل ضربٌ من ضروب الشِّرك ، فقد جاء في كتاب " فتح المجيد " : " وكلّ من دعا نبيَّاً أو وليَّاً من دون الله ، فقد اتَّخذه إلهاً وضاهأ النَّصارى في شركهم ، وضاهأ اليهود في تفريطهم . فإنَّ النَّصارى غلوا في عيسى – عليه السَّلام – واليهود عادوه ، وسبُّوه ، وتنقَّصوه . فالنَّصارى أفرطوا ، واليهود فرَّطوا " (٢) .

فهل من نقلنا توسُّلاتهم بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وكذا بالأولياء والصَّالحين في هذا الكتاب اتَّخذوا من توسَّلوا به آلهة من دون الله وضاهأوا النَّصارى واليهود في إفراطهم وتفريطهم ؟!!! كبُرت كلمة تخرجُ من أفواههم إن يقولون إلَّا كذباً ...

وَحَكَمَ عالمُهم أبو بكر جابر الجزائري على المتوسِّلين بالأنبياء والصَّالحين في دعائهم الله تعالى بالكفر والخلود في النَّار ، فقال : " إنَّ دعاء الصَّالحين والاستغاثة بهم ، والتَّوسُّل بجاههم ، لم يكن في دين الله تعالى قربة ، ولا عملاً صالحاً فيتوسَّل به أبداً ، وإنَّما كان شركاً في عبادة الله ، محرَّماً ، يخرجُ فاعله من الدِّين !!! ويوجب له الخلود في جهنَّم " (٣) .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٦٣) ، درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٤٩) .

(٢) انظر : فتح المجيد شرح كتاب التَّوحيد (ص٢١٩) .

(٣) انظر : عقيدة المؤمن ، أبو بكر الجزائري (ص١٤٤) .

وكأنِّي بأبي بكر الجزائري في هذا النَّصِّ يُنصِّبُ نفسه حاكماً يملك مفاتيح الجنان ، فلا يمنحها إلَّا لشيعته من غير المتوسِّلين ، ويملك مفاتيح النِّيران ، يُدخل فيها جميع من خالفه في مسألة التَّوسُّل وغيرها ، بعد أن أخرجهم من ربقة الدِّين ، وحكم عليهم بالخلود في جهنَّم ...

وقال عالمهم محمَّد أحمد باشميل : " أبو جهل وأبو لهب أكثر توحيداً وأخلص إيماناً بالله من المسلمين الذين يقولون الشَّهادتين ، لأنَّهم يتوسَّلون بالأولياء (١) ...

والكتاب المذكور كان يوزَّع مجاناً في مواسم الحجِّ ، فانتشر التَّكفير بهذه الطَّريقة في مختلف بلدان العالم الإسلامي ، والعياذ بالله .

والباشميل في كلامه السَّابق يجعل كُبراء الكفر والشِّرك والوثنيَّة وفراعنته أكثر توحيداً وأخلص إيماناً بالله من المسلمين الذين ينطقون الشَّهادتين بسبب توسُّلهم إلى الله تعالى بالأنبياء والأولياء ... مع العلم أنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم نعت أبا جهل بأنَّه فرعون الأمَّة ، فقد روى أحمد بسنده عن عبد الله بن مسعود عَنِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، أنَّه قَالَ : " هَذَا فِرْعَوْنُ أُمَّتِي " (٢) .

ومن المعلوم أنَّ فرعون هو الذي قال لسيِّدنا موسى عليه السَّلام : ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء : ٢٩] ، وهو القائل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص : ٣٨] ، وهو القائل : ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات : ٢٤] . والباشميل بكلامه السَّابق يكفِّر عموم الأمَّة ... فهل صناديد الشِّرك والكفر والإلحاد وفراعنته أكثر توحيداً وأخلص إيماناً بالله من المسلمين المؤمنين الموحِّدين المتوسِّلين إليه سبحانه بوسيلة محبوبة لديه سبحانه ؟ !!!

ونحن لا نستغرب هذه المجازفة الخطيرة من هذا الباشميل وغيره من مُدَّعي السَّلفيَّة ، لأنَّ هذا الصَّنيع شنشنة سار عليها مدَّعو السَّلفيَّة في تكفير الأمَّة المحمَّديَّة ، وهو أمرٌ دفعني لتتبُّع تكفيراتهم المبثوثة في كتبهم ، وقد تكفَّلت المادَّة العلميَّة المعدَّة لهذا الأمر بصناعة سِفْرٍ زادت صفحاته على ستِّمائة صفحة ، سمَّيته : " تَكْفِيْرُ الوَهَّابيَّة لعُمُوْمِ الأمَّةِ المُحَمَّديَّة " ...

---

(١) انظر : كيف أفهم التَّوحيد (ص١٦) .

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤٠٣ برقم ٣٨٢٥) .

وقال الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب بن سليمان التَّميمي النَّجدي (١٢٠٦هـ) : " أنَّ التَّوحيد هو إفراد الله سبحانه بالعبادة ، وهو دين الرُّسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده . فأوَّلهم نوح – عليه السَّلام – أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصَّالحين ودّاً ، وسواعاً ، ويغوث ، ونسراً . وآخر الرُّسل محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وهو الذي كسر صور هؤلاء الصَّالحين ، أرسله الله إلى أناس يتعبَّدون !!! ويحجُّون !!! ويتصدَّقون !!! ويذكرون الله كثيراً !!! ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله " (١) .

ومُراده من هذا الكلام : أنَّ النَّبي ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، قاتل من يتعبَّدون ، ويتصدَّقون ، فلا مانع يمنع من قتالهم ، لأنَّ التَّشابه بين من أُرسل الرَّسول إليهم ومن يعيشون في زماننا واحد ، ولذلك أراق ابن عبد الوهَّاب دماء عشرات بل مئات الألوف ممَّن خالفوا دعوته ، ولم ينظووا تحت إمرته ، مستحلّاً ذلك ، داعياً إليه ، بحجَّة المحافظة على التَّوحيد ...

ثم إنَّ ابن عبد الوهَّاب المنعوت عند من يدَّعون السَّلفيَّة بشيخ الإسلام المجدِّد للتَّوحيد ، يزعم أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أُرسل إلى قوم يتعبَّدون !!! ويحجُّون !!! ويتصدَّقون !!! ويذكرون الله كثيراً !!! وأنَّ خطئهم الوحيد فقط هو أنَّهم جعلوا بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله ...

إذن وظيفة الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كانت فقط من أجل محاربة التَّوسُّل والمتوسِّلين ، وأنَّ من أُرسل فيهم كانوا على قلب رجل واحد في التَّوحيد خلا مسألة التَّوسُّل ... كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلَّا كذباً ...

وما كان منهم هذا وغيره إلَّا بسبب ما اخترع لهم منظِّرهم وموجههم وكبيرهم الذي علَّمهم ... ابن تيمية ، حيث اخترع لهم وابتكر القول بتقسيم التَّوحيد إلى ثلاثة أقسام ، هي : توحيد الرُّبوبيَّة ، وتوحيد الألوهيَّة ، وتوحيد الأسماء والصِّفات ، مع أنَّ هذا التَّقسيم لم يقل به أحد من العالمين بالصُّورة التي قسَّمه عليها وأراده من خلالها ابن تيمية ، وقد أوحى لهم فيه أنَّ الكفرة والمشركين موحِّدين لله تعالى توحيد ربوبيَّة ، لكنَّهم ليسوا موحِّدين توحيد أُلوهيَّة ، ولذلك أدخلوا المتوسِّلين بالأنبياء والصَّالحين في هذا المدخل فحكموا بشركهم وكفرهم ، والعياذ بالله تعالى ...

وفي هذا يقول ابن تيمية عن علماء الأمَّة من المتكلِّمين : " وَهَؤُلَاءِ الْمُتَكَلِّمُونَ الْمُتَأَخِّرُونَ الَّذِينَ خَلَطُوا الْفَلْسَفَةَ بِالْكَلَامِ كَثُرَ اضْطِرَابُهُمْ وَشُكُوكُهُمْ وَحَيْرَتُهُمْ بِحَسَبِ مَا ازْدَادُوا بِهِ مِنْ ظُلْمَةِ هَؤُلَاءِ الْمُتَفَلْسِفَةِ الَّذِينَ

---

(١) انظر : كشف الشبهات (ص٣) .

خَلَطُوا الْفَلْسَفَةَ بِالْكَلَامِ . فَأُولَئِكَ قَلَّتْ ظُلْمَتُهُمْ بِمَا دَخَلُوا فِيهِ مِنْ كَلَامِ أَهْلِ الْمِلَلِ ، وَهَؤُلَاءِ كَثُرَتْ ظُلْمَتُهُمْ بِمَا دَخَلُوا فِيهِ مِنْ كَلَامِ أُولَئِكَ الْمُتَفَلْسِفَةِ .

هَذَا مَعَ أَنَّ فِي الْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ مِنَ الِاضْطِرَابِ وَالشَّكِّ فِي أَشْيَاءَ ، وَالْخُرُوجِ عَنِ الْحَقِّ فِي مَوَاضِعَ ، وَاتِّبَاعِ الْأَهْوَاءِ فِي مَوَاضِعَ ، وَالتَّقْصِيرِ فِي الْحَقِّ فِي مَوَاضِعَ مَا ذَمَّهُمْ لِأَجْلِهِ عُلَمَاءُ الْمِلَّةِ وَأَئِمَّةِ الدِّين ، فَإِنَّهُمْ قَصَّرُوا فِي مَعْرِفَةِ الْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ الَّتِي ذَكَرَهَا الله فِي كِتَابِهِ ، فَعَدَلُوا عَنْهَا إلى طُرُقٍ أُخْرَى مُبْتَدَعَةٍ فِيهَا مِنَ الْبَاطِلِ مَا لِأَجْلِهِ خَرَجُوا عَنْ بَعْضِ الْحَقِّ الْمُشْتَرَكِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ غَيْرِهِمْ ، وَدَخَلُوا فِي بَعْضِ الْبَاطِلِ الْمُبْتَدَعِ ، وَأَخْرَجُوا مِنَ التَّوحيد مَا هُوَ مِنْهُ كَتَوْحِيدِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَإِثْبَاتِ حَقَائِقِ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ ، وَلَمْ يَعْرِفُوا مِنَ التَّوحيد إِلَّا تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ ، وَهُوَ الْإِقْرَارُ بِأَنَّ اللهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَبُّهُ . وَهَذَا التَّوحيد كَانَ يُقِرُّ بِهِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ قَالَ الله عَنْهُمْ : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان : ٢٥] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون : ٨٦-٨٧ ] وَقَالَ عَنْهُمْ : ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف : ١٠٦] .

قَالَ طَائِفَةٌ مِنَ السَّلف : يَقُولُ لَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ؟ فَيَقُولُونَ : الله ، وَهُمْ مَعَ هَذَا يَعْبُدُونَ غَيْرَهُ . وإِنَّمَا التَّوحيد الَّذِي أَمَرَ الله بِهِ الْعِبَادَ هُوَ تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ ، الْمُتَضَمِّنُ لِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ ، بِأَنْ يُعْبَدَ الله وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُونَ بِهِ شَيْئاً ، فَيَكُونُ الدِّين كُلُّهُ لله " (١) .

ولنا على كلام ابن تيمية هذا ملاحظتين :

الملاحظة الأولى : أنَّه اتَّهم المتكلِّمين بأنَّهم خلطوا الفلسفة بالكلام ، ولذلك اضطرب كلامهم ، وازدادت شكوكهم وحيرتهم ، وازدادوا ظلمة من ظلمة الفلاسفة ... مع أنَّ النَّاظر في كتب ابن تيمية يجد أنَّ كلامه ينطبق عليه تماماً بشهادة تلميذه الذَّهبي الذي وجه له رسالة اشتهرت باسم : " الرِّسالة الذَّهبيَّة " ، نصح فيها شيخه ابن تيمية للعدول عن غيِّه وضلاله ونبشه لدقائق الكفريَّات الفلسفيَّة ، واتَّهمه فيها ببلع سموم الفلاسفة وتصنيفاتهم مرَّات ، ونصُّ الرِّسالة هو : " الحمد لله على ذلَّتي ، يا ربِّ ارحمني وأقلني عثرتي ، واحفظ عليَّ إيماني ، واحزناه على قلَّة حزني ، واأسفاه على السُّنَّة وذهاب أهلها ، واشوقاه إلى إخوان مؤمنين يعاونونني على البكاء ،

(١) انظر : منهاج السُّنَّة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (٣/ ٢٨٨-٢٩٠) .

واحزناه على فقد أُناس كانوا مصابيح العلم وأهل التَّقوى وكنوز الخيرات ، آه على وجود درهم حلال وأخ مؤنس .

طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب النَّاس ، وتَبّاً لمن شغله عيوبُ النَّاس عن عيبه ، إلى كم ترى القذاة في عين أخيك وتنسى الجذع في عينك ؟ إلى كم تمدح نفسك وشقاشقك وعباراتك وتذمُّ العلماء ، وتتبع عورات النَّاس مع علمك بنهي الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " لا تذكروا موتاكم إلَّا بخير ، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدَّموا " (١) ، بلى أعرفُ إنَّك تقول لي لتنصُرَ نفسك : إنَّما الوقيعة في هؤلاء الذين ما شمُّوا رائحة الإسلام ولا عرفوا ما جاء به محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وهو جهاد ، بلى والله عرفوا خيراً ممَّا إذا عمل به العبد فقد فاز ، وجهلوا شيئاً كثيراً ممَّا لا يعنيهم و" من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه " (٢) .

يا رجل ، بالله عليك كفَّ عنَّا ، فإنك مِحجاجٌ عليم اللسان لا تقرّ ولا تنام ، إياكم والأغلوطات في الدِّين ، كره نبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم المسائل وعابها ونهى عن كثرة السُّؤال ، وقال : " إنَّ أخوف ما أخاف على أمَّتي كل منافق عليم اللسان " (٣) ، وكثرة الكلام بغير زلل تقسِّي القلب إذا كان في الحلال والحرام ، فكيف إذا كان في عبارات اليونسيَّة والفلاسفة وتلك الكفريَّات التي تعمي القلوب ؟ والله قد صرنا ضحكة في الوجود ، فإلى كم تنبشُ دقائق الكفريَّات الفلسفيَّة بعقولنا ، يا رجل قد بلعتَ سموم الفلاسفة وتصنيفاتهم مرَّات ، وكثرة استعمال السُّموم يُدمن عليه الجسم وتكمن والله في البدن . واشوقاه إلى مجلس فيه تلاوة بتدبُّر ، وخشية بتذكُّر ، وصمت بتفكُّر ، واهاً لمجلس يُذكرُ فيه الأبرار ، فعند ذكر الصَّالحين تنزل الرَّحمة ، لا عند ذكر الصَّالحين يُذكرون بالازدراء واللعنة ، كان سيف الحجَّاج ولسان ابن حزم شقيقين فواخَيتَهما ، بالله خلُّونا من ذكر بدعة الخميس وأكل الحبوب ، وجدوا في ذكر بدع كنَّا نعدها من أساس الضَّلال ، قد صارت هي محض السُّنَّة وأساس التَّوحيد ، ومن لم يعرفها فهو كافر أو حمار ، ومن لم يكفّر فهو أكفر من فرعون ، وتعدّ النَّصارى مثلنا ، والله في القلوب شكرك إن سَلِمَ لكَ إيمانك بالشَّهادتين فأنت سعيد .

يا خيبة من اتَّبعك فإنَّه مُعَرَّضٌ للزَّندقة والانحلال !!! ولا سيَّما إذا كان قليل العلم والدِّين باطوليّاً شهوانيّاً ، لكنَّه ينفعك ويجاهد عنك بيده ولسانه وفي الباطن عدو لك بحاله وقلبه ، فهل معظم أتباعك إلَّا قعيدٌ

---

(١) أخرج الشق الأوَّل منه : الطيالسي في المسند (٣/ ٩٥ برقم ١٥٩٧) .

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٢٦٤ برقم ٥٣) ، وغيره ...

(٣) أخرجه أحمد في المسند ، (١/ ٢٨٩ برقم ١٤٤) ، وغيره ...

مربوط خفيف العقل ، أو عامي كذَّاب بليد الذِّهن ، أو غريب واجم قوي المكر ، أو ناشف صالح عديم الفهم ، فإن لم تصدِّقني ففتشهم وزنهم بالعدل .

يا مسلم ، أقدم حمار شهوتك لمدح نفسك ، إلى كم تصادقها وتعادي الأخيار ؟ إلى كم تصدقها وتزدري الأبرار ، إلى كم تعظمها وتصغر العباد ، إلى متى تُخاللها وتمقت الزهَّاد ، إلى متى تمدح كلامك بكيفيَّة لا تمدح بها والله أحاديث الصَّحيحين ، يا ليت أحاديث الصَّحيحين تسلم منك بل في كلِّ وقت تُغيرُ عليها بالتَّضعيف والإهدار ، أو بالتَّأويل والإنكار .

أما آن لك أن ترعوي ؟ أمَّا حان لك أن تتوب وتنيب ، أمَّا أنت في عشر السَّبعين وقد قرب الرَّحيل . بلى والله ما أذكر أنَّك تذكر الموت بل تزدري بمن يذكر الموت ، فما أظنُّك تُقبل على قولي ولا تُصغي إلى وعظي ، بل لك همة كبيرة في نقض هذه الورقة بمجلَّدات وتقطع لي أذناب الكلام ، ولا تزال تنتصر حتى أقول لكَ : والبتَّة سكت .

فإذا كان هذا حالك عندي وأنا الشَّفوق المحبُّ الواد ، فكيف يكون حالك عند أعدائك ، وأعداؤك والله فيهم صلحاء وعقلاء وفضلاء ، كما أنَّ أولياءك فيهم فجرة وكذبة وجهلة وبطلة وعور وبقر .

قد رضيتُ منك بأن تسبَّني علانية ، وتنتفع بمقالتي سرَّاً : " فرحم الله امرءاً أهدى إليَّ عيوبي " (١) ، فإني كثير العيوب غزير الذنوب ، الويل لي إن أنا لا أتوب ، ووافضيحتي من علاَّم الغيوب ، ودوائي عفو الله ومسامحته وتوفيقه وهدايته ، والحمد لله ربِّ العالمين ، وصلى الله على سيِّدنا محمَّد خاتم النبيِّين ، وعلى آله وصحبه أجمعين " (٢) .

والرِّسالة ثابتة لا مجال للطَّعن فيها ، وذلك لـ :

١-أنَّ الإمام الذَّهبي تلميذ من تلاميذ ابن تيمية المشهورين ، وهو لا يعتقد في ابن تيمية العصمة ، بل خالفه وناقشه في العديد من المسائل ، قال الإمام الذَّهبي في معرض كلامه عن ابن تيمية ، على ما نقله عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني : " وَأَنا لَا أعتقد فِيهِ عصمَة ، بل أَنا مُخَالف لَهُ فِي مسَائِل أَصْلِيَّة وفرعية !!! ... " (٣) .

---

(١) أخرجه من كلام عمر بن الخطَّاب : الدارمي (١/ ٥٠٦ برقم ٦٧٥) .

(٢) انظر : السيف الصقيل في الردِّ على رد ابن زفيل (ص٢١٧-٢١٩) .

(٣) انظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١/ ١٧٦) .

وقال الذَّهبي في " تذكرة الحفَّاظ " في حديثه عن ابن تيمية : " وقد انفرد بفتاوى نيل من عِرضِهِ لأجلها ،... فالله تعالى يسامحه ويرضى عنه ، وكلّ أحد من الأمَّة فيؤخذ من قوله ويُترك " (١) .

وهذا بعكس من يدَّعون السَّلفيَّة في زماننا ، أولئك الذين أضفوا على كلام ابن تيمية هالة عظيمة من الجلال والإعظام ، حتى وصل الأمر ببعضهم إلى الاعتقاد بأنَّ كلامه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، بدليل أنَّنا لم نرَ عالماً منهم تجاسر على تخطئة ابن تيمية ، اللهمَّ إلَّا الألباني – فيما اطَّلعت – وقد ناقشه وخالفه على استحياء ، بل أنَّه حين ناقشه في مسألة فناء النَّار ذكر أنَّ لابن تيمية أجراً !!! فيما اجتهد فيه من القول بفناء النَّار ، مع أنَّها مسألة لا مجال فيها للاجتهاد ...

فلا مجال البتَّة لاعتقاد عدم صحَّة نسبة الرِّسالة للإمام الذَّهبي ، لأنَّ الدِّين النَّصيحة ، والإنسان أيّاً كان لا يستغني عن النَّصيحة ، والرِّسالة برمَّتها ما خرجت إلَّا مخرج النَّصيحة ، وقد وصف الإمام الذَّهبي أتباع ابن تيمية في النَّصيحة بقوله : " يا خيبة من اتَّبعك ، فإنَّه معرَّض للزَّندقة والانحلال ، لاسيَّما إذا كان قليل العلم والدِّين باطوليَّاً شهوانيَّاً . لكنَّه ينفعك ويجاهد عنك بيده ولسانه ، وفي الباطن عدو لك بحاله وقلبه ، فهل معظم أتباعك إلَّا قعيد مربوط خفيف العقل ، أو عامِّي كذاب بليد الذَّهن أو غريب واجم ، قوي المكر أو ناشف صالح عديم الفهم ، فإن لم تصدِّقني ففتِّشهم وزنهم بالعدل ... كما أنَّ أولياءك فيهم فجرة وكذبة وجهلة وبطلة وعور وبقر " . ففي هذا المقطع قيّم ووزن الذَّهبي أتباع ابن تيمية ممَّن يدَّعون السَّلفيَّة ، وهذا مدعاة لأن يراجعوا أنفسهم ، فقد وصف أتباعه بأنَّ منهم القعيد والمربوط وخفيف العقل ، وبليد الذَّهن وقوي المكر ، كما أنَّ أوليائه فيهم الفجرة والكذبة والبقر والعور . وفي هذا إشارة إلى أنَّ فكرهم فيه جهل وكذب . وكم نتمنَّى أن تكون نصيحة الإمـــام الذَّهبي لشيخه ابن تيمية مدعاة لمدَّعي السَّلفيَّة في زماننا كي يراجعوا حساباتهم وأنفسهم ، خاصَّة وأنَّهم ما تركوا عالماً من غير طريقتهم إلَّا وصموه بالكفر والنِّفاق والتَّعطيل والتَّجهُّم والفسق والضَّلال ...

٢-أنَّ الإمام الذَّهبي انتقد ابن تيمية غير مرَّة ، من ذلك قوله : " فإن برعت في الأصول وتوابعها من المنطق والحكمة و الفلسفة ، وآراء الأوائل ومجازات العقول ، واعتصمت مع ذلك بالكتاب والسُّنَّة وأصول السَّلف ، ولفقت بين العقل والنقل ، فما أظنُّك في ذلك تبلغ رتبة ابن تيمية ولا والله تقربها ، وقد رأيت ما آل أمره إليه من الحط عليه ، والهجر والتَّضليل والتَّكفير والتَّكذيب بحقٍّ وبباطل ، فقد كان قبل أن يدخل في هذه

(١) انظر : تذكرة الحفاظ (٤/ ١٩٢) .

الصِّناعة منوَّراً مضيئاً ، على محياه سيما السَّلف ، ثمَّ صار مظلماً مكسوفاً ، عليه قتمة عند خلائق من النَّاس ، ودجالاً أفَّاكاً كافراً عند أعدائه ، ومبتدعاً فاضلاً محقِّقاً بارعاً عند طوائف من عقلاء الفضلاء ، وحامل راية الإسلام وحامي حوزة الدِّين ومحيي السُّنَّة عند عوامِّ أصحابه " (١) .

فالذَّهبي ذمّ ابن تيمية بسبب خوضه بالفلسفة ، وهذا الذمُّ منه ينسف مدحه له في " تذكرة الحفَّاظ " حين قال : " فما رأيت مثله " (٢) .

وقال الإمام الذَّهبي : " فوالله ما رَمَقت عيني أوسع علماً ولا أقوى ذكاء من رجل يقال له : ابن تيمية ، مع الزَّهد في المأكل والملبس والنِّساء ، ومع القيام في الحق والجهاد بكلِّ ممكن ، وقد تعبتُ في وزنه وفتَّشته حتى مللت في سنين متطاولة ، فما وجدت قد أخره بين أهل مصر والشَّام ومقتته نفوسهم وازدروا به وكذَّبوه وكفَّروه إلَّا الكبر والعجب ، وفرط الغرام في رياسة المشيخة والازدراء بالكبار ، فانظر كيف وبال الدَّعاوي ومحبَّة الظُّهور ، نسأل الله تعالى المسامحة ، فقد قام عليه أناس ليسوا بأورع منه ، ولا أعلم منه ، ولا أزهد منه ، بل يتجاوزون عن ذنوب أصحابهم وآثام أصدقائهم ، وما سلَّطهم الله عليه بتقواهم وجلالتهم بل بذنوبه ، وما دفعه الله عنه وعن أتباعه أكثر ، وما جرى عليهم إلَّا بعض ما يستحقون ، فلا تكن في ريب من ذلك " (٣) .

٣-أثبت رسالة الإمام الذَّهبي لشيخه ابن تيمية الإمام شمس الدِّين محمَّد بن عبد الرَّحمن السَّخاوي (٩٠٢هـ) ، فقال : " وقد رأيت له - أي للذَّهبي - عقيدة مجيدة ، ورسالة كتبها لابن تيمية هي لدفع نسبته لمزيد تعصبه مفيدة " (٤) .

وكذلك أثبتها الأستاذ الدكتور بشَّار عواد معروف ، فقال عن الرِّسالة : " وهي رسالة بعث بها الذَّهبي إلى شيخه ورفيقه أبي العبَّاس ابن تيمية الحراني ينصحه فيها ويعاتبه في بعض تصرُّفاته ، وهي رسالة مفيدة في تبيان عقيدة الذَّهبي وقد ذكرها السَّخاوي في الإعلان ... وذهب بعضهم إلى القول بأنَّها مزوَّرة ، ولا عبرة بذلك " (٥) .

---

(١) انظر : زغل العلم (ص٤٢).

(٢) انظر : تذكرة الحفاظ (٤٤/ ١٩٢) .

(٣) انظر : زغل العلم (ص٣٨) .

(٤) انظر : الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التَّاريخ (ص٧٧) .

(٥) انظر : الذَّهبي ومنهجه في كتابه تأريخ الإسلام (ص١٤٦) .

وذكر الأستاذ الدكتور بشار عواد معروف نُسخ الرِّسالة ، وأنَّها موجودة في : دار الكتب المصريَّة بخط تقي الدِّين ابن قاضي شهبة الأسدي المتوفَّى سنة (٨٥١هـ) رقم ( ١٨٨٢٣ ) ، وفي : دار الكتب الظَّاهريَّة برقم ( ١٣٤٧ ) ، وقد نقلتها من كتاب : " السَّيف الصَّقيل في الرَّدِّ على ابن زفيل " للإمام تقي الدِّين علي بن عبد الكافي السُّبكي المتوفَّى سنة (٧٥٦هـ) ...

الملاحظة الثَّانية : أنَّه قسَّم التَّوحيد إلى أقسام ثلاثة : ربوبيَّة ، وألوهيَّة ، وأسماء وصفات . وهذا التَّقسيم ما سبقه إليه أحد من العالمين ، ولم يقل به أحد من السَّلف الذي يزعم أنَّه يقول بقولهم ، وقد اعتاد أتباعة ممَّن يدَّعون السَّلفيَّة ظلماً وزوراً وبهتاناً وعدواناً على هذا التَّقسيم في مؤلَّفاتهم ومصنَّفاتهم ، وكان من أشهرهم : ابن أبي العز شارح العقيدة الطَّحاويَّة ، الذي خالف عقيدة الطَّحاوي في أمور عديدة لا يستحقُّ بسببها أن يُسمَّى شرحه باسمها ، وقد ذكرتها في كتابي : " إِرْشَادُ الفُحُوْلِ إلى مَا قَالَهُ أَسَاطِيْنُ العِلْمِ فِيْ تَنْزِيْهِ الله عَنِ الحَرَكَةِ وَالنُّزُوْل " ، ولذلك قال عنه الإمام علي القاري الحنفي : صاحب مذهب باطل تابع لطائفة من المبتدعة ...

وفي الرَّدِّ على هذا التَّقسيم المبتدع ، قال الإمام محمَّد العربي التبَّاني الشَّهير بأبي حامد مرزوق (١٣٩٠هـ) : " ... لم يقل الإمام أحمد بن حنبل الذي انتسب إليه كذباً لأصحابه : إنَّ التَّوحيد قسمان : توحيد الرُّبوبيَّة وتوحيد الألوهيَّة ، وإنَّ من لم يعرف توحيد الألوهيَّة لا تعتبر معرفته لتوحيد الرُّبوبيَّة ، لأنَّ هذا يعرفه المشركون ، وهذه عقيدة الإمام أحمد مدوَّنة في مصنَّفات أتباعه في مناقبه لابن الجوزي ، وفي غيره ليس فيه هذا الهذيان .

الوجه الثَّاني : لم يقل أيُّ واحد من أتباع التَّابعين لأصحابه : إنَّ التَّوحيد قسمان : توحيد الرُّبوبيَّة وتوحيد الألوهيَّة ، وإنَّ من لم يعرف توحيد الألوهيَّة لا يعتدُّ بمعرفته لتوحيد الرُّبوبيَّة ، فلو اجتمع معه الثَّقلان على إثباته عن أي واحد منهم لا يستطيعون .

الوجه الثَّالث : لم يقل أيُّ واحد من التَّابعين لأصحابه : إنَّ التَّوحيد ينقسم إلى توحيد الرُّبوبيَّة وتوحيد الألوهيَّة ، فلو اجتمع معه الثَّقلان على إثباته عن أي واحد منهم لا يستطيعون .

الوجه الرَّابع : لم يقل أيُّ صحابي من أصحاب النَّبي صَلَّى الله تعالى عليه وَسَلَّم ورضي عنهم أنَّ التَّوحيد ينقسم إلى توحيد الرُّبوبيَّة وتوحيد الألوهيَّة ، وأنَّ من لم يعرف توحيد الألوهيَّة لا يعتدُّ بمعرفته لتوحيد الرُّبوبيَّة ، لأنَّ هذا يعرفه المشركون ، وإنِّي أتحدَّى كلَّ من له إلمامٌ بالعلم أن ينقل لنا هذا التَّقسيم المخترع عنهم ، ولو برواية واهية .

الوجه الخامس : لم يأت في سنَّة النَّبي صَلَّى الله تعالى عليه وَسَلَّم الواسعة التي هي بيان لكتاب الله عزَّ وجلَّ من صحاح وسنن ومسانيد ومعاجم ، أنَّ النَّبي صَلَّى الله تعالى عليه وَسَلَّم كان يقول لأصحابه ويعلمهم أنَّ التَّوحيد ينقسم إلى توحيد الرُّبوبيَّة وتوحيد الألوهيَّة ، وأنَّ من لم يعرف توحيد الألوهيَّة لا يعتدُّ بمعرفته لتوحيد الرُّبوبيَّة ، لأنَّ هذا يعرفه المشركون ، فلو اجتمع معه الثَّقلان على إثبات هذا الهذيان عن النَّبي صَلَّى الله تعالى عليه وَسَلَّم بإسناد ولو واهياً لا يستطيعون .

الوجه السَّادس : بل كُتُب السُّنَّة طافحة بأنَّ دعوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم النَّاس إلى الله كانت إلى شهادة أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمداً رسول الله ، وخلع عبادة الأوثان ، ومن أشهرها : حديث معاذ بن جبل لما أرسله النَّبي صَلَّى الله تعالى عليه وَسَلَّم إلى اليمن ، فقال له : " ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّداً رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأخبرهم أنَّ عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة ... الحديث " .

وروى الخمسة وصحَّحه ابن حبَّان أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أخبره أعرابي برؤية الهلال ، فأمر بالصِّيام ولم يسأله النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إلَّا عن الإقرار بالشَّهادتين ، وكان اللازم على هذيانه هذا أن يدعو النَّبي صَلَّى الله تعالى عليه وَسَلَّم جميع النَّاس إلى توحيد الألوهيَّة الذي جهلوه ، وأمَّا توحيد الرُّبوبيَّة فقد عرفوه ! ويقول لمعاذ : ادعهم إلى توحيد الألوهيَّة ! ويقول للأعرابي الذي رأى هلال رمضان هل تعرف توحيد الألوهيَّة ؟!

الوجه السَّابع : لم يأمر الله في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه عباده بتوحيد الألوهيَّة ، ولم يقل لهم : إنَّ من لم يعرفه لا يعتدُّ بمعرفته لتوحيد الرُّبوبيَّة ، بل أمر وهو :

الوجه الثَّامن : بكلمة التَّوحيد مطلقة ، قال الله تبارك وتعالى مخاطباً نبيه صَلَّى الله تعالى عليه وَسَلَّم : ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد : ١٩] ، وهكذا جميع آيات التَّوحيد المذكورة في القرآن ، مع سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن .

الوجه التَّاسع : يلزم على هذا الهذيان على الله تبارك وتعالى لعباده حيث عرفوا كلُّهم توحيد الرُّبوبيَّة ولم يعرفوا توحيد الألوهيَّة ـ أن يبيِّنه لهم ولا يضلّهم ولا يعذبهم على جهلهم نصف التَّوحيد ولا يقول لهم : ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة : ٣ ] ، نعوذ بالله من زلقات اللسان ، وفساد الجنان .

الوجه العاشر : الإله هو الربُّ ، والربُّ هو الإله ، فهما متلازمان يقع كلّ منهما في موضع الآخر ، وكتاب الله تعالى طافح بذلك ، وكذلك سنَّته عليه الصَّلاة والسَّلام ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة : ٢١ ] ، وكان اللازم – على زعمه – حيث كانوا يعرفون توحيد الرُّبوبيَّة ولا يعرفون توحيد الألوهيَّة أن يقول الله : ( اعبدوا إلهكم ) !!

وقال الله تعالى : ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ﴾ [البقرة : ٢٥٨] الآية ، وكان اللازم – على زعمه حيث كان النَّمرود يعرف توحيد الرُّبوبيَّة ويجهل توحيد الألوهيَّة – أن يقول الله تعالى : ( ألم تر إلى الذي حاجَّ ابراهيم في إلهه ) !!

وكان اللازم على زعمه أن يقول الله في قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ [النساء : ١] !!

وكان اللازم على زعمه أن يقول الله في قوله تعالى : ﴿إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ﴾ [المائدة : ١١٢] ، هل يستطيع إلهك ، وكان اللازم على زعمه أن يقول الله في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴾ [الأنعام : ١] ، لأنَّ الربَّ يعرفونه ، وهو شيء كثير في القرآن ...

الوجه الثَّلاثون : جعله التَّوسُّل والاستغاثة عبادة للمتوسَّل به والمستغاث به والمستعان به !!

قوله : ( وهم مع ذلك يعبدون غيره ) فاسد أيضاً ، ومعناه يقول أحمد بن تيمية الملبِّس بلفظ ( الطَّائفة ) ، والملبِّس أيضاً المدَّعي أنَّه ( من السَّلف ) للمالكيَّة والشَّافعيَّة والحنفية ومستقيمي العقيدة من الحنابلة ( من خلق السموات والأرض فيقولون الله ) ، وهم مع اعترافهم بتوحيد الرُّبوبيَّة مشركون في رأيه لأنَّهم ( يعبدون غيره ) ، أي : يتوسَّلون بالنَّبي صَلَّى الله تعالى عليه وَسَلَّم وبالصَّالحين من أُمَّته ، ويستغيثون ويستعينون بهم ، وكلٌّ من التَّوسُّل والاستعانة والاستغاثة عبادة غير الله تعالى في زعمه !!

وقد اعتمد في تكفير المسلمين بهذه الألفاظ على إرادة نفع جاه المتوسَّل به أو المُستغاث به مثلاً ، قياساً على عبدة الأوثان بجامع الإرادة المذكورة في كلّ ، وهو قياس فاسد من ستَّة أوجه :

الأوَّل : جهله حقيقة العبادة ، فإنَّ العبادة لغة : أقصى نهاية الخضوع والتَّذلل بشرط نية التقرُّب ، ولا يكون ذلك إلَّا لمن له غاية التَّعظيم ، فقد تبيَّن منه أنَّ العبادة لغة لا تُطلق إلَّا على العمل الدَّال على الخضوع المتقرَّب به

لمن يعظمه باعتقاد تأثيره في النَّفع والضُّر ، أو اعتقاد الجاه العظيم الذي ينفعه في الدُّنيا والآخرة ، وهي التي نهى الله سبحانه وتعالى عن أن تقع لغيره ، وكفر من لم ينته عنها ، وما قصر عن هذه المرتبة لا يقال فيه عبادة لغير الله .

وشرعاً : امتثال أمر الله كما أمر على الوجه المأمور به من أجل أنَّه أمر ، مع المبادرة بغاية الحبِّ والخضوع والتَّعظيم ، فاعتبر فيها ما اعتبر في اللغويَّة من الخضوع والتَّذلل والتَّعظيم .

فاللغويَّة غير مقيَّدة بعمل مخصوص والشَّرعيَّة مقيَّدة بالأعمال المأمور بها ، فكانت جارية على الأعمِّ الأغلب في الحقائق الشَّرعيَّة من كونها أخصّ من اللغويَّة .

ومن أجل اختصاصها بالمأمور به خرجت عبادة اليهودي مثلاً ، لأنَّه وإن تمسَّك بشريعة إلَّا أنَّها لما كانت منسوخة كانت كأن لم تكن ، وعبادة المبتدع في الدِّين ما ليس منه ، فالله سبحانه لَّما نهى الكفَّار عمَّا هم مشتغلون به من عبادة غيره ، ووبَّخهم على وضع الشَّيء في غير محلِّه وتعظيمهم غير أهله ، وبيَّن لهم بالدَّلائل الواضحة عدم صلوحيَّة ما اتَّخذوه من دونه لما اتَّخذوه إليه ، وكان الحامل لهم على ذلك اتَّباع أهوائهم ، والاسترسال مع أغراضهم، وذلك مناف لعبوديَّتهم ، إذا العبد لا يتصرَّف في نفسه بمقتضى شهوته وغرضه ، وإنَّما يتصرَّف على مقتضى أمر سيّده ونهيه ، قصد سبحانه أن يخرجهم عن داعية أهوائهم واتباع أغراضهم ، حتى يكونوا عبيداً لله تعالى ، اختياراً كما هم عبيد له اضطراراً ، فوضع لهم الشَّريعة المطهَّرة وبين لهم الأعمال التي تعبَّدهم بها ، والطُّرق التي توصلهم إلى منافعهم ومصالحهم على الوجه الذي ارتضاه لهم ، ونهاهم عن مجاوزة ما حد لهم ...

وعلى هذا فشرط كونها عبادة نيَّة التقرُّب للمعبود ، فالسُّجود لا يكون عبادة ولا كفراً إلَّا تبعاً للنيَّة ، فسجود الملائكة عليهم الصَّلاة والسَّلام لآدم عليه الصَّلاة والسَّلام عبادة لله ، لأنَّه امتثال لأمره وتقرُّب وتعظيم له ، والسُّجود للصَّنم كفر إذا قصد به التقرُّب إليه اذ هو عبادة لغير الله ، وكذا يحكم عليه به عند جهل قصده أو إنكاره لأنَّه علامة على الكفر .

والسُّجود للتَّحيَّة معصية فقط في شرعنا ، وقد كان سائغاً في الشَّرائع السَّابقة ، بدليل سجود يعقوب وبنيه ليوسف عليهم الصَّلاة والسَّلام .

فتحقَّق من تعريفي العبادة لغة وشرعاً أنَّ العبادة التَّذلل والتَّعظيم للمعبود ، وعليه فليس كل تعظيم عبادة ، وأنَّ ضابط التَّعظيم المقتضي للعبادة هو أن يعتقد له التَّأثير في النَّفع والضّر ، أو يعتقد له الجاه التَّام والشَّهادة المقبولة بحيث ينفع في الآخرة ويستنزل به النَّصر والشِّفاء في الدُّنيا .

والتَّوسُّل لا يُسمَّى عبادة قطعاً ، ولا يقال فيه عبادة ، وإنَّما هي وسيلة إليها ، ووسيلة الشَّيء غيره بالضَّرورة .

الثَّاني : الوسيلة لغة كلّ ما يتقرَّب به إلى الغير ، وسَل إلى الله تعالى توسيلاً عمل عملاً تقرَّب به إليه ، فتحقَّق منه أنَّ التَّوسُّل لا يُسمَّى عبادة قطعاً ، ولا يقال فيه عبادة ، وإنَّما هو وسيلة إليها ، ووسيلة الشَّيء غيره بالضّرورة وهو واضح ، فإنَّ التَّوسُّل لا تقرُّب فيه للمتوسّل به ولا تعظيمه غاية التَّعظيم ، والتَّعظيم إذا لم يصل إلى هذا الحدّ لا يكون الفعل المعظّم به عبادة ، فلا يطلق اسم العبادة على ما ظهر من الاستعمال اللغوي إلَّا على ما كان بهذه المثابة من كون العمل دالاً على غاية الخضوع منويّاً به التَّقرُّب للمعبود تعظيماً له بذلك التَّعظيم التَّام ، فاذا اختلَّ شيء منها منع الإطلاق ، أمَّا الدّلالة على نهاية الخضوع فظاهر ، لأنَّ مناط التَّسمية لم يوجد ، ولأنَّ النَّاس من قديم الزَّمان إلى الآن يخضعون لكبرائهم ورؤسائهم بما يقتضيه مقامه الدُّنيوي عندهم ويحيونهم بأنواع التَّحيَّات ، ويتذلَّلون بين أيديهم ولا يعدُّون ذلك قربة ولا يطلقون عليه اسم العبادة ، وإنَّما يرونه من باب الأدب ، وما ذاك إلَّا لكون ذلك الخضوع لم يبلغ نهايته والعظيم النَّاشئ عنه لم يبلغ غايته ، وبهذا ظهر الفرق بين التَّوسُّل والعبادة . على أن عبد يتعدَّى بنفسه وتوسَّل يتعدَّى بحرف الجر .

وقد أوغل ابن تيمية في بيداء القياس الفاسد دفعتين ، قياسه معاني هذا الألفاظ ، توسّل استعان ، استغاث ، تشفع ، على العبادة ، وقياسه المؤمنين المتوسِّلين بالنَّبي صَلَّى الله تعالى عليه وَسَلَّم مثلاً على عبدة الأوثان من دون الله بجامع أرادة الجاه في كل .

فلينظر اللبيب إلى أين رماه جهله باللغة العربيَّة ، فانَّه لو تأمَّل في قول القائل: اللهمَّ إنِّي أتوسَّل إليك بفلان ، وأجراه على ما تدلُّ عليه اللغة لوجد معناه ، اللهمَّ إنِّي أتقرَّب إليك وأتحبَّب إليك ، فهو دالٌّ بجوهره على أنَّ التقرُّب لله لا لمن يراد جاهه !!

ومن جهل الفرق بين عبد وتوسَّل ، كيف يصحُّ له القياس في دين الله والحاق بعض الفروع ببعض ، والقياس أصعب أنواع الاجتهاد ، لكثرة ما يعتبر في أركانه من الشُّروط ، وما يرد عليه من المعارضات والمناقضات وغير ذلك من أنواع الاعتراضات ، فلا يصفو مشربه إلَّا لأهل الاجتهاد ومن أحاط بمداركهم على اختلاف مراتبهم ، ومن قصر عن تلك المراتب لا يسوغ له الجزم بالحكم المأخوذ منه في دانق ، فكيف بالحكم المأخوذ منه في تكفير المسلمين ؟!!

الثَّالث : وحيث تحقَّق الفرق بين العبادة والتَّوسُّل ، فالعبادة فيها معنى زائد يناسب إناطة الحكم به ، وهو اشتمالها على الأعراض عن الله وإطلاق الإلهيَّة على غيره وإقامته مقامه وخدمته بما يستحق أن يخدم ، وقد أشار إلى هذا المعنى بعض فضلاء أهل السُّنَّة ، وملخَّص كلامه : أنَّ الشُّبهة الحاملة لعبدة الأوثان على عبادتها هي أنَّهم استصغروا أنفسهم فاستعظموا أن يعبدوا الله مباشرة ، ورأوا من سوء الأدب أن يشتغل الحقير من أوَّل وهلة بخدمة العظيم ، وقرَّبوا ذلك بأمر مستحسن في العادة ، وهو أنَّ الحقير لا ينبغي له أن يخدم الملك حتى يخدم عماله إلى أن يترقَّى لخدمته ، وقال : وهذه هي الحاملة على التَّوسُّل إلى الله تعالى بمن له جاه عنده ، إلَّا أنَّ الشَّرع أذن في التَّوسُّل ولم يأذن في العبادة ، فكانت حاجة الكفَّار تندفع بما شرعه الله ، إلَّا أنَّ الله تعالى أعمى بصائرهم ، ولو تنبَّهوا لأمر عادي آخر لأرشدهم ، فإنَّ الملك من ملوك الدُّنيا إذا استجاه له أحد بعظيم من وزرائه وتشفع له بذلك ، ربما أقبل عليه وأخذ بيديه وقضى ما أراده منه . أمَّا إذا عظم ذلك الوزير بما يعظم به الملك وعامله بمعاملته وأقامه في مقامه فيما يختصُّ به الملك عن غيره ، رجاء أن يقضي ذلك الوزير حاجته من الملك ، فإنَّ الملك إذا علم بصنيعه يغضب أشدَّ الغضب ، ولا يقتصر في العقوبة على قطع الرَّجاء من الحاجة ، بل يفتك به وبالوزير إن أحبَّ ذلك !

فمثال التَّوسُّل الأوَّل ، ومثال العبادة الثَّاني ، فتأمَّل هذا المثال فإنَّه واف بواقعة الحال ، وبالله التَّوفيق والاعتصام .

الرَّابع : القاعدة المشهورة المطَّردة ، وهي : أنَّ استواء الفعلين في السَّبب الحامل على الفعل لا يوجب استواءهما في الحكم ، يدلُّ على هاته القاعدة دلالة قطعيَّة ، أنَّه لو لم يكن الأمر كذلك بأن كان الاستواء في الحامل يوجب الاستواء في الحكم – كما ادَّعاه ابن تيمية وقرَّره في قياسه التَّوسُّل على العبادة والمتوسل على عابد الوثن – ، للزم إبطال الشَّريعة وتساوي الأعمال في الأحكام ، واللازم باطل بالاتِّفاق ، وهو ضروري غني عن الاستدلال !! " (١) .

ونحن نقول لأصحاب هذا التَّوحيد :

هل يُعتبر موحِّداً من قال الله فيهم : ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [الأنعام : ٢٩ ] .

---

(١) انظر : براءة الأشعريين من عقائد المخالفين (١/ ٩٦-١٢٩ باختصار) .

وهل هم موحِّدون من قال الله تعالى فيهم : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ [الفرقان : ٦٠ ] .

وهل هم موحِّدون من قال الله فيهم : ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ * فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ * وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ * وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ * أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ * هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ * إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [المؤمنون : ٣١-٣٧ ] .

وهل فرعون يُعتبر موحِّداً ، وقد قال فيما حكاه الله عنه : ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات : ٢٤ ] ... وهو بهذا القول يدَّعي الرُّبوبيَّة لنفسه ، وقد سلَّم له بها قومه ، بعد أن استخفَّ عقولهم ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [الزخرف : ٥٤] ، وحكى الله تعالى جدال موسى مع فرعون ، وأنَّ فرعون قال له : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ * قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الشعراء :٢٣-٢٧ ] .

وهل يدخل في التَّوحيد من خاطبهم يوسف عليه السَّلام بقوله : ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يوسف : ٣٩ ] .

وهل يدخل في التَّوحيد من قال الله تعالى فيهم : ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ * وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴾ [ص : ٤-٧ ] .

وهل يدخل في التَّوحيد من قال الله تعالى فيهم : ﴿ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ * قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٨١-٨٣] .

وهل يُعتبر موحِّداً من سيقول لمتبوعه يوم القيامة : ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء : ٩٧-٩٨] .

وكيف يكون مؤمناً ربوبيَّة من قال الله تعالى فيهم : ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة : ٣١] .

وكيف يكون مؤمناً ربوبيَّة من خاطبهم إبراهيم عليه السَّلام بقوله : ﴿بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء : ٥٦] .

وكيف يكون مؤمناً ربوبيَّة من حكم الله تعالى بكفره ، فقال : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾[الرعد : ٣٠] .

وكيف يكون النَّمرود مؤمناً ربوبيَّة ، وقد قال الله تعالى عنه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾[البقرة : ٢٥٨] .

فالنَّمرود ادَّعى الرُّبوبيَّة من دون الله تعالى ، وخلع على نفسه خصائص الرُّبوبيَّة ، من إحياء الموتى ، وإماتة الأحياء ، ولذلك عمد إلى مجادلة إبراهيم عليه السَّلام في الرُّبوبيَّة لا في الألوهيَّة ... فكيف يزعم متمسلفة هذا الزَّمان بأنَّ الخلق ومن ضمنهم النَّمرود يؤمنون بالرُّبوبيَّة لله تعالى ؟!!

وكيف يزعم ابن تيمية أنَّ التَّوحيد الَّذِي أَمَرَ الله بِهِ الْعِبَادَ هُوَ تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ ، وأنَّ توحيد الرُّبوبيَّة كَانَ يُقِرُّ بِهِ الْمُشْرِكُونَ ؟ وكيف يزعم ابن عبد الوهَّاب أنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أُرسِلَ إلى قومٍ يتعبَّدون !!! ويحجُّون !!! ويتصدَّقون !!! ويذكرون الله كثيراً !!! مع أنَّ الله تعالى أمر الرَّسول ومعه الصَّف المؤمن بمواجهة الكفرة بأنَّ لكم دينكم ولنا دين ، قال سبحانه وتعالى : ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ * لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ * وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون : ١-٦]

فسورة " الكافرون " تردُّ على دعوى ابن تيمية الفارغة حين زعم أنَّ " الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يُقِرُّونَ بِهَذَا التَّوحيد – تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ – وَمَعَ هَذَا يُشْرِكُونَ بِاللهِ ، فَيَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ ، وَيَقُولُونَ : أَنَّهم شُفَعَاؤُنَا عِنْدَهُ وأنَّهم يَتَقَرَّبُونَ بِهِمْ إِلَيْهِ ، فَيَتَّخِذُونَهُمْ شُفَعَاءَ وَقُرْبَاناً ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ

﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس : ١٨] ، وَقَالَ تَعَالَى :﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر : ٣] (١) .

هذا ما قاله ابن تيمية ، وهي مجازفة كبيرة وخطيرة أدَّت فيما بعد إلى أن يتمسَّك بها الرّعاع الجهلة ويجعلوها متمسَّكاً ودليلاً على تكفير أُمَّة محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم التي اعتادت على التَّوسُّل إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين ، مع الإيمان المطلق بأنَّ الله تعالى هو مالك الأمر كله ، وأنَّ المتوسَّل به إلى الله تعالى لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضرّاً ...

فالله تعالى أخبرنا أنَّه سبحانه وتعالى له الأمر من قبل ومن بعد ، وكلّ شيء بيده سبحانه ، لكنَّه طالبنا أن نربط الأسباب بمسبَّباتها ، فهو سبحانه القائل : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات : ٥٨ ] ، والقائل : ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [الملك : ١٥] ، وهو سبحانه القائل : ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال : ١٧] ، والقائل : ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ﴾ [البقرة : ١٩١]

فإن استشهدوا على إيمان الكفرة والمشركين بالرُّبوبيَّة بقول الله تعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت : ٦١] ، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت : ٦٣ ] ، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [لقمان : ٢٥] ، ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ * بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٦-٩٠]

قلنا : إنَّ المشركين ما قالوا هذا إلَّا بعد أن غُلبوا بالحُجَّة وألزموا بها ، فقالوه بألسنتهم وأبته قلوبهم ، فنافقوا ، والمنافق هو الذي يُبطن الكفر ويُظهر الإيمان الذي هو تصديق القلب ... ثمَّ إنَّ مجرَّد النُّطق باللسان لا يُدخل الإنسان في دائرة الإيمان إن لم يرافقه تصديق الجَنان ، كما أنَّ من يدَّعون السَّلفيَّة شنَّعوا على من فسَّروا

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٧٨) .

الإيمان بالتَّصديق دون العمل ... فكيف أدخلوا المشركين عبدة الأصنام والأوثان في دائرة الإيمان ؟!!! بل جعلوهم أكثر إيماناً ممَّن يدْعون الله الواحد الأحد الفرد الصَّمد ويتوسَّلون إليه بأشرف الخلق وحبيب الحقِّ محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ؟!! مع الإيمان المطلق بأنَّ النَّفع والضرَّ بيد الله تعالى وحده لا شريك له ، وأنَّ الأنبياء فضلاً عن الأولياء والصَّالحين لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعاً ولا ضرّاً ، لا في حياتهم ولا بعد وفاتهم ، لأنَّ النافع والضارَّ هو الله تعالى وحده ، وقد قال الله تعالى فيما حكاه عن الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف : ١٨٨] ، وأنَّ مراد المتوسِّل من المتوسَّل به إنَّما هو الطَّلب بأن يدعو الله تعالى له ، لأنَّ الموت ليس عدماً أو فناء محضاً ، والنُّبوَّة لا تنقطع رتبتها بالموت ، الذي هو انتقال من دار الدُّنيا إلى دار البرزخ ، وللأرواح عمل وتصرُّفٌ بعد المـــوت ، فهي ترى ، وتسمع ، وتتكلَّم ، فتدعـــو ، وتستغفر ...

وقد حكم الله تعالى بكفر المشركين الذين قالوا : ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر : ٣ ] ، حيث قال الله تعالى في الردِّ عليهم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [الزمر : ٣] . قال الإمام الطَّبري في تفسيرها : " يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة : ٥١] إلى الْحَقِّ وَدِينِهِ الْإِسْلَامِ ، وَالْإِقْرَارِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ ، فَيُوَفِّقُهُ لَهُ ﴿ مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [الزمر : ٣ ] ، مُفْتَرٍ عَلَى اللهَّ ، يَتَقَوَّلُ عَلَيْهِ الْبَاطِلَ ، وَيُضِيفُ إِلَيْهِ مَا لَيْسَ مِنْ صِفَتِهِ ، وَيَزْعُمُ أَنَّ لَهُ وَلَداً افْتِرَاءً عَلَيْهِ ، كَفَّارٌ لِنِعَمِهِ ، جَحُودٌ لِرُبُوبِيَّتِهِ " (١) .

وقال الإمام الرَّازي : " وَالْمُرَادُ أَنَّ مَنْ أَصَرَّ عَلَى الْكَذِبِ وَالْكُفْرِ بَقِيَ مَحْرُوماً عَنِ الْهِدَايَةِ ، وَالْمُرَادُ بِهَذَا الْكَذِبِ وصفهم لهذه الْأَصْنَامِ بِأَنَّهَا آلِهَةٌ مُسْتَحِقَّةٌ لِلْعِبَادَةِ مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّهَا جَمَادَاتٌ خَسِيسَةٌ وَهُمْ نَحَتُوهَا وَتَصَرَّفُوا فِيهَا ، وَالْعِلْمُ الضَّرُورِيُّ حَاصِلٌ بِأَنَّ وَصْفَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ بِالْإِلَهِيَّةِ كَذِبٌ مَحْضٌ ، وأَمَّا الْكُفْرُ فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْهُ الْكُفْرَ الرَّاجِعَ إِلَى الِاعْتِقَادِ ، والأمر هاهنا كَذَلِكَ فَإِنَّ وَصْفَهُمْ لَهَا بِالْإِلَهِيَّةِ كَذِبٌ ، وَاعْتِقَادُهُمْ فِيهَا بِالْإِلَهِيَّةِ جَهْلٌ وَكُفْرٌ . وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ كُفْرَانَ النِّعْمَةِ ، وَالسَّبَبُ فِيهِ أَنَّ الْعِبَادَةَ نِهَايَةُ التَّعْظِيمِ وَنِهَايَةُ التَّعْظِيمِ

(١) انظر : تفسير الطَّبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) (٢٠/ ١٥٨) .

لَا تَلِيقُ إِلَّا بِمَنْ يَصْدُرُ عَنْهُ غَايَةُ الْإِنْعَامِ ، وَذَلِكَ الْمُنْعِمُ هُوَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَهَذِهِ الْأَوْثَانُ لَا مَدْخَلَ لَهَا فِي ذَلِكَ الْإِنْعَامِ ، فَالِاشْتِغَالُ بِعِبَادَةِ هَذِهِ الْأَوْثَانِ يُوجِبُ كُفْرَانَ نِعْمَةِ الْمُنْعِمِ الْحَقِّ " (١) .

فقولهم : ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر : ٣] ، ما كان إلَّا تعليلاً زائفاً وفاسداً لعبادتهم ما نحتوا من الحجارة التي عبدوها وقرَّبوا لها القرابين ، فجاء الرَّدُّ القرآني عليهم تنبيهاً على كفرهم وضلالهم .

فبعد أن أُقيمت الحجَّة عليهم بأنَّ ما يعبدون من الأوثان والأصنام التي نحتوها وجسَّموها بأيديهم لا تملك لهم نفعاً ولا ضرَّاً ، ولا حياة ولا موتاً ، قالوا مُرغمين بألسنتهم : ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] . وهذا من كفرهم وكذبهم الذي كشفه الله في القرآن العظيم ، فقوله سبحانه : ﴿كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [الزمر : ٣] ، إشارة إلى كذبهم حين زعموا : ﴿لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ لأنَّهم عبدوا أصنامهم وأوثانهم ، وآمنوا بأنها تنفعُ وتضرُّ وترزقُ ، وأضافوا إليها صفات الرُّبوبيَّة والألوهيَّة ...

فالآية تصوِّر كذبهم في مدَّعاهم ، وأنَّهم لو كانوا مؤمنين صادقين في إيمانهم لما أشركوا ما يعبدون من الأصنام مع الله تعالى ، ولَمَّا عبدوا غيره سبحانه ، ولَمَّا سبُّوه حين تُسبُّ آلهتهم ، ولذلك نهى الله المسلمين أن يسبُّوا أصنام المشركين ، فقال : ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام : ١٠٨] .

قال الطَّبري في تفسيرها : " يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَلِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ : وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُو الْمُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللهَّ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ ، فَيَسُبَّ الْمُشْرِكُونَ اللهَّ جَهْلاً مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ وَاعْتِدَاءً بِغَيْرِ عِلْمٍ ، كَمَا حدَّثني الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو صَالِحٍ ، قَالَ : ثني مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنِ ابْنِ عبَّاس ، قَوْلُهُ : ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ﴾ [الأنعام : ١٠٨] ، قَالَ : قَالُوا : يَا محمَّد ، لَتَنْتَهِيَنَّ عَنْ سَبِّ آلِهَتِنَا أَوْ لَنَهْجُوَنَّ رَبَّكَ ، فَنَهَاهُمُ اللهُ أَنْ يَسُبُّوا أَوْثَانَهُمْ فَيَسُبُّوا اللهَّ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ .

حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ : ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ﴾ [الأنعام : ١٠٨] : كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَسُبُّونَ أَوْثَانَ الْكُفَّارِ ، فَيَرُدُّونَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، فَنَهَاهُمُ اللهُ أَنْ يَسْتَسِبُّوا لِرَبِّهِمْ ، فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ جَهَلَةٌ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِاللهَّ .

---

(١) انظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (٢٦/ ٤٢٢) .

حَدَّثَنَا محمَّد بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطٌ ، عَنِ السُّدِّيِّ : ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۗ﴾ [الأنعام : ١٠٨] ، قَالَ : لما حَضَرَ أَبَا طَالِبٍ الْمَوْتُ قَالَتْ قُرَيْشٌ : انْطَلِقُوا بِنَا فَلْنَدْخُلْ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ فَلْنَأْمُرْهُ أَنْ يَنْهَى عَنَّا ابْنَ أَخِيهِ ، فَإِنَّا نَسْتَحِي أَنْ نَقْتُلَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ فَتَقُولُ الْعَرَبُ : كَانَ يَمْنَعُهُ ، فلمَّا مَاتَ قَتَلُوهُ ، فَانْطَلَقَ أَبُو سُفْيَانَ ، وَأَبُو جَهْلٍ ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَأُمَيَّةُ وَأُبَيُّ ابْنَا خَلَفٍ ، وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْبَخْتَرِيِّ ، وَبَعَثُوا رَجُلاً مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ : الْمُطَّلِبُ ، قَالُوا : اسْتَأْذِنْ عَلَى أَبِي طَالِبٍ ، فَأَتَى أَبَا طَالِبٍ ، فَقَالَ : هَؤُلَاءِ مَشْيَخَةُ قَوْمِكَ ، يُرِيدُونَ الدُّخُولَ عَلَيْكَ . فَأَذِنَ لَهُمْ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، فَقَالُوا : يَا أَبَا طَالِبٍ ، أَنْتَ كَبِيرُنَا وَسَيِّدُنَا ، وَإِنَّ مُحَمَّداً قَدْ آذَانَا وَآذَى آلِهَتَنَا ، فَنُحِبُّ أَنْ تَدْعُوهُ فَتَنْهَاهُ عَنْ ذِكْرِ آلِهَتِنَا ، وَلْنَدَعُهُ وإِلَهَهُ . فَدَعَاهُ ، فَجَاءَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فَقَالَ لَهُ أَبُو طَالِبٍ : هَؤُلَاءِ قَوْمُكَ وَبَنُو عَمِّكَ . قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " مَا تُرِيدُونَ ؟ " قَالُوا : نُرِيدُ أَنْ تَدعَنَا وَآلِهَتَنَا ، وَنَدَعَكَ وإِلَهَكَ . قَالَ لَهُ أَبُو طَالِبٍ : قَدْ أَنْصَفَكَ قَوْمُكَ ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ ، فَقَالَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَعْطَيْتُكُمْ هَذَا ، هَلْ أَنْتُمْ مُعْطِيَّ كَلِمَةً إِنْ تَكَلَّمْتُمْ بِهَا مَلَكْتُمُ الْعَرَبَ ، وَدَانَتْ لَكُمْ بِهَا الْعَجَمُ بِالْخَرَاجِ ؟ " ، قَالَ أَبُو جَهْلٍ : نَعَمْ وَأَبِيكَ لَنُعْطِيَنَّكَهَا وَعَشْرَ أَمْثَالِهَا ، فَمَا هِيَ ؟ قَالَ : " قُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا الله " ، فَأَبَوْا وَاشْمَأَزُّوا . قَالَ أَبُو طَالِبٍ : يَا ابْنَ أَخِي قُلْ غَيْرَهَا ، فَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ فَزِعُوا مِنْهَا ، قَالَ : " يَا عَمُّ ، مَا أَنَا بِالَّذِي أَقُولُ غَيْرَهَا حَتَّى يَأْتُوا بِالشَّمْسِ فَيَضَعُوهَا فِي يَدَيَّ ، وَلَوْ أَتَوْنِي بِالشَّمْسِ فَوَضَعُوهَا فِي يَدَيَّ مَا قُلْتُ غَيْرَهَا " ، إِرَادَةَ أَنْ يُؤَيِّسَهُمْ . فَغَضِبُوا وَقَالُوا : لَتَكُفَّنَّ عَنْ شَتْمِكَ آلِهَتَنَا ، أَوْ لَنَشْتُمَنَّكَ وَلَنَشْتُمَنَّ مَنْ يَأْمُرُكَ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۗ﴾ [الأنعام : ١٠٨] .

حَدَّثَنَا محمَّد بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى قَالَ : ثنا محمَّد بْنُ ثَوْرٍ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : " كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَسُبُّونَ أَصْنَامَ الْكُفَّارِ ، فَيَسُبُّ الْكُفَّارُ اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَأَنْزَلَ الله : ﴿ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۗ﴾ [الأنعام : ١٠٨] .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ ، فِي قَوْلِهِ : ﴿ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۗ﴾ [الأنعام : ١٠٨] ، قَالَ : إِذَا سَبَبْتَ إِلَهَهُ سَبَّ إِلَهَكَ ، فَلَا تَسُبُّوا آلِهَتَهُمْ " (١) .

---

(١) انظر : تفسير الطَّبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) (٩/ ٤٨٠-٤٨٢) .

فسدّاً للذريعة أمر الله تعالى المؤمنين أن لا يسبُّوا آلهة الكفرة والمشركين حتى لا يتسبَّبوا بسبِّ الله تعالى من قِبَلِ المشركين الذين كانوا يسبُّون الله تعالى إذا ما سُبَّت آلهتهم ... فهل من سبَّ الله تعالى مؤمناً بل أشدُّ إيماناً من المؤمنين بالله تعالى المتوسِّلين إليه بما يحبُّ يا من تدَّعون وتزعمون السَّلفيَّة زوراً وبهتاناً ؟!!!

بقي أمرٌ أخيرٌ لا بدَّ من الإشارة إليه وهو القسم الثَّالث من توحيد ابن تيمية والذي سمَّاه بـ " توحيد الأسماء والصِّفات " ، ومراده من هذا القسم أن يقول : من لا يؤمن بأنَّ لله تعالى عين ووجه ويد وكف وأصبع وساق وقدم ... على الحقيقة ، وأنَّه في السَّماء على الحقيقة ، وأنَّه جالس على العرش على الحقيقة ، وأنَّه يتحرَّك ويسكن على الحقيقة ، وأنَّه يتكلَّم بصوت وحرف على الحقيقة ، وأنَّ صوته يُشبه صوتَ الصَّواعق التي تُقبلُ في أحلى حلاوة سمعها الإنسان ... فمن لا يؤمن بهذه الأمور وغيرها على طريقته ومذهبه فهو كافر خارج من ربقة الدِّين ... وقد استوعبت هذا وغيره في مصنَّف خاص ... أتيت فيه على طامَّاته ومعاطبه المبثوثة في سائر كتبه وكتب من يدَّعون ظلماً وزوراً وعدواناً الانتساب إلى السَّلفيَّة التي هي في الحقيقة فترة زمنيَّة مباركة لا مذهباً يُتمذهبُ به ...

وقال الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب بن سليمان التَّميمي النَّجدي (١٢٠٦هـ) : " ... مثال ذلك إذا قال بعض المشركين !!! : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس : ٦٢] ، وأنَّ الشَّفاعة حقّ ، أو أنَّ الأنبياء لهم جاه عند الله ، أو ذكر كلاماً للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يستدلُّ به على شيء من باطله ، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره ، فجاوبه بقولك : إنَّ الله ذكر في كتابه أنَّ الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه ، وما ذكرته لك من أنَّ الله ذكر أنَّ المشركين يقرُّون بالربوبيَّة ، وأنَّ كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم : ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس : ١٨] ، هذا أمرٌ محكمٌ بيِّن لا يقدر أحد أن يغيِّر معناه . وما ذكرت لي أيُّها المشرك !!! من القرآن أو كلام النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لا أعرف معناه ، ولكن أقطع أنَّ كلام الله لا يتناقض ، وأنَّ كلام النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لا يخالف كلام الله " (١) .

وأنا هنا أسأل محمَّد بن عبد الوهَّاب ، فأقول : من هو الذي ترك المحكم واتبع المتشابه ؟!!! من هو الذي أدار وجهه لقول الله تعالى المحكم : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] ، هذه الآية المحكمة التي نصَّت على وجوب تنزيه الله تعالى عن الجسمية ، والحيِّز ، والجهة ، والحدِّ ، وأرشدت إلى أنَّ الله تعالى ليس

---

(١) انظر : كشف الشبهات (ص١٦-١٧) .

بجسم مصوَّر ، ولا جوهر محدود مقدَّر ، وأنَّه لا يماثل الأجسام لا في التَّقدير ولا في قبول الانقسام ، وأنَّه ليس بجوهر ، ولا تحلُّه الجواهر ، ولا بعَرَض ولا تحلُّه الأعراض ، بل لا يماثل موجوداً ، ولا يماثله موجود ، ليس كمثله شيء ، ولا هو مثل شيء . وأنَّه لا يحدُّه المقدار ، ولا تحويه الأقطار ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ الْجِهَاتُ ، وَلَا تَكْتَنِفُهُ الْأَرَضُونَ ولا السموات .

وَأَنَّهُ مُسْتَوٍ عَلَى الْعَرْشِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي قاله ، وبالمعنى الذي أراده ، استواء منزَّهاً عن المماسَّة والاستقرار ، والتَّمكُّن والحلول والانتقال ، لا يحمله العرش ، بل العرش وَحَمَلته محمولون بلطف قدرته ، ومقهورون في قبضته ، وَهُوَ فَوْقَ الْعَرْشِ والسَّماء ، وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ إلى تُخُومِ الثَّرَى ، فَوْقِيَّةً لَا تَزِيدُهُ قُرْباً إلى الْعَرْشِ والسَّماء ، كَما لَا تَزِيدُهُ بُعْداً عَنِ الْأَرْضِ وَالثَّرَى ، بَلْ هُوَ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ عَنِ الْعَرْشِ والسَّماء ، كَما أَنَّه رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ عَنِ الْأَرْضِ وَالثَّرَى ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ قَرِيبٌ مِنْ كُلِّ مَوْجُودٍ ، وَهُوَ أَقْرَبُ إلى الْعَبْدِ من حبل الوريد ، وهو على كل شيء شهيد ، إِذْ لَا يُماثِلُ قُرْبُهُ قُرْبَ الْأَجْسَامِ ، كَما لَا تُماثِلُ ذَاتُهُ ذَاتَ الْأَجْسَامِ ، وأنَّه لَا يَحُلُّ فِي شَيْءٍ ، وَلَا يَحُلُّ فِيهِ شَيْءٌ ، تَعَالَى عَنْ أَنْ يَحْوِيَهُ مَكَانٌ ، كَما تَقَدَّسَ عَنْ أَنْ يَحُدَّهُ زَمَانٌ ، بَلْ كَانَ قَبْلَ أَنْ خَلَقَ الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى ما عليه كان .

وأنَّه بائن عن خلقه بصفاته ، ليس في ذاته سواه ، ولا في سواه ذاته ، وأنَّه مقدَّس عن التَّغيُّر والانتقال ، لا تحلّه الحوادث ، ولا تعتريه العوارض ، بل لا يزال في نعوت جلاله ، منزَّهاً عن الزَّوال ، وفي صفات كماله مستغنياً عن زيادة الاستكمال " (١) .

ومن المعلوم أنَّ من يدَّعون السَّلفيَّة وصفوا الله تعالى بالجسميَّة في سائر مصنَّفاتهم ، وقد سبقهم إلى هذا ابن تيمية الذي ما فتئ ينافح ويكافح في ترسيخ هذه العقيدة ، حتى قالها وصرَّح بها في أغلب كتبه ، ومن أقواله في ذلك : " وكذلك قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] ، وقوله : ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم : ٦٥] ، ونحو ذلك ، فإنَّه لا يدلُّ على نفي الصِّفات بوجه من الوجوه ، بل ولا على نفي ما يسمِّيه أهل الاصطلاح جسماً بوجه من الوجوه " (٢) .

---

(١) انظر : إحياء علوم الدِّين (١/ ٩٠) .

(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل (١/ ١١٥) .

وقال ابن تيمية أيضاً : " وأمَّا ذكر التَّجسيم وذمّ المجسِّمة ، فهو لا يُعرف في كلام أحد من السَّلف والأئمَّة !!! كما لا يُعرف في كلامهم أيضاً : القول بأنَّ الله جسم ، أو ليس بجسم ، بل ذكروا في كلامهم الذي أنكروه على الجهميَّة نفي الجسم ، كما ذكره أحمد في كتاب " الردِّ على الجهميَّة " (١) .

قلت : وكتاب " الرَّدّ على الجهميَّة " الذي يستشهد به ابن تيمية ومعه جمهور المتمسلفة ، هو كتابٌ منحولٌ مكذوبٌ على الإمام أحمد ، وهو الكتاب الذي جاء فيه : " لَمَّا سمع موسى كلام ربِّه ، قال : يا رب هذا الذي سمعته هو كلامك ؟ قال : نعم يا موسى هو كلامي ، إنَّما كلَّمتك على قدر ما يطيق بدنك ، ولو كلَّمتك بأكثر من ذلك لَمِتَّ .

قال : فلمَّا رجع موسى إلى قومه قالوا له : صف لنا كلام ربِّك ، قال : سبحان الله ، وهل أستطيع أن أصفه لكم ؟! قالوا : فشبِّهه . قال : هل سمعتم أصوات الصَّواعق التي تقبل في أحلى حلاوة سمعتموها ، فكأنَّه مثله " (٢) .

أرأيتم كيف نسب الصَّوت إلى الله تعالى مع أنَّ الصَّوت لم تأت إضافته إلى الله تعالى في حديث صحيح ، ثمَّ كيف شبَّه صوت الله تعالى بصوت الصَّواعق التي تُقبل في أحلى حلاوة سمعتموها ... !!!

وعن نسبة الكتاب للإمام أحمد قال الإمام الذَّهبي : " ... لاَ كَرِسَالَةِ الإِصْطَخْرِيِّ ، وَلاَ كَالرَّدِّ عَلَى الجهميَّة المَوْضُوْعِ عَلَى أَبِي عَبْدِاللهِ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ كَانَ تَقيّاً وَرِعاً ، لاَ يَتَفَوَّهُ بِمِثلِ ذَلِكَ " (٣) .

وقال محقِّق " سير أعلام النُّبلاء " : " يرى الذَّهبي المؤلِّف أنَّ كتاب " الرَّد على الجهميَّة " موضوع على الامام أحمد . وقد شكَّك أيضاً في نسبة هذا الكتاب إلى الامام أحمد بعض المعاصرين في تعليقه على " الاختلاف في اللفظ ، والرَّدِّ على الجهميَّة " لابن قتيبة . ومستنده أنَّ في السَّند إليه مجهولاً ، فقد رواه أبو بكر غلام الخَلَّال ، عن الخَلَّال ، عن الخضر بن المثنَّى ، عن عبد الله بن أحمد ، عن أبيه ... والخضر بن المثنَّى هذا مجهول ، والرِّواية عن مجهول مقدوح فيها ، مطعون في سندها . وفيه ما يخالف ما كان عليه السَّلف من معتقد ، ولا يتَّسق مع ما جاء عن الإمام في غيره ممَّا صحَّ عنه ، وهذا هو الذي دعا الذَّهبي هنا إلى نفي نسبته إلى الامام أحمد ، ومع ذلك فإنَّ غير واحد من العلماء قد صحَّحوا نسبة هذا الكتاب إليه ، ونقلوا عنه ، وأفادوا منه ، منهم القاضي أبو يعلى ،

---

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٤٩) .

(٢) انظر : الرد على الجهميَّة والزنادقة (ص١٣٧) .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٨٦-٢٨٧) .

وأبو الوفاء بن عقيل ، والبيهقي (٤٥٨هـ) ، وابن تيمية ، وتلميذه ابن القيِّم ، وتوجد من الكتاب نسخة خطيَّة في ظاهريَّة دمشق ، ضمن مجموع رقم (١١٦) ، وهي تشتمل على نصِّ " الرَّد على الجهميَّة " فقط ، وهو نصف الكتاب ، وعن هذا الأصل نشر الكتاب في الشَّام ، بتحقيق الأستاذ محمَّد فهر الشّقفة . ومما يؤكِّد أنَّ هذا الكتاب ليس للإمام أحمد : أنَّنا لا نجد له ذكراً لدى أقرب النَّاس إلى الامام أحمد بن حنبل ممَّن عاصروه وجالسوه ، أو أتوا بعده مباشرة وكتبوا في الموضوع ذاته كالإمام البخاري ( ٢٥٦هـ) ، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ) ، وأبي سعيد الدَّارمي ( ٢٨٠هـ) . والإمام أبو الحسن الأشعري قد ذكر عقيدة الامام أحمد في كتابه " مقالات الإسلاميِّين "، ولكنَّه لم يشر إلى هذا الكتاب مطلقاً ، ولم يستفد منه شيئاً " (١) .

وقال ابن تيمية أيضاً : " وأمَّا الشَّرع فَمَعْلُومٌ أنَّه لَمْ يُنْقَلْ عَنْ أَحَدٍ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ : وَلَا الصَّحابة وَلَا التَّابِعِينَ وَلَا سَلَفِ الأمَّة أَنَّ اللهَّ جِسْمٌ أَوْ أَنَّ اللهَّ لَيْسَ بِجِسْمٍ ؛ بَلْ النَّفْيُ وَالْإِثْبَاتُ بِدْعَةٌ فِي الشَّرع " (٢) .

وقال ابن تيمية أيضاً : " ثمَّ لَفْظُ التَّجْسِيمِ لَا يُوجَدُ فِي كَلَامِ أَحَدٍ مِنْ السَّلف لَا نَفْياً وَلَا إثْبَاتاً فَكَيْفَ يَحِلُّ أَنْ يُقَالَ: مَذْهَبُ السَّلف نَفْيُ التَّجْسِيمِ أَوْ إثْبَاتُهُ " (٣) .

وقال ابن تيمية أيضاً : " وليس في كتاب الله ولا سُنَّة رسوله ولا قول أحد من سلف الأمَّة وأئمَّتها ، أنَّه ليس بجسم !!! وأنَّ صفاته ليست أجساماً وأعراضاً ؟ فنفي المعاني الثَّابتة بالشَّرع والعقل ؛ بنفي ألفاظ لم ينف معناها شرعٌ ولا عقل ، جهل وضلال " (٤) .

وقال ابن تيمية أيضاً : " أمَّا مَا ذَكَرَهُ مِنْ لَفظِ الْجِسْمِ وَمَا يَتْبَعُ ذَلِكَ ، فَإِنَّ هَذَا اللَّفْظَ لَمْ يَنْطِقْ بِهِ فِي صِفَاتِ اللهَّ تَعَالَى لَا كِتَابٌ وَلَا سُنَّةٌ ، لَا نَفْياً وَلَا إِثْبَاتاً ، وَلَا تَكَلَّمَ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الصَّحابة وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ ، لَا أَهْلُ الْبَيْتِ وَلَا غَيْرُهُمْ " (٥) ...

فهذه بعض أقوال ابن تيمية في التَّجسيم ، ومع ذلك لم يَجِدْ مدَّعو السَّلفيَّة عن قوله ولن يحيدوا قيد أُنملة ، وهو في كلامه يصرِّح بأنَّ الله – تعالى عمَّا يقول الظَّالمون علوَّاً كبيراً – جسماً ، مع أنَّ الأجسام حادثة ومحتاجة إلى

---

(١) انظر : هامش سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٨٧) .

(٢) انظر : : مجموع الفتاوى (٥/ ٤٣٤) .

(٣) انظر : : مجموع الفتاوى (٤/ ١٥٢) .

(٤) انظر : بيان تلبيس الجهميَّة في تأسيس بدعهم الكلامية (١/ ٣٧٣) .

(٥) انظر : منهاج السُّنَّة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (٢/ ١٩٢) .

من يركِّبها ، وكذا إلى كلِّ جزء من أجزائها . فالله تعالى يتنزَّه عن الجسميَّة والعَرضيَّة والجَوهريَّة ، " واذا ثبت أنَّه تعالى ليس بجوهر ، فلا يُتصوَّر أن يكون جسماً أيضاً ، لأنَّ الجسم اسم للمتركِّب عن الأجزاء ، يقال : هذا أجسمُ من ذلك ، أي : أكثر تركُّباً منه ، وتركب الجسم بدون الجوهريَّة وهي الأجزاء التي لا تتجزَّأ لا تتصوَّر ، ولأنَّ الجسم لا يُتصور إلَّا على شكل من الأشكال ، ووجوده على جميع الأشكال لا يُتصور أن يكون إذ الفرد لا يُتصور أن يكون مطوَّلاً ومدوراً ومثلثاً ومربعاً ، ووجوده على واحد من هذه الأشكال مع مساواة غيره إياه في صفات المدح والذَّم لا يكون إلَّا بتخصيص مخصص ، وذلك من أمارات الحدث ، ولأنَّه لو كان جسماً لوقعت المشابهة والمماثلة بينه وبين سائر الأجسام في الجسميَّة ، وقد قال الله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] (١) .

ثمَّ إنَّ في نسبة أقواله التي ذكرها هنا إلى السَّلف كذبٌ واضحٌ صريحٌ بيِّنٌ ، فلا هو سلفيٌّ ، ولا يقربُ من السَّلف ، والسَّلف بريئون من تلبيسه وتدليسه ، وبعيدون عمَّا قاله بُعد الثَّرى عن الثُّريَّا ، وقد وضَّحت ذلك وبيَّنته أخذاً من كتبه وكتب أتباعه المتمسلفة في كتاب مستقل خاصّ بطامَّات وأوابد من يدَّعون السَّلفيَّة . وقد تبيَّن بالبحث أنَّ الكثير من أقواله وأفكاره هي ممَّا قاله اليهود والفلاسفة ، ويكفي في ذلك أنَّه تتلمذ على مجد الدِّين ابن تيمية الذي أخذ علمه عن غُلاَمُ ابْنِ المَنِّيِّ إِسْمَاعِيْلُ بنُ عَلِيٍّ الأَزَجِيُّ الفَيْلَسُوْفُ الذي لَمْ يَكُنْ فِي دِيْنِهِ بِذَاكَ ، وقد تتلمذ عَلَى ابْنِ مرقشٍ النَّصْرَانِيِّ . قَالَ ابْنُ النَّجَّارِ : سَمِعْتُ منْ أَثِقُ بِهِ أَنَّ الفَخْرَ صَنَّفَ كِتَاباً سَمَّاهُ (نوَامِيسُ الأَنْبِيَاءِ) ، يذكرُ فِيْهِ أَنَّهم كَانُوا حُكَمَاءَ كهُرمسَ وَأَرِسْطُو ، فَسَأَلْتُ بَعْضَ تَلاَمِذتِهِ الخَصِيصينَ بِهِ عَنْ ذَلِكَ ، فَمَا أَنْكَرَهُ ... " (٢) .

قال الإمام محمَّد بن زاهد الكوثري : " ولو قلنا لم يبلَ الإسلام في الأدوار الأخيرة بمن هو أضرُّ من ابن تيمية في تفريق كلمة المسلمين لما كنَّا مبالغين في ذلك ، و هو سَهلٌ متسامحٌ مع اليهود يقول عن كتبهم : أنَّها لم تحرَّف تحريفاً لفظيَّاً " (٣) .

---

(١) انظر : التمهيد لقواعد التَّوحيد ، أبو الثناء اللامشي (ص١٠٣) .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٢٨-٣٠) .

(٣) انظر : الإشفاق على أحكام الطلاق (ص٧٢) .

ولذلك وجدنا ابن تيمية ومن وافقه من المتمسلفة اعتادوا على الاستدلال لما يرى بها جاء في كتب أهل الكتاب التي حكم القرآن بتحريفها ، ومن ذلك ما قاله ابن تيمية في استدلاله على العلوِّ المكاني لله تعالى : " . وَفِي " الْإِنْجِيلِ " أَنَّ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلام قَالَ : لَا تَحْلِفُوا بِالسَّمَاءِ فَإِنَّهَا كُرْسِيُّ اللهَّ . وَقَالَ لِلْحَوَارِيِّينَ : إنْ أَنْتُمْ غَفَرْتُمْ للنَّاس فَإِنَّ أَبَاكُمْ – الَّذِي فِي السَّماء – يَغْفِرُ لَكُمْ كُلِّكُمْ ... " (١) .

ولأنَّ ابن تيمية هو زعيمهم الذي علَّمهم ... فقد اعتاد مدَّعو السَّلفيَّة على الاستشهاد لعقائدهم بكُتب أهل الكتاب المحرَّفة ، فهذا المدعو : حمود التُّويجري يقول : " وأيضاً هذا المعنى عند أهل الكتاب من الكتب المأثورة عن الأنبياء كالتَّوراة ، فإنَّ في السِّفر الأوَّل منها : " سنخلقُ بشَراً على صورتنا يشبهها " (٢) .

وقال حمود التُّويجري أيضاً : " وأيضاً فمن المعلوم أنَّ هذه النُّسخ الموجودة اليوم بالتَّوراة ونحوها قد كانت موجودة على عهد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فلو كان ما فيها من الصِّفات كذباً وافتراء ووصفاً لله بما يجب تنـزيهه عنه كالشُّركاء والأولاد لكان إنكار ذلك عليهم موجوداً في كلام النَّبي أو الصَّحابة أو التَّابعين كما أنكروا عليهم ما دون ذلك ، وقد عابهم الله في القرءان بما هو دون ذلك ، فلو كان هذا عيباً لكان عَيب الله لهم به " (٣) .

فحمود التُّويجري لا يرى مانعاً البتَّة من وصف الله سبحانه وتعالى بما جاء في التَّوراة من صفات تجسيميَّة بحتة لله تعالى ... ولعلَّنا نُفرد في قادم الأيام بإذن الله تعالى كتاباً مستقلاً لمناقشة المتمسلفة في هذه المسألة ... فادعوا لنا ...

وقال الشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسن بن محمَّد بن عبد الوهَّاب بن سليمان التَّميمي (١٢٨٥هـ) : " وتأمَّل ما في هذه الأحاديث الصَّحيحة من تعظيم النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ربّه بذكر صفات كماله على ما يليق بعظمته وجلاله ، وتصديقه اليهود فيما أخبروا به عن الله من الصِّفات التي تدلُّ على عظمته ، وتأمَّل ما فيها من إثبات علو الله تعالى على عرشه " (٤) .

وممَّا تجدر الإشارة إليه هنا أنَّ من يدَّعون السَّلفيَّة لم يقف الأمر بهم عند الاستشهاد بما في كتب أهل الكتاب ، بل تعدَّوه إلى الكذب لنصرة مذهبهم ومعتقدهم ، قال الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٥/ ٤٠٦) ، بيان تلبيس الجهميَّة في تأسيس بدعهم الكلامية (٤/ ٤٨٩) .

(٢) انظر : عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرَّحمن (ص٧٦) .

(٣) انظر : عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرَّحمن (ص٧٧) .

(٤) انظر : فتح المجيد شرح كتاب التَّوحيد (ص٥١١) .

(٧٧١هـ) : " وَفِي المبتدعة لَا سِيَّمَا المجسِّمة زِيَادَة لَا تُوجد فِي غَيرهم ، وَهُوَ أَنَّهم يرَوْنَ الْكَذِب لنصرة مَذْهَبهم وَالشَّهَادَة عَلَى من يخالفهم فِي العقيدة بِمَا يسوءه فِي نَفسه وَمَاله بِالْكَذِبِ تأييداً لاعتقادهم ، ويزداد حنقهم وتقربهم إلى اللهَّ بِالْكَذِبِ عَلَيْهِ بِمِقْدَار زِيَادَته فِي النّيل مِنْهُم فَهَؤُلَاءِ لَا يحل لُمسلم أَن يعْتَبر كَلَامهم ... وَبَلغنِي أَن كَبِيرهمْ استفتى فِي شَافِعِيّ أيشهد عَلَيْهِ بِالْكَذِبِ ، فَقَالَ أَلَسْت تعتقد أَنَّ دَمه حَلَال ، قَالَ : نعم ، قَالَ : فَمَا دون ذَلِك دون دَمه ، فاشهد وادفع فَسَاده عَن الْمُسلمين . فهذه عقيدتهم ، ويرون أنَّهم المسلمون وأنَّهم أهل السُّنَّة ، ولو عُدُّوا عدداً لما بلغ علماؤهم ولا عالم فيهم على الحقيقة مبلغاً يعتبر ، ويكفِّرون غالب علماء الأمَّة ثمَّ يعتزون إلى الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه !!! وهو منهم بريء ، ولكنَّه كما قال بعض العارفين ، ورأيته بخط تقي الدِّين بن الصَّلاح : إمامان ابتلاهما الله بأصحابها ، وهما بريئان منهم : أحمد بن حنبل ابتلي بالمجسِّمة ، وجعفر الصَّادق ابتلي بالرَّافضة " (١) ...

ويستمرُّ محمَّد بن عبد الوهَّاب في غيِّه وضلاله فيعتبر أهل زمانه مشركين لأنَّهم يتوسَّلون إلى الله تعالى بالأنبياء والمرسلين ، فيقول : " ... أنَّ المشركين الذين قاتلهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يدعون الله ويدعون غيره في الرَّخاء ، وأمَّا في الضرَّاء والشدَّة فلا يدعون إلَّا الله وحده لا شريك له !!! وينسون ساداتهم ، تبيَّن له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأوَّلين " (٢) .

وزعم محمَّد بن عبد الوهَّاب أنَّ الاعتقاد في الصَّالحين : توسُّلاً ، وتبرُّكاً ، عبادة للأصنام ، من فعله كفر ، وتبرَّأ منه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم " (٣).

ولذلك سمُّوا كلَّ متوسِّلٍ به بالصَّنم ، حتى تطاولَ أشقاهُم على مقام سيِّدنا وحبيبنا وشفيعنا وقدوتنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فسمَّى قبره بالصَّنم ، فقد كتب المدعو : عبد العزيز بن يحيى البرعي اليمني كتاباً سمَّاه : " قوارع الأسنَّة في الرَّدِّ على أعداء السُّنَّة " ، قال فيه تحت عنوان : " عُبَّاد الأصنام " : إنَّ عبادة الأصنام في زماننا كثيرة ... ومن تلك الأصنام : قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم " (٤) ... وهذا كلام خطير يُخشى على صاحبه الخروج من ربقة الدِّين ...

---

(١) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ١٦-١٧) .

(٢) انظر : كشف الشبهات (ص٣٤) .

(٣) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٧٨) .

(٤) انظر : قوارع الأسنة في الردِّ على أعداء السُّنَّة (ص٢٨) .

وقال محمَّد ناصر الدِّين الألباني (١٤٢٠هـ) وهو يتكلَّم عن المسجد النَّبوي : " ... قلت : وممَّا يؤسف له أن هذا البناء قد بني عليه منذ قرون إن لم يكن قد أزيل تلك القبَّة الخضراء العالية وأحيط القبر الشَّريف بالنَّوافذ النُّحاسيَّة والزَّخارف والسّجف وغير ذلك ممَّا لا يرضاه صاحب القبر نفسه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، بل قد رأيت حين زرت المسجد النَّبوي الكريم وتشرَّفت بالسَّلام على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم سنة (١٣٦٨هـ) ، رأيت في أسفل حائط القبر الشِّمالي محراباً صغيراً ، ووراءه سدَّة مرتفعة عن أرض المسجد قليلاً ، إشارة إلى أنَّ هذا المكان خاص للصَّلاة وراء القبر ، فعجبت حينئذ كيف ظلَّت هذه الظَّاهرة الوثنيَّة !!! قائمة في عهد دولة التَّوحيد ... " (١) .

فبناء على ما قاله الألباني ، فإنَّ الأمَّة ظلت حامية للوثنيَّة قروناً عديدة حتى جاء هذا " السَّاعاتي " المنقذ لها من شرِّ براثن الوثنيَّة التي تعيش فيها ، فهل يجوز وصف الأمَّة بالضَّلال والشِّرك ، ثمَّ كيف سكت السَّلف من الصَّحابة والتَّابعين ومن بعدهم على المظاهر الشِّركيَّة التي قال بها من يدَّعون السَّلفيَّة زوراً وظلماً وعدواناً وإثماً وبهتاناً ...

كيف سكت السَّلف عن وجود القبر داخل المسجد ؟ أليس عمر بن عبد العزيز هو من قام بتوسعة المسجد وضم القبر إليه ؟!!!

أمَّا كلام البرعي فيحمل في طيَّاته منتهى قلَّة الحياء وقلَّة الأدب مع الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، مع أنَّنا لم نرَ ولم نسمع عن أحدٍ من العالمين أنَّه عبَد القبر الشَّريف ، وهذا مصداق حديث الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " اللهمَّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَناً يُعْبَدُ " (٢) .

نعم ، قد استجاب الله تعالى لدعاء الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فلم يجعله وثناً يُعبد من دون الله تعالى ، بالرَّغم من زيارة مئات الملايين لقبره عليه الصَّلاة والسَّلام ، تلك الزِّيارة التي اعتبرها ابن تيمية ومعه من يدَّعون السَّلفيَّة معصية لا تُقصر فيها الصَّلاة ، ومع ذلك فلم يلتفت أحد لفتواهم بل لسائر فتاويهم ، وتهافت النَّاس لزيارة قبره الشَّريف صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم تهافت المحب للقيا الحبيب أو كتهافت الظمآن على الماء ، ولسان الحال يقول :

أمرُّ على الدِّيار ديار ليلى ... أقبِّل ذا الجدار وذا الجدارا

---

(١) انظر : تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد (ص٦٨) .

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٢٤٠ برقم ٥٩٣) .

وما حبُّ الديار شغفن قلبـــــــي ولكن حبُّ من سكـــــن الدِّيارا

وقال الشَّاعر عمر بهاء الدِّين الأميري :

الحجرُ الأسـودُ قبّلتُـهُ بشفَتَيْ قلبيْ وكُلّي وَلَـــــــهْ

لا لاعتِقادي أنَّه نافـعٌ بل لهُيـــــامي بالّـذي قَبّلَـهْ

محمَّدٌ أطهرُ أنفاســـــهِ كانت على صفْحــاتِهِ مُرسَلَـةْ

قبَّلتُ مـا قبَّــــــــلهُ ثغرهُ النَّـ ـــاطِقُ بالوَحي ابتِغــــــاءَ الصِّلَةْ

فما قبَّله هو ولا غيره إلا لأنَّ الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قبَّله ، ولم نسمع أنَّ أحداً عبَدَ الحجر الأسود أو مقام إبراهيم أو ...

وقد أكَّد على ما سبق إمامهم ابن باز ، فقد أفتى بأنَّ وجود القبَّة الخضراء على ساكنها أفضل الصَّلاة والسَّلام بدعة ، فقد جاء في فتاوى اللجنة الدَّائمة :

" إقامة القبَّة على قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ليست حجَّة "

السُّؤال الأوَّل من الفتوى رقم (٦٢٥٨) :

س١ : ما هي حقيقة التَّصوُّف ؟ وهل في التَّصوُّف جوانب حسنة وجوانب سيِّئة ؟ هل التَّصوُّف مفصول عن الفقه ؟ أرجو من فضيلتكم التَّحدُّث إليَّ عن الحضرة النَّبويَّة التي توجد في المفهوم الصُّوفي ، وهل هي حقيقة ؟ عندي في السُّودان بعض رجال المتصوِّفة يستدلُّون على بناء القباب على الميت بالقبَّة المشيَّدة على قبر الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ما حكم الدِّين في ذلك ؟ ما هي حقيقة هذه الأسماء : الغوثي والقطبي ورجال الكون في المفهوم الصُّوفي ؟

ج١ : أولاً : اقرأ في ذلك كتاب " مدارج السَّالكين " لابن قيِّم الجوزيَّة وكتاب " هذه هي الصُّوفيَّة " لعبد الرَّحمن الوكيل فيما يتعلَّق بمسائل التَّصوُّف .

ثانياً : ليس في إقامة القبَّة على قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حجَّة لمن يتعلَّل بذلك في بناء قباب على قبور الأولياء والصَّالحين ؛ لأنَّ إقامة القبَّة على قبره لم تكن بوصيَّة منه ولا من عمل أصحابه رضي الله عنهم ولا من التَّابعين ولا أحد من أئمَّة الهدى في القرون الأولى التي شهد لها النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بالخير ، إنَّما كان ذلك

من أهل البدع ، وقد ثبت أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ " (١) ، وثبت عن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه قال لأبي الهياج : " ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ؟! ألا تدع تمثالاً إلَّا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلَّا سويته " ، رواه مسلم (٢) ؛ فإذا لم يثبت عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بناء قبَّة على قبره ، ولم يثبت ذلك عن أئمَّة الخير ، بل ثبت عنه ما يبطل ذلك ، لم يكن لمسلم أن يتعلَّق بما أحدثه المبتدعة من بناء قبة على قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وبالله التَّوفيق . وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد ، وآله وصحبه وَسَلَّم (٣) .

وقال المدعو صالح العصيمي : " إنَّ استمرارَ هذه القبَّةِ على مدى ثمانيةِ قرونٍ لا يعني أنَّها أصبحت جائزة ، ولا يعني أنَّ السُّكوتَ عنها إقرارٌ لها ، أو دليلٌ على جوازها ، بل يجبُ على ولاةِ المسلمين إزالتها ، وإعادة الوضع إلى ما كان عليه في عهدِ النُّبوةِ ، وإزالة القبَّةِ والزَّخارفِ والنُّقوشِ التي في المساجدِ ، وعلى رأسها المسجدُ النَّبوي ، ما لم يترتَّب على ذلك فتنةٌ أكبر منه ، فإن ترتَّبَ عليه فتنةٌ أكبر ، فلولي الأمرِ التَّريُّث مع العزمِ على استغلالِ الفرصة متى سنحت " (٤) .

وهذه من العصيمي وغيره من المتمسلفة فتوى صريحة لهدم القبَّة الخضراء ، متى سنحت الفرصة لذلك ، دون النَّظر لمشاعر المسلمين جميعاً ، ودون النَّظر لما سيحدثة الهدم من إساءة للحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، لأنَّها حول قبرة ...

وما أرى فتاويهم بحقِّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وقبره الشَّريف إلَّا لأنَّ في قلوبهم شيء منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، قال الإمام التقي الحصني في كلامه عن ابن تيمية : " ... وهذا وغيره يدلُّ على أنَّ عنده ضغينة للنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ولصاحبيه وكذا لأمَّته ليفوِّت عليهم هذا الخير الذي رتَّبه على زيارة قبره عليه أفضل

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٢٧٠ برقم ٢٦٨٦٠) ، مسلم (٣/ ١٣٤٣) ، ابن ماجه (١/ ٧ برقم ١٤) ، ابن حبَّان في الصحيح (١/ ٢٠٨ برقم ٢٦) ، الدارقطني في السنن (٥/ ٤٠٢ برقم ٤٥٣٤) ، الشهاب القضاعي في المسند (١/ ٢٣١ برقم ٣٥٩) ، البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٥٢ برقم ٢٠٥٣٦) ، السنن الصغير (٤/ ١٣١ برقم ٣٢٥٣) .

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٦٦٦ برقم ٦٩٦) .

(٣) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، (٢/ ٢٦٤-٢٦٥) .

(٤) انظر : بدعِ القبورِ ، أنواعها ، وأحكامها (ص٢٥٣) .

الصَّلاة والسَّلام ، فاحذروه ، واحذروا تزويق مقالته المطوي تحتها أخبث الخبائث ، فإنها لا تجوز إلَّا على عاميٍّ أو بليد الذَّهن كالحمار يحمل أسفاراً " (١) .

وإلَّا فما معنى أن يعتبر ابن تيمية في تعليقه على قصَّة العتبي من رأى الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في المنام ضعيفاً في دينه ، وبه نفاق ، ومن المؤلَّفة قلوبهم ... قال ابن تيمية : " وأمَّا مَا ذكره بعض الْفُقَهَاء من حِكَايَة الْعُتْبِي عَن الْأَعرَابِي الَّذِي أُتِي قبر النَّبي ، وَقَالَ : يَا خير الْبَرِيَّة إِن الله يَقُول : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ [النساء : ٦٤] ، وَإِنِّي قد جِئْت ، وأنَّه رَأْى النَّبي فِي الْمَنَام ، وَأمره أَن يبشر الْأَعرَابِي ، فَهَذِهِ الْحِكَايَة وَنَحْوهَا مِمَّا يذكر فِي قبر النَّبي وقبر غَيره من الصَّالحين ، فَيَقَع مثلهَا لمن فِي إيمَانه ضعف ، وَهُوَ جَاهِل بِقدر الرَّسول وَبِمَا امْر بِهِ ، فَإِن لم يعف عَن مثل هَذَا لِحَاجَتِهِ وَإِلَّا اضْطربَ إيمَانه وَعظم نفَاقه ، فَيكون فِي ذَلِك بِمَنْزِلَة الْمُؤَلّفَة بالعطاء فِي حَيَاة النَّبي ، كَمَا قَالَ إِنِّي لأتألف رجَالاً بِمَا فِي قُلُوبهم من الْهَلَع والجزع وَأكل رجَالاً إِلَى مَا جعل الله فِي قُلُوبهم من الْغنيّ وَالْخَيْر ، مَعَ أَن أَخذ ذَلِك الْمَال مَكْرُوه لَهُم ، فَهَذِهِ أَيْضاً مثل هَذِه الْحَاجَات " (٢) .

وما معنى أن يُنكر ابن تيمية أن تكون البُقعة التي ضمَّت جسد الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أفضل من الكعبة ومن كل بقاع الأرض ، كما نقل القاضي عياض في " الشِّفا " ، فقد جاء في فتاوى ابن تيمية : " وَسُئِلَ أَيْضاً : عَنْ رَجُلَيْنِ تَجَادَلَا ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا : إنَّ تُرْبَةَ محمَّد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَفْضَلُ مِنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَقَالَ الْآخَرُ : الْكَعْبَةُ أَفْضَلُ . فَمَعَ مَنْ الصَّوَابُ ؟ فَأَجَابَ :

الْحَمْدُ للهَّ ، أَمَّا نَفْسُ محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَمَا خَلَقَ الله خَلْقاً أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْهُ . وأَمَّا نَفْسُ التُّرَابِ فَلَيْسَ هُوَ أَفْضَلَ مِنْ الْكَعْبَةِ البيت الْحَرَامِ بَلْ الْكَعْبَةُ أَفْضَلُ مِنْهُ ، وَلَا يُعْرَفُ أَحَدٌ مِنْ الْعُلَمَاءِ فَضَّلَ تُرَابَ الْقَبْرِ عَلَى الْكَعْبَةِ إلَّا الْقَاضِي عِيَاضٌ ، وَلَمْ يَسْبِقْهُ أَحَدٌ إلَيْهِ ، وَلَا وَافَقَهُ أَحَدٌ عَلَيْهِ ، وَاَللهُّ أَعْلَمُ " (٣) .

قلت : وهو في كلامه هذا يَهْرُفُ بما لا يَعرف ، فقد نقل القاضي عياض (٥٤٤هـ) الإجماع على أنَّ البقعة التي ضمَّت جسد الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أفضل من الكعبة ومن كلِّ بقاع الأرض ، ولم يخالفه فيما قال أحدٌ إلَّا ابن تيمية الذي خالف الإجماع في غير ما مسألة ، وممَّا يُثبت هذا ما قاله العلماء في تأييد ما ذهب إليه القاضي

---

(١) انظر : دفع شبه من شبَّه وتمرَّد ونسب ذلك إلى السيِّد الجليل الإمام أحمد (ص١١٢) .

(٢) انظر : جامع الرسائل (٢/ ٣٧٨) ، قاعدة في المحبة (ص١٩٢) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٨) .

عياض ، فقد نقل الإمام النَّووي قول عياض مقرَّاً له فقال : " وَنَقَلَ الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي آخِرِ كِتَابِ الْحَجِّ مِنْ شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ إجْمَاعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ مَوْضِعَ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَفْضَلُ الْأَرْضِ وَأَنَّ الْخِلَافَ فِيمَا سِوَاهُ " (١) .

وقال الإمام ابن كثير : " وقد حكى ذلك عياض السّبتي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه والله أعلم ، ونقل الاتِّفاق على أنَّ قبره الذي ضمَّ جسده بعد موته أفضل بقاع الأرض .

وقد سبقه إلى حكاية هذا الإجماع القاضي أبو الوليد الباجي ، وابن بطَّال ، وغيرهما ، وأصل ذلك ما روي أنَّه لمَّا مات صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم اختلفوا في موضع دفنه فقيل بالبقيع ، وقيل بمكَّة ، وقيل ببيت المقدس ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : إنَّ الله لم يقبضه إلَّا في أحبِّ البقاع إليه " (٢) .

وما معنى أن يزعم ابن تيمية أنَّ معرفة قبور الأنبياء ليس لها فائدة ، فقد قال : " وَلَكِنْ لَيْسَ فِي مَعْرِفَةِ قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ بِأَعْيَانِهَا فَائِدَةٌ شَرْعِيَّةٌ ، وَلَيْسَ حِفْظُ ذَلِكَ مِنْ الدِّين ، وَلَوْ كَانَ مِنْ الدِّين لَحَفِظَهُ الله كَمَا حَفِظَ سَائِرَ الدِّين ، وَذَلِكَ أَنَّ عَامَّةَ مَنْ يَسْأَلُ عَنْ ذَلِكَ إنَّمَا قَصْدُهُ الصَّلاة عِنْدَهَا ، والدُّعاء بِهَا ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنْ الْبِدَعِ الْمَنْهِيِّ عَنْهَا " (٣) .

فمن خلال النَّصِّ السَّابق نجد أنَّ ابن تيمية يدعو لشحن النَّاس كي لا يزوروا قبر الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، لأنَّه لا توجد ثمَّة فائدة من الزِّيارة ، لأنَّ الزَّائر لا يقصد بزيارته إلَّا البدع المنهي عنها ، كما أنَّه لا فائدة شرعيَّة أيضاً في معرفة قبور الأنبياء بأعيانها ، وقد سبق له أن اعتبر زيارة قبر الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم معصية لا تُقصر فيها الصَّلاة ، بل إنَّ ابن تيمية لم يستحب أن يسكن أحد بجوار قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فقد قال : " وَلَا اسْتَحَبَّ هُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَلَا عُلَمَاءِ أُمَّتِهِ أَنْ يُجَاوِرَ أَحَدٌ عِنْدَ قَبْرٍ ، وَلَا يَعْكُفَ عَلَيْهِ ، لَا قَبْرِهِ الْمُكَرَّم وَلَا قَبْرِ غَيْرِهِ ، وَلَا أَنْ يَقْصِدَ السُّكْنَى قَرِيباً مِنْ قَبْرٍ أَيَّ قَبْرٍ كَانَ " (٤) .

ويكفي في الرَّدِّ عليه أن نسوق ما رواه ابن حبَّان وغيره بسندهم عَنْ أَبِي مُوسَى ، قَالَ : أَتَى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَعْرَابِيّاً فَأَكْرَمَهُ ، فقَالَ لَهُ : " ائْتِنَا " ، فَأَتَاهُ ، فقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " سَلْ حَاجَتَكَ

(١) انظر : المجموع شرح المهذب (مع تكملة السُّبكي والمطيعي) (٧/ ٤٧١) .

(٢) انظر : الفصول في السيرة ، ابن كثير ، (ص٢٩٠) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٤٤) .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٣٤) ، دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية (٢/ ٤٧) .

" ، قَالَ : نَاقَةٌ نَرْكَبُهَا ، وَأَعْنُزٌ يَحْلِبُهَا أَهْلِي ، فقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " أَعَجَزْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَ عَجُوزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ " ؟ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهَّ ، وَمَا عَجُوزُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، قَالَ : " إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام لما سَارَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ ، ضَلُّوا الطَّرِيقَ ، فقَالَ : مَا هَذَا ؟ فقَالَ عُلَمَاؤُهُمْ : إِنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلام ، لما حَضَرَهُ المُوْتُ أَخَذَ عَلَيْنَا مَوْثِقاً مِنَ اللهَّ أَنْ لَا نَخْرُجَ مِنْ مِصْرَ حَتَّى نَنْقُلَ عِظَامَهُ مَعَنَا ، قَالَ : فَمَنْ يَعْلَمُ مَوْضِعَ قَبْرِهِ ؟ قَالَ : عَجُوزٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا فَأَتَتْهُ ، فقَالَ : دُلِّينِي عَلَى قَبْرِ يُوسُفَ ، قَالَتْ : حَتَّى تُعْطِيَنِي حُكْمِي ، قَالَ : وَمَا حُكْمُكِ ؟ قَالَتْ : أَكُونُ مَعَكَ فِي الجنَّة ، فَكَرِهَ أَنْ يُعْطِيَهَا ذَلِكَ ، فَأَوْحَى الله إِلَيْهِ : أَنْ أَعْطِهَا حُكْمَهَا ... " (١) .

فالنَّصُّ السَّابقُ يردُّ على ما زعمه ابن تيمية من أنَّه لا فائدة في معرفة قبور الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام ، وقد وضَّح النَّصَّ وبرهن على أنَّ معرفة عجوز بني إسرائيل لقبر سيِّدنا يوسف عليه السَّلام تكفَّلت بدخولها الجنَّة ، كرامة لها من الله تعالى ...

أمَّا عن عدم استحباب ابن تيمية مجاورة قبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فهذه مصيبة وطامَّة ، لأنَّ مجاورة الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم هو ممَّا تشرئب له قلوب محبِّيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، قال الخطيب البغدادي : " حدَّثني أَبُو يعلى محمَّد بْن الحسين بْن محمَّد بْن الفراء الحنبلي ، قَالَ : حدَّثني أَبُو طاهر بْن أَبِي بكر ، قَالَ : حكى لي والدي عَنْ رجل كان يختلف إلى أَبِي بكر بْن مالك أنَّه قيل له : أين تحبُّ أن تدفن إذا متّ ؟ فقال : بالقطيعة ، وإن عَبْد الله بْن أَحْمَد بْن حَنْبَل مدفون بالقطيعة ، وقيل له ، يَعْنِي لعبد الله ، في ذلك ، قَالَ : وأظنُّه كان أوصى بأن يدفن هناك ، فقَالَ : قد صحَّ عندي أنَّ بالقطيعة نبياً مدفوناً ، ولأن أكون في جوار نبي أحبّ إليَّ من أكون في جوار أَبِي " (٢) .

ولك أن تستغرب وتتعجَّب معي يا قارئي من تلامذة ابن تيمية ومحبِّيه حين صرَّحوا باستحباب مجاورة وزيارة قبر شيخهم ابن تيمية ، وفي ذلك يقول أحدهم :

قد أودع الْقَبْر الشَّريف علومـــه ... عجبا لوسع الْقَبْر بحراً سَـــائِلاً
قد كَانَ لَا يحْتَـــاج طَالب علمه ... كثر السُّؤَال وَلَيْسَ يلقى سَـــائِلاً

---

(١) أخرجه ابن حبَّان في الصَّحيح (٢/ ٥٠٠ برقم ٧٢٣) ، الهيثمي في موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ، (ص٦٠٣ برقم ٢٤٣٥) ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/ ١٧٠ برقم ١٧٣٤٨ ، وقال : وَرِجَالُ أَبِي يَعْلَى رِجَالُ الصَّحيح ) .

(٢) انظر : تاريخ بغداد (١/ ٤٤٣) .

قد كَانَ ركناً فِي المواعظ جملَة بحراً عميقاً إِن أردْت مسائلاً
وَإِذا رآك يكون حَقّاً بادياً لَك بِالسَّلَامِ مواردا ومسائلاً
يَا ربّ فارحمه وبلَّ ثراه بالغيث الْكَرِيم معاوداً ومواصلاً
يا رب وَافْعل ذَا بِكُلِّ موادد ومجاور قبر الإِمَام مؤمِّلاً
يا ربّ وارحمنا وكلّ مشيع صلَّي عَلَيْهِ أَو أَتَاهُ مُقبلاً (١)

وما معنى أن يمنع ابنُ تيمية من الدُّعاء عند القبر الشَّريف ويعتبره بدعة ... قال ابن تيمية : " وَلَا يَقِفُ عِنْدَ الْقَبْرِ لِلدُّعَاءِ لِنَفْسِهِ ، فَإِنَّ هَذَا بِدْعَةٌ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ الصَّحابة يَقِفُ عِنْدَهُ يَدْعُو لِنَفْسِهِ " (٢) .

وقال ابن تيمية : " وَكَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يَقْصِدُ الدُّعاء عِنْدَ قَبْرِ أَحَدٍ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ ؛ لَا قَبْرِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَلَا قَبْرِ الْخَلِيلِ وَلَا غَيْرِهِمَا. وَلِهَذَا ذَكَرَ الْأَئِمَّةُ كَمَالِكِ وَغَيْرِهِ أَنَّ هَذَا بِدْعَةٌ " (٣) .

وقال ابن تيمية : " بَلْ نَصَّ أَئِمَّةُ السَّلف عَلَى أَنَّه لَا يُوقَفُ عِنْدَهُ لِلدُّعَاءِ مُطْلَقاً ، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ إسْمَاعِيلُ بْنُ إسْحَاقَ فِي " كِتَابِ الْمَبْسُوطِ " ، وَذَكَرَهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ . قَالَ مَالِكٌ : لَا أَرَى أَنْ يَقِفَ عِنْدَ قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَيَدْعُوَ ؛ وَلَكِنْ يُسَلِّمُ وَيَمْضِي " (٤) .

وقال ابن تيمية : " قصد القبور للدُّعاء عندها أو لها ، فإنَّ الدُّعاء عند القبور وغيرها من الأماكن ينقسم إلى نوعين :

أحدهما : أن يحصل الدُّعاء في البقعة بحكم الاتِّفاق لا لقصد الدُّعاء فيها كمن يدعو الله في طريقه ويتَّفق أن يمرَّ بالقبور أو من يزورها فيسلِّم عليها ويسأل الله العافية له وللموتى ، كما جاءت به السُّنَّة ، فهذا ونحوه لا بأس به .

الثَّاني : أن يتحرَّى الدُّعاء عندها بحيث يستشعر أنَّ الدُّعاء هناك أجوب منه في غيره ، فهذا النَّوع منهي عنه أمَّا نهي تحريم أو تنزيه ، وهو إلى التَّحريم أقرب " (١) .

---

(١) انظر : العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ص٤٧١) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (٢٦/ ١٤٧) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، (٢٧/ ١١٠) .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى (٢٧/ ١١٧) .

فابن تيمية يزعم فيما نقلنا عنه في النُّصوص السَّابقة أنَّ الوقوف للدُّعاء عند القبر الشَّريف بِدْعَةٌ ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ الصَّحابة يفعل ذلك ، ولَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يَقْصِدُ الدُّعاء عِنْدَ قَبْرِ أَحَدٍ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ ، وكذا لم يتحرى أحد منهم الدُّعاء عند أيٍّ من قبور الأنبياء ...

هذا ما قاله ابن تيمية ، وكلامه في هذا الباب باطل عاطل ، تردُّه الرِّوايات الصَّريحة عن الصَّحابة الكرام ، وأنَّهم فعلوا وتحرَّوا ما اعتبره ابن تيمية بدعة ...

فقد روى مالك وغيره بسندهم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ ؛ أَنَّه قَالَ : رَأَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ يَقِفُ عَلَى قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فَيُصَلِّي عَلَى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وَعَلَى أَبِي بَكْرٍ ، وَعُمَرَ (٢) .

وروى الطَّبراني وغيره بسندهم عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ ، قَالَ : رَأَيْتُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ عِنْدَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ يَدْعُو ، فَجَاءَ مَرْوَانُ فَأَسْمَعَهُ كَلَاماً ، فَقَالَ أُسَامَةُ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يَقُولُ : إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ (٣) .

وروى البيهقي بسنده عن عَبْدُ اللهِ بْنُ مُنِيبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أُمَامَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : " رَأَيْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ أَتَى قَبْرَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فَوَقَفَ ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّه افْتَتَحَ الصَّلاة ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ثمَّ انْصَرَفَ " (٤) .

فالنُّصوص الثَّلاثة السَّابقة تبرهنُ بوضوح على أنَّ الصَّحابة : عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ ، وأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ، وأَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ، وقفوا عند القبر الشَّريف ودعوا ... فهل هم مُبتدعة يا من تدَّعون السَّلفيَّة زوراً وظلماً وعدواناً ... سبحانك ربِّي هذا بهتان مبين .

وما معنى أن يصرِّح الألباني بأنَّ من البدع المذمومة في زماننا : إبقاء قبر النَّبي في مسجده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم (٥) .

---

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (ص٣٣٦-٣٣٧) .

(٢) أخرجه مالك ، (٢/ ٢٣١ برقم ٥٧٤) ، البيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٤٠٣ برقم ١٠٢٧٢) .

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ١٦٦ برقم ٤٠٥) ، الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٤/ ١٠٥ برقم ١٣١٦) .

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ، (٣/ ٤٩١ برقم ٤١٦٤) ، تحقيق : محمَّد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٠هـ .

(٥) انظر : مناسك الحج والعمرة في الكتاب والسنة وآثار السَّلف وسرد ما ألحق النَّاس بها من البدع (ص٦٠) .

وفي دراسة بعنوان : " عمارة مسجد النَّبي عليه السَّلام ودخول الحجرات فيه دراسة عقديَّة " ، قدَّمها المدعو الدكتور علي بن عبدالعزيز الشِّبل ، عضو هيئة التَّدريس في جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلاميَّة في الرِّياض ، اقترح فيها نقل قبر النَّبي محمَّد "صلَّى الله عليه وسلَّم" ، وحجراته من حرم المسجد النَّبوي الشَّريف ، لتكون الحجرة خارج المسجد الذي تتمُّ فيه الصَّلاة حاليَّاً . وطالب فيها بهدم الجدار القبلي العثماني المجيدي ، وتوسيع مقدِّمة المسجد إلى الجنوب ، كما طالب المومى إليه بتشكيل لجنة متخصِّصة من أهل العلم المعروفين ، لدراسة حاجة المسجد النَّبوي الشَّريف ، وتتبُّع ما فيه من البدع المحدثات ذات الخطر على الدِّين والعقيدة ، ومن ضمنها أبيات العتبي الشِّعريَّة المكتوبة في محيط الحجرة ، زاعماً أنَّ ذلك لصفاء التَّوحيد !!! ومنعاً للشرك والتَّوسُّل والاستغاثة بالرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في قبره وهو ميِّت .

ونشرت الدِّراسة المذكورة في المجلَّة العلَّمية المحكمة !!!! الصَّادرة عن مركز البحث العلمي وإحياء التُّراث الإسلامي ، التَّابع للرِّئاسة العامَّة لشئون المسجد الحرام والمسجد النَّبوي . فلا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم ...

وقال الشَّيخ ابن باز : " ... أمَّا احتجاج بعض الجهلة بوجود قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وقبر صاحبيه في مسجده ، فلا حجَّة في ذلك ؛ لأنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم دفن في بيته وليس في المسجد ، ودفن معه صاحباه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، ولكن لَمَّا وسَّع الوليد بن عبد الملك بن مروان المسجد أدخل البيت في المسجد ؛ بسبب التَّوسعة ، وغلط في هذا ، وكان الواجب أن لا يدخله في المسجد ؛ حتى لا يحتجّ الجهلة وأشباههم بذلك ، وقد أنكر عليه أهل العلم ذلك ، فلا يجوز أن يُقتدى به في هذا ، ولا يظنّ ظانٌّ أنَّ هذا من جنس البناء على القبور أو اتخاذها مساجد ؛ لأنَّ هذا بيت مستقل أُدخل في المسجد ؛ للحاجة للتَّوسعة ، وهذا من جنس المقبرة التي أمام المسجد مفصولة عن المسجد لا تضرُّه ، وهكذا قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم مفصول بجدار وقضبان . وينبغي للمسلم أن يبيِّن لإخوانـــه هذا ؛ حتى لا يغلطوا في هذه المسألة . والله وليُّ التَّوفيق " (١) .

وجاء في فتاوى ابن باز : " س : قال الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " ألا إنَّ من كان قبلكم كانوا يتَّخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتَّخذوا القبور مساجد ، فإنِّي أنهاكم عن ذلك " . وله أحاديث تنهى عن بناء المساجد على القبور ، فإذا وجد القبر ، فعلينا التَّسوية ، والمسجد النَّبوي أسأل الله أن يطعمني زيارته ، ولكن من زار

---

(١) انظر : مجموع فتاوى العلَّامة عبد العزيز بن باز (١٣/ ٢٣٨) .

المسجد النَّبوي ، وجد أنَّ قبر النَّبي بارز غير مسوَّى مع الأرض ، ويصلِّي عليه أحياناً ، أنا أسأل مع السَّائلين هل هناك رخصة لقبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فقط ، وهذا غير وارد . أفتونا جزاكم الله خيراً ؟

ج : النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم دُفن في بيته ، والصَّحابة رأوا دفنه في البيت حتى لا يتَّخذ قبره مسجداً ، هذا هو الأصل ، لكن لَّما وسع أمير المؤمنين في وقته الوليد بن عبد الملك في المائة الأولى مسجد الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أدخل الحجرة في المسجد ، ومن ذلك الوقت دخلت في المسجد ، وإلَّا فهو مدفونٌ في بيته عليه الصَّلاة والسَّلام ، فلا حجَّة فيه لأحد من النَّاس ؛ لأنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام لم يدفن في المسجد ، وإنَّما دُفن في بيته ، ودخلت الحجرة برمَّتها في التَّوسعة .

أمَّا النَّاس فلا يجوز لهم أن يدفنوا في المساجد ، والرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لعن من فعل ذلك ، قال : " لعن الله اليهود والنَّصارى اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد " ، فلا يجوز الدَّفن في المساجد ، ولا يجوز بناء مساجد على القبور ، فكلُّ هذا منكر ، لعن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم من فعله ، والواجب الحذر من ذلك ، أمَّا قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فلم يُدفن في المسجد ، بل دُفن في بيته ، ولكن عند التَّوسعة أدخل البيت في المسجد ، وكان هذا من أخطاء الوليد ، عفا الله عنه " (١) .

قلت : لقد اشتمل كلام ابن باز على ألوان من التَّدليس والمراوغة وعدم المصداقيَّة ، وإليك البيان :

أمَّا زعمه بأنَّ من أَمَرَ بضمِّ القبر للمسجد إنَّما هو الوليد بن عبد الملك فكذبٌ صُراح ، لأنَّ التَّاريخ يشهد بأنَّ من قام بضمِّ القبر للمسجد إنَّما هو الخليفة الرَّاشد الخامس عمر بن عبد العزيز ، وكان إماماً عالماً فقيهاً ... قال الإمام الذَّهبي في ترجمته له : " الإِمَامُ ، الحَافِظُ ، العلَّامة ، الُمجْتَهِدُ ، الزَّاهِدُ ، العَابِدُ ، السَّيِّدُ ، أَمِيْرُ الُمؤْمِنِيْنَ حَقّاً ، أَبُو حَفْصٍ القُرَشِيُّ ، الأُمَوِيُّ ، المَدَنِيُّ ، ثمَّ المِصْرِيُّ ، الخَلِيْفَةُ ، الزَّاهِدُ ، الرَّاشِدُ ، ... وَكَانَ مِنْ أَئِمَّةِ الاجْتِهَادِ ... وَكَانَ ثِقَةً ، مَأْمُوْناً ، لَهُ فِقْهٌ وَعِلْمٌ وَوَرَعٌ ، وَرَوَى حَدِيْثاً كَثِيْراً ، وَكَانَ إِمَامَ عَدْلٍ – رَحِمَهُ اللهُ ، وَرَضِيَ عَنْهُ " (٢) .

قال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمَّ الدِّمشقي (٧٧٤هـ) : " ... وَذَكَرَ ابن جرير : أَنَّه فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّل مِنْ هَذِهِ السُّنَّة قَدِمَ كِتَابُ الْوَلِيدِ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العزيز يَأْمُرُهُ بِهَدْمِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ وَإِضَافَةِ حُجَرِ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وَأَنَّ يُوَسِّعَهُ مِنْ قِبْلَتِهِ وَسَائِرِ نَوَاحِيهِ ، حَتَّى يَكُونَ

(١) انظر : فتاوى نور على الدرب (٢/ ٢٣٢) .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء (٥/ ١١٤-١١٥) .

مِائَتَيْ ذِرَاعٍ فِي مِائَتَيْ ذِرَاعٍ ، فَمَنْ باعك ملكه فاشتره مِنْهُ وَإِلَّا فقوِّمه لَهُ قِيمَةَ عَدْلٍ ثمَّ اهدمه وَادْفَعْ إِلَيْهِمْ أَثْمَانَ بُيُوتِهِمْ ، فَإِنَّ لَكَ فِي ذَلِكَ سَلَفَ صِدْقٍ عُمَرَ وَعُثْمَانَ .

فَجَمَعَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وُجُوهَ النَّاس وَالْفُقَهَاءَ الْعَشَرَةَ وأهل المدينة وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين الْوَلِيدِ ، ... فَعِنْدَ ذَلِكَ كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إلى الْوَلِيدِ بِمَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْفُقَهَاءُ الْعَشَرَةُ الْمُتَقَدِّمُ ذِكْرُهُمْ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَأْمُرُهُ بِالْخَرَابِ وَبِنَاءِ الْمَسْجِدِ عَلَى مَا ذَكَرَ، وَأَنْ يُعَلِّيَ سُقُوفَهُ . فَلَمْ يَجِدْ عُمَرُ بُدّاً مِنْ هَدْمِهَا ، ... فَأَدْخَلَ فِيهِ الْحُجْرَةَ النَّبَوِيَّةَ – حُجْرَةَ عَائِشَةَ – فَدَخَلَ الْقَبْرُ فِي الْمَسْجِدِ .. " (١) .

فعمرُ بن عبد العزيز هو من أَدْخَلَ القبرَ في المسجد ، وليس الوليد بن عبد الملك ، ولو كان فيه محذور لما أطاع هو ومن معه من الفقهاء أمرَ الوليد بن عبد الملك ، لأنَّه لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق . مع أنَّ ابن باز – كما جاء في كلامه – يجعل الأمر غلطاً ممَّن قام بعمليَّة ضمِّ القبر للمسجد ، وهذا الكلام يدلُّ دلالة واضحة على أنَّ من حضر من العلماء الذين استشارهم سيِّدنا عمر بن عبد العزيز من الفقهاء والعلما ما كانوا يفهمون التَّوحيد ، حتى جاء ابن باز ليعلِّمهم الخطأ من الصَّواب ، وأنَّهم فيما صنعوا قد ضلُّوا السَّبيل ...

وَمِنَ المعْلُوْم يَقيْناً أنَّ الخليفة الرَّاشِد عُمَر بن عَبْدِ العَزيْز ، كَانَ إِذَا وَقَعَ لَهُ أَمْرٌ مُشْكِلٌ جَمَعَ فُقَهَاءَ الْمَدِينَةِ عَلَيْهِ ، واستشارهم ، وكان لا يقطع أمراً ، ولا يصدرُ إلا عن أمرهم ونُصحهم ، قال الإمام ابن كثير : " وَبَنَى فِي مُدَّةِ وِلَايَتِهِ هَذِهِ مَسْجِدَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَوَسَّعَهُ عَنْ أَمْرِ الْوَلِيدِ لَهُ بِذَلِكَ ، فَدَخَلَ فِيهِ قَبْرُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وَقَدْ كَانَ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ مِنْ أَحْسَنِ النَّاس مُعَاشَرَةً ، وَأَعْدَلِهِمْ سِيرَةً ، كَانَ إِذَا وَقَعَ لَهُ أَمْرٌ مُشْكِلٌ جَمَعَ فُقَهَاءَ الْمَدِينَةِ عَلَيْهِ ، وَقَدْ عَيَّنَ عَشَرَةً مِنْهُمْ ، وَكَانَ لَا يَقْطَعُ أَمْراً بِدُونِهِمْ أَوْ مَنْ حَضَرَ مِنْهُمْ ، وَهُمْ عُرْوَةُ وَعُبَيْدِ اللهَّ بْنِ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عُتْبَةَ ، وأبو بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحمن بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ ، وأبو بكر بن سليمان بن خَيْثَمَةَ ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ ، وَالْقَاسِمُ بْنُ محمَّد بن حزم ، وَسَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهَّ ، وَعَبْدُ اللهَّ بْنُ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَخَارِجَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ . وَكَانَ لَا يَخْرُجُ عَنْ قَوْلِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ ... " (٢) .

فهؤلاء هم العلماء الذين وافقوا عمر بن عبد العزيز على ضمِّ القبر الشَّريف إلى المسجد ...

ويُضاف لما سبق : أنَّ الفترة التي أُدخل فيها القبر الشَّريف إلى المسجد كانت ما بين عامي (٨٨هـ-٩١هـ) ، وهي فترة كان فيها بعض الصَّحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، مثل : سهل بن سعد ، قال ابن عبد

---

(١) انظر : البداية والنهاية (٩/ ٨٩) .

(٢) انظر : البداية والنهاية (٩/ ٢١٩) .

البر : " وَاختلف في وقت وفاة سهل بن سعد . فقيل : توفي سنة ثمان وثمانين ، وهو ابن ست وتسعين سنة . وقيل : توفِّي سنة إحدى وتسعين ، وقد بلغ مائة سنة " (١) .

وعاش في تلك الفترة أيضاً : الصَّحابي الجليل أنس بن مالك ، : قال ابن كثير " وَقَدِ اخْتَلَفَ الْمُؤَرِّخُونَ فِي سَنَةِ وَفَاتِهِ ، فَقِيلَ : سَنَةَ تِسْعِينَ ، وَقِيلَ : إِحْدَى وَتِسْعِينَ ، وَقِيلَ : ثِنْتَيْنِ وَتِسْعِينَ ، وَقِيلَ : ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ ، وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ وَعَلَيْهِ الْجُمْهُورُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ " (٢) .

وعاش في تلك الفترة أيضاً : الصَّحابي الجليل عبد الله بْن ثعلبة بْن صغير ، قال ابن عبد البر في ترجمته : " وتوفِّي سنة تسع وثمانين ، وَهُوَ ابْن ثلاث وتسعين . وقيل : سنة سبع وثمانين ، وَهُوَ ابْن ثلاث وثمانين " (٣) .

وعاش في تلك الفترة أيضاً : الصَّحابي الجليل المقدام بن معديكرب بن عمرو بن يزيد بن معديكرب بْن عَبْد اللَّه بْن وهب بْن ربيعة بن الحارث بن معاوية بن ثور بن عفير الكندي . قال ابن عبد البر في ترجمته : " مات سنة سبع وثمانين " (٤) .

وعاش في تلك الفترة أيضاً : الصَّحابي الجليل عبد الله بْن بسر المازني . قال ابن عبد البر في ترجمته : " مات بالشَّام سنة ثمانين " (٥) .

وعاش في تلك الفترة أيضاً : الصَّحابي الجليل يوسف بن عبد الله بن سلام . قال ابن عساكر : " قال خليفة بن خيَّاط : توفِّي في خلافة عمر بن عبد العزيز " (٦) .

وعاش فيها أيضاً الصَّحابي الجليل أبو الطُّفيل عامر بن واثلة ، قال ابن عبد البر : " ومات سنة مائة أو نحوها . ويقَالَ : أنَّه آخر من مات ممَّن رأى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم " (٧) .

ولم نعلم لهؤلاء الصَّحابة الكرام نكيراً لما صنع عمر بن عبد العزيز من إدخال القبر إلى المسجد . وأمَّا إنكار ابن المسيب لهدم حجرات الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فلم يكن إنكاره لذات الإدخال ، بل كان لسبب آخر

---

(١) انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٦٦٤) .

(٢) انظر : البداية والنهاية (٩/ ٩٢) .

(٣) انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٨٧٦) .

(٤) انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٤٨٢) .

(٥) انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٨٧٤) .

(٦) انظر : تاريخ دمشق (٧٤/ ٢٤٤) .

(٧) انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٧٩٨) .

ذكره صاحب " الطَّبقات " ، قال : " سَمِعْتُ عَطَاءً الْخُرَاسَانِيَّ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ عُمَرُ بْنُ أَبِي أَنَسٍ يَقُولُ وَهُوَ فِيمَا بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمِنْبَرِ : أَدْرَكْتُ حُجَرَ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ عَلَى أَبْوَابِهَا الْمُسُوحُ مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ . فَحَضَرْتُ كِتَابَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ يُقْرَأُ يَأْمُرُ بِإِدْخَالِ حُجَرِ أَزْوَاجِ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَمَا رَأَيْتُ أَكْثَرَ بَاكِياً مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ .

قَالَ عَطَاءٌ : فَسَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يَقُولُ يَوْمَئِذٍ : وَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنَّهم تَرَكُوهَا عَلَى حَالِهَا يَنْشَأُ نَاشِئٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَيَقْدَمُ الْقَادِمُ مِنَ الأُفُقِ فَيَرَى مَا اكْتَفَى بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فِي حَيَاتِهِ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ مِمَّا يُزَهِّدُ النَّاس فِي التَّكَاثُرِ وَالتَّفَاخُرِ " (١) .

فسعيد بن المسيّب عليه رحمة الله تعالى ما أنكر إدخال القبر إلى المسجد ، وإنَّما كان يرى إبقاء حجرات الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كي تكون سبيلاً للزُّهد والتقلُّل من الدُّنيا وزينتها ، مع العلم أنَّ من يزعمون السَّلفيَّة لم يُبقوا على أي أثر من آثار الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وكذا آثار الصَّحابة الكرام الذين أداروا ظهورهم للدنيا زاهدين متقلِّلين ، في الوقت الذي نرى فيه من يدَّعون السَّلفيَّة في بحار الدُّنيا المتلاطمة يسبحون ، وفي رغد من العيش يتنعَّمون ...

فمن يكون ابن باز إذا وُضع معهم ؟!!! وإنَّني أقسم بالله العظيم غير حانث أنَّه لولا الدَّعم المالي والإعلامي منقطع النَّظير لعاش ابن باز وابن عثيمين ووو... ولم يسمع بهم أحد من العالمين ... ولله في خلقه شؤون ...

من جهة أخرى فإنَّ أهل العلم ذكروا أنَّ جمعاً من الأنبياء مدفونون في بيت الله الحرام ، قال الإمام أبو الوليد محمَّد بن عبد الله بن أحمد بن محمَّد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغسَّاني المكي المعروف بالأزرقي (٢٥٠هـ) : " حدَّثني مَهْدِيُّ بْنُ أَبِي الْمَهْدِيِّ ، قَالَ : حدَّثنا عَبْدُ الرَّحمن بْنُ عَبْدِ اللهِ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ ، عَنْ محمَّد بْنِ سَابِطٍ ، عَنِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، قَالَ : كَانَ النَّبي مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِذَا هَلَكَتْ أُمَّتُهُ لَحِقَ بِمَكَّةَ فَيَتَعَبَّدُ فِيهَا النَّبي ، وَمَنْ مَعَهُ حَتَّى يَمُوتَ فِيهِ ، فَمَاتَ بِهَا نُوحٌ ، وَهُودٌ ، وَصَالِحٌ ، وَشُعَيْبٌ ، وَقُبُورُهُمْ بَيْنَ زَمْزَمَ وَالْحَجَرِ " (٢) .

---

(١) انظر : الطبقات الكبرى (١/ ٣٨٧) .

(٢) انظر : أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار ، الأزرقي (١/ ٦٨) .

وقال الإمام الأزرقي أيضاً : " قَالَ محمَّد بْنُ سَابِطٍ : كَانَ النَّبي مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إِذَا هَلَكَتْ أُمَّتُهُ لَحِقَ بِمَكَّةَ ، فَتَعَبَّدَ فِيهَا النَّبي وَمَنْ مَعَهُ حَتَّى يَمُوتَ ، فَمَاتَ بِهَا نُوحٌ ، وَهُودٌ ، وَصَالِحٌ ، وَشُعَيْبٌ ، وَقُبُورَهُمْ بَيْنَ زَمْزَمَ وَالْحِجْرِ . حدَّثنا مَهْدِيُّ بْنُ أَبِي الْمَهْدِيِّ ، حدَّثنا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمٍ ، عَنْ أَبِي خَيْثَمٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحمن بْنَ سَابِطٍ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللهَّ بْنَ ضَمْرَةَ السَّلُولِيَّ ، يَقُولُ : مَا بَيْنَ الرُّكْنِ إلى الْمَقَامِ إلى زَمْزَمَ إلى الْحِجْرِ قَبْرُ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ نَبِيّاً ، جَاءُوا حُجَّاجاً فَقُبِرُوا هُنَالِكَ ، فَتِلْكَ قُبُورُهُمْ غَوْرُ الْكَعْبَةِ " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن الحسن الشيباني : " أَخْبَرَنَا أَبُو حَنِيفَةَ ، قَالَ : حدَّثنا سَالِمٌ الْأَفْطَسُ ، قَالَ : مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَيَهْرَبُ مِنْ قَوْمِهِ إلى الْكَعْبَةِ يَعْبُدُ رَبَّهَا ، وَإِنَّ حَوْلَهَا لَقُبُورَ ثَلَاثِمِائَةِ نَبِيٍّ " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن الحسن الشيباني : " أَخْبَرَنَا أَبُو حَنِيفَةَ ، قَالَ : حدَّثنا عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ ، قَالَ : قَبْرُ هُودٍ وَصَالِحٍ وَشُعَيْبٍ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ " (٣) .

وقد أخبر الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَنَّ " فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ قَبْرُ سَبْعِينَ نَبِيّاً " (٤) .

أمَّا ما زعمه ابن باز في قوله : " ... وقد أنكر عليه أهل العلم ذلك ، فلا يجوز أن يُقتدى به في هذا " . فهذا محض كذب وافتراء ... وقد تقدَّم ما قاله ابن كثير من جمعِ عمر بن عبد العزيز العلماء والفقهاء ، وأنَّه استشارهم في المسألة حتى صدروا على رأي واحد ، وهو تنفيذ ما أمر به الوليد بن عبد الملك من زيادة مساحة مسجد الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وضمِّ القبر الشَّريف إلى المسجد ... ولم يخالف في ذلك أحد ، فكان إجماعاً ...

فكيف سكت علماء الأمَّة قروناً طويلة على وجود ما ذكره مدَّعو السَّلفيَّة من المظاهر الوثنيَّة الشِّركيَّة في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ؟!! أليس الأجدر بعلماء الأمَّة أن ينبِّهوا إلى هذه المسألة الخطيرة ؟!!! وأن يعملوا على إزالتها من قديم الزَّمان ؟!!! أم أنَّ التَّوحيد لا يعلمه إلَّا من نسبوا أنفسهم زوراً وبهتاناً إلى السَّلف ؟!!! ألا يعتبر السَّابقون سلفاً لمن طالبوا بإزالة المظاهر الشِّركيَّة الوثنيَّة من مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

(١) انظر : أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار ، الأزرقي (٢/ ١٣٣) .

(٢) انظر : الآثار (٢/ ٢٩٠ برقم ٢٦٥) .

(٣) انظر : الآثار (٢/ ٢٩٢ برقم ٢٦٦) .

(٤) أخرجه الفاكهي في أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه (٤/ ٢٣٧ برقم ٢٥٩٤) ، الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٤١٤ برقم ١٣٥٢٥) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٣/ ٢٩٧ برقم ٥٧٦٩ ، وقال : رَوَاهُ الْبَزَّارُ ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ) .

وَسَلَّم ؟!!! ألا يعتبر زمان سيِّدنا عمر بن عبد العزيز زمن السَّلف ؟!!! أليس هو من قام بضمِّ القبر الشَّريف للمسجد ؟!!! والضَّمُّ كان بموافقة من حضر في ذلكم الزَّمان من جهابيذ العلماء وأساطينهم .

وزعم علماء نجد أنَّه كان قبل مجيء محمَّد بن عبد الوهَّاب في كلِّ بلد من بلدان نجد صنمٌ يُعبد من دون الله تعالى ، فقد جاء في " الدُّرر السنية " : " ... وكان قبل ذلك في كلِّ أرض وبلد من أرض نجد ، أوثان وأشجار تُعبد من دون الله ، وينذر لها ويذبح لها القُربان ، ويعظِّمونها أعظم من تعظيم الله " (١) .

وقد نقلت في كتاب : " تكفير الوهَّابيَّة لعموم الأمَّة المحمَّديَّة " نقولاً عديدة عن محمَّد بن عبد الوهَّاب كفَّر فيها السَّواد الأعظم من أمَّة محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، لدرجة أنَّه ومن معه كفَّروا كلَّ من كان على غير منهجهم ، مع أنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يقول : " سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ لِأُمَّتِي أَرْبَعَةَ خِلَالٍ ، فَأَعْطَانِي ثَلَاثاً ، وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً . سَأَلْتُهُ أَنْ لَا تَكْفُرَ أُمَّتِي صَفْقَةً وَاحِدَةً ، فَأَعْطَانِيهَا ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَأَعْطَانِيهَا ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ بِمَا عَذَّبَ بِهِ الْأُمَمَ قَبْلَهُمْ ، فَأَعْطَانِيهَا ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُجْعَلَ بِأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ ، فَمَنَعَنِيهَا " (٢) .

وقد برهنت في كتابي هذا على أنَّ الأمَّة وبمختلف عصورها تقول بالتَّوسُّل ، ولم يخالف في ذلك إلَّا شرذمة قليلة زعمت متابعة السَّلف ، والسَّلف منهم براء ، لأنَّهم لم يأتوا بدليل واحد ولا بقول واحد من أقوال السَّلف منع فيه التَّوسُّل واعتبره شركاً يخرجُ الإنسانُ بسببه من دائرة الإيمان ، في الوقت الذي اعتبر فيه مدَّعو السَّلفيَّة التَّوسُّل ضربٌ من ضروب الشِّرك ، فقد جاء في كتاب " فتح المجيد " : " وكل من دعا نبياً أو ولياً من دون الله ، فقد اتَّخذه إلهاً وضاهأ النَّصارى في شركهم ، وضاهأ اليهود في تفريطهم . فإنَّ النَّصارى غلوا في عيسى – عليه السَّلام – واليهود عادوه ، وسبُّوه ، وتنقَّصوه . فالنَّصارى أفرطوا ، واليهود فرطوا " (٣) .

وقال الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (١٤٢٠هـ) : " ... ثمَّ تغيَّرت الأحوال ، وغلب الجهل على أكثر الخلق ، حتى عاد الأكثرون إلى دين الجاهلية !!! بالغلوِّ في الأنبياء والأولياء ودعائهم والاستغاثة بهم وغير ذلك

---

(١) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ١٩٣) .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٢/ ٢٤١ برقم ١٨٦٢) .

(٣) انظر : فتح المجيد شرح كتاب التَّوحيد (ص٢١٩) .

من أنواع الشِّرك ، ولم يعرفوا معنى لا إله إلَّا الله كما عرف معناها كفَّار العرب !!! فالله المُستعان . ولم يزل هذا الشِّرك يفشو في النَّاس إلى عصرنا هذا بسبب غلبة الجهل وبعد العهد بعصر النُّبوَّة " (١) .

وقال الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (١٤٢٠هـ) أيضاً : " أمَّا المشركون المتأخِّرون فزادوا على الأوَّلين من جهتين ، إحداهما : شرك بعضهم في الرُّبوبيَّة ، والثَّانية : شركهم في الرَّخاء والشِّدَّة ، كما يعلم ذلك من خالطهم وسبر أحوالهم " (٢) .

وقال الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (١٤٢٠هـ) أيضاً : " ونسأله سبحانه أن يردَّهم إلى رشدهم ، وأن يكثر بينهم دعاة الهدى ، وأن يوفِّق قادة المسلمين وعلماءهم لمحاربة هذا الشِّرك والقضاء عليه ووسائله ، أنَّه سميع قريب " (٣) .

وقال المدعو محمَّد بن جميل زينو : الشِّرك في العبادة والدُّعاء : وهو أن يعبد ويدعو مع الله غيره من الأنبياء والصَّالحين ، كالاستغاثة بهم ودعائهم عند الشَّدائد أو الرَّخاء ، وهذا مع الأسف كثير في هذه الأمَّة ، ويحمل وِزْرَه الأكبر بعض المشايخ الذين يؤيِّدون هذا النَّوع من الشِّرك باسم التَّوسُّل ، يُسمُّونه بغير اسمه ، لأنَّ التَّوسُّل طلب من الله بغير واسطة ، وهذا الذي يفعلونه طلب من غير الله ، كقولهم : " المدد يا رسول الله " (٤) .

وقال دَعيُّ العلم زينو أيضاً : " يفيدُ هذا الحديث : أنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم دعا للأعمى وهو حي ، فاستجاب الله دعاءه ، وأمره أن يدعو لنفسه ، ويتوجه إلى الله بدعاء نبيه ، فقبل الله منه ، وهذا دعاء خاصّ في حياته صَلَّى الله عليه و سلم ، ولا يمكن الدُّعاء بعد الوفاة ، لأنَّ الصَّحابة لم يفعلوه ، ولم يستفد منه العميان بعد هذه الحادثة " (٥) .

وقال دعيُّ العلم زينو أيضاً : " التَّوسُّل الممنوع : هو الذي لا أصل له في الدِّين ، وهو أنواع :

التوسُّل بالأموات ، وطلب الحاجات منهم والاستعانة بهم ، كما هو واقع اليوم ويسمُّونه توسُّلاً ، وليس كذلك ، لأنَّ التَّوسُّل هو الطَّلب من الله بواسطة مشروعة كالإيمان والعمل الصَّالح وأسماء الله الحسنى ، ودعاء

(١) انظر : مجموع فتاوى العلَّامة عبد العزيز بن باز (١/ ٢٤) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى العلَّامة عبد العزيز بن باز (١/ ٢٦) .

(٣) انظر : مجموع فتاوى العلَّامة عبد العزيز بن باز (١/ ٢٧) .

(٤) انظر : منهاج الفرقة الناجية (ص٣٦) .

(٥) انظر : منهاج الفرقة الناجية (ص٤٦) .

الأموات إعراض عن الله وهو من الشِّرك الأكبر ، لقوله تعالى : ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس : ١٠٦] ، الظَّالمين : المشركين .

أمَّا التَّوسُّل بجاه الرَّسول كقولك : " يا ربّ بجاه محمَّد اشفني " ، فهو بدعة ، لأنَّ الصَّحابة لم يفعلوه ، ولأنَّ عمر الخليفة توسَّل بالعبَّاس حيّاً بدعائه ، ولم يتوسَّل بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بعد موته عندما طلب نزول المطر ، و حديث : " توسَّلوا بجاهي " لا أصل له ، كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية ، وهذا التَّوسُّل البدعي قد يؤدِّي للشِّرك " (١) .

وقال المدعو أحمد بن حجر آل بن علي : " فالعلماء إزاء هذه البدع والشِّركيَّات !!! أصناف ثلاثة :

صنفٌ يؤيد تلك البدع والخزعبلات ويدعو إليها ، وقد يكتب وينشر في تأييد مذهبه ، جهلاً أو طلباً لمصلحة دنيويَّة .

وصنفٌ يعرف الحقّ ، وأنَّ ما عليه جمهور النَّاس !!! باطل وضلال ، لكنَّه يساير العامَّة وأشباههم ، خوفاً أو طمعاً .

وصنفٌ ينكر ذلك ويدعو النَّاس إلى ترك تلك المحدثات ويرشدهم إلى التَّوحيد والتَّمسُّك بالسُّنَّة المطهَّرة ، وقليل ما هم " (٢) .

وقال المدعو أحمد بن حجر آل بن علي أيضاً : " عدم ثبوت التَّوسُّل عن النَّبي وأصحابه ولذا لم يثبت التَّوسُّل عن الأنبياء بعضهم ببعض ، كما لم يثبت التَّوسُّل عن الصَّحابة بالرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ولم يثبت عن التَّابعين ، ولا عن الأئمَّة الأربعة ، ولا غيرهم ممَّن يُعتدّ بهم " (٣) .

وقال المدعو أحمد بن حجر آل بن علي أيضاً : " فهل يستطيع أحد أن يأتي بحرف من القرآن ، أو من السُّنَّة الصَّحيحة على مشروعيَّة التَّوسُّل بالأنبياء أو بالصَّالحين ، فضلاً عن الاستغاثة بأحد منهم على غير الوجه المشروع ؟

وهنا فرق ؛ فإنَّ الاستغاثة بغير الله شرك لا ريب فيه . وأمَّا التَّوسُّل فهو بدعة أدنى من الشِّرك " (٤) .

---

(١) انظر : منهاج الفرقة الناجية (ص٤٦-٤٧) ،.

(٢) انظر : تطهير الجنان (القواعد الأربع ، منهج السالكين) (ص١٠-١١) .

(٣) انظر : تطهير الجنان (القواعد الأربع ، منهج السالكين) (ص٤٠) .

(٤) انظر : تطهير الجنان (القواعد الأربع ، منهج السالكين) (ص٤٣) .

وقال المدعو أحمد بن حجر آل بن علي أيضاً : " لو تدبَّر هؤلاء المبتدعون تلك الآيات والأحاديث ، وراجعوا تفاسير الأئمَّة المحقِّقين لتلك الآيات ، وشروح تلك الأحاديث ؟ لعلموا أنَّ توسُّلاتهم بالرَّسول ، أو بالأنبياء والصَّالحين ليس لها أصل في الدِّين ، بل هي بدعة ضلالة . وأنَّ الاستغاثة والاستعانة بهم من الشِّرك والكفر المُبين " (١) .

قلت : ولو نظر الباحث المتمعِّن في الأقوال السَّابقة لوجد فيها اضطراباً عجيباً ...

فقد تضمَّنت الزَّعم بأنَّ التَّوسُّل لم تقل به الصَّحابة بعد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وأنَّه شركٌ ، وأنَّه بدعة أدنى من الشِّرك ، وقد تؤدِّي إلى الشِّرك ، وأنَّ الجهل غلب على أكثر الخلق حتى عاد الأكثرون إلى دين الجاهليَّة ، وأنَّ ما عليه جمهور النَّاس باطل وضلال ، كما أنَّ التَّوسُّل لم يثبت عن الصَّحابة ، ولا عن التابعين ، ولا عن الأئمة المتبوعين المعتبرين ... مع أنَّ ما سقته في هذا الكتاب أظهر للعيان كذبهم وتدليسهم ...وقد سقت فيما مضى أسماء من قالوا بالتَّوسُّل ، ومن قام بم به ، وكذا من نقله مقرَّاً غير منكر ... فإلى الله المشتكى من شرذمة قليلة أشاحت بوجهها عن نور الحقِّ المبين ...

فالقوم متخابطون متناقضون مع أنفسهم ومع غيرهم ، ولا أدلَّ على ذلك من قول ابن تيمية : " وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ : إنَّ مَنْ قَالَ بِالْقَوْلِ الأوَّل فَقَدْ كَفَرَ ، وَلَا وَجْهَ لِتَكْفِيرِهِ ، فَإِنَّ هَذِهِ مَسْأَلَةٌ خَفِيَّةٌ لَيْسَتْ أَدِلَّتُهَا جَلِيَّةً ظَاهِرَةً وَالْكُفْرُ إنَّمَا يَكُونُ بِإِنْكَارِ مَا عُلِمَ مِنْ الدِّين ضَرُورَةً أَوْ بِإِنْكَارِ الْأَحْكَامِ الْمُتَوَاتِرَةِ وَالْمُجْمَعِ عَلَيْهَا وَنَحْوِ ذَلِكَ . وَاخْتِلَافُ النَّاس فِيمَا يُشْرَعُ مِنْ الدُّعاء وَمَا لَا يُشْرَعُ كَاخْتِلَافِهِمْ هَلْ تُشْرَعُ الصَّلاة عَلَيْهِ عِنْدَ الذَّبْحِ ؛ وَلَيْسَ هُوَ مِنْ مَسَائِلِ السَّبِّ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ . وأَمَّا مَنْ قَالَ : إنَّ مَنْ نَفَى التَّوسُّل الَّذِي سَمَّاهُ اسْتِغَاثَةً بِغَيْرِهِ كَفَرَ وَتَكْفِيرُ مَنْ قَالَ بِقَوْلِ الشَّيخ عِزِّ الدِّين وَأَمْثَالِهِ فَأَظْهَرُ مِنْ أَنْ يَحْتَاجَ إلى جَوَابٍ ؛ بَلْ الْمُكَفِّرُ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ يَسْتَحِقُّ مِنْ غَلِيظِ الْعُقُوبَةِ وَالتَّعْزِيرِ مَا يَسْتَحِقُّهُ أَمْثَالُهُ مِنْ الْمُفْتَرِينَ عَلَى الدِّين لَا سِيَّمَا مَعَ قَوْلِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم " : مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ : كَافِرٌ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا " (٢) .

ويقول محمَّد بن عبد الوهَّاب : " فكون بعضٍ يرخِّص بالتَّوسُّل بالصالحين وبعضهم يخصُّه بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وأكثر العلماء ينهي عن ذلك ويكرهه ، فهذه المسألة من مسائل الفقه ، ولو كان الصواب عندنا قول الجمهور أنَّه مكروه فلا ننكر على من فعله ، ولا إنكار في مسائل الاجتهاد ، لكن إنكارنا على من دعا لمخلوق

(١)انظر : تطهير الجنان (القواعد الأربع ، منهج السالكين) (ص٥٢) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (١/ ١٠٦) ، والحديث أخرجه مالك في الموطأ (٥/ ١٤٣٣ برقم ٣٦٠٦ ) .

أعظم مما يدعو الله تعالى ، ويقصد القبر يتضرع عند ضريح الشَّيخ عبد القادر أو غيره يطلب فيه تفريج الكربات ، وإغاثة اللهفات ، وإعطاء الرغبات فأين هذا ممن يدعو الله مخلصاً له الدِّين لا يدعو مع الله أحداً ، ولكن يقول في دعائه : أسألك بنبيك ، أو بالمرسلين ، أو بعبادك الصَّالحين ، أو يقصد قبر معروف أو غيره يدعو عنده ، لكن لا يدعو إلا الله مخلصاً له الدِّين ، فأين هذا مما نحن فيه ؟ " (١) .

مع انَّ ابن عبد الوهَّاب حكم بكفَّر المتوسِّلين ، كما نقلنا عنه في غير ما موضع ...

واعتبر أتباع محمَّد بن عبد الوهَّاب التَّبرُّك والتَّوسُّل بقبور الأنبياء والصَّالحين حرامٌ ونوعٌ من الشِّرك ، وذلك لأنَّه إثبات تأثير شيء لم ينزل الله به سلطاناً ، ولم يكن من عادة السَّلف الصَّالح أن يفعلوا مثل هذا التَّبرُّك ، فيكون من هذه الناحية بدعة أيضاً ، وإذا اعتقد المتبرِّك أنَّ لصاحب القبر تأثيراً أو قدرة على دفع الضرر أو جلب النَّفع كان ذلك شركاً أكبر إذا دعاه لجلب المنفعة أو دفع المضرَّة " (٢) .

مع أنَّه لا يوجد بين المتوسِّلين من يعتقد أو يثبت البتَّة لغير الله تعالى أي تأثير في الأشياء ، لأنَّهم يؤمنون بأنَّ الله تعالى هو الخالق الرَّازق ، الضَّارُّ النَّافع ...

ووصف الشَّيخ ابن باز المستغيثين ، والمتوسِّلين بالأنبياء والأولياء ، بأنَّهم مشركون كفرة لا تجوز مناكحتهم ، ولا دخولهم المسجد الحرام ، ولا معاملتهم معاملة المسلمين ، ولو ادَّعوا الجهل !!! ولا يلتفت إلى كونهم جُهَّالاً ، بل يجب أن يُعاملوا معاملة الكفَّار (٣) .

وابن باز هنا يجري على المؤمن الموحِّد المتوسِّل إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين أحكام الكافر ، لأنَّه اعتبر التَّوسُّل ارتداد عن دين الله ، ولو ادَّعوا الجهل!!! ، والعياذ بالله ، ولنا على كلامه هذا ثمَّة ملاحظات :

أوَّلاً : لم أرَ مثل هذا الكلام الشَّنيع عند غير ابن باز ، وهذا قمَّة الإفراط في تكفير الموحِّدين ، وابن باز هنا متابع ومقلِّدٌ لمحمَّد بن عبد الوهَّاب الذي قال : " فإنَّك إذا عرفت أنَّ الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه ، وقد يقولها وهو جاهل فلا يُعذر بالجهل " (٤) .

---

(١) انظر : الفتاوى ، محمَّد بن عبد الوهَّاب (ص٦٨-٦٩) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين (٢/ ٢٤٩) .

(٣) انظر : فتاوى في العقيدة ، ابن باز ، رسائل إرشادية لرئاسة الحرس الوطني ، ١٩١ ، (ص١٣) .

(٤) انظر : كشف الشبهات ، محمَّد بن عبد الوهَّاب ، (ص١١) .

مع أنَّ جمهور العلماء قال بالعذر بالجهل من غير تفريق بين الأصول والفروع ... قال الإمام الذَّهبي : " وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ عَلِيُّ بنُ أَحْمَدَ بنِ يُوْسُفَ الهَكَّارِيُّ ، فِي كِتَابِ (عَقِيْدَةِ الشَّافِعِيِّ) لَهُ : أَخْبَرَنَا أَبُو يَعْلَى الخَلِيْلُ بنُ عَبْدِ اللهِ الحَافِظُ ، أَخْبَرَنَا أَبُو القَاسِمِ بنُ عَلْقَمَةَ الأَبْهَرِيُّ ، حدَّثنا عَبْدُ الرَّحمن بنُ أَبِي حَاتِمٍ ، حدَّثنا يُوْنُسُ بنُ عَبْدِ الأَعْلَى ، سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ الشَّافعي يَقُوْلُ - وَقَدْ سُئِلَ عَنْ صِفَاتِ اللهِ – تَعَالَى - وَمَا يُؤمِنُ بِهِ – ، فَقَالَ : للهِ أَسْمَاءٌ وَصِفَاتٌ ، جَاءَ بِهَا كِتَابُهُ ، وَأَخْبَرَ بِهَا نَبِيُّهُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم – أُمَّتَهُ ، لاَ يَسَعُ أَحَداً قَامَتْ عَلَيْهِ الحُجَّةُ رَدُّهَا ، لأَنَّ القُرْآنَ نَزَلَ بِهَا ، وَصَحَّ عَنْ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم القَوْلَ بِهَا ، فَإِنْ خَالَفَ ذَلِكَ بَعْدَ ثُبُوتِ الحُجَّةِ عَلَيْهِ ، فَهُوَ كَافِرٌ ، فَأَمَّا قَبْلَ ثُبُوْتِ الحُجَّةِ ، فَمَعْذُورٌ بِالجَهْلِ ، لأَنَّ عِلْمَ ذَلِكَ لاَ يُدْرَكُ بِالعَقْلِ ، وَلاَ بِالرَّوِيَّةِ وَالفِكْرِ ، وَلاَ نُكَفِّرُ بِالجَهْلِ بِهَا أَحَداً ، إِلَّا بَعْدَ انتهَاءِ الخَبَرِ إِلَيْهِ بِهَا " (١) .

وقال الإمام أبو محمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) في تعليقة على حديث : " قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ حَسَنَةً قَطُّ ، لِأَهْلِهِ : إِذَا مَاتَ فَحَرِّقُوهُ ، ثمَّ اذْرُوا نِصْفَهُ فِي الْبَرِّ وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ اللهُ عَلَيْهِ لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً لَا يُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ ، فلمّا مَاتَ الرَّجُلُ فَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ ، فَأَمَرَ اللهُ الْبَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ ، وَأَمَرَ الْبَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ ، ثمَّ قَالَ : لِمَ فَعَلْتَ هَذَا ؟ قَالَ : مِنْ خَشْيَتِكَ ، يَا رَبِّ وَأَنْتَ أَعْلَمُ ، فَغَفَرَ اللهُ لَهُ " (٢) ، قال : " وَهَذَا رجل مُؤمن بِاللهَّ ، مقرٌّ به ، خَائِفٌ لَهُ ، إِلَّا أَنَّه جَهِلَ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ ، فَظَنَّ أَنَّه إِذْ أُحرق وذري الرِّيحِ أَنَّه يَفُوتُ اللهَّ تَعَالَى ، فَغَفَرَ الله تَعَالَى لَهُ بِمَعْرِفَتِهِ مَا بِنِيَّتِهِ وَبِمَخَافَتِهِ مِنْ عَذَابِهِ جَهْلَهُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ مِنْ صِفَاتِهِ .

وَقَدْ يَغْلَطُ فِي صِفَاتِ اللهَّ تَعَالَى ، قَوْمٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا يُحْكَمُ عَلَيْهِمْ بِالنَّارِ ، بَلْ تُرْجَأُ أُمُورُهُمْ إِلى مَنْ هُوَ أَعْلَمُ بهم وبنيَّاتهم " (٣) .

وقال الإمام أبو محمَّد عز الدِّين عبد العزيز بن عبد السَّلام بن أبي القاسم بن الحسن السّلمي الدِّمشقي ، الملقَّب بسلطان العلماء (٦٦٠هـ) : " كَيْفَ نُكَفِّرُ الْعَامِّيَّ بِجَهْلِهِ أَنَّ النُّبُوَّةَ عِبَارَةٌ عَنْ كَوْنِ النَّبي مُخْبِراً عَنْ اللهَّ ، فَلَا

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (١٠/ ٧٩-٨٠) .

(٢) أخرجه مالك في الموطإ (٢/ ٣٣٨ برقم ٨٢٢) ، مسلم ، (٤/ ٢١٠٩ برقم ٢٧٥٦) واللفظ له ، البغوي في شرح السُّنَّة (١٤/ ٣٨٠ برقم ٤١٨٣) .

(٣) انظر : تأويل مختلف الحديث (ص١٨٦) .

تَرْجِعُ النُّبُوَّةُ إلى صِفَةٍ وُجُودِيَّةٍ ، بَلْ تَكُونُ عِبَارَةٌ عَنْ نِسْبَةِ تَعَلُّقِ الْخِطَابِ بِهِ، ... وَقَدْ رَجَعَ الْأَشْعَرِيُّ – رَحِمَهُ الله – عِنْدَ مَوْتِهِ عَنْ تَكْفِيرِ أَهْلِ الْقِبْلَةِ ، لِأَنَّ الْجَهْلَ بِالصِّفَاتِ لَيْسَ جَهْلاً بِالْمَوْصُوفَاتِ " (١) .

وقال الإمام أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيى بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) : " وَاعْلَمْ أَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ الْحَقِّ أَنَّه لَا يُكَفَّرُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ ، وَلَا يُكَفَّرُ أَهْلُ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ ، وَأَنَّ مَنْ جَحَدَ مَا يُعْلَمُ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ ضَرُورَةً حُكِمَ بِرِدَّتِهِ وَكُفْرِهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَرِيبَ عَهْدٍ بِالْإِسْلَامِ أَوْ نَشَأَ بِبَادِيَةٍ بَعِيدَةٍ وَنَحْوِهِ مِمَّنْ يَخْفَى عَلَيْهِ فَيُعَرَّفُ ذَلِكَ ، فَإِنِ اسْتَمَرَّ حُكِمَ بِكُفْرِهِ " (٢) .

فقوله : " مِمَّنْ يَخْفَى عَلَيْهِ " شاملة لكلِّ من خفي عليه شيء من الدِّين ، سواء كان هذا الذي خفي عليه من أصول الدِّين أو فروعه ، فإنَّه يُعذر بالجهل ...

ويقول الإمام شمس الدِّين أبي عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٧٤٨هـ) : " واعلم أنَّ كثيراً من هذه الكبائر ، بل عامّتها إلَّا الأقل ، يجهل خلقٌ كثيرٌ من الأمَّة تحريمه ، وما بلغه الزَّجر عنه ولا الوعيد ، فهذا الضّرب فيه تفصيل ؛ فينبغي للعالم أن لا يستعجل على الجاهل ، بل ينبغي التَّرفُّق به وتعليمه ممَّا علمه الله ، ولا سيَّما إذا كان قريب العهد بجاهليته ، قد نشأ في بلاد الكفر البعيدة ، وأُسر وجلب لأرض الإسلام ، وقد يكون الشَّخص الذي اشترى هذا المملوكي الجاهل أميراً تركيَّاً لا علم عنده ولا فهم ، ، فبالجهد أنَّه ينطق بالشَّهادتين ، ثمَّ قد يفهم معناها بصعوبة شديدة بعد أيَّام ، ثمَّ قد يصلِّي أو لا يصلِّي ، وقد يتقن الفاتحة مع الطّول إن كان أستاذه فيه دين ما، فإن كان أستاذه نسخة منه فمن أين لهذا المسكين أن يعرف شرائع الإسلام، والكبائر واجتنابها، والواجبات وإتيانها ؟ فإن عرف هذا موبقات الكبائر وحذر منها، وأركان الفرائض واعتقادها فهو سعيد " (٣) .

وبمناسبة النَّقل عن كتاب " الكبائر " للإمام الذَّهبي ، فقد قام المتمسلفون بحذف وشطب الكبيرة الرَّابعة والسِّتين منه ، وهي بعنوان : " أذيَّة أولياء الله " ...

وقال الإمام محمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب بن سعد شمس الدِّين ابن قيِّم الجوزيَّة (٧٥١هـ) : " ... وأمَّا جَحْدُ ذَلِكَ جَهْلاً ، أَوْ تَأْوِيلاً يُعْذَرُ فِيهِ صَاحِبُهُ فَلَا يُكَفَّرُ صَاحِبُهُ بِهِ ، كَحَدِيثِ الَّذِي جَحَدَ قُدْرَةَ اللهِ عَلَيْهِ وَأَمَرَ أَهْلَهُ أَنْ

---

(١) انظر : قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١/ ٢٠٢-٢٠٣) .

(٢) انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١/ ١٥٠) .

(٣) انظر : الكبائر ، الذَّهبي (ص٢٨-٢٩) .

يَحْرِقُوهُ وَيَذْرُوهُ فِي الرِّيحِ ، وَمَعَ هَذَا فَقَدْ غَفَرَ الله لَهُ ، وَرَحِمَهُ لِجَهْلِهِ ، إِذْ كَانَ ذَلِكَ الَّذِي فَعَلَهُ مَبْلَغَ عِلْمِهِ ، وَلَمْ يَجْحَدْ قُدْرَةَ اللهَّ عَلَى إِعَادَتِهِ عِنَاداً أَوْ تَكْذِيباً " (١) .

وعلى أيَّة حال فإنَّ الشَّيخ ابن باز خالف جمهور الأمَّة حين حكم بكفر المؤمن الموحِّد المتوسِّل إلى الله تعالى بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أو بغيره من الأنبياء والأولياء زاعماً أنَّ هذا الصَّنيع شركٌ مُخرجٌ من المِلَّة ، حتى لو كان جاهلاً بالحكم !!! مع أنَّ التَّوسُّل حكم فرعي لا أصولي ، لم يذكره العلماء سلفاً وخلفاً إلَّا في فصل زيارة قبر الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم من كتاب الحجّ ، وهو أمرٌ مشروعٌ ، قام على العمل به السَّلف والخلف على حدٍّ سواء ، ولم يخالف في ذلك إلَّا ابن تيمية ثمَّ تبنَّى هذا الأمر ابن عبد الوهَّاب ، فكفَّر كسابقه عموم الأمَّة ، واستحلَّ دمائهم وأموالهم وعاملهم معاملة الكفَّار ، والعياذ بالله تعالى ...

ثانياً : أنَّ ابن باز بعد أن حكم بكفر المتوسِّلين إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين طالب ودعا إلى عدم معاملتهم معاملة المسلمين ، بل يجب أن تطبَّق عليهم جميع أحكام الكفرة ، مثل : عدم تمكينهم من دخول الحرم المكِّي ، وبُغضهم ومُعاداتهم وعدم موالاتهم ، وإذا ماتوا لا يتولَّى المؤمنون جنازاتهم ، ولا يُدفنون في مقابر المسلمين ، وأنَّهم لا يزوَّجوا من المسلمات ، ولا يرثوا المسلمين ، والمسلمون لا يرثوهم ، وأنَّهم لا يمكَّنوا من الإستقرار والتَّملُّك في جزيرة العرب ، وكذا لا يمكَّنوا من إظهار شعائرهم وعباداتهم ...

ومن أجل طمس معالم الموتى وقبورهم بمن فيهم الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام ، فقد أفتى ابن باز بعدم جواز البناء على القبور ، ولذلك طالبوا بهدم القبَّة الشَّريفة المبنيَّة على قبر الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فقد جاء في فتاوى ابن باز أيضاً : " س : ما حكم البناء على القبر بما في ذلك المسجد ؟

ج : أمَّا البناء على القبور فهو محرَّم سواء كان مسجداً أو قبَّة أو أي بناء لا يجوز ذلك ؛ لأنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لعن اليهود ، قال : " لعن الله اليهود والنصارى ، اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد " . فعلَّل اللعنة باتِّخاذهم المساجد على القبور ، فدلَّ ذلك على تحريم البناء على القبور ، وأنَّه لا يجوز ، واتِّخاذها مساجد من أسباب الفتنة بها ، لأنَّها إذا وضعت عليها المساجد افتتن بها النَّاس ، وربَّما دعوها من دون الله واستغاثوا بأهلها فوقع الشِّرك ، وفي حديث جندب بن عبد الله البجلي عند مسلم في صحيحه يقول النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " ألا وإنَّ من كان قبلكم كانوا يتَّخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتَّخذوا القبور مساجد ، فإنِّي أنهاكم عن ذلك " . هكذا يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، يحذِّرنا من اتِّخاذ المساجد على القبور ، فينبغي لأهل

---

(١) انظر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن قيم الجوزية (١ / ٣٤٨) .

الإسلام أن يحذروا ذلك ، بل الواجب عليهم أن يحذروا ذلك ، وفي حديث جابر عند مسلم عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أنَّه نهى عن تجصيص القبور وعن القعود عليها أو البناء عليها ، فالبناء عليها منهيٌّ عنه مطلقاً ، واتِّخاذ القباب والمساجد عليها كذلك ؛ لأنَّ ذلك من وسائل الشِّرك إذا بني على القبر المسجد أو القبَّة ونحو ذلك عظَّمه النَّاس ، وفُتن به النَّاس ، وصار من أسباب الشِّرك به ، ودعاء أصحاب القبور من دون الله عزَّ وجلَّ ، كما هو واقع في دول كثيرة وبلدان كثيرة عظَّمت القبور ، وبنيت عليها المساجد وصار الجهلة يطوفون بها ، ويدعونها ويستغيثون بأهلها ، وينذرون لهم ويتبرَّكون بقبورهم ويتمسَّحون بها ، كلّ هذا وقع بأسباب البناء على القبور ، واتِّخاذ المساجد عليها ، وهذا من باب الغلو الذي حرمه الله ، يقول النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " إيَّاكم والغلو في الدِّين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدِّين " ، وقال : " هلك المتنطِّعون ، هلك المتنطِّعون ، هلك المتنطِّعون " ، يعني : المتشدِّدين الغالين .

والخلاصة أنَّه لا يجوز البناء على القبور لا مسجد ولا غير مسجد ولا قبَّة ، وأنَّ هذا من المحرَّمات العظيمة ، ومن وسائل الشِّرك ، فلا يجوز فعل ذلك ، وإذا وقع فالواجب على ولاة الأمور إزالته وهدمه ، وأن لا يبقى على القبور مساجد ، ولا قباب بل تبقى ضاحية مكشوفة ، كما كان هذا في عهد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وفي عهد أصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم والسَّلف الصَّالح ، ولأنَّ بناء المساجد على القبور من وسائل الشِّرك ، كذلك القباب والأبنية الأخرى كلّها من وسائل الشِّرك ، فلا تجوز بل الواجب إزالتها وهدمها ؛ لأنَّ ذلك هو مقتضى أمر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، هو أمر عليه الصَّلاة والسَّلام بأن تُزار القبور للذِّكرى والعظة ونهى عن البناء عليها ، واتِّخاذ المساجد عليها ؛ لأنَّ هذا يجعلها آلهة يجعلها أوثاناً تعبد من دون الله ، فوجب امتثال أمره بالزِّيارة يعني شرع لنا أن ننفذ الأمر بالزِّيارة المشروعة ، فالزِّيارة مستحبَّة ، يشرع لنا أن نزورها للذِّكرى والدُّعاء لأهلها بالمغفرة والرَّحمة ، لكن لا نبني عليها لا مساجد ولا قباباً ولا أبنية أخرى ؛ لأنَّ البناء عليها من وسائل الشِّرك ، والفتنة بها من الجهة الأخرى ، وهي وضع القبور في المساجد يدفن الميت في المسجد ، هذا لا يجوز أيضاً بعض النَّاس إذا مات ، قال : ادفنوني في المسجد هذا لا يجوز دفنه في المسجد ، بل يجب أن يُنبش وينقل إلى المقبرة إذا دفن أحد في المسجد ينبش وينقل إلى المقبرة ، ولا يجوز بقاؤه في المسجد أبداً ، هذا هو الواجب على أهل الإسلام ألا يدفنوا في المساجد ، يعني : ليس لأحد أن يدفن في المسجد ، ينبش ينقل إلى المقبرة العامَّة " (١) .

والحقّ أنَّ ما قاله ابن باز من تحريم البناء على القبور ، مخالفٌ لما ظلت عليه الأمَّة قروناً طوالاً ...

---

(١) انظر : فتاوى نور على الدرب (٢/ ٢٢٩-٢٣٢) .

قال الإمام أحمد بن الصدِّيق الغماري (١٤١٣هـ) : " ... وهذا في حقِّ عامة النَّاس ، وأمَّا الأولياء والصَّالحون فنصَّ جماعةٌ على جوازه ، بل استحبابه في حقِّهم تعظيماً لحرمتهم ، وحفظاً لقبورهم من الامتهان والاندثار الذي يعدم معه الانتفاع بزيارتهم والتَّبرُّك بهم .

وقد أفتى العزُّ بن عبد السَّلام بهدم القباب والبيوت والأبنية الكثيرة الواقعة في قرافة مصر ، لأنَّها واقعة في أرض موقوفة على دفن المسلمين ، واستثنى من ذلك قبَّة الإمام الشَّافعي ، قال : لأنَّها مبنيَّة في دار ابن عبد الحكم ، وهذا منه ذهاب إلى جواز بناء القباب على مثل قبر الإمام الشَّافعي رضي الله عنه إذا كان ذلك في الملك ولم يكن في أرض الحبس .

بل أفتى الحافظ السُّيوطي باستثناء قبور الأولياء والصَّالحين ، ولو كانت في الأرض المحبسة ، ووافقه جماعة ممن جاءوا بعده من فقهاء الشَّافعيَّة ، وقد ذكر هو ذلك في جزئه الذي سمَّاه " بذل المجهود في خزانة محمود " ، فقال : الوجه الرَّابع : أنَّ من قواعد الشَّرع أنَّه يجوز أن يستنبط من النصِّ معنى يخصِّصه وذلك معلوم . فإذا كان هذا في نصِّ الشَّارع ففي نصِّ الواقف أولى ، فيقال : إنَّ مقصود الواقف تمام النَّفع وتمام الحفظ ، فإذا وجد من يحتاج إلى الانتفاع بها في تصنيف ، وذلك لا يمكن على الوجه الأتمِّ في المدرسة ووثق بتمام حفظه وصونه جاز الإخراج له ، ويستثنى من المنع ويخصّ عموم لفظ الواقف بهذا المعنى المستنبط كما خصص عموم قوله تعالى : ﴿أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء : ٤٣] ، واستثنى منه المحارم بالمعنى المستنبط وهو الشَّهوة ، ولا دليل لاستثناء المحارم من آية أو حديث سوى هذا الاستنباط فكذلك هنا . وقد ذكر الحافظ عماد الدِّين بن كثير في تاريخه أنَّ في بعض السِّنين ببغداد منع معلمو الأطفال من تعليمهم في المساجد إلَّا رجلاً واحداً كان موصوفاً بالخير فاستثنوه من المنع ، وأنَّهم استفتوا الماوردي صاحب " الحاوي " من أئمَّتنا ، والقدُّوري من أئمَّة الحنفيَّة ، وغيرهما فأفتوا باستثنائه ، واستدلُّوا بأنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أمر بسدِّ كلّ خوخة في المسجد إلّا خوخة أبي بكر ، فقاسوا استثنائهم لهذا الرَّجل على استثناء خوخة أبي بكر ، وهذا الاستنباط دقيق لا يدركه إلَّا الأئمَّة المجتهدون ، كالماوردي ، والقدُّوري ، ونحوهما . وقد استندت إلى قولهم هذا قديماً حين استفتيت في أبنية القرافة فأفتيت بهدمها كما هو المنقول إلَّا مشاهد الصَّالحين فاستندت في هذا الاستثناء إلى ما صنعه الماوردي والقدُّوري اهـ .

وهذا إنَّما هو لأجل كونها واقعة في الأرض الموقوفة ، وأمَّا ما لم يكن فيها فقوله فيه الجواز مطلقاً .

وفي حواشي البجيرمي على شرح الخطيب على متن أبي شجاع : ولو وجدنا بناء في أرض مسبلة ولم يعلم أصله ترك لاحتمال أنَّه وقع بحق قياساً على ما قرَّروه في الكنائس . نعم استثنى بعضهم قبور الأنبياء والشُّهداء والصَّالحين ونحوهم قاله البرماوي . وعبارة الرحماني : نعم قبور الصَّالحين يجوز بناؤها ولو بقبَّة لإحياء الزِّيارة والتَّبرُّك . قال الحلبي ولو في مسبلة وأفتى به وقال أمر به الشَّيخ الزيادي مع ولايته (١) .

وفي " المنتزع المختار من الغيث المدرار المفتح لكمائم الأزهار في فقه الأئمة الأطهار ط يعني الزيدية مع حواشيه : والثَّاني من المكروهات الأناقة بقبر الميت ، وهو أن يرفع بناؤه زائداً على قدر شبر ، فإنَّ ذلك مكروه ، وإنَّما يكره إذا كان الميت غير فاضل مشهور الفضل ، ولا بأس بما يكون تعظيماً لمن يستحقه كالمشاهد والقباب التي تعمر للأئمَّة والفضلاء ، فلو أوصى من لا يستحق القبَّة والتَّابوت بأن يوضع على قبره ، قال المؤيَّد بالله : يمتثل لأنَّه مباح وقيل لا . اهـ

وفي " شرح العميري على العمل الفاسي " : والعمل بالبناء على القبور جاز أيضاً ، وقد كتب شيوخنا سيِّدي عبد القادر الفاسي في ذلك بما نصّ المراد منه ، ولم ينزل النَّاس يبنون على مقابر الصَّالحين وأئمَّة الإسلام شرقاً وغرباً ، كما هو معلوم ، وفي ذلك تعظيم حرمات الله واجتلاب مصلحة عباد الله لانتفاعهم بزيارة أوليائه ودفع مفسدة المشي والحفر وغير ذلك ، والمحافظة على تعيين قبورهم وعدم اندراسها ، ولو وقعت المحافظة من الأمم المتقدِّمة على قبور الأنبياء لم تندرس وتجهل بل اندرس أيضاً كثير من قبور الأولياء والعلماء لعدم الاهتمام بها وقلة الاعتناء بأمرهم اهـ ، ذكر ذلك لمن سأله عن البناء على ضريح مولانا عبد السَّلام بن مشيش نفعنا الله به . وما يؤثر في النَّهي عن البناء على القبر إنَّما ذاك حيث يكون القصد به المباهاة والمفاخرة اهـ .

وفي " مسائل المسناوي " أنَّه سئل عن البناء على قبر الرجل والمرأة اللذين ترجى بركتهما في الحياة وبعد الموت بقصد التَّمييز والتَّعظيم لقبره ومقامه ويكون البناء حسناً بالتَّزليج هل يجوز ذلك أم لا ؟ وعلى الجواز فهل من أنفق على ذلك البناء من ماله أو صنعه بيده يثاب على ذلك أو لا ثواب له ؟ . فأجاب : إنَّ البناء على من ذكر بقصد ما ذكر جائز بل مطلوب إذا كان في أرض مملوكة للباني لما ذكره بعض المحقِّقين من شيوخ شيوخنا أنَّ فيه جلب مصلحة الانتفاع بالصَّالحين ، ودفع مفسدة امتهانهم بالحفر والمشي وغير ذلك . إذ لولا البناء لاندرست قبورهم كما اندرست قبور الأنبياء عليهم السَّلام ، فتبطل زيارتهم ، وهي مطلوبة شرعاً – كما لا يخفى وقد أشار

---

(١) انظر : تحفة الحبيب على شرح الخطيب (حاشية البجيرمي على الخطيب) (٢/ ٢٩٧) .

إلى مطلوبيتها وما فيها من الفوائد الشَّيخ الإمام العارف الرباني أبو إسحاق إبراهيم التازي الوهراني في قصيدته التي أولها :

زيارة أرباب التُّقى مرهم يبري ومفتاح أبواب السَّعادة والخير

وفي " نوادر الأصول " عن فاطمة عليها السَّلام أنَّها كانت تأتي قبر حمزة رضي الله عنه في كلِّ عام فترمُّه وتصلحه لئلَّا يندرس أثره فيخفى على زائره . وفي فتاوى ابن قدَّاح : إذا جعل على قبر من أهل الخير علامة فهو حسن ، والعلامة المميَّزة هو البناء الخاص لاشتراك غيره (١) .

وفي شرح السجلماسي على العمل الفاسي : مما جرى به العمل لفاس وغيره تحلية قبور الصَّالحين بالبناء عليها تعظيماً ، كما أفتى به الإمام سيِّدي عبد القادر الفاسي والد الناظم ثمَّ ذكر فتواه السَّابقة ، ثمَّ قال : جواز البناء على القبور منقول عن ابن القصار ، وإذا كان ذلك على مطلق القبور مع عدم قصد المباهاة كان البناء بقصد تعظيم من يعظم شرعاً أجوز ، بل حيث كان القصد بالبناء التَّعظيم ينبغي أن يكون مشرفاً بالبناء على البيوت بالنَّقش والتَّزويق ، لأنَّ ذلك كلّه من كمال التَّعظيم . اهـ

وفي " شرح الرِّسالة " لجسوس : ويكره البناء على القبور ، وقد يحرم ، وقد يجوز إذا كان للتَّمييز ، ويستثنى قبور أهل العلم والصَّلاح فيندب لينتفع بزيارتهم ... بذلك جرى العمل عند النَّاس شرقاً وغرباً من غير نكير . اهـ

وفي " شرح التوبشتي على المصابيح " : وقد أباح السَّلف البناء على قبور المشايخ والعلماء المشهورين ليزورهم النَّاس وليستريحوا بالجلوس فيها . اهـ

وفي شرح زين العرب على المصابيح أيضاً : وقد أباح السَّلف البناء على قبور العلماء المشهورين والمشايخ المعظَّمين ليزورها النَّاس وليستريحوا إليها بالجلوس في البناء الذي على قبورهم مثل الرّباطات والمساجد . اهـ

وفي " مصباح الأنام وجلاء الظَّلام " للعلامة علي بن أحمد الحداد : ومن قال بكفر أهل البلد الذي فيه القباب وأنَّهم كالصَّنم فهو تكفير للمتقدِّمين والمتأخِّرين من الأكابر والعلماء والصَّالحين من جميع المسلمين من أحقاب وسنين مخالفاً للإجماع السُّكوتي على الأنبياء والصَّالحين من عصور ودهور صالحة . قال تلميذ ابن تيمية الإمام بن مفلح الحنبلي في الفصول : القبَّة والحظيرة في التُّربة يعني على القبر إن كان في ملكه فعل ما شاء ، وإن كان في مسبله كره للتَّضييق بلا فائدة ويكون استعمالاً للمسبلة فيما لم توضع له . اهـ .

---

(١) انظر : نوادر الأصول في أحاديث الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم (١/ ١٢٦) .

قال ابن القيِّم الحنبلي : ما أعلم تحت أديم السَّماء أعلم في الفقه على مذهب أحمد من ابن مفلح . اهـ . وقوله : في المسبلة بلا فائدة ، إشارة إلى أنَّ المقبور غير عالم وولي ، أمَّا هما فيندب قصدهما للزِّيارة كالأنبياء عليهم السَّلام وينتفع الزَّائر بذلك من الحرِّ والبرد والمطر والرِّيح ، والله أعلم ، لأنَّ الوسائل لها حكم المقاصد " (١) .

ثمَّ ذكر الإمام أحمد بن الصدِّيق الغُماري العلل التي يحتجُّ به المتمسلفون لتحريم البناء على القبور ، وردَّ عليها ردَّاً متيناً بلا مزيد ...

ثمَّ ذكر الأدلَّة على جواز البناء على القبور ... ونظراً لكون هذه المسألة من أعظم ما يدندن حوله المتمسلفون ، رأيت أن أذكر الأدلَّة على جوازها ...

" **الدَّلِيْلُ الأوَّلُ :** قول الله تعالى في قصَّة أصحاب الكهف : ﴿إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا﴾ [الكهف : ٢١ ] ، والذين غلبوا على أمرهم هم المؤمنون على الصَّحيح ، لأنَّ المسجد إنَّما يبنيه المؤمنون ، وأمَّا الكافرون فقالوا ابنوا عليهم بنياناً ، والدَّليل من هذه الآية : إقرار الله تعالى إيَّاهم على ما قالوا وعدم ردِّه عليهم ، فإنَّ الله تعالى إذا حكى في كتابه عن قوم ما لا يرضاه ذكر معه ما يدلُّ على فساده ، وينبِّه على بطلانه ، أمَّا قبله وأمَّا بعده ، فإذا لم ينبِّه على ذلك دلَّ على رضاه تعالى به ، وعلى صحَّته إن كان عملاً ، وصدقة إن كان خبراً ، كقوله تعالى : ﴿إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ﴾ [الأنعام : ٩١] ، فإنه أعقبه بقوله : ﴿قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ﴾ [الأنعام : ٩١ ] .

وقوله تعالى : ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا﴾ [الأنعام : ١٣٦] ، فإنه أشار إلى فساد ما زعموا بقوله بزعمهم ، وبقوله تعالى : ﴿سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [الأنعام : ١٣٨] .

وقوله تعالى : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ﴾ [الفرقان : ٤ ] ، فردَّه بقوله : ﴿فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا﴾ [الفرقان : ٤ ] .

وقوله تعالى : ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا﴾ [الفرقان : ٨ ] ، فعقبه بقوله : ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَٰلَ فَضَلُّواْ﴾ [الفرقان : ٩ ] ، إلى غير ذلك من الآيات التي يطول ذكرها .

---

(١) انظر : إحياء المقبور من إدلة استحباب بناء المساجد والقباب على القبور (ص٦-١٠) .

وإنَّ من تأمَّل القرآن وجده لا يقرُّ على باطل يحكيه قولاً كان أوعملاً إذ كتابه كلّه حقٌّ ونورٌ وهدى وبيان وحجة لله على خلقه ، فلا يحكي فيه ما ليس بحق ثمَّ يقرُّه ، ولا ينبِّه على بطلانه ، فإذا ذكر نبأ وأقرَّه دلَّ على صحته وصدقه ...

**الدَّلِيْلُ الثَّانِي :** إنَّ الله تعالى قضى في سابق علمه باتِّخاذ المسجد على قبر نبيه صَلَّى الله عليه وعلى آله وَسَلَّم ، والنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم عند ربِّه جلَّ وعزَّ أعلى قدراً وأحمى جانباً من أن يقع بجسده الشَّريف ما هو محرَّم مبغض لله تعالى ملعون فاعله ، بل هذا من المتيقَّن المقطوع ببطلانه لأهل الإيمان ، فلو كان اتخاذ المسجد عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ممنوعاً متخذه لحمى الله تعالى جانب نبيِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم منه ، ولصرف العباد عنه كما صرفهم عن غيره ، فلمّا لم يفعل ذلك دلَّ على أنَّه جائز ومطلوب ، ومن اعتقد خلاف هذا فهو قرني ممقوت لم يذق للإيمان طعماً ولا عرف من منزلة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم العليا ومكانته السَّامية عند ربِّه شيئاً ، فهو مدخول العقيدة مختلّ الإيمان .

**الدَّلِيْلُ الثَّالِثُ :** أَنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أمر أن يدفن في البناء فقال : " لَمْ يُقْبَرْ نَبِيٌّ إِلَّا حَيْثُ يَمُوتُ " (١) .

وحدَّث بهذا الصدِّيق رضي الله عنه حين اختلف الصَّحابة رضي الله عنهم في موضع دفنه ، فقال قوم : في البقيع ، وقال آخرون : في المسجد ، وقال آخرون : يحمل إلى أبيه إبراهيم فيدفن معه ، فلمَّا حدَّثهم الصدِّيق رضي الله عنه بما عنده في هذا أجمعوا رأيهم واتَّفقوا عليه ودفنوه في بيت عائشة رضي الله عنها . وهو دليل صريح على وجود البناء حول القبر ، وأنَّ النهي خاصٌّ بما كان فوقه ، لأنَّا بالضّرورة نعلم أنَّ النَّهي عن البناء ليس هو عن فعل الفاعل وبناء البناء ، وإنَّما هو عن وجود نفس البناء على القبر ، وإذا جوَّز الشَّارع وجود الميِّت داخل البناء ، فقد جوَّز البناء ، إذ لا فارق بين أن يوجد بعد الدَّفن أو قبله لأنَّ الغاية واحدة ، والصُّورة متَّفقة ، وهي وجود القبر داخل البناء ، وإذا جاز ذلك فلا فرق بين أن يكون البناء بيتاً أو قبَّة أو مدرسة ، لأنَّ الكلَّ بناء والعلَّة في ذاته لا في أشكاله وصوره ، فليس النَّهي متعلقاً بصورة القبَّة أو المدرسة بل بذات البناء كيفما وجد ، وحيث أجاز الشَّارع الدَّفن في البيت الذي هو بناء علمنا أنَّ النَّهي مخصوصٌ بالبناء كيفما وجد ، وحيث أجاز الشَّارع الدَّفن في البيت الذي هو بناء علمنا أنَّ النهي مخصوص بالبناء الذي هو فوق القبر للعلَّة السَّابقة غير عامّ في جميع البناء .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٧ برقم ٢٧) ، عبد الرزَّاق في المصنف (٣/ ٥١٦ برقم ٦٥٣٤) ، واللفظ له .

**الدَّلِيْلُ الرَّابِعُ :** وإذا ثبت أنَّ النَّبي صَلَّى الله عليه وعلى أمر أن يُدفن في بيته الذي هو بناء ، فقد تقرَّر في قواعد الفقه أنَّ الرِّضي بالشَّيء رضى بما يؤول إليه ذلك الشَّيء ، فالذي تزوَّج امرأة بعد علمه بمرض كذا فيها ثمَّ تزايد ذلك المرض إلى حدٍّ يمنع من الاستمتاع فلا رجوع له لأنَّه رضي بمبادئه فكان راضياً بما يؤول إليه ، وبيت النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كان ملاصقاً للمسجد وبابه شارعة إليه حتى كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إذا اعتكف يخرج رأسه الشَّريف إلى عائشة فترجله وهي في البيت وهو في المسجد ، وقد علم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَنَّ أُمته ستكثر ، وأَنَّ المدينة ستتسع وتعظم حتى يصل بناؤها إلى سلع ، كما أخبر هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بذلك وأمر بشدِّ الرّحلة إلى زيارة قبره الشَّريف وإلى مسجده للصَّلاة فيه ، ورغَّب في ذلك بقوله : " من زار قبري وجبت له شفاعتي " و " صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلَّا المسجد الحرام " (١) .

ومسجده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كان في عصره صغيراً لا يسع عشر معشار ربع من يقصده من أُمَّته ، وقبره الشَّريف واقع في بيت عائشة الذي تسكنه ، وهو يعلم ضرورة أنَّه يتعذَّر على الأمَّة زيارته وهو في بيت مملوك لامرأة ساكنة فيه يجب تعظيمها واحترامها كما يجب ذلك في حقٍّ من يملكه ويسكنه من بعدها ، كما أنَّه يعلم أَنَّ أمَّته ستدوم إلى قيام السَّاعة ، وأَنَّ قصدهم لزيارته سيدوم بدوام الأمَّة وأَنَّ البيت الذي سيدفن فيه لا يمكن عادة أن يدوم أكثر من مائة سنة ، لأنَّه مبني بالطين واللبن غير محكم البناء ، فهو يعلم علم اليقين أَنَّ بيته المذكور سيؤول أمره إلى أن يدخل في المسجد ، فإذا علم ذلك وأمر بدفنه فيه فهو رضي منه بدخول قبره الشَّريف في المسجد الذي ستصير الأمَّة به متّخذة على قبره مسجداً كما هو الواقع ، ومن المُحال المقطوع به أن يرضى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بما هو محرم ملعون فاعله لا سيَّما فيما يتعلَّق بجسده الشَّريف ، فدلَّ على أَنَّ اتِّخاذ المسجد على قبره الشَّريف غير محرَّم ولا مكروه ، وإذا جاز ذلك في حقه جاز في غيره من باب أولى ، لأنَّ ما يخشى من الفتنة بقبره

---

(١) أخرجه الطيالسي في المسند (٢/ ٧٠٧ برقم ١٤٦٤) ، ابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ٣٧١ برقم ٧٥٩٦) ، أحمد في المسند (٢/ ٢٩ برقم ٤٨٣٨) ، الدارمي (٢/ ٨٨٩ برقم ١٤٥٩) ، مسلم (٢/ ١٠١٢ برقم ١٣٩٤) ، ابن ماجه ، (١/ ٤٥٠ برقم ١٤٠٤) ، البزار في المسند (٤/ ٥٩ برقم ١٢٢٥) ، النسائي في السنن الكبرى (٤/ ١٠٩ برقم ٣٨٦٧) ، ابن حبَّان في الصَّحيح (٤/ ٤٩٩ برقم ١٦٢٠) ، الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ١٣٢ برقم ١٥٥٨) ، المعجم الأوسط (٢/ ٣٢٨ برقم ٢١٢٦) ، مسند الشاميين (٤/ ١١٩ برقم ٢٨٨٣) ، البيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٤٠٤ برقم ١٠٢٧٧) ، السنن الصغير (٢/ ٢١١ برقم ١٧٧٢) ، معرفة السنن والآثار (٤/ ١١٠ برقم ٥٦١٩) ، عبد الرزاق في المصنف (٥/ ١٢٢ برقم ٩١٤٢) ، أبو يعلى في المسند (١٠/ ١٦٣ برقم ٥٧٨٧) ، عبد بن حميد في المسند (ص١٨٥ برقم ٥٢١) .

أعظم ممَّا يخشى من الفتنة بقبر غيره ، لأنَّ الفتنة إنَّما تقع من جهة التَّعظيم ، ولا يوجد في الأمَّة من يعظم قبراً أكثر من قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم .

**الدَّلِيْلُ الخَامِسُ** : أَنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أخبر بأَنَّ قبره الشَّريف سيكون داخل مسجده ، وزاد فأخبر بأَنَّ ما بين قبره ومنبره روضة من رياض الجنَّة ، وهذا منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إشارة إلى استحباب إدخال قبره الشَّريف في المسجد ، لأنَّه ترغيب يدعو إلى ذلك ، إذ المراد فضيلة الصَّلاة ما بين القبر والمنبر والتَّرغيب فيها في ذلك الموضع إذا لم يكن القبر الشَّريف داخل المسجد لا تتصوَّر الصَّلاة بين القبر والمنبر ولا يتأتَّى التَّعبير بقوله : " ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنَّة " ، لأنَّه إذا كان المنبر وسط المسجد والبيت الذي فيه قبره الشَّريف خارج المسجد لم يصح في العادة التَّعبير بالبينية خصوصاً عند إرادة الصَّلاة ، فإنَّ البيت وسوره حاجز بين القبر والمنبر ، مانع من الصَّلاة في موضعه ، فلا يقول : " ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنَّة " إلَّا وهو يريد أن القبر سيكون داخل المسجد ، ليس بينه وبين المنبر حاجز البيت .

فإن قيل : لفظ الحديث في أكثر طرقه إنَّما هو : " ما بين بيتي ومنبري " ، حتى إنَّ البخاري لَمَّا ترجم للحديث بباب فضل ما بين القبر والمنبر وأورد الحديث من حديث عبد الله ابن زيد المازني ومن حديث أبي هريرة بلفظ : " ما بين بيتي " ، شرحه الحافظ في الفتح بقوله : ترجم بلفظ القبر وأورد الحديثين بلفظ البيت ، لأنَّ القبر صار في البيت ، وقد ورد في بعض طرقه بلفظ القبر .

قال القرطبي : الرِّواية الصَّحيحة : " بيتي " ، ويروى : " قبري " ، وكأنَّه بالمعنى ، لأنَّه دفن في بيت سكناه اهـ . وقال في موضع آخر من الفتح : " قوله : " ما بين بيتي ومنبري " ، كذا للأكثر ، ووقع في رواية ابن عساكر وحده " قبري " بدل " بيتي " ، وهو خطأ ، فقد تقدَّم الحديث بهذا الإسناد بلفظ : " بيتي " ، وكذلك هو في مسند مسدد شيخ البخاري فيه . نعم وقع في حديث سعد بن أبي وقاص عند البزَّار بسند رجاله ثقات ، وعند الطَّبراني من حديث ابن عمر بلفظ : " القبر " . قلت : الجواب عنه من وجوه :

الوجه الأوَّل : أنَّ هذا بالنسبة لرواية البخاري فقط لا بالنسبة لسائر طرق الحديث ، كما صرَّح به الحافظ نفسه من كونه ورد بلفظ القبر من حديث سعد بن أبي وقَّاص بسند رجاله ثقات ، وكذلك من حديث ابن عمر مع أنَّه لم يرد بلفظ القبر من حديث هذين فقط ، بل ورد كذلك من حديث أمِّ سلمة ، وأبي سعيد الخدري ، وعبد الله بن زيد ، وأبي هريرة ، وجابر بن عبد الله ، وعمر بن الخطَّاب ، ثمَّ إنَّ حديث ابن عمر الذي عزاه الحافظ للطَّبراني أخرجه أيضاً جماعة آخرون كلُّهم بلفظ : " القبر " .

قال الطَّحاوي في " مشكل الآثار " : حدَّثنا محمَّد بن علي بن داود ، حدَّثنا أحمد بن يحيى المسعود ، قال : حدَّثنا مالك بن أنس ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنَّة " (١) .

وقال الخطيب في " التَّاريخ " : أخبرني ابن علان ، حدَّثنا أبو الفضل العبَّاس بن محمَّد بن أحمد بن تميم الأنماطي ، حدَّثنا موسى بن إسحاق القاضي الأنصاري ، حدَّثنا مالك بن يحيى بن المنذر ، حدَّثنا مالك به مثله بلفظ : " القبر " (٢) .

وقال أيضاً في " المهروانيَّات " : أخبرنا محمَّد بن الحسين بن الفضل ، حدَّثنا أبو الحسين أحمد بن عثمان ، حدَّثنا محمَّد بن عبد الله بن سليمان ، حدَّثنا أحمد بن يحيى ، حدَّثنا مالك به مثله (٣) .

قال الطَّحاوي : وهذا من حديث مالك ، يقول أهل العلم بالحديث أنَّه لم يحدث به عن مالك أحد غير أحمد بن يحيى هذا ، وغير عبد الله بن نافع الصَّائغ اهـ . وقال الخطيب في " المهروانيات " : هذا حديث غريب من حديث مالك عن نافع تفرَّد بروايته عنه أحمد بن يحيى الأحول وتابعه عبد الله بن نافع عن مالك (٤) .

قلت : وهو ثقة من رجال الصَّحيح ومتابعته أخرجها أبو نعيم في " الحلية " .

قال : حدَّثنا محمَّد بن أحمد بن الحسن ، حدَّثنا إسحاق بن أبي حسَّان ، حدَّثنا القاسم ابن عثمان الجوعي ، حدَّثنا عبد الله بن نافع المدني ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنَّة ، وإنَّ منبري لعلى حوضي " (٥) .

طريق آخر عن نافع ، قال الدُّولابي في " الكنى والأسماء " : حدَّثنا عن ابن معبد ابن نوح ، حدَّثنا موسى ابن هلال ، حدَّثنا عبد الله بن عمر أبو عبد الرَّحمن أخو عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله : " من زار قبري وجبت له شفاعتي " ، وقال : " وما بين قبري ومنبري تُرعة من ترع الجنَّة " (٦) .

---

(١) انظر : شرح مشكل الآثار (٧/ ٣١٦ برقم ٢٨٧٤) .

(٢) انظر : تاريخ بغداد (١٤/ ٥٥) .

(٣) انظر : : المهروانيات (الفوائد المنتخبة الصحاح والغرائب) (٢/ ٨٤٧) .

(٤) انظر : شرح مشكل الآثار (٧/ ٣١٦) .

(٥) انظر : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ٣٢٤) .

(٦) انظر : الكنى والأسماء ، الدولابي (٢/ ٨٤٦ برقم ١٤٨٣) .

وقال الطَّحاوي في " مشكل الآثار " : حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم بن يونس ، حدَّثنا موسى بن عبد الرَّحمن المسروقي ، حدَّثنا محمَّد ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، قال : " ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنَّة ، ومنبري على حوضي " (١) .

طريق آخر عن نافع ، قال أبو ناعيم في " تاريخ أصبهان " : ثنا أحمد بن جعفر بن معبد ، ثنا عمر بن أحمد بن السني ، ثنا نصر بن علي ، ثنا زياد بن عبد الله ، عن موسى الجهيني ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يقول : " صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلَّا المسجد الحرام " ، قال : وقال ابن عمر : إنَّ ما بين القبر والمنبر من رياض الجنَّة (٢) .

وحديث سعد بن أبي وقاص أخرجه أيضاً الخطيب في " التَّاريخ " من رواية ابنته عائشة عنه بلفظ : " القبر "(٣) .

وحديث أمّ سلمة أخرجه الطَّحاوي في " مشكل الآثار " ، قال : حدَّثنا عبد الغني بن أبي عقيل ، ثنا سفيان بن عيينة ، عن عمر الدّهني ، عن أبي سلمة ، عن أم سلمة رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنَّة ، وإن قوائم منبري على رواتب في الجنَّة " (٤) .

وحديث أبي سعيد أخرجه البخاري في " التَّاريخ الكبير " ، قال : إسحاق ابن شرقي مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي ، سمع أبا بكر بن عبد الرَّحمن بن عبد الله ابن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، عن أبي سعيد ، عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، قال : " ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنَّة " ، قال لي الحرمي بن حفص وتابعه عفان ،عن عبد الواحد بن زياد سمع إسحاق (٥) .

قلت : متابعة عفان أخرجها الخطيب في " التَّاريخ " ، عن أبي نعيم ، عن أبي الشَّيخ ، عن بن الجارود ، عن محمَّد بن أحمد بن جهور ، ثنا عفان ، ثنا عبد الواحد بن زياد ، ثنا إسحاق بن شرقي به مثله بلفظ القبر (٦) .

---

(١) لم أجده في مشكل الآثار بهذا اللفظ بل وجدته بلفظ : " بيتي " ، انظر : شرح مشكل الآثار (٧/ ٣١٥ برقم ٢٨٧٣) .

(٢) انظر : تاريخ أصبهان (أخبار أصبهان) ، أبو نعيم الأصبهاني ، (١/ ٤١٧-٤١٨) .

(٣) انظر : تاريخ بغداد (١٣/ ١٧١) .

(٤) انظر : شرح مشكل الآثار (٧/ ٣١٥) .

(٥) انظر : التَّاريخ الكبير (١/ ٣٩٢) .

(٦) انظر : تاريخ بغداد (٦/ ٧٧) .

وأخرجها الطَّحاوي في " مشكل الآثار " : ثنا علي بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن المغيرة ومحمَّد بن علي بن داود ، قالا : حدَّثنا عفان به مثله أيضاً بلفظ القبر (١) .

وحديث عبد الله بن زيد قال الطَّحاوي أيضاً : ثنا يونس ثنا ابن وهب أنَّ مالكاً حدثه عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عباد بن تميم ، عن عبد الله بن زيد المازني : " أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال : " ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنَّة " (٢) .

قال : وحدَّثنا الربيع الجيزي ، ثنا مطرف بن عبد الله ، ثنا مالك ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عباد بن تميم ، عن عبد الله بن زيد الْمَازِنِيِّ : أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال : " ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنَّة " (٣) .

قال : وحدَّثنا محمَّد بن خزيمة وفهد بن سليمان جميعاً ، قالا : حدَّثنا عبد الله بن صالح ، قال : حدَّثني الليث بن سعد ، قال : حدَّثني ابن الهاد ، عن أبي بكر بن محمَّد ، عن عباد بن تميم ، عن عبد الله بن زيد أنَّه سمع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يقول : " إنَّ ما بين قبري ومنبري روضة من ريـــاض الجنَّة " (٤) .

وحديث أبي هريرة كذلك وقع في رواية مالك في الموطَّأ على بعض الرِّوايات وهي النُّسخة المطبوعة مع شرح تنوير الحوالك للحافظ السُّيوطي (٥) .

وحديث جابر أخرجه الخطيب في التَّاريخ من طريق محمَّد بن كثير الكوفي ، ثنا سفيان الثَّوري ، عن أبي الزُّبير ، عن جابر ، قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنَّة " (٦) .

---

(١) انظر : شرح مشكل الآثار ، الطحاوي (٧/ ٣١٨ برقم ٢٨٧٩) .

(٢) انظر : شرح مشكل الآثار (٧/ ٣١٩ برقم ٢٨٨٠) .

(٣) انظر : شرح مشكل الآثار (٧/ ٣١٦ برقم ٢٨٨١) .

(٤) انظر : شرح مشكل الآثار (٧/ ٣١٦ برقم ٢٨٨٢) .

(٥) انظر : تنوير الحوالك شرح موطأ مالك (١/ ١٥٦) .

(٦) انظر : تاريخ بغداد (١٣/ ٧٩) .

وحديث عمر أخرجه الإسماعيلي في مسند عمر من رواية عطاء بن زيد الليثي ، حدَّثني سعيد بن المسيب ، عن عمر به ، ولفظه : " ما بين قبري واسطوانة التَّوبة روضة من رياض الجنَّة " . وفي لفظ : " ما بين قبري ومنبري " (١) .

الوجه الثَّاني : أنَّ ما حكم به الحافظ من الخطأ على رواية ابن عساكر غيره مسلم ولو بالنِّسبة إلى رواية البخاري ، إذ يجوز أن يكون الصَّواب مع من قال : " قبري " ، ويكون الذي قال بيتي أخطأ أو ذهب ذهنه إلى حديث آخر ممَّا ورد بلفظ بيتي . فإنَّ لفظة : " قبري " وقعت كذلك في رواية للموطأ أيضاً ، ويؤيِّد صحَّتها ترجمة البخاري بلفظ القبر . وقد نصَّ الطحاوي في " مشكل الآثار " على أنَّ أكثر الرِّوايات لهذا الحديث إنَّما هي بلفظ : قبري لا بيتي ، كما سأذكر نصَّه قريباً ، وإذا كان ذلك كذلك فلا وجه لتخطئة من قال في رواية البخاري : " قبري " .

الوجه الثَّالث : أنَّ المراد بقوله : " بيتي " في الروايات الأخرى هو قوله في هذه الأحاديث : " قبري " ، لأنَّنا بالضَّرورة ندري أنَّ المنبر والبيت لم يكن لها هذا الفضل لمجرَّد أعواد المنبر وحجارة البيت وطينه ، فإنَّه لا فضل لخشب على خشب ولا لحجارة على حجارة ، بل ولا دخل لهما في وجود فضيلة في الدِّين البتَّة . وإنَّما ذلك لتشرف المنبر بوقوفه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في الوعظ والتَّذكير وتبليغ أمر ربِّه ، ولوجود قبره الشَّريف في البيت . فإذاً المراد هو القبر ، لأنَّ الفضل راجع إليه لا إلى البيت ، فمن يحاول من أهل العصر أن ينكر وجود رواية قبري للتَّوصُّل إلى نفي ما يتعلَّق به من فضيلة قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فإنَّما يحاول عبثاً ويخبط خبطاً عشوائيَّاً . فالحديث سواء ورد بلفظ : " قبري " أو بلفظ : " بيتي " ، فمعنى اللفظين واحد ، وكلاهما راجع إلى القبر الشَّريف ، وعلى هذا المعنى نصَّ أكثرُ المحدِّثين ، بل جُلُّ من تكلَّم على الحديث أو شرَحه .

قال الطَّحاوي في " مشكل الآثار " : وفي هذا الحديث معنى يجب أن يوقف عليه ، وهو قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنَّة " ، على ما في أكثر هذه الآثار ، وعلى ما في سواه ، منها : " ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنَّة " ، فكان تصحيحها يجب به أن يكون بيته هو قبره ، ويكون ذلك علامة من علامات النُّبوَّة جليلة المقدار ؛ لأنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أخفى على كلِّ نفس سواه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم الأرض التي يموت بها لقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ [لقمان:٣٤] ، فأعلمه الموضع الذي

---

(١) انظر : مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم ، ابن كثير (١/ ٣٢٩) .

يموت فيه ، والموضع الذي فيه قبره حتى أعلم بذلك في حياته ، وحتى علمه من علمه من أمَّته ، فهذه منزلة لا منزلة فوقها ، زاده الله تعالى بها شرفاً وخيراً (١) .

وقال ابن حزم في " المحلَّى " : قَدْ أَنْذَرَ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – بِمَوْضِعِ قَبْرِهِ بِقَوْلِهِ «مَا بَيْنَ قَبْرِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ» وَأَعْلَمَ أَنَّهُ فِي بَيْتِهِ بِذَلِكَ .

وَلَمْ يُنْكِرْ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – كَوْنَ الْقَبْرِ فِي بَيْتٍ، وَلَا نَهَى عَنْ بِنَاءٍ قَائِمٍ، وَإِنَّمَا نَهَى عَنْ بِنَاءٍ عَلَى الْقَبْرِ: قُبَّةٍ فَقَطْ (٢) ، أي : على نفس القبر ملتصقاً به على هيئة القبَّة ، كما جرت به عادة أكثر النَّاس . وهكذا نصَّ على أنَّ المراد بالبيت القبر كلّ شراح الحديث ، كما يعلم من مراجعه شروح البخاري ومسلم وغيرهما ، فلا نطيل بذكر نصوصهم .

الوجه الرَّابع : وعلى فرض أنَّه أراد نفس البيت لا القبر فقد علم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بإعلام الله إيَّاه أنَّ بيته سيدخل في المسجد ، وأنَّ قبره سيكون فيه ، فيكون القبر داخل المسجد ، وبه صار ما بين البيت والمنبر روضة من رياض الجنَّة ، فكيفما دار الحديث دلَّ على المطلوب ، وهو إذن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بإدخال قبره الشَّريف في المسجد ، والإشارة إلى ذلك بقوله : " ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنَّة " .

**الدَّلِيْلُ السَّادِسُ :** إجماع الصَّحابة واتّفاقهم بعد الاختلاف في موضع دفنه على دفنه في بيته عملاً بما أخبرهم به أبو بكر رضي الله عنه عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فلو كان ذلك غير صحيح عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أو منسوخاً بما ذكره في مرض وفاته ، مع أنَّ الخبر لا يدخله النَّسخ لما أجمع الصَّحابة عليه . وقد قام الدَّلِيْل على حجيَّة الإجماع ، ولا سيَّما إجماع الصَّحابة رضي الله عنهم .

**الدَّلِيْلُ السَّابِعُ :** أجمع التَّابعون في عهد وجود كبار أئمتهم مثل : عمر بن عبد العزيز ، والحسن ، وابن سيرين ، وفقهاء المدينة ، والكوفة ، والبصرة ، والشَّام ، وغيرها من أقطار الإسلام . ثمَّ أجمعت الأمَّة بعدهم على إدخال بيته المشتمل على قبره داخل المسجد وجعله في وسطه . وإجماعهم حجَّة ، ولو كان ذلك منهيَّاً عنه لاستحال أن تتَّفق الأمَّة في عصر التَّابعين على المنكر والاجتماع على الضَّلالة ، لولا أنَّهم فهموا من النَّهي أنَّ المراد به علَّته التي زالت باستقرار الإيمان ورسوخ العقيدة . لا يقال أنَّهم سكتوا على ذلك لأجل ضرورة توسعة المسجد فإنَّه كان في الإمكان توسعته من جهة القبلة والجهة المقابلة لها والجهة الجنوبيَّة لها دون الجهة الشّماليَّة

---

(١) انظر : شرح مشكل الآثار (٧/ ٣٢٢) .

(٢) انظر : المحلى بالآثار (٣/ ٣٥٧)

الواقع فيها قبره عليه الصَّلاة والسَّلام ، لا سيما والآمر بذلك خليفة العصر الذي اشترى البيوت بالمال لإدخالها في المسجد ، فكان يمكنه أن يشتري البيوت الواقعة في غير جهة قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ويبقي بيت عائشة الذي فيه القبر الشَّريف خارج المسجد مجاوراً له ، كما كان في عهده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فلمَّا فعل ذلك بمرأى من التَّابعين والأئمَّة ولم ينهه أحد منهم عن ذلك دلَّ دلالة قاطعة على جواز اتِّخاذ المسجد على القبر . وأنَّ المنهي عنه إنَّما هو قصد الصَّلاة إلى القبر المؤدِّي إلى عبادته والإشراك به . ولذلك لَمَّا أدخله عمر بن عبد العزيز في المسجد جعل البيت الذي فيه القبور مثلَّث الشَّكل حتى لا يمكن الصَّلاة إلى القبور .

**الدَّلِيْلُ الثَّامِنُ :** أنَّ الصَّحابة بنوا مسجداً على القبر في حياة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فأقرَّهم على ذلك ولم يأمرهم بهدمه ، ويستحيل أن يقرَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم على باطل .

قال ابن عبد البر في " الاستيعاب " في ترجمة أبي بصير ما نصّه : وله قصَّة في المغازي عجيبة ذكرها ابن إسحاق وغيره ، ورواها عبد الرَّازق ، عن معمر ، عن ابن شهاب في قصَّة القضيَّة عام الحديبية ، قال : ثمَّ رجع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم فأرسلت قريش في طلبه رجلين فقالا لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : العهد الذي جعلت لنا أن تردَّ إلينا كلَّ من جاءك مسلماً فدفعه النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إلى الرَّجلين فخرجا حتى بلغا به ذا الحليفة ، فنزلوا يأكلون من تمرهم ، فقال أبو بصير لأحد الرَّجلين : والله إني لأرى سيفك هذا جيِّد يا فلان فاستله الآخر ، وقال : أجل والله أنَّه لجيّد ، لقد جرَّبت به ثمَّ جربت ، فقال له أبو بصير : أرني أنظر إليه ، فأمكنه منه فضربه به حتى برد ، وفرَّ الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو ، فقال : النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حين رآه : " لقد رأى هذا ذعراً " ، فلمَّا انتهى إلى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، قال : قتل والله صاحبي ، وإنِّي لمقتول ، فجاء أبو بصير ، فقال : يا رسول الله ، قد والله وفت ذمتك ، قد رددتني إليهم فأنجاني الله منهم ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ " (١) ، فلمَّا سمع ذلك علم أنَّه سيردَّه إليهم ، فخرج حتى أتى سيف البحر ، قال : وانفلت منهم أبو جندل بن

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣١/ ٢٥٢ برقم ١٨٩٢٨) ، قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط الشيخين إلا بعض فقرات منه ساقها بإسناد فيه انقطاع أو إرسال. كما سننبه عليها بعد التخريج. وطريق يحيى بن سعيد القطان، عن ابن المبارك الذي أشار إليه ضمن الحديث سيرد برقم (١٨٩٢٩) .

وأخرجه البيهقي في "السنن" ٥/ ٢١٥ (مختصر) و٩/ ١٤٤ و٢١٨ من طريق الإمام أحمد، بهذا الإسناد.

سهيل بن عمرو ، فلحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة ، قال : فوالله ما يسمعون بعيراً خرجت لقريش إلَّا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم ، فأرسلت قريش إلى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم تناشده الله والرَّحم إلَّا أرسل إليهم فمن أتاك منهم فهو آمن . وكان أبو بصير يصلِّي لأصحابه ويكثر من قوله : الله العليّ الأكبر من ينصر الله فسوف ينصره . فلمَّا قدم عليهم أبو جندل كان هو يؤمهم واجتمع إلى أبي جندل حين سمع بقدومه ناس في بني غفار ، وأسلم ، وجهينة ، وطوائف من العرب حتى بلغوا ثلاثمائة وهو مسلمون ، فأقاموا مع أبي جندل وأبي بصير ، وكتب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إلى أبي جندل وأبي بصير ليقدما عليه ومن معهما من المسلمين أن يلحقوا ببلادهم وأهليهم ، فقدم كتاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم على أبي جندل وأبو بصير يموت ، فمات وكتاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بيده يقرأه فدفنه أبو جندل مكانه وصلَّى عليه وبنى على قبره مسجداً اهـ . باختصار (١) .

وبلا شكٍّ يعلم كلُّ ذي حسّ سليم يعرف سيرة الصَّحابة مع النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أنَّه لا يمكن إحداث أمر عظيم مثل هذا ، ولا يذكرونه للنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وهو رسول الله تعالى وخليفته في خلقه ، والأمر أمره ، والحكم حكمه ، والصَّحابة كلهم جنده ونوَّابه ومنفذون أمره ، وكذلك يستحيل أن يحدث مثل هذا من أصحابه الذين هم تحت حكمه وأمره ، ويكون ذلك حراماً ملعوناً فاعله يجرُّ إلى كفر وضلال ، ثمَّ لا يعلمه الله تعالى به ولا يوحي إليه في شأنه ، كما أعلمه بمسجد الضِّرار وقصد أصحابه من بنائه وأمره بهدمه بل وبما هو أدون من هذا وأقل ضرراً بكثير ، فإذاً لا شكَّ أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم اطلع على بنائهم المسجد على قبر أبي بصير ولم يأمرهم بهدمه ، إذ لو أمر بذلك لنقل في نفس الخبر أو غيره ، لأنَّه شرع لا يمكن أن يضيع ، بل

---

وهو في "المصنف" لعبد الرزاق (٩٧٢٠) ، ومن طريقه أخرجه البخاري مختصراً (٢٧٣١) و (٢٧٣٢) ، وابن حبان (٤٨٧٢) ، والطبراني في "الكبير" ٢/ (١٣) ، والبيهقي ٧/ ١٧١ و١٠/ ١٠٩ ، وفي "الدلائل" ٤/ ٩٩-١٠٨ ، بهذا الإسناد.

وأخرجه مختصراً ومطولاً أبو داود (٢٧٦٥) و (٤٦٥٥) ، والنسائي في "المجتبى" ٥/ ١٦٩ ، والطبري في "تفسيره" ٢٦/ ٩٧-١٠١ ، وفي "تاريخه" ٢/ ٦٢٠-٦٢٥ من طريق محمد بن ثور حدَّثهم عن معمر ، به.

وأخرجه مختصراً البخاري (٢٧١١) و (٢٧١٢) – ومن طريقه البغوي في "شرح "السنة" (٢٧٤٨) ، وفي "التفسير" ٧/ ٧٧-٧٨- من طريق عقيل، والبخاري (٤١٨٠) و (٤١٨١) ، والطبراني في "الكبير" ٢٠/ (١٥) ، والبيهقي ٧/ ١٧٠ من طريق ابن أخي الزهري، كلاهما عن الزهري، عن عروة بن الزبير، أنه سمع المسور بن مخرمة ومروان يخبران عن أصحاب رسول الله – وقال: ابن أخي الزهري: من خبر رسول الله- فذكر الحديث بنحوه ... " .

(١) انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٦١٢-١٦١٤) .

يستحيل ذلك لخبر الله تعالى أنَّه حفظ الدِّين من أن يضيع منه شيء ولا يصل إلى آخر هذه الأمَّة ما وصل إلى أولها . فلمَّا لم يأمر بهدمه دلَّ ذلك على جوازه .

وأما كونه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حذَّر بعد ذلك من اتخاذ المسجد على قبره الشَّريف بقوله : " لعن الله اليهود والنَّصارى اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد " ، يحذر ما صنعوا ، فإنَّما ذلك لما يخشى من الفتنة بقبره الشَّريف ، لأنَّ القوم كلّهم كانوا أهل جاهلية وعبادة أوثان وصور وأحجار ، وعهدهم بذلك قريب ، فلمَّا آمنوا برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وشاهدوا من معجزاته الظَّاهرة ، وكمالاته الباهرة ، وأحواله العجيبة الخارقة ، حتى صار أحبّ إليهم من آبائهم وأمهاتهم وأولادهم وأنفسهم ، لم يأمن صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أن يفتتنوا بقبره بعد انتقاله .

وهذا عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه ، وهو من هو قد افتتن عند موته وأنكر أن يكون قد مات أو يلحقه الموت ، فأخذ سيفه بيده وجعل يقول : من قال : إنَّ محمَّداً مات ضربته بسيفي هذا ، وذلك لما وقر في نفسه من تلك الكمالات التي لا تتناسب الفناء والموت ، حتى ذكَّره الصدِّيق رضي الله عنه بالآية الكريمة : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] ... " . فحينئذ ثاب إليه عقله ، وعلم أنَّ العبد عبد والرَّبّ ربّ ، فلهذا حذَّر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم من اتِّخاذ المسجد على قبره في أول الأمر ، وأشار إلى جواز اتِّخاذه عند استقرار الإيمان ، كما فعلت الأمَّة فأدخلت قبره الشَّريف في مسجده بعد نحو تسعين سنة من انتقاله .

وإنَّما لم يأمر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بهدم المسجد الذي بني على أبي بصير لأنَّ أبا بصير لا شهرة له بين النَّاس بفضل حتى يمكن أن يفتتنوا بقبره ، وإنَّما هو فرد من أفراد المسلمين ، فلم يخش من المسجد على قبره أي ضرر وخلل في الاعتقاد .

**الدَّلِيْلُ التَّاسِعُ :** أَنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أخبر أصحابه بفتح بيت المقدس وأقطع تميماً الدَّاري أرضاً بالخليل تحقيقاً لوعد الله وخبره بالفتح ، وهو يعلم أنَّ بالخليل قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السَّلام . وعلى هذه القبور معبد وقبَّة ، فلم يأمر أصحابه إذ أمرهم أن يدفعوا لتميم الدَّاري الأرض التي أقطعه إيَّاها أن يهدموا البناء الذي هو على قبر إبراهيم وعلى قبر غيره من الأنبياء الموجودين بفلسطين بالقدس والخليل وما بينهما . فدلَّ على أَنَّ المراد التَّحذير من علَّة ذلك لا من نفس بناء المسجد والقبَّة .

**الدَّلِيْلُ العَاشِر** : أنَّ الصَّحابة رضي الله عنهم لَمَّا فتحوا البلاد في زمن الخلفاء الراشدين لم يهدموا البناء الذي كان على قبور الأنبياء بالشام والعراق وغيرهما من أرض العرب مع قيامهم بالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر وتنفيذ كلّ ما أمرت الشَّريعة به ، وما ينقل عن عمر رضي الله عنه في قبر دانيال ، فذاك خاصٌّ به لما وجد عند قبره من الكتابة التي تخبر بأمور وكوائن غيبية ، وكان عمر رضي الله عنه يبالغ في التَّنفير من كلِّ علم يخشى أن يفتتن النَّاس به ، ويعرضون معه عن الكتاب والسُّنَّة أو يعتقدون معه خلاف ما يجب أن يعتقد في ذلك المخلوق ، حتى كان إذا قبل الحجر الأسعد عند الطَّواف يقول رافعاً صوته ليسمع النَّاس : إنِّي أعلم أنَّك حجر لا تضرُّ ولا تنفع ، ولولا أَني رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يقبِّلك ما قبَّلتك ، وإنَّما كان يفعل هذا لأنَّه خشي على العرب وهم حديثو عهد بجاهليَّة وعبادة الحجر أنَّهم لما يرون المسلمين يقبِّلون الحجر ربما اعتقدوا أنَّ ذلك لتأثير عنده وتصرف ، كما كانوا يعتقدونه في الأحجار التي كانوا يعبدونها ، فلمَّا وجد عند قبر دانيال لوحاً مكتوباً فيه أخبار عن أمور مغيبة وكوائن آتية ، خاف أن يفتتن النَّاس بذلك ، فأمر بهدم البناء الذي على القبر لأنَّ اللوح المذكور ملصق فيه أو الكتابة كانت على نفس البناء الذي على القبر ، أمَّا قبور غيره من الأنبياء فقد أقرَّ عمر رضي الله عنه البناء الذي كان عليها ولم يهدمه ، لأنَّه لم يكن عليها شيء مما كان على قبر دانيال .

**الدَّلِيْلُ الحَادِي عَشَر** : أنَّه جاء في عدَّة أحاديث وآثار أنَّ جماعة من الأنبياء والمرسلين مدفونون في المسجد الحرام ما بين زمزم والمقام ، وأخبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أنَّ منهم نوحاً ، وهوداً وصالحاً ، وشعيباً ، وأنَّ قبورهم بين زمزم والحجر ، وكذلك ورد في قبر إسماعيل أنَّه بالمسجد الحرام ، وهو أشرف مسجد على وجه الأرض هو ومسجد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فلو كان وجود القبر في المسجد محرَّماً لذاته لنبش النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وأخرجهم فدفنهم خارج المسجد ، فإنَّه أخبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أنَّ الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء ، وأنَّهم أحياء في قبورهم ، كما أخبر الله تعالى بمثل ذلك عن الشُّهداء ، وأمرنا بأن لا نسميهم أمواتاً ، فنكون كاذبين في ذلك وهم أحياء ، ولكن حياة برزخيَّة تلائم الكون في القبر ، ولا نتصوَّر كنهها وحقيقتها ، لأنَّها من أمور الآخرة التي لا تصل إليها عقول أهل الدُّنيا .

فلمَّا لم يفعل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ذلك دلَّ على أنَّ وجود القبر في المسجد أو بناء المسجد على القبر ليس محرَّماً لذاته ، وإنَّما ذلك لعلَّته التي بانتفائها ينتفي حكمها ، وإذا علمت أنَّ أفضل المساجد على وجه الأرض مسجد مكَّة ومسجد المدينة اللذان هما الحرمان الشَّريفان ، وقد شاء الله تعالى وحكم أن يكون في كلِّ منها قبور متعدِّدة ، ففي حرم مكَّة قبور جماعة من الأنبياء ، وفي حرم المدينة قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وقبر

صاحبيه رضي الله عنهما ومعهما قبر رابع سيدفن فيه عيسى عليه السَّلام حين نزوله ، - كما ورد في بعض الأخبار - تعلم أنَّ الدَّفن في المسجد أو اتِّخاذ المسجد في القبر من أشرف الأعمال تأسِّياً بالحرمين الشَّريفين ، فكلُّ مسجد ليس فيه قبر فهو ناقص الفضل قليل البركة عديم الأسوة بأفضل المساجد وأشرفها .

**الدَّلِيْلُ الثَّانِي عَشَر** : القاعدة المقرَّرة في الفقه : أنَّ الوسائل لها حكم المقاصد ، واحترام قبر الميت المسلم وتعظيمه بعدم الجلوس عليه والمشي فوقه ونبشه وكسر عظامه مقصود شرعاً ، وضدّه محرَّم منهيٌّ عنه أشدّ النَّهي حتى قال النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : «لَأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ فَتُحْرِقَ ثِيَابَهُ، فَتَخْلُصَ إِلَى جِلْدِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرٍ» (١) ، رواه مسلم وغيره من حديث أبي هريرة ، وورد نحوه بأسانيد صحيحة من حديث عبد الله بن مسعود وعقبة بن عامر وغيرهما ، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " كسر عظم الميت ككسره حياً " رواه أبو داود ، وابن ماجة ، وابن حبَّان في الصَّحيح (٢) ، بل بالغ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في تعظيم قبور المؤمنين حتى أمر من رآه يمشي بينها بنعلين أن يخلعهما احتراماً لقبور المؤمنين .

وبالضّرورة نعلم أنَّ القبر إذا بقي دون بناء حوش حوله أو بيت أو قبة عليه فهو بلا شكٍّ معرَّض للمشي فوقه ، والجلوس عليه ، واندراس أثره ، كما هو مشاهد بالعيان من مرور النَّاس فوق القبور التي لا بناء عليها . وربما يجهل أنَّ هناك قبراً فيبول ويتغوَّط فوقه ، بخلاف القبور المحفوظة بالبناء ، كما أننا شاهدنا مرات متعددة من يحفر قبراً في موضع لا يظنه قبراً فيجد فيه جمجمة ميت وعظام يده ورجليه ، فمنهم من يحيد عن ذلك الموضع ويحفر في مكان آخر ، ومنهم من يحملها فيدفنها في حفرة ، ومنهم من يكسره ويرمي بها . وإنَّما يقع هذا بالقبور التي لا بناء عليها ، أمَّا المبنية فهي محفوظة من ذلك طول الدهر ما وجد ذلك البناء عليها . فإذا كان البناء فيه مصلحة المحافظة على حرمة الميت وحفظ حقه ، وفيه مصلحة الحي بامتثال أمر الشارع وعدم اعتدائه على الحدود ، وكونه سبباً موصلاً إلى ذلك ، كان مطلوباً لا محالة ، لأنَّه سبب موصل إلى المقصود فيكون له حكمه . وجلّ أحكام الشريعة والفروع التي شرعها الفقهاء ولم يرد بها نصٌّ إنَّما هي من هذا القبيل ، أعني مأخوذة من طريق الاستدلال .

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٦٦٧ برقم ٩٧١) .

(٢) أخرجه أحمد (٤١/ ٢٥٩ برقم ٢٧٣٩) ، ابن ماجه (١/ ٥١٦ برقم ١٦١٦) ، أبو داود (٣/ ٢١٢ برقم ٣٢٠٧) ، ابن حبان في الصحيح (٧/ ٤٣٧ برقم ٣١٦٧) ، الدارقطني (٤/ ٢٥٢برقم ٣٤١٥) ، البيهقي في الكبرى (٤/ ٩٦ برقم ٧٠٧٩) ، معرفة السنن والآثار (٥/ ٣٣٥ برقم ٧٧٥٥) .

**الدَّلِيْلُ الثَّالِثُ عَشَر** : القاعدة المقرَّرة أيضاً : أنَّ ما لا يتوصَّل إلى المطلوب إلا به فهو المطلوب ، وزيارة القبور مطلوبة . أمر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بها ورغَّب فيها ، وفي زيارة قبره المعظم ، فقال في الأوَّل : " زوروا القبور ، فإنَّها تذكركم الآخرة ، وتزهِّد في الدُّنيا " (١) ، وقال في قبره الشَّريف : " من زار قبري وجبت له شفاعتي " ، وهو حديث صحيح له طرق متعدِّدة أفردها الحفَّاظ بالتَّأليف ، ومنهم التَّقي السُّبكي وكتابه مطبوع متداول ، فلا نطيل بذكر أسانيده وبيان صحته بعد أن بسط ذلك الإمام تقي الدِّين المذكور ، وكذلك رغَّب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في زيارة قبر الوالدين ، وزيارة قبر الأصدقاء والسَّلام عليهم ، وذكر الأئمة والأولياء أنَّ لزيارة القبور تأثيراً عظيماً في تنوير الباطن ، لا سيَّما قبور الأولياء والصَّالحين ، وأنَّ الدُّعاء عند قبور بعضهم مُستجاب ، كما قال الإمام الشَّافعي رضي الله عنه في قبر موسى الكاظم عليه السَّلام : " أنَّه التُّرياق المجرَّب " ، وجرَّب ذلك آلاف مؤلَّفة من الخلائق في سائر العصور عند قبر القطب ابن مشيش رضي الله عنه في المغرب (٦٢٦هـ) ، وقبر القطب البدوي رضي الله عنه (٦٧٥هـ) ، وقبر السيِّدة نفيسة رضي الله عنها (٢٠٨هـ) بالقاهرة ، وقبور أخرى لغيرهم من أكابر العارفين رضي الله عنهم بما إنكاره مكابرة للمحسوس ودفع للمشاهد المعاين الملموس ، فلو لم يبنَ على قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ولم يدخل في المسجد لاندرس كما اندرست قبور إخوانه من الأنبياء والمرسلين الذين هم مع كثرتهم لا يعرف قبر عشرة ، بل ولا خمسة منهم بسبب عدم البناء عليهم ، ولم يبق محفوظاً إلَّا قبر إبراهيم عليه السَّلام ومن معه بسبب البناء أيضاً ، ولحرم النَّاس منفعة زيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم الموجبة لشفاعته لهم ، كما حرموا بركة زيارة غيره من الأنبياء الذي اندرست قبورهم لعدم البناء عليها ، فلمَّا كان البناء موصلاً لهذا المطلوب الشَّرعي كان مطلوباً لا محالة ...

**الدَّلِيْلُ الرَّابِعُ عَشَر** : أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وضع على قبر عثمان بن مظعون رضي الله عنه صخرة عظيمة ، وقال : " أَتَعَلَّمُ بِهَا قَبْرَ أَخِي، وَأَدْفِنُ إِلَيْهِ مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِي " رواه أبو داود ، وابن ماجة ، وجماعة (٢) .

فهذا تأسيس لوضع العلَّامة على القبر وتشريع لها وللمحافظة على القبر ، لا سيَّما قبور الصَّالحين ، والعلامة لا تنحصر في الصَّخرة ، وإنَّما وضعها النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لأنَّها كانت المتيسِّرة أمامه ساعة الدَّفن

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١/ ٥٠٠ برقم ١٥٦٩)

(٢) أخرجه أبو داود (٣/ ٢١٢ برقم ٣٢٠٦) ، البغوي في شرح السُّنَّة (٥/ ٤٠٣ برقم ١٥١٥) ، البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٥٧٧ برقم ٥٧٤٤) ، السنن الصغير (٢/ ٢٩ برقم ١١٢١) .

، وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لا يتكلَّف لشيء ، بل يقضي بالموجود في كلِّ شيء من طعام ، وملبوس ، ومركوب ، وغير ذلك .

فإن جازت العلَّامة على القبر لحفظه من الإندراس فلا فرق بين أن تكون بصخرة أو بغيرها ، كما أنَّه إذا جازت الصَّخرة جاز اثنان وثلاثة وأربعة بحسب ما تدعوه الحاجة إلى إثبات العلَّامة ، وكذلك يجوز ربط تلك الأحجار بعضها ببعض بالطِّين والجير لئلَّا تتبعثر ، وكونه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم نهى عن البناء قد برهنَّا على أنَّ المراد بالبناء الذي يكون فوق القبر لطمسه لا البناء الذي يكون حول القبر .

**الدَّلِيْلُ الخَامِسُ عَشَر :** أَنَّ قبور الشُّهداء والصَّحابة كانت مرتفعة كما في صحيح البخاري عن خارجة بن زيد ، قال : رأيتني ونحن شبَّان في زمن عثمان رضي الله عنه أنَّ أشدّنا وثبة الذي يثب قبر عثمان بن مظعون حتى يجاوزه (١) .

وقد سبق أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إنَّما وضع عليه صخرة : وكون الشَّاب لا يستطيع أن يثب عليه إلَّا إذا كان قوياً شديداً يدلُّ على عظم ارتفاعه وتباعد جانبيه ، وذلك لا يمكن بالتُّراب وحده ولا بالصَّخرة وحدها لوجوه :

أحدها : أنَّ وضع التُّراب الكثير على القبر الزَّائد على الخارج منه مكروه .

ثانيها : أنَّه لا يمكن في العادة أن يبقى التُّراب الكثير مرتفعاً مجموعاً فوق القبر أزيد من ثلاثين سنة .

ثالثها : أنَّ التُّراب المجلوب لا يمكن أن يرتفع هذا الارتفاع المشار إليه دون أن يخالطه حجارة وطين ، كما أنَّه لا يمكن أن يدوم هذه المدَّة الطَّويلة ... فإنَّا نرى التُّراب الذي يجعل على القبر لا يمرُّ عليه سنة أو سنتان حتى يذهب وتنسفه الرِّياح ويبقى القبر مسوَّى بالأرض .

رابعها : أنَّ هذا لا يمكن أيضاً بالنسبة للصَّخرة التي وضعها رسول الله صَلَّى الله عليه وعلى آله وَسَلَّم عند قبره ، لأنَّها وإن كانت كبيرة فهي لا تصل إلى هذا الحدّ الذي لا يستطيع أن يثب عليها إلَّا الشَّاب القوي . لأنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حملها بيده الكريمة ووضعها عند القبر ، وأيضاً لو كان ذلك بالنِّسبة لها لقال : وإن أشدّنا الذي يثب الصَّخرة التي على قبر عثمان مع أنَّه عبر بالقبر دون الصَّخرة ، فدلَّ على أنَّه كان مبنيَّاً في زمن الخلفاء الرَّاشدين الذين فهموا من وضع العلَّامة على قبره الأذن في البناء عليه .

---

(١) انظر : صحيح البخاري (٢/ ٩٥) .

وقال ابن أبي شيبة في " المصنَّف " : حدَّثنا وكيع ، عن أسامة بن زيد ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : رأيت قبر عثمان بن مظعون مرتفعاً ، فهذا صريح في أنَّه كان مبنيَّاً بناء مرتفعاً (١) .

وقال ابن أبي شيبة أيضاً : حدَّثنا ابن علية ، عن منصور بن عبد الرَّحمن ، عن الشَّعبي ، قال : أتيت على قبور الشُّهداء بأحد ، فإذا هي شاخصة من الأرض . والقبور المشخصة بالتُّراب لا يمكن عادة أن تبقى من وقت عزوة أحد في السُّنَّة الثَّالثة إلَّا زمن التَّابعين " (٢) ...

ويستمرُّ مسلسل ابن باز في تكفير عموم الأمَّة ، فقد جاء في فتاوى ابن باز أيضاً : " حكم من يقصد قبور الأولياء للغوث والشَّفاعة ؟

س : السَّائل من الجزائر يقول : تعلق بعض النَّاس بالصَّالحين وهم موتى ، فترى هذا الإنسان يذهب إلى هؤلاء الموتى يطلب منهم قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات مع أنَّ هؤلاء ماتوا ، ويزعم أنَّهم صالحون ، ما حكم عمل هؤلاء مأجورين ؟

ج : ما يفعله بعض النَّاس من الذهاب إلى قبور الصَّالحين ، أو قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يدعو ويستغيث ، هذا من الشِّرك الأكبر !!! هذا شرك المشركين ، هذا شرك الجاهليَّة نعوذ بالله ، كان في الجاهليَّة ، يطلبون من الموتى ، كما كانوا يسألون اللات ويتقرَّبون إليه وهو رجل صالح ، يزعمون أنَّه كان يلت سويق الحاج فمات فعكفوا على قبره وصاروا يسألونه من دون الله يستغيثون به ، ولهذا قال النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " ألا وإنَّ من كان قبلكم كانوا يتَّخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتَّخذوا القبور مساجد ، فإنِّي أنهاكم عن ذلك " .

فالواجب على كلِّ مكلَّف أن يتقي الله وأن يراقب الله ، وأن يخصَّ الله بالعبادة ، فلا يدعو إلَّا الله ولا يستغيث إلَّا به ، ولا يستجير إلَّا به هو سبحانه الذي يدعى ويرجى ، قال تعالى :﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن : ١٨] ، قال سبحانه :﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠ ] ، قال تعالى :﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون : ١١٧] ، قال تعالى : ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس : ١٠٦ ] ، يعني : المشركين ،

(١) انظر : الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار (٣/ ٢٣ برقم ١١٧٤٦) .

(٢) انظر : إحياء المقبور من إدلة استحباب بناء المساجد والقباب على القبور (ص٢٣ فما بعدها ببعض الاختصار) .

فالذي يقصد أصحاب القبور وإن كانوا صالحين ، ويسألهم الغوث أو الشَّفاعة أو غفران الذُّنوب ، أو السَّلام من شر الأعداء كلُّ هذا شرك بالله ، شرك أكبر !!! وهكذا دعاء الجن والاستغاثة بالجنّ ، أو بالأصنام والأوثان ، كلُّ هذا من الشِّرك الأكبر ، نسأل الله العافية .

فالواجب الحذر من ذلك ، هذا هو دين المشركين ، دعاء الأموات والاستغاثة بالأموات وبالأصنام وبالجنِّ والنُّجوم هذا شرك المشركين ، هذا دينهم الباطل ، نسأل الله العافية " (١) .

فابن باز يرمي المتوسِّلين بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بالشِّرك الأكبر وشرك المشركين الجاهليِّين ، وهو هنا يشبِّه توسُّل المشركين الملحدين المؤمنين باللات ، المعتقدين بالضرِّ والنَّفع من جانبها ، بتوسُّل الموحِّدين المؤمنين بأنَّ الله تعالى هو وحده النَّافع الضارُّ ، وأنَّه سبحانه وتعالى مالك الأمر كلّه ، وله الأمر من قبل ومن بعد ، ويصف دينَ المؤمنين المتوسِّلين إلى الله تعالى بحبيبه ومصطفاه بأنَّه دين المشركين الباطل ، والعياذ بالله تعالى ...

وقال الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب بن سليمان التَّميمي النَّجدي (١٢٠٦هـ) : " فإنّ أعداء الله !!! لهم اعتراضات كثيرة على دين الرُّسل ، يصدُّون بها النَّاس عنه ، منها قولهم : نحن لا نشرك بالله ، بل نشهد أنَّه لا يخلق ، ولا يرزق ، ولا ينفع ، ولا يضرُّ إلا الله وحده ، وأنَّ محمَّداً ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، الاستغاثة نفعاً ولا ضرَّاً ، فضلاً عن عبد القادر أو غيره ، ولكن أنا مذنب ، والصَّالحون لهم جاه عند الله ، وأطلب من الله ، فجاوبه بما تقدَّم ، وهو : إنَّ الذين قاتلهم رسول الله ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، مقرُّون بما ذكرت ، ومقرُّون أنَّ أوثانهم لا تدبِّر شيئاً ، وإنَّما أرادوا الجاه ، والشَّفاعة " (٢) .

وكلام ابن عبد الوهَّاب اشتمل على أُمور عدة ، منها :

١-وصف المؤمنين الموحِّدين المتوسِّلين إلى الله تعالى بطلب حصول منفعة أو دفع مضرَّة منه سبحانه إكراماً لقدر وشرف ومنزلة الأنبياء والصَّالحين ، بأنَّهم أعداء الله تعالى !!! ...

٢-أنَّ التَّوسُّل إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين وما انطوى عليه من أدلَّة سبيلٌ لصدِّ النَّاس عن دين الله تعالى ...

٣-أنَّ ابن عبد الوهَّاب يعلم حقيقةً أنَّ المتوسِّلين إلى الله تعالى مؤمنين إيماناً مطلقاً بأنَّ الله تعالى هو الخالق ، الرَّازق ، وأنَّه وحده سبحانه النَّافع الضَّارُّ ، وأنَّ محمَّداً ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرَّاً ،

---

(١) انظر : فتاوى نور على الدرب (٢/ ٢٣٤-٢٣٥) .

(٢) انظر : كشف الشبهات (ص١٧) .

فضلاً عن عبد القادر أو غيره من الصَّالحين ، وأنَّهم يقرُّون بذنوبهم ، وأنَّ الصَّالحين لهم جاه عند الله ، وأنَّهم يسألون الله تعالى بوسيلة محبوبة مرضيَّة عنده ، ألا وهي مكانة ومنزلة وشرف الأنبياء والصَّالحين عند الله تعالى ، ومع ذلك أبى ابن عبد الوهَّاب إلَّا تشبيههم بعبدة الأصنام ، الذين زعم وافترى أنَّهم مقرُّون بما تقدَّم من كونه تعالى الخالق الرَّازق ، وأنَّهم يعتقدون بأنَّ أصنامهم لا تدبِّر شيئاً ، وإنَّما أرادوا الجاه ، والشَّفاعة ، ولذلك قاتلهم رسول الله ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ... وبهذا اللفِّ والمراوغة والدَّوران استطاع ابن عبد الوهَّاب إقناع من معه من الأعراب الهمج الرّعاع الأجلاف الجهَّال ... فثاروا على بلاد المسلمين ، فقتلوا عشرات الآلاف من المؤمنين بدعوى الشِّرك والوثنيَّة ، ونهبوا أموالهم ، وسَبَوا نسائهم ...

وقال الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب بن سليمان التَّميمي النَّجدي (١٢٠٦هـ) أيضاً : " ... فإذا تحقَّقت أنَّهم مقرُّون بهذا ولم يدخلهم في التَّوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ... وتحقَّقت أنَّ رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم – قاتلهم ليكون الدُّعاء كلّه لله ، والنَّذر كلّه لله ، والاستغاثة كلّها بالله ، وجميع أنواع العبادات كلّها لله ، وعرفت أنَّ إقرارهم بتوحيد الرُّبوبيَّة لم يدخلهم في الإسلام ، وأنَّ قصدهم الملائكة ، والأنبياء ، والأولياء ، يريدون شفاعتهم ، والتَّقرُّب إلى الله بذلك ، هو الذي أحلَّ دماءهم وأموالهم . عرفت حينئذ التَّوحيد الذي دعت إليه الرُّسل وأبى عن الإقرار به المشركون " [١] .

وكلام ابن عبد الوهَّاب هذا تضمَّن عدة أُمور ، منها :

١-اعترافه بأنَّ الموحِّدين المؤمنين المتوسِّلين إلى الله تعالى بمنزلة ومكانة وشرف الأنبياء والصَّالحين ، يقرُّون ويعتقدون بأنَّه لا خالق ولا رازق ، ولا نافع ولا ضارّ إلَّا الله تعالى ، وأنَّ المتوسَّل به ما هو إلَّا وسيلة محبوبة عند الله تعالى ، ومع ذلك لم يعترف ابن عبد الوهَّاب بدخولهم في صفِّ المؤمنين بالتَّوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ... وبسبب عدم دخولهم في التَّوحيد الذي لا يرتضي غيره ابن عبد الوهَّاب كان قتال الرَّسول إيَّاهم ، ولذلك فابن عبد الوهَّاب يزعم أنَّه لا يقاتل مخالفيه إلَّا لأنَّ الرَّسول قاتلهم ليكون الدُّعاء كلّه لله ، والنَّذر كلّه لله ، والاستغاثة كلّها بالله ، وجميع أنواع العبادات كلّها لله ...

٢- زعم ابن عبد الوهَّاب أنَّ المتوسِّلين لا يقصدون بتوسُّلهم إلَّا الملائكة ، والأنبياء ، والأولياء ، يريدون بذلك شفاعتهم ، بمعنى أنَّهم يطلبون قضاء الحاجات منهم ... ، وهذا هو الذي أحلَّ دماءهم وأموالهم ...

---

[١] انظر : كشف الشبهات (ص٦-٧) .

وتحت ستار وغطاء المحافظة على صفاء التَّوحيد كان ابن عبد الوهَّاب يخطب في النَّاس بكفر المتوسِّلين إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين ، فقد قال مفتي الشَّافعيَّة ورئيس المدرِّسين في مكَّة أيَّام السُّلطان عبد الحميد ، الشَّيخ العلَّامة أحمد زيني دحلان في حديثه عن محمَّد بن عبد الوهَّاب : " كان محمَّد بن عبد الوهَّاب الذي ابتدع هذه البدعة يخطب للجمعة في مسجد الدِّرعيَّة ، ويقول في كلِّ خطبة : ومن توسَّل بالنَّبي فقد كفر ... وكان ــ محمَّد بن عبد الوهَّاب ــ ينهى عن الصَّلاة على النَّبي صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّم ويتأذَّى من سماعها ، وينهى عن الإتيان بها ليلة الجمعة ، وعن الجهر بها على المنائر ، ويؤذى من يفعل ذلك ويعاقبه أشدَّ العقاب ، حتى أنَّه قتل رجلاً أعمى كان مؤذناً صالحاً ذا صوت حسن نهاه عن الصَّلاة على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في المنارة فلم ينته وأتى بالصَّلاة على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فأمر بقتله فقُتل ، ثمَّ قال : إنَّ الرَّبابة في بيت الخاطئة – يعني الزَّانية – أقل إثماً ممَّن ينادي بالصَّلاة على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم على المنائر ، ويلبِّس على أصحابه بأنَّ ذلك كلّه محافظة على التَّوحيد ، فما أفظع قوله وما أشنع فعله . وأحرق " دلائل الخيرات " ، وغيرها من كتب الصَّلاة على النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ويتستَّر بقوله : إنَّ ذلك بدعة ، وأنَّه يريد المحافظة على التَّوحيد . وكان يمنع أتباعه من مطالعة كتب الفقه والتَّفسير والحديث وأحرق كثيراً منها ، وأذِن لكلِّ من تبعه أن يفسِّر القرآن بحسب فهمه ، حتى همج الهمج من أتباعه ، فكان كلُّ واحد منهم يفعل ذلك وإن كان لا يحفظ شيئاً من القرآن ، فيقول الذي لا يقرأ لآخر يقرأ : أقرأ عليَّ حتى أفسِّر لك ، فإذا قرأ عليه فسَّره له برأيه ، وأمرهم أن يعملوا ويحكموا بما يفهمونه ، وجعل ذلك مقدماً على كتب العلم ونصوص العلماء ، وكان يقول في كثير من الأقوال : الأئمَّة الأربعة ليست بشيء ... وكان ينتقص النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كثيراً بعبارات مختلفة ويزعم أنَّ قصده المحافظة على التَّوحيد ، فمنها : أن يقول : أنَّه طارش ، وهو في لغة أهل المشرق بمعنى الشَّخص المرسل من قوم إلى آخرين ، فمراده أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حامل كتب ، أي : غاية أمره أنَّه كالطَّارش الذي يرسله الأمير أو غيره في أمر النَّاس ليبلِّغهم إيَّاه ثمَّ ينصرف . ومنها : أنَّه كان يقول : نظرت في قصَّة الحديبية فوجدت بها كذا كذا ، إلى غير ذلك ممَّا يشبه هذا حتى أنَّ أتباعه كانوا يفعلون مثل ذلك أيضاً ، ويقولون مثل قوله بل أقبح ممَّا يقول ويخبرونه بذلك فيظهر الرِّضا ، وربَّما أنَّهم قالوا ذلك بحضرته فيرضى به حتى إنَّ بعض أتباعه كان يقول : عصاي هذه خير من محمَّد !!! لأنَّها ينتفع بها في قتل الحيَّة و نحوها ، ومحمَّد قد مات ولم يبق فيه نفع أصلاً ، وإنَّما هو طارش !! " (١) .

---

(١) انظر : الدرر السنية في الردِّ على الوهابية (ص٤٢–٤٤ ببعض الاختصار) .

وجاء في " الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة " : " فإذا عرفت معنى لا إله إلَّا الله ؛ وعرفت أنَّ من نخا نبيَّاً أو ملكاً أو ندبه أو استغاث به ، فقد خرج من الإسلام ، وهذا هو الكفر الذي قاتلهم عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم " (١) .

وهم يقصدون بقولهم : " نخا " ، أي : عظَّم ، وعلى قولهم : فمن عظَّم نبيَّاً ، أو مَلكاً أو ناداه ، نحو : وامعتصماه ، أو استغاث به ، فقد خرج من الإسلام ، والعياذ بالله تعالى ... مع أنَّ قصَّة المرأة الشَّريفة الهاشميَّة التي صاحت في أَسْرِهَا : " وامعتصماه " ، مستغيثة بالمعتصم بعد أن وقعت في أَسْرِ الرُّوم ، كانت سبباً في فتح عموريَّة الشَّهيرة ، ولم نسمع من أنكر عليها استغاثتها ونصرة المعتصم لها ... (٢) .

وزعموا أنَّ أهل الشَّام يعبدون ابن عربي ، جاعلين على قبره صنماً يعبدونه (٣) .

قلت : وما تجرَّأ هؤلاء وأولئك على انتقاص أعلام العلماء إلَّا بسبب ما أوحاه إليهم شيخ إسلامهم ابن تيمية ، الذي ما فتئ يكذب على العلماء ، ويلصق أقواله بالسَّلف الصَّالح لنصرة معتقده وانتقاص الآخرين ...

ومن كذب وافتراء ابن تيمية على الشَّيخ الأكبر الإمام ابن عربي : قوله في حقِّه : " ولَّما كانت أحوال هؤلاء شيطانيَّة ، كانوا مناقضين للرُّسل صلوات الله تعالى وسلامه عليهم ، كما يوجد في كلام صاحب " الفتوحات المكيَّة " و " الفصوص " ، وأشباه ذلك يمدح الكفَّار ، مثل قوم نوح وهود وفرعون وغيرهم ، وينتقص الأنبياء ، كنوح وإبراهيم وموسى وهارون ، ويذمُّ شيوخ المسلمين المحمودين عند المسلمين ، كالجُنيد بن محمَّد ، وسهل بن عبد الله التُّستري وأمثالهما . ويمدح المذمومين عند المسلمين ، كالحلَّاج ونحوه ، كما ذكره في تجلِّياته الخياليَّة الشَّيطانيَّة " (٤) .

هذا بعض من افتراءاته بحقِّ الإمام الأكبر ابن عربي ، مع أنَّه لم يأت بدليل واحد من كتب ابن عربي على ما نسبه إليه ، وللعلم فإنَّ الأيدي المتمسلفة العابثة عبثت كثيراً في القديم والجديد بكتب الإمام ابن عربي ... وفي كتابي الخاص بالسَّلفيَّة فَتحْتُ فصلاً خاصَّاً تكلَّمت فيه عن عبث من يدَّعون السَّلفيَّة بكتب التُّراث ، حيث

---

(١) انظر : الدرر السنية في الفتاوى النجدية (٣/ ١١٥) .

(٢) انظر قصتها في : الكامل في التَّاريخ (٦/ ٣٨ فما بعدها) ، المختصر في أخبار البشر (٢/ ٣٣ فما بعدها) ، تاريخ ابن الوردي (١/ ٢١٣ فما بعدها) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٢/ ٦٢ فما بعدها) ، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (٣/ ٤٥١ فما بعدها) .

(٣) انظر : الدرر السنية في الفتاوى النجدية (٢/ ٤٥) .

(٤) انظر : الفرقان بين أولياء الرَّحمن وأولياء الشيطان (ص١١١) .

وقفت على تحريفات يندى لها الجبين ، كلُّ ذلك من أجل نصرة مذهبهم الصدء المهتري ... ثم ما لبث الفصل أن أصبح كتاباً مستقلّاً بعنوان : " كشفُ الخفا عن عبث الوهَّابيَّة بكُتُب العلما " ، وقد تمَّ طبعُهُ ونشره ، والحمد الله التي بحمده تتمُّ الصَّالحات ...

وها أنذا أضع بين يدي القارئ الكريم عقيدة الإمام الأكبر ، من كتابه : " الفتوحات " ، يقول عليه رحمة الله تعالى : " "فيا إخوتي ويا أحبَّائي رضي الله عنكم ، أُشهَدكم عبد ضعيف مسكين فقير إلى الله تعالى في كل لحظة وطرفة ، وهو مؤلِّفُ هذا الكتاب ومنشئه ، أشهدكم على نفسه بعد أن أشهدَ الله تعالى وملائكته ومن حضره من المؤمنين وسمعه أنَّه يشهد قولاً وعقداً أنَّ : الله تعالى إله واحد لا ثاني له في ألوهيَّته ، منزَّه عن الصَّاحبة والولد ، مالك لا شريك له ، ملك لا وزير له ، صانع لا مدبر معه ، موجود بذاته من غير افتقار إلى موجد يوجده ، بل كلُ موجود سواه مفتقر إليه تعالى في وجوده ، فالعالم كلُّه موجود به ، وهو وحده متَّصف بالوجود لنفسه ، لا افتتاح لوجوده ، ولا نهاية لبقائه ، بل وجود مطلق غير مقيَّد ، قائم بنفسه ، ليس بجوهر متحيِّز فيُقدَّر له المكان ، ولا بعَرَض فيستحيل عليه البقاء ، ولا بجسم فتكون له الجهة والتلقاء ، مقدَّس عن الجهات والأقطار ، مرئي بالقلوب والأبصار إذا شاء ، استوى على عرشه كما قاله وعلى المعنى الذي أراده ، كما أنَّ العرش وما سواه به استوى ، وله الآخرة والأولى ، ليس له مثل معقول ، ولا دلَّت عليه العقول ، لا يحدُّه زمان ولا يُقلّه مكان ، بل كان ولا مكان وهو على ما عليه كان ، خلق المتمكِّن والمكان ، وأنشأ الزَّمان ، وقال : أنا الواحد الحيّ ، لا يؤوده حفظ المخلوقات ، ولا ترجع إليه صفة لم يكن عليها من صنعة المصنوعات ، تعالى أن تحلّه الحوادث أو يحلّها ، أو تكون بعده أو يكون قبلها ، بل يقال كان ولا شيء معه ، فإنَّ القبل والبعد من صيغ الزَّمان الذي أبدعه ، فهو القيّوم الذي لا ينام ، والقهَّار الذي لا يُرام ، ليس كمثله شيء ، خلق العرش وجعله حدّ الاستواء ، وأنشأ الكرسي وأوسعه الأرض والسَّماوات العلى ، اخترع اللوح والقلم الأعلى ، وأجراه كاتباً بعلمه في خلقه إلى يوم الفصل والقضاء ، أبدع العالم كلَّه على غير مثال سبق ، وخلق الخلْق وأخلق الذي خلق ، أنزل الأرواح في الأشباح أمناء ، وجعل هذه الأشباح المنزلة إليها الأرواح في الأرض خلفاء ، وسخَّر لنا ما في السَّموات وما في الأرض جميعاً منه ، فلا تتحرَّك ذرة إلَّا إليه وعنه ، خلق الكل من غير حاجة إليه ، ولا موجب أوجب ذلك عليه ، لكنّ علمه سبق بأن يخلق ما خلق ، فهو الأوَّل والآخر والظَّاهر والباطن وهو على كلِّ شيء قدير ، أحاط بكلِّ شيء علماً ، وأحصى كل شيء عدداً ، يعلم السر وأخفى ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي

الصدور ، كيف لا يعلم شيئاً هو خلقه ، ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤] ، علم الأشياء منها قبل وجودها ، ثمَّ أوجدها على حد ما علمها ، فلم يزل عالماً بالأشياء ، لم يتجدَّد له علم عند تجدُّد الإنشاء ، بعلمه أتقن الأشياء وأحكمها ، وبه حكّم عليها من شاء وحكمها ، علم الكليَّات على الإطلاق ، كما علم الجزئيَّات بإجماع من أهل النَّظر الصَّحيح واتفاق ، فهو عالم الغيب والشَّهادة ، فتعالى الله عما يشركون ، فعَّال لما يريد ، فهو المريد الكائنات في عالم الأرض والسَّموات ، لم تتعلَّق قدرته بشيء حتى أراده ، كما أنَّه لم يُرده حتى علمه ، إذ يستحيل في العقل أن يريد ما لا يعلم أو يفعل المختار المتمكن من ترك ذلك الفعل ما لا يريد ، كما يستحيل أن توجد نسب هذه الحقائق في غير حي ، كما يستحيل أن تقوم الصِّفات بغير ذات موصوفة بها ، فما في الوجود طاعة ولا عصيان ، ولا ربح ولا خسران ، ولا عبد ولا حُر ، ولا برد ولا حَر ، ولا حياة ولا موت ، ولا حصول ولا فوت ، ولا نهار ولا ليل ، ولا اعتدال ولا ميل ، ولا برّ ولا بحر ، ولا شفع ولا وتر ، ولا جوهر ولا عرَض ، ولا صحَّة ولا مرض ، ولا فرح ولا ترح ، ولا روح ولا شبح ، ولا ظلام ولا ضياء ، ولا أرض ولا سماء ، ولا تركيب ولا تحليل ، ولا كثير ولا قليل ، ولا غداة ولا أصيل ، ولا بياض ولا سواد ، ولا رقاد ولا سهاد ، ولا ظاهر ولا باطن ، ولا متحرِّك ولا ساكن ، ولا يابس ولا رطب ، ولا قشر ولا لب ، ولا شيء من هذه النّسب المتضادَّات منها والمختلفات والمتماثلات إلَّا وهو مراد للحقِّ تعالى ، وكيف لا يكون مُراداً له وهو أوجده ، فكيف يوجد المختار ما لا يريد ، لا رادّ لأمره ولا معقّب لحكمه ، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممَّن يشاء ويعزُّ من يشاء ويذلُّ من يشاء ، ويضلُّ من يشاء ويهدي من يشاء ، ما شاء كان وما لم يشأ أن يكون لم يكن ، لو اجتمع الخلائق كلُّهم على أن يريدوا شيئاً لم يُرد الله تعالى أن يريدوه ما أرادوه ، أو يفعلوا شيئاً لم يُرد الله تعالى إيجاده وأرادوه عندما أراد منهم أن يريدوه ما فعلوه ، ولا استطاعوا على ذلك ولا أقدرهم عليه ، فالكفر والإيمان والطَّاعة والعصيان من مشيئته وحكمه وإرادته ، ولم يزل سبحانه موصوفاً بهذه الإرادة أزلاً والعالم معدوم غير موجود ، وإن كان ثابتاً في العلم في عينه ، ثمَّ أوجد العالم من غير تفكُّر ولا تدبُّر عن جهل أو عدم علم فيعطيه التَّفكُّر والتَّدبُّر علم ما جهل ، جلَّ وعلا عن ذلك ، بل أوجده عن العلم السَّابق وتعيين الإرادة المنزّهة الأزليَّة القاضية على العالم بما أوجدته عليه من زمان ومكان وأكوان وألوان ، فلا مُريد في الوجود على الحقيقة سواه ، إذ هو القائل سبحانه : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الإنسان:٣٠] ، وأنَّه سبحانه كما علم فأحكم

وأراد فخصَّص وقدَّر فأوجد ؛ كذلك سمع ورأى ما تحرك أو سكن أو نطق في الورى من العالم الأسفل والأعلى ، لا يحجب سمعه البعد فهو القريب ، ولا يحجب بصره القرب فهو البعيد ، يسمع كلام النَّفس في النَّفس ، وصوت المماسَّة الخفية عند اللمس ، ويرى السَّواد في الظَّلماء والماء في الماء ، لا يحجبه الامتزاج ولا الظُّلمات ولا النُّور ، وهو السَّميع البصير ، تكلَّم سبحانه لا عن صمت متقدِّم ولا سكوت متوهّم بكلام قديم أزليّ كسائر صفاته من علمه وإرادته وقدرته ، كلَّم به موسى عليه السَّلام ، سمَّاه التَّنزيل والزَّبور والتَّوراة والإنجيل ، من غير حروف ولا أصوات ، ولا نغم ولا لغات ، بل هو خالق الأصوات والحروف واللغات ، فكلامه سبحانه من غير لهاة ولا لسان ، كما أنَّ سمعه من غير أصمخة ولا آذان ، كما أنَّ بصره من غير حدقة ولا أجفان ، كما أن إرادته في غير قلب ولا جنان ، كما أنَّ علمه من غير اضطرار ولا نظر في برهان ، كما أنَّ حياته من غير بخار تجويف قلب حدث عن امتزاج الأركان ، كما أنَّ ذاته لا تقبل الزِّيادة والنُّقصان ، فسبحانه سبحانه من بعيد دان ، عظيم السُّلطان ، عميم الإحسان ، جسيم الامتنان ، كلّ ما سواه فهو عن جوده فائض ، وفضله وعدله الباسط له والقابض ، أكمل صنع العالم وأبدعه حين أوجده واخترعه ، لا شريك له في ملكه ، ولا مدبِّر معه في ملكه ، إن أنعم فنعَّم فذلك فضله ، وإن أبلى فعذَّب فذلك عدله ، لم يتصرَّف في ملك غيره فينسب إلى الجور والحيف ، ولا يتوجَّه عليه لسواه حكم فيتَّصف بالجزع لذلك والخوف ، كلُّ ما سواه تحت سلطان قهره ومتصرِّفٌ عن إرادته وأمره ، فهو الملهم نفوس المكلَّفين التَّقوى والفجور ، وهو المتجاوز عن سيِّئات من شاء والآخذ بها من شاء هنا وفي يوم النَّشور ، لا يحكم عدله في فضله ، ولا فضله في عدله، أخرج العالم قبضتين ، وأوجد لهم منزلتين فقال : هؤلاء للجنَّة ولا أبالي وهؤلاء للنَّار ولا أبالي ، ولم يعترض عليه معترض هناك إذ لا موجود كان ثمَّ سواه ، فالكلُّ تحت تصريف أسمائه ، فقبضة تحت أسماء بلائه ، وقبضة تحت أسماء آلائه ، ولو أراد سبحانه أن يكون العالم كلّه سعيداً لكان ، أو شقيّاً لما كان من ذلك في شأن ، لكنَّه سبحانه لم يرد ؛ فكان كما أراد ، فمنهم الشَّقي والسَّعيد ، هنا وفي يوم المعاد ، فلا سبيل إلى تبديل ما حكم عليه القديم ، وقد قال تعالى في الصَّلاة : هي خمس وهي خمسون ، ما يبدل القول لديّ وما أنا بظلَّام للعبيد ، لتصرفي في ملكي وإنفاذ مشيئتي في ملكي ، وذلك لحقيقة عميت عنها الأبصار والبصائر ، ولم تعثر عليها الأفكار ولا الضَّمائر ، إلَّا بوهب إلهي وجوْد رحماني لمن اعتنى الله به من عباده ، وسبق له ذلك بحضرة إشهاده ، فعلم حين أُعلم أنَّ الألوهة أعطت هذا التَّقسيم ،

وأنَّه من رقائق القديم ، فسبحان من لا فاعل سواه ، ولا موجود لنفسه إلَّا إياه ، والله خلقكم وما تعملون ، ولا يُسأل عمَّا يفعل وهم يُسألون ، فلله الحجَّة البالغة ، فلو شاء لهداكم أجمعين .

الشَّهادة الثَّانية : وكما أشهدت الله وملائكته وجميع خلقه وإيَّاكم على نفسي بتوحيده ، فكذلك أشهده سبحانه وملائكته وجميع خلقه وإيَّاكم على نفسي بالإيمان بمن اصطفاه واختاره واجتباه من وجوده ؛ ذلك سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، الذي أرسله إلى جميع النَّاس كافة بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فبلَّغ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ما أنزل من ربِّه إليه وأدَّى أمانته ، ونصح أمَّته ، ووقف في حجَّة وداعه على كلِّ من حضر من أتباعه ، فخطب وذكَّر ، وخوَّف وحذَّر ، وبشَّر وأنذر ، ووعد وأوعد ، وأمطر وأرعد ، وما خصّ بذلك التَّذكير أحداً من أحد ، عن إذن الواحد الصَّمد ، ثمَّ قال : ألا هل بلغت ؟ فقالوا : بلَّغت يا رسول الله ، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : اللهمَّ اشهد ، وإنِّي مؤمن بكلِّ ما جاء به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ممَّا علمت وما لم أعلم ، فممَّا جاء به فقرّر أنَّ الموت عن أجل مسمَّى عند الله إذا جاء لا يؤخَّر ، فأنا مؤمن بهذا إيماناً لا ريب فيه ولا شكّ ، كما آمنت وأقررت أنَّ سؤال فتَّاني القبر حقّ ، وعذاب القبر حقّ ، وبعث الأجساد من القبور حقّ ، والعرض على الله تعالى حقّ ، والحوض حقّ ، والميزان حقّ ، وتطاير الصُّحف حقّ ، والصِّراط حقّ ، والجنَّة حقّ ، والنَّار حقّ ، وفريقاً في الجنَّة وفريقاً في النَّار حقّ ، وكرب ذلك اليوم حقّ ، على طائفة وطائفة أخرى لا يحزنهم الفزع الأكبر ، وشفاعة الملائكة والنَّبيِّين والمؤمنين وإخراج أرحم الرَّاحمين بعد الشَّفاعة من النَّار من شاء حقّ ، وجماعة من أهل الكبائر المؤمنين يدخلون جهنَّم ثمَّ يخرجون منها بالشَّفاعة والامتنان حقّ ، والتَّأبيد للمؤمنين والموحِّدين في النَّعيم المقيم في الجنان حقّ ، والتَّأبيد لأهل النَّار في النَّار حقّ ، وكلُّ ما جاءت به الكتب والرُّسل من عند الله عُلم أو جُهل حقّ .

فهذه شهادتي على نفسي أمانة عند كلِّ من وصلت إليه أن يؤدِّيها إذا سئلها حيثما كان ، نفعنا الله وإيَّاكم بهذا الإيمان، وثبتناً عليه عند الانتقال من هذه الدَّار إلى الدَّار الحيوان ، وأحلَّنا منها دار الكرامة والرِّضوان ، وحال بيننا وبين دار سرابيلها من القطران ، وجعلنا من العصابة التي أخذت الكُتب بالأيمان ، وممَّن انقلب من الحوض وهو ريَّان ، وثقل له الميزان ، وثبتت له على الصِّراط القدمان ، أنَّه المنعم المحسان ، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربِّنا بالحقّ " (١) .

---

(١) انظر : الفتوحات المكيَّة (١/ ٣٦-٣٨) .

هذه هي عقيدة الشَّيخ الأكبر ابن عربي من كتابه " الفتوحات " ، فهل ترى فيها شيء ممَّا نسبه إليه العاطلون المبطلون الآثمون اظَّالمون ؟!!! ... ولذلك رأينا جمعاً وافراً من العلماء ينفون عنه ما دسَّه في كتبه الحشويَّة الظَّالمون ، ويصرِّحون بأنَّ الحشويَّة هم من دسِّ السمَّ في كتب الشَّيخ الأكبر ابن عربي ...

قال الإمام عبد الوهَّاب الشَّعراني : " ... وليحذر أيضاً من مطالعة كتب الشَّيخ محي الدِّين بن عربي رضي الله تعالى عنه لعلوِّ مراقيها ، ولَمَّا فيها من الكلام المدسوس على الشَّيخ ، لا سيَّما " الفصوص " و " الفتوحات المكيَّة " ، فقد أخبرني الشَّيخ أبوطاهر عن شيخه عن الشَّيخ بدر الدِّين بن جماعة أنَّه كان يقول : جميع ما في كتب الشَّيخ محيي الدِّين من الأمور المخالفة لكلام العلماء فهو مدسوس عليه ، وكذلك كان يقول الشَّيخ مجدالدين صاحب " القاموس في اللغة " .

قلتُ – الشَّعراني – : وقد اختصرتُ " الفتوحات المكيَّة " ، وحذفتُ منها كلَّ ما يخالف ظاهر الشَّريعة ، فلمَّا أخبرت بأنهم دسُّوا في كتب الشَّيخ ما يوهم الحلول والاتِّحاد ، وَرَد عليّ الشَّيخ شمس الدِّين المدني بنسخة " الفتوحات " التي قابلها على خط الشَّيخ بقونية ، فلم أجد فيها شيئاً من ذلك الذي حذفته ، ففرحتُ بذلكَ غاية الفرح ، فالحمد لله على ذلك " (١) .

وقال الإمام عبد الوهَّاب الشعراني أيضاً : " وقد أخبرني العارف بالله تعالى الشَّيخ أبو طاهر المزني الشَّاذلي رضي الله عنه أنَّ جميع ما في كتب الشَّيخ محيي الدِّين ممَّا يُخالف ظاهر الشَّريعة مدسوسٌ عليه ، قال : لأنَّه رجل كامل بإجماع المحقِّقين ، والكامل لا يصحُّ في حقِّه شطحٌ عن ظاهر الكتاب والسنَّة ، لأنَّ الشارع أمَّنه على شريعته " (٢) .

وقال الإمام ابن العماد الحنبلي في كلامه عن الإمام ابن عربي : " ... وحسده طوائف ، فدسُّوا عليه كلمات يخالف ظاهرها الشَّرع ، وعقائد زائغة ، ومسائل تخالف الإجماع ، وأقاموا عليه القيامة ، وشنّعوا وسبّوا ، ورموه بكل عظيمة فخذلهم الله وأظهره عليهم . وكان مواظباً على السُّنَّة ، مبالغاً في الورع ، مؤثراً ذوي الفاقة على نفسه حتى بملبوسه ، متحملا للأذى ، موزِّعاً أوقاته على العبادة ما بين تصنيف وتسليك وإفادة ، واجتمع بزاويته من العميان وغيرهم نحو مائة ، فكان يقوم بهم نفقّه وكسوة " (٣) .

---

(١) انظر : لطائف المنن (ص٣٩٤) .

(٣) انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١٠/ ٥٤٦) .

ومن المعلوم أنَّ بعضاً ممَّن لا خلاق له اتَّهم الإمام الأكبر ببعض العقائد الباطلة الكفريَّة ، مثل : الإتحاد والحلول ، والمساواة بين الخالق والمخلوق ، وأنَّ الربَّ ربٌّ والعبدّ ربٌّ ، ... وقاموا بربط هذه العقائد الباطلة الكفريَّة بالتَّصوُّف والصُّوفيَّة ...

قال المدعو الدكتور محمَّد بن ربيع هادي المدخلي ، المدرِّس بالجامعة الإسلاميَّة بالمدينة المنوَّرة : " الصُّوفيَّة قد لعبت دوراً كبيراً في حياة المسلمين منذ القرن الثَّالث الهجري إلى يومنا هذا ، وقد بلغت أوج مجدها في القرون المتأخِّرة . وقد أثرت تأثيراً بالغاً في عقائد المسلمين وغيَّرتها عن مسارها الصَّحيح الذي جاء به القرآن الكريم والسُّنَّة المطهَّرة ، وكان ذلك هو أخطر جانب من جوانب الصُّوفيَّة ، حيث اقترن بالفكر الصُّوفي التَّعلُّق بالأولياء والمشايخ ، والمبالغة في تقديس الأموات ، كما اقترن بها القول بالحلول ووحدة الوجود ، إضافة إلى ما أفسدت الصُّوفيَّة من الجوانب الأخرى . حيث يتسم أتباعها بالتَّواكل والرهبنة ، كما أنَّها عطلت الرُّوح الجهاديَّة في الأمَّة الإسلاميَّة " (١) .

وقال المدعو الدكتور محمَّد بن ربيع هادي المدخلي : " المذهب الثَّالث : القول بوحدة الوجود : وهو يقرِّر أنَّ الموجود واحد في الحقيقة وكلّ ما نراه ليس إلَّا تعينات للذَّات الإلهيَّة . وزعيم هذه الطَّائفة ابن عربي الحاتمي الطَّائي المدفون بدمشق والمتوفَّى سنة(٦٣٨هـ) ، ويقول في ذلك في كتابه : " الفتوحات المكيَّة " :

العبد ربٌّ والرَّبُّ عبـدٌ     يا ليت شعري من المكلَّف

إن قلت عبدٌ فذاك حقٌّ     أو قلت ربٌّ أنّـى يُكـلَّف

ويقول أيضاً في " الفتوحات " : " إنَّ الذين عبدوا العجل ما عبدوا غير الله " .

وابن عربي هذا يلقِّبه الصُّوفيَّة بالعارف بالله ، والقطب الأكبر ، والمسك الأذفر ، والكبريت الأحمر ، مع قوله بوحدة الوجود وغيرها من الطَّامَّات ، فإنَّه يمدح فرعون ويحكم بأنه مات على الإيمان . ويذمُّ هارون على إنكاره على قومه عبادة العجل مخالفاً بذلك نصَّ القرآن ، ويرى أنَّ النَّصارى إنَّما كفروا لأنَّهم خصَّصوا عيسى بألوهيَّة ولو عمَّموا لما كفروا " (٢) .

---

(١) انظر : حقيقة الصوفية في ضوء الكتاب والسنة (ص١٠) .

(٢) انظر : حقيقة الصوفية في ضوء الكتاب والسنة (ص١٨) .

ولأنَّ من يدَّعون السَّلفيَّة درسوا على شيخ واحد ، فقد اعتادوا على هذه الكِذبة في نسبة هذا الشِّعر الكُفري للإمام الأكبر ابن عربي ، فقد قال المدعو : محمَّد حامد الفقي في تحقيقه !!! لكتاب : " مدارج السَّالكين " ، لابن القيِّم :

" قال ابن عربي الحاتمي شيخ الصُّوفيَّة ، الناطق بلسانهم :

العبد ربٌّ والرَّبُّ عبدٌ     يا ليت شعري من المكلَّف

إن قلت عبدٌ فذاك حقٌّ     أو قلت ربٌّ أنّى يُكلَّف (١)

ومن المعلوم لدى كلِّ من له اطلاع على حال من يدَّعون السَّلفيَّة يجد أنَّهم من أجل نصرة باطلهم يكذبون ويتحرَّوا الكذب ، والأدلة على ذلك كثيرة ... سنذكر بعضها في معرض ردِّنا على هذا " المدخلي " ، فنقول :

إنَّ الإمام الأكبر لم يقل شيئاً مما قلته ، وإنَّما هو الكذب بعينه وشينه ومينه ، لأنَّ الذي قاله الإمام الأكبر هو :

الرَّبُّ حقٌّ والعبدُ حقٌّ     يا ليت شعري من المكلَّف

إن قلت عبدٌ فذاك ميت     أو قلت ربٌّ أنَّى يكلَّف (٢)

فهذا هو ما قاله ابن عربي لا ما نسبته إليه أيُّها المدخلي ... وأُضيف بياناً لهذا المدخلي ، فأقول : إنَّ ابن تيمية نقل كلام ابن عربي ولم يقل ما نسبته لابن عربي ، بل قال عين ما قاله الإمام ابن عربي ، فقد جاء في " مجموع الفتاوى " : " كَمَا قَالَ صَاحِبُ الْفُتُوحَاتِ فِي أَوَّلِهَا :

الرَّبُّ حَقٌّ وَالْعَبْدُ حَقٌّ     يَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ الْمُكَلَّفُ

إنْ قُلْت عَبْدٌ فَذَاكَ مَيْتٌ     أَوْ قَلَتْ رَبٌّ أَنَّى يُكَلَّفُ (٣)

ثُمَّ إنَّ كتب الإمام ابن عربي طافحة بردِّ ما اتُّهم به ، من ذلك قوله : " الرَّبُّ ربٌّ والعبدُ عبدٌ ، فلا تُغالط ولا تُخالط " (٤) .

---

(١) انظر : هامش كتاب : " مدارج السالكين " ، لابن القيِّم ، (١/ ٧٢) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٣م .

(٢) انظر : التنزُّلات الموصليَّة في أسرار الطهارات والصلوات والأيام الأصلية (ص١٢٦) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى (٢/ ٨٢) ، (٢/ ١١١) ، (٢/ ٢٤٢) ، (١٤/ ١٢) ، مجموعة الرسائل والمسائل (٤/ ٩٧) ، جامع المسائل لابن تيمية (٤/ ٢٧٩) .

(٤) انظر : الفتوحات الربانية (٣/ ٢٢٤) .

وقوله أيضاً : " فالقديمُ الرَّبُّ ، والحادثُ العبدُ " (١) .

وقوله : " وما قال بالاتحادِ إلَّا أهلُ الإلحادِ " (٢) .

وقوله : " بل كلّ ذات على انفراد من غير شوب ولا اتحاد ، ولا حلول ولا انتقـــــال ولا إنفاق ولا عنـــــاد " (٣) .

وأمَّا عن الحلول فيقول : " فإنَّ الله لا يحلُّ في شيء ، ولا يحلُّ فيه شيء ، إذ ليس كمثله شيء وهو السَّميع البصير "(٤) .

وقوله : " إنَّ الحقَّ سبحانه وتعالى يتعالى عن الحلول في الأجسام (٥) .

وقوله : " فلا يجتمع الحق والخلق أبداً في وجه من الوجوه ، فالعبد عبدٌ والرَّبُّ ربٌّ " (٦) .

ومن قال بالحلولِ فهو معلولٌ ، وهو مرضٌ لا دواء لدائه ، ولا طبيبٌ يسعى في شفائه " (٧).

وقد افتروا عليه أيضاً أنَّه يعتقد بايمان فرعون ، مع أنَّه يقول : " وهؤلاء المجرمون أربع طوائف كلُّها في النَّار ، لا يخرجون منها ، وهم المتكبِّرون على الله تعالى كفِرعون وأمثاله " (٨) .

والدَّسّ في كتب الكبراء من أهل العلم ديدنٌ سار عليه أهل الحشو ، ومن ذلك – أيضاً – ما ذكره الإمام ابن حجر الهيتمي في حديثه عن الإمام عبد القادر الجيلاني ، قال : " وَإِيَّاك أَن تغتر أَيْضاً بِمَا وَقع فِي الغُنْية لإِمَام العارفين وقطب الْإِسْلَام وَالْمُسْلِمين الْأُسْتَاذ عبد الْقَادِر الجيلاني ، فَإِنَّهُ دسَّه عَلَيْهِ فِيهَا مَنْ سينتقم الله مِنْهُ ، وَإِلَّا فَهُوَ برِيء من ذَلِك ، وَكَيف تُروَّج عَلَيْهِ هَذِه الْمَسْأَلَة الْوَاهِيَة مَعَ تضَّلُعه من الْكتاب وَالسُّنَّة وَفقه الشَّافِعِيَّة

---

(١) انظر : الفتوحات الربانية (٤/ ٤٣٨) .

(٢) انظر : الفتوحات الربانية (٤/ ٣٧٢) .

(٣) انظر : الفتوحات الربانية (٤/ ٨١) .

(٤) انظر : الفتوحات الربانية (٤/ ٢) .

(٥) انظر : الفتوحات الربانية (٢/ ٦١٤) .

(٦) انظر : الفتوحات الربانية (٢/ ٦١٤) .

(٧) انظر : الفتوحات الربانية (٤/ ٣٧٩) .

(٨) انظر : الفتوحات الربانية (١/ ٣٠١) .

والحنابلة حَتَّى كَانَ يُفْتِي على المذهبين ، هَذَا مَعَ مَا انضم لذَلِك من أَنَّ الله منَّ عَلَيْهِ من المعارف والخوارق الظَّاهِرَة والباطنة وَمَا أنبأ عَنهُ مَا ظهر عَلَيْهِ وتواتر من أَحْوَاله " (١) .

وقال الإمام عبد الوهَّاب الشّعراني أيضاً : " وقد دسَّ الزَّنادقة تحت وسادة الامام أحمد بن حنبل في مرض موته عقائد زائغة ، ولولا أنَّ أصحابه يعلمون منه صحَّة المعتقد لافتتنوا بها وجدوه تحت وسادته ، وكذلك دسُّوا على شيخ الإسلام مجد الدِّين الفيروز آبادي صاحب " القاموس " كتاباً في الرَّدِّ على أبي حنيفة وتكفيره ، ودفعوه إلى أبي بكر الخيَّاط ، فأرسل يلوم الشَّيخ مجد الدِّين على ذلك ، فكتب إليه : إن كان الكتاب بكفك فأحرقه ، فإنه افتراء من الأعداء ، وأنا من أعظم المعتقدين في الإمام أبي حنيفة ، وذكرت مناقبه في مجلد .

وكذلك دسُّوا على الإمام الغزالي عدة مسائل في كتاب " الإحياء " ، وظفر القاضي عياض بنسخة من تلك النُّسخ فأمر بإحراقها ، وكذلك دسُّوا عليَّ أنا في كتابي المسمَّى بـ" البحر المورود " جملة من العقائد الزَّائغة ، وأشاعوا تلك العقائد في مصر ومكَّة نحو ثلاث سنوات ، وأنا بريء منها ، وكان العلماء كتبوا عليه وأجازوه ، فما سكنت الفتنة حتى أرسلت إليهم النُّسخة التي عليها خطوطهم ... إذا علمت ذلك فيحتمل أنَّ الحسدة دسُّوا على الشَّيخ في كتبه ، كما دسُّوا في كتبي أنا ، فإنه أمر قد شاهدته عن أهل عصري في حقِّي ، فالله يغفر لنا ولهم آمين " (٢) .

أمَّا عمَّا زعمه وافتراه ابن تيمية على الإمام الأكبر من أنَّه ينتقص الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام ، فيكفي في ردِّه أن يقول الإمام الأكبر : " فواجب على المذكر إقامة حُرمة الأنبياء عليهم السَّلام والحياء من الله أن لا يقلِّد اليهود فيما قالوا في حقِّ الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام من المثالب ونقلة المفسِّرين خذلهم الله " .

ويقول أيضاً : " إنَّ شرط أهل الطَّريق في ما يخبرون عنه من المقامات والأحوال أن يكون عن ذوق ، ولا ذوق لنا ولا لغيرنا ولا لمن ليس بنبي صاحب شريعة في نبوة التَّشريع ولا في الرِّسالة ، فكيف نتكلَّم في مقام لم نصل إليه أو على حال لم نذقه لا أنا ولا غيري ممن ليس بنبي ذي شريعة من الله ، ولا رسول ؟ حرام علينا الكلام فيه ... حضرت في مجلس فيه جماعة من العارفين ، فسأل بعضهم بعضاً : من أي مقام سأل موسى الرُّؤية ؟ فقال الآخر : من مقام الشَّوق .

---

(١) انظر : الفتاوى الحديثية (ص٢٧١) .

(٢) انظر : اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر (ص٧) .

فقلت له : لا تفعل ، أصل الطَّريق نهايات الأولياء بدايات الأنبياء ، فلا ذوق للولي في حال من أحوال أنبياء الشَّرائع ، ومن أصولنا أنا لا نتكلَّم إلَّا عن ذوق ، ونحن لسنا برسل ولا أنبياء شريعة ، فبأي شئ نعرف من أي مقام سأل موسى الرُّؤية " (١) .

فهذه بعض افتراءات المتمسلفة على الإمام الأكبر ابن عربي رحمه الله ، مع أنَّه لم يسلم من ألسنتهم عالم من علماء الأمَّة الذين لم يسيروا على منهجهم ، خاصَّة بعد أن حكموا بكفر من سواه ، فانظروا إلى الشَّيخ محمَّد ابن عثيمين وهو يقول مكفِّراً المتوسِّلين إلى الله تعالى بالأنبياء والصَّالحين : " فَأَي إِنْسَان يَدْعُو غير الله أَو يستغيث بِغَيْر الله بِمَا لَا يقدر عَلَيْهِ إِلَّا لله عز وَجل فَإِنَّهُ مُشْرك كَافِر وَلَيْسَ بولِي لله وَلَو ادّعى ذَلِك بل دَعْوَاهُ أَنَّه ولي مَعَ عدم توحيده وإيمانه وتقواه دَعْوَى كَاذِبَة تنَافِي الْولَايَة ..." (٢) .

ويقول المدعو محمَّد حامد الفقي في تحقيقه لكتاب : " فتح المجيد " : " في قرَّة العيون : فصارت هذه الأصنام بهذا التَّصوير على صور الصَّالحين سُلَّماً إلى عبادتها . وكل ما عبد من دون الله ، من قبر أو مشهد ، أو صنم ، أو طاغوت ، فالأصل في عبادته هو الغلو . كما لا يخفى على ذوي البصائر ، كما جرى لأهل مصر وغيرهم ؛ فإنَّ أعظم آلهتهم أحمد البدوي ، وهو لا يعرف له أصل ولا فضل ولا علم ولا عبادة . ومع هذا فصار أعظم آلهتهم مع أنَّه لا يعرف إلَّا أنَّه دخل المسجد يوم الجمعة فبال فيه ثمَّ خرج ولم يصلي . ذكره السَّخاوي عن أبي حيَّان . فزيَّن لهم الشَّيطان عبادته فاعتقدوا أنَّه يتصرف في الكون ، ويطفئ الحريق وينجي الغريق ، وصرفوا له الإلهيَّة والرُّبوبيَّة وعلم الغيب ، وكانوا يعتقدون أنَّه يسمعهم ويستجيب لهم من الدِّيار البعيدة ، وفيهم من يسجد على عتبة حضرته ، وكان أهل العراق ومن حولهم كأهل عمان يعتقدون في عبد القادر الجيلاني ؛ كما يعتقد أهل مصر في البدوي . وعبد القادر من متأخِّري الحنابلة وله كتاب " الغُنية " ، وغيره ممَّن قبله وبعده من الحنابلة أفضل منه في العلم والزُّهد ، لكن فيه زهد وعبادة ، وفتنوا به أعظم فتنة ، كما جرى من الرَّافضة مع أهل البيت. وسبب ذلك الغلو دعوى أنَّ له كرامات ، وقد جرت الكرامات لمن هو خير منه وأفضل كبعض الصَّحابة والتَّابعين ، وهكذا حال أهل الشِّرك مع من فتنوا به . وأعظم من هذا عبادة أهل الشَّام لابن عربي ، وهو إمام أهل الوحدة الذين هم أكفر أهل الأرض وأكثر من يعتقد فيه هؤلاء لا فضل له ولا دين كأناس بمصر وغيره ،

---

(١) انظر : الفتوحات المكية (٢/ ٥١) .

(٢) انظر : فتاوى مهمة لعموم الأمَّة ( ص٩٤-٩٥) .

وجرى في نجد قبل هذه الدَّعوة مثل هذا . وفي الحجاز واليمن وغيرها من عبادة الطَّواغيت والأشجار والأحجار والقبور ما عمت به البلوى ، كعبادتهم للجنِّ وطلبهم للشَّفاعة منهم " (١) .

وجاء في " الدُّرر السَّنيَّة " : " ... وسُئل أيضاً الشَّيخ محمَّد بن الشَّيخ عبد اللطيف بن عبد الرَّحمن ، عن حكم من اتَّصف بالكفر اليوم وقام به ، من بادية نجد ، هل هو كفر أصلي ، أم طارئ ؟ وهل عمهم الإسلام ، في وقت دعوة شيخ الإسلام ، محمَّد بن عبد الوهَّاب ، رحمه الله تعالى أم لا ؟

فأجاب : اعلم – وفَّقني الله وإياك للصواب – أنَّ أهل نجد باديتهم وحاضرتهم ، قبل دعوة شيخ الإسلام ، وعلم الهداة الأعلام ، مجدد ما اندرس من معالم الإسلام ، الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب ، قدَّس الله روحه ، ونوَّر ضريحه ، في جاهليَّة جهلاء ، وضلالة عمياء ؛ قد اشتدت غربة الإسلام فيها بينهم ، واستحكمت ، وعمَّ الشرُّ وطم ، وفشا الشِّرك ، وشاع الكفر وذاع ، في القرى والأمصار ، والبادية والحضار ، وصارت عبادة الطَّواغيت والأوثان ، ديناً يدينون به ، ويعتقدون في الأولياء ، أنَّهم ينفعون ويضرُّون " (٢) .

وجاء في " الدُّرر السَّنيَّة " : " وأمَّا إذا كان الشِّرك فاشياً ، مثل دعاء الكعبة والمقام والحطيم ، ودعاء الأنبياء والصَّالحين ، وإفشاء توابع الشِّرك ، مثل الزِّنى والرِّبا ، وأنواع الظُّلم ، ونبذت السُّنَّة وراء الظَّهر ، وفشت البدع والضَّلالات ، وصار التَّحاكم إلى الأئمَّة الظَّلمة ، ونواب المشركين ، وصارت الدَّعوة إلى غير القرآن والسُّنَّة ، وصار هذا معلوماً في أي بلد كان ، فلا يشكّ من له أدنى علم : أن هذه البلاد ، محكوم عليها بأنها بلاد كفر ، وشرك " (٣) .

وحتى الصَّحابة لم يسلموا من لسان الإمام ابن تيمية ، كما في كتابه : " اقتضاء الصِّراط المستقيم " ، حيث اعترض على عبد الله بن عمر تتبُّعه للأماكن التي صَلَّى فيها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وتحرَّاها لأجل الصَّلاة فيها ، فقال : " فأمَّا قصد الصَّلاة في تلك البقاع التي صَلَّى فيها اتفاقاً ، فهذا لم ينقل عن غير ابن عمر من الصَّحابة ... وتحرِّي هذا ليس من سنة الخلفاء الرَّاشدين ، بل هو ممَّا ابتدع ، وقول الصَّحابي إذا خالفه نظيره ، ليس بحجَّة ، فكيف إذا انفرد به عن جماهير الصَّحابة ؟

---

(١) انظر : فتح المجيد شرح كتاب التَّوحيد (٢٢٠هامش) .

(٢) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية ( ١٠/ ٤٤٩) .

(٣) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية ( ٩/ ٢٦٠) .

أيضاً : فإنَّ تحرِّي الصَّلاة فيها ذريعة إلى اتِّخاذها مساجد ، والتَّشبُّه بأهل الكتاب ممَّا نُهينا عن التَّشبُّه بهم فيه ، وذلك ذريعة إلى الشِّرك بالله !!! " (١) .

فابن تيمية يصف الصَّحابي الجليل ابن عمر رضي الله عنهما بالمبتدع ، لأنَّه كان يتتبَّع الأماكن التي صَلَّى فيها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ويتحرَّاها لأجل الصَّلاة فيها ، مع أنَّه ثبت عن الصَّحابة الكرام أنَّهم تبرَّكوا بالكعبة ، فاستلموها ومسحوا بأيديهم على وجوههم تبرُّكاً...

فعَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي محمَّد بْنُ الْمُرْتَفِعِ ، أنَّه رَأَى ابْنَ الزُّبَيْرِ ، وَعُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِذَا اسْتَلَمَا مَسَحَا وُجُوهَهُمَا بِأَيْدِيهِمَا " (٢) .

وعن عونِ ابْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ : أَخْبَرَنِي شَيْخٌ مِنَّا يُقَالُ لَهُ حُمَيْدُ بْنُ حِبَّانٍ قَالَ : رَأَيْتُ سَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللهِ إِذَا اسْتَلَمَ الرُّكْنَ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى خَدِّهِ " (٣) .

وعَنْ مَعْمَرٍ قَالَ : لَمْ أَرَ أَحداً يَسْتَلِمُ إِلَّا وَهُوَ يُقَبِّلُ يَدَهُ ، وَأَدْرَكْنَا النَّاس عَلَى ذَلِكَ ، قَالَ : وَلَقَدْ رَأَيْتُ أَيُّوبَ كَثِيراً مِمَّا يَمْسَحُ عَلَى وَجْهِهِ بِيَدِهِ إِذَا اسْتَلَمَ بَعْدَ أَنْ يُقَبِّلَ يَدَهُ " (٤) .

وعَنْ سَعْدِ بْنِ حَمَّادٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي مُوسَى ابْنِ أَبِي الْفُرَاتِ ، أَوْ فُلَانُ بْنُ أَبِي الْفُرَاتِ قَالَ : رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَسْتَلِمُ الرُّكْنَ الْيَمَانِيَّ ، ثمَّ يُقَبِّلُ يَدَهُ ، ثمَّ يَمْسَحُ بِهَا وَجْهَهُ " (٥) ...

وهؤلاء الصَّحابة الكرام ما تبرَّكوا بالرُّكن ومسَحُوا بأيديم على وجوههم إلَّا بعد أنَّ رأوا الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يفعل ذلك ، فقد روى النَّسائي وغيره بسندهم عَنِ ابْنِ عبَّاس قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إِذَا اسْتَلَمَ الرُّكْنَ الْيَمَانِىَ قَبَّلَهُ وَوَضَعَ خَدَّهُ الأَيْمَنَ عَلَيْهِ " (٦) .

قال الإمام ابن حجر العسقلاني : " ... وَاسْتَحَبَّ بَعْضُهُمْ تَقْبِيلَ الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ أَيْضاً فَائِدَةٌ أُخْرَى اسْتَنْبَطَ بَعْضُهُمْ مِنْ مَشْرُوعِيَّةِ تَقْبِيلِ الْأَرْكَانِ : جَوَازَ تَقْبِيلِ كُلِّ مَنْ يَسْتَحِقُّ التَّعْظِيمَ مِنْ آدَمِيٍّ وَغَيْرِهِ ، فَأَمَّا تَقْبِيلُ يَدِ

---

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ٢٧٨-٢٧٩) .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٥/ ٤١ برقم ٨٩٣٠) .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٥/ ٤٢ برقم ٨٩٣١) .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٥/ ٤٢ برقم ٨٩٣٢) .

(٥) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٥/ ٤٢ برقم ٨٩٣٣) .

(٦) أخرجه النسائي في السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي (٥/ ٧٦ برقم ٩٥٠٣) ، ورواه ابن أبي شيبة عن مجاهد ، انظر : مُصنف ابن أبي شيبة (٤/ ٤٠ برقم ١٥٦١٨) .

الْآدَمِيِّ فَيَأْتِي فِي كِتَابِ الْأَدَبِ ، وأَمَّا غَيْرُهُ فَنُقِلَ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ أَنَّه سُئِلَ عَنْ تَقْبِيلِ مِنْبَرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَتَقْبِيلِ قَبْرِهِ فَلَمْ يَرَ بِهِ بَأْساً ، وَاسْتَبْعَدَ بَعْضُ أَتْبَاعِهِ صِحَّةَ ذَلِك ، وَنقل عَن بن أَبِي الصَّيْفِ الْيَمَانِيِّ أَحَدِ عُلَمَاءِ مَكَّةَ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ جَوَازَ تَقْبِيلِ الْمُصْحَفِ ، وَأَجْزَاءِ الْحَدِيثِ ، وَقُبُورِ الصَّالحين ، وَبِاللهِّ التَّوْفِيق "(١) .

وقال الإمام أبو محمَّد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدِّين العينى (٨٥٥هـ) نقلاً عن شيخه الإمام زين الدِّين أبو الفضل عبد الرَّحيم العراقي الشَّافعي (٨٠٦هـ) : " وأمَّا تَقْبِيل الْأَمَاكِن الشَّرِيفَة على قصد التَّبرُّك ، وَكَذَلِكَ تَقْبِيل أَيدي الصَّالحين وأرجلهم فَهُوَ حسن مَحْمُود بِاعْتِبَار الْقَصْد وَالنِّيَّة ، وَقد سَأَلَ أَبُو هُرَيْرَة الْحسن ، رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ ، أَن يكْشف لَهُ الْمَكَان الَّذِي قبله ، رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسلم، وَهُوَ سرته ، فَقبله تبركا بآثاره وَذريته ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وَقد كَانَ ثَابت الْبنانِيّ لَا يدع يَد أنس ، رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ ، حَتَّى يقبلهَا ، وَيَقُول : يَد مست يَد رَسُول الله ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وَقَالَ أَيْضاً : وَأَخْبرنِي الْحَافِظ أَبُو سعيد ابْن العلائي قَالَ : رَأَيْت فِي كَلَام أَحْمد بن حَنْبَل فِي جُزْء قديم عَلَيْهِ خطّ ابْن نَاصِر وَغَيره من الْحفاظ ، أَن الإِمَام أَحْمد سُئِلَ عَن تَقْبِيل قبر النَّبي ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وتقبيل منبره ، فَقَالَ : لَا بَأْس بذلك ، قَالَ : فأريناه للشَّيْخ تَقِيّ الدِّين بن تَيْمِية فَصَارَ يتعجَّب من ذَلِك ، وَيَقُول: عجبت أَحْمد عِنْدِي جليل يَقُوله ؟ هَذَا كَلَامه أَو معنى كَلَامه ؟ وَقَالَ : وَأي عجب فِي ذَلِك وَقد روينَا عَن الإِمَام أَحْمد أَنَّه غسل قَمِيصاً للشَّافِعِيّ وَشرب المَاء الَّذِي غسله بِهِ ، وَإِذا كَانَ هَذَا تَعْظِيمه لأهل الْعلم فَكيف بمقادير الصَّحابة ؟ وَكَيف بآثار الْأَنْبِيَاء ، عَلَيْهِم الصَّلاة والسَّلام " (٢) .

فالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى أجاز تقبيل القبر الشَّريف ، وكذا منبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وأنَّه لا بأس بذلك ، في الوقت الذي استغرب فيه ابن تيمية هذا الصَّنيع من أحمد . فإذا كان ابن تيمية صادقاً في متابعة السَّلف فلماذا شاح بوجهه عمَّا قاله الإمام أحمد ؟ ولماذا لم يلتزمه ؟ أم أنَّ الاتِّباع مجرَّد كلام ليل يمحوه النَّهار ؟ ولماذا لم يُمعن ابن تيمية النَّظر في صنيع الإمام أحمد حين غسل قميصاً للإمام الشَّافعي وشرب الماء الذي غسله به ؟ وماذا سيصنع الإمام أحمد لو وجد قميصاً للرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ؟ أو قميصاً لأبي بكر أو عمر أو غيرهما من الصَّحابة رضوان الله عليهم أجمعين ... نبِّئوني بعلم إن كنتم صادقين ...

---

(١) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣/ ٤٧٥) .

(٢) انظر : : عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٩/ ٢٤١) .

وهنا لا بدَّ من الإشارة إلى مسألة ذكرها الإمام العيني ، وهي تَقْبِيل أَيدي الصَّالحين وأرجلهم ، وهذا أمر فعله السَّلف الصَّالح ، فقد أخرج الطبراني بسنده عن يَحْيَى بْنُ الْحَارِثِ الذِّمَارِيُّ قَالَ : لَقِيتُ وَاثِلَةَ بْنَ الأَسْقَعِ ، فَقُلْتُ : بَايَعْتَ بِيَدِكَ هَذِهِ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، فَقَالَ : نَعَمْ ، فَقُلْتُ : أَعْطِنِي يَدَكَ أُقَبِّلُهَا فَأَعْطَانِيهَا فَقَبَّلْتُهَا " (١) .

وذكر الإمام أبو العبَّاس ، أحمد بن عبد الله بن محمَّد ، محب الدِّين الطَّبري (٦٩٤هـ) في كتابه : " الرِّيَاضُ النَّضِرَةُ في مَنَاقِبِ العَشَرَة " عن أبي رجاء العطاردي ، قال : دخلتُ المدينة فرأيت النَّاس مجتمعين ، ورأيت رجلاً يقبِّل رأس رجل ، وهو يقول : أنا فداؤك ولولا أنت لهلكنا ، فقلت : من المقبِّل ، ومن المقبَّل ؟ قالوا : ذاك عمر يقبِّل رأس أبي بكر في قتاله أهل الرِّدَّة ، إذ منعوا الزَّكاة حتى أتوا بها صاغرين " (٢) .

ولم يزل العلماء يقبِّلون أيدي الصَّالحين ، من غير نكير ، فقد ذكر الإمام أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (٤٣٠هـ) كلاماً للإمام الفضيل بن عياض (١٨٧هـ) ، جاء في آخره : " فَقَبَّلَ ابْنُ الْمُبَارَكِ (١٨١هـ) جَبْهَتَهُ ، وَقَالَ : يَا مُعَلِّمَ الْخَيْرِ مَنْ يُحْسِنُ هَذَا غَيْرُكَ " (٣) .

ولَمَّا كانت حرمة المؤمن عند الله تعالى أعظم من حرمة الكعبة المشرَّفة ، فما المانع من التَّبرُّك والتَّوسُّل به إلى الله تعالى ؟!!!

مع أنَّ ابن تيمية ابتدع وأيَّد عقائد ما أنزل الله بها من سلطان ومن أقوال ابن تيمية في ذلك :

قال الإمام ابن تيمية أيضاً : " ولم يذم أحدٌ من السَّلف أحداً بأنه مجسِّمٌ ، ولا ذم المجسِّمة ، وإنَّما ذمُّوا الجهميَّة النفاة لذلك !!! وغيره ... " (٤) .

وقال الإمام ابن تيمية أيضاً : " والموصوف بهذه الصِّفات لا يكون إلَّا جسماً ، فالله تعالى جسمٌ لا كالأجسام !!! قالوا : وهذا ممَّا لا يمكن النِّزاع فيه !! إذا فهم المعنى المراد بذلك ، لكن أيّ محذور في ذلك ؟!! وليس في كتاب الله ولا سُنَّة رسوله ولا قول أحد من سلف الأمَّة وأئمَّتها ، أنَّه ليس بجسم ، وأنَّ صفاته ليست

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢/ ٩٤ برقم ٢٢٦) .

(٢) انظر : الرياض النضرة في مناقب العشرة (١/ ١٤٨) .

(٣) انظر : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٩١) .

(٤) انظر : بيان تلبيس الجهميَّة في تأسيس بدعهم الكلامية (١/ ٣٧٢) .

أجساماً وأعراضاً ؟!! فنفي المعاني الثَّابتة بالشَّرع والعقل ؛ بنفي ألفاظ لم ينف معناها شرع ولا عقل ، جهلٌ وضلال " (١) .

قلت : وهذا كلام جدٌّ خطير من ابن تيمية ، فَمَن من السَّلف قال بأنَّ الله تعالى : جسم لا كالأجسام ؟ بل إنَّ عقلاء الحنابلة وغيرهم شنَّعوا على من قال بذلك : قال الإمام أحمد بن حمدان بن سبيب بن حمدان النمري الحرَّاني الحنبلي (٦٩٥هـ) : " ... لا يُشبه شيئاً ولا يُشبهه شيء ، ومن شبَّهه بخلقه فقد كفر ، نصَّ عليه أحمد . وكذا من جسَّم ، أو قال : أنَّه جسم لا كالأجسام . ذكره القاضي " (٢) .

وقال الإمام ابن عابدين ، محمَّد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدِّمشقي الحنفي (١٢٥٢هـ) : " (قَوْلُهُ : كَقَوْلِهِ جِسْمٌ كَالْأَجْسَامِ) وَكَذَا لَوْ لَمْ يَقُلْ كَالْأَجْسَامِ ، وأمَّا لَوْ قَالَ لَا كَالْأَجْسَامِ فَلَا يَكْفُرُ لأَنَّه لَيْسَ فِيهِ إلَّا إطْلَاقُ لَفْظِ الْجِسْمِ الْمُوهِمِ لِلنَّقْصِ فَرَفَعَهُ بِقَوْلِهِ لَا كَالْأَجْسَامِ ، فَلَمْ يَبْقَ إلَّا مُجَرَّدَ الْإِطْلَاقِ ، وَذَلِكَ مَعْصِيَةٌ " (٣) .

وقال الإمام عثمان بن علي بن محجن البارعي ، فخر الدِّين الزَّيلعي الحنفي (٧٤٣هـ) : " وَالْمُشَبِّهِ إذَا قَالَ : لَهُ تَعَالَى يَدٌ وَرِجْلٌ كَمَا لِلْعِبَادِ فَهُوَ كَافِرٌ مَلْعُونٌ ، وَإِنْ قَالَ : جِسْمٌ لَا كَالْأَجْسَامِ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ ؛ لأَنَّه لَيْسَ فِيهِ إلَّا إطْلَاقَ لَفْظِ الْجِسْمِ عَلَيْهِ ، وَهُوَ مُوهِمٌ لِلنَّقْصِ فَرَفَعَهُ بِقَوْلِهِ : لَا كَالْأَجْسَامِ ، فَلَمْ يَبْقَ إلَّا مُجَرَّدَ الْإِطْلَاقِ ، وَذَلِكَ مَعْصِيَةٌ تَنْتَهِضُ سَبَباً لِلْعِقَابِ " (٤) .

فأقلُّ ما قاله العلماء فيمن قال : جسمٌ لا كالأجسام : أنَّه مبتدع عاصٍ يستحقُّ العقاب ، وبعضهم حكم بكفره ، والعياذ بالله ...

وقال الإمام ابن تيمية : " وإذا كان كذلك ، فاسم المشبِّهة ليس له ذكرٌ بذمٍّ في الكتاب والسُّنَّة ، ولا كلام أحد من الصَّحابة والتَّابعين ؛ ولكن تكلَّم طائفةٌ من السَّلف مثل عبد الرَّحمن بن مهدي (١٩٨هـ) ، ويزيد بن هارون (٢٠٦هـ) ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه (٢٣٨هـ) ، ونعيم بن حماد ، وغيرهم بذمِّ المشبِّهة ، وبيَّنوا المشبِّهة الذين ذمُّوهم ... " (٥) .

---

(١) انظر : بيان تلبيس الجهميَّة في تأسيس بدعهم الكلامية (١/ ٣٧٣) .

(٢) انظر : نهاية المبتدئين في أصول الدِّين (ص٣١) .

(٣) انظر : رد المحتار على الدر المختار ، ابن عابدين (١/ ٥٦١) .

(٤) انظر : تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ (١/ ١٣٥) .

(٥) انظر : بيان تلبيس الجهميَّة في تأسيس بدعهم الكلامية (١/ ٣٨٧) .

وهذا كلام غريب ، وفذلكة من ابن تيمية ومن يدَّعي السَّلفيَّة ، وإلَّا فبالله عليكم ماذا تُسمُّون من يصحِّح حديث الشَّابِّ الأمرد في كتابه : " بيان تلبيس الجهميَّة " ، وماذا تُسمُّون من يقول : إنَّ لله تعالى صورة كصورة الإنسان ؟!! وهذا عنوان كتاب لواحد من مدَّعي السَّلفيَّة اسمه : " عقيدةُ أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الإنسان " ، وقد قرَّظ الكتاب شيخهم ابن باز ... أليس هذا تشبيهاً لله تعالى بخلقه ... أم ماذا تسمُّونه يا أهل النُّهى والحجى ؟! ذاب الثلج وبان المرج ، ولم يعُد شيء خافياً على ذي لبٍّ ...

وقال الإمام ابن تيمية أيضاً : " والبارئ سبحانه وتعالى فوق العالم فوقيَّة حقيقيَّة ليست فوقيَّة الرُّتبة " (١) . فماذا تسمُّون هذا ...

وقال الإمام ابن تيمية أيضاً : " فقوله : " فإذا أنا بربي في أحسن صورة " ، صريحٌ في أنَّ الذي كان في أحسن صورة هو ربُّه " (٢) . وماذا تقولون في هذا التَّشبيه ؟؟

وقال الإمام ابن تيمية أيضاً : " ... أنَّ حديث أُم الطُّفيل نصٌّ في أنَّ الصُّورة كانت للمرئي ، حيث قال : سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يذكر أنَّه رأى ربَّه في صورة شاب موفر ، رجلاه في خضر ، عليه نعلان من ذهب ، على وجهه فراش من ذهب " (٣) .

وهذا أيضاً ... ألا يُعتبر ما تضمَّنه الحديث تشبيهاً لله تعالى بخلقه ؟!! أم ماذا هو ؟!! وألا يعتبر الحديث تحديداً لله تعالى ؟ وألا يشتمل الحديث على كونه تعالى متحيِّزاً ؟!! لأنَّ الشَّاب الأمرد لا يعيش إلَّا ضمن حيِّزٍ ، ثمَّ أليس الحديث لوناً من ألوان التَّجسيم بأبعاده الثَّلاثة من الطُّول والعرض والارتفاع ؟!! مع أنَّ حديث أُم الطُّفيل هذا حديث باطل منكر ، حكم بضعفه الإمام أحمد ، قال القاضي أبو يعلى (٤٥٨هـ) : " ورأيت فِي مسائل مهنا بن يحيى الشَّامي (٢٦٠هـ) ، قَالَ : سألته يعني أَحْمَد عن حديث رواه ابن وهب ، عن عمرو بن الحرث ، عن سعيد بن أَبِي هلال ، أن مروان بن عثمان حدثه ، عن أُم الطُّفيل امرأة أَبِي بن كعب ، أنَّها قالت : سمعت النَّبي ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " يذكر أنَّه رأى ربَّه فِي المنام فِي صورة شاب موفر رجلاه فِي خضر عليه نعلان من ذهب ،

---

(١) انظر : بيان تلبيس الجهميَّة في تأسيس بدعهم الكلامية (١/ ٣٩٠) .

(٢) انظر : بيان تلبيس الجهميَّة في تأسيس بدعهم الكلامية (١/ ٣٥٨) .

(٣) انظر : بيان تلبيس الجهميَّة في تأسيس بدعهم الكلامية (٧/ ٣٦٥) .

عَلَى وجهه فراش من ذهب " فحوَّل وجهه عني وَقَالَ : هَذَا حديث منكر، وَقَالَ : لا نعرف هَذَا رجل مجهول يعني مروان بن عثمان ، فظاهر هَذَا التَّضعيف من أَحْمَد لحديث أم الطُّفيل " (١) .

وقال الإمام ابن تيمية أيضاً : " ... فإذا أنا بربِّي في أحسن صورة ، فقال : يا محمَّد ، فقلت : لبَّيك يا ربّ ، قال : فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قال : قلت : لا أدري ، قالها ثلاثاً ، قال : فرأيته وضع كفَّه بين كتفي ، حتى وجدت برد أنامله بين ثديي ... " (٢) .

وماذا تسمُّون هذا ؟!!! مع أنَّ الحديث موضوعٌ تالفٌ وقد ضعَّفه الإمام أحمد كما سبق ، وقال الأستاذ حسن السقَّاف في تخريجه للحديث : " هذا الحديث لا يثبت من ناحية سنده ومتنه من وجوه :

الأوَّل : رواه التِّرمذي في سننه (٥ / ٣٦٦) وحسَّنه ، والخطيب البغدادي في تاريخه (٨ / ١٥٢) ، وابن الجوزي في الموضوعات (١ / ١٢٥) ، والطَّبراني في " المعجم الكبير " (١ / ٣١٧) ، وأورده الحافظ السُّيوطي في كتابه " اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة " (١ / ٣١) ، وذكر أنَّ في سنده حمَّاد بن سلمة (١٦٧هـ) ، وقد روي الحديث عن حمَّاد بلفظ آخر ، كما قال السُّيوطي في " اللآلئ المصنوعة " (١ / ٣١) ، ذكر هذا اللفظ الحافظ الذَّهبي في " الميزان " ، وابن عدي في " الكامل في الضُّعفاء " ، ففي الميزان - أعني " ميزان الاعتدال " - (١ / ٥٩٣) ، قال : رأيت ربِّي جعداً أمرد عليه حلة خضراء . قلت : أورد الذَّهبي صدر الحديث الذي نحن بصدده والذي اضطرب فيه الرُّواة وماجوا اضطراباً عجيباً في كتابه القيِّم " سير أعلام النُّبلاء " (١٠ / ١١٣ - ١١٤) من طريق حمَّاد هذا ، وقال : وهو بتمامه في تأليف البيهقي (٤٥٨هـ) ، وهو خبر منكر ، نسأل الله السَّلامة في الدِّين .. ا.هـ . قلت : الإمام الحافظ البيهقي قال في كتابه " الأسماء والصِّفات " (ص ٣٠٠ بتحقيق المحدث الكوثري) : وقد روي من وجه آخر وكلّها ضعيف . ا.هـ قلت : وهذا تصريحٌ من البيهقي بضعف طرق هذا الحديث ، وقول الذَّهبي معه بأنَّه منكر ، مع إيراد الحافظ السُّيوطي وابن الجوزي له في " الموضوعات " يثبت وضعه بلا شكٍّ ولا ريب . كما أنَّ الحافظ ابن خزيمة أطال في ردَّ أحاديث الصُّورة في كتابه في " الصِّفات " .

فإن قال قائل : قد حسَّن الترمذي الحديث بل قد صحَّحه في بعض الرِّوايات عنه ، قلنا : هذا لا ينفع لوجوه : منها : أنَّ التِّرمذي رحمه الله تعالى متساهل في التَّصحيح والتَّحسين ، مثله مثل الحاكم رحمه الله في المستدرك ، يصحِّح الموضوعات ، كما هو مشهور عند أهل الحديث . ومنها : أنَّ تضعيف هؤلاء الحفاظ الذين

---

(١) انظر : إبطال التأويلات لأخبار الصفات (١/ ١٤٠-١٤١) .

(٢) انظر : بيان تلبيس الجهميَّة في تأسيس بدعهم الكلامية (٧/ ٢٠٧) .

ذكرناهم وهم جهابذة أهل الحديث الذين حكموا على الحديث بأنَّه منكر وموضوع وغير ذلك ، مقدَّم على تحسين التِّرمذي أو تصحيحه . ومنها : أنَّ الثَّابت من كلام التِّرمذي رحمه الله من نسخ سننه أنَّه قال : حسن غريب ، كما نقل ذلك عنه الحافظ المزِّي في " تحفة الأشراف " (٤ / ٣٨٢ / ٤) ، والمنذري في " التَّرغيب والتَّرهيب " ، وقد فصَّل القول في المسألة الحافظ ابن حجر العسقلاني حيث قال في كتابه : " النُّكت الظِّراف " المطبوع مع " تحفة الأشراف " معلِّقاً على قول التِّرمذي حسن غريب ما نصّه : " حديث : أتاني ربِّي في أحسن صورة ... الحديث . قلت : قال محمَّد بن نصر المروزي في كتاب " تعظيم قدر الصَّلاة " : هذا حديث اضطرب الرُّواة في إسناده ، وليس يثبت عند أهل المعرفة " . ا.هـ كلام ابن حجر العسقلاني . وقال الحافظ ابن حجر في " تهذيب التَّهذيب " (٦ / ١٨٥ طبعة دار الفكر) : قال أبو زرعة الدِّمشقي : قلت لأحمد : إنَّ ابن جابر يحدِّث عن ابن اللجلاج عن عبد الرَّحمن بن عائش حديث : " رأيت ربِّي في أحسن صورة " ، ويحدث به قتادة ، عن أبي قلابة ، عن خالد بن اللجلاج ، عن ابن عبَّاس ، قال : هذا ليس بشيء . ا.هـ وقال ابن الجوزي في كتابه " العلل المتناهية " (١ / ٣٤) عقب هذا الحديث : أصل هذا الحديث وطرقه مضطربة ، قال الدَّارقطني : كلُّ أسانيده مضطربة ليس فيها صحيح ا.هـ. قلت : والمضطرب من أقسام الضَّعيف ، كما هو معلوم ...

الوجه الثَّاني : هناك ألفاظ منكرة في متن الحديث تؤكِّد وضعه ، منها : إثبات الصُّورة لله تعالى ، وكذلك إثبات الكفِّ له سبحانه وتعالى عن ذلك ، وأنَّها بقدر ما بين كتفي سيِّدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وإثبات علم ما في السَّماوات والأرض للنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وغير ذلك ممَّا لا أودُّ الآن الإطالة بسرده ، فأقول مجيباً عن بعض هذه المسائل : أمَّا الأولى : فالله عزَّ وجلَّ ليست له صورة ، بلا شكٍّ ، وذلك لأنَّه بيَّن أنَّ المخلوقات ، ومنها الإنسان : مركَّبة من صورة ، وهو سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] ، إذ قال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ * ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ * فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٦ - ٨ ] ، وأجمع أهل السُّنَّة على استحالة الصُّورة على الله عزَّ وجلَّ ، كما نقل ذلك الاجماع الشَّيخ الإمام عبد القاهر البغدادي في كتابه العظيم " الفرق بين الفرق " (ص ٣٣٢) ، وقال الشَّافعي (٢٠٤هـ) رحمه الله تعالى ورضي عنه ، كما في " سير أعلام النُّبلاء " ، و " الحلية " (٩ / ١٠٥) ، و " آداب الشَّافعي " لابن أبي حاتم (٢٣١) ، وغير ذلك : الاجماع أكبر من الحديث المنفرد . ا هـ. أي أنَّ الاجماع إذا صادمه حديث آحاد أسقط

الاحتجاج به ، بل يدلُّ ذلك على وضعه ، وأنَّه لا أصل له ، كما يقول الحافظ الخطيب البغدادي في كتابه : " الفقيه والمتفقه " (١ / ١٣٢) ؟

كما أنَّ قوله في الحديث : " فعلمت ما بين السَّماوات والأرض " تنقضه نصوص صحيحة صريحة ، منها : قوله تعالى : ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام : ٥٩ ] ، ، فالله عزَّ وجل أوضح لنا وبيَّن أنَّ علمه بهذه الأشياء الموجودة في ظلمات الأرض ممَّا لا يعلمها إلَّا هو ، وأمَّا الملائكة فكلٌّ منهم موكَّل بشيء محدود معلوم في السَّماء أو في الأرض ، أمَّا علم جميع وظائفهم ، وما في السَّماء والأرض فهو لله عزَّ وجلَّ . ومنها : قوله سبحانه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحجرات : ١٨ ] ، فلو كان سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يعلم ذلك أيضاً لقال : " إنَّ الله ورسوله يعلمان غيب السَّماوات والأرض " . وفي الحديث الصَّحيح : سئل النَّبي صَلَّى الله عليه وسلم: أي البقاع خير ؟ فقال : " لا أدري " ، فقال السَّائل : أي البقاع شرّ ؟ فقال : " لا أدري " ، فسأل سيِّدنا جبريل ، فقال : لا أدري ، فسأل الله تعالى ، فأوحى إليه : إنَّ خير البقاع المساجد ، وشرّ البقاع الأسواق ... " (١) .

وقال الإمام ابن تيمية أيضاً : " أنَّا قد قدَّمنا أنَّ جميع ما يذكر من هذه الأدلَّة التي تنفي الجسم على اصطلاحهم ، فإنَّها أدلَّة باطلة !!! لا تصلح لمعارضة دليل ظنِّي ولا قطعي " (٢) .

والكلام في مثل هذه المعاني التَّشبيهيَّة يطول ، والغريب أنَّ من يدَّعون السَّلفيَّة لا يحيدون عمَّا قاله ابن تيمية قيد أنمله ، بل يعتقدون ما يعتقد من غير نكير ولا تغيير ، وهو عندهم المرجع الذي لا يُجارى ولا يُبارى ، ومن الأمثلة على متابعة من يدَّعون السَّلفيَّة لإمامهم ابن تيميَّة : أنَّ المدعو : عبد الكريم صالح الحميد ، ألَّف كتاباً سمَّاه : " القول المختار لبيان فناء النَّار " ردَّ فيه على الشَّيخ الألباني الذي عارض الإمامين : ابن تيميَّة وتلميذه ابن قيِّم الجوزيَّة القائلين بفناء النَّار ، مع أنَّ بقاء النَّار من الضّروريات في دين الله تعالى . وكتاب " عبد الكريم الحميد " هو من (منشورات مطبعة السفير ، الرياض ، ١٤١٢هـ) . مع العلم أنَّ العلماء قديماً ردُّوا على ابن تيمية قوله

---

(١) انظر : أقوال الحفاظ المنثورة لبيان وضع حديث : " رأيت ربِّي في أحسن صورة ، الأستاذ حسن السقاف ، بذيل كتاب دفع شبه التشبيه لابن الجوزي (ص٢٨١-٢٨٦ باختصار ) .

(٢) انظر : بيان تلبيس الجهميَّة في تأسيس بدعهم الكلامية (٧/ ٤٠٧) .

المخالف لعموم الأمَّة ، انظر مثلاً : " الاعتبار ببقاء الجنَّة والنَّار " ، لتقي الدِّين علي بن عبد الكافي السُّبكي ، عني بنشره : القدسي ، مطبعة التَّرقِّي ، دمشق ، " رفع الأستار لإبطال أدلَّة القائلين بفناء النَّار " ، لمحمد بن إسماعيل الأمير الصَّنعاني ، بتحقيق : محمَّد ناصر الدِّين الألباني ، ( المكتب الإسلامي ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٤م) ... وقد خالف ابن تيمية في ذلك الجميع [1] .

والعجيب أنَّ الألباني مع كونه أثبت هذا القول الفاسد على ابن تيمية وتلميذه ابن قيِّم الجوزيَّة ، جعل لهما ثواباً على اجتهادهما !!! في القول بفناء النَّار ، كما تجد ذلك في تعليقه على " رفع الاستار " (ص٣٢) ، فيا للعجب ...

فالقوم لا يعنيهم الدَّلِيْل بقدر ما يعنيهم متابعة مشايخهم الذين قلَّدوهم حذو القذَّة بالقذَّة ، حتى ولو اضطروا للتَّأويل الذي لا يقولون به !!!

ويستشهدون على مقالاتهم الباطلة بكلام ينسبونه ظلماً وزوراً للإمام أحمد بن حنبل ، مع أنَّ سادة الحنابلة نفوا ما ألصقه الآثمون به ، فقد نقل الإمام أبو الفضل ، عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث ، التَّميمي البغدادي ، رئيس الحنابلة ببغداد (٤١٠هـ) عن الإمام أحمد بن حنبل أنَّه : " أنكر على من يقول بالجسم ، وقال : إنَّ الأسماء مأخوذة من الشَّريعة واللغة ، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذي طولٍ وعرضٍ وسمكٍ وتركيبٍ وصورةٍ وتأليف ، والله تعالى خارج عن ذلك كله ، فلم يجز أن يُسمَّى جسماً لخروجه عن معنى الجسميَّة ، ولم يجيء في الشَّريعة ذلك ، فبطل " [2] .

فهذا رئيس الحنابلة ببغداد يصوِّر العقيدة الحقة للإمام أحمد ، وأنَّه أنكر على المجسِّمة ، وأنَّ الجسم هو كلّ ما كان له طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف ... والله تعالى خارج عن ذلك كلِّه ، ثمَّ حكم ببطلان ذلك كلِّه ...

ونقل الإمام أبو الفضل التَّميمي الحنبلي عن الإمام أحمد أنَّه قال : " والله تعالى لا يلحقه تغيُّر ولا تبدُّل ، ولا تلحقه الحدود قبل خلق العرش ولا بعد خلق العرش " [3] .

---

[1] انظر مثلاً : " لوامع الأنوار البهيَّة " ، لمحمد بن أحمد السفاريني (٢/ ٢٣٥) ، " جلاء العينين في محاكمة الأحمدين " ، لنعمان بن محمَّد الألوسي (ص٤٢١) ، محمَّد رشيد رضا في مجلته المنار : الجزء الأوَّل والثاني ، (المجلد الثاني والعشرون) .

[2] انظر : اعتقاد الإمام أحمد (ص٤٥) .

[3] انظر : اعتقاد الإمام أحمد (ص ٣٨ -٣٩) .

فعقيدة الإمام أحمد لا تمتُّ بأدنى صلة لعقائد من يدَّعون السَّلفيَّة الذين أفسدوا البلاد ، وكفَّروا العباد ، ففي كتابهم المُسمَّى : " إعصارُ التَّوحيد " ، كفَّروا الصُّوفيَّة ، وأهل الطُّرق ، وأهل البلاد الإسلاميَّة ، كأهل مصر ، وليبيا ، والمغرب العربي ، والهند ، وفارس ، وآسيا الغربيَّة ، وبلاد الشَّام ، ونيجيريا ، وتركيَّا ، والبلاد الرُّوميَّة ، والأفغانيَّة ، وبلاد تركستان الصِّينيَّة ، والسُّودان ، وتونس ، ومرَّاكش ، والجزائر (١) ...

وهم بهذا يكفِّرون عموم الأمَّة المحمَّديَّة ، ولم يُبْقُوا على التَّوحيد إلَّا هم ومن شايعهم من الهمج الرّعاع ، وتكفيرهم الصُّوفيَّة لم يأتِ من عبث ، فما كان إلَّا لأنَّهم يعلمون يقيناً أنَّ الصُّوفيَّة من أشدِّ النَّاس محبَّة للحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، وأنَّ أغلب العلماء الرَّبَّانيِّين إن لم نقل كلّهم ، من أهل التَّصوُّف ...

فمن الرَّعيل الأوَّل من علماء الصُّوفيَّة : الفضيل بن عِيَاض بن مَسْعُود بن بشر التَّمِيمِي ثمَّ الْيَرْبُوعي (١٨٧هـ) ، إِبْرَاهِيم بن أدهم (١٦٢هـ) ، شَقِيق بن إِبْرَاهِيم أَبُو عَليّ الْأَزْدِيّ البَلْخِي (١٩٤هـ) ، مَعْرُوف الْكَرْخِي (٢٠٠هـ) ، أَبُو سُلَيْمَان الدَّارَانِي وَهُوَ عبد الرَّحمن بن عَطِيَّة وَيُقَال عبد الرَّحمن بن أَحْمد بن عَطِيَّة (٢١٥هـ) ، بشر بن الْحَارِث بن عبد الرَّحمن بن عَطاء بن هِلَال بن ماهان بن عبد الله الحافي (٢٢٧هـ) ، أَحْمد بن أبي الْحوَاري (٢٣٠هـ) ، حَاتِم الْأَصَم (٢٣٧هـ) ، أَحْمد بن خضرويه الْبَلْخِي (٢٤٠هـ) ، أَبُو بكر الْوراق وَهُوَ محمَّد بن عمر الْحَكِيم (٢٤٠هـ) ، ذُو النُّون بن إِبْرَاهِيم الْمصْرِيّ (٢٤٥هـ) ، الْحَارِث بن أَسد المحاسبي (٢٤٣هـ) ، سري بن الْمُغلس السَّقطِي (٢٥١هـ) ، يحيى بن معَاذ بن جَعْفَر الرَّازِيّ (٢٥٨هـ) ، أَبُو يزِيد طيفور بن عِيسَى بن سروشان (٢٦١هـ) ، حمدون بن أَحْمد بن عمَارَة أَبُو صَالح الْقصار النَّيْسَابُورِي (٢٧١هـ) ، أَبُو عبد الله المغربي واسْمه محمَّد بن إِسْمَاعِيل (٢٧٩هـ) ، سهل بن عبد الله التسترِي (٢٨٣هـ) ، أَبُو سعيد الخراز واسْمه أَحْمد بن عِيسَى (٢٨٦هـ) ، أَبُو حَمْزَة الْبَغْدَادِيّ الْبَزَّاز (٢٨٩هـ) ، إِبْرَاهِيم الْخَواص وَهُوَ إِبْرَاهِيم بن أَحْمد بن إِسْمَاعِيل كنيته أَبُو إِسْحَاق (٢٩١هـ) ، الْجُنَيْد بن محمَّد أَبُو الْقَاسِم الخزاز (٢٩٧هـ) ، أَبُو عُثْمَان سعيد بن إِسْمَاعِيل بن سعيد بن مَنْصُور الْحِيرِي النَّيْسَابُورِي (٢٩٨هـ) ، شاه الْكرْمَانِي وَهُوَ شاه بن شُجَاع أَبُو الفوارس (مات قبل ٣٠٠هـ) ، يُوسُف بن الْحُسَيْن أَبُو يَعْقُوب الرَّازِيّ (٣٠٤هـ) ، محمَّد بن الْفضل بن الْعَبَّاس بن حَفْص وكنيته أَبُو عبد الله (٣٠٩هـ) ، عبد الله بن محمَّد الخراز وَهُوَ أَبُو محمَّد عبد الله بن محمَّد (مَاتَ قبل الْعشْر وثلاثمائة) ، ، أَبُو الْحُسَيْن الْوراق واسْمه محمَّد بن سعد (مَاتَ قبل الْعشْرين وثلاثمائة) ، أَبُو بكر الوَاسِطِيّ واسْمه محمَّد بن مُوسَى وَأَصله من فرغانة وَكَانَ يعرف بِابْن الفرغاني (مَات بعد الْعشْرين وثلاثمائة) ، أَبُو عَليّ الرُّوذَبَارِي واسْمه أَحْمد بن محمَّد بن الْقَاسِم ابْن مَنْصُور بن شهريار بن مهرذاذار بن فرغدد بن كسْرَى (٣٢٢هـ) ، إِبْرَاهِيم

---

(١) انظر : إعصار التَّوحيد يحطّم وثن الصُّوفيّة ، عبد العزيز بن باز واللّجنة الدّائمة للإفتاء ، جمع وترتيب : نبيل محمود ، دار القاسم ، ١٤١٨هـ .

الْقصار وَهُوَ إِبْرَاهِيم بن دَاوُد الرقي أَبُو إِسْحَاق (٣٢٦هـ) ، أَبُو الْحسن بن الصَّائِغ الدينَوَرِي واسْمه عَليّ بن محمَّد ابْن سهل (٣٣٠هـ) ، أَبُو بكر الشبلي واسْمه دلف يُقَال ابْن جحدر وَيُقَال ابْن جَعْفَر وَيُقَال اسْمه جَعْفَر بن يُونُس (٣٣٤هـ) ، أَبُو بكر طَاهِر الْأَبْهَرِيّ اسْمه عبد الله بن طَاهِر بن حَاتِم الطَّائِي (مَاتَ قرب الثَّلَاثِينَ وثلاثمائة) ، أَبُو عَمْرو الزجاجي واسْمه محمَّد بن إِبْرَاهِيم بن يُوسُف ابْن محمَّد (٣٤٨هـ) ، جَعْفَر الْخُلْدِيّ وَهُوَ جَعْفَر بن محمَّد بن نصير أَبُو محمَّد الْخَواص (٣٤٨هـ) ، أَبُو الْحسن البوشنجي واسْمه عَليّ بن أَحْمد بن سهل (٣٤٨هـ) ، أَبُو بكر الدقي وَهُوَ أَبُو بكر محمَّد بن دَاوُد الدينَوَرِي (مَاتَ بعد الْخمسين وثلاثمائة) ، عبد الله الرَّازِيّ وَهُوَ أَبُو محمَّد عبد الله بن محمَّد بن عبد الله بن عبد الرَّحمن الرَّازِيّ الشَّعراني (٣٥٣هـ) ، أَبُو الْحسن الصَّيْرَفِي وَهُوَ عَليّ بن بنْدَار بن الْحُسَيْن الصَّيْرَفِي (٣٥٩هـ) ، أَبُو عبد الله وَأَبُو الْقَاسِم محمَّد وجعفر ابْنا أَحْمد ابْن الْمُقْرِئ (٣٦٦هـ) ، أَبُو عبد الله الرُّوذَبَارِي واسْمه أَحْمد بن عَطاء بن أَحْمد الرُّوذَبَارِي (٣٦٩هـ) ، محمَّد بن أَحْمد بن حمدون الْفرَّاء أَبُو بكر (٣٧٠هـ) ، أَبُو عُثْمَان المغربي وَهُوَ سعيد بن سَلام (٣٧٣هـ) ، ...

وبرغم ما بيَّناه وقدَّمناه من حقائق عن الصُّوفيَّة والتَّصوُّف أبى مدَّعو السَّلفيَّة إلَّا أن يتَّهموا الصُّوفية أنَّها المعول الذي هدم به اليهود والفرس صرح الإسلام العظيم ، وأنَّ الصُّوفيَّة هم من مكَّنوا المستعمر من بلاد المسلمين في غير بلج من بلادهم ، وفي ذلك يقول صاحب كتاب : " المجموع المفيد من عقيدة التَّوحيد " : " إنَّ هذه الطُّرق الصُّوفيَّة المنتشرة في النَّاس للدَّجل والدَّجَّالين هي المعول الذي هدم به اليهود والفرس صرح الإسلام ، وهي اليد الأثيمة التي مزَّقت الإسلام ، وأنَّ شيوخ الطُّرق الصُّوفيَّة هم الذين يمكِّنون للمستعمرين في مراكش ، وتونس ، والجزائر ، والهند ، وفي السُّودان ، وفي مصر ، وفي كلِّ مكان ، أيُّها المسلمون : لا ينفع إسلامكم إلَّا إذا أعلنتم الحرب الشَّعواء على هذه الطُّرق !!! وقضيتم عليها فأخرجتموها من بين جنوبكم ومن قلوبكم ومجالسكم ومجامعكم ومساجدكم وزواياكم ، حاربوها قبل أن تحاربوا اليهود !!! فإنَّها روح اليهوديَّة والمجوس تغلغلت في جسم الإسلام فزلزلته وأوهنته " (١) .

وللرَّدِّ على هذا المتعالم الأفَّاك نقول : أمَّا ما زعمته من تمكين الصُّوفيَّة للمستعمرين في بلاد المسلمين ، فيكفي في الرَّدِّ عليه أنَّ الجميع يشهد بجهاد الصُّوفيَّة في مختلف الأعصار والأمصار ، وهنا سأذكِّر بباقة صغيرة من جهادهم ، وقد ذكرت أغلب حلقات جهادهم في الرَّدِّ عليك وعلى أمثالك في كتابي : " تكفير الوهَّابيَّة

(١) انظر : المجموع المفيد من عقيدة التَّوحيد (ص٥٥) .

لعموم الأمَّة المحمَّديَّة " ، أقول : ذكر المؤرِّخون أنَّ إمام المتصوِّفين إبراهيم بن أدهم (١٦٢هـ) كان من المرابطين في الثُّغور ، ومات فيها ، قال ابن كثير : " وذكروا أنَّه توفي في جزيرة مِنْ جَزَائِرِ بَحْرِ الرُّومِ وَهُوَ مُرَابِطٌ " (١) .

قال الإمام الذَّهبي عن شقيق البلخي (١٩٤هـ) : " وَرَوَى محمَّد بنُ عِمْرَانَ ، عَنْ حَاتِمٍ الأَصَمِّ ، قَالَ : كُنَّا مَعَ شَقِيْقٍ وَنَحْنُ مُصَافُّو العَدُوِّ التُّرْكِ ، فِي يَوْمٍ لاَ أَرَى إِلَّا رُؤُوْساً تَنْدُرُ ، وَسُيُوْفاً تَقْطَعُ ، وَرِمَاحاً تَقْصِفُ ، فَقَالَ لِي : كَيْفَ تَرَى نَفْسَكَ ، هِيَ مِثْلُ لَيْلَةِ عُرْسِكَ ؟

قُلْتُ : لاَ وَالله . قَالَ : لَكِنِّي أَرَى نَفْسِي كَذَلِكَ . ثمَّ نام بَيْنَ الصَّفَّيْنِ عَلَى دَرَقَتِهِ ، حَتَّى غَطَّ ، فَأَخَذَنِي تُرْكِيٌّ ، فَأَضْجَعَنِي لِلذَّبْحِ ، فَبَيْنَا هُوَ يَطْلُبُ السِّكِّينَ مِنْ خُفِّهِ ، إِذْ جَاءهُ سَهْمٌ عَائِرٌ ذَبَحَهُ ... وَقُتِلَ شَقِيْقٌ فِي غَزَاةِ كُوْلاَنَ ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِيْنَ وَمائَةٍ " (٢) .

وقال الإمام ابن العماد العَكري الحنبلي عن حاتم الأصم (٢٣٧هـ) : " مات عند رباط يقال له : رأس سرود على جبل فوق واشجرد " (٣) .

وقال أحمد أمين عن الشَّيخ محي الدِّين بن عربي (٦٣٨هـ) : " أُثر عنه أنَّه كان خلال الحروب الصَّليبيَّة يحرِّض المسلمين على الجهاد ومقاومة الغزاة الصَّليبيِّين " (٤) .

وقد جاء في كتاب " الوصايا " لابن عربي : " وعليك بالجهاد الأكبر فإنَّه أكبر أعدائك ، وهو أقرب الأعداء إليك الذين يلونك ، فإنَّه بين جنبيك ، والله يقول سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةًۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة : ١٢٣] ، ... فإنَّك إذا جاهدت نفسك هذا الجهاد خلص لك الجهاد الآخر في الأعداء الذي إن قتلت فيه كنت من الشُّهداء الأحياء الذين عند ربِّهم يرزقون... " (٥) .

---

(١) انظر : البداية والنهاية (١٠/ ١٥٤) .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء (٩/ ٣١٤-٣١٦) .

(٣) انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٣/ ١٦٩) .

(٤) انظر : ظهر الإسلام (٤/ ٢٢٢) .

(٥) انظر : الوصايا (ص٤٩) .

وأين أنتم من السُّلطان الصُّوفي محمَّد الفاتح (١٤٨١م) الماتريدي العقيدة فاتح القسطنطينيَّة الذي امتدحه سيِّد الخلق محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بقوله : " لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ ، فَلَنِعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا ، وَلَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ " (١) .

وأين أنتم من الإمام الصُّوفي العزّ بن عبد السَّلام (٦٦٠هـ) ، الذي كان له دور مشكور في هزيمة التَّتار ، قال الإمام السُّيوطي :" ولبس خرقة التَّصوُّف من الشِّهاب السَّهروردي " (٢) .

وأين أنتم من السُّلطان الصُّوفي المجاهد صلاح الدِّين الأيُّوبي (١١٩٣م) محرِّر الأقصى من يد الصَّليبيين ، وقاهرهم ...

الإمام علي بن ميمون (٩١٧هـ) قال الإمام ابن العماد العَكري الحنبلي : " واشتغل بالعلم ودرّس ، ثمَّ ولي القضاء ، ثمَّ ترك ذلك ولازم الغزو على السَّواحل ، وكان رأس العسكر " (٣) .

وماذا تقولون عن الأمير عبدالقادر الجزائري الصُّوفي الأشعري (١٨٤٧م) ، قائد الثَّورة الجزائريَّة ضد الاحتلال الفرنسي...

وماذا عن البطل المجاهد الشَّهيد عمر المختار (١٩٣١م) الصُّوفي الزَّاهد قائد الثَّورة الليبيَّة ضدَّ الطِّليان ؟!!!

وماذا عن الشَّيخ محمَّد بدر الدِّين الحسني (١٩٣٥م) الصُّوفي ، قال الزّركلي : " لَمَّا قامت الثَّورة على الاحتلال الفرنسي في سوريَّة ، كان الشَّيخ يطوفُ المدن السُّوريَّة ، متنقِّلاً من بلدة إلى أخرى ، حاثَّاً على الجهاد ، وحاضَّاً عليه ، يقابل الثَّائرين ، ويغذِّيهم برأيه وينصح لهم بالخطط الحكيمة ، فكان أباً روحيَّاً للثَّورة والثَّائرين المجاهدين " (٤) .

وماذا ، وماذا ، وماذا ... فهل عندكم ردٌّ ؟!!!! وكيف لكم الرَّدُّ ، وأنتم غارقون في بحار التَّقليد والتَّبعيَّة ... وانتظروا ردَّنا الأكبر على ترَّهاتكم في هذه المسألة في كتابنا الضَّخم : " تَكْفِيْرُ الوَهَّابيَّة لعُمُوْم الأمَّة الإسْلَاميَّة ... "

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣١/ ٢٨٧ برقم ١٨٩٥٧) .

(٢) انظر : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (١/ ٣١٥) .

(٣) انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١٠/ ١١٧) .

(٤) انظر : الأعلام (٧/ ١٥٨) .

واتَّهموا الصُّوفيَّة بالشِّرك ، فقد جاء في فتاوى اللجنة الدَّائمة : " ونحذِّركم ما أحدث أهل الطُّرق من تصوُّف مدخول ، وأوراد مبتدعة ، وأذكار غير مشروعة ، وأدعية فيها شرك بالله أو ما هو ذريعة إليه ، كالاستغاثة بغير الله ، وذكره بالأسماء المفردة ، وذكره بكلمة آه ، وليست من أسمائه سبحانه ، وتوسّلهم بالمشايخ في الدُّعاء ، واعتقاد أنَّهم جواسيس القلوب يعلمون ما تكنُّه ، وذكرهم الله ذكراً جماعيَّاً بصوت واحد في حلقات مع ترنحات وأناشيد إلى غير ذلك ممَّا لا يُعرف في كتاب الله وسُنَّة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم (١) .

وهنا أقول لأعضاء اللجنة الدَّائمة : من هو الذي جاء بالأوراد المبتدعة : الصُّوفيَّة أم ابن تيمية ؟!!! إن كان الجواب لا يحضركم ، فأنا أذكِّركم ببعض !!! ما قاله ابن تيمية ، ووافقه عليه تلميذه ابن قيِّم الجوزيَّة من أوراد لا يوجد مضمونها في أيٍّ من دواوين السُّنَّة ، من ذلك :

قال الإمام ابن القيِّم : " وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ الله يَقُولُ : مَنْ وَاظَبَ عَلَى " يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ " كُلَّ يَوْمٍ بَيْنَ سُنَّةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ أَرْبَعِينَ مَرَّةً أَحْيَى الله بِهَا قَلْبَهُ " (٢) . مع أنَّ هذا الكلام لم يأت – بحسب علمي – مضمونه في أيٍّ من دواوين السُّنَّة ...

وقال ابن القيِّم أيضاً : " وَكَانَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ قَدَّسَ الله رُوحَهُ شَدِيدَ اللَّهْجِ بِهَا جِدًّا ، وَقَالَ لِي يَوْماً : لِهَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ ، وَهُمَا : الْحَيُّ الْقَيُّومُ تَأْثِيرٌ عَظِيمٌ فِي حَيَاةِ الْقَلْبِ ، وَكَانَ يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُمَا الِاسْمُ الْأَعْظَمُ ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : مَنْ وَاظَبَ عَلَى أَرْبَعِينَ مَرَّةً كُلَّ يَوْمٍ بَيْنَ سُنَّةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ حَصَلَتْ لَهُ حَيَاةُ الْقَلْبِ ، وَلَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ " (٣) .

وقال الإمام البزَّارُ في كلامه عن ابن تيمية : " ... وَكَانَ قد عرفت عَادَته لَا يكلِّمهُ أُحدُ بِغَيْر ضَرُورَة بعد صَلَاة الْفجْر ، فَلَا يزَال فِي الذِّكر يسمع نَفسه وَرُبمَا يَسمع ذكره من إِلى جَانِبه مَعَ كَونه فِي خلال ذَلِك يكثر من تقليب بَصَره نَحْو السَّماء ، هَكَذَا دأبه حَتَّى ترْتَفع الشَّمْس وَيَزُول وَقت النَّهْي عَن الصَّلاة ، وَكنت مُدَّة إقامتي بِدِمَشْق ملازمه جلّ النَّهَار وَكَثِيراً من اللَّيْل ، وَكَانَ يدنيني مِنْهُ حَتَّى يجلسني إِلى جَانِبه ، وَكنت أسْمَع مَا يَتْلُو وَمَا يذكر حِينَئِذٍ ، فرأيته يقْرَأ الْفَاتِحَة ويكرِّرها وَيقطع ذَلِك الْوَقْت كُلّه ، أعني من الْفجْر إِلى ارْتِفَاع الشَّمْس فِي تكْرِير تلاوتها ، ففكرت فِي ذَلِك لِمَ قد لزم هَذِه السُّورَة دون غَيرهَا ، فَبَان لي وَالله أعْلَم أن قَصده بذلك أن يجمع

---

(١) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة ، المجموعة الأولى ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، (٢/ ٢٩٢-٢٩٣) .

(٢) انظر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٢٤٨) .

(٣) انظر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٤٤٦) .

بتلاوتها حِينَئِذٍ بَين مَا ورد فِي الاحاديث وَمَا ذكره الْعلمَاء هَل يسْتَحبّ حِينَئِذٍ تَقْدِيم الأذكار الْوَارِدَة على تِلَاوَة الْقُرْآن اَوْ الْعَكْس ، فرأى رَضِي الله عَنهُ أَنَّ فِي الْفَاتِحَة وتكرارها حِينَئِذٍ جمعاً بَين الْقَوْلَيْنِ وتحصيلاً للفضيلتين ، وَهَذَا من قُوَّة فطنته وثاقب بصيرته ..." (١) .

مع أنَّنا لا نقول بأنَّ ما ذكره من الأدعية ممنوع أو بدعة أو ... فالدُّعاء بابه مفتوح ، وما على الإنسان إلَّا أن يتوجَّه بالدُّعاء إلى الله تعالى ، بلسان حاله ، يطلب سؤاله ، بأيِّ صيغة كانت ...

ويمضي مدَّعو السَّلفيَّة في تكفير الصُّوفيَّة ، فيقول المدعو : عمر بن محمود أبو عمر : " فالصُّوفيَّة مذهب دخيل ليس من الإسلام في شيء ، وهو ديانة مستقلة ليس لها وجه قربة مع الإسلام ، لا في أصولها ، ولا في فروعها ، فهي لها عقائد خاصَّة بها ، وأركان عبادات كذلك ، وشرح هذا الأمر يطول جدَّاً " (٢) .

وقال ابن تيمية واصفاً الصُّوفية بالابتداع في الدِّين ، ومحرِّماً الذِّكر باسم الله المفْرد : " فأمَّا الاسم المفرد فلا يكون كلاماً مفيداً عند أحد من أهل الأرض ، بل ولا أهل السَّماء ، وإن كان وحده كان معه غيره مضمراً أو كان المقصـــود به تنبيهاً أو إشارة ، كما يقصد بالأصوات التي لم توضع لمعنى لا أنَّه يقصد به المعاني التي تقصد بالكلام .

ولهذا عدَّ النَّاس من البدع ما يفعله بعض النسَّاك من ذكر اسم الله وحده بدون تأليف كلام ...." (٣) .

وقال ابن تيمية: " فَأَمَّا " الِاسْمُ الْمُفْرَدُ " مُظْهَراً مِثْلَ : " الله " " الله " . أَوْ " مُضْمَراً " مِثْلَ " هُوَ " " هُوَ " . فَهَذَا لَيْسَ بِمَشْرُوعِ فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ ، وَلَا هُوَ مَأْثُورٌ أَيْضاً عَنْ أَحَدٍ مِنْ سَلَفِ الأمَّة ، وَلَا عَنْ أَعْيَانِ الأمَّة الْمُقْتَدَى بِهِمْ ، وإنَّما لَهِجَ بِهِ قَوْمٌ مِنْ ضُلَّالِ الْمُتَأَخِّرِينَ " (٤) .

وقال ابن تيمية : " ولهذا عدَّ النَّاس من البدع ما يفعله بعض النُّسَّاك من ذكر اسم الله وحده بدون تأليف كلام ...." (٥) .

(١) انظر : الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية (ص٣٨) .

(٢) انظر : ملاحظات على البيجوري في شرح جوهرة التَّوحيد (ص٦٠) .

(٣) انظر : الرد على المنطقيين (ص٣٥) .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى (١٠/ ٥٥٦) .

(٥) انظر : الرد على المنطقيين (ص٣٥) .

وقال ابن تيمية : " فَأَمَّا " الِاسْمُ الْمُفْرَدُ " مُظْهَراً مِثْلَ : " الله " " الله " . أَوْ " مُضْمَراً " مِثْلَ " هُوَ " " هُوَ " . فَهَذَا لَيْسَ بِمَشْرُوعٍ فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ ، وَلَا هُوَ مَأْثُورٌ أَيْضاً عَنْ أَحَدٍ مِنْ سَلَفِ الأمَّة ، وَلَا عَنْ أَعْيَانِ الأمَّة الْمُقْتَدَى بِهِمْ ، وإِنَّما لَهِجَ بِهِ قَوْمٌ مِنْ ضُلَّالِ الْمُتَأَخِّرِينَ " (١) .

أمَّا عن اعتراضهم على الصُّوفيَّة بالذِّكر الجماعي ، فيردُّه قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران : ١٩١]

قال الإمام عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (٤٦٥هـ) : ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ ... الآية : استغرق الذِّكر جميع أوقاتهم ، فإن قاموا فبذكره ، وإن قعدوا أو ناموا أو سجدوا فجملة أحوالهم مستهلكة في حقائق الذِّكر ، فيقومون بحقِّ ذكره ويقعدون عن إخلاف أمره ، ويقومون بصفاء الأحوال ويقعدون عن ملاحظتها والدَّعوى فيها . ويذكرون الله قياماً على بساط الخدمة ثمَّ يقعدون على بساط القربة . ومن لم يسلم في بداية قيامه عن التَّقصير لم يسلم له قعود في نهايته بوصف الحضور . والذِّكر طريق الحقّ- سبحانه - فما سلك المريدون طريقاً أصحّ وأوضح من طريق الذِّكر ، وإن لم يكن فيه سوى قوله : " أنا جليس من ذكرني " (٢) ، لكان ذلك كافياً .

والذَّاكرون على أقسام ، وذلك لتباين أحوالهم : فذكرٌ يوجب قبض الذَّاكر لما يذكره من نقص سلف له ، أو قبح حصل منه ، فيمنعه خجله عن ذكره ، فذلك ذكر قبض .

وذكر يوجب بسط الذاكر لما يجد من لذائذ الذِّكر ثمَّ من تقريب الحقّ إيَّاه بجميل إقباله عليه .

وذاكر هو محو في شهود مذكورة فالذِّكر يجرى على لسانه عادة، وقلبه مصطلم فيما بدا له .

وذاكر هو محل الإجلال يأنف من ذكره ويستقذر وصفه ، فكأنه لتصاغره عنه لا يريد أن يكون له في الدُّنيا والآخرة ثناء ولا بقاء ، ولا كون ولا بهاء ، قال قائلهم :

ما إن ذكرتك إلَّا همَّ يلعنني   قلبي وروحي وسرِّي عند ذكراكا

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١٠/ ٥٥٦) .

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (ص٦٨ برقم ٣٥٢) ، ابن أبي شيبة في المُصنف (١/ ١١٤ برقم ١٢٣١) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/ ٤٢) ، البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ١٧١ برقم ٦٧٠) .

حتى كأنَّ رقيباً منك يهتف بي   إيَّاك ويحك والتَّذكـــــار إيَّاكا

والذِّكر عنوان الولاية ، وبيان الوصلة ، وتحقيق الإرادة ، وعلامة صحَّة البداية ، ودلالة صفاء النِّهاية ، فليس وراء الذِّكر شيء ، وجميع الخصال المحمودة راجعة إلى الذِّكر ، ومنشأة عن الذِّكر " (١) .

وقال الإمام أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصُّوفي (١٢٢٤هـ) : " يقول الحقُّ جلَّ جلاله في وصف أُولي الألباب : هم ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ [آل عمران : ١٩١] ، أي : يذكرونه على الدَّوام ، قائمين وقاعدين ومضطجعين ... " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليماً ، التناري بلداً (١٣١٦هـ) : ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ [آل عمران : ١٩١] ، أي : الذين لا يغفلون عن الله تعالى في جميع أوقاتهم ، لاطمئنان قلوبهم بذكره تعالى ، واستغراق سرائرهم في مراقبته ، لما أيقنوا بأَنَّ كلّ ما سواه فائض منه وعائد إليه ، فلا يشاهدون حالاً من الأحوال في أنفسهم ولا في الآفاق إلَّا وهم يعاينون في ذلك شأناً من شؤونه تعالى . فالمراد : ذكره تعالى مطلقاً ، سواء كان ذلك من حيث الذَّات أو من حيث الصِّفات والأفعال ، وسواء قارنه الذِّكر اللساني أو لا . وتخصيص الأحوال المذكورة بالذِّكر ليس لتخصيص الذِّكر بها ، بل لأنَّها الأحوال المعتادة التي لا يخلو عنها الإنسان غالباً . والمراد تعميم الذِّكر للأوقات " (٣) .

وقال الدكتور محمَّد سعيد رمضان البوطي رحمه الله : " والذين يتداعون إلى هذه الحلقات ويحضرونها ، يحتجُّون بالعموم الذي يدلُّ عليه قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ [آل عمران : ١٩١] ، وهو عمـــــومٌ بيِّن لا يخرج من نطاقه إلَّا إذا أخرجه نصٌّ آخر من طريق الاستثناء والتَّخصيص ... " (٤) .

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " إِنَّ للهِّ عِبَاداً لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الشُّهَدَاءُ وَالنَّبِيُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِقُرْبِهِمْ مِنَ اللهِّ تَعَالَى وَمَجْلِسِهِمْ مِنْهُ ، فَجَثَا أَعْرَابِيٌّ عَلَى رُكْبَتَيْهِ ، فَقَال

(١) انظر : لطائف الإشارات (تفسير القشيري) (١/ ٣٠٤-٣٠٥) .

(٢) انظر : البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (١/ ٤٥٠) .

(٣) انظر : مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (١/ ١٧٤) .

(٤) انظر : السَّلفيَّة مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي (ص١٩٢) .

: يَا رَسُولَ اللهَّ ، صِفْهُمْ لَنَا وحَلِّهِمْ لَنَا . قَالَ : " قَوْمٌ مِنْ أَقْنَاءِ النَّاس مِنْ نِزَاعِ الْقَبَائِلِ تَصَادَقُوا فِي اللهَّ وَتَحَابَّوْا فِيهِ ، يَضَعُ الله عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ يَخَافُ النَّاس وَلَا يَخَافُونَ ، هُمْ أَوْلِيَاءُ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " (١) .

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الجنَّة فَارْتَعُوا ، قَالُوا : وَمَا رِيَاضُ الجنَّة ؟ قَالَ : حِلَقُ الذِّكر " (٢) .

وبناء على ما سبق ، فإنَّ الذِّكر الجماعي لا مانع يمنع منه شرعاً ، بل عموم الأدلَّة تدعمه ، وكيفيَّته قد تكون مختلفة ، واختلافها لا يمنع منه ، وتحديد ذلك لا يخرج عن البدعة الحسنة ، مع أنَّني وجدت ابن تيمية في هذه المسألة يجيب على شبهة من يدَّعون السَّلفيَّة ، فقد جاء في فتاوى ابن تيمية : " وَسُئِلَ : عَنْ رَجُلٍ يُنْكِرُ عَلَى أَهْلِ الذِّكر يَقُولُ لَهُمْ : هَذَا الذِّكر بِدْعَةٌ وَجَهْرُكُمْ فِي الذِّكر بِدْعَةٌ وَهُمْ يَفْتَتِحُونَ بِالْقُرْآنِ وَيَخْتَتِمُونَ ثمَّ يَدْعُونَ لِلْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ وَيَجْمَعُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّكْبِيرَ وَالْحَوْقَلَةَ وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَالْمُنْكِرُ يُعْمِلُ السَّمَاعَ مَرَّاتٍ بِالتَّصْفِيقِ وَيُبْطِلُ الذِّكر فِي وَقْتِ عَمَلِ السَّمَاعِ "

فَأَجَابَ : الِاجْتِمَاعُ لِذِكْرِ اللهَّ وَاسْتِمَاعِ كِتَابِهِ والدُّعاء عَمَلٌ صَالِحٌ ، وَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ الْقُرُبَاتِ وَالْعِبَادَاتِ فِي الْأَوْقَاتِ فَفِي الصَّحيح عَنْ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أنَّه قَالَ: " إنَّ للهَّ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ فَإِذَا مَرُّوا بِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللهَّ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إلى حَاجَتِكُمْ " وَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَفِيهِ : " وَجَدْنَاهُمْ يُسَبِّحُونَك وَيَحْمَدُونَك " لَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هَذَا أَحْيَاناً فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ وَالْأَمْكِنَةِ فَلَا يُجْعَلُ سُنَّةً رَاتِبَةً يُحَافَظُ عَلَيْهَا إلَّا مَا سَنَّ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم الْمُدَاوَمَةَ عَلَيْهِ فِي الْجَمَاعَاتِ؟ مِنْ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ فِي الْجَمَاعَاتِ وَمِنْ الْجُمُعَاتِ وَالْأَعْيَادِ وَنَحْوِ ذَلِكَ. وأَمَّا مُحَافَظَةُ الْإِنْسَانِ عَلَى أَوْرَادٍ لَهُ مِنْ الصَّلاة أَوْ الْقِرَاءَةِ أَوْ الذِّكر أَوْ الدُّعاء طَرَفَيْ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنْ اللَّيْلِ وَغَيْرُ ذَلِكَ: فَهَذَا سُنَّةُ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم والصَّالحين مِنْ عِبَادِ اللهَّ قَدِيماً وَحَدِيثاً فَمَا سُنَّ عَمَلُهُ عَلَى وَجْهِ الِاجْتِمَاعِ كَالْمَكْتُوبَاتِ: فُعِلَ كَذَلِكَ وَمَا سُنَّ الْمُدَاوَمَةُ عَلَيْهِ عَلَى وَجْهِ الِانْفِرَادِ مِنْ الْأَوْرَادِ عُمِلَ كَذَلِكَ كَمَا

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٤/ ١٨٨ برقم ٧٣١٨ ، وقال هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ، ووافقه الذهبي) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ١٥٠ برقم ١٢٥٥١) ، الترمذي (٥/ ٤٨٨ برقم ٣٥١٠ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ) ، البزار في المسند (١٣/ ١١٩ برقم ٦٥٠٠) ، الطبراني في الدُّعاء (ص٥٢٨ برقم ١٨٩٠) ، المعجم الكبير (١١/ ٩٥ برقم ١١١٥٨) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/ ٢٦٨ ) ، البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٦٦ برقم ٥٢٦) ، أبو يعلى الموصلي في المسند (١/ ٣٩٨) .

كَانَ الصَّحابة – رَضِيَ الله عَنْهُمْ – يَجْتَمِعُونَ أَحْيَاناً : يَأْمُرُونَ أَحَدَهُمْ يَقْرَأُ وَالْبَاقُونَ يَسْتَمِعُونَ . وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ : يَا أَبَا مُوسَى ذَكِّرْنَا رَبَّنَا فَيَقْرَأُ وَهُمْ يَسْتَمِعُونَ وَكَانَ مِنْ الصَّحابة مَنْ يَقُولُ: اجْلِسُوا بِنَا نُؤْمِنُ سَاعَةً. وَصَلَّى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بِأَصْحَابِهِ التَّطَوُّعَ فِي جَمَاعَةٍ مَرَّاتٍ وَخَرَجَ عَلَى الصَّحابة مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ وَفِيهِمْ قَارِئٌ يَقْرَأُ فَجَلَسَ مَعَهُمْ يَسْتَمِعُ .

وَمَا يَحْصُلُ عِنْدَ السَّمَاعِ وَالذِّكْرِ الْمَشْرُوعِ مِنْ وَجَلِ الْقَلْبِ وَدَمْعِ الْعَيْنِ وَاقْشِعْرَارِ الْجُسُومِ فَهَذَا أَفْضَلُ الْأَحْوَالِ الَّتِي نَطَقَ بِهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ. وأَمَّا الِاضْطِرَابُ الشَّدِيدُ وَالْغَشْيُ وَالْمَوْتُ وَالصَّيْحَاتُ فَهَذَا إنْ كَانَ صَاحِبُهُ مَغْلُوباً عَلَيْهِ لَمْ يُلَمْ عَلَيْهِ كَمَا قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي التَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ فَإِنَّ مَنْشَأَهُ قُوَّةُ الْوَارِدِ عَلَى الْقَلْبِ مَعَ ضَعْفِ الْقَلْبِ وَالْقُوَّةُ وَالتَّمَكُّنُ أَفْضَلُ كَمَا هُوَ حَالُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَالصَّحَابَةِ وأَمَّا السُّكُونُ قَسْوَةً وَجَفَاءً فَهَذَا مَذْمُومٌ لَا خَيْرَ فِيهِ. وأَمَّا مَا ذُكِرَ مِنْ السَّمَاعِ: فَالْمَشْرُوعُ الَّذِي تَصْلُحُ بِهِ الْقُلُوبُ وَيَكُونُ وَسِيلَتَهَا إلى رَبِّهَا بِصِلَةِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا: هُوَ سَمَاعُ كِتَابِ اللهَّ الَّذِي هُوَ سَمَاعُ خِيَارِ هَذِهِ الأمَّة لَا سِيَّمَا وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم " لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ " وَقَالَ : " زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ " وَهُوَ السَّمَاعُ الْمَمْدُوحُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. لَكِنْ لما نَسِيَ بَعْضُ الأمَّة حَظّاً مِنْ هَذَا السَّمَاعِ الَّذِي ذُكِّرُوا بِهِ أَلْقَى بَيْنَهُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فَأَحْدَثَ قَوْمٌ سَمَاعَ الْقَصَائِدِ وَالتَّصْفِيقَ وَالْغِنَاءَ مُضَاهَاةً لما ذَمَّهُ الله مِنْ الْمُكَاءِ وَالتَّصْدِيَةِ وَالْمُشَابَهَةِ لما ابْتَدَعَهُ النَّصَارَى وَقَابَلَهُمْ قَوْمٌ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهَّ وَمَا نَزَلَ مِنْ الْحَقِّ وَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً: مُضَاهَاةً لما عَابَهُ الله عَلَى الْيَهُودِ . وَالدِّينُ الْوَسَطُ هُوَ مَا عَلَيْهِ خِيَارُ هَذِهِ الأمَّة قَدِيماً وَحَدِيثاً وَاللهَّ أَعْلَمُ " (١) .

أمَّا عن اعتراض مُدَّعي السَّلفيَّة على الذِّكر باسم الله تعالى المفرد ... ﴿ٱللَّهُ﴾ ، فالذِّكر بالاسم المفرد لا شيء فيه ، ولا دليل على حرمته ، بل جاء الدَّلِيْل على مشروعيَّته ، وقد جاء الاسم المفرد في آيات عديدة ، منها : قوله تعالى ، ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا﴾ [آل عمران:٤١] ، وقوله تعالى : ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام : ٩١] ، ، وقوله تعالى : ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف : ٢٠٥ ] ، وقوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف : ٢٤] ، وقوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل : ٨ ] ، وقوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الإنسان : ٢٥] ...

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٢٢/ ٥٢٠-٥٢٢) .

وقد ورد الاسم المفرد مكرَّراً في الحديث الشَّريف ، من ذلك : عَنْ عَطَاءٍ الْخُرَاسَانِيِّ ، قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ ، فَذَكَرَ بِلَالاً ، فَقَالَ : كَانَ شَحِيحاً عَلَى دِينِهِ ، وَكَانَ يُعَذَّبُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَكَانَ يُعَذَّبُ عَلَى دِينِهِ ، فَإِذَا أَرَادَ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يُقَارِبَهُمْ قَالَ : اللهَ اللهَ ... " (١) .

وقال صَلَّى الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ : اللهُ اللهُ " (٢) .

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ...

وقد نصَّ العلماءُ في مؤلَّفاتهم على مشروعيَّة الذِّكر بالاسم المفْرَد مكرَّراً ، قال الإمام عبد الرَّحمن بن محمَّد عوض الجزيري (١٣٦٠هـ) : " فقد اتَّفق الشَّافعيَّة، والحنابلة على أن من عجز عن قراءة الفاتحة في الصَّلاة، فإن كان يقدر على أن يأتي بآيات من القرآن بقدر الفاتحة في عدد الحروف والآيات ، فإنَّه يجب عليه أن يأتي بذلك . فإن كان يحفظ آية واحدة أو أكثر فإنَّه يفترض عليه أن يكرِّر ما يحفظه بقدر آيات الفاتحة ، بحيث يتعلَّم القدر المطلوب منه تكراره . فإن عجز عن الإتيان بشيء من القرآن بالمرَّة ، فإنَّه يجب عليه أن يأتي بذكر الله كأن يقول : الله الله ... مثلاً ، بمقدار الفاتحة" (٣) .

فإذا كان الذِّكر بالاسم المفْرد جائزاً في الصَّلاة عِوضاً عن الفاتحة لمن لا يُحسنها ، فما بالكم به خارجها ؟!!!

---

(١) أخرجه معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم ، أبو عروة البصري ، في الجامع (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق) ، (١١/ ٢٣٤ برقم ٢٠٤١٢) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٩/ ١٠٠ برقم ١٢٠٤٣) ، قال الأرنؤوط في تخريجه : " إسناده صحيح على شرط الشيخين . وأخرجه الترمذي (٢٢٠٧) عن محمَّد بن بشار ، عن ابن أبي عدي ، بهذا الإسناد . وقال : حديث حسن . وأخرجه ابن منده في " الإيمان " (٤٤٩) من طريق محمَّد بن عبد الله الأنصاري ، والحاكم ٤/ ٤٩٤ من طريق عبد الأعلى بن عبد الأعلى ، كلاهما عن حميد ، به . ولفظ الحاكم : حتى لا يقال في الأرض : " لا إله إلا الله " ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وأخرجه الترمذي باثر الحديث (٢٢٠٧) عن محمَّد بن المثنى ، عن خالد بن الحارث ، عن حميد ، عن أنس موقوفاً . ورجحه على المرفوع ! وأخرج الحاكم ٤/ ٤٩٥ ، والخطيب ٣/ ٨٢ من طريقين عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سنان بن سعد ، عن أنس ، عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، قال : " والذي نفسي بيده ، لا تقوم الساعة على رجل يقول : لا إله إلا الله ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ... ". وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ... ، فتعقبه الذَّهبي بقوله : سنان لم يرو له مسلم . قلنا : وحديثه حسن في الشواهد . وسيأتي الحديث من طريق حميد الطويل برقم (١٣٠٨٢) ، ومن طريق ثابت البناني برقم (١٢٦٦٠) ، كلاهما عن أنس . وفي الباب عن ابن مسعود عند الحاكم ٤/ ٤٩٤ ، وصححه على شرط الشيخين . وعن أبي هريرة عند ابن عدي في " الكامل " ٦/ ٢٠٩٢، والخطيب في تاريخه ٨/ ٢٦٢ .

(٣) انظر : الفقه على المذاهب الأربعة (١/ ٢٠٨) .

وقال الإمام أبو حامد محمَّد بن محمَّد الغزالي الطُّوسي (٥٠٥هـ) : " ... وعند ذلك يلقِّنه ذكراً من الأذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه ، فيجلس ويقول مثلاً : الله الله أو سبحان الله سبحان الله أو ما يراه الشَّيخ من الكلمات ، فلا يزال يواظب عليه حتى تسقط حركة اللسان ، وتكون الكلمة كأنَّها جارية على اللسان من غير تحريك ، ثمَّ لا يزال يواظب عليه حتى يسقط الأثر عن اللسان ، وتبقى صورة اللفظ في القلب ، ثمَّ لا يزال كذلك حتى يُمحى عن القلب حروف اللفظ وصورته ، وتبقى حقيقة معناه لازمة للقلب حاضرة معه غالبة عليه ، قد فرغ عن كلِّ ما سواه ، لأنَّ القلب إذا شغل بشيء خلا عن غيره أي شيء كان ، فإذا اشتغل بذكر الله تعالى ، وهو المقصود ، خلا لا محالة عن غيره ... " (١) .

وقد يعترض البعض على الذِّكر باسم الله المفْرد لأسباب ، من أشهرها : التَّرك ، بمعنى أنَّ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لم يفعلها ... وقد ردَّ على هذه الشُّبهة الإمام عبد الله الغماري في رسالته الطيِّبة : " حسن التَّفهُّم والدَّرك في مسألة التَّرك " . فلتُراجع ، مع العلم أنَّني توسَّعت فيها أثناء الرَّدِّ على تكفير الوهَّابيَّة للصُّوفيَّة ، في كتابي : " تَكفِيْرُ الوَهَّابيَّة لِعُمُوْمِ الأمَّة المُحَمَّديَّة " ...

والذِّكر بالاسم المفرد دأب عليه العارفون ، ولم يتركوه حتى خرجوا من الدُّنيا ، قال الإمام محمَّد بن الحسين بن محمَّد بن موسى بن خالد بن سالم النَّيسابوري ، أبو عبد الرَّحمن السّلمي (٤١٢هـ) : " وحُكي أنَّ أبا الحسين النُّوري بقي في منزله سبعة أيَّام لم يأكل ولم ينم ولم يشرب ، ويقول في وله ودهشه : الله الله ، وهو قائم يدور فأُخبر الجنيد بذلك فقال : انظروا أمحفوظ عليه أوقاته أم لا ؟ فقيل : أنَّه يصلِّي الفرائض ، فقال : الحمد لله الذي لم يجعل للشَّيطان عليه سبيلاً ثمَّ قال : قوموا حتى نزوره أمَّا نستفيد منه أو نفيده فدخل عليه ، وهو في وله قال : يا أبا الحسين ما الذي دهاك ؟ قال : أقول : الله الله زيدوا عليَّ ... " (٢) .

والحكاية رواها الإمام البيهقي (٤٥٨هـ) ، قال : أَخْبَرَنَا أَبُو محمَّد بْنُ يُوسُفَ ، سَمِعْتُ أَبَا العبَّاس عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ عُمَرَ الْمَسْعُودِيَّ ، بِدَيْنُورَ ، يَقُولُ : حُكِيَ لَنَا عَنْ أَبِي الْحُسَيْنِ النُّورِيِّ ، أَنَّه بَقِيَ فِي مَسْجِدٍ سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيهَا ، لَا يَأْكُلُ ، وَلَا يَشْرَبُ ، وَلَا يَنَامُ ، يَجِيءُ مِنْ أَوَّلِ الْمَسْجِدِ إلى آخِرِهِ ، فَأُبْلِغَ ذَلِكَ الْجُنَيْدُ ، وَابْنُ عَطَاءٍ ، وَالشِّبْلِيُّ ، فَجَاءُوا فَوَقَفُوا عَلَيْهِ ، فَقِيلَ لَهُ : هَذَا الْجُنَيْدُ ، وَابْنُ عَطَاءٍ وَالشِّبْلِيُّ ، فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ لَهُ الْجُنَيْدُ : مَا أَدْرِي دَهَاكَ مَا أَنْتَ فِيهِ ، أَخْبِرْنَا ، فَقَالَ النَّورِيُّ : أَنَا أَقُولُ : اللهُ ، تَزِيدُوا عَلَى قَوْلِ اللهِ ؟ ، فَقَالَ الشِّبْلِيُّ : إِنْ كُنْتَ

---

(١) انظر : إحياء علوم الدِّين (٣/ ٧٧) .

(٢) انظر : تفسير السلمي (هو حقائق التفسير) (١/ ٢٩-٣٠) .

تَقُولُ : اللهُ بِالله ، فَالْمِنَّةُ للهَّ فِيَما تَقُولُ ، وَإِنْ كُنْتَ تَقُولُ : اللهُ بِكَ ، فَلَيْسَ لَكَ مِنَ الله شَيْءٌ ، قَالَ : فَسَجَدَ ، فَقَالَ : أَنَا تَائِبٌ ، أَنَا تَائِبٌ، أَنَا تَائِبٌ ، فَقَالَ الْجُنَيْدُ : إِنَّ سُيوفَ الشِّبْلِيِّ تَقْطُرُ دَماً " (١) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٧٤٨هـ) في ترجمة عَبْد الأوَّل بْن عِيسَى بْن شُعَيب بْن إِبْرَاهِيم بْن إسحاق ، مُسْند الوقْت ، أبو الوقْت بْن أبي عَبْد اللهَّ السِّجْزيّ الأصل ، الهَرَوَيّ ، المالينيّ ، الصُّوفيّ (٥٥٣هـ) : " وَكَانَ مُشْتَهِراً بِالذِّكْرِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ محمَّد بن القاسم الصوفي ، وأكب عَلَيْهِ وَقَالَ : يَا سيِّدي ، قَالَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا الله دَخَلَ الجَنَّة " . فَرَفَعَ طرفه إليه ، وتلا هذه الآية : " يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وجعلني من المكرمين " فدهش إليه هو ومن حضر من الأصحاب ، ولم يزل يقرأ حتى ختم السُّورة ، وقال : الله الله الله ، ثمَّ توفي وهو جالس على السَّجَّادة " (٢) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٧٤٨هـ) في ترجمة محمَّد بْن يحيى بْن عليّ بْن مُسْلِم بْن مُوسَى بْن عِمْرَانَ ، الْقُرَشِيّ ، اليمنيّ ، الزَّبِيديّ ، الواعظ ، أبو عَبْد اللهَّ (٥٥٥هـ) : " وقال ابن عساكر : قال ولده إِسْمَاعِيل : كان أبي فِي كلّ يومٍ وليلة من أيّام مرضه يقول : اللهَّ اللهَّ ؛ قريباً من خمسة عشر ألف مرَّة ، وما زال يقول الله الله حتى طفئ " (٣) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٧٤٨هـ) في ترجمة محمَّد بْن عَبْد اللهَّ بْن هبة اللهَّ بن المظفَّر ابن رئيس الرُّؤساء أبي القاسم علي ابْن المسلمة ، أَبُو الفَرَج (٥٧٣هـ) : " وخَرج من بيته حاجاً فِي رابع ذي القعدة ، فضربه واحد من الباطنيَّة أربع ضربات على باب قطُفتا ، فَحُمِل إلى دارٍ هُنَاك ، فلم يتكلَّم ، إلَّا أنَّه كان يقول : اللهَّ ، اللهَّ . وقال : ادفنوني عند أَبِي . ثمَّ مات بعد الظُهْر ، رَحِمَهُ الله تعالى " (٤) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٧٤٨هـ) في ترجمة إِبْرَاهِيم بْن عَبْد الواحد بْن عَلِيّ بْن سُرور، الشَّيخ العِماد المَقْدِسِيّ الحَنْبَلِيّ الزَّاهد القدوة أَبُو إِسْحَاق (٦١٤هـ) : " قَالَ الضِّيَاءُ : ... وَكَانَ يُفتح عَلَيْهِ من الْأدعية شيء ما سَمِعْتُهُ من غيره قطّ ، وجرى بيننا ذِكر إجابة الدُّعاء ، فَقَالَ : ما

---

(١) انظر : شعب الإيمان (٩/ ٣٩٦ برقم ٦٨٦٣) .

(٢) انظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام (١٢/ ٦٣) .

(٣) انظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام (١٢/ ١٠٢) .

(٤) انظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام (١٢/ ٥٢٩) .

رَأَيْت مثل هَذَا الدُّعاء ، أَوْ قَالَ : أسرع إجابة : " يا اللهَّ يا اللهَّ أَنْتَ اللهَّ ، بلى ، واللهَّ أَنْتَ ، لَا إله إِلَّا أَنْتَ ، اللهَّ اللهَّ اللهَّ اللهَّ أَنَّه لَا إله إِلَّا اللهَّ " (١) .

وقال الإمام إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (١١٢٧هـ) : " وأمَّا ما قال بعض الكبار من أنَّ الذِّكر بلا إله إلَّا الله أفضل من الذِّكر بكلمة الله الله وهو هو من حيث أنَّها جامعة بين النَّفي والإثبات ، ومحتوية على زيادة العلم والمعرفة ، فبالنِّسبة إلى حال المبتدي ، فكلمة التَّوحيد تظهر مرءاة النَّفس بنارها ، فتوصل السَّالك إلى دائرة القلب ، وكلمة الله تنوِّر القلب بنورها ، فتوصل إلى دائرة الرُّوح ، وكلمة هو تجلِّي الرُّوح ، فتوصل من شاء الله إلى دائرة السِّر " (٢) .

وقال أيضاً : " قال الشَّيخ الكبير صدر الدِّين القنوي قدِّس سرُّه : أكَّده بالتّكرار ، ولا شكَّ أنَّ لا يذكر الله ذكراً حقيقيَّاً وخصوصاً بهذا الاسم الأعظم الجامع المنعوت بجميع الأسماء إلَّا الذي يعرف الحقّ بالمعرفة التَّامَّة ، وأتمّ الخلق معرفة بالله في كلِّ عصر خليفة الله ، وهو كامل ذلك العصر " (٣) .

وقال العارف بالله ابن عجيبة (١٢٢٤هـ) : " فالاسم المُفْرَد ﴿ٱللَّهُ﴾ هو سلطانُ الأسماء ، وهو اسم الله الأعظم ، ولا يزال المُريد يذكره بلسانه ويهتزُّ به حتى يمتزج بلحمه ودمه ، وتسري أنواره في كليَّاته وجزئيَّاته...، إلى أن قال : فينتقل الذِّكر إلى القلب ثمَّ إلى الرُّوح ثمَّ إلى السِّر ، فحينئذ يخرس اللسان ويصل إلى الشُّهود والعيان " (٤) .

وقال الإمام أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمَّد شطا الدِّمياطي (المتوفى: بعد ١٣٠٢هـ) : " وقال سيِّدي عبد القادر الجيلاني (٥٦١هـ) : الله هو الاسم الأعظم ، وإنَّما يُستجاب لك إذا قلت الله وليس في قلبك غيره " (٥) .

وعلى كلِّ حال فقد استوعبت كلَّ الشُّبهات التي جاءت في كلام مُدَّعي السَّلفيَّة المتضمِّن تكفير أسيادنا ومشايخنا الصُّوفيَّة في كتابي : " تَكْفِيْرُ الوَهَّابِيَّةِ لِعُمُوْمِ الأمَّة المُحَمَّديَّة " ...

**وَالحَمْدُ للهِ ربِّ العَالَمِين**

---

(١) انظر : انظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام (١٣/ ٣٩٥) .

(٢) انظر : روح البيان (٩/ ٤٥٦) .

(٣) انظر : روح البيان (٣/ ٢٨٦) .

(٤) انظر : معراج التشوف إلى حقائق علم التَّصوُّف (ص٢٤) .

(٥) انظر : إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية على فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين)(١/ ١٦) .

# فِهْرِسُ المَصَادِرُ وَالمَرَاجِعُ

(١) الإبانة عن أصول الديانة ، الأشعري ، دار الأنصار ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٧٧م .

(٢) أبجد العلوم ، أبو الطيب محمَّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي ، دار ابن حزم ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م .

(٣) إبطال التأويلات لأخبار الصفات ، القاضي أبو يعلى ، تحقيق : محمَّد بن حمد الحمود النجدي ، دار إيلاف الدولية ، الكويت .

(٤) أبكار الأفكار في أصول الدِّين ، الآمدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣م .

(٥) الإبهاج في شرح المنهاج ، تقي الدِّين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السُّبكي وولده تاج الدِّين أبو نصر عبد الوهَّاب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م .

(٦) إتحاف الأذكياء بجواز التَّوسُّل بالأنبياء والأولياء ، عبد الله بن الصدِّيق الغماري ، عالم الكتب ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٤م .

(٧) إتحاف الأنام وإسعاف الأفهام في وقف حمزة وهشام ، محمَّد بن أحمد بن عبدالله متولي ، مخطوط بمكتبة الملك عبدالله بن عبدالعزيز الجامعية (٣٥٥) .

(٨) إتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر في زيارة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، عبد الصمد بن عبد الوهَّاب بن أبي الحسن محمَّد بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين أمين الدِّين أبو اليمن بن عساكر الدِّمشقي نزيل مكة ، تحقيق : حسين محمَّد علي شكري ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ، الطبعة : الأولى .

(٣٠٩) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد الحنبلي ، تحقيق : محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م ، وطبعة دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٣١٠) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة ، اللالكائي ، تحقيق : أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي ، دار طيبة ، السعودية ، الطبعة : الثامنة ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٣م .

(٣١١) شرح الأصول الخمسة ، القاضي عبد الجبار ، بلا .

(٣١٢) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ، الزرقاني ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م .

(٣١٣) شرح السُّنَّة ، البغوي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، محمَّد زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م

(٣١٤) شرح الشفا ، علي بن سلطان محمَّد ، أبو الحسن نور الدِّين الملا الهروي القاري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١هـ .

(٣١٥) شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور ، السيوطي ، تحقيق : عبد المجيد طعمة حلبي ، دار المعرفة ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م .

(٣١٦) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ، الطيبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١م .

(٣١٧) شرح العقيدة الطحاوية ، عبد الغني الغنيمي الحنفي ،

(٩) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدِّين ، محمَّد بن محمَّد الحسيني الزبيدي الشَّهير بمرتضى ، مؤسسة التَّاريخ العربي ، بيروت ، ١٩٩٤م .
(١٠) إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع ، عبد السَّلام بن عبد القادر بن محمَّد بن عبد القادر بن الطالب بن محمَّد – فتحا– ابن سودة ، تحقيق : محمَّد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م .
(١١) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ، أحمد بن محمَّد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ ، شهاب الدِّين الشَّهير بالبناء ، تحقيق : أنس مهرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الثالثة ، ٢٠٠٦م ، ١٤٢٧هـ
(١٢) الإتقان في علوم القرآن ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السيوطي ، تحقيق : محمَّد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة : ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م .
(١٣) إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين ، البيهقي ، تحقيق : د. شرف محمود القضاة ، دار الفرقان ، عمان ، الأردن ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٥هـ .
(١٤) أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد ، علي بن عبد السَّلام بن علي، أبو الحسن التُّسُولي المالكي ، تحقيق : عبد اللطيف أحمد الشَّيخ محمَّد صالح ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة : الأولى ، ١٩٩٦م .
(١٥) الأحاديث المختارة ، الضياء المقدسي ، تحقيق : عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ، الطبعة : الثالثة ، ٢٠٠٠م .
تحقيق : محمَّد مطيع الحافظ ، ومحمَّد رياض المالح ، دار الفكر ، دمشق ، ط٢ ، ١٩٩٢م .
(٣١٨) شرح العقيدة الواسطية ، محمَّد بن صالح بن محمَّد العثيمين ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة : السادسة ، ١٤٢١هـ .
(٣١٩) شرح الفصول المهمة في مواريث الأمَّة ، محمَّد بن محمَّد بن أحمد الغزال الدِّمشقي ، بدر الدِّين ، الشَّهير بسبط المارديني ، تحقيق : أحمد بن سليمان بن يوسف العريني ، دار العاصمة ، الطبعة : ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م .
(٣٢٠) الشرح الكبير على متن المقنع ، عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي ، أبو الفرج ، شمس الدِّين ، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع .
(٣٢١) شرح المقاصد في علم الكلام ، سعد الدِّين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني ، دار المعارف النعمانية ، باكستان ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م ، وطبعة عالم الكتب ، بيروت ، ط١، ١٩٨٩م .
(٣٢٢) شَرح المُقَدّمَة الحضرمية المُسمّى بُشرى الكريم بشَرح مَسَائل التَّعليم ، سَعيد بن محمَّد بَاعَليّ بَاعِشن الدَّوْعَنِيُّ الرباطي الحضرمي الشَّافعي ، دار المنهاج للنشر والتوزيع ، جدة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م .
(٣٢٣) شرح رياض الصَّالحين ، محمَّد بن صالح بن محمَّد العثيمين ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، الطبعة : ١٤٢٦هـ .
(٣٢٤) شرح زروق على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني ، شهاب الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن أحمد بن محمَّد بن عيسى

(١٦) الإحاطة في أخبار غرناطة ، محمَّد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل ، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله ، الشَّهير بلسان الدِّين ابن الخطيب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٤هـ .

(١٧) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، محمَّد ابن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي ، أبو حاتم ، الدارمي ، البُستي ، ترتيب : الأمير علاء الدِّين علي بن بلبان الفارسي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .

(١٨) الأحكام القرآن ، القرطبي ، تحقيق : هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب ، الرياض ، الطبعة : ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٣م .

(١٩) الإحكام في أصول الأحكام ، ابن حزم الأندلسي ، تحقيق : أحمد محمَّد شاكر ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت .

(٢٠) إحياء المقبور من إدلة استحباب بناء المساجد والقباب على القبور ، أحمد بن الصدِّيق الغماري ، دار لوران ، الإسكندرية .

(٢١) إحياء علوم الدِّين ، أبو حامد الغزالي ، دار المعرفة ، بيروت .

(٢٢) أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، الفاكهي ، تحقيق : د. عبد الملك عبد الله دهيش ، دار خضر ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٤هـ .

(٢٣) أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار ، الأزرقي ، تحقيق : رشدي الصَّالح ملحس ، دار الأندلس للنشر ، بيروت .

(٢٤) الاختيار لتعليل المختار ، عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي البلدحي ، مجد الدِّين أبو الفضل الحنفي ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، ١٣٥٦هـ ، ١٩٣٧م .

البرنسي الفاسي، المعروف بـ زروق ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٧هـ ، ٢٠٠٦م .

(٣٢٥) شرح مختصر خليل للخرشي ، محمَّد بن عبد الله الخرشي المالكي أبو عبد الله ، دار الفكر للطباعة ، بيروت .

(٣٢٦) شرح مشكل الآثار ، الطحاوي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٥هـ .

(٣٢٧) شرف المصطفى ، الخركوشي ، دار البشائر الإسلامية ، مكة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٤هـ .

(٣٢٨) الشريعة ، الآجري ، تحقيق : الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة : الثانية ، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م .

(٣٢٩) شعب الإيمان ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي ، تحقيق : الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٣م .

(٣٣٠) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي ، دار الفيحاء ، عمَّان ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٧هـ .، وطبعة مكتبة الفارابي ، دمشق ،

() شفاء السقام ، السُّبكي ، دار المصطفى ، هولندا ، ط١ ، ٢٠٠٧م ، وطبعة مكتبة دار جوامع الكلم ، القاهرة .

(٣٣١) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، محمَّد بن أحمد بن علي، تقي الدِّين ، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م .

(٣٣٢) شفاء الغليل في حل مقفل خليل ، أبو عبد الله محمَّد بن

(٢٥) الإخنائية (أو الرد على الإخنائي) ، تقي الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمَّد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدِّمشقي ، تحقيق : أحمد بن مونس العنزيدار ، دار الخراز ، جدة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م

(٢٦) الآداب الشرعية ، أبو عبدالله شمس الدِّين محمَّد بن مفلح بن محمَّد المقدسي ، ثمَّ الصالحي الراميني، ، تحقق : شعيب الأرناؤوط ، عمر القيام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الثالثة ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٩م .، طبعة أخرى عالم الكتب .

(٢٧) أدب الكاتب ، أبو محمَّد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروري الدينوري ، تحقيق : محمَّد محيى الدِّين عبدالحميد ، المكتبة التجارية ، مصر ، الطبعة : الرابعة ، ١٩٦٣م .

(٢٨) الأدب المفرد ، البخاري ، تحقيق : محمَّد فؤاد عبد الباقي ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م ، طبعة أخرى مكتبة الخانجي ، مصر ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٣م .

(٢٩) الأذكار ، أبو زكريا محيي الدِّين يحيى بن شرف النووي ، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م ، وطبعة الجفان والجابي ، دار ابن حزم للطباعة والنشر ، الطبعة : الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م .، وطبعة دار ابن كثير، دمشق ، بيروت ، الطبعة : الثانية ،١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م .

(٣٠) أربعون حديثا لعلي بن المفضل المقدسي ، شَرَفُ الدِّين ، عَلِيُّ بنُ المُفَضَّلِ بنِ عَلِيِّ بنِ مُفَرِّجِ بنِ حَاتِمِ بنِ حَسَنِ بنِ جَعْفَرٍ المَقْدِسِيُّ ، مخطوط .

أحمد بن محمَّد بن محمَّد بن علي بن غازي العثماني المكناسي ، تحقيق : الدكتور أحمد بن عبد الكريم نجيب ، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٩هـ ، ٢٠٠٨م .

(٣٣٣) الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ، طاشكبري زادة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م .

(٣٣٤) شواهد الحق في الاستغاثة بسيِّد الخلق ، يوسف بن إبراهيم النبهاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٣ ، ٢٠٠٣م ، ط٢ ، ٢٠٠٢م .

(٣٣٥) الصارم المنكي في الرد على السُّبكي ، ابن عبد الهادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥م .

(٣٣٦) صب الخمول على من وصل أذاه إلى الصَّالحين من أولياء الله (مطبوع ضمن مجموع رسائل ابن عبد الهادي) ، يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن ابن عبد الهادي الصالحي، جمال الدين، ابن المِبْرَد الحنبلي ، دار النوادر ، سوريا ، الطبعة : الأولى ، ١٤٣٢هـ ، ٢٠١١م .

(٣٣٧) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثمَّ القاهري ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٣٣٨) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، الجوهري ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة : الرابعة ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م .

(٣٣٩) صحيح ابن حبان ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م ، وطبعة مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م

(٣١) الأربعين في أصول الدِّين ، الرازي مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة .
(٣٢) الإرشاد ، الجويني ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، ٢٠٠٢م
(٣٣) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، القسطلاني ، المطبعة الكبرى الأميرية ، مصر ، الطبعة : السابعة ، ١٣٢٣هـ .
(٣٤) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ، محمَّد بن علي بن محمَّد بن عبد الله الشوكاني اليمني ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧٩م ، وطبعة دار الكتاب العربي ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٩م .
(٣٥) الإرشاد في معرفة علماء الحديث ، أبو يعلى الخليلي، خليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل القزويني ، تحقيق : د. محمَّد سعيد عمر إدريس ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٩هـ .
(٣٦) إرغام المبتدع الغبي بجواز التَّوسُّل بالنَّبي ، عبد الله بن الصدِّيق الغماري ، تحقيق : الأستاذ حسن السقَّاف ، دار الإمام النووي ، عمَّان .
(٣٧) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥م
(٣٨) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد بن أحمد بن يحيى، أبو العبَّاس المقري التلمساني ، تحقيق : مصطفى السقا ، ورفاقه ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٥٨هـ ، ١٩٣٩م .
(٣٩) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز
.
(٣٤٠) صحيح البخاري ، ، تحقيق : محمَّد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ
(٣٤١) صحيح مسلم ، تحقيق : محمَّد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
(٣٤٢) صحيح مسلم بشرح النووي ، النووي ، دار مناهل العرفان ، بيروت .
(٣٤٣) صفة الصفوة ، ابن الجوزي ، تحقيق : أحمد بن علي ، دار الحديث، القاهرة ، الطبعة : ١٤٢١هـ ،٢٠٠٠م .
(٣٤٤) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال ، مكتبة الخانجي ، الطبعة : الثانية ، ١٣٧٤هـ ، ١٩٥٥م.
(٣٤٥) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ، أحمد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري ، شهاب الدِّين شيخ الإسلام ، أبو العبَّاس ، تحقيق : عبد الرَّحمن بن عبد الله التركي ، كامل محمَّد الخراط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م .
(٣٤٦) صيد الخاطر ، ابن الجوزي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، وطبعة دار القلم ، دمشق ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م
(٣٤٧) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .
(٣٤٨) طبقات الأولياء ، ابن الملقن سراج الدِّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشَّافعي المصري ، تحقيق : نور الدِّين شريبه ،

والاختصار ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي ، تحقيق : عبدالمعطي امين قلعجي ، دار قتيبة ، دمشق ، دار الوعي ، حلب ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م .

(٤٠) الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، شهاب الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن خالد بن محمَّد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي ، تحقيق : جعفر الناصري ، محمَّد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء .

(٤١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ابن عبد البر ، تحقيق : علي محمَّد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٩٩٢م .

(٤٢) أسد الغابة في معرفة الصَّحابة ، ابن الأثير ، تحقيق : علي محمَّد معوض ، عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤ م ، وطبعة دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م .

(٤٣) الإسعاف في أحكام الأوقاف ، إبراهيم بن موسى بن أبي بكر ابن الشَّيخ علي الطرابلسي ، الحنفي ، طبع بمطبعة هندية بشارع المهدي بالأزبكية بمصر المحمية ، الطبعة : الثانية ، ١٣٢٠هـ ، ١٩٠٢م .

(٤٤) الأسماء والصفات ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي ، تحقيق : عبد الله بن محمَّد الحاشدي ، مكتبة السوادي ، جدة ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م .

(٤٥) الإشارات الإلهية في المباحث الأصولية ، سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري ، أبو الربيع ، نجم الدِّين الطوفي ، بلا .

مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م .

(٣٤٩) طبقات الحنابلة ، أبو الحسين ابن أبي يعلى ، محمَّد بن محمد، تحقيق : محمَّد حامد الفقي ، دار المعرفة ، بيروت .

(٣٥٠) الطبقات السنية في تراجم الحنفية ، تقي الدِّين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي ، بلا .

(٣٥١) طبقات الشافعية ، أبو بكر بن أحمد بن محمَّد بن عمر بن قاضي شهبة ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ، الطبعة : الأولى .

(٣٥٢) طبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي ، تحقيق : د. محمود محمَّد الطناحي ، د. عبد الفتاح محمَّد الحلو ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٢ ، ١٤١٣هـ .

(٣٥٣) طبقات الشافعيين ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمَّ الدِّمشقي ، تحقيق : د أحمد عمر هاشم ، د محمَّد زينهم محمَّد عزب ، مكتبة الثقافة الدينية ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م .

(٣٥٤) طبقات الفقهاء الشافعية ، عثمان بن عبد الرَّحمن ، أبو عمرو ، تقي الدِّين المعروف بابن الصلاح ، تحقيق : محيي الدِّين علي نجيب ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٩٩٢م .

(٣٥٥) الطبقات الكبرى ، أبو عبد الله محمَّد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد ، تحقيق : محمَّد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م ، وطبعة مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠١ م .

(٤٦) الإشارات إلى معرفة الزيارات ، علي بن أبي بكر بن علي الهروي ، أبو الحسن ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٣هـ .

(٤٧) الإصابة في تمييز الصَّحابة ، ابن حجر العسقلاني ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمَّد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٥هـ .

(٤٨) أصول الدِّين ، البغدادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٣، ١٩٨١م .

(٤٩) إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية على فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين) ، أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمَّد شطا الدمياطي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوريع ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م .

(٥٠) اعتقاد الإمام أحمد ، أبو الفضل ، عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث ، التميمي البغدادي الحنبلي ، بلا .

(٥١) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السَّلف وأصحاب الحديث ، البيهقي ، تحقيق : أحمد عصام الكاتب ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠١هـ .

(٥٢) إعصار التَّوحيد يحطّم وثن الصُّوفيّة ، عبد العزيز بن باز واللّجنة الدّائمة للإفتاء ، جمع وترتيب : نبيل محمود ، دار القاسم ، ١٤١٨هـ .

(٥٣) الأعلام ، الزركلي ، دار العلم للملايين ، الطبعة : الخامسة عشر ، ٢٠٠٢ م .

(٥٤) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية ، عمرُ بنُ عليِّ بنِ موسى بنِ خليلِ البغداديُّ الأزجيُّ البزَّارُ ، المحقق : زهير الشاويش ،

(٣٥٦) طبقات صلحاء اليمن ، المعروف بتاريخ البريهي ، عبد الوهَّاب بن عبد الرَّحمن البريهي السكسكي اليمني ، تحقيق : عبد الله محمَّد الحبشي ، مكتبة الارشاد ، صنعاء .

(٣٥٧) طرح التثريب في شرح التقريب ، أبو الفضل زين الدِّين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرَّحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي ، الطبعة المصرية القديمة ، بلا .

(٣٥٨) ظهر الإسلام ، أحمد أمين ، دار النهضة المصرية ، ط٣ ، ١٩٦٦م .

(٣٥٩) العاقبة في ذكر الموت ، عبد الحق بن عبد الرَّحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد إبراهيم الأزدي ، الأندلسي الأشبيلي ، المعروف بابن الخراط ، تحقيق : خضر محمَّد خضر ، مكتبة دار الأقصى ، الكويت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .

(٣٦٠) العبر في خبر من غبر ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي ، تحقيق : أبو هاجر محمَّد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٣٦١) العجاب في بيان الأسباب ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق : عبد الحكيم محمَّد الأنيس ، دار ابن الجوزي .

(٣٦٢) عجَالة الإملاءِ المتَيسرةِ من التذنيب عَلى ما وقَع للحَافِظ المنذِري مِنَ الوَهْم وغيره في كِتابه الترغيب والترهيب ، إبراهيم بن محمَّد بن محمود بن بدر، برهان الدين، أبو إسحاق الحلبي القبيباتي الشَّافعي الناجي ، تحقِيق : الدكتور إبراهيم بن حماد الريس ، الدكتور محمَّد بن عبد الله بن علي القنّاص ، مَكتَبة المعَارف للنشر وَالتوزيع ، الرياض ، الطبعة : الأولي ، ١٤٢٠هـ ،

المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠هـ .

(٥٥) الإعلام بفوائد عمدة الأحكام ، ابن الملقن سراج الدِّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشَّافعي المصري ، تحقيق : عبد العزيز بن أحمد بن محمَّد المشيقح ، دار العاصمة للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م .

(٥٦) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التَّاريخ ، شمس الدِّين محمَّد بن عبد الرَّحمن السَّخاوي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٣م .

(٥٧) أعيان العصر وأعوان النصر ، الصفدي ، تحقيق : الدكتور علي أبو زيد ، ورفاقه ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م.

(٥٨) إفادة الأنام بذ كر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقه المسمى : بإتمام الكلام ، عبدالله بن محمَّد الغازي المكي الحنفي ، تحقيق : عبدالملك بن عبدالله بن دهيش ، بلا .

(٥٩) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، ابن تيمية الحراني ، تحقيق : ناصر عبد الكريم العقل ، دار عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة : السابعة ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٩م ، وطبعة مطبعة السُّنَّة المحمدية ، القاهرة ، الطبعة : الثانية ، ١٣٦٩هـ .

(٦٠) الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل ، موسى بن أحمد بن موسى بن سالم بن عيسى بن سالم الحجاوي المقدسي ، ثمَّ الصالحي ، شرف الدِّين ، أبو النجا ، تحقيق : عبد اللطيف محمَّد موسى السُّبكي ، دار المعرفة ، بيروت .

(٦١) أقوال الحفاظ المنثورة لبيان وضع حديث : " رأيت ربِّي في أحسن صورة ، الأستاذ حسن السقاف ، بذيل كتاب دفع شبه التشبيه لابن الجوزي ، دار الإمام النووي ، عمان ، ط١ ، ١٩٩٢م .

١٩٩٩م .

(٣٦٣) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، أحمد بن علي بن عبد الكافي ، أبو حامد ، بهاء الدِّين السُّبكي ، تحقيق : الدكتور عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٣م .

(٣٦٤) العقد التليد في اختصار الدر النضيد (المعيد في أدب المفيد والمستفيد) ، عبد الباسط بن موسى بن محمَّد بن إسماعيل العلموي ثمَّ الموقت الدِّمشقي الشَّافعي ، تحقيق : الدكتور : مروان العطية ، مكتبة الثقافة الدينية ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٤م .

(٣٦٥) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، أبو محمَّد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدِّين العينى ، بلا .

(٣٦٦) عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة ، أبو محمَّد جلال الدِّين عبد الله بن نجم بن شاس بن نزار الجذامي السعدي المالكي ، تحقيق : أ. د. حميد بن محمَّد لحمر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٣م .

(٣٦٧) العقد الفريد ، أبو عمر ، شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٤هـ .

العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية ، ابن عابدين ، محمَّد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدِّمشقي الحنفي ، دار المعرفة

(٣٦٨) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ،

(٦٢) إكمال الإكمال (تكملة لكتاب الإكمال لابن ماكولا) ، ابن نقطة الحنبلي البغدادي ، تحقيق : د. عبد القيوم عبد ريب النَّبي ، نشر: جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٠هـ .
(٦٣) إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي ، تحقيق : أبو عبد الرَّحمن عادل بن محمَّد ، أبو محمَّد أسامة بن إبراهيم ، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م .
(٦٤) الأمالي ، ابن بشران ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م .
(٦٥) أمالي أبي الفتح المقدسي(المجلس الحادي والعشرون بعد المائة) ، نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم ابن داود النابلسي المقدسي، أبو الفتح الشَّافعي ، مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية ، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠٤هـ .
(٦٦) إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العبَّاس الحسيني العبيدي ، تقي الدِّين المقريزي ، تحقيق : محمَّد عبد الحميد النميسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م .
(٦٧) إنارة الدجى في مغازي خير الورى صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّم ، حسن بن محمَّد المشاط المالكي ، دار المنهاج ، جدة ، الطبعة : الثانية ، ١٤٢٦هـ .
(٦٨) إنباء الغمر بأبناء العمر ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق : د . حسن حبشي ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، مصر ، ١٣٨٩هـ ، ١٩٦٩م .
شمس الدِّين محمَّد بن أحمد بن عبد الهادي بن يوسف الدِّمشقي الحنبلي ، تحقيق : محمَّد حامد الفقي ، دار الكاتب العربي ، بيروت
(٣٦٩) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن ابن وهاس الخزرجي الزبيدي، أبو الحسن موفق الدِّين ، ، تحقيق : محمَّد بن علي الأكوع الحوالي ، نشر: مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، دار الآداب ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م .
(٣٧٠) عقيدة المؤمن ، أبو بكر الجزائري ، بلا .
(٣٧١) عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرَّحمن ، حمود التويجري ، دار اللواء ، الرياض ، ط٢ ، ١٩٨٩م .
(٣٧٢) العلل ومعرفة الرجال ، أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال الشيباني ، تحقيق : وصي الله بن محمَّد عبَّاس ، دار الخاني ، الرياض ، الطبعة : الثانية ، ١٤٢٢هـ .
(٣٧٣) علي القاري في شرح الفقه الأكبر ، علي القاري ، دار النفائس ، ط١ ، ١٩٩٧م .
(٣٧٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، أبو محمَّد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدِّين العينى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
(٣٧٥) عمل اليوم والليلة سلوك النَّبي مع ربه عزَّ وجلَّ ومعاشرته مع العباد ، أحمد بن محمَّد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط بن عبد الله بن إبراهيم بن بُدَيْح ، الدِّيْنَوَريُّ ، المعروف بـ " ابن السُّنِّي " ، تحقيق : كوثر البرني ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، ومؤسسة علوم القرآن ، جدة ، بيروت .
(٣٧٦) عمل اليوم والليلة سلوك النَّبي مع ربه عزَّ وجلَّ

(٦٩) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، عبد الرَّحمن بن محمَّد بن عبد الرَّحمن العليمي الحنبلي ، أبو اليمن ، مجير الدِّين ، تحقيق : عدنان نباتة ، مكتبة دنديس ، عمان .
(٧٠) الإنصاف ، الباقلاني ، بلا .
(٧١) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ، علاء الدِّين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الصالحي الحنبلي ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة : الثانية .
(٧٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، البيضاوي ، تحقيق : محمَّد عبد الرَّحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٨هـ .
(٧٣) أهوال القبور ، ابن رجب الحنبلي ، تحقيق : عاطف صابر شاهين ، دار الغد الجديد ، المنصورة ، مصر ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م .
(٧٤) الإيمان ، ابن منده ، تحقيق : د. علي بن محمَّد بن ناصر الفقيهي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٦هـ .
(٧٥) الباعث على إنكار البدع والحوادث ، أبو شامة ، تحقيق : عثمان أحمد عنبر ، دار الهدى ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م .
(٧٦) بحر الدموع ، جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي ، تحقيق : جمال محمود مصطفى ، دار الفجر للتراث ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م .
(٧٧) البحر الرائق شرح كنز الدقائق ، زين الدِّين بن إبراهيم بن محمَّد ، المعروف بابن نجيم المصري ، وفي آخره : تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري ، وبالحاشية :
ومعاشرته مع العباد ، ابن السني ، تحقيق : كوثر البرني ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن ، جدة ، بيروت .
(٣٧٧) عون المعبود شرح سنن أبي داود ، ومعه حاشية ابن القيم : تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته ، ، العظيم آبادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٥هـ .
(٣٧٨) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدِّين ، أبو العبَّاس ابن أبي أصيبعة ، تحقيق : الدكتور نزار رضا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .
(٣٧٩) غاية البيان شرح زبد ابن رسلان ، شمس الدِّين محمَّد بن أبي العبَّاس أحمد بن حمزة شهاب الدِّين الرملي ، دار المعرفة ، بيروت.
(٣٨٠) غاية السول في خصائص الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، ابن الملقن سراج الدِّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشَّافعي المصري ، تحقيق : عبد الله بحر الدِّين عبد الله ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت .
(٣٨١) غاية النهاية في طبقات القراء ، شمس الدِّين أبو الخير ابن الجزري ، محمَّد بن محمَّد بن يوسف ، مكتبة ابن تيمية ، الطبعة : عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر .
(٣٨٢) الغرر البهية في شرح البهجة الوردية ، زكريا بن محمَّد بن أحمد بن زكريا الأنصاري ، زين الدِّين أبو يحيى السنيكي ، المطبعة الميمنية .
(٣٨٣) غريب الحديث ، إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق ، تحقيق : د. سليمان إبراهيم محمَّد العايد ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٥هـ .

منحة الخالق لابن عابدين ، دار الكتاب الإسلامي ، الطبعة : الثانية
(٧٨) البحر الزخار ، ابن المرتضى ، بلا .
(٧٩) بحر العلوم ، أبو الليث نصر بن محمَّد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي ، تحقيق : د. محمود مطرجي ، دار الفكر ، بيروت .
(٨٠) البحر المحيط في أصول الفقه ، أبو عبد الله بدر الدِّين محمَّد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ، دار الكتبي ، الأولى ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م .
(٨١) البحر المحيط في التفسير ، أبو حيان محمَّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدِّين الأندلسي ، تحقيق : صدقي محمَّد جميل ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة : ١٤٢٠هـ .
(٨٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، ابن عجيبة الحسني ، تحقيق : أحمد عبد الله القرشي رسلان ، نشر : الدكتور حسن عبَّاس زكي ، القاهرة ، الطبعة : ١٤١٩هـ .
(٨٣) بحر المذهب (في فروع المذهب الشافعي) ، الروياني ، أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل ، تحقيق : طارق فتحي السيد ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠٩م .
(٨٤) البداية والنهاية ، ابن كثير ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م ، وطبعة دار الفكر ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٦م .
(٨٥) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، محمَّد بن علي بن محمَّد بن عبد الله الشوكاني اليمني ، دار المعرفة ، بيروت .
(٨٦) البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح

(٣٨٤) الغصن الداني في ترجمة وحياة الشَّيخ عبد الرَّحمن التنلاني ، أبو عبد الله محمَّد عبد القادر بن محمَّد بن المختار بن أحمد العالم القبلوي الجزائري المالكي الشَّهير بالشيخ باي بلعالم ، مطبعة دار هومه ، ٢٠٠٤م
(٣٨٥) الغنية ، عبد القادر الجيلاني ، بلا .
(٣٨٦) الفتاوى ، محمَّد بن عبد الوهَّاب ، تحقيق : صالح بن عبد الرَّحمن الأطرم ، ومحمَّد بن عبد الرزاق الدويش ، مطابع الرياض ، الرياض .
(٣٨٧) فتاوى ابن الصلاح ، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدِّين المعروف بابن الصلاح ، تحقيق : د. موفق عبد الله عبد القادر ، مكتبة العلوم والحكم ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٧هـ.
(٣٨٨) الفتاوى الحديثية ، ابن حجر الهيتمي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م .
(٣٨٩) فتاوى الرملي ، شهاب الدِّين الرملي الشَّافعي ، جمعها: ابنه ، شمس الدِّين محمَّد بن أبي العبَّاس أحمد بن حمزة شهاب الدِّين الرملي ، المكتبة الإسلامية .
(٣٩٠) فتاوى السُّبكي ، أبو الحسن تقي الدِّين علي بن عبد الكافي السُّبكي ، دار المعارف .
(٣٩١) الفتاوى الفقهية الكبرى ، أحمد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري ، شهاب الدِّين شيخ الإسلام ، أبو العبَّاس ، جمعها : تلميذ ابن حجر الهيتمي ، الشَّيخ عبد القادر بن أحمد بن علي الفاكهي المكي ، المكتبة الإسلامية .
(٣٩٢) الفتاوى الكبرى ، ابن تيمية ، دار الكتب العلمية ، الطبعة

الكبير ، ابن الملقن سراج الدِّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشَّافعي المصري ، تحقيق : مصطفى أبو الغيط ، وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال ، دار الهجرة للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة : الاولى ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م .

(٨٧) بدع القبورِ ، أنواعها ، وأحكامها ، صالح العصيمي ، بلا .

(٨٨) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية ، محمَّد بن محمَّد بن مصطفى بن عثمان ، أبو سعيد الخادمى الحنفي ، مطبعة الحلبي ، الطبعة ، ١٣٤٨هـ .

(٨٩) بشرى الكئيب بلقاء الحبيب ، السيوطي ، تحقيق : عبد الحميد محمَّد الدرويش ، دار يعرب للدراسات والنشر والتوزيع ، دمشق ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م .

(٩٠) بصائر ذوي التمييز ، الفيروزآبادي ، دار الباز ، مكة المكرَّمة ، وطبعة لجنة إحياء التراث الإسلامي ، () القاهرة .

(٩١) البصائر والذخائر ، أبو حيان التوحيدي ، علي بن محمَّد بن العبَّاس ، تحقيق : د. وداد القاضي ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .

(٩٢) البعث والنشور ، البيهقي ، تحقيق : الشَّيخ عامر أحمد حيدر ، نشر : مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .

(٩٣) بغية الطلب في تاريخ حلب ، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي ، كمال الدِّين ابن العديم ، تحقيق : د. سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، وطبعة المكتبة العصرية ، لبنان ، صيدا .

(٩٤) بغية ذوي الأحلام بأخبار مَن فُرِّجَ كربُه برؤية المصطفى عليه الصَّلاة والسَّلام في المنام " ، مخطوطة في دار الكتب المصرية تحت

: الأولى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٧م .

(٣٩٣) فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش .

(٣٩٤) الفتاوى الهندية ، لجنة علماء برئاسة نظام الدِّين البلخي ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٣١٠هـ .

(٣٩٥) فتاوى في العقيدة ، ابن باز ، رسائل إرشادية لرئاسة الحرس الوطني .

(٣٩٦) فتاوى مهمة لعموم الأمَّة ، عبد العزيز بن باز ، محمَّد بن صالح العثيمين ، تحقيق : إبراهيم الفارس ، دار العاصمة ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٣هـ .

(٣٩٧) فتاوى نور على الدرب ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، جمعها : الدكتور محمَّد بن سعد الشويعر .

(٣٩٨) فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني ، دار الفكر ، بيروت ، وطبعة دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩هـ .

(٣٩٩) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن رجب الحنبلي ، تحقيق : محمود بن شعبان بن عبد المقصود ، ورفاقه ، مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة المنورة ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م .

(٤٠٠) فتحُ البيان في مقاصد القرآن ، محمَّد صديق خان ، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر ، صَيدَا ، بَيروت ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .

(٤٠١) الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني ، محمَّد بن علي بن محمَّد بن عبد الله الشوكاني اليمني ، تحقيق

(٤٠٢) فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ، أبو عبد الله الطالب محمَّد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي ، تحقيق : محمَّد

رقم : ٣/ ٣٦ (٣٣٣٥) ، (٦٣ مجاميع).
(٩٥) بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير (الشرح الصغير هو شرح الشَّيخ الدردير لكتابه المسمى أقرب المسالك لِمَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ) ، أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد الخلوتي ، الشَّهير بالصاوي المالكي ، دار المعارف ، بدون طبعة وبدون تاريخ .
(٩٦) البلغة إلى أصول اللغة ، أبو الطيب محمَّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي ، تحقيق : سهاد حمدان أحمد السامرائي (رسالة ماجستير من كلية التربية للبنات ، جامعة تكريت بإشراف الأستاذ الدكتور أحمد خطاب العمر) ، رسالة جامعية ، جامعة تكريت .
(٩٧) بُلُوغُ اَلْمَرَامِ مِنْ أَدِلَّةِ اَلْأَحْكَامِ ، ابن حجر العسقلاني ، بلا .
(٩٨) البهجة في شرح التحفة (شرح تحفة الحكام) ، علي بن عبد السَّلام بن علي ، أبو الحسن التُّسُولي ، تحقيق : محمَّد عبد القادر شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م.
(٩٩) بيان المعاني ، عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني ، مطبعة الترقي ، دمشق ، الطبعة : الأولى ، ١٣٨٢هـ ، ١٩٦٥م .
(١٠٠) بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام ، علي بن محمَّد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي، أبو الحسن ابن القطان ، تحقيق : د. الحسين آيت سعيد ، دار طيبة ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م .
(١٠١) بيان تلبيس الجهميَّة في تأسيس بدعهم الكلامية ، ابن تيمية ،
إبراهيم الكتاني ، محمَّد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م .
(٤٠٣) فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك ، محمَّد بن أحمد بن محمَّد عليش ، أبو عبد الله المالكي ، دار المعرفة .
(٤٠٤) فتح القدير ، ابن الهمام ، دار الفكر .
(٤٠٥) فتح القدير ، الشوكاني ، دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب ، دمشق ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٤هـ .
(٤٠٦) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، الشوكاني ، دار الفكر ، بيروت .
(٤٠٧) فتح القريب المجيب في شرح ألفاظ التقريب ، محمَّد بن قاسم بن محمَّد بن ، أبو عبد الله، شمس الدِّين الغزي ، ويعرف بابن قاسم وبابن الغرابيلي ، الجفان والجابي للطباعة والنشر ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٥م .
(٤٠٨) فتح المجيد شرح كتاب التَّوحيد ، عبد الرَّحمن بن حسن آل الشَّيخ ، تحقيق محمَّد حامد الفقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٧ ، ١٩٥٧م ، وطبعة مطبعة السُّنَّة المحمدية ، القاهرة ، مصر ، الطبعة : السابعة ، ١٣٧٧هـ .
(٤٠٩) فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي ، شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي ، تحقيق : علي حسين علي ، مكتبة السُّنَّة ، مصر ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م .
(٤١٠) فتح الوهَّاب بشرح منهج الطلاب (هو شرح للمؤلف على كتابه هو منهج الطلاب الذي اختصره المؤلف من منهاج

تحقيق : مجموعة من المحققين ، نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشَّريف ، المدينة المنورة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٦هـ .

(١٠٢) بيان زغل العلم والطلب ، الذَّهبي ، بلا .

(١٠٣) البيان في مذهب الإمام الشَّافعي ، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشَّافعي ، تحقيق : قاسم محمَّد النوري ، دار المنهاج ، جدة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م .

(١٠٤) تاج العروس من جواهر القاموس ، الزبيدي ، تحقيق : مجموعة من المحققين ، دار الهداية .

(١٠٥) تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ، خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي، أبو البقاء ، بلا .

(١٠٦) التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول ، أبو الطيب محمَّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي ، نشر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٨هـ ، ٢٠٠٧م .

(١٠٧) تاريخ ابن الوردي ، عمر بن مظفر بن عمر بن محمَّد ابن أبي الفوارس ، أبو حفص ، زين الدِّين ابن الوردي المعري الكندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م .

(١٠٨) تاريخ إربل ، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإِربلي ، المعروف بابن المستوفي ، تحقيق : سامي بن سيِّد خماس الصقار ، نشر: وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق ، ١٩٨٠م .

(١٠٩) تاريخ أصبهان (أخبار أصبهان) ، أبو نعيم الأصبهاني ، تحقيق : سيِّد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م

الطالبين للنووي) ، زكريا بن محمَّد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدِّين أبو يحيى السنيكي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، الطبعة : ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م .

(٤١١) فتوح الشَّام ، محمَّد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء ، المدني، أبو عبد الله، الواقدي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م .

(٤١٢) الفتوحات الربَّانية على الأذكار النواوية ، محمَّد بن علان الصديقي الشَّافعي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

(٤١٣) الفتوحات المكيَّة ، ابن عربي الحاتمي ، دار صادر ، بيروت

(٤١٤) فتوحات الوهَّاب بتوضيح شرح منهج الطلاب المعروف بحاشية الجمل (منهج الطلاب اختصره زكريا الأنصاري من منهاج الطالبين للنووي ثمَّ شرحه في شرح منهج الطلاب) ، سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري، المعروف بالجمل ، دار الفكر .

(٤١٥) الفردوس بمأثور الخطاب ، شيرويه بن شهردار بن شيرو يه بن فناخسرو ، أبو شجاع الديلميّ الهمذاني ، تحقيق : السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م

(٤١٦) الفرقان بين أولياء الرَّحمن وأولياء الشيطان ، ابن تيمية الحراني ، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م .

(٤١٧) الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق) ، أبو العبَّاس شهاب الدِّين أحمد بن إدريس بن عبد الرَّحمن المالكي الشَّهير بالقرافي ، عالم الكتب ، وطبعة دار الكتب العلمية ، الطبعة :

(١١٠) تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) ، دكتور إحسان عبَّاس ، دار الثقافة ، بيروت ، الطبعة : الخامسة ، ١٩٧٨م .
(١١١) تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام ، الذَّهبي ، تحقيق : الدكتور بشار عوّاد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠٣ م .
(١١٢) تاريخ الأمم والملوك ، محمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطَّبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٧هـ .
(١١٣) تاريخ البصروي ، علي بن يوسف بن علي بن أحمد، علاء الدِّين الدِّمشقي العاتكي الشَّافعي الشَّهير بالبصروي ، تحقيق : أكرم حسن العلبي ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٨هـ .
(١١٤) تاريخ الخلفاء ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السيوطي ، تحقيق : حمدي الدمرداش ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، الطبعة : الأولى : ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م .
(١١٥) تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس ، حسين بن محمَّد بن الحسن الدِّيار بَكْري ، دار صادر ، بيروت .
(١١٦) تاريخ الطَّبري (تاريخ الرسل والملوك) ، محمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطَّبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ .
(١١٧) التَّاريخ الكبير ، البخاري ، الطبعة : دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الدكن .
(١١٨) تاريخ بغداد ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن

١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م .
(٤١٨) فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات ، محمَّد إبراهيم محمَّد سالم ، دار البيان العربى ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م .
(٤١٩) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم الأندلسي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .
(٤٢٠) الفصول في السيرة ، ابن كثير ، تحقيق : محمَّد العيد الخطراوي ، محيي الدِّين مستو ، مؤسسة علوم القرآن ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٣هـ .
(٤٢١) فقه السيرة ، البوطي ، دار الفكر ، بيروت ، ط٨ ، ١٩٨٠م .
(٤٢٢) الفقه على المذاهب الأربعة ، عبد الرَّحمن بن محمَّد عوض الجزيري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م .
(٤٢٣) فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ، محمَّد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمَّد الحسني الإدريسي ، المعروف بعبد الحي الكتاني ، تحقيق : إحسان عبَّاس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٩٨٢م .
(٤٢٤) فوات الوفيات ، محمَّد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرَّحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدِّين ، تحقيق : إحسان عبَّاس ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٩٧٤م .
(٤٢٥) في ظلال القرآن ، سيِّد قطب إبراهيم حسين الشاربي ، دار الشروق ، بيروت ، الطبعة : السابعة عشر ، ١٤١٢هـ .
(٤٢٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير ، زين الدِّين محمَّد

مهدي الخطيب البغدادي ، تحقيق : الدكتور بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة: الأولى ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م .

(١١٩) تاريخ دمشق ، ابن عساكر ، تحقيق : عمرو بن غرامة العمروي ، دار الفكر ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م .

(١٢٠) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، عبد الرَّحمن بن حسن الجبرتي ، دار الجيل ، بيروت .

(١٢١) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشَّريف ، محمَّد بن أحمد بن الضياء محمَّد القرشي العمري المكي الحنفي ، بهاء الدِّين أبو البقاء ، المعروف بابن الضياء ، تحقيق : علاء إبراهيم ، أيمن نصر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٤م .

(١٢٢) تأويل مختلف الحديث ، ابن قتيبة الدينوري ، المكتب الاسلامي ، مؤسسة الإشراق ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٩م .

(١٢٣) التَّبرُّك بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وبآثاره في حياته وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، الدكتور علي مقدادي ، نشر : كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ، الإسكندرية ، المجلد السادس ، ٢٠١٠م .

(١٢٤) التبصرة لابن الجوزي ، جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م

(١٢٥) التبيان في إعراب القرآن ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري ، تحقيق : علي محمَّد البجاوي ، نشر : عيسى البابي

المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثمَّ المناوي القاهري ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٣٥٦هـ .

(٤٢٧) فيض الملك الوهَّاب المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي ، الشَّيخ أبي الفيض عبد الستار بن عبد الوهَّاب البكري الصديقي المكي الحنفي ، دراسة وتحقيق ، أ. د. عبدالملك بن عبدالله بن دهيش ، بلا .

(٤٢٨) فيض الوهَّاب في بيان أهل الحق ومن ضلَّ عن الصواب ، عبد ربه بن سليمان بن محمَّد بن سليمان الشَّهير بالقليوبي ، مكتبة القاهرة ، مصر ، ١٣٧٧هـ .

(٤٢٩) قاعدة جليلة في التَّوسُّل والوسيلة ، تقي الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمَّد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدِّمشقي ، تحقيق : ربيع بن هادي عمير المدخلي ، مكتبة الفرقان ، عجمان ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١هـ .

(٤٣٠) قاعدة في المحبة ، ابن تيمية الحراني ، تحقيق : محمَّد رشاد سالم ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة .

(٤٣١) قوارع الأسنة في الردِّ على أعداء السُّنَّة ، عبد العزيز بن يحيى البرعي اليمني ، بلا .

(٤٣٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، العز بن عبد السَّلام ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة .

القوانين الفقهية ، أبو القاسم ، محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي ، بلا .

(٤٣٣) قوت المغتذي على جامع الترمذي ، عبد الرَّحمن بن أبي

الحلبي وشركاه .
(١٢٦) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ ، عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدِّين الزيلعي الحنفي ، الحاشية: شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشِّلْبِيُّ ، المطبعة الكبرى الأميرية ، بولاق ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٣١٣هـ .
(١٢٧) تبيين كذب المفتري فيما نُسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، ابن عساكر ، تحقيق : محمَّد زاهد الكوثري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، نشر : القدسي ، ١٩٧٩م .
(١٢٨) التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصَّحيح ، أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي ، زين الدِّين الزبيدي ، مؤسسة الرسالة ، دمشق ، سوريا ، الطبعة : الأولى ، ١٤٣٠هـ ، ٢٠٠٩م .
(١٢٩) تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد ، محمَّد ناصر الدِّين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الرابعة .
(١٣٠) التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) ، محمَّد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤هـ ، وطبعة دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ، ١٩٩٧م .
(١٣١) تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك ، إبراهيم بن علي بن أحمد بن عبد الواحد ابن عبد المنعم الطرسوسي، نجم الدِّين الحنفي ، تحقيق : عبد الكريم محمَّد مطيع الحمداوي ، الطبعة : الثانية .
(١٣٢) تحفة الحبيب على شرح الخطيب "حاشية البجيرمي على الخطيب " ، سليمان بن محمَّد بن عمر البُجَيْرَمِيّ المصري الشَّافعي ، دار الفكر ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م .
بكر ، جلال الدِّين السيوطي ، إعداد الطالب : ناصر بن محمَّد بن حامد الغريبي ، رسالة دكتوراة ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، كلية الدعوة وأصول الدِّين ، قسم الكتاب والسنة ، ١٤٢٤هـ .
(٤٣٤) القَولُ البَدِيعُ في الصَّلاة عَلَى الحَبِيبِ الشَّفِيعِ ، شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد السَّخاوي ، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ، ط٣ ، ١٩٧٧م .
(٤٣٥) القول المبين في أخطاء المصلين ، مشهور حسن آل سلمان ، دار ابن القيم ، المملكة العربية السعودية ، دار ابن حزم ، لبنان ، الطبعة : الرابعة ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٦ .
(٤٣٦) الكامل في التَّاريخ ، ابن الأثير ، تحقيق : عمر عبد السَّلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م .
(٤٣٧) الكبائر ، الذَّهبي ، تحقيق : أبي عبد الرَّحمن السلفي ، مكتبة السُّنَّة ، القاهرة ، ١٩٩٢م .
(٤٣٨) كتاب التعريفات ، الشَّريف الجرجاني ، تحقيق : ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م .
(٤٣٩) كتاب الحاوي في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، أبي طالب عبد الرَّحمن بن عمر البصري العبدلياني ، تحقيق : د . عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، ، بلا .
(٤٤٠) كتاب الشمعة المضية بنشر قراءات السبعة المرضية ، أبو السعد زين الدِّين منصور بن أبي النصر بن محمَّد الطَّبَلاوي، سبط ناصر الدِّين محمَّد بن سالم ، تحقيق : د. علي سيِّد أحمد جعفر ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠٣م .

(١٣٣) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيِّد المرسلين ، محمَّد بن علي بن محمَّد بن عبد الله الشوكاني اليمني ، دار القلم ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٩٨٤م .

(١٣٤) تحفة الزوار إلى قبر النَّبي المختار ، ابن حجر الهيتمي ، تحقيق : السيد أبو عمة ، دار الصَّحابة للتراث ، طنطا ، ط١ ، ١٩٩٢م .

(١٣٥) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي ، الكتب العلميه ، بيروت ، الطبعة : الاولى ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م .

(١٣٦) تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري ، جمال الدِّين أبو محمَّد عبد الله بن يوسف بن محمَّد الزيلعي ، تحقيق : عبد الله بن عبد الرَّحمن السعد ، دار ابن خزيمة ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٤هـ .

(١٣٧) تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية ، علي بن محمَّد بن أحمد بن موسى ابن مسعود، أبو الحسن ابن ذي الوزارتين ، الخزاعي ، تحقيق : د. إحسان عبَّاس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٩هـ .

(١٣٨) التدوين في أخبار قزوين ، عبد الكريم القزويني ، تحقيق: عزيز الله العطاردي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٧م .

(١٣٩) تذكرة الحفاظ ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م .

(٤٤١) كتاب الفروع ومعه تصحيح الفروع لعلاء الدِّين علي بن سليمان المرداوي ، محمَّد بن مفلح بن محمَّد بن مفرج ، أبو عبد الله، شمس الدِّين المقدسي الرامينى ثمَّ الصالحي الحنبلي ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣مـ .

(٤٤٢) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار ، ابن أبي شيبة ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٩هـ .

(٤٤٣) كتاب المنور في راجح المحرر على مذهب الإمام المبجل والحبر المفضل أحمد بن محمَّد بن حنبل ، تقي الدِّين أحمد بن محمَّد بن علي الأدمي ، تحقيق : د. وليد عبد الله المنيس ، دار البشائر الإسلامية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م .

(٤٤٤) الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة ، لسان الدِّين بن الخطيب ، محمَّد بن عبد الله ، تحقيق : إحسان عبَّاس ، دار الثقافة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٩٦٣م .

(٤٤٥) كشاف القناع عن متن الإقناع ، البهوتي الحنبلي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، وطبعة دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٢هـ

(٤٤٦) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

(٤٤٧) كشف الأسرار شرح أصول البزدوي ، عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدِّين البخاري الحنفي ، دار الكتاب الإسلامي .

(٤٤٨) كشف الخفاء ومزيل الإلباس ، إسماعيل بن محمَّد بن عبد

(١٤٠) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدِّين القرطبي ، تحقيق : الدكتور: الصادق بن محمَّد بن إبراهيم ، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٥هـ .

(١٤١) التذكرة في الوعظ ، جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي ، تحقيق : أحمد عبد الوهَّاب فتيح ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٦هـ .

(١٤٢) تذكره الحافظ السَّخاوي في الأجوبة المرضية فيما سئل السَّخاوي عنه من الأحاديث النبوية ، محمَّد بن عبد الرَّحمن السَّخاوي ، تحقيق : الدكتور محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم ، دار الراية ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٨هـ .

(١٤٣) التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية ، محمَّد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمَّد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني ، تحقيق : عبد الله الخالدي ، دار الأرقم ، بيروت ، الطبعة : الثانية .

(١٤٤) التسهيل لعلوم التنزيل ، الكلبي ، تحقيق : الدكتور عبد الله الخالدي ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٦هـ .

(١٤٥) تطهير الجنان (القواعد الأربع ، منهج السالكين) ، أحمد بن حجر آل بن علي ، محمَّد بن سليمان التميمي ، عبد الرَّحمن بن ناصر بن سعدي ، نشر : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٧هـ .

(١٤٦) تطهير الفؤاد من دنس الاعتقاد ، محمَّد بخيت المطيـعي

الهادي الجراحي العجلوني الدِّمشقي ، أبو الفداء ، المكتبة العصرية ، تحقيق : عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م ، وطبعة مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٣٥١هـ .

(٤٤٩) كشف الشبهات ، محمَّد بن عبد الوهَّاب ، طبع وزارة الاوقاف ، الرياض ، وطبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٨هـ .

(٤٥٠) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٤١م .

(٤٥١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، أحمد بن محمَّد بن إبراهيم الثعلبي ، تحقيق : الإمام أبي محمَّد بن عاشور ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢ م .

(٤٥٢) كفاية الطالب الرباني لرسالة أبي زيد القيرواني ، علي بن خلف المنوفي المالكي المصري أبو الحسن المالكي ، تحقيق يوسف الشَّيخ محمَّد البقاعي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٢هـ .

(٤٥٣) كفاية النبيه في شرح التنبيه ، أحمد بن محمَّد بن علي الأنصاري ، أبو العبَّاس ، نجم الدِّين ، المعروف بابن الرفعة ، تحقيق : مجدي محمَّد سرور باسلوم ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠٩م .

(٤٥٤) الكلم الطيب ، تحقيق : الدكتور السيد الجميلي ، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٧٨م .

الحنفي ، ط تركيا ، ١٣٩٧هـ .
(١٤٧) التعرُّف لمذهب أهل التَّصوُّف ، أبو بكر محمَّد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
(١٤٨) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ، أبو السعود العمادي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
(١٤٩) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن ، محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن عبد الله الحسني الحسيني الإِيجي الشَّافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٤م .
(١٥٠) تفسير التستري ، التُستري ، جمعها : أبو بكر محمَّد البلدي ، تحقيق : محمَّد باسل عيون السود ، منشورات محمَّد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٣هـ .
(١٥١) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ، الخازن ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م
(١٥٢) تفسير الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمَّد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق : د. محمَّد عبد العزيز بسيوني ، نشر : كلية الآداب ، جامعة طنطا ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م .
(١٥٣) تفسير السلمي (هو حقائق التفسير) ، السلمي ، تحقيق : سيِّد عمران ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : ١٤٢١هـ ، ٢٠٠١م .
(١٥٤) تفسير الشعراوي (الخواطر) ، محمَّد متولي الشعراوي ، مطابع أخبار اليوم .
(١٥٥) تفسير القرآن ، أبو المظفر ، منصور بن محمَّد بن عبد الجبار

(٤٥٥) الكليَّات معجم في المصطلحات والفروق اللغويَّة ، الكفوي ، تحقيق : عدنان درويش ، محمَّد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
(٤٥٦) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، علاء الدِّين علي بن حسام الدِّين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثمَّ المدني فالمكي الشَّهير بالمتقي الهندي ، تحقيق : بكري حياني ، صفوة السقا ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الخامسة ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م .
(٤٥٧) كنوز الذهب في تاريخ حلب ، أحمد بن إبراهيم بن محمَّد بن خليل، موفق الدين، أبو ذر سبط ابن العجمي ، دار القلم، حلب ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٧هـ .
(٤٥٨) الكنى والأسماء ، الدولابي ، تحقيق : أبو قتيبة نظر محمَّد الفاريابي ، دار ابن حزم ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م .
(٤٥٩) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري ، الكرماني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، طبعة ثانية : ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م .
(٤٦٠) كيف أفهم التَّوحيد ، محمَّد أحمد باشميل ، بلا
(٤٦١) لامع الدراري شرح البخاري ، الكنكوهي ، المكتبة الإمدادية ، مكة المكرمة .
(٤٦٢) لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ ، محمَّد بن محمَّد بن محمَّد ، أبو الفضل تقي الدِّين ابن فهد الهاشمي العلويّ الأصفوني ثمَّ المكيّ الشَّافعي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م .

ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثمَّ الشَّافعي ، تحقيق : ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عبَّاس بن غنيم ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م .

(١٥٦) تفسير القرآن العزيز ، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله بن عيسى بن محمَّد المري ، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي ، تحقيق : أبو عبد الله حسين بن عكاشة ، محمَّد بن مصطفى الكنز ، الفاروق الحديثة ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م .

(١٥٧) تفسير القرآن العظيم ، ابن أبي حاتم ، ابن أبي حاتم ، تحقيق : أسعد محمَّد الطيب ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة : الثالثة ، ١٤١٩هـ .

(١٥٨) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، تحقيق : سامي بن محمَّد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة : الثانية ، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م .

(١٥٩) تفسير الماوردي (النكت والعيون) ، أبو الحسن علي بن محمَّد بن محمَّد بن حبيب البصري البغدادي ، الشَّهير بالماوردي ، تحقيق : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(١٦٠) التفسير المظهري ، المظهري ، محمَّد ثناء الله ، تحقيق : غلام نبي التونسي ، مكتبة الرشدية ، الباكستان ، الطبعة : ١٤١٢هـ .

(١٦١) تفسير النسفى ، النسفي ، تحقيق : مروان محمَّد الشعار ، دار النفائس ، بيروت ، ٢٠٠٥م ، وطبعة دار الكلم الطيب ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م .

(١٦٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، محمَّد سيِّد طنطاوي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، الفجالة ، القاهرة ، الطبعة :

(٤٦٣) لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة : الثالثة ، ١٤١٤هـ .

(٤٦٤) لطائف الإشارات (تفسير القشيري) ، القشيري ، تحقيق : إبراهيم البسيوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، الطبعة : الثالثة .

(٤٦٥) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ، ابن رجب ، بلا .

(٤٦٦) لطائف المنن ، الشعراني ، بلا .

(٤٦٧) لوامع الأنوار البهية ، السفاريني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٩١م ، وطبعة مؤسسة الخافقين ومكتبتها ، دمشق ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م .

(٤٦٨) مباحثة السائرين بحديث اللهمَّ إني أسألك بحق السائلين ، محمود سعيد ممدوح ، ط١ ، ١٩٩٥م .

(٤٦٩) المبدع في شرح المقنع ، إبراهيم بن محمَّد بن عبد الله بن محمَّد ابن مفلح ، أبو إسحاق ، برهان الدِّين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م .

(٤٧٠) المجالسة وجواهر العلم ، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي ، تحقيق : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، جمعية التربية الإسلامية (البحرين ، أم الحصم ) ، دار ابن حزم (بيروت ، لبنان) ، ١٤١٩هـ .

(٤٧١) مجلسان لأبي سعد البغدادي ، أَبُو سَعْدٍ أَحْمَدُ بنُ محمَّد بنِ أَحْمَدَ بنِ الحَسَنِ بنِ عَلِيِّ بنِ أَحْمَدَ بنِ سُلَيْمَانَ البَغْدَادِيُّ الأَصْل ، الأَصْبَهَانِيُّ ، مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية ، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠٤هـ .

الأولى .
(١٦٣) تفسير عبد الرزاق ، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني ، دار الكتب العلمية ، تحقيق : د. محمود محمَّد عبده ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ .
(١٦٤) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم ، محمَّد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي ، تحقيق : د. زبيدة محمَّد سعيد عبد العزيز ، مكتبة السُّنَّة ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م .
(١٦٥) تفسير مجاهد ، مجاهد بن جبر المكي ، تحقيق : الدكتور محمَّد عبد السَّلام أبو النيل ، دار الفكر الإسلامي الحديثة ، مصر ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٠هـ ، ١٩٨٩م .
(١٦٦) تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام ، الكردستاني ، (٢/ ٢٧٤) ، دار البصائر ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٦م .
(١٦٧) تقويم النظر في مسائل خلافية ذائعة ، ونبذ مذهبية نافعة ، محمَّد بن علي بن شعيب ، أبو شجاع ، فخر الدِّين ، ابن الدَّهَّان ، تحقيق : د. صالح بن ناصر بن صالح الخزيم ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م .
(١٦٨) التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ، محمَّد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع، أبو بكر، معين الدين، ابن نقطة الحنبلي البغدادي ، المحقق: كمال يوسف الحوت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
(١٦٩) التكملة لكتاب الصلة ، ابن الأبار ، محمَّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي ، تحقيق : عبد السَّلام الهراس ، دار الفكر

(٤٧٢) مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر ، عبد الرَّحمن بن محمَّد بن سليمان المدعو بشيخي زاده ، يعرف بداماد أفندي ، دار إحياء التراث العربي .
(٤٧٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، الهيثمي ، تحقيق : حسام الدِّين القدسي ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م .
(٤٧٤) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، تحقيق : عبد الرَّحمن بن محمَّد بن قاسم ، نشر : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشَّريف ، المدينة المنورة ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م .
(٤٧٥) المجموع اللفيف ، أمين الدولة محمَّد بن محمَّد بن هبة الله العلوي الحسيني أبو جعفر الأفطسي الطرابلسي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٥هـ .
(٤٧٦) المجموع المفيد من عقيدة التَّوحيد ، علي بن محمَّد سنان ، مكتبة دار الكتاب الإسلامي ، المدينة المنورة .
(٤٧٧) المجموع شرح المهذب (مع تكملة السُّبكي والمطيعي) ، النووي ، دار الفكر .
(٤٧٨) مجموع فتاوى العلَّامة عبد العزيز بن باز ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، أشرف على جمعه وطبعه : محمَّد بن سعد الشويعر
(٤٧٩) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين ، محمَّد بن صالح بن محمَّد العثيمين ، جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان ، دار الوطن ، دار الثريا ، الطبعة : الأخيرة ، ١٤١٣هـ .
(٤٨٠) مجموعة الرسائل والمسائل ، ابن تيمية الحراني ، تحقيق : السيد محمَّد رشيد رضا ، محمَّد الأنور أحمد البلتاجي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .

للطباعة ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م .
(١٧٠) التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ ، ١٩٨٩م .
(١٧١) تَلخيصُ صِفة صَلاة النَّبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلهِ وَسَلَّم ، الألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة : الخامسة ، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م .
(١٧٢) تلخيص كتاب الاستغاثة ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العبَّاس ، تحقيق : محمَّد علي عجال ، مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ .
(١٧٣) تلقيح المفهوم في تنقيح صيغ العموم ، خليل بن كيكلدي العلائي الدِّمشقي ، (ص١٢٦) ، بلا .
(١٧٤) التمهيد لقواعد التَّوحيد ، أبو الثناء اللامشي ، مطبوع بذيل كتاب التمهيد لقواعد التَّوحيد للنسفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٧م .
(١٧٥) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمَّد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ، محمَّد عبد الكبير البكري ، نشر : وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ، ١٣٨٧هـ .
(١٧٦) التمييز في تلخيص تخريج أحاديث شرح الوجيز المشهور بـ التلخيص الحبير ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق : الدكتور محمَّد الثاني بن عمر بن موسى ، دار أضواء السَّلف ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٨هـ ، ٢٠٠٧م .
(١٧٧) التنزُّلات الموصليَّة في أسرار الطهارات والصلوات والأيام

(٤٨١) مجموعة رسائل ابن أبي الدُّنيا كتاب مجابي الدعوة ، ابن أبي الدُّنيا ، تحقيق : المهندس الشَّيخ زياد حمدان ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ،الطبعة : الأولى ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م .
(٤٨٢) محاسن التأويل ، القاسمي ، تحقيق : محمَّد باسل عيون السود ، دار الكتب العلميه ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٨هـ.
(٤٨٣) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، أبو القاسم الحسين بن محمَّد المعروف بالراغب الأصفهانى ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠هـ .
(٤٨٤) المحاضرات في اللغة والأدب ، الحسن بن مسعود بن محمَّد ، أبو علي ، نور الدِّين اليوسي ، بلا .
(٤٨٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابن عطية ، تحقيق : عبد السَّلام عبد الشافي محمَّد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ .
(٤٨٦) المحكم والمحيط الأعظم ، ابن سيده ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م .
(٤٨٧) المحلى بالآثار ، ابن حزم الأندلسي ، دار الفكر ، بيروت .
(٤٨٨) مختصر العلو للعلي العظيم ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي ، حققه واختصره : محمَّد ناصر الدِّين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩١م .
(٤٨٩) المختصر في أخبار البشر ، أبو الفداء عماد الدِّين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمَّد ابن عمر صاحب حماة ، المطبعة

الأصلية ، محيي الدِّين محمَّد بن علي بن عربي ، مكتبة عالم الفكر ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٦م .
(١٧٨) تنقيح الفتاوى الحامدية ، ابن عابدين ، بلا .
(١٧٩) تنوير الحوالك شرح موطأ مالك ، السيوطي ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ١٣٨٩هـ ، ١٩٦٩م .
(١٨٠) تهذيب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤م ، وطبعة مطبعة دائرة المعارف النظامية ، الهند ، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ ، وطبعة مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م ، الطبعة : الثالثة ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م .
(١٨١) تهذيب الكمال ، المزي ، تحقيق : الدكتور بشار عواد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٢م .
(١٨٢) تهذيب اللغة ، الأزهري ، تحقيق : محمَّد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠١م .
(١٨٣) التَّوحيد ، ابن منده ، تحقيق : الدكتور علي بن محمَّد ناصر الفقيهي ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، دار العلوم والحكم ، سوريا ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م .
(١٨٤) التَّوسُّل ، الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٨٦م .
(١٨٥) التوصُّل إلى حقيقة التَّوسُّل ، محمَّد نسيب الرفاعي ، رئاسة البحوث العلمية ، السعودية ، ط٤ .
(١٨٦) التوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب ، خليل بن إسحاق بن موسى ، ضياء الدِّين الجندي المالكي المصري ، تحقيق : د. أحمد بن عبد الكريم نجيب ، مركز نجيبويه للمخطوطات

الحسينية المصرية ، الطبعة : الأولى .
(٤٩٠) مختصر في الطب (العلاج بالأغذية والأعشاب في بلاد المغرب) ، عبد الملك بن حَبِيب بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي الإلبيري القرطبي، أبو مروان ، تحقيق : محمَّد أمين الضناوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٩٩٨م .
(٤٩١) مدارج السالكين " ، ابن القيِّم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٣م ، وطبعة دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة : الثالثة ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
(٤٩٢) المدخل ، ابن الحاج ، دار التراث ، وطبعة دار الفكر ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م .
(٤٩٣) المدهش ، جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي ، تحقيق : الدكتور مروان قباني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م .
(٤٩٤) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، أبو محمَّد عفيف الدِّين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .
(٤٩٥) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد ، محمَّد بن عمر نووي الجاوي ، تحقيق : محمَّد أمين الصناوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٧هـ .
(٤٩٦) مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح ، حسن بن عمار بن علي الشرنبلالي المصري الحنفي ، المكتبة العصرية ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٥م .

وخدمة التراث ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٩هـ ، ٢٠٠٨م .
(١٨٧) التوقيف على مهمات التعاريف ، زين الدِّين محمَّد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثمَّ المناوي القاهري ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م .
(١٨٨) تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرَّحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ، تحقيق : عبد الرَّحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠هـ ،٢٠٠٠م .
(١٨٩) التيسير بشرح الجامع الصغير ، المناوي ، مكتبة الإمام الشَّافعي ، الرياض ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .
(١٩٠) الثبات عند المات ، جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي ، تحقيق : عبد الله الليثي الأنصاري ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٦هـ .
(١٩١) ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي أشي ، أبو جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي ، تحقق : عبد الله العمراني ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٣هـ .
(١٩٢) الثقات ، محمَّد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي ، وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية ، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ، الطبعة : الأولى ، ١٣٩٣هـ ، ١٩٧٣م .
(١٩٣) ثمر الثمام شرح (غاية الإحكام في آداب الفهم والإفهام) ، محمَّد بن محمَّد بن أحمد بن عبد القادر بن عبد العزيز السَّنَباوي الأزهري، المعروف بالأمير ، تحقيق : عبد الله سليمان العتيق ، دار المنهاج للنشر والتوزيع ، الطبعة : الأولى ، ١٤٣٠هـ ، ٢٠٠٩م .
(٤٩٧) مرشد الزوار إلى قبور الأبرار ، موفق الدِّين أبو محمَّد بن عبد الرحمن، ابن الشَّيخ أبي الحرم مكّي بن عثمان الشارعي الشَّافعي ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٥هـ .
(٤٩٨) المرشد المعين على الضروري من علوم الدِّين ، أبو محمَّد عبد الواحد بن أحمد بن علي ابن عاشر الأنصاري ، المعروف بابن عاشر ، بلا .
(٤٩٩) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدِّين الملا الهروي القاري ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢م .
(٥٠٠) مزيد النعمة لجمع أقوال الأئمة ، حسين بن محمَّد المحلي الشَّافعي المصري ، تحقيق : عبد الكريم بن صنيتان العمري ، بلا .
(٥٠١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري ، شهاب الدِّين ، نشر : المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٣هـ .
(٥٠٢) مسائل أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله ، أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، تحقيق : زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠١هـ ١٩٨١م .
(٥٠٣) المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين ، القاضي أبو يعلى ، محمَّد بن الحسين بن محمَّد بن خلف المعروف بـ ابن الفراء ، تحقيق : د. عبد الكريم بن محمَّد اللاحم ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م .
(٥٠٤) المستخرج ، أبو عوانة ، تحقيق : أيمن بن عارف الدِّمشقي

(١٩٤) جامع البيان في تأويل القرآن ، ابن جرير الطَّبري ، تحقيق : أحمد محمَّد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م ، وطبعات أخرى .

(١٩٥) جامع الرسائل ، ابن تيمية الحراني ، تحقيق : د. محمَّد رشاد سالم ، دار العطاء ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م .

(١٩٦) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدِّين القرطبي ، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، الطبعة : الثانية ، ١٣٨٤هـ ، ١٩٦٤م ، دار عالم الكتب ، الرياض ، الطبعة : ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٣م .

(١٩٧) جزء فيه ما انتقى أبوبكر أحمد بن موسى ابن مردويه على أبي القاسم الطبراني من حديثه لأهل البصرة ، أبو القاسم الطبراني ، تحقيق : بدر بن عبد الله البدر ، أضواء السَّلف ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م .

(١٩٨) الجمل في المنطق ، محمَّد بن ناماور بن عبد الملك الخونجى، أبو عبد الله، أفضل الدِّين ، بلا .

(١٩٩) الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، أبو زيد عبد الرَّحمن بن محمَّد بن مخلوف الثعالبي ، تحقيق : محمَّد علي معوض ، وعادل أحمد عبد الموجود ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٨هـ .

(٢٠٠) الجواهر الغوالي في ذكر الأسانيد العوالي ، محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن أحمد البديري الحسيني، الدمياطيّ الأشعري الشافعيّ، أبو حامد (المتوفى: ١١٤٠هـ) ، مخطوط .

(٢٠١) الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، عبد القادر بن محمَّد بن

، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م .

(٥٠٥) المستدرك على الصحيحين ، أبو عبد الله الحاكم محمَّد بن عبد الله بن محمَّد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الأولى ، ١٤١١ ، ١٩٩٠م ، وطبعة دار الحرمين ، القاهرة ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م .

(٥٠٦) المستصفى ، أبو حامد محمَّد بن محمَّد الغزالي ، تحقيق : محمَّد عبد السَّلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م .

(٥٠٧) المستطرف في كل فن مستطرف ، الأبشيهي ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ .

(٥٠٨) المستوعب ، نصير الدِّين محمَّد بن عبد الله السامري الحنبلي ، تحقيق : أ. د عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، مكة المكرمة ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م .

(٥٠٩) مسند ابن الجعد ، علي بن الجَعْد بن عبيد الجَوْهَري البغدادي ، تحقيق : عامر أحمد حيدر ، مؤسسة نادر ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م .

(٥١٠) مسند أبي عوانة في المسند ، تحقيق : أيمن بن عارف الدِّمشقي ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٩٩٨م .

(٥١١) مسند أبي يعلى ، تحقيق : حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٤هـ .

(٥١٢) مسند أحمد ، تحقيق : السيد أبو المعاطي النوري ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م ، وطبعة مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠١م .

نصر الله القرشي ، أبو محمَّد ، محيي الدِّين الحنفي ، بالترتيب ، نشر : مير محمَّد كتب خانه ، كراتشي .

(٢٠٢) الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر ، شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي ، تحقيق : إبراهيم باجس عبد المجيد ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٩م

(٢٠٣) الجوهر النفيس في سياسة الرئيس ، ابن الحداد محمَّد بن منصور بن حبيش ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٩٩٦م .

(٢٠٤) حاشية الإمام أحمد بن قاسم العبادي على تحفة المحتاج في شرح المنهاج ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، ١٣٥٧هـ ، ١٩٨٣م

(٢٠٥) حاشية السندي على سنن النسائي ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السيوطي ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٦ه ، ١٩٨٦م

(٢٠٦) حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، المُسَمَّاة : عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي ، شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي ، دار صادر ، بيروت .

(٢٠٧) حاشية الصاوي على الجلالين ، الصاوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥م .

(٢٠٨) حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح ، أحمد بن محمَّد بن إسماعيل الطحطاوي الحنفي ، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق ، القاهرة ، ١٣١٨هـ .

(٢٠٩) حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني ، أبو الحسن

(٥١٣) مسند البزار ، تحقيق : محفوظ الرَّحمن زين الله ، ورفاقه ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠٩م .

(٥١٤) مسند الربيع بن حبيب ، تحقيق : محمَّد إدريس ، عاشور بن يوسف ، دار الحكمة ، مكتبة الاستقامة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٥هـ .

(٥١٥) مسند الروياني ، تحقيق : أيمن علي أبو يماني ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٦هـ .

(٥١٦) مسند الشاميين ، الطبراني ، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٤م .

(٥١٧) مسند الطيالسي ، تحقيق : الدكتور محمَّد بن عبد المحسن التركي ، دار هجر ، مصر ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٩م

(٥١٨) مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم ، ابن كثير ، تحقيق : عبد المعطي قلعجي ، دار الوفاء ، المنصورة ، الطبعة : الأولى ، ١٤١١هـ ، ١٩٩١م .

(٥١٩) مسند عبد بن حميد ، تحقيق : صبحي البدري السامرائي ، محمود محمَّد خليل الصعيدي ، مكتبة السُّنَّة ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٨ه ، ١٩٨٨م .

(٥٢٠) المسودة في أصول الفقه ، آل تيمية ، تحقيق : محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد ، دار الكتاب العربي .

(٥٢١) مشارق أنوار العقول ، السالمي ، مكتبة الاستقامة ، ط٢، ٢٠٠٣م .

(٥٢٢) المشبهة والمجسمة ، عبد الرَّحمن خليفة بن فتح الباب

علي بن أحمد بن مكرم الصعيدي العدوي ، تحقيق : يوسف الشَّيخ محمَّد البقاعي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م .
(٢١٠) الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشَّافعي وهو شرح مختصر المزني ، أبو الحسن علي بن محمَّد بن محمَّد بن حبيب البصري البغدادي ، الشَّهير بالماوردي ، تحقيق : الشَّيخ علي محمَّد معوض ، الشَّيخ عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٩م.
(٢١١) حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النَّبي المختار ، محمَّد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشَّافعي ، الشَّهير بـ " بَحْرَق " ، دار المنهاج ، جدة ، تحقيق : محمَّد غسان نصوح عزقول ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ .
(٢١٢) حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النَّبي المختار ، محمَّد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشَّافعي ، تحقيق: محمَّد غسان نصوح عزقول ، دار المنهاج ، جدة ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ .
(٢١٣) الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة ، زكريا بن محمَّد بن أحمد بن زكريا الأنصاري ، زين الدِّين أبو يحيى السنيكي ، تحقيق : د. مازن المبارك ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١١هـ .
(٢١٤) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السيوطي ، تحقيق : محمَّد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، مصر ، الطبعة : الأولى ، ١٣٨٧هـ ، ١٩٦٧م .
(٢١٥) حقيقة الصوفية في ضوء الكتاب والسنة ، محمَّد بن ربيع الحناوي ، ط الأولى ، ١٩٩٩م .
(٥٢٣) مشكل الآثار ، الطحاوي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٥هـ ، ١٤٩٤م .
(٥٢٤) مشيخة القزويني ، عمر بن علي بن عمر القزويني ، أبو حفص ، سراج الدِّين ، تحقيق : الدكتور عامر حسن صبري ، دار البشائر الإسلامية ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٦هـ .
(٥٢٥) مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام ، شمس الدِّين بن النعمان ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
(٥٢٦) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أحمد بن محمَّد بن علي الفيومي ثمَّ الحموي، أبو العبَّاس ، المكتبة العلمية ، بيروت .
(٥٢٧) المصنف ، الصنعاني ، تحقيق : حبيب الرَّحمن الأعظمي ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٣ ، ، نشر : المجلس العلمي ، الهند ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
(٥٢٨) مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى ، مصطفى بن سعد بن عبده السيوطي شهرة ، الرحيبانى مولدا ثمَّ الدِّمشقي الحنبلي ، المكتب الإسلامي ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م
(٥٢٩) المَطَالِعُ النَّصرية للمَطَابِعِ المصريَّةِ في الأصُول الخَطيَّةِ ، نصر أبو الوفاء ابن الشَّيخ نصر يونس الوفائي الهوريني الأحمدي الأزهري الأشعري الحنفي الشَّافعي ، تحقيق : الدكتور طه عبد المقصود ، مكتبة السُّنَّة ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م .
(٥٣٠) معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) ، البغوي ، تحقيق : محمَّد عبد الله النمر ، عثمان جمعة ضميرية ، سليمان مسلم الحرش ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة : الرابعة ، ١٤١٧هـ ،

هادي المدخلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، وأصل الرسالة محاضرة القاها المذكور على طلبة دار الحديث المكية عام ١٤٠١هـ .
(٢١٦) الحلة السيراء ، ابن الأبار ، محمَّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي ، تحقيق : الدكتور حسين مؤنس ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة : الثانية ، ١٩٨٥م .
(٢١٧) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني ، السعادة ، بجوار محافظة مصر ، ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م .
(٢١٨) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدِّمشقي ، تحقيق : محمَّد بهجة البيطار ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م
(٢١٩) حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور ، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظَّاهري الحنفي ، أبو المحاسن ، جمال الدِّين ، تحقيق : د. محمَّد كمال الدِّين عز الدِّين ، عالم الكتب ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م .
(٢٢٠) حواشي الشرواني على تحفة المحتاج بشرح المنهاج ، عبد الحميد الشرواني ، دار الفكر ، بيروت .
(٢٢١) حياة الحيوان الكبرى ، محمَّد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري ، أبو البقاء ، كمال الدِّين الشَّافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤٢٤هـ .
(٢٢٢) خريدة القصر وجريدة العصر ، عماد الدِّين الكاتب الأصبهاني ، محمَّد بن محمَّد صفي الدِّين بن نفيس الدِّين حامد ، أبو عبد الله ، بلا .
(٢٢٣) خزانة الأدب وغاية الأرب ، ابن حجة الحموي ، تقي الدِّين

١٩٩٧م ، وطبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠هـ . (٥٣١) معاني القرآن وإعرابه ، إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو إسحاق الزجَّاج ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .
(٥٣٢) معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .
(٥٣٣) المعجم ، أبو يعلى ، تحقيق : إرشاد الحق الأثري ، نشر : إدارة العلوم الأثرية ، فيصل آباد ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٧هـ .
(٥٣٤) معجم أعلام شعراء المدح النبوي ، محمَّد أحمد درنيقة ، دار ومكتبة الهلال ، الطبعة : الأولى .
(٥٣٥) معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) ، شهاب الدِّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، تحقيق : إحسان عبَّاس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٣م .
(٥٣٦) المعجم الأوسط ، الطبراني ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمَّد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين ، القاهرة .
(٥٣٧) معجم البلدان ، شهاب الدِّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٩٩٥م .
(٥٣٨) معجم الشيوخ ، تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي ، تحقيق : الدكتور بشار عواد ، ورفاقه ، دار الغرب

أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري ، تحقيق : عصام شقيو ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، دار البحار ، بيروت ، الطبعة : الأخيرة ، ٢٠٠٤م .

(٢٢٤) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي ، تحقيق : عبد السَّلام محمَّد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة : الرابعة ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م .

(٢٢٥) الخصائص الكبرى ، السيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٢٢٦) خلاصة البدر المُنير ، ابن الملقن سراج الدِّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشَّافعي المصري ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٠هـ ، ١٩٨٩م .

(٢٢٧) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السَّمهودي ، تحقيق : د. محمَّد الأمين محمَّد محمود أحمد الجكيني ، طبع على نفقة السيد : حبيب محمود أحمد ، وجعله وقفاً لله تعالى .

(٢٢٨) الدر الثمين والمورد المعين (شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين) ، محمَّد بن أحمد ميارة المالكي ، تحقيق : عبد الله المنشاوي ، دار الحديث القاهرة ، ١٤٢٩هـ ، ٢٠٠٨م .

(٢٢٩) الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار ، محمَّد بن علي بن محمَّد الحِصْني المعروف بعلاء الدِّين الحصكفي الحنفي ، تحقيق : عبد المنعم خليل إبراهيم ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م .

(٢٣٠) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السيوطي ، دار الفكر ، بيروت .

الإسلامي ، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠٤م .

(٥٣٩) معجم الشيوخ ، ثقة الدِّين ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر ، تحقيق : الدكتورة وفاء تقي الدِّين ، دار البشائر ، دمشق ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م .

(٥٤٠) معجم الشيوخ الكبير ، الذَّهبي ، تحقيق : الدكتور محمَّد الحبيب الهيلة ، مكتبة الصديق ، الطائف ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٨هـ .

(٥٤١) المعجم الكبير ، الطبراني ، تحقيق : حمدي السلفي ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، الطبعة : الثانية .

المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، دار الدعوة .

(٥٤٢) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٩م ، وطبعة إتحاد الكتاب العرب ، الطبعة : ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م .

(٥٤٣) معراج التشوف إلى حقائق علم التَّصوُّف ، ابن عجيبة ، تحقيق: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي ، الدار البيضاء ، ط١، ١٤٢٥ﻫ .

(٥٤٤) معرفة السنن والآثار ، البيهقي ، تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي ، نشر : جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي ، باكستان) ، دار قتيبة (دمشق ، بيروت) ، دار الوعي (حلب ، دمشق) ، دار الوفاء (المنصورة ، القاهرة) ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩١م .

(٥٤٥) معرفة الصَّحابة ، أبو نعيم الأصبهاني ، تحقيق : عادل بن يوسف العزازي ، دار الوطن للنشر، الرياض ، الطبعة : الأولى ،

(٢٣١) الدر المنضود في الصَّلاة والسَّلام على صاحب المقام المحمود ، أحمد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري ، شهاب الدِّين شيخ الإسلام ، أبو العبَّاس ، دار المنهاج ، جدة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٦هـ .

(٢٣٢) الدر النضيد في إخلاص كلمة التَّوحيد ، محمَّد بن علي الشوكاني ، دار ابن خزيمة ، ط١ ، ١٤١٤هـ .

(٢٣٣) درء تعارض العقل والنقل ، ابن تيمية ، تحقيق : الدكتور محمَّد رشاد سالم ، نشر : جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية ، السعودية ، الطبعة : الثانية ، ١٤١١هـ ، ١٩٩١م .

(٢٣٤) الدرة الثمينة في أخبار المدينة ، محب الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن محمود بن الحسن المعروف بابن النجار ، تحقيق : حسين محمَّد علي شكري ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم .

(٢٣٥) الدرة السنية منظومة في علم الفرائض (مطبوع مع الكوكب الزهري نظم مختصر الأخضري) ، أبو عبد الله محمَّد عبد القادر بن محمَّد بن المختار بن أحمد العالم القبلوي الجزائري المالكي الشَّهير بالشيخ باي بلعالم ، دار ابن حزم ، الطبعة : الأولى ، ١٤٣١هـ ، ٢٠١٠م .

(٢٣٦) الدرّة المضية في الردِّ على ابن تيمية ، تقي الدِّين السُّبكي ، مطبوع ضمن التوفيق الربَّاني في الردِّ على ابن تيمية الحراني لجماعة من العلماء ، بلا .

(٢٣٧) دَرْجُ الدُّرر في تَفِسيرِ الآيِ والسُّوَر ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرَّحمن بن محمَّد الفارسي الأصل ، الجرجاني الدار ، تحقيق : وَليد بِن أحمد بن صَالِح الحُسَيْن ، إياد عبد اللطيف القيسي ، نشر : مجلة الحكمة ، بريطانيا ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٩هـ ، ٢٠٠٨م .

١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م .

(٥٤٦) معرفة أنواع علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح) ، عثمان بن عبد الرَّحمن ، أبوعمرو ، تقي الدِّين المعروف بابن الصلاح ، تحقيق : نور الدِّين عتر ، دار الفكر ، سوريا ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .

(٥٤٧) معونة أولى النهى ، شرح المنتهى منتهى الإرادات ، محمَّد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحى الحنبلى الشَّهير بابن النجار ، تحقيق : أ. د عبد الملك بن عبد الله دهيش .

(٥٤٨) المعيار المعرب ، أبو العبَّاس أحمد بن يحي الونشريسي المالكي ، بلا .

المغني ، ابن قدامة المقدسي الحنبلي ، مكتبة القاهرة ، ١٣٨٨هـ ، ١٩٦٨م ، وطبعة عالم الكتب ، الرياض ، الطبعة : الثالثة ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م .

(٥٤٨) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام ، تحقيق : د. مازن المبارك ، محمَّد علي حمد الله ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة : السادسة ، ١٩٨٥م .

(٥٤٩) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ، شمس الدِّين ، محمَّد بن أحمد الخطيب الشربيني الشَّافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م .

(٥٥٠) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ، أبو عبد الله محمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدِّين الرازي خطيب الري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٢٠هـ .

(٥٥١) مفاهيم يجب أن تصحح ، محمَّد بن علوي المالكي ، ط٥ ،

(٢٣٨) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، علماء نجد الأعلام ، تحقيق : عبد الرَّحمن بن محمَّد بن قاسم ، الطبعة : السادسة ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م .

(٢٣٩) الدرر السنية في الردِّ على الوهابية ، أحمد زيني دحلان ، مكتبة البابي الحلبي ، القاهرة ، ط٦ ، ١٩٨٩م .

(٢٤٠) الدرر السنية في الفتاوى النجدية ، مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام من عهد محمَّد بن عبد الوهَّاب إلى عصرنا هذا ، جمع : عبد الرَّحمن بن محمَّد النجدي ، طبعة مزيدة ومنقحة ، ١٤١٧هـ .

(٢٤١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ابن حجر العسقلاني ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، صيدر اباد ، الهند ، الطبعة : الثانية ، ١٣٩٢هـ ، ١٩٧٢م .

(٢٤٢) الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السيوطي ، تحقيق : الدكتور محمَّد بن لطفي الصباغ ، نشر: عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الملك سعود ، الرياض .

(٢٤٣) الدُّعاء ، الطبراني ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٣هـ .

(٢٤٤) الدعوات الكبير ، البيهقي ، تحقيق : بدر بن عبد الله البدر ، غراس للنشر والتوزيع ، الكويت ، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠٩م .

(٢٤٥) دفع شبه من شبه وتمرد ، تقي الدِّين أبي بكر الحصني الدِّمشقي الشَّافعي ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة .

(٢٤٦) دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية ، ابن تيمية ، تحقيق : د. محمَّد السيد الجليند ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، الطبعة : ١٩٩٣م ، والطبعة العاشرة ، ١٩٩٥م ، وطبعة دائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، دبي ، ط١٠ .

(٥٥٢) مفتاح السعيدية في شرح الألفية الحديثية ، شمس الدِّين محمَّد بن عمار بن محمَّد بن أحمد المصري المالكي المعروف بابن عمار ، تحقيق : د. شادي بن محمَّد بن سالم آل نعمان ، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة ، صنعاء ، اليمن ، الطبعة : الأولى ، ١٤٣٢هـ ، ٢٠١١م .

(٥٥٣) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، تحقيق : صفوان عدنان الداودي ، دار القلم ، الدار الشامية ، دمشق ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٢هـ ، ودار الفكر ، بيروت .

(٥٥٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، أبو العبَّاس أحمَدُ بنُ الشَّيخ المرحومِ الفقيهِ أبي حَفْصٍ عُمَرَ بنِ إبراهيمَ الحافظ ، الأنصاريُّ القرطبيُّ ، بلا .

(٥٥٥) مقالات الكوثري ، الكوثري ، مطبعة الأنوار ، القاهرة ، طبعة دار الأحناف الأولى ، الرياض ، ١٩٩٣م .

(٥٥٦) مقامات الحريري ، أبو محمَّد القاسم بن علي الحريري ، مطبعة المعارف ، بيروت ، ١٨٧٣م .

(٥٥٧) مقدِّمات الإمام الكوثري ، دار الثريَّا ، دمشق ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م .

(٥٥٨) المقصد لتلخيص ما في المرشد ، زكريا بن محمَّد بن أحمد بن زكريا الأنصاري ، زين الدِّين أبو يحيى السنيكي ، مطبوع بهامش منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ، أحمد بن عبد الكريم بن محمَّد بن عبد الكريم الأشموني المصري الشَّافعي ، تحقيق : شريف أبو العلا العدوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة :

الثانية ، ١٤٠٤هـ .
(٢٤٧) دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات ، منصور بن يونس بن صلاح الدِّين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى ، عالم الكتب ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م
(٢٤٨) دلائل النبوة ، البيهقي ، تحقيق : الدكتور عبد المعطى قلعجي ، دار الكتب العلمية ، ودار الريان للتراث ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م ، وطبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٩م ، وطبعة دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٧م .
(٢٤٩) دليل الحيران على مورد الظمآن ، أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن سليمان المارغني التونسي المالكي ، دار الحديث ، القاهرة .
(٢٥٠) دولة الإسلام في الأندلس ، محمَّد عبد الله عنان المؤرخ المصري ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة : الرابعة ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م .
(٢٥١) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، إبراهيم بن علي بن محمَّد ، ابن فرحون ، برهان الدِّين اليعمري ، ، تحقيق وتعليق : الدكتور محمَّد الأحمدي أبو النور ، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة .
(٢٥٢) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، ابن خلدون ، تحقيق : خليل شحادة ، دار الفكر، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .
(٢٥٣) ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى ، محب الدِّين أحمد بن عبد الله الطَّبري ، دار الكتب المصرية ، ونسخة الخزانة التيمورية ، ١٣٥٦هـ .
(٢٥٤) الذخيرة ، أبو العبَّاس شهاب الدِّين أحمد بن إدريس بن عبد

الأولى ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢م .
(٥٥٩) ملاحظات على البيجوري في شرح جوهرة التَّوحيد ، عمر بن محمَّد أبو عمر ، بلا .
(٥٦٠) الممتع في شرح المقنع ، زين الدِّين المنجى بن عثمان بن أسعد ابن المنجى ، تحقيق : أ. د عبدالملك بن عبدالله بن دهيش .
(٥٦١) مناسك الحج والعمرة في الكتاب والسنة وآثار السَّلف وسرد ما ألحق النَّاس بها من البدع ، محمَّد ناصر الدِّين الألباني ، المكتبة الإسلامية ، عمان ، الأردن ، الطبعة : الثالثة ، ١٣٩٧هـ .
(٥٦٢) مناقب أبي حنيفة ، الإمام الموفق بن أحمد المكي ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
(٥٦٣) مناقب الإمام أحمد ، جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي ، تحقيق : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٩هـ.
(٥٦٤) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ابن الجوزي ، تحقيق : محمَّد عبد القادر عطا ، مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م ، وطبعة دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٥٨هـ .
(٥٦٥) المنتقى من مسموعات مرو ، ضياء الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن عبد الواحد المقدسي ، مخطوط .
(٥٦٦) منح الجليل شرح مختصر خليل ، محمَّد بن أحمد بن محمَّد عليش ، أبو عبد الله المالكي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م .
(٥٦٧) منهاج السُّنَّة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ، ابن تيمية ، تحقيق : محمَّد رشاد سالم ، نشر : جامعة الإمام محمَّد بن

الرَّحمن المالكي الشَّهير بالقرافي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٩٩٤م .

(٢٥٥) الذريعة إلى مكارم الشريعة ، أبو القاسم الحسين بن محمَّد المعروف بالراغب الأصفهانى ، تحقيق : د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي ، دار السَّلام ، القاهرة ، ١٤٢٨هـ ، ٢٠٠٧م .

(٢٥٦) ذكريات ، علي بن مصطفى الطنطاوي ، دار المنارة للنشر والتوزيع ، جدة ، الطبعة : الخامسة ، ١٤٢٧هـ ، ٢٠٠٦م .

(٢٥٧) الذَّهبي ومنهجه في كتابه تأريخ الإسلام ، بشار عواد معروف ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة . ط١ ، ١٩٧٦م .

(٢٥٨) ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد ، محمَّد بن أحمد بن علي ، تقي الدِّين ، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٠هـ ،١٩٩٠م .

(٢٥٩) ذيل تاريخ مدينة السَّلام ، أبو عبد الله محمَّد بن سعيد ابن الدبيثي ، تحقيق : الدكتور بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٧هـ ، ٢٠٠٦م .

(٢٦٠) ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي ، محمَّد بن علي الحسيني الدِّمشقي ، بلا .

(٢٦١) رحلة ابن جبير ، ابن جبير ، محمَّد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي ، أبو الحسين ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت .

(٢٦٢) الرحلة التتويجية لعاصمة البلاد الإنجليزية ، الحسن بن محمَّد بن الغَسَّال الطنجي ، تحقيق : د. عبد الرحيم مودن ، دار السويدي للنشر والتوزيع ، أبو ظبي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠٣م .

سعود الإسلامية ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .

(٥٦٨) منهاج الفرقة الناجية ، محمَّد بن جميل زينو ، الطبعة : الثامنة عشر .

(٥٦٩) منهج السَّلف في فهم النصوص ، محمَّد بن علوي المالكي ، الطبعة : الثانية .

(٥٧٠) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظَّاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدِّين ، تحقيق : دكتور محمَّد محمد أمين ، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٥٧١) المهروانيات (الفوائد المنتخبة الصحاح والغرائب) ، أبو القاسم يوسف بن محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن أحمد المهرواني، الهمذاني ، تحقيق : د. سعود بن عيد بن عمير بن عامر الجربوعي ، نشر : الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، عمادة البحث العلمي ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢م .

(٥٧٢) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ، الهيثمي ، تحقيق : محمَّد عبد الرزاق حمزة ، دار الكتب العلمية .

(٥٧٣) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن عبد الرَّحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي ، دار الفكر ، الطبعة : الثالثة ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .

(٥٧٤) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ، أحمد بن محمَّد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري ، أبو العبَّاس ، شهاب الدِّين ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة .

(٥٧٥) المؤتَلِف والمختَلِف ، الدارقطني ، تحقيق : موفق بن عبد

(٢٦٣) رد المحتار على الدر المختار ، ابن عابدين ، محمَّد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدِّمشقي الحنفي ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .

(٢٦٤) الرد المحكم المتين في الردِّ على القول المبين ، عبد الله بن الصدِّيق الغماري ، مكتبة القاهرة ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٦م .

(٢٦٥) الرد الوافر ، ابن ناصر الدِّين الدِّمشقي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٩١م ، وطبعة المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٣٩٣هـ .

(٢٦٦) الرد على الجهميَّة والزنادقة ، أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، تحقيق : صبري بن سلامة شاهين ، دار الثبات للنشر والتوزيع ، الطبعة : الأولى .

(٢٦٧) الرد على المنطقيين ، ابن تيمية الحراني ، دار المعرفة ، بيروت .

(٢٦٨) ردود على شبهات السَّلفيَّة ، محمَّد نوري الدير ثوي ، مطبعة الصباح ، ط١ ، ١٩٨٧م .

(٢٦٩) رسائل المقريزي ، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العبَّاس الحسيني العبيدي، تقي الدِّين المقريزي ، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ .

(٢٧٠) رفع المنارة لتخريج أحاديث التَّوسُّل والزيارة ، محمود سعيد ممدوح ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة .

(٢٧١) روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي) ، ابن رجب الحنبلي ، جمع وترتيب : أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمَّد ، دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢ه ، ٢٠٠١م .

(٢٧٢) روح البيان ، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي ، دار

الله بن عبد القادر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .

(٥٧٦) الموسوعة الفقهية الكويتية ، صادرعن : وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الكويت ، الطبعة : (من ١٤٠٤هـ ، ١٤٢٧هـ .

(٥٧٧) الموطأ ، مالك بن أنس ، تحقيق : محمَّد مصطفى الأعظمي ، نشر : مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية ، أبو ظبي ، الإمارات ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م ، وطبعة دارإحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٥م .

(٥٧٨) نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار ، ابن حجر العسقلاني ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، دار ابن كثير ، الطبعة : الثانية ، ١٤٢٩هـ ، ٢٠٠٨م .

(٥٧٩) نثر الدر في المحاضرات ، منصور بن الحسين الرازي، أبو سعد الآبى ، تحقيق : خالد عبد الغني محفوط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٤م .

(٥٨٠) النجم الوهاج في شرح المنهاج ، كمال الدِّين ، محمَّد بن موسى بن عيسى بن علي الدَّمِيري أبو البقاء الشَّافعي ، تحقيق: لجنة علمية ، دار المنهاج ، جدة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م .

(٥٨١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظَّاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدِّين ، نشر : وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دار الكتب ، مصر .

الفكر ، بيروت .
(٢٧٣) روح المعاني ، الألوسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤م ، وطبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
(٢٧٤) الرُّوح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة ، ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
(٢٧٥) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية ، أبو القاسم عبد الرَّحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٢هـ .
(٢٧٦) رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام ، أبو حفص عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الإسكندري المالكي، تاج الدِّين الفاكهاني ، تحقيق : نور الدِّين طالب ، دار النوادر ، سوريا ، الطبعة : الأولى ، ١٤٣١هـ ، ٢٠١٠م .
(٢٧٧) الرياض النضرة في مناقب العشرة ، أبو العبَّاس ، أحمد بن عبد الله بن محمَّد ، محب الدِّين الطَّبري ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : الثانية .
(٢٧٨) ريحانة الألبّا وزهرة الحياة الدُّنيا ، شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد بن عمر الخفاجي ، تحقيق : عبد الفتاح محمَّد الحلو ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ،الطبعة : الأولى ، ١٣٨٦هـ ، ١٩٦٧م
(٢٧٩) زاد المسير في علم التفسير ، ابن الجوزي ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ ، وطبعة المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٤هـ .
(٢٨٠) زغل العلم ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي ، تحقيق : محمَّد بن ناصر العجمي ، مكتبة
(٥٨٢) نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ، محمود بن سعيد مقديش الملقب بأبي الثناء الصفاقسي ، تحقيق : علي الزواري ، محمَّد محفوظ ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٩٨٨م .
(٥٨٣) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ، عبد الرَّحمن بن عبد السَّلام الصفوري ، المطبعه الكاستلية ، مصر ، ١٢٨٣هـ .
(٥٨٤) نشر طيّ التعريف في فضل حملة العلم الشَّريف والرد على ماقتهم السخيف ، محمَّد بن عبد الرَّحمن بن عمر بن محمَّد بن عبد الله، أبو حامد ، جمال الدِّين الحبيشي الوَصَابي الشَّافعي ، دار المنهاج ، جدة ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م .
(٥٨٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م .
(٥٨٦) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدِّين بن الخطيب ، شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد المقري التلمساني ، تحقيق : إحسان عبَّاس ، دار صادر ، بيروت ، ط١ .
(٥٨٧) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة ، محمَّد أمين بن فضل الله بن محب الدِّين بن محمَّد المحبي ، بلا .
(٥٨٨) نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن ، أحمد بن محمَّد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الشرواني ، مطبعة التقدم العلمية ، مصر ، الطبعة : الأولى ، ١٣٢٤هـ .
(٥٨٩) نهاية الأرب في فنون الأدب ، شهاب الدِّين أحمد بن عبد الوهَّاب النويري ، تحقيق : مفيد قمحية وجماعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٤ م .

الصحوة الإسلامية .
(٢٨١) الزهد ، ابن المبارك ، تحقيق : حبيب الرَّحمن الأعظمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
(٢٨٢) الزهد ، هناد بن السري الكوفي ، تحقيق : عبد الرَّحمن عبد الجبار الفريوائي ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ، الكويت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٦هـ .
(٢٨٣) السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير ، أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد الخلوتي ، الشَّهير بالصاوي المالكي ، دار المعارف .
(٢٨٤) سبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد ، محمَّد بن يوسف الصالحي الشامي ، تحقيق : الشَّيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشَّيخ علي محمَّد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م .
(٢٨٥) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ، شمس الدِّين ، محمَّد بن أحمد الخطيب الشربيني الشَّافعي ، مطبعة بولاق (الأميرية) ، القاهرة ، ١٢٨٥هـ .
(٢٨٦) سعادة الدارين في الردِّ على الفرقتين الوهابية ومقلدة الظاهرية ، إبراهيم السمنودي الأزهري ، مكتبة الإيمان ، العجوزة ، مصر .
(٢٨٧) سفر نامه ، أبو معين الدِّين ناصر خسرو الحكيم القباديانى المروزي ، تحقيق : د. يحيى الخشاب ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٣م .
(٢٨٨) سلاح المؤمن في الدُّعاء والذكر ، محمَّد بن محمَّد بن علي بن
(٥٩٠) نهاية الإقدام في علم الكلام ، الشهرستاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٤م .
(٥٩١) نهاية الزين في إرشاد المبتدئين ، محمَّد بن عمر نووي الجاوي البنتني التناري ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة: الأولى .
(٥٩٢) نهاية المبتدئين في أصول الدِّين ، ابن حمدان الحنبلي ، تحقيق : ناصر بن سعود السلامة ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط١ ، ٢٠٠٤م .
(٥٩٣) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ، شمس الدِّين محمَّد بن أبي العبَّاس أحمد بن حمزة شهاب الدِّين الرملي ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة : الأخيرة ، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م .
(٥٩٤) النهاية في الفتن والملاحم ، ابن كثير ، المكتب الثقافي ، القاهرة .
(٥٩٥) النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمَّد الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م .
(٥٩٦) نهر الذهب في تاريخ حلب ، كامل بن حسين بن محمَّد بن مصطفى البالي الحلبي ، الشَّهير بالغزي ، دار القلم ، حلب ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٩هـ .
(٥٩٧) نوادر الأصول في أحاديث الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، الحكيم الترمذي ، تحقيق : عبد الرَّحمن عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٢م .
(٥٩٨) النور السافر عن أخبار القرن العاشر ، محي الدِّين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العَيْدَرُوس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٥هـ .

همام أبو الفتح، تقيّ الدين، المعروف بابن الإمَام ، تحقيق : محيي الدِّين ديب مستو ، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م .

(٢٨٩) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ، علي بن أحمد بن محمَّد معصوم الحسني الحسيني ، الشَّهير بابن معصوم ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ١٣٢٤هـ ، ١٩٠٦م .

(٢٩٠) السَّلسَبِيلُ النَّقِي في تَرَاجِمِ شيُوخ البَيهَقِيّ ، أبو الطيب نايف بن صلاح بن علي المنصوري ، دَارُ العَاصِمَة للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة : الأولى ، ١٤٣٢هـ ، ٢٠١١م .

(٢٩١) السَّلفيَّة مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي ، د. محمَّد سعيد البوطي ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، ٢٠٠٤م .

(٢٩٢) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، محمَّد خليل بن علي بن محمَّد بن محمَّد مراد الحسيني ، أبو الفضل ، دار البشائر الإسلامية ، دار ابن حزم ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .

(٢٩٣) سلوة الكئيب بوفاة الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، محمَّد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمَّد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدِّمشقي الشافعي، شمس الدِّين ، الشَّهير بابن ناصر الدِّين ، تحقيق : صالح يوسف معتوق ، هاشم صالح مناع ، دار البحوث للدراسات الإسلامية ، الإمارات .

(٢٩٤) السلوك في طبقات العلماء والملوك ، محمَّد بن يوسف بن يعقوب، أبو عبد الله، بهاء الدِّين الجُنْدي اليمني ، تحقيق : محمَّد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٥م .

(٢٩٥) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، عبد الملك

(٥٩٩) نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، أبو العبَّاس أحمد بابا بن أحمد بن عمر بن محمَّد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى التكروري ، التنبكتي ، بلا .

(٦٠٠) نيل الأمل في ذيل الدول ، زين الدِّين عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدِّين خليل بن شاهين الظَّاهري الملطيّ ثمَّ القاهري الحنفيّ ، تحقيق : عمر عبد السَّلام تدمري ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢م .

(٦٠١) نيل الأوطار ، الشوكاني ، تحقيق : عصام الدِّين الصبابطي ، دار الحديث ، مصر ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م ، وطبعة دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٣ .

(٦٠٢) نيل المرام من تفسير آيات الأحكام ، أبو الطيب محمَّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي ، تحقيق : محمَّد حسن إسماعيل ، أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٣م .

(٦٠٣) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ، وأحكامه ، وجمل من فنون علومه ، أبو محمَّد مكي بن أبي طالب ، تحقيق : مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي ، جامعة الشارقة ، نشر : مجموعة بحوث الكتاب والسنة ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة الشارقة ، الطبعة : الأولى، ١٤٢٩هـ ، ٢٠٠٨م .

(٦٠٤) دية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، إسماعيل بن محمَّد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمَّد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م .

(٢٩٦) سنن ابن ماجه ، تحقيق : محمَّد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البابي الحلبي ، دار الفكر ، بيروت .

(٢٩٧) سنن أبي داود ، تحقيق : محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت .

(٢٩٨) سنن الترمذي ، تحقيق : بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٨م .

(٢٩٩) سنن الدارمي ، تحقيق : حسين سليم أسد الداراني ، دار المغني ، السعودية ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٢هـ ، ٢٠٠٠م .

(٣٠٠) السنن الصغير ، البيهقي ، تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي ، جامعة الدراسات الإسلامية ، كراتشي ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٠هـ ، ١٩٨٩م .

(٣٠١) السنن الكبرى ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي ، تحقيق : محمَّد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م .

(٣٠٢) السنن الكبرى ، النسائي ، تحقيق : حسن عبد المنعم شلبي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠١م .

(٣٠٣) السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي ، النسائي ، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد ، الطبعة : الأولى ، ١٣٤٤هـ .

(٣٠٤) سنن سعيد بن منصور ، تحقيق : حبيب الرَّحمن الأعظمي ،

(٦٠٥) الوابل الصيب من الكلم الطيب ، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدِّين ابن قيم الجوزية ، تحقيق : محمَّد عبد الرَّحمن عوض دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م .

(٦٠٦) واعد الفقه ، محمَّد عميم الإحسان المجددي البركتي ، الصدف ببلشرز ، كراتشي ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٦م

(٦٠٧) الوافي بالوفيات ، صلاح الدِّين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م .

(٦٠٨) وسائل الوصول إلى شمائل الرَّسول صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّم ، يوسف بن إسماعيل بن يوسف النَّبْهَاني ، دار المنهاج ، جدة ، الطبعة : الثانية ، ١٤٢٥هـ .

(٦٠٩) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمَّد بن علي الواحدي ، النيسابوري ، الشَّافعي ، تحقيق : الشَّيخ عادل أحمد عبد الموجود ، ورفاقه ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م .

(٦١٠) وسيلة الإسلام بالنَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام ، أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب ، أبو العبَّاس القسنطيني ، ابن قنفذ ، تحقيق : سليمان العيد المحامي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الأولى، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م .

(٦١١) الوصايا ، ابن عربي ، مؤسسة الأعظمي ، بيروت .

(٦١٢) الوصية ، ابن قدامة المقدسي ، تحقيق : محمَّد خير رمضان يوسف ، دار ابن حزم ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ ،١٩٩٧م .

الدار السَّلفيَّة ، الهند ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٢م .
(٣٠٥) سير أعلام النبلاء ، الذَّهبي ، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشَّيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م ، وطبعة دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة : ١٤٢٧هـ ، ٢٠٠٦م .
(٣٠٦) السيف الصقيل في الردِّ على رد ابن زفيل ، تقي الدِّين علي بن عبد الكافي السُّبكي ، ، ومعه تكملة الردِّ على نونية ابن القيم بقلم : محمَّد زاهد بن الحسن الكوثري ، مكتبة زهران ، القاهرة .
(٣٠٧) شأن الدُّعاء ، أبو سليمان حمد بن محمَّد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي ، تحقيق : أحمد يوسف الدّقاق ، دار الثقافة العربية ، الطبعة : الثالثة ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .
(٣٠٨) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، محمَّد بن محمَّد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف ، علق عليه : عبد المجيد خيالي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م .
(٦١٣) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، السَّمهودي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ .
(٦١٤) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو العبَّاس شمس الدِّين أحمد بن محمَّد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي ، تحقيق : إحسان عبَّاس ، دار صادر ، بيروت .
(٦١٥) يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النَّار وأصحاب النَّار ، أبو الطيب محمَّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي ، تحقيق : د. أحمد حجازي السقا ، مكتبة عاطف ، دار الأنصار ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٣٩٨هـ ، ١٩٨٧م .
(٦١٦) اليواقيت والجواهر ، عبد الوهَّاب الشعراني ، طبع البابي الحلبي ، القاهرة ، ط أخيرة ، ١٩٥٩م .
(٦١٧) يوميات شامية ( الحوادث اليومية من تاريخ أحد عشر وألف ومية ) ، بلا .

# فِهْرِسُ المَوْضُوْعَات

| الموضوع | الصَّفحة |
|---|---|

**مِنْ أَعْمَالِ المؤلِّف الأُسْتَاذ الدُّكْتُوْر عَلِي مِقْدَادِي الحَاتِمِي ضِمْنَ سِلْسِلَةِ : " السِّهَامُ الحَافِضَةُ لِدِيْنِ الرَّافِضَة " :**

(١) عِظَمُ المِنَّةِ فِي تَوْضِيْح عَقِيْدَةِ الشِّيعة بِأَهْلِ السُّنَّةِ .

(٢) التَّقِيَّة وَمَكَانَتُهَا العَقَدِيَّةُ فِي دِيْنِ الشِّيعة الإماميَّة .

(٣) عقيدة الشِّيعة الإماميَّة بصحابة خير البريَّة .

(٤) الإرتِوَاءُ فِي بَيَانِ مَا عِنْدَ الشِّيعة مِنْ عَقِيْدَةِ البَدَاء .

(٥) شَحْذُ الهِمَّةِ فِي إِثْبَاتِ تَأْلِيْهِ الشِّيعة لِلأَئِمَّة .

(٦) وَاضِحُ البَيَانِ فِي إِثْبَاتِ اعْتِقَادِ الشِّيعة بِتَحْرِيْفِ القُرْآن .

(٧) الإِمَامَةُ وَمَكَانَتُهَا العَقَدِيَّةُ فِي دِيْنِ الشِّيعة الإماميَّة .

(٨) عِصْمَةُ الأئمَّة عِنْدَ الشِّيعة الإماميَّة .

(٩) التَّنْفِيْرُ مِمَّا جَاءَ فِي حَدِيْثِ الغَدِيْر .

(١٠) قُرَّة العَيْنِ فِي إِثْبَاتِ أَنَّ الشِّيعة هُمْ قَتَلَةُ الحُسَيْن .

(١١) الأَعْمَالُ الشُّعُوْبِيَّةُ وَالإِجْرَامِيَّةُ لِمَهْدِيِّ الشِّيعة الإماميَّة .

(١٢) خُرَافَةُ المَهْدَوِيَّةِ فِي دِيْنِ الشِّيعة الإماميَّة .

(١٣) أَشْهَرُ الطُّعُوْنِ الشِّيْعِيَّةِ فِيْ صَحَابَةِ خَيْرِ البَرِيَّة .

(١٤) الإِمْتَاعُ في بَيَانِ مَوْقِفِ الشِّيعة مِنَ الإِجْمَاع .

(١٥) المُتْعَةُ وَمَكَانَتُهَا العَقَدِيَّةُ فِي دِيْنِ الشِّيعة الإماميَّة .

(١٦) أَسْمَى المَطَالِبِ فِي تَوْضِيْحِ تَفْرِيْطِ الشِّيعة فِي عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِب .

(١٧) أَسْنَى المَطَالِبِ فِي تَوْضِيْحِ إِفْرَاطِ الشِّيعة فِي عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِب .

(١٨) تَحْقِيْقُ القَوْلِ فِي نُزُوْلِ كُتُبٍ سَمَاوِيَّةٍ عَلَى أئمَّة الشِّيعة الإماميَّة .

(١٩) إِعْلَامُ النَّبِيْهِ بِتَفْرِيْطِ الشِّيعة الإماميَّة فِي الرَّسول وَأَزْوَاجِهِ وَبَنِيْه .

(٢٠) النَّجْعَة فِي تَوْضِيْحِ مَا عِنْدَ الشِّيعة الإماميَّة مِنْ عَقِيْدَةِ الرَّجْعَة .

(٢١) الأَقْوَالُ الشَّنِيْعَةُ المُوْجِبَةُ لِتَكْفِيْرِ الشِّيعة .

(٢٢) إِنْبَاءُ العَالَمِيْن بِخِيَانَةِ الشِّيعة للإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِيْن .

(٢٣) إِعْلَامُ الوَسْنَانِ بِأَحْوَالِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي إِيْرَان .

(٢٤) الذَّرِيْعَةُ فِيْ الكَلَامِ عَلَى خُمْسِ الشِّيعة .

(٢٥) تَبْدِيْدُ السِّهَامِ الطَّائِشَةِ عَنْ أُمِّنَا عَائِشَة .

(٢٦) الإِنَافَةُ فِي بَيَانِ مَوْقِفِ عَلِيٍّ مِنَ الخُلَفَاءِ الثَّلَاثَة .

(٢٧) الرِّيَاضُ المُسْتَطَابَةُ فِي عَلَاقَةِ آلِ البَيْتِ بالصَّحابة .

(٢٨) إِعْلَامُ الثقَلَيْنِ بِمَوْقِفِ الشِّيعة مِنَ الحَسَنِ وَالحُسَيْن .

(٢٩) كَشْفُ العَيْبَةِ فِي تَوْضِيْحِ مَا عِنْدَ الشِّيعة مِنْ عَقِيْدَةِ الغَيْبَة .

(٣٠) الإِبَاحِيَّةُ الجِنْسِيَّةُ عِنْدَ الشِّيعة الإماميَّة .

(٣١) مُخَالَفَاتُ الشِّيعة لِلقُرْآنْ .

(٣٢) الأَقْصَى وَفِلَسْطِيْن فِي عَقِيْدَةِ الشِّيعة المَاكِرِيْن .

(٣٣) مُصِيْبَةُ التَّقْرِيْبِ بَيْنَ السُّنَّةِ وَالشِّيْعَه .

(٣٤) إِعْلَامُ البَرِيَّة بِتَوْضِيْحِ عَقِيْدَةِ الشِّيعة الإماميَّة بِالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّة .

(٣٥) عَقِيْدَةُ الشِّيعة الإماميَّة بِصَحَابَةِ خَيْرِ البَرِيَّةِ .

(٣٦) الوَافِي فِيْ نَقْدِ أُصُوْلِ الكَافِي .

(٣٧)إِعْلَامُ الجُلَسَاءِ بِشَرْحِ حَدِيْثِ الكِسَاءِ .

(٣٨) إِرْشَادُ الكِلَابِ الهَائِمَة المُتَجَنِّيَةِ عَلَى السَّيِّدَةِ فَاطِمَة .

(٣٩) الأَمَدُ الأَقْصَى تَوْضِيحِ اعْتِقَادِ الشِّيْعَةِ بِالمَسْجِدِ الأَقْصَى .

(٤٠) إِعْلَامُ الهَائِمِ بِأَنَّهُ لَا جِهَادَ عِنْدَ الشِّيْعَةِ حَتَّى يَخْرُجَ القَائِم .

**وَضِمْنَ سْلْسِلةِ (فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيْبُوا قَوْمَاً بِجَهَالَة) :**

(٤١) التَّفْوِيْضُ فِي صِفَاتِ الله تَعَالَى بَيْنَ السَّلَفِ وَالخَلَف .

(٤٢) التَّرْوِيْضُ فِي تِبْيَانِ حَقِيْقَةِ التَّفْوِيْض .

(٤٣) تَكْفِيْرُ الوَهَّابِيَّة لِعُمُوْمِ الأُمَّةِ المُحَمَّدِيَّة .

(٤٤) كَشْفُ الخَفَاءِعَنْ عَبَثِ الوَهَّابِيَّة بِكُتُبِ العُلَمَاءِ .

(٤٥) الإِتْحَافَاتُ القُدُسِيَّة فِي نُصْرَةِ السَّادَةِ الصُّوْفِيَّةِ والرَّدِّ عَلَى الوَهَّابيَّة .

(٤٦) نُبُوَّةُ النِّسَاءِ بَيْنَ المَانِعِيْنَ وَالمُجِيْزِيْن .

(٤٧) حَادِثَةُ سِحْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٤٨) المُحْكَمُ وَالمُتَشَابِهُ وَعَلَاقَتُهُ بِالصِّفَاتِ الإِلَهِيَّة .

(٤٩) مَسْأَلَةُ التَّنَاكح بَيْنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ بَيْنَ الحَقِيْقَةِ وَالخَيَال .

(٥٠) صِفَاتُ الحورِ العِيْن فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّة .

(٥١) الجَوَابُ المُخْتَارُ فِي مَسْأَلَةِ فُتُوْرِ الوَحْي وَمَا نُسِبَ لِلنَّبِيِّ مِنْ مُحَاوَلَةِ الانْتِحَار .

(٥٢) كَشْفُ الخَفَا فِي مَصِيْرِ وَالِدَيّ المُصْطَفَى .

(٥٣) مَصِيْرُ أَبْنَاءِ المُشْرِكِيْن يَوْم الدِّيْن .

(٥٤) مسألة التبرك بالأنبياء والصَّالحين في الإسلام .

(٥٥) أَقْوَالُ العُلَمَاءِ المَنْثُوْرَةِ فِي تَنْزِيْهِ الله عَنِ الصُّوْرَة .

(٥٦) مَشْرُوْعِيَّةُ الاحْتِفَالِ بِمِيْلَادِ خَيْرِ البَرِيَّة وَالرَّدّ عَلَى الوَهَّابِيَّة .

(٥٧) مَسْأَلَةُ الاحْتِجَاجِ بِالقَدَرِ عَلَى المَعْصِيَة .

(٥٨) إِرْشَادُ الفُحُوْلِ إِلَى مَا قَالَهُ أَسَاطِيْنُ العِلْمِ فِيْ تَنْزِيْهِ الله عَنِ الحَرَكَةِ وَالنُّزُوْل .

(٥٩) إِعْلَامُ الخَلَفِ بِتَأْوِيْلَاتِ السَّلَف .

(٦٠) خبر الآحاد ومدى حجيَّته في العقيدة .

(٦١) العُلوُّ لِلْعَلِيِّ الغَفَّار عُلُوّ مَكَانَةٍ لَا عُلُوّ مَكَان .

(٦٢) كَشْفُ الغِطَاءِ عَنْ مَسْأَلَةِ الاسْتِوَاء .

(٦٣) إِعْلَامُ الحُذَّاقِ بِحَقِيْقَةِ السَّاق .

(٦٤) إِعْلَامُ العَبْدِ الأَوَّاه بِحَقِيْقَةِ الوَجْهِ المُضَافِ إِلَى الله .

(٦٥) جَلَاءُ العَيْن بِحَقِيْقَةِ مَا أُضِيْفَ إِلَى الله مِنْ لَفْظِ العَيْن .

(٦٦) المَوْرِدُ العَذْب فِي تَوْضِيح مَا أُضِيْفَ إِلَى الله مِنْ لَفْظِ الجَنْب .

(٦٧) رَفْعُ السَّارِيَةِ فِي الكَلَام عَلَى حَدِيْثِ الجَارِيَة .

(٦٨) بَرْدُ الأَكْبَادِ فِي تَنْزِيْهِ الله تَعَالَى عَنِ اليَدِ وَالأَيَاد .

(٦٩) رَفْعُ الصَّوْتِ بِمَا جَاءَ عَنِ المَوْت .

(٧٠) كِفَايَةُ العَبْدِ الأَوَّاه بِمَا جَاءَ عَنْ قُرْبِ الإِلَه .

(٧١) الشَّفَاعَاتُ الخَاصَّةُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٧٢) إِتْحَافُ العَالَمِيْن بِمَشْرُوْعِيَّةِ التَّوَسُّل بِالأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِيْن .

(٧٣) إِنْبَاءُ أَبْنَاءِ الزَّمَانِ بِمَا أُضِيْفَ إِلَى اللهِ مِنَ المَكْرِ وَالخِدَاعِ وَالاسْتِهْزَاءِ وَالنِّسْيَان .

(٧٤) إِتْقَانُ الصَّنْعَةِ فِي تَحْقِيْقِ مَعْنَى البِدْعَة / وصل إلى الآن تسعة مجلَّدات .

(٧٥) الإِتْحَافَات المِقْدَادِيَّة بتَرَاجِمِ السَّادَةِ الصُّوْفِيَّة / وصل إلى الآن خمسة وأربعين مجلَّداً بحمد الله تعالى .

(٧٦) تَشْنِيْفُ الآذَان بِبَعْضِ البِدَعِ الحسنة المُتَعَلِّقَةِ بِالقُرآن .

(٧٧) تبصير الهُداة بِبَعْض البِدِعِ الحَسَنَة المُتعلِّقَة بِالصَّلاةِ .

(٧٨) تَنْوِيْرُ ذَوِيْ الأَلْبَابِ بِبَعْضِ البَدَعِ الحَسَنَةِ المُتعلِّقَة بِالسُّلُوكِ وَالآدَابِ .

(٧٩) رَفْعُ الصَّوْت بِبَعْضِ البِدَعِ الحَسَنَة المُتعلِّقَة بالمَوْتِ .

(٨٠) تَذْكِيْرُ الأَكْيَاس بَعْضُ المَسَائِلِ المُتعلِّقة بالزِّيْنَةِ وَاللِّبَاس .

(٨١) إِعْلَامُ الأَنَامِ بِبَعْضُ البِدَعِ الحَسَنَةِ المُتَعلِّقَة بِالصِّيَام .

(٨٢) إِعْلَامُ البَرِيَّةِ بِبَعْضِ البِدَعِ العَقَدِيَّةِ التِيْ ابْتَدَعَهَا مُدَّعُو السَّلَفِيَّةِ .

(٨٣) إِتْحَافُ النُّجبَاء بِبَعْضِ البِدَعِ التِيْ ابْتَدَعَهَا مُدَّعُو السَّلَفِيَّةِ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالعِلْمِ وَالعُلَمَاءِ .

(٨٤) الإِفْصاحُ عَنْ مَعْنَى السُّنَّةُ وَالبِدْعَة فِي اللُّغَةِ وَالاصْطِلَاح .

(٨٥) غَايَةُ المَرَام بِبَعْضُ البِدَعِ الحَسَنَةِ التِي اسْتَحْدَثَهَا السَّلَفُ الصَّالِحُ فِيْ زَمَانِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلَام

(٨٦) مِسْكُ الخِتَام بِبَعْضُ البِدَعِ الحَسَنَةِ المُتَعلِّقَة بِالرَّسُوْلِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلَام .

(٨٧) إِقَامَةُ البَرَاهِيْن عَلَى أَنَّ مُحَمَّداً أَفْضَلُ المُرْسَلِيْن .